

موسوعة

أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح

تأليف
محمد الساعدي

الجزء الأول

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية



موسوعة

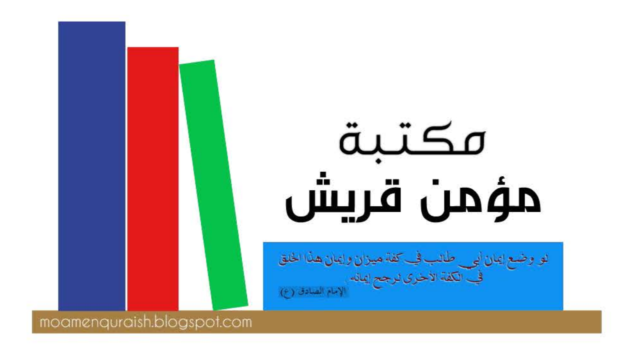
أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح

تأليف
محمّد الساعدي

الجزء الأوّل

نشر
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

سرشناسه : ساعدی، محمد، ۱۹۲۳ – م.
عنوان و پدیدآور : موسوعة اعلام الدعوة والوحدة والاصلاح / محمد ساعدي.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، المعاونية الثقافية، ۱٤۳۱ق.=۱۳۸۹.
مشخصات ظاهری : ۲ج.
شابک : ۱۱۰۰۰۰ریال: 978-964-167-137-4؛ ج.۱: 978-964-167-139-8؛ ج.۲: 978-964-167-138-1
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : اسلام -- تجدید حیات فکری
موضوع : اصلاح طلبان – کشورهای اسلامی
موضوع : تقریب مذاهب
موضوع : وحدت اسلامی
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۹ ۸ م ۱٤س/۲۲۹ BP
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/٤۸
شماره کتابشناسی ملی : ۲۱۳۱۰۵٦





اسم الكتاب: موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح /ج ۱
المؤلف: محمّد الساعدي
طبع ونشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة: الاولى – ۱٤۳۱هـ.ق ۲۰۱۰ م
الكمية: ۲۰۰۰ نسخه
السعر: ۱۱۰۰۰۰ ريال
ردمك: 978-964-167-137-4 ؛ ج.۱: 978-964-167-139-8 ؛ ج.۲: 978-964-167-138-1
العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران – طهران – ص. ب: ٦۹۹٥ – ۱٥۸۷٥
تلفكس: ۸۸۳۲۱٤۱۲ – ۲۱ – ۰۰۹۸

تقديم بقلم سماحة آية الله الشيخ محمّد علي التسخيري
الأمين العامّ للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين وصحبه الميامين

وبعد:

فقد اطّلعت ـ إجمالاً ـ على الموسوعة الجديدة للأخ العلّامة الساعدي حول (أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح)، فرأيتها حلقة مكمّلة لموسوعته السابقة حول الوحدة والتقريب، أي: كتاب (المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب)، فسررت حقّاً لهذا الجهد الموسوعي الوحدوي الإصلاحي الذي يحتاج إلى صبر وأنات وتتبّع يستغرق الآلاف من الساعات.

والحقّ أنّه جهد موفّق لايتمّ إلّا مع توفّر علم واسع، وتتبّع مثابر، وصبر وأنات، ومعها جميعاً عشق واله لهذه الأُمّة وعقيدتها وخصائصها ودعوتها ووحدتها وإصلاحها، وهي مفاهيم متلازمة يأخذ بعضها بتلابيب بعض، ويكمّل بعضها بعضاً.

وها أنذا بكلمتي هذه أحييه وأقدّر مؤلّفاته وتحقيقاته القيّمة التي ربّما نافت على الستّين مجلّداً لتعبّر عن ذلك الشوق الذي أشرنا إليه، فأسأل العلي القدير أن يحقّق له آماله إنّه السميع المجيب، كما أسأله جلّ وعلا أن يوفّق المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب لأن يمضي بصبر وشوق لتحقيق أهدافه عبر نشر مثل هذا الفكر النيّر والمعرفة الخيّرة.

إنّها إذن باقة خيّرة من ٤٧٠ شخصية غذّت مسيرة الدعوة والإصلاح والوحدة بفكرها الأصيل وعملت على تأليف القلوب، وهو من أعظم أسباب النصر، كما يؤكّده

القــــــــرآن

الكريم ويدعمه الواقع.

وإذا لم يكن الكتاب قد استوفى واستقصى فإنّه قدّم الشيء الكافي لتحقيق غرضه، ودفع الجميع للانضمام إلى هذه الباقة المباركة والمسيرة الخيّرة التي أعتبرها من أعماق قلبي المسيرة الطبيعية لخطّ الأنبياء الشاهد وخطّ الإنسانية المستخلفة. أمّا العقبات والتشكيكات والشبهات فقد اعتاد عليها المنصفون، وربّما تقبّلوها برحابة صدر؛ لأنّها من الزبد الذي يذهب جفاء، ولا يستقرّ ولا يخلد إلّا ما ينفع الناس ويسوقهم إلى جنّات الخلود؛ جنّات عدن، والله الموفّق الهادي.

محمّد علي التسخيري

الأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

طهران

١٢/رمضان/١٤٣١هـ

كلمة المعاون الثقافي للمجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

في حياة البشرية صور تتجلّى فيها روح إنسانية سمحة، وتعبّر عن قدرة الجماعة البشرية على تجاوز الذات والإقليم والقومية واللغة والطائفة والعشيرة، فنرى ثمّة الحياة المفعمة بالتعاون والتعاضد والحبّ والوئام والسلام بين بعض الناس. وإذا رأيت في حياة هؤلاء حروباً فهي لدرء الفتنة ومقاومة العدوان والدفاع عن القيم الإنسانية.

ولكن توجد إلى جانب ذلك صور مؤلمة صنعتها الذات المستفحلة والروح العشائرية الملتهبة والأنانيات الضيّقة، ولا ترى في ثناياها إلّا الصراع والنزاع والتناطح وسفك الدماء وانتهاك الحرمات والعدوان على الآخرين!

وعلى الصعيد الفردي أيضاً نرى أفراداً يهمّهم تقريب وجهات النظر، والتعالي على الصغائر، وبثّ روح الأُلفة والمحبّة، وإقامة روابط الودّ، ونشر مفاهيم الخير والرحمة بين الناس، فلا ترى في قائمة أعمالهم عدواناً، ولا في سلوكهم استئثاراً، ولا في تعاملهم مع الآخر ذاتية وأنانية.

وعلى العكس من هؤلاء تجد أفراداً متحفّزين إلى المصارعة دائماً! يبحثون باستمرار عمّن يناطحونه، ويسعون باستمرار إلى تأجيج نار الفتنة والخلاف، ولا يأتلفون مع أحد إلّا إذا اقتضت ذلك مصالحهم الذاتية، وغالباً ما يأتلفون مع مَن يشكّلون معه شقّي مقصّ بهدف التفرقة!

مشروع التقريب بين فصائل المسلمين يجب أن يركّز على الصور المشرقة في حياة الجماعات وعلى التقريبيّين من الأفراد.. فعمل مثل هذا يقدّم الأُسوة الحسنة، ويعطي دروساً في التعايش السلمي والوئام بين الشعوب على أساس من حرمة القيم الإنسانية

والعدالة وحرمة «الإنسان» وعزّته وكرامته.

هذا التركيز يضع المتلقّي في جوّ الحياة الطبيعية للأفراد والجماعات، ويبرز حالة النشاز في الصراع والنزاع، مع التأكيد على أنّ الحياة الطبيعية المسالمة لا يمكن أن تتحقّق إلّا باقتلاع جذور الفتنة والعدوان، فالسلام لا يتحقّق إلّا بقمع أعداء السلام.

وقد خاض بعض الأعلام كلّ ميادين تثبيت عزّة الإسلام والمسلمين في عالمنا المعاصر، بما في ذلك توحيد الصفّ الإسلامي، والقضاء على كلّ ما يقف عائقاً ضدّ المسيرة الإسلامية لأن تشقّ طريقها في معترك الصراع الفكري والحضاري، فتميّزوا بخطابهم الإسلامي المترفّع عن الصغائر والخلافات الجانبية، وسموا في رحاب الإسلام الواسعة، فكانوا رائدين في كلّ شيء يخدم القضية الإسلامية، ومن ذلك ريادتهم في موضوع وحدة الصفّ الإسلامي.

والمطلوب أن يتحوّل هؤلاء الأفذاذ وأمثالهم إلى رموز تعيش في القلوب والنفوس على المستوى الشعبي لا على مستوى النخبة فقط، فذلك ممّا يساهم أفضل مساهمة في تربية النفوس والعقول على الوحدة والتآلف والتعاضد والترفّع عن الصغائر والانطلاق نحو الأهداف البعيدة المدىٰ لأُمّتنا الإسلامية.

ومن هنا كان تعرّض الأُستاذ الشيخ محمّد الساعدي لهذا الموضوع الهامّ، فقد أتحف المكتبة الإسلامية عموماً ومكتبة التقريب خصوصاً بهذا الكتاب القيّم الذي يتناول فيه أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح بصورة موسوعية، فجزاه الله تعالىٰ خيراً ووفّقه لكلّ صلاح، والحمد لله ربّ العالمين.

علي أصغر الأوحدي

المعاون الثقافي للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

مقدّمة المؤلّف

لا يخفىٰ على القارئ الحصيف أنّ الأُمّة الإسلامية استطاعت أن تقاوم المؤثّرات الخارجية العنيفة والتقلّبات التي لا تكاد تنتهي واختلاف الزمان والمكان بقوّتين: أحدهما :هي الحيوية الكامنة في وضع الإسلام نفسه وصلاحيته للحياة والإرشاد في كلّ بيئة ومحيط وفي كلّ عهد من عهود التاريخ ، والأُخرى : هي أنّ الباري تعالى قد تكفّل بأن يمنح هذه الأُمّة التي قضىٰ بخلودها رجالاً أحياء أقوياء في كلّ عصر ، ينقلون هذه التعاليم الإسلامية إلى مسرح الحياة، ويعيدون إلى الأُمّة الشباب والنشاط ،ولم تعدم أُمّة الإسلام في عصر من عصورها مجدّدين في الدين وأئمّة في العلم وعماليق في الفكر وأبطالاً في الجهاد وأعلاماً في الإصلاح ودعاة إلى الوحدة ، لا يوجد نظيرهم كمّاً وكيفاً في أُمّة من الأُمم. ولم يكن ذلك من المصادفات ، إنّما هو طبيعة هذا الدين وقدرته العجيبة على الإنتاج والتوليد وطبيعة هذه الأُمّة وصلاحيتها للبحث الجديد ، وإنّما هو لطف الباري بهذه الأُمّة بل بالإنسانية ؛ إذ لو ضاعت هذه الأُمّة لضاعت أمانة السماء ولضاعت أمانة الإنسانية .

وظهر الرجال النوابغ في حياة الإسلام حيناً بعد حين ، يملكون الإيمان القوي الجديد ، والسمو الروحي الذي لا يشاركهم فيه عامّة الناس ، والنزاهة الممتازة عن الأغراض ، والعزوف عن الشهوات ، والتفاني في خدمة المبادئ والعقائد وفي سبيل الدعوة والإصلاح ، والمستوى العقلي والعلمي الراقي ، ينفخون في أُمّتهم روحاً جديدةً ، ويخلقون في إخوانهم من المسلمين إيماناً جديداً وثقة جديدة ، ويلهبون نفوسهم بحاسّة دينية جديدة .

وقد كان هؤلاء الأفراد نوابغ عصورهم عقلية وعلماً وخلقاً، وكانوا أصحاب شخصية جذّابة وكفاية فائقة، وكانت عندهم لكلّ فتنة وظلمة يد بيضاء تبدّد الظلمات وتنير السبيل.

ومن هنا قرّرت الكتابة في هذا الموضوع والتعريف بكبار رجال الدعوة والتقريب والوحدة والإصلاح الإسلامي؛ شعوراً منّي بأهمّية هذا الموضوع **أوّلاً**، وبفراغ المكتبة الإسلامية الحديثة إلى حدّ كبير عن التعريف برجال الوحدة والتقريب بصورة دراسة موسوعية **ثانياً**، وبحاجة الشباب الإسلامي إلى مثل هذه المواضيع والبحوث لإيجاد الثقة بتاريخ الإصلاح والتجديد وبصلاحية الإسلام وتعاليمه في إنشاء المصلحين والدعاة وأصحاب الرسالة والإبداع في التفكير والإنتاج **ثالثاً**. وبأنّ خير وسيلة ـ وذلك كما يعتقده كثير من رجال التربية والتعليم ـ لإشعال المواهب وإثارة الروح وتقويم الأخلاق والعزم على مكافحة البيئة الموبوءة والمجتمع الفاسد والتسامي لمعالي الأُمور، هي سير عظماء الرجال وزعماء الإصلاح ودعاة الإسلام والوحدة **رابعاً**.

ومن خلال السبر والتقسيم في مطالعة الكتب التي صدرت بنشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ضمّت في ثناياها الإشارة إلى بعض رجال التقريب والوحدة والإصلاح الإسلامي وكذلك بعض الكتب من غير نشر المجمع ومجلّة «رسالة التقريب» وأيضاً (السايت) الخاصّ بمجمع التقريب، من خلال ذلك وجدت أنّ تعداد تلك الشخصيات لا يعدو الـ(٦٠) شخصية!

وقد وفّقت في التعرّض إلى قريب (٤٧٠) شخصية إسلامية في مجال عالم الدعوة والإصلاح والوحدة، وذلك بصورة موسوعية تعتمد طريقة الترتيب الألفبائي، وبذكر الشخصية ومجمل حياتها ومساهماتها في مجالها الخاصّ بها، من دعوة إلى الإسلام أو إلى الوحدة أو الإصلاح الإسلامي.

ومن هنا فهذا الكتاب مرجع للباحثين والدارسين والمهتمّين بشؤون الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، ومفيد لطبقة القرّاء في المجتمع الإسلامي باطّلاعهم

على شخصيات التقريب والوحدة والإصلاح، ممّا يعزّز قنوات المعرفة ويمدّها بكلّ مفيد وجديد.

وأودّ هنا أن أُثبّت بعض الملاحظات :

١ ـ لقد تناولت في كتابي مجموعة كبيرة من روّاد الوحدة والتقريب، وجملة من رجال الإصلاح الإسلامي، وباقة مختارة من أعلام الدعوة الإسلامية، والذين هم على شرط الكتاب.. ومن هنا فليس لنا أن ندّعي أنّنا قد استوفينا الجميع في هذا المجال، وإنّما قيّدنا وذكرنا الذين تيسّر لنا الاطّلاع على أخبارهم وأحوالهم.

٢ ـ تمّ تصنيف الأعلام حسب الترتيب الألفبائي لأسمائهم كما تقدّم، وإذا كان العلم قد اشتهر بكنية أو لقب أو نسبة فقد تمّ تصنيفه بحسب هذه الشهرة.

٣ ـ حاولت في تراجمي هذه قدر الإمكان استيفاء جميع ما يتعلّق بحياة المترجم، وذلك من ذكر: اسمه ونسبه ولقبه، وتاريخ ولادته أو وفاته، ومكان ولادته أو وفاته، ونشأته، وطلبه للعلم، وأساتذته وتلاميذه، ونشاطه، وأعماله ومناصبه، ومؤلّفاته، وباقة من كلماته في مجال الوحدة أو الإصلاح أو التقريب.. كلّ ذلك حسب ما تسعفني به المنابع، ولذلك فقد تتفاوت التراجم طولاً وقصراً تبعاً لما تقدّم كما قلت، وتبعاً أيضاً لعظمة الشخصية أو لعظمة دورها في المجال الذي برزت فيه سواء أكان دعوة إسلامية أم إصلاحاً أم وحدةً وتقريباً.

٤ ـ شفعت أغلب الشخصيات بذكر المصادر المتخصّصة في هذا المجال، وإذا لم توجد مصادر للشخصيات الأُخرى فهذا معناه أنّ ملابسات حياة الشخصية قد تمّ استقاؤها من الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).. وقد جاءت المصادر على الحكاية كما يقال في علم النحو، فقد أتيت بها جميعها مرفوعة وإن وجد قبل جميعها تعبير: (انظر ترجمته في...).

٥ ـ صدّرت التراجم ببحوث تمهيدية تنسجم وموضوع الكتاب، تناولت فيها أبحاث:

الإصلاح، والدعوة، والوحدة، والتقريب.

٦ ـ ذيّلت الكتاب وأتممته بذكر قائمة المصادر التي تمّ الاعتماد عليها، مع العلم بأنّه قد تمّت الاستفادة أيضاً من مئات المواقع و(السايتات) الموجودة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى اهتمام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بكلّ ما يتعلّق بتقوية أواصر المحبّة والتفاهم بين أفراد الأُمّة الإسلامية الواحدة، وإبراز المشتركات، والتعريف بشخصيات الوحدة والإصلاح والتقريب، وهذا الأخير من صلب اهتماماته، ومن هنا قام المجمع مشكوراً بتصويب هذا المشروع ومتابعته ونشره، فجزى اللّه تعالى عامليه خيراً.

وأخيراً آمل أن تقع هذه الموسوعة الصغيرة موقع الرضا والقبول من القرّاء الكرام، كما أودّ أن أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى سماحة آية الله الشيخ محمّد علي التسخيري (دام عزّه) الأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على تقديمه الكتاب، فجزاه الله تعالى خير جزاء المحسنين، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد جاسم الساعدي

قم المقدّسة

١٥ / شعبان / ١٤٣١ هـ

بحوث ممهّدة

من الضروري قبل الدخول في صلب الكتاب التعرّض لبعض البحوث التمهيدية، والتي لا يخلو ذكرها من فائدة تعود على القارئ الكريم، وذلك فيما يتّصل بموضوع الكتاب.

وسوف أتعرّض في المقام ـ وعلى نحو الاختصار ـ إلى أربعة بحوث هامّة، وهي على الترتيب:

١ ـ الإصلاح الإسلامي.

٢ ـ الدعوة الإسلامية.

٣ ـ الوحدة الإسلامية.

٤ ـ التقريب بين المذاهب الإسلامية.

أمّا ما يتعلّق بالبحث الأوّل ـ وهو الإصلاح الإسلامي ـ فأقول:

الإصلاح (Reform) ضدّ الإفساد، وهو من الصلاح المقابل للفساد وللسيّئة[١].. وفي القرآن الكريم: ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً** ﴾ (سورة التوبة: ١٠٢)، ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾ (سورة الأعراف: ٥٦). فالإصلاح هو: التغيير إلى الأفضل، والحركات الإصلاحية هي: الدعوات التي تحرّك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالاً بالحياة إلى درجة أرقىٰ في سلّم التطوّر الإنساني.

والإصلاح: تعديل أو تطوير غير جذري في العلاقات الاجتماعية دون المساس بأُسسها. والإصلاح الإسلامي: إحدىٰ الوجوه المرادة في تقويم الاعوجاج وإقامة الأود الحاصل في الكيان الإسلامي نتيجة الظروف المحيطة به والتحدّيات التي تواجهه. ولا يخفىٰ أنّ ذلك يحتاج إلى سعي حثيث وبذل للجهود، فضريبة الإصلاح هي الاضطهاد، على

---

(١) راجع: مجمل اللغة: ٤١٤، المصباح المنير: ٣٤٥، القاموس المحيط ١: ٢٤٣.

حدّ تعبير الأُستاذ عبد الوهاب حمّودة المصري.

ولا يفرّق بين الإصلاح وبين مصطلح الثورة في مستوىٰ التغيير وشموله، وإنّما من حيث الأُسلوب في التغيير وزمن التغيير، فكلاهما إسلامي، يعني التغيير الشامل والعميق، لكنّ الثورة تسلك سبل العنف غالباً والسرعة في التغيير، في حين تتمّ التغييرات الإصلاحية بالتدريج، وكثيراً ما تعطي الثورة الأولوية لتغيير الواقع، في حين تبدأ مناهج الإصلاح عادةً بتغيير الإنسان وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحي الجديد.

ولذلك وصفت رسالات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بأنّها دعوات إصلاح، فيقول رسول الله شعيب ﷺ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ (سورة هود: ٨٨).

ومن هنا يتبيّن أنّ المصلح هو المزيل للفساد والعداوة، والآتي بما هو صالح ونافع، والمسالم والمصافي، والمستقيم المؤدّي لواجباته. وهذا هو ديدن المصلحين في الأُمّة الإسلامية، إلّا أنّه قلّ أن تجد مصلحاً أو مرشداً إلّا لقيته قد ضاق من الاضطهاد ألواناً، وأصاب من العنت والشقاء ضروباً، وليست هذه السنّة ـ أي: سنّة الاضطهاد والشقاء ـ وقفاً على رسل الله وأنبيائه، بل هي مطّردة في جميع المجاهدين لإصلاح البشرية، الذين يحاربون المفسدين للنظم الاجتماعية الصحيحة، ويكافحون شرور الطغيان، ويعملون على هدم صروح البغي والتفرقة والعدوان في أيّ عصر كانوا وإلى أيّ أُمّة انتسبوا.

يقول الدكتور محمّد عمارة: «والناظر في تاريخ المجتمعات الإنسانية يرى سلسلة من التدافع بين دعوات الإصلاح وحركاته وبين الفساد والإفساد في تلك المجتمعات، وعلى سبيل المثال: نجد الحركة الإصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر بدءاً من مصر وشمولاً لكلّ العالم الإسلامي تمثّل إحياءً وتجديداً للفكر الإسلامي بالعودة إلى منابعه الجوهرية: القرآن الكريم، والسنّة النبوية الصحيحة، ومناهج السلف الصالح.

وقد عبّر الإمام محمّد عبده عن أهداف هذه الحركة، فقال: «إنّها ثلاثة:

الأوّل: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأُمّة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأُولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لتتمّ حكمة الله في حفظ نظام العالم الإسلامي.

الثاني : إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير .

الثالث : التمييز بين ما للحكومة من حقّ الطاعة على الشعب وما للشعب من حقّ العدالة على الحكومة » .

وهكذا مثّلت هذه الحركة الإصلاحية منهاجاً وسطاً بين أهل الجمود والتقليد وبين المتغرّبين المنبهرين بالنموذج الحضاري الغربي ، وكانت دعوتها الإصلاحية شاملة لميادين الفكر الديني واللغة العربية وعلومها وآدابها وعلاقات الحاكمين بالمحكومين .

ولقد تحوّلت فكرية هذه الدعوة الإصلاحية إلى روح سارية في الكثير من الدعوات والحركات والمشاريع الفكرية للعديد من العلماء والمفكّرين على امتداد العقود التي تلت وعلى امتداد أقاليم عالم الإسلام »[١] .

هذا ، ومن الحقائق التاريخية أنّ تاريخ الإصلاح والتجديد متّصل في الإسلام ، والمُتقصّي لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثُلمة في جهود الإصلاح والتجديد ، ولا فترة لم يظهر فيها من يُعارض التيّار المنحرف ، ويُكافح الفساد الشامل ، ويرفع صوت الحقّ ، ويتحدّى القوى الظالمة أو عناصر الفساد ، ويفتح نوافذ جديدة في التفكير .

والدارس لهذا التاريخ والمتتبّع لحوادثه وشخصياته لا يعرف عهداً قصيراً ساد الظلام فيه على العالم الإسلامي ، وخَبت مصابيح الإصلاح ، وخفتت أصوات الحقّ ، ومات الضمير الإسلامي ، وتبلّد الشعور ، وأضرب الفكر الإسلامي عن العمل .

إنّ هذه الثغرات قد نشعر بها في دراستنا العابرة للتاريخ الإسلامي وفي نظرتنا العجلى في كتبه ، إنّ مردّها إلى منهج التأليف الذي اتّخذه المؤرّخون للإسلام قديماً وحديثاً ودرجت عليه الأجيال .. إنّ النقص ـ ومعذرتي إلى المؤلّفين الذين أدين لهم في معلوماتي ومحاضراتي ويدين لهم كلّ مؤلّف ودارس ـ في التأليف وليس في التاريخ ، أو بكلمة أُخرى : إنّ المسؤولية تقع على المؤرّخين والمؤلّفين ، لا على المُجدّدين والمصلحين الذين ظهروا حيناً بعد حين ، وحفظوا على الإسلام جدّته وشبابه ، وقضوا على كثير من الفتن والبدع والمؤامرات والتحريفات ، حتّى أصبحت مطمورة في ركام الماضي ، لا يهتدي إليها أحد في هذا العصر إلّا بعد بحث وعناء ، وكثير من أفراد هذا الجيل لم يسمعوا بأسمائها ولا

---

(١) لاحظ موسوعة الحضارة الإسلامية : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

يعرفون حقيقتها إلّا بشقّ الأنفس واجتهاد العقل والعين!

وقد كان بعض هذه المذاهب وبعض هذه الحركات تتمتّع بحماية البلاط، وتستند إلى الملك والسلطان والمال والجاه، وقد كانت في عصرها صاحبة حَوْل وطَوْل، ولكنّها طُويت بفضل جهود هؤلاء المصلحين المخلصين في صحائف الماضي، وأصبحت موضوع علماء الآثار، لا محلّ لها إلّا في المتاحف والصحائف!

إنّ هذا النقص في التأليف الذي صرّحت به مع الاعتذار جعل كثيراً من الناس يعتقدون أنّ تاريخ الإصلاح والكفاح في الإسلام متقطّع يحتوي على ثغرات واسعة وفترات طويلة، لا ترى فيها إلّا المندفعين مع التيّار المستسلمين للفساد، وأقزاماً في العقل والتفكير والعلم والإنتاج، لقد كان يظهر «عملاق» أو نابغة أو عبقري بعد عصر طويل، وقد تخلو قرون ومئات سنين عن عظيم يستحقّ أن يسمّى عملاقاً أو عبقرياً أو مجدّداً في العلم والدين.

إنّ هذه العقيدة الخاطئة التي لم تَقُم إلّا على الدراسة القاصرة المستعجلة للتاريخ، وعلى منهاج التأليف الذي اتّخذه مع الأسف أكثر المؤرّخين، وهو تأليف التاريخ الذي يدور حول الملوك وحاشيتهم، وحول الحوادث التي لها اتّصال بالسياسة والحكم، قد تنتهي ببعض الشباب المتحمّسين وببعض رجال الدعوة إلى سوء الظنّ بالإسلام وضعف إنتاجه، إنّها نتيجة خطرة تُضعِف الثقة بالإسلام، وتُضعف العاطفة والإرادة للكفاح في هذا العصر، فإنّ القوّة الباطنة التي تدفع إلى الكفاح والعمل للدعوة لا تنبع إلّا من الثقة بالماضي وبأنّ هنالك رصيداً من الجهاد والإخلاص وسنداً من الكفاح والنجاح.

والذنب ليس على المؤرّخين فقط، إنّ الذنب على من يقتصر على كتب التاريخ «الرسمي» والمصطلح، ولا يتعدّى هذه الكتب إلى الكتب التي لا تحمل اسم التاريخ ولا توجد في ركن التاريخ في مكتبة، ولكنّها مادّة واسعة للتاريخ، ومصدر قيّم من مصادر التاريخ، هي: كتب الأدب، وكتب الدين، والكتب التي دوّن فيها بعض العظماء اعترافاتهم وسجّلوا حوادث حياتهم وتجاربهم، والكتب التي حفظ فيها بعض التلاميذ وأصحاب الشيوخ كلمات شيوخهم أو مواعظهم أو ما دار في مجلسهم من حديث أو حوار، ومجاميع الرسائل والخطب التي تدلّ على روح أصحابها وفكرتهم، أو الكتب التي أُلّفت في الحسبة وفي انتقاد المجتمع وإنكار البدع والمنكرات.

فلو اتّسعت الدراسة وشملت هذه المصادر المهجورة، وتخصّص لهذا الموضوع باحث

واسع الفكر، صبور على المطالعة، دقيق في الملاحظة، استطاع أن يُنتج تاريخاً متّصلاً شاملاً للإصلاح والتجديد والتفكير الجديد في الإسلام، يدلّ على أنّ الإصلاح والكفاح مرافقان لهذه الأُمّة لا يتخلّفان عنها.

ويجب على هذا الدارس ألّا يقتصر على بعض النقول، وألّا يقتضب العبارات المنقولة عن كتب هذه الشخصيات العظيمة، ولا يضُنّ بالألفاظ والكلمات، وألّا يمرّ بها وبمؤلّفاتها ومنتجاتها مرّاً سريعاً في دراسته التاريخية، بل يجب أن يعيش في كتبها ومؤلّفاتها وأفكارها مدّة، ويتذّوق أدبها وفكرتها، ويتنسّم طِيبها، ويحاول أن ينتقل من جوّه إلى جوّ هؤلاء الرجال، ومن عصره إلى عصرهم، حتّى يعرفهم على حقيقتهم، ويُصورّهم في حقيقتهم، ويُشعر القارئ أنّه انتقل إلى عصرهم، وعرفهم معرفة شخصية، وعاش معهم مدّة من الزمان.

ثمّ الخطيئة الثانية التي يرتكبها بعض المتحمّسين والمؤلّفين في هذا العصر أنّهم يكوّنون في ذهنهم صورة خاصّة للمجدّد أو المصلح، ثمّ يلتمسونها في تاريخ الإسلام ومجموع صور الأعلام، فإذا لم يجدوا هذه الصورة الحبيبة في التاريخ الإسلامي أو في عصر من العصور تذمّروا وأنكروا، وكثير منهم عندهم مقاييس خاصّة، وهي مقاييس عصرية يقيسون بها «العظيم» أو «الداعي» أو «المصلح» أو «المفكّر» في كلّ زمن وفي كلّ بيئة، فإذا لم تنطبق هذه المقاييس ـ والتي هي مقاييس العصر ـ على رجل مهما كان عظيماً، ومهما كان قديماً، ومهما كانت خدمته للإسلام عظيمة، ومهما كان مخلصاً، ومهما نجح في مهمّته التي تكفّلها أو أُسندت إليه، أسقطوه أو بخسوه حقّه، ولم يعدّوه من المصلحين!

وبعضهم يلتزم مقياساً واحداً كمقياس الإبداع في الأفكار مثلاً، أو فتح باب الاجتهاد مثلاً، أو الكفاح لإقامة الحكم الإسلامي، أو معارضة الدولة القائمة في عصره مثلاً، فإذا لم يُحقّق هذه الشريطة لم يكن رجل عصره، ولم يستحقّ أن يدخل في صفّ المصلحين!

إنّ هذه المقاييس والمعايير لها قيمة عظيمة، وأنا لا أُنكر أهمّيتها ومكانتها في الإصلاح، ولكن الذي أُريد أن أقول: إنّ الزمان والبيئة عاملان هامّان في حياة الرجال، فلكلّ عصر مشاكل ومسائل وملابسات وعوائق، قد تحدّد نطاق العمل، وقد تفرض منهجاً دون منهج وأُسلوباً دون أُسلوب، والغاية واحدة.

فلا يجوز لنا أن ننقل رجلاً من عصره، ونُطبّق عليه مقاييس هذا العصر، ثمّ نحكم عليه بالفشل والإخفاق أو الضعف والعجز، ونسلبه محاسن نفسه، ونحرمه من كلّ مأثرة وكلّ

عظمة ؛ لأنّه لم يحقّق شرطاً من شروطنا ، ولم يكن « المثل الكامل » في الإصلاح المنشود والتجديد المطلوب .

إنّ هذا التراث الذي وصل إلى أيدينا اليوم ، ولست أسمّيه التراث بالمعنى الذي يريده الغربيّون من كلمة (Legacy) ؛ لأنّ الإسلام دين حيّ خالد ، ولكن أُسمّيه بمعنى الثروة التي انتقلت إلينا من أسلافنا : تراث العلم الواسع ، والعقيدة المحفوظة ، والإيمان القوي ، والسُنّة الخالصة ، والأخلاق المستقيمة ، وثروة الفقه والتشريع الزاخرة ، والأدب الإسلامي الرائع ، مجموعة فيها نصيب ، لكلّ مَن ساهم فيها بإقامة حكم على منهاج الرشد ، ومحاربة الجاهلية والمادّية ، وبالعودة إلى الله وإلى دار السلام ، وإحياء ما دُرِس من الخصائص الإسلامية ، وبثّ الروح الإيمانية في هذه الأُمّة ..

ولكلّ مَن أوجد الثقة بالدين ومصادره وتعبيراته ، وردّ هجمات الفلسفات الأجنبية ..

ولكلّ مَن دافع عن الفكرة الأصيلة ، وعصم هذه الأُمّة من فتنة هدّدت الإسلام ..

ولكلّ مَن حفظ على هذه الأُمّة دينها ومصادره ، وقام بتدوين جديد للحديث والفقه ، أو فتح باب الاجتهاد ومنح هذه الأُمّة ثروة واسعة في التشريع وقانوناً مُنظّماً للحياة والمجتمع ..

ولكلّ مَن حاسب المجتمع في عصره ، وأنكر انحرافه عن مُثل الإسلام ونظمه ، ودعاه إلى الإسلام الصحيح ..

ولمَن سلك سبيل الإقناع العلمي في العصر الذي كثُرت فيه الشكوك واضطربت العقائد ، ووضع لعصره كلاماً جديداً ..

ولكلّ مَن خلف الأنبياء في الدعوة والتذكير والإنذار والتبشير ، وحرّك الإيمان في النفوس ، وقام في وجه المادّية الجارفة في عصره ، فحدّ من تأثيرها ، وأنقذ خلقاً كثيراً من الاندفاع والغرق فيه ..

ولكلّ مَن حفظ هذه الأُمّة وقوّتها السياسية من الانهيار ، ومن أن تكون فريسةً للغارات الأجنبية ..

ولمَن أخضع بدعوته الحكيمة الرفيعة عدوّاً لم تعمل فيه السيوف ولم تقاومه الجنود وحطّم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، فسخّره أصحاب الدعوة بقوّتهم الروحية وإيمانهم القوي للإسلام ، وجعلوه من أتباع محمّد ﷺ ..

ولمَن أخضع بأدبه القوي وشعره البليغ عقولاً لم تُخضعها المباحث العلمية والفلسفات الدينية، إلى غير ذلك، ولكلّ فضلٌ.

وما التاريخ إلّا تأدية الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، والاعتراف بالفضل، وقد قام كلّ واحدٍ منهم بدوره، وساهم بقسطه؛ القسط المطلوب منه، وكلّ كان مرابطاً على ثغر من ثغور الإسلام، وكلّ كان سهماً مصيباً في كنانة الإسلام.. ولولا هذه الجهود المخلصة، ولولا هذه الأقساط التي قد لا تُرى إلّا بمكبّرة التاريخ، لما وصلت إلينا هذه المجموعة التي نعتزّ بها ونستند إليها، ونقتبس منها النور سليمة موفورة نتباهى بها على الأُمم والديانات[١].

هذا، ومن ألطف وأطرف ما رأيته في كلمات القوم حول الإصلاح الإسلامي ما جاء في كتاب «البيّنات» لصاحبه الشيخ عبد القادر المغربي، وأنا أنقله هنا على طوله للسبب المتقدّم المذكور آنفاً..

يقول: «حصل الانقلاب العجيب في الدولة العثمانية، وأخذت تتهيّأ لحدوث مثله كلّ من الحكومتين الأفغانية والمراكشية، فالانقلاب فيهما واقع ما له من دافع، إن لم يكن الآن فبعد الآن!

وإنّ حدوث هذه الانقلابات في البلاد الإسلامية مؤذن بتنظيم أُمور حكوماتها الإدارية والسياسية، وتحسين حالة شعوبها الأدبية والاجتماعية، وترقية شؤونها الصناعية والاقتصادية؛ إذ أنّ من طبيعة الانقلابات الدستورية أن يحدث على أثرها ما ذكرنا من التنظيم والتحسين والترقية. أمّا الإصلاح الديني في تلك البلاد فليس أثراً طبيعياً لأمثال هذه الانقلابات. وإنّما هو أثر لإرادة رجال الدين. فإن أرادوه وسعوا إليه سعيه حصل الإصلاح، فصانوا به دينهم وقوميتهم وعرف الله والتاريخ لهم سعيهم ومنزلتهم، وإن لم يريدوه وجمدوا استغنى العمران الحديث عنهم، وربّما عدّ نفسه مستغنياً عن تعاليمهم الدينية أيضاً، فتكون تبعة ذلك عليهم، وعاره لاحقاً بهم!

نعم، إن لم يُرد رجال الدين العناية بأمر الإصلاح الإسلامي فلا يحسبوا أنّهم بذلك

---

(١) تمّ اقتباس أكثر الفقرات المتقدّمة من كلام العلّامة الندوي في كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ١: ٥٢ ـ ٥٨.

يعوّقون حركة الانقلاب العامّ في أُمم الإسلام، أو يعوّقون نهوض هذه الأُمم وعروجها في معارج الحضارة والعمران. كلّا؛ إذ أنّ القوّة المادّية أصبحت اليوم بيد رجال السياسة، وفي طاقة هؤلاء أن يذلّلوا بها كلّ صعوبة تعترض سيرهم مهما كان نوعها!

ولكن رجال الدين يرتابون في أن يكون الإسلام محتاجاً إلى إصلاح، وكثيرون منهم يرون أنّ الكلام في إصلاحه لغو وباطل؛ إذ أنّ الدين الإسلامي لم يكن بالفاسد في يوم من الأيّام حتّى نفكّر في إصلاحه أو نبحث عن طريقة لأجل إصلاحه.. ثمّ يقولون لمريدي الإصلاح: إذا أردتم عمل شيء من هذا القبيل فدونكم إصلاح المسلمين من حيث تعليمهم طرق المعاش وتدريبهم على الأساليب الحديثة في الصناعة والتجارة والزراعة وفنون الاختراع، أمّا أن تعمدوا إلى الدين الإسلامي نفسه فتقدّموا وتؤخّروا فيه بزعم إصلاحه فإنّه منكر ولا نرضى به ونبذل جهدنا وأرواحنا في مقاومته ومعارضة تنفيذه.

وهذه هي نقطة الخلاف التي يشتدّ عندها تقلّص الشفاه، ويكثر في النزاع عليها صرير الأسنان.

وأوّل مَن تكلّم في وجوب الإصلاح الديني الإسلامي، أو يقال: أوّل مَن جهر به وأكثر من القول والعمل للوصول إليه هو المرحوم السيّد جمال الدين الأفغاني. ولقد سألته مرّة عن أيّة الطرق نسلك للمّ الشعث وانتشال أُمّتنا الإسلامية من هوّة انحطاطها، فقال: لا بدّ في الوصول إلى هذا الغرض من «حركة دينية»، قلت: بماذا؟ قال: حركة دينية، قلت: وما تعني بالحركة الدينية؟ ففسّرها لي تفسيراً ينطبق على ما نسمّيه اليوم الإصلاح الديني تارةً، والإصلاح الإسلامي تارةً أُخرى، ثمّ قال جمال الدين: «إنّه كما استفادت أُمم الأُوربا (كذا كان يلفظها بالألف واللام) بحركة «لوثيروس» الدينية وإصلاحه تعاليم الديانة المسيحية، كذلك نحن معشر المسلمين يجب علينا أن نستفيد من «حركة دينية» نقوم بها، ويكون من أثرها إصلاح تعاليمنا وتحسين حالة اجتماعنا»، ثم قال ﵀: «وليس المراد بإصلاح تعاليمنا أن نجدّد في الدين تعليماً أو نحدث فيه حدثاً لم يأتِ به نبيّنا محمّد ﷺ، أو نحذف منه تعليماً أو حكماً أتى به ونصّ عليه، وإنّما المراد أن نرجع في بساطة عقائدنا وسهولة تعاليمنا إلى ما كان عليه الحال في الصدر الأوّل، فنتوسّع ما شئنا في أُمور الدنيا ومقوّمات عمرانها، أمّا أُمور الدين فنقف عند حدوده ونصوصه وقفة عواجز، ثمّ نسعى إلى تعلّمه وتفهّمه من أقرب الطرق وأسهلها، فلا يقضي أحدنا عمره في تعلّم الدين تعلّماً يُقصينا عنه

ويحول بيننا وبين العمل به والاهتداء بهديه ».

وبهذا الكلام أوضح جمال الدين ما أراده بقوله: « حركة دينية » و« إصلاح ديني »، فالإصلاح الذي أراده إذاً إصلاح علمي تعليمي محض لا شائبة فيه للحركات الثورية والمشاغبات الفسادية، ولا مسحة عليه من المروق والإلحاد.

ولكن هل نرى الأشياخ من رجال ديننا يعجبهم قول جمال الدين ويرضيهم تفسيره للحركة الدينية بما ذكر؟ وهل هم يعترفون بأنّ الدين الإسلامي يلزمه إصلاح؟

الوصول إلى إقناع الكثيرين منهم عسير جدّاً، ومهما أحلتهم على النظر في الكون وتقلّباته واستشهدت بالحوادث التي تجري أمامهم كابروا وجادلوا وقالوا: إنّ علّتنا ليست في تعاليم ديننا، وإنّما هي في سوء حالة حكوماتنا وفساد أخلاق الآحاد منّا، وهذا الفساد وذاك السوء ناشئان عن تركنا العمل بديننا، فالعلّة إذن ليست في الدين وإنّما هي في ترك العمل به.

هذا قولهم، وهو في الحقيقة قولنا وقول جمال الدين نفسه، وقد وقعوا عليه من دون أن يشعروا به.

نقول لهم: إنّنا تركنا العمل بديننا وشغلنا عنه بالتعاليم والآراء والتقاليد الدخيلة، فنحن نريد أن نصلح الدين، أي: أن نميّز تلك التقاليد والآراء عنه، ونقتصر على محض نصوصه الصحيحة، ونتّخذ طرائق سهلة في تعلّمها وتفهّمها؛ كي نتمكّن من العمل به، فنكون بذلك قد أصلحنا ديننا كما قلنا، وعملنا به كما قلتم أنتم، فلا خلاف بيننا ولا شقاق، وإنّما هو التعارف والوفاق.

إنّ الإيمان الحقيقي وعمل الصالحات لا يكون من أثره في الأُمم إلّا السيادة والعزّة والغلبة، فإذا فقدنا المسبّب عرفنا أنّ السبب مفقود وغير محقّق الوجود.

أراك ـ يا أخي ـ قد حميت واشتدّ غيظك عليَّ وقلت في نفسك: إنّي من المفسدين، أو لا فمن المتطرّفين المتهوّرين! اصبر قليلاً ولا تعجل..

أنا لم أشكّ في إسلام كلّ فرد من المسلمين، أي: لم أقل بالشكّ في إسلام جميعهم، وإنّما الشك في إسلام مجموعهم، فيقال: إنّ الهيئة العامة للإسلام فقدت مسحتها وتجرّدت عن صبغتها، بدليل فقد أثرها الطبيعي بشهادة القرآن، وذلك الأثر هو العزّة والغلبة والاستخلاف في الأرض والإرث لها. وإنّ في المسلمين أفراداً كثيرين كمل إسلامهم وصحّ

يقينهم، وقد ظهر أثر ذَلك في أخلاقهم وأعمالهم وسائر ضروب معاملاتهم، وهؤلاء ناجون وفي الجنان منعمون إن شاء الله تعالى.. لكنّ إسلام هؤلاء الأفراد لا يكفي في تحصيل الأثر العامّ الذي ينبغي أن تكتسبه الأُمّة بمجموعها، من العزّة وإرث الأرض والاستخلاف فيها. فهل حسّنت ظنّك بي الآن يا أخي، وعرفت الفرق بين إسلام الأفراد وإسلام المجموع وأنّ أحدهما لا يستلزم الآخر، وأنّ لكلّ منهما أثراً خاصّاً به؟!

فتحصّل معنا: أنّ المسلمين في أيّ زمن كانوا وعلى أيّة حالة أصبحوا يكثر بينهم وجود أفراد كاملي الإسلام ناجين، كما يكثر وجود آخرين مقصّرين وعن أعمالهم بين يدي الله محاسبين.

أمّا الأُمّة الإسلامية بمجموعها وبقطع النظر عن أفرادها فقد يأتي عليها دور أو تدخل في طور تكون فيه بمعزل عن.. عن أيّ شيء! لا أقدر أن أقول: بمعزل عن الإسلام، ولكن أقول: بمعزل عن أن تكون قد استوفت آثار الإسلام وجوائزه السماوية التي وعدها الله المسلمين في الآيات المختلفة والنصوص المتعدّدة..

ثمّ إذا وصلت الأُمّة بمجموعها إلى هذا الدور أو الطور ألا تكون مسؤولة يوم القيامة بين يدي خالقها عن هذا التقصير ومناقشتها الحساب فيه؟!

أو لا تُسأل ولا تُحاسب اعتباراً بأنّ مجموع الأُمّة شخص معنوي، لا قالب له حسّي، وإنّما يكون تقصيرها ذنباً عقابه فيه، أي: يكون مجرّد تقصيرها في الدار الدنيا عقاباً لها من حيث إنّها تعيش محتقرة بين الشعوب، حقّها ضائع وعزّها مسلوب، وهذا القدر كافٍ في عذابها وتحميلها مسؤولية ذنبها؟!

وقد يخطر في البال أنّ الأُمّة بمجموعها ممثّلة في هيئة حكومتها، فهيئة الحكومة والأفراد الذين تتألّف منهم هذه الهيئة ـ وهم ولاة الأُمور ـ يكونون مسؤولين يوم القيامة عن تقصير الأُمّة في كسب العزّة والغلبة ووسائل الاستخلاف في الأرض وسائر آثار الإسلام ومميّزاته الطبيعية.

ولكن هذا الاعتبار صحيح في الحكومات المستبدّة التي تكون الأُمّة خاضعة لها، وتكون نسبتها إليها نسبة العبد إلى السيّد، أمّا في الحكومات الدستورية الحرّة فلا تكون الأُمّة للحكومة، وإنّما على العكس الحكومة تكون للأُمّة، والأُمّة إذ ذاك تصبح هي السيّدة وهي المسؤولة عن تقصيرها في عدم استيفاء آثار الإسلام المذكورة.

وحينئذٍ نرجع للإشكال الأوّل ونقول: هل يتصوّر أن تكون الأُمّة بمجموعها مسؤولة يوم القيامة سؤالاً تعاقب عليه، أو أنّ ذنبها عقابه فيه وعذابها في الدار الدنيا تستوفيه؟

وقد يقولون: إن كان لا بدّ من هذا الإصلاح فينبغي أن يكون المطالبون به هم الحكّام والرؤساء والعظماء والأغنياء، أمّا علماء الدين فمعظمهم قد شغلهم أمر دنياهم عن النظر في أمره، وإن فرغوا له فليس معهم مال ليساعدهم ولا لهم عصبية تعضدهم.

بمثل هذا الكلام يحاول العلماء زحزحة عبء العمل عن عواتقهم وإلقاءه على عاتق غيرهم.

ومن الغريب أن يوجد قوم من الشبّان المتحمّسين يذهبون إلى أنّ الإصلاح الإسلامي لا يتأتّى للمصلحين ما لم يقوموا بتأليف جمعيات ثورية تسعى في قلب هيئة المجتمع الإسلامي رأساً على عقب ثمّ يعودون فينشِئونه خلقاً جديداً. ومن لطف الله أن كان هذا الرأي مقصوراً على ذوي الأمزجة العصبية والطباع الشاذّة، وهم قليلون في شبّاننا المتنوّرين.

وهذا ما جعلني أرتاب في السيّد جمال الدين مذ قال لي: لا بدّ في الوصول إلى الإصلاح من «حركة دينية»، فحسبته من أُولئك النفر القائلين بلزوم تأليف الجمعيات الثورية، حتّى فسّر لي الحركة الدينية بالإصلاح الإسلامي الذي أبنّا رأينا فيه وشرحنا قوادمه وخوافيه.

إصلاحنا المنشود ليس بدعاً من كلّ إصلاح ديني أو اجتماعي قامت به جماعات البشر وحصل في أزمنة التاريخ القديم والحديث.

هذه الإصلاحات إنّما يقوم بها أُولئك الذين لم تلههم مناصب الجاه ولا مظاهر العظمة عن النظر في ما حلّ بقومهم من البؤس والشقاء والبحث عن أسبابه ووسائل النجاة منه.

أمثال هؤلاء هم المرجوون للبحث في الإصلاح، لا أُولئك الرؤساء والعظماء الذين لا يشعرون بالحاجة إليه، وقد يأنفون من الاشتغال به، بل ربّما قاوموه أشدّ مقاومة؛ لأنّه قلّما يخلو من تحطيم امتيازاتهم وزحزحتهم عن مستوى عظمتهم!

ومحصّل القول: إنّ أيّ نوع من الإصلاح لا يتمّ إلّا بسعي الذين يعنيهم أمره، وإصلاحنا الإسلامي إنّما يعني علماء الدين، فهم المكلّفون به، المخاطبون شرعاً بالعمل على تحصيله، وليس العمل منهم سوى الدعوة إليه بخطبهم وكتاباتهم وتآليفهم، حتّى إذا اقتنع

بذلك جمهور الأُمّة ومعظم أفرادها هبّوا هبّة واحدة، فاكتتبوا لمدارس يشيّدونها، ونشرات يوزّعونها، ومؤتمرات يعقدونها، ومن كلّ ما فيه تحصيل هذا الإصلاح وتحقيق أمره.

وعماد الإصلاح بوجه عامّ أو أصل الأُصول في الإصلاح إنّما هو التربية والتعليم الإسلاميّان، أو يقال: هو المدرسة الإسلامية.. هذا هو أصل الأُصول.

أمّا بقية الأُصول والأركان فنأتي على ذكرها هنا موجزة بصفة فهرست يجمعها وكفاف يضمّ شتيتها:

١ ـ أن نعلّم طلّاب العلوم الدينية تعليماً يؤهّلهم للاجتهاد، ما دمنا على يقين أنّه لا يوجد اليوم في المسلمين من هو أهل للاجتهاد.

٢ ـ أن نصلح المكتبة الإسلامية، فنختار الكتب المفيدة منها، ونهمل ما لا يفيد، ونتّخذ طرائق في التأليف سهلة تقرّب العلم وتختصر الزمان.

٣ ـ أن لا ندع أحداً يعدّ نفسه من رجال الدين، ويتزيّا بزي أهله، ويتصدّى للفتيا والإرشاد، ما لم نتحقّق أهليته، بواسطة جمعية مكلّفة بذلك.

٤ ـ إذا أراد الله وعاد إلينا الاجتهاد فلا يكون اجتهادنا (فردياً)، وإنّما يكون (إجماعياً)، فيجتمع المجتهدون، ويقرّرون الحكم بالأكثرية.

٥ ـ أن ننظر إلى جميع المذاهب على السواء، فلا نفرّق بين الأئمّة، ولا نلتزم أقوال إمام بعينه، وإنّما يأخذ أهل كلّ عصر من مذهب كلّ إمام ما يناسب مصلحتهم.

٦ ـ أن يكون مدار الأحكام الشرعية والمعاملات القضائية المصلحة، فهي المحكّمة في كلّ محكمة والمسؤولة في كلّ مسألة.

٧ ـ أن لا نحدث في الدين حَدَثاً، ولا نبتدع شيئاً كبيراً بداعي أنّ له في السنّة أصلاً صغيراً، وإنّما نقف عند حدّ ما ورد عن الشارع وثبت في السنّة بقدره.

٨ ـ أن نميّز العقائد الدينية عن التقاليد التي مرجعها النقل الآحادي أو الرأي الاجتهادي أو مجرّد الشيوع بين الأشياخ، فلا نكلّف أنفسنا عقائد لم يكلّفنا إيّاها الشارع الرحيم، ولا نكفّر مؤمناً إلّا إذا أنكر عقيدةً ثابتةً، لا تقليداً مروياً.

٩ ـ أن لا نعتمد في تصحيح الحديث على صحّة روايته وسنده فحسب، بل ننظر في متن الحديث ومدلوله ومضمونه، فإن وافق أُصول الدين وآي القرآن قُبِل، وإلّا ردّ مهما كان من أمر سنده وروايته.

١٠ ـ أن لا يجري قياس واستنباط في العقائد والعبادات والشعائر، بل نعتمد فيها ظاهرة النصّ، وإنّما القياس يكون في المعاملات الفقهية وكلّ ما يتعلّق به القضاء ويختلف باختلاف الزمان والمكان، ويسمّى اليوم (الحقوق المدنية).

١١ ـ أن نرفع من شأن العمل قليلاً، فلا نزعم أنّ المسلم ينجو بمجرّد أقوال يردّدها، أو تقاليد يُبطنها، أو حركات يأتي بها، بل إنّ المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده بالفعل، وعمل الأعمال التي حثّ عليها الإسلام، وتخلّق بالأخلاق التي أمر بها، وإلّا كان الدين دعاوي فارغة وألفاظاً مهملة، أو يقال: كان الدين عبثاً والوحي سدى.

١٢ ـ أن نرفع أيضاً من شأن الأسباب قليلاً، ونعتبرها مظاهر لإرادة الله تعالى وقدرته، فلا نهملها إلى حدّ أن نقول: إنّ السمّ لا دخل له في موت من تناوله فمات به، وإنّ هذا المتناول لو لم يتناوله لمات حتماً! فإنّ هذا القول يؤدّي إلى تعطيل الحدود والشكّ في حكمة المعبود.

١٣ ـ أن يترك الفقهاء كثيراً من النظريات والمسائل إلى أرباب الاختصاص في علومها، فلا يكون الفقيه طبيباً ومهندساً وكيمياوياً وقائد حرب.. الخ، وإنّما يبحث فيما يعلم، ويدع ما لا يعلم لمن يعلم من الأخصّائيّين المسلمين»(١).

هذا، ولا بدّ في المقام من وقفة قصيرة جدّاً مع موضوع «التجديد»:

فالتجديد كان قائماً على مرّ التاريخ الإسلامي، خاصّة في عصر الحركة الحضارية نرى ذلك التجديد في الفقه والأُصول والتفسير والحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية. الاجتهاد وشيوع حديث ظهور المجدّدين على رأس كلّ قرن من مظاهر هذا التجديد المستمرّ.

وكان من المفروض في عصر الركود الحضاري أن لا تظهر في العالم الإسلامي مشاريع تجديدية، غير أنّ الإسلام بما فيه من طاقات ذاتية يأبى على أتباعه الخضوع للوضع القائم، ويثير فيهم الهمّة للإصلاح والتجديد.

من هنا نرى قائمة المجدّدين في عصرنا غنية بالأسماء والمشاريع النظرية والعلمية.

وقد قدّم بعض هؤلاء المجدّدين مشاريع لعملهم، يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

(١) البيّنات ١: ٢ ـ ٨ و ١٣ ـ ١٧.

١ ـ نقد ورفض الجمود والتقليد، سواء أكان هذا التقليد للسلف وجموداً على تراثهم، أم تقليد الغرب والجمود على الثقافة الحداثية للتغريب.

٢ ـ التجديد الذي يؤدّي إلى تحرير الفكر من القيود، وفهم الدين على طريقة سلف الأُمّة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارف الدين إلى ينابيعها الأُولى، واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشري، وإصلاح أساليب اللغة العربية، والتمييز بين ما للحكومة من حقّ الطاعة على الشعب، وما للشعب من حقّ العدالة على الحكومة.

٣ ـ الإصلاح بالإسلام، لا بالمشاريع الغريبة على البيئة الإسلامية.

٤ ـ الوسطية الإسلامية التي برِئت من الغلو والإغراق في المادّية أو في الروحانية.

٥ ـ العقلانية المؤمنة التي تجمع بين العقل والنقل.

٦ ـ الوعي بسنن الله الكونية التي تحكم عوالم المخلوقات، وجعل هذه السنن علماً من العلوم المدوّنة.

٧ ـ الدولة في الإسلام مدنية ـ إسلامية، لا كهنوتية ولا علمانية.

٨ ـ الشورى، أي: مشاركة الأُمّة في صنع القرارات.

٩ ـ العدالة الاجتماعية التي تحقّق التكافل الاجتماعي بين الأُمّة كلّها.

١٠ ـ إنصاف المرأة لتشارك الرجل في القيام بفرائض وتكاليف العمل العامّ[١].

أمّا ما يتعلّق بالبحث الثاني ـ وهو بحث الدعوة الإسلامية ـ فسنقصر كلامنا حول « عالمية الدعوة الإسلامية »، فهو أهمّ ما يتعلّق بهذا البحث، فنقول:

يبدو ولأوّل وهلة أنّ « العالمية » الإسلامية تعني من الناحية الواقعية: أن تكون الرسالة في خطابها ومضمونها العقائدي والاجتماعي والسياسي مضموناً لا يخصّ جماعة من الناس دون أُخرى، ولا منطقة من الأرض دون غيرها، وهذا ما تكفّلت به العقيدة الإلهية والشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والنبي العظيم ﷺ.

---

(١) هذا هو تلخيص الدكتور محمّد عمارة للأُصول الفكرية للمدسة الإحيائية التجديدية، راجع كلامه في المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٩٣.

والعالمية هي: تعبير أيضاً عن مرحلة تكاملية نظرية وعملية في مسير الرسالة الإلهية، وكانت تمثّل هذه «المرحلة» الهدف الأسمى لمسيرة الرسالات الإلهية، وقد بشّرت الرسالات الإلهية بهذه المرحلة التكاملية في آخر مسيرة هذه الرسالات: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧).

فالعالمية في مضمونها الإسلامي الخاصّ تعبير عن مرحلة تاريخية خارجية جديدة وصلت فيها مسيرة الرسالات الإلهية إلى تجسيد العالمية نظرياً وعملياً. وقد واكب هذا التطوّر في المسيرة منهاج وتفصيل تشريعي، يُلبّي متطلّبات هذه المرحلة، ويفي بحاجاتها، ويحقّق أهدافها.

وبنود تحقيق العالمية في الوسط الإسلامي تتجلّىٰ أوّلاً في الفكر والثقافة والواقع في المجالات الثلاثة الآتية:

أوّلاً: وصل ماضي الأُمّة بحاضرها، والتخلّي عن أحقاد التاريخ السابق، وترك استمرار عقدة الخلاف في صفوف الجماعة، وإطفاء نيران الخلاف، والبعد عن إشاعتها أو تلقينها للناشئة، ولأنّ كلّ خطوة نحو الوحدة والتقارب والتقدّم والوقوف صفّاً واحداً أمام تحدّيات الأعداء والمخاطر المشتركة إنّما تبدأ من واقع الحاضر، لا من أخطاء وموروثات الماضي، فكلّ إنسان أو فئة يسأل أو يحاكم على ما قدّم من خير أو شرّ.

ثانياً: ألّا ينحاز العالم الإسلامي بجميع شعوبه وحكّامه في جانب من جوانب السياسة والاقتصاد والاجتماع ونحو ذلك نحو اتّجاه معيّن يغاير اتّجاه الإسلام وشرعه ومنطلقاته، ويتنافىٰ مع المصلحة الإسلامية العليا، ويعدّ خرق هذا الاتّجاه إمّا خيانة لله والرسول ولمصالح الأُمّة جمعاء، وإمّا عصبية مذهبية أو طائفية بغيضة تلتقي مع العصبية الجاهلية في نتائجها وثمراتها وإن خالفتها في دوافعها وأسبابها.

ثالثاً: أن تتقارب الطوائف الإسلامية، بحيث تدرس بتجرّد وموضوعية وإنصاف ما

لدى الطائفة الأُخرى؛ لأنّ الإسلام كلٌّ لا يتجزّأ، ولأنّ إزالة النعرة غير الطبيعية التي خلّفتها أحداث التاريخ ضرورة حتمية. وإذا تعذّر الوفاق على بعض الجزئيات فتترك لكلّ جانب أو طائفة، على ألّا تعكّر صفو العلاقات الأخوية الإسلامية الصافية غير المتأثّرة بحزازات الماضي وآلامه ومآسيه، أي: أنّ الخطأ يجب ألّا يستمرّ، وألّا يعوق تحقيق اللقاء المشترك أو الاتّحاد أو الوحدة، ولأنّ محو الفروق الطائفية يجب أن يكون غاية مقصودة في ذاتها؛ لأنّ أسباب الخلاف قد زالت، ومن الخطأ التمسّك بالاختلاف الطائفي مع زوال أسبابه وعدم الجدوى في إثارته، على حدّ تعبير الإمام محمّد أبي زهرة.

هذا، والدين يكون عالمياً بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاصّ أو بيئة معيّنة.

ويكون غالباً بامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه، بمعنى: أن يكون الدين صالحاً لكلّ جنس، ولكلّ جيل، ولكلّ زمان ومكان.

وبمعنى آخر: يكون الدين عالمياً إذا كان شريعة الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان، وبدون ذلك لا يتحقّق معنى العالمية في أيّ دين.

أمّا الخصائص التي يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالمياً وصالحاً لكلّ زمان ومكان فهي ثلاث:

أوّلها: إيفاؤه بحاجة الإنسانية جميعاً فيما يصون وحدتها ويرعى إنسانيتها ويحمي أفرادها في العاجل والآجل.

ثانيها: تشريعاته التي تضمن قيم الإنسانية كلّها في محيط واحد، لا تترع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون، أو فرقة جنس.

ثالثها: اتّساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود، بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم، أو يختلف مع منطق الفكر.

وكذلك لا يكون الدين عالمياً إلّا إذا صحب الإنسان في جميع أزمانه المتطوّرة وعصوره المتلاحقة، أي: يكون خالداً، لا يعتريه نسخ أو زوال، ولا عقم ولا جمود، موفياً

بجميع مطالب الإنسان المتنوّعة المتجدّدة في كلّ الميادين التي يزاول فيها الإنسان بعقله الواسع نشاطه الكامل. ولا يوجد دين من الأديان السماوية فيه هذه المواصفات التي تجعله عالمياً إلّا دين الإسلام(١).

كما يمكن تقرير العالمية بهذه الصورة:

يقرّر القرآن الكريم عالمية الدعوة الإسلامية التي مفادها أنّ الإسلام عقيدة لا ينفرد بها شعب أو مجتمع بعينه، ولا تختصّ ببلد أو بلاد معيّنة، بل الإسلام دين ذو قوانين تسري على الأفراد على اختلافهم من العنصر والوطن واللسان، ولا يفترض لنفوذه حاجزاً بين بني الإنسان، ولا يعترف بأيّة فواصل وتحديدات جنسية أو إقليمية أو زمنية، فهو عامّ في المكان والزمان.

فعالمية الدولة الإسلامية هي المظهر السياسي المعبّر عن ربوبية شاملة لكافّة أفراد الجنس البشري وناظرة للجميع بعين العدل، وإغفال هذا المظهر يعني إغفال جانب من جوانب التوحيد، ذلك أنّ التوحيد بما هو حقيقة مطلقة لا يمكننا أن نحبسه في نطاق محدود، ولا بدّ وأن تأخذ هذه الحقيقة مداها في كلّ الآفاق المحيطة بها، وتستوعب الساحة الإنسانية من أبعادها الزمانية والمكانية والموضوعية.. وامتدادها في أُفق الزمان إلى نهايته هو الذي يُعبّر عنه بخلود الرسالة الإسلامية، وامتدادها في أُفق الحياة البشرية إلى نهايته هو الذي يعبّر عنه بشمول الرسالة الإسلامية لمختلف جوانب الحياة الإنسانية، كما أنّ امتدادها في الأُفق الجغرافي للمجتمع البشري إلى نهايته هو الذي يعبّر عنه بعالمية الرسالة الإسلامية. فالعالمية هي التعبير الطبيعي عن ربوبية مطلقة رحيمة وعادلة تدير دفّة الساحة الإنسانية على أساس العدل والمساواة والحقّ.

وقد جاء في تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ (سورة الفرقان: ١) أنّ المراد بالعالمين هنا الإنس والجنّ؛ لأنّ النبي ﷺ قد كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما، وأنّه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عامّ الرسالة، إلّا نوح فإنّه عمّ برسالته جميع

(١) المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٠ـ٣٥٢.

الإنس بعد الطوفان ؛ لأنّه بدأ به الخلق[١].

وقال الزجّاج : معنى العالمين كلّ ما خلق الله ، كما قال : ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (سورة الأنعام : ١٦٤)، وهو جمع عالم ، قال : ولا واحد لعالم من لفظه[٢].

وقال ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ (سورة الفاتحة : ٢): ربّ الجنّ والإنس[٣].

وقال قتادة : ربّ الخلق كلّهم[٤].

قال الأزهري : الدليل على صحّة قول ابن عبّاس قوله عزّ وجلّ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (سورة الفرقان : ١)[٥].

الدعوة الإسلامية هي بهذا المعنى إنّما تعكس شريعة عالمية كاملة . ويدلّ على هذا أنّ النبي كان يرسل إلى قومه خاصّة ، كما حكت آيات القرآن في قوله : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ (سورة الأعراف : ٦٥)، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ (سورة الأعراف : ٧٣)، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ (سورة الأعراف : ٨٥)، أمّا رسول الإسلام فقد أرسل للناس كافّة وخاطبه القرآن بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ سورة الأنبياء : ١٠٧ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة سبأ : ٢٨).

وقد تضافرت النصوص القرآنية الصريحة التي تؤكّد هذا المعنى ، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (سورة الأعراف : ١٥٨)، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران : ٨٥)، وقال تعالى عن القرآن الكريم الذي أوحاه إلى نبيّه ﷺ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٣٨ و ١٣ : ٢ ، ولاحظ مجمع البيان ٧ : ٢٩٩ .

(٢) تهذيب اللغة ٢ : ٢٥٢ ، لسان العرب ٣ : ٢٧٤٥ .

(٣) جامع البيان ١ : ٩٥ ، كنز العمّال ٢ : ٢٩٩ .

(٤) تهذيب اللغة ٢ : ٢٥٢ .

(٥) المصدر السابق ٢ : ٢٥٢ .

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سورة ص: ٨٧ ـ ٨٨)، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٩)، أي: كلّ من يصل إليه بلاغ القرآن، وكلّ من سمعه في جميع أقطار الأرض، في أيّ زمن من الأزمان وصل إليه هذا البلاغ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧).

أمّا الوجه الثاني لعالمية الدعوة الإسلامية فيتبيّن من دعوة غير العرب، فقد جاء في القرآن الكريم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمّدﷺ سواء كانوا من العرب أم من غير العرب، وبيّن لهم بأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي لا يقبل الله سواه، بل تجاوزت رسالة نبيّنا محمّدﷺ اليهود والنصارى والبشرية بأكملها، فلم تقتصر على عالم الانس فقط، بل تعدّت ذلك إلى عالم الجنّ أيضاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ (سورة الجنّ: ١ ـ ٢).

ويتمثّل الوجه الثالث لعالمية الإسلامية في خطابات القرآن ونداءاته العامّة، فالقرآن الكريم كثيراً ما يوجّه خطاباته إلى الناس غير مقيّدة بشيء، وهذا دليل واضح على أنّ خطاباته وتوجيهاته تعمّ الناس كافّة، والقرآن هو وحي الله لرسوله محمّدﷺ وفيه أحكام الإسلام، وهذا دليل على أنّ الإسلام لجميع البشرية بل للإنس والجنّ. وأمثله لذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١)، وغيرها من الآيات كثير، فهو سبحانه يخاطب الناس جميعاً بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ولم يقل: يا أيّها العرب.

والوجه الرابع القوانين والتشريعات القرآنية عالمية في طبيعتها؛ لأنّها من محتويات الإسلام، والإسلام رسالة عالمية يعتمد في جميع أحكامه وتشريعاته، وما يخصّ الإنسان

في معاشه ومعاده على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر، ولا يجد الباحث مهما أُوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام ﷺ أيّ طابع إقليمي أو صبغة طائفية، وتلك آية واضحة على أنّ دعوته دعوة عالمية لا تتحيّز إلى فئة معيّنة، ولا تنجرف إلى طائفة خاصّة. فالعبادات والمعاملات والأخلاق.. الخ كلّها ليس فيها صبغة الطائفية والإقليمية، بل تكتسي بالصبغة العالمية؛ لأنّها تناسب الإنسان وطبيعته، فهي الصالحة له دون سواها. وكذلك النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي.. الخ، لا تجد في ثنايا أيّ واحد منها أيّ تفكير طائفي أو نزعة إقليمية.

والوجه الخامس الإسلام ينبذ أيّ مقوّمات للتفرقة بين الناس؛ ذلك أنّ أقوى دليل على أنّ الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية، فالإسلام لا يفرّق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية، ويرفض جعلها مقياساً للتفاضل في ميزان الإسلام، والمقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى، فالإسلام هو أوّل مَن حارب العصبية ودعا إلى الأُخوّة تحت لواء التوحيد الخاصّ ومقتضاه الإسلام.

أمّا أدلّة عالمية الإسلام من السنّة النبوية المطهّرة فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم أوّل ما بعثه أن يصدع بالحقّ بين عشيرته أوّلاً، ثمّ تتّسع دائرة التبليغ والإنذار إلى أن تصل إلى أسماع كلّ مَن يستطيع أن يسمعه رسول الله ﷺ، سواء مباشرة أو أن يرسل من ينوب عنه في تبليغ ما جاء به ﷺ من ربّه سبحانه تعالى، فقد أخبر النبي ﷺ قومه قائلاً: «والله الذي لا إله إلّا هو، إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة»(١)، ولتحقيق ما كلّف به من تبليغ رسالته إلى جميع الناس أرسل السفراء إلى جميع الأقطار، فبعث سفراءه وفي أيدي كلّ واحد منهم كتاب خاصّ إلى قيصر الروم وكسرى فارس وعظيم القبط وملك الحبشة وغيرهم، وما كتاباته ﷺ هذه إلى ملوك العالم في عهده إلّا دليلاً قاطعاً على عالمية رسالته، وقد روى جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أُعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد

(١) روضة الواعظين: ٥٣، كنز العمّال ١٣: ١٧٥.

من الأنبياء قبلي: كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى كلّ أبيض وأسود...» الحديث[١].

وعالمية الإسلام تكسب التوجّهات الإسلامية بُعدها العالمي، وفي سياق هذه العالمية أمر الإسلام بالتعايش والتعارف: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، وأمر بالعدل: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَ لَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (سورة المائدة: ٨).

وبعد فإنّ عالمية الإسلام تفرض على أُمّته ـ وذلك كي تحقّق القيام بفريضة الدعوة إليه ـ تحقيق مستويات ثلاثة في الدعوة إلى هذا الدين: تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الآخرين، وإقامة الحجّة بصدق الإسلام على هؤلاء الآخرين، وإزالة الشبهة عن الإسلام لدى هؤلاء الآخرين.

والخلاصة: أنّ الإسلام دين عالمي ولا يقتصر على أُمّة أو قومية أو لغة معيّنة، وأنّ واحد من المبادئ الإسلامية هو الدعوة إلى الإسلام والإيمان بالله وبرسالة النبي محمّد ﷺ. وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تأمر المسلمين بأن يكونوا نشيطين في الدعوة إلى دينهم في العالم كلّه. ويعتبر المسلمون أنفسهم دعاة إلى الله والإسلام، مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو الخلفية العلمية، فعالم الدين والرجل العادي وإمام المسجد والواعظ والصوفي لا يتوانون في الدعوة إلى الإسلام.

يعزو المؤرّخ توماس آرنولد في كتابه الشهير «الدعوة إلى الإسلام» انتشار الإسلام إلى دور المسلمين أنفسهم في الدعوة إلى دينهم، فيقول: «إنّ انتشار هذا الدين [الإسلام] بقوّة في بقعة من العالم يعود إلى أسباب متنوّعة: اجتماعية وسياسية ودينية، ولكن من بينها وأهمّ العوامل القوية في صناعة هذه النتيجة المذهلة يعود للجهود المتواصلة للدعوة

---

(١) سنن الدارمي ٢: ٢٢٤، مسند أحمد ١: ٢٥٠ و٣: ٣٠٤ و٤: ٤١٦ و٥: ١٤٨، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٣٢٩ و٦: ٢٩١، أمالي الطوسي: ٤٨٤، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٩، كنز العمّال ١١: ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

الإسلامية».

وعلى العكس من الفكرة السائدة بأنّ الإسلام انتشر بالسيف نجد أُوربّا اليوم وهي تشهد نموّاً سلمياً في ظاهرة اعتناق الإسلام. إنّ نداء الإسلام إلى النخب الغربية من أجل التفكير بتعاليمه وعقائده لا تقتصر على بلد واحد، فهناك العديد من المثقّفين الغربيّين الذين آمنوا بالإسلام وصاروا شخصيات إسلامية شهيرة، ليس في الغرب فحسب، بل في جميع أرجاء العالم.

ينشط المفكّرون المسلمون الغربيّون في حقل الدعوة إلى الإسلام في أُوربّا، ويوظّفون طاقاتهم وخبراتهم ودراساتهم من أجل نشر الإسلام بين الأُوربيّين، وهم يبذلون جهوداً في خدمة هذا الهدف المقدّس من خلال تقديم الإسلام بشكل يكون فيه أكثر تكيّفاً مع البيئة الأُوربيّة، فهم يأخذون بنظر الاعتبار طبيعة المخاطبين وخلفياتهم الثقافية الغربية والجوانب الاجتماعية والسياسية التي تساهم في تشكيل نمط تفكيرهم وردود أفعالهم، فهم ـ أي: المعتنقون ـ يستخدمون مختلف الوسائل والطرق التقنية للوصول إلى هدفهم(١).

وأخيراً أستعرض في المقام معوّقات الخطاب الدعوي ووظيفة الداعية على نحو الاختصار..

أمّا ما يتعلّق بمعوّقات الخطاب الدعوي: فالمعوّقات هنا هي: ما يقف حائلاً دون تحقيق الخطاب الدعوي الإسلامي تأثيره المناسب، بل ويمثّل حاجزاً دون تحقيق أهدافه ومقاصده.. ومن تلك المعوّقات:

١ ـ الاستبداد الفكري أو السياسي.

فالوثنية، والصنمية، والتقديسية، كلّها مفاهيم تلهب عقل الداعية، وتحاصر قناعته، وتحوله من الالتزام القائم على الاقتناع إلى الالتزام القائم على الخوف.

---

(١) للاستزادة انظر: ثقافة المسلم: ٣٢٦ ـ ٣٤٣، موسوعة الحضارة الإسلامية: ٤٨٤ ـ ٤٨٧، المفكّرون الغربيّون المسلمون ٢: ٧٥.

إنّ الداعية الإسلامي قد يصطدم بهذا في حقله التنظيمي ، وقد يجده في منظومة القوانين التي تحدّد عمله الوطني ، وقد يواجه ذلك في شكل جماعات ذات قناعات معيّنة ، أو نفوذ مالي وسياسي ، وكلّ هذه النماذج غالباً ما تمثّل استبداداً عائقاً دون أداء الخطاب الدعوي الإسلامي لمهامّه على أكمل وجه ، وهو ما ينعكس سلباً على ثقافتنا الإسلامية بطمس وجهها الناصع ومحو منهجها المقنع .

٢ ـ الاتّباعية بدل الإبداعية .

إنّ استقلالية الداعية في فكر وما تأتيه من مواقف لا يخشى فيها إلّا الله هي الضامن الحقيقي للأخذ بيد المدعوين لتحقيق استقلاليتهم أيضاً وإثبات وجودهم وشخصيتهم .

فمن الآفات المستبدّة بالمجتمعات المسلمة هذه التبعية بدل الإبداعية ، وهي ما سمّاها أبو حامد الغزالي بـ « ذهنية القطيع » ، ذهنية القطيع هذه عندما تستبدّ بعقل ما تعيقه عن الإبداع وتجعل منه « إمّعة » تضع كلّ قناعاته ومنتوجات عقله في سلّة اللامعقول !

وبالموازاة مع هذه الاتّباعية هناك ما يسمّيه الداعية الإسلامي المغربي عبدالسلام ياسين « الغثائية » ، فالغثائية هي هذا « الغاشي » بلهجة أهل الجزائر والذي لا جدوى منه ؛ لأنّه فقد أهمّ خاصّية فيه ، وهي الإرادة العقلية ، فتوقّف عن تخطيط حياته ، أو المساهمة في صنع مصيره ، ومن هنا تبدأ مهمّة الداعية بتخليص هذه الفئة المسحوقة من هذه المعاناة العدمية كما يقول الفلاسفة ، وتمكينها من تجاوز سطحيتها إلى البحث عمّا في أعماقها من كنوز .

٣ ـ الغلوّ والتنطّع .

إنّ ممّا بات مسلّماً به أيضاً لدى بعض دعاة الخطاب الإسلامي شيوع ما يسمّيه المفكّر الجزائري مالك بن نبي بالأفكار « المميتة أو القاتلة » .

وأخطر آفة من هذه الأفكار القاتلة الغلوّ الديني ، والغلوّ الحزبي ، والغلوّ الطائفي أو العقدي ، وكلّها قنابل موقوتة توشك أن تقضي على كيان الأُمّة .

وما نصطدم به عند بعض الدعاة من الغلوّ استغلال منبر الدعوى لتخويف الناس

وترهيبهم بمختلف الوسائل، وهو ما أدّى إلى الكوارث التي مازلنا نعاني تبعات محنتها.

إنّ مهمة الداعية الإسلامي بدعوته أن يأخذ بيد المدعو إلى شاطئ النجاة، وأن يزيل عن عقله غشاوة الأُميّة بجميع ألوانها والجهل بمختلف مستوياته، وتحصين الذات ضدّ كلّ ألوان «الفيروسات» المفقدة للمناعة الحضارية، وبذلك يتقوّى الطالب والمطلوب والداعية والمدعو، فيتحقّق هدف الخطاب الدعوي في أنبل وأسمى وأدقّ معانيه.

وأمّا ما يتعلّق بوظيفة الداعية: فوظيفته في المقام هي: ما ينبغي أن يقوم به الداعية من مهامّ تصبّ في صلب اهتمامه. ومن أهمّها أن يتطرّق إلى مسائل اجتماعية تهمّ الشعوب والجماهير، كالحديث عن:

أ ـ التنمية والتطوّر التكنولوجي والاعتماد على الذات وتسخير قوانين الطبيعة لاستثمار وجني ثمارها.

ب ـ وحدة الأُمّة ضدّ التجزئة القبلية والعرقية والطائفية والمذهبية من أجل الوحدة الإسلامية.

ج ـ العدالة الاجتماعية وإعادة توزيع الدخل بما يحقّق أكبر قدر ممكن من المساواة بين الأغنياء والفقراء.

د ـ تحرير الوطن الإسلامي من الغزاة الصهاينة والاستكبار العالمي بزعامة الولايات المتّحدة الأميركية ومقاومة كلّ القوى الاستعمارية الغازية.

هـ ـ تحرير المواطن من القهر والاستبداد والدفاع عن حقوق الإنسان حماية لحقوق المواطنين أمام الأحكام التعسّفية الحاكمة.

و ـ إثبات الهوية ضدّ التغريب والتبعية والرجوع إلى الأصالة ومراعاة متطلّبات العصر.

ز ـ حشد الجماهير وتجنيد الناس حتّى يتحوّل الكمّ إلى الكيف ضدّ اللامبالاة والحياد والفتور.

ح ـ كسر حواجز الخوف من المفاهيم الوهمية المخيفة في العالم كأُحادية النظام

العالمي الجديد وسلطة اللوبي الصهيوني على العالم الإسلامي وعدم استطاعته التغيير.

ط ـ الدعوة إلى إقامة اتّحادات إسلامية استخداماً للطاقات الإسلامية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، وتفعيل المنظّمات القطرية والمحلّية الإسلامية لصالح المجتمع الإسلامي، كتفعيل منظّمة المؤتمر الإسلامي والصندوق المالي الإسلامي والسوق الإسلامية المشتركة وكلّ ما من شأنه أن يساعد في تقارب الأُمّة الإسلامية.

وأمّا ما يتعلّق بالبحث الثالث ـ وهو الوحدة الإسلامية ـ فأقول:

إنّ محاور هذا البحث الرئيسية هي: تعريف الوحدة الإسلامية ـ أركان وأُسس وعناصر الوحدة ـ مقوّمات الوحدة ومقوّمات صيانتها ـ تحدّيات وموانع الوحدة ـ الحلول العلمية والسياسية لوحدة الأُمّة الإسلامية ـ مبرّرات أمل تحقّق الوحدة.

* أمّا تعريفها: فقد عرّفها مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية سماحة السيّد علي الخامنئي بأنّها: مفهوم أساس في الإسلام، ومبدأ يشكّل واحدة من القواعد التي تقوم عليها فلسفة الإسلام الاجتماعية ونظرته العامّة إلىٰ الكون والحياة.

وعرّفها الشيخ محمّد علي التسخيري الأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بأنّها: التعاون بين أتباع المذاهب الإسلامية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة، واتّخاذ موقف موحّد من أجل تحقيق الأهداف والمصالح العليا للأُمّة الإسلامية والموقف الموحّد تجاه أعدائها، مع احترام التزامات كلّ مسلم تجاه مذهبه عقيدة وعملاً.

وعرّفها الأمين العامّ السابق للمجمع الشيخ محمّد واعظ زادة الخراساني بأنّها: وحدة كلمة الأُمّة تجاه قضاياها الأساسية وأهدافها المشتركة، ووقوفها صفّاً واحداً أمام الاعداء، وهي الغاية القصوى والغرض الأقصىٰ.

وعرّفتها الدكتورة مريم بنت حسن آل خليفة جامعة رئيسة البحرين بأنّها: لمّ شمل المسلمين، والتفافهم حول كلمة التوحيد، ووحدة الكلمة التي تستتبع وحدة الصفّ، وهي انصهار لكافّة الأعراف في قالب إسلامي يقوم على الشهادتين، وهي مستوعبة لكافّة

الطوائف والمذاهب وجامعة لها على كلمة واحدة بهدف حماية دينهم وأُسلوب حياتهم من أن يلطخهما القدر والأقدار.

وعرّفها الشيخ عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ في لبنان بأنّها: ما بدأت من الاعتراف بالآخر وجوداً وفكراً، وما سعت لفعل تواصلي حواري، ينمّي المشترك، ويحدّد نقاط التغاير، ويسعى نحو ترسيخ مستوى الفهم والاعتراف وفق أُصوله الموضوعية والعلمية، وأهمّ وسائل المفهوم الحضاري للوحدة احترام التنوّع وقيم التسامح وحقوق الإنسان في المحيط الاجتماعي السائد.

وعرّفها الدكتور أحمد عمر هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ورئيس جامعة الأزهر سابقاً بأنّها: اتّحاد الدول أو البلاد والأفراد في أُمور حياتهم ومعاشهم ومسيرتهم وغايتهم، وبموجبها يصبح الجميع وحدة واحدة أو أُمّة واحدة.

وقريب من هذا التعريف تعريف الدكتور عبد العزيز الخيّاط وزير الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية سابقاً.

وأخيراً عرّفها الشيخ تاج الدين الهلالي مفتي مسلمي أُستراليا بأنّها: تحقيق أمر الله تعالى بتوحيد الكلمة القائمة على كلمة التوحيد، بأن يكون المسلمون جميعاً تحت راية خلافة أو حكومة، تكون لهم قيادة إسلامية أو سيادة واحدة، فلا تفصل بينهم حواجز ولا حدود مصطنعة.

هذا، وللأُستاذ حيدر كامل حبّ الله اللبناني كلام لطيف في المقام أسماه بأزمة المفهوم، ليس هنا محلّ ذكره.

كما أنّه توجد في بعض التعاريف السابقة بعض الإشكالات، حيث إنّ بعضها يشير إلىٰ أسباب المناداة بالوحدة الإسلامية والأهداف المرجوّة منها والوسائل المتاحة دونما أن يشير إلىٰ تحديد مفهومها الاصطلاحي تحديداً دقيقاً، وبقية الكلام في محلّه.

* وأمّا الأركان والأُسس والعناصر التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية: فمنها:

١ ـ التمسّك بالأُصول الإسلامية الثابتة ذات القواسم المشتركة.

٢ ـ القبول بالمسؤولية المشتركة والعمل، وهذه القبولية لها شرطان: تعرّف الإسلام ولو على نحو الإجمال، والعلم بما يجري على المسلمين والساحة الإسلامية.

٣ ـ وحدة العبودية والأُلوهية.

٤ ـ وحدة الولاية، يقول تعالى: **﴿ إنّما وَليّكُم الله وَرَسُولِهِ وَالَّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقِيمونَ الصّلاةُ ويُؤتُونَ الزّكاةَ وَهمْ رَاكِعُون ﴾** (سورة المائدة: ٥٥)، فإنّ الولاء الحقّ لله وحده ولمن يأمر الله تعالى بولائه، وهذا الولاء الثاني يأتي في امتداد الولاء الأوّل، والولاء من مقولة التوحيد، وتوحيد الولاء من مقوّمات وحدة الأُمّة.

٥ ـ وحدة النسيج الاجتماعي للولاء، فهذا الولاء يربط المؤمنين بعضهم ببعض في شبكة ولائية واحدة، لا تنفصم ولا تتجزّأ، وقد يصطلح عليه بالبعد الأُفقي للولاء، وهو أيضاً من مقولة التوحيد، قال تعالى: **﴿ إنّ الّذينَ آمَنُوا وَهَاجَروا وَجَاهَدوا بِأَمْوالَهُم وَأَنْفُسِهِم فِي سَبِيلِ الله وَالّذينَ آووا وَنَصَروا أُولئِكَ بَعْضَهُم أَوْلياء بَعضٍ ﴾** (سورة الأنفال: ٧٢)، فالمؤمنون نسيج واحد على اختلاف لغاتهم وأوطانهم.

٦ ـ وحدة الطاعة السياسية والإدارية لأولياء أُمور المسلمين بعد الرسول ﷺ، وهم أئمّة المسلمين، ووحدة الطاعة تستبطن: وحدة القرار، ووحدة النظام السياسي، ووحدة الصفّ، ووحدة الكلمة والموقف السياسي، وهذه الوحدات من مقوّمات الوحدة الإسلامية.

٧ ـ وحدة البراءة، وهي الوجه الآخر لوحدة الولاء، وهذه الوحدة واجبة، كما يجدها مَن يطالع سورة «الكافرون»، ويمكن تجسيد هذه الوحدة اليوم في توحيد موقف البراءة السياسي والاقتصادي والعسكري والإعلامي والثقافي ضدّ الكيانات الاستكبارية الظالمة التي تعلن العداء للإسلام والمسلمين.

٨ ـ وحدة المسؤولية والرقابة الشاملة، فبها تتجسّد وحدة الأُمّة في الاهتمام والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٩ ـ وحدة الحصانة والحرمة، فإنّ كلّ مسلم حرام على مسلم آخر ماله ودمه وعرضه، فهذه الوحدة تحصّن المسلمين جميعاً بعضهم من بعض.

كما أنّ من الأركان والأُسس الكفيلة بتحقيق الوحدة والتي تبتني عليها أواصر الأُخوّة. وهي: العقيدة، والعمل والاتّباع، والقيادة، والهدف المشترك، والخصال الحميدة المشتركة، والوحدة الثقافية.

وتفصيل العناصر كالتالي:

الأوّل: وحدة العقيدة.

لا بدّ للأُمّة الواحدة أن تكون لها أُصول اعتقادية واحدة، وهذه الأُصول لدىٰ الأُمّة الإسلامية بإجماع كلّ علماء المذاهب: التوحيد، والنبوّة، والمعاد. وإنكار واحد من هذه الأُصول أو عدم الإيمان به يخرج الفرد من دائرة الإسلام بإجماع العلماء وبنصّ القرآن والسنّة، وإذا كانت ثمّة أُصول أُخرىٰ فهي أُصول المذهب، لا أُصول الدين، كالإمامة لدىٰ الشيعة والعدل لدىٰ الشيعة والمعتزلة. والاعتقاد بهذه الأُصول الثلاثة كافٍ لإيجاد وحدة عقائدية بين أبناء الأُمّة الإسلامية.

وتوجد هنا ثلاث ملاحظات:

الملاحظة الأُولىٰ: من المؤكّد أنّ المعرفة الإجمالية بأُصول الدين هذه والإيمان بها على حدّ المفهوم المشترك العامّ هو المقدار المطلوب، وليست المفاهيم التفصيلية لهذه الأُصول. والعلماء قد تعمّقوا فيها وفرّعوها وأدخلوها في دراسات كلامية وفلسفية، ولذلك حدثت مذاهب في الأُصول. لكن هذه التفاصيل المذهبية لا ارتباط لها في إيمان المسلم بأُصول دينه، فهذه التفاصيل لا تتجاوز عادة جدران قاعات الدرس وبطون الكتب، ولا تخرج عامّة الأُمّة المسلمة التي تنتمي اسمياً إلى هذا المذهب أو ذاك.

فعليه الملاك في دخول الفرد دائرة الإسلام وشرط تحقّق الوحدة الإسلامية الإيمان بهذه الأُصول على المستوىٰ البسيط المفهوم لدىٰ عامّة الناس، لا بالفروع المعقّدة الكلامية والفلسفية التي نشأت في قرون متأخّرة بين الفلاسفة وعلماء الكلام. وبدون ذلك لا تتحقّق وحدة العقيدة؛ لأنّ الجدل الكلامي خلال القرون المتوالية أدّىٰ إلى مزيد من الاختلاف العلمي، ولم يحقّق أيّ اتّفاق. فالتفاصيل الكلامية ليست إذن ملاك اتّفاق المسلمين،

والاختلاف فيها لا يضرّ بوحدة العقيدة بين المسلمين.

الملاحظة الثانية: لا شكّ أنّ أيّ مذهب إسلامي ملتزم بالإيمان بهذه الأُصول، وإنكار أيّ واحد منها يخرج المذهب من دائرة الإسلام، ولا نعتقد أنّ بين المذاهب الإسلامية اليوم مذهباً ينكر صراحة أحد هذه الأُصول. نعم، في بعض المذاهب النادرة غير المعروفة عقائد يلزمها إنكار واحد من هذه الأُصول، لكنّ أتباع هذه المذاهب غير ملتزمين بهذه الملازمة، ولا يعتقدون أنّ عقائد مذهبهم الخاصّة تستلزم إنكار أحد هذه الأُصول. فملاك الكفر والخروج من الإسلام هو الإنكار الصريح، لا الإنكار بالملازمة، والخلط بين العقيدة الصريحة والعقيدة الملازمة للعقيدة الصريحة من آفات المذاهب ومن عوامل تراشق التهم بينها.

الملاحظة الثالثة: المذاهب المستحدثة التي تنكر خاتمية محمّد ﷺ، وتدّعي وحياً جديداً وكتاباً جديداً ـ وإن ادّعت الإيمان بالإسلام وبأنّها من الفرق الإسلامية ـ هي خارجة عن الإسلام قطعاً؛ لأنّها لا تلتزم بنهج الإسلام، بل لها نهج آخر ونبي آخر وكتاب آخر، وكلّ ذلك يجعلها في جهة متعارضة مع الأُصول الإسلامية.

الثاني: وحدة العمل والاتّباع (وحدة الشريعة).

يلزم اتّباع المنهج الإسلامي في الفروع بمقدار ما اتّفقت عليه جميع المذاهب الإسلامية وفرضه الكتاب وأوجبته السنّة بوضوح ودون أيّ إبهام.

ولا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ينكر الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد. ونقل صاحب «دعائم الإسلام» بطرق مختلفة ما يقرّر أنّ هذه الأعمال من أُسس الإسلام. ولو أنكر فرد وجوب واحد من هذه الأعمال صراحة (لا بالملازمة) فإنّه يخرج من ربقة الإسلام. والحدّ اللازم لدخول الفرد في دائرة المسلمين ولتحقّق وحدة الأُمّة المسلمة هو الالتزام بالحدّ المتّفق عليه من هذه الفروع، كأن يؤدّي الصلوات الخمس بعدد ركعاتها المنصوصة، ويحجّ بأداء المتّفق عليه من المناسك، أمّا شروط وآداب هذه الأعمال المختلفة عليها بين المذاهب فلا دخل لها في الحدّ اللازم المذكور؛ لأنّها ناشئة من اختلاف

اجتهاد المجتهدين ، والاختلاف فيها لا يضرّ بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين .

الثالث : وحدة القيادة .

للقيادة في الإسلام مصداقان : أحدهما صامت وخالد ، والآخر حيّ ومتغيّر .

القيادة الصامتة هي بإجماع المسلمين كتاب الله وسنّة رسوله ، ولا يوجد بين المذاهب الإسلامية من ينكر قيادتهما ، وهما دعامتان هامّتان لوحدة المسلمين ، والقرآن يطلق على كتاب الله المنزّل اسم الإمام ، يقول : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة يس : ١٢) ، و : ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الأحقاف : ١٢) ، والرسول ﷺ إمام الأئمّة ، إطاعته لا تنفكّ عن إطاعة الله سبحانه . وقيادة القرآن والسنّة بمعنى الهداية والإرشاد والتعليم والتربية .

ودين الفطرة إذ يؤكّد على ضرورة إجماع المسلمين على القرآن والسنّة يجيز الاختلاف فيهما في حدود خاصّة ، والاختلاف فيهما له مجالات :

الأوّل : اختلاف المجتهدين في مفهوم ومنطوق الكتاب والسنّة وفي حدود وشروط حجّيتهما ، وأمثال ذلك من البحوث المطروحة في المذاهب الكلامية والفقهية . وهذا الاختلاف لا يتعارض مع أصل اتّفاق المسلمين على حجّة الكتاب والسنّة .

الثاني : الاختلاف في الصدور ، ويرتبط بالسنّة فقط ؛ لأنّ صدور جميع الأحاديث المروية غير قطعي ، وربّ رواية صحّت في نظر عالم ولم تصحّ في رأي عالم آخر . ولا يصدق ذلك على الكتاب ؛ لتواتر جميع ألفاظه وآياته . نعم ، في القرآن اختلاف طفيف يرتبط بالناسخ والمنسوخ ودلالة الألفاظ ، ويشمل هذا الاختلاف السنّة أيضاً .

والاختلاف بين السنّة والشيعة في سنّة رسول الله إنّما هو اختلاف في المقدّمة الصغرىٰ لا الكبرىٰ على حدّ تعبير المنطقيّين ، فالفريقان متّفقان على حجيّة السنّة وأنّها واجبة الاتّباع كالقرآن، والاختلاف في أنّ هذا القول من السنّة أم لا .

أمّا القيادة الحيّة المتحرّكة فتتمثّل أوّل ما تتمثّل في شخص القائد الأوّل رسول الله ﷺ ، فهو إضافة إلى إمامته الدينية قائد المجتمع الإسلامي وزعيمه السياسي ، وكلّ

المسلمين يؤمنون بذلك، وظهر الاختلاف بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال قوم من أهل السنّة: إنّ الإمامة بعد الرسول أمر سياسي لا ديني، وقال أكثرهم: إنّها منصب ديني، لكنّهم لم يجعلوها ضمن أُصول الإسلام. والشيعة على العكس من ذلك آمنوا أنّ القيادة بعد رسول الله ﷺ يجب أن يتواصل فيها ما كان موجوداً في شخص القائد الأوّل من الجمع بين السمة الدينية والسياسية، واعتبروا الإيمان بها أصلاً من أُصول المذهب، فهي في رأيهم تتواصل عبر الأئمّة الاثني عشر، ثمّ الفقهاء الذين تتوفّر فيهم شروط التقوىٰ.

والقيادة في المفهوم الإسلامي تجمع بين السياسة والدين، ومن أركان الدين، ولها الدور الهامّ في استمرار الدعوة الإسلامية واستتباب حاكمية الدين وفي وحدة الأُمّة الإسلامية، خاصّة لو عرفنا أنّ «الأُمّة» و«الإمامة» من جذر لغوي واحد.

الرابع: وحدة الهدف.

إنّ وحدة الهدف مثل وحدة العقيدة ووحدة العمل ووحدة القيادة تشكّل أصلاً إسلامياً هامّاً، غير أنّها وردت في النصوص الإسلامية بلغة التوجيهات الأخلاقية ولغة الحثّ على اكتساب المكارم والفضائل، لكنّها لغة فيها تأكيد على أهمّية الهدف وعلى عدم افتراق الهدف عن المسؤولية المشتركة، يقول سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (سورة آل عمران: ١١٠)، فامتياز هذه الأُمّة وأهمّ خصائصها مسؤولية الدعوة والإيمان بالله، ولأهمّية هذه المسؤولية قدّمها على الإيمان بالله سبحانه.

ويمكن تلخيص أهداف الإسلام والمسؤوليات المشتركة التي يحملها المسلمون لبلوغ هذه الأهداف فيما يلي:

١ ـ الفلاح والفوز في الدارين وكسب رضا الله سبحانه. وعبارة ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ تتكرّر في القرآن بعد كثير من الأوامر والتعاليم.

٢ ـ استتباب حاكمية الدين في الأرض: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ (سورة البقرة: ١٩٣)، ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ (سورة الفتح: ٢٨).

٣ـ استتباب حاكمية عباد الله الصالحين في الأرض: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥)، ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ (سورة القصص: ٥).

٤ ـ السعي لإشاعة الخير والمعروف وإزالة المنكر والشرّ والفساد. وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنحو هذا الاتّجاه.

٥ ـ إنقاذ المستضعفين والمحرومين: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ ﴾ (سورة النساء: ٧٥).

٦ ـ فتح مغاليق أسرار الخلقة؛ للتعمّق في فهم عظمة الخالق، وهذا الهدف يذكره القرآن لدىٰ حديثه عن عظمة الكون وعجائب الطبيعة.

٧ـ إزالة الفتنة من الأرض: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (سورة البقرة: ١٩٣).

٨ ـ تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة الإسلامية، والاهتمام بأمر المسلمين، والمواساة بينهم، واتّحادهم مقابل الأعداء: «من أصبحّ ولم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم»، «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»، «... وهم يد واحدة على مَن سواهم»، وأمثالها من الروايات المشهورة تخلق هذه المشاعر الإنسانية.

٩ ـ إحلال روح الأُخوّة الإسلامية بين المسلمين، حتّى أنّ الفرد المسلم يتمنّىٰ لغيره ما يتمنّاه لنفسه، وأنّ المؤمنين بمثابة نفس واحدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

الخامس: الوحدة في الخصال ومكارم الأخلاق.

من الطبيعي أنّ المجموعة البشرية المشتركة في عقائدها وأعمالها وأهدافها وقيادتها تشترك أيضاً في الخصال والملكات النفسية. وكثير من النصوص تبيّن هذه الوحدة الأخلاقية والاشتراك الروحي بين المسلمين حين تتحدّث عن صفات المؤمنين مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وعفّة البطن والفرج وأمثالها. ولا يمكن أن نتوقّع بلوغ

المسلمين جميعاً مستوى واحداً في هذه الخصال، كما أنّهم لا يرتفعون إلى مستوىً واحد من العقيدة، ولكن يوجد طابع مشترك يسود كلّ المسلمين في هذا الإطار.

السادس: الوحدة الثقافية.

الاشتراك في العناصر السابقة المذكورة يستتبعه اشتراك في ثقافة توحّد بين أبناء العالم الإسلامي، فلو نظرنا إلى البلدان الإسلامية لرأينا ـ وذلك رغم اختلاف تقاليدها ولغاتها وعاداتها ورغم الهجوم الثقافي على ربوعها ـ سيادة ثقافة مشتركة بين أبنائها. وهذه الثقافة المشتركة تشكّل أكبر رصيد للتفاهم والتلاحم والتعاضد والإحساس بالأُخوّة والانتماء الواحد. من هنا يسعىٰ أعداء الأُمّة إلى إزالة هذا المشترك الهامّ بين المسلمين عن طريق المسخ والغزو. وفي الروايات الإسلامية حثّ على عدم تقليد الكفّار في الزيّ ومظاهر المعيشة: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»؛ من أجل بقاء طابع الثقافة الإسلامية سائداً بين المسلمين.

* أمّا مقوّمات الوحدة: فهي الركائز الأساسية والقواعد الراسخة والأُصول الثابتة التي ترتكز عليها الوحدة الإسلامية. ولهذه المقوّمات أبعاد مختلفة يمكن توضيحها فيما يلي:

أوّلاً: البعد الديني.

يمثّل البعد الديني أهمّ عناصر وحدة الأُمّة الإسلامية. فالدين هو الركيزة الأساسية التي تبتني عليها بقية العناصر، فوحدة الأُمّة الإسلامية تمثّل بناء متكاملاً له أساس ثابت راسخ الأركان يحمل البناء كلّه، ألا وهو الدين، أو هي كالشجرة لها جذور ضاربة في الأرض وبدونها لا يكون للشجرة كيان ولا حتّى وجود، ومن هذه الجذور تمتدّ الساق والفروع والأغصان.

ويتمثّل البعد الديني في العقيدة الواحدة بإله واحد ونبي واحد وكتاب واحد وعبادة واحدة. فالجميع يتّجهون في صلاتهم في مواعيد محدّدة إلى الله نحو قبلة واحدة أينما كانوا في أيّ مكان من العالم، ويجمع بينهم الصيام في شهر معيّن، ويجمع الحجّ بينهم من كلّ الأجناس والأقطار طائفين حول كعبة واحدة في حرم الله الآمن تنجذب إليها أفئدتهم من

كلّ فجّ عميق: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (سورة الحجّ: ٢٨). وهذا التجمّع الكبير في الحجّ يعدّ رمزاً حيّاً لوحدة الأُمّة الإسلامية كلّها، فهؤلاء ممثّلوها من كلّ مكان يجمعهم هدف واحد، ويربط بين قلوبهم رباط واحد، يجعل منهم جميعاً أُخوة متحابين متآلفين بأمر الله.

ويعبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى الإيماني بقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣). وهذه الوحدة الروحية من شأنها أن تقضي على كلّ ما يعكّر صفو الأُمّة أو يعمل على تقطيع أوصالها، فمادام الربّ واحداً والدين واحداً فلا مجال للتناقض في أُمور الدين.

والاعتصام بحبل الله ليس مجرّد شعار يرفعه المسلمون، وإنّما له متطلّبات لا يتحقّق بدونها، ولا يقع عند الله موقع القبول إلّا إذا تحقّقت وقام المعتصمون بتبعاتها على الوجه الذي رسمه الله في كتابه طريقاً لكمال الإنسانية ورقيها، فهو يقضي بتنحية الشهوات والأهواء التي تثيرها العصبيات القبلية والعرقية والمذهبية، ويقضي بالنظر السريع في تنقية العقائد والعبادات وسائر التعاليم الإلهية ممّا يشوبها ويكدّر صفوها من صور الشرك والابتداع الذي هيّأ لخصوم الإسلام أن يقولوا بتعدّدية الإسلام ويزعموا أنّ الإسلام ليس ديناً واحداً وإنّما هو أديان متعدّدة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾ (سورة الكهف: ٥).

ثانياً: البعد الإنساني.

ويتّضح البعد الإنساني لوحدة الأُمّة الإسلامية جلياً في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة، فالله سبحانه وتعالى يلفت نظرنا إلى وحدة الأصل الإنساني. فالناس جميعاً قد خلقهم الله من نفس واحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (سورة النساء: ١)، ورسول الله ﷺ يؤكّد هذا المعنى أيضاً في قوله: «يا أيّها الناس، ألا إنّ ربّكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلّا بالتقوى».

والإسلام لا يفصل هذا البعد الإنساني عن البعد الديني المشار إليه كما كانت تفعل ـ ولاتزال ـ بعض الآيديولوجيات والفلسفات في القديم والحديث التي تصل بالإنسان إلى حدّ التأليه وتجعله صاحب السلطان الأوحد في هذا الكون!

ويبيّن لنا القرآن الكريم أنّ الإنسان الذي ينكر أصله أو يجحد خالقه هو إنسان يعمل ضدّ طبيعته وفطرته التي فطره الله عليها. فالله سبحانه قد أخذ عليه ميثاقاً لا يجوز له أن يتجاهله أو يغفل عنه؛ لأنّه مركوز في أصل فطرته. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٢). ومن بين القلائل من فلاسفة الغرب الذين أكّدوا هذا المعنى كان الفيلسوف الفرنسي «ديكارت» الذي قال: «والحقّ أنّه لا ينبغي أن نعجب من أنّ الله حين خلقني غرس فيّ هذه الفكرة ـ أي: فكرة وجود الله ـ لكي تكون علامة للصانع مطبوعة على صنعته».

وهذا الارتباط الوثيق بين كلّ من البعد الديني والبعد الإنساني في وحدة الأُمّة الإسلامية له دلالة هامّة؛ إذ يعني أنّ هذه الأُمّة التي أراد الله لها أن تكون خير أُمّة أُخرجت للناس من شأنها أن تكون عنصر أمان واستقرار في هذا العالم، فهي أُمّة ترتبط بخالقها بعلاقة العبودية له سبحانه، وترتبط بغيرها من بني البشر بعلاقة الإنسانية التي لا تنسى عبوديتها لخالق الكون كلّه.

وهذه الصلة الوثيقة بالله إذا استقامت فإنّها كفيلة بتصحيح مسار الأُمّة الإسلامية في هذا الوجود، وبذلك تتحقّق خيريتها، إنّها أُمّة تسع الإنسان أينما كان وأنّى كان، وتشمل برعايتها وأمنها كلّ من يعيش على أرضها.

ثالثاً: البعد الاجتماعي.

وإذا كانت الأُمّة الإسلامية ترتبط فيما بينها بروابط العقيدة والإنسانية فإنّ محصّلة هذين البعدين هي الأُخوّة التي هي أقوى من أُخوّة النسب. ومن هنا كان قول القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠). وعندما أراد النبي ﷺ أن

يؤسّس قواعد المجتمع الإسلامي في المدينة بعد الهجرة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فتآلفت قلوبهم بفضل الله، وقد امتنّ الله على المؤمنين بهذا التآلف، فقال: ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣). وهذه الأُخوّة لها حقّها، فهي تتضمّن بعداً عاطفياً يتمثّل في المشاركة الوجدانية، فكلّ فرد من أفراد الأُمّة الإسلامية يشعر بآلام وآمال أُمّته؛ لأنّه جزء منها يحسّ بإحساسها ويسعد لسعادتها ويتألّم لألمها. ومن هنا كان قول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».

ولكن مجرّد المشاركة الوجدانية ـ وذلك مع أهمّيتها ـ لا تكفي، ولا بدّ أن يترجم هذا الشعور الداخلي إلى عمل فعّال يكون من شأنه النهوض بالأُمّة وبأفرادها. ومن هنا كان مبدأ التكافل في الإسلام بمثابة ترجمة عملية لذلك الشعور الباطني لدى المسلم. وقد جعل الإسلام هذا المبدأ عبادة مفروضة يتعبّد بها المسلم ويتقرّب بها إلى ربّه، وهي فريضة الزكاة.

وقد آن الأوان ليخرج المسلمون من دائرة المشاركة الوجدانية السلبية إلى المشاركة الإيجابية المؤثّرة، وذلك بوضع الخطط المفصّلة لإقامة بنيان التكافل بين أبناء الأُمّة الإسلامية. وقد آن الأوان للأُمم الإسلامية أن تنصهر في بوتقة الوحدة الحقيقية للأُمّة الإسلامية بتحقيق مبدأ التكافل والخروج من سجن الفرديات المنعزلة والقوميات المنفصلة إلى محيط الجماعة الكبرى التي أرادها الله أن تكون خير أُمّة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وتقيم التعاون فيما بينها على البرّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

رابعاً: البعد الجغرافي.

لقد جعل الله للأُمّة الإسلامية من وضعها الجغرافي الذي تتميّز به في هذا العالم وحدة طبيعية جامعة في رقعة مترامية الأطراف في كلّ من قارتي آسيا وأفريقيا، فضلاً عن أنّها تمتدّ إلى بعض أجزاء من أوروبّا. ومن المعروف أنّ الإسلام قد انتشر في جنوب شرق آسيا

وغرب أفريقيا بقوّته الذاتية دون أن يدخل إلى هذه البلاد جيش مسلم لفتحها.

ومن نعم الله على المسلمين أنّ هذه المناطق المترامية الأطراف الملتحمة الأجزاء ـ والتي تشكّل بلاد العالم الإسلامي ـ تشتمل على الكثير من المعادن والكنوز النفطية وغير النفطية التي لو أُحسن استغلالها لجعلت من العالم الإسلامي قوّة يحسب لها ألف حساب.

وفضلاً عن هذه الكنوز في باطن الأرض توجد هناك في العالم الإسلامي مناطق شاسعة يمكن استصلاحها بمجهودات قليلة وزراعتها بشتّى المحاصيل لتكون سلّة غذاء للعالم الإسلامي كلّه. وبذلك يتحقّق للمسلمين الاكتفاء الذاتي في غذائهم، الأمر الذي يساعدهم على استقلاليتهم في إرادتهم وفي قراراتهم، فمن المعروف أنّ من لا يملك غذاءه لا يملك قراره.

وهذه الوحدة الجغرافية من شأنها أن تمحو بين أقطار العالم الإسلامي تلك الحواجز الإقليمية المصطنعة في قضايا الاقتصاد والإنتاج.

خامساً: البعد الحضاري.

الإسلام ليس دين طقوس تعبّدية جامدة، إنّه دين للحياة بكلّ أبعادها. والأُمّة الإسلامية أُمّة أراد الله لها أن تكون صاحبة رسالة دينية وحضارية في هذا العالم، ومن هنا كان وصفها بأنّها خير أُمّة أُخرجت للناس.

وقد رسم القرآن الكريم للإنسان الإطار العامّ في كلّ أُموره الدينية والدنيوية، واستخلف الله الإنسان في الأرض، وكلّفه بعمارتها وصنع الحضارة فيها، ووعد المؤمنين العاملين بالتمكين لهم في الأرض، وكتب لهم العزّة والنصر. وتحقيق ذلك كلّه أمر منوط بالإنسان وبتأييد من الله تعالى.

وقد أدرك المسلمون الأوائل ذلك كلّه، وعملوا على تحقيقه، وقد تحقّق لهم بالفعل ما أرادوا وما أراده الله منهم. وبذلك أقاموا صرحاً شامخاً لحضارة عريقة كانت من أطول الحضارات عمراً في التاريخ. وقد اشترك علماء الأُمّة الإسلامية من كلّ جنس ولون في إقامة هذا الصرح الحضاري بدافع من الإسلام الذي رفع من شأن العلم والعلماء واعتبر مداد

العلماء مساوياً لدماء الشهداء أو أفضل، وجعل العلماء أخشى الناس لله تعالى.

وسارت جهود علماء المسلمين في مجالات العلوم الدينية والدنيوية جنباً إلى جنب في تكامل رائع، فقد أدركوا أنّ الحضارة تعني تقدّماً مادّياً وروحياً وأخلاقياً، وبذلك قدّموا للإنسانية خدمة كبرى في الوقت الذي كان فيه العالم غير الإسلامي لايزال يعيش في جهالة جهلاء. وترك لنا الأسلاف تراثاً ضخماً يعدّ أغنى تراث في العالم يعبّر عن وحدة جهود علماء الأُمّة الإسلامية بصورة رائعة، ويشترك المسلمون اليوم في كلّ مكان في العالم الإسلامي في الاعتزاز بهذا التراث.

وقد آن الأوان للأُمّة الإسلامية أن تتوحّد جهودها مرّة أُخرى في سبيل النهوض بالأُمّة والارتقاء بها حضارياً بما يؤكّد شخصيتها المتميّزة ويحافظ على ذاتيتها مسترشدة في ذلك بتعاليم الإسلام الشاملة وبالجوانب الإيجابية المشرقة في تراثنا.

فلا يليق بالأُمّة الإسلامية أن تظلّ في عالمنا المعاصر قابعة في مقاعد المتفرّجين الذين لا يشاركون في صنع الحضارة، ويكتفون بدور المستهلك لما تنتجه الحضارة التي يصنعها غيرنا، في الوقت الذي لا تعرف البشرية فيه ديناً آخر غير الإسلام يشتمل على كلّ المقوّمات والأُسس التي تحقّق للبشرية أفضل المستويات الحضارية مادّياً وروحياً وأخلاقياً.

والرسالة الدينية الحضارية المنوطة بالأُمّة الإسلامية لا يمكن تأديتها والقيام بحقّها إلّا إذا توحّدت جهود الأُمّة دينياً وفكرياً وحضارياً. وواجبها يفرض عليها في هذا الصدد أن تقدّم للعالم هذه الرسالة الدينية الحضارية في صورة أُنموذج متحقّق في عالم الواقع، فليس بالأقوال تؤدّى الرسالات الكبرى، ولكن بترجمة الأقوال إلى برامج عمل. ومن هنا جاء اللوم والمقت في القرآن الكريم للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصفّ: ٢ـ٣).

سادساً: البعد المصيري.

وإذا كانت الأُمّة الإسلامية ترتبط فيما بينها برباط ديني واحد وتجمعها وحدة جغرافية طبيعية ولها رسالة نورانية حضارية في هذا الوجود ؛ فإنّ ذلك يعني أنّ لها غايات واحدة وأهدافاً مشتركة ، ويعني في النهاية أنّ لها مصيراً واحداً.

ومن أجل حماية هذا المصير الواحد وصوناً للمبادئ السامية والمثل العليا التي تقوم بها ومن أجلها الأُمّة الإسلامية فلا بدّ من إعداد القوّة اللازمة لدرء الأخطار التي تحيط بها، سواء كانت هذه الأخطار قائمة بالفعل أو محتملة الوقوع ، أي : سواء كانت منظورة أم غير منظورة ، فالقوّة في كلا الحالين ضرورية . وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا ٱسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (سورة الأنفال : ٦٠).

والهدف الذي من أجله يدعو القرآن الكريم إلى هذا الاستعداد الحربي بكلّ ما أُوتينا من قوّة لا يرمي إلى التخريب والتدمير أو الاستعباد والاستعمار أو سلب الآخرين أموالهم وأوطانهم وأمنهم ، وإنّما يرمي إلى دفع شرّ الأعداء وردعهم وتخليص المستضعفين من أيدي الظالمين المعتدين ، وإفساح الطريق أمام دعوة الخير الذي يريده الله لعباده . وقيام هذه القوّة يعدّ من أقوى وسائل السلم الذي أمر الله به ، فهي قوّة تحمي السلم والأمان والاستقرار .

ومثل هذه القوّة لا تتأتّى إلّا بوحدة الأُمّة الإسلامية ، فهذه الوحدة هي السدّ المنيع والحصن الحصين في وجه كلّ الأطماع التي تستهدف إضعاف الأُمّة الإسلامية وإثارة الفتن والخصومات بين أبنائها .

وعلى الأُمّة الإسلامية صاحبة المصير المشترك أن تعيد النظر في قائمة الأولويات للقضايا والهموم التي تحيط بها في عالمنا المعاصر ، فتشغل نفسها لا بالقضايا الهامشية ، بل بالقضايا المصيرية ، وعلى رأسها قضية التخلّف التي تمثّل الهمّ الأكبر للأُمّة الإسلامية اليوم . والتخلّف المعني هنا تخلّف متعدّد الجوانب يشمل المجالات الروحية والمادّية والأخلاقية والعلمية والحضارية بصفة عامّة ، وتلك قضية مصيرية لا يجوز التهاون فيها أو التفريط في

معالجتها بما تستحقّه من اهتمام وعناية.

هذا، ويمكن تقرير مقومّات الوحدة الإسلامية بهذه الصورة أيضاً:

١ ـ وجود الأرض.

فالأرض مستقرّ الإسلام، وهي الدار التي يأوي إليها المؤمنون، وعليها تقوم دولة الإسلام، ومنها تنطلق دعوته: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوْا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ (سورة الحشر: ٩).

ولا بدّ أن تكون هذه الأرض خاضعة لحكم الإسلام وسيطرة أهله؛ مصداقاً لقوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** ﴾ (سورة النور: ٥٥)، ويقول النبي ﷺ: «بشّر هذه الأُمّة بالسناء والرفعة بالدين والتمكين في الأرض ،فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب».

وأن تكون آمنة منيعة محمية الحدود والثغور، كما أمر بذلك ربّ العباد، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا** ﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠)، ويقول النبي ﷺ: «رباط يوم خير من صيام شهر أو قيامه». إنّ الأرض الموصوفة بهذه الصفات هي درع الإيمان، وبيضة الإسلام، ومهجر المستضعفين من المؤمنين، وملجأ الخائفين، ومأوى الفارّين بدينهم من الفتن.

٢ ـ تقرير الأُخوّة بين أفراد الأُمّة الإسلامية.

فقد جعل الإسلام الأُخوّة آصرة تربط بين المسلمين، ونسباً يدخل فيه كلّ مسلم، ورابطة متينة تجمع بين صغيرهم وكبيرهم وقويهم وضعيفهم ومحسنهم ومسيئهم.

والأُخوّة في الإسلام ليست كلمة مرسلة لا مدلول لها أو شعاراً أجوف لا معنى من ورائه، بل هي حقيقة راسخة في الحياة الإسلامية وخليقة قائمة بين المسلمين، لها آثارها في واقعهم ولها مظاهرها في سلوكهم ومختلف أحوالهم؛ لأنّها لازمة للإيمان ومنبثقة عنه، ومن ثمّ فهي تابعة له في الوجود والعدم وفي الظهور والخفاء.

وقد جعل الإسلام آثار الأُخوّة الإسلامية أُموراً ثلاثة :

أوّلها : وجوب الحبّ المتبادل بين المسلمين ،كما يقرّره قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدّاً ﴾ (سورة مريم : ٩٦). ويقول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا. أو لا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم ». ولكي ينتشر الحبّ بين أفراد الأُمّة الإسلامية ويتداولونه بينهم أمر النبي ﷺ كلّ مسلم ، فقال : « إذا أحبّ الرجل أخاه ، فليخبره أنّه يحبّه ».

ثانيها : وضع نظام الحقوق بين أبناء الإسلام، فقد شرّع الإسلام نظام الحقوق بين المسلمين وجعل العمل به أمراً لازماً للأُخوّة في الدين ، وجعله مظهراً لقوّة اليقين وصدق الإيمان ، وهي حقوق شملت كلّ جوانب الحياة وأحوال المسلمين كافّة ، ما ظهر منها وما بطن ، وما خفي منها وما انتشر .

ثالثها : وضع نظام التكافل والتآزر بين الأُخوة في الله ، وهو من لوازم الأُخوّة وشعبها ، كما يفيده قول النبي ﷺ : « المؤمن أخو المؤمن ، يكفّ عنه ضيعته ، ويحوطه من ورائه ». والتكافل في نظام الإسلام يجب أن يقوم بين المسلمين في مختلف صور المعاش وشتّى مرافق الحياة ، ومن ثمّ كان التكافل في الإسلام شاملاً لكلّ مظاهر الحياة وأنواع السلوك .

٣ ـ تشريع القيادة الواحدة للأُمّة المسلمة .

بمعنى جعلها كتلة واحدة غير قابلة للتقطيع أو التشرذم ، والتأكيد على السمع والطاعة لولاة الأمر ما أطاعوا الله وأقاموا شريعته .

وحفاظاً على وحدة الأُمّة من التصدّع والشقاق وحماية لجماعتها من شرّ الفتنة والزلازل ، جعل الإسلام العلاقة بين الراعي والرعية مبنية على المودّة والرحمة والرعاية الصالحة والاحترام المتبادل بين الطرفين .

٤ـ اعتصام أهل الإسلام بالكتاب والسنّة .

بمعنى اجتماعهم عليهما واتّفاقهم على العمل بهما مصداقاً لقول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣).

والاستمساك بالكتاب والسنّة والتزام أحكامها سلوكاً وخلقاً وعقيدة ممّا يستلزمه الإيمان الصادق واليقين الراسخ، وممّا يجمع المؤمنين على مرجع واحد، يرجعون إلى توجيهه في أُمور دينهم ودنياهم، ويحكّمونه فيما شجر بينهم، فلا يجدون في صدورهم حرجاً من قضائه، ويسلّمون لحكمه تسليماً تامّاً؛ لكونهم يعلمون أنّه القول الفصل والمرجع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبذلك تتألّف قلوبهم على الحقّ ويجتمعون على اتّباع سبيله.

٥ ـ تشريع القبلة الواحدة.

أي: تشريع القبلة الواحدة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ إذ يجب على كلّ مسلم حيثما كان من الأرض أن يستقبل المسجد الحرام، كما أمره بذلك ربّ العباد، فقال: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٤).

إنّ شعور المسلم بكونه يستقبل القبلة التي يستقبلها إخوته المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها يجعله ينجذب تلقائياً إلى أهل ملّته، ويعدّ نفسه فرداً من أفراد الأُمّة الإسلامية وعضواً من أعضاء جسدها، وإن كان لا يعرف منها أحداً ولا يعرفه منهم أحد على سبيل المثال.

٦ ـ تقرير المساواة بين أفراد الأُمّة.

وذلك باعتبارهم جميعاً بمنزلة واحدة من الحقّ والعدل والاحترام، فلا يعلو بعضهم على بعض بمال أو جاه أو منصب أو نسب، ولا يفخر أحد منهم على أحد بقبيلة أو شعب أو عشيرة، فاختلاف الناس في أوطانهم وأعمالهم ومناصبهم لا يعدّ في الإسلام مدعاة للتفاخر والتفاضل والتعالي، ولا يعتبر معياراً صادقاً للتمييز بين الناس وتقديم بعضهم على

بعض، كما بيّن ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

٧ ـ الإحساس بالمسؤولية المشتركة والمتبادلة، والاتّصاف بالسماحة الإسلامية.

أمّا مقوّمات صيانة الوحدة: فهي القواعد والأُسس والركائز الأساسية المقرّرة لصيانة وحماية الوحدة الإسلامية من التصدّع والانهيار. ومن تلك القواعد:

١ ـ وجوب قيام مهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي، والحكمة من قيام هذه المهمّة إرصاد المنكر وأهله في المجتمع؛ لردعهم والأخذ على أيديهم حتّى لا تشيع الفاحشة في المجتمع ويتّسع الخرق على الراقع، وحينئذٍ ينقسم المجتمع إلى فريقين: فريق يميل إلى الخير ويستقيم عليه، وفريق زائغ عن الحقّ يقترف المنكرات وينشرها بين الناس، وتلك بوادر الفرقة وبذور الشقاق والتمزّق، ومن أجل ذلك قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِن بَعْدِمَا جَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤ ـ ١٠٥)، فقد جمع سبحانه بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين النهي عن التمزّق والاختلاف، وذلك لأنّ الاختلاف والتفرّق نتيجة حتمية لتعطيل مهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ الأمر بالتحاكم إلى الكتاب والسنّة عند التنازع والاختلاف، وردّ الأمر إلى الله ورسوله وأُولي الأمر عند تعدّد الآراء حوله وتعذّر الاتّفاق فيه على كلمة سواء، يقول عزّ وجلّ: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَومِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (سورة الشورىٰ: ١٠). ذلك أنّ التنازع والاختلاف إنّما هو نتيجة لتعدّد الآراء وتباين الاتّجاهات، وفي هذه الحال لا يتمّ التغلّب على مثل هذا الخلاف والسيطرة عليه إلّا بردّه إلى مرجع يتّفق المختلفون على وجاهته والإذعان لحكمه. ومن ثمّ كان الأمر بردّ التنازع إلى الله ورسوله هو التوجيه الرشيد والنصح السديد الذي يفصل النزاع

قبل تفاقمه ويفضّ الخلاف قبل انتشاره واتّساع رقعته.

ولا يتحقّق الردّ إلى الكتاب والسنّة ولا يكون مفعوله نافذاً في حلّ النزاع إلّا بالقبول المذعن لما صدر عنهما من حكم والرضا به والتسليم بكونه قولاً فصلاً وحكماً عادلاً، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

٣ ـ الأمر بالإصلاح بين المتخاصمين والتوفيق بين المتشاجرين حتّى لا تطول بينهم العداوة والشحناء، ولا ينقلب ما بينهم من الودّ والأُخوّة إلى غلّ وبغضاء، وذلك قول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (سورة الأنفال: ١)، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

هذه هي القواعد التي وضعها الإسلام لحماية وحدة الأُمّة وصيانتها من التصدّع والتشقّق، وهي خليقة بتحقيق هذه الحماية لو طبّقت تطبيقاً سليماً، وأُخذت بجدّ وإخلاص.

* أمّا تحدّيات وموانع الوحدة: فهي المشاكل التي تواجه الأُمّة الإسلامية في مسيرتها الوحدوية.. والتي منها:

أوّلاً: النعرة الطائفية.

ينبغي أن يُميّز بين الانتماء المذهبي والنعرة الطائفية، فالانتماء المذهبي تعبير مشروع عن ارتباط المسلم بمذهب فقهي معيّن يعتقد هو ببراءة ذمّته حين يعمل بموجبه، فيما تكون النعرة الطائفية حالة من العصبية تنطلق من تعصّب مقيت يولّد كراهية لأبناء الطوائف الأُخرى، وفي الوقت الذي يعزّز الانتماء المذهبي روح الأُخوّة الإسلامية بين كافّة أبناء المذاهب الإسلامية تكون النعرة الطائفية على عكس ذلك؛ إذ تطرح نمطية الاحتراب وثقافة التشاتم بين أبناء الأُمّة الإسلامية، حتّى أنّها قد تصل ـ أي: النعرة الطائفية ـ إلى أسوأ

مدياتها في استباحة دماء المسلمين من أبناء الطوائف الأُخرى! وقد تفرز هذه رموزاً طائفية وخطاباً طائفياً وفقهاً طائفياً يعطي للنعرة الطائفية مبرّراً شرعياً ويعبّئ أبناء الطائفة بالاتّجاه المضاد.

ثانياً: التسييس الطائفي.

المقصود به النظرة إلى الأفكار والمفاهيم إلى كلّ مذهب من المذاهب من منظور سياسي وليس من منظور معرفي محدّد. وتسييس الحالة الطائفية يحول دون التعرّف الإيجابي بين أبناء المذاهب، وهو ما لا ينسجم مع المفاهيم القرآنية التي أرادت لكلّ المختلفين من أبناء الشعوب والقبائل التعارف فيما بينهم، ومن موقع التعارف يجري بينهم الحوار والتعامل.

ثالثاً: العقدة الماضوية.

إنّ قراءة التاريخ قراءة متأنّية تعبر بجيلنا الحاضر إلى الأجيال الماضية لاستلهام التجارب والاستفادة من العبر أمر مطلوب إلى حدّ كبير، غير أنّ تحويل التاريخ إلى عقدة ماضوية تؤثّر على الحاضر تأثيراً سلبياً يجعله حاجزاً يحول دون التعامل بين أبناء الأُمّة الإسلامية فهو أمر مختلف. من هنا كان علينا أن نقرأ التاريخ قراءة مستقبلية، بمعنى: أنّنا نستفيد من نجاحاتنا في التاريخ ونجاحات الآخرين؛ لدفع عجلة التعاون في مجال الوحدة نحو الأمام، كما أنّنا نستفيد من أخطائنا التاريخية، لتلافي تكرارها وعدم تحوّلها إلى عقبات في الطريق.

رابعاً: الانكفاء الذاتي.

ما تتميّز به بعض الفرق الإسلامية في التاريخ من انكفاء ذاتي أضفى عليها نمطية باطنية في الأداء، وجعلها تعيش حصاراً داخلياً ربّما يولّد في لا شعورها وشعورها كراهية عارمة تجاه الآخرين. كما أنّها أصبحت ـ والحالة هذه ـ تعاني من عقدة الاضطهاد بسبب عزلتها عنهم. والانكفاء الذاتي هذا تتسبّب فيه عدّة عوامل، منها ما ينطلق من الظرف الاجتماعي الضاغط على مجموعة ما أو طائفة معيّنة، ومنها ما ينطلق من ذات المجموعة أو

أبناء الطائفة ،ومن أجل التخلّص من هذه الظاهرة السلبية لا بدّ أن تتوفّر أجواء الصحّة الاجتماعية الكافية التي تحترم كلّ معتقدات ومتبنّيات أبناء الطوائف الأُخرى، كما لا بدّ لذات الطائفة أن تتمتّع بالثقة الكافية والتخلّص من الشعور بعقدة الاضطهاد وتطوير خطابها للتعامل مع الوسط الاجتماعي الذي تتحرّك فيه.

خامساً: عقدة الإقصاء والتسيّد الطائفي.

حاول بعض السلاطين أن يقصي أبناء المذاهب الأُخرى ممّن لا ينتمون إلى مذهبه، وقد أدّت هذه النعرة إلى وقوع ضحايا كثيرة، وألحقت الظلم بأبناء المذاهب الأُخرى. إنّ مثل هذه السياسات والممارسات وإن حقّقت نتائج شخصية لواضيعها، ولكنّها لا شكّ مضرّة في مصلحة الأُمّة، وإنّها لا محالة زائلة في حسابات الأُمّة وعلى مدى عمرها الذي يتجاوز عمر واضعيها.

سادساً: وجود المذاهب الكلامية والفقهية.

إنّ المسلمين ينقسمون في المذاهب الكلامية إلى طوائف، كالأشاعرة والمعتزلة والماتريدية والشيعة. والشيعة تنقسم بدورها إلى زيدية وإسماعيلية واثني عشرية، فكيف يمكن توحيد الكلمة مع سيادة هذه المناهج الكلامية عليهم ؟!

والحقّ أنّ هذه المذاهب تتراءى في بادئ النظر سدّاً منيعاً بوجه الوحدة، ولكن بالنظر إلى أواصر الوحدة تبدو وكأنّها موانع ضعيفة لا تصدّ المسلمين عن التمسّك بأهداب الوحدة على كافّة الأصعدة.

أمّا المناهج الكلامية فجوهر الاختلاف فيها يرجع إلى مسائل كلامية لا عقائدية، مثلاً: أنّ الأشاعرة والمعتزلة يختلفون في المسائل التالية: هل صفاته تعالى عين ذاته أو زائدة عليها؟ هل القرآن الكريم قديم أو حادث؟ هل أفعال العباد مخلوقة لله أو للعباد؟ هل يمكن رؤية الله في الآخرة أو هي ممتنعة ؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه المسائل، ومع تثمين جهود الطائفتين فالاختلاف فيها اختلاف في مسائل عقلية لا يناط بها الإسلام ولا الكفر، فالمطلوب من المسلم اعتقاده بكونه سبحانه عالماً وقادراً، وأمّا كيفية العلم والقدرة

بالزيادة أو العينية فليس من صميم الإسلام، فلكلّ مجتهد دليله ومذهبه، كذلك القرآن هو معجزة النبي ﷺ وكتابه سبحانه، فليس الحدوث والقدم من صميم العقيدة، وقس على ذلك ما تلوناه عليك من المسائل.

وأمّا المناهج الفقهية فالمشهور هي المذاهب الأربعة مضافاً إلى الزيدية والجعفرية، فهذه المذاهب الستّة مذاهب فقهية، والاختلاف يرجع إلى الاختلاف في فهم الآية والرواية، فلو اختلفوا فإنّما يختلفون في فهم الكتاب والسنّة، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على اهتمامهم بهما وإمعانهم في فهمهما، والاختلاف أمر طبيعي، خصوصاً بعد مضي أربعة عشر قرناً من عصر الإسلام.

ولكن اختلافهم في المناهج الفقهية لا يمسّ بصميم الفقه الإسلامي، فهل هناك مَن يرى صلاة الفجر ثلاث ركعات أو يرى صلاة الظهر والعصر غير أربع ركعات ؟! وليس الاختلاف وليد اليوم، بل بدأ الاختلاف بعد رحيل رسول الله ﷺ في أبسط المسائل الفقهية، كعدد التكبيرات على الميّت، إلى أعمقها، فالاختلاف الموروث إنّما هو اختلاف في فهم النصوص لا في رفض النصوص وردّها.

ولا شكّ أنّ الشيعة ترى جواز الجمع بين الصلاتين مع القول بأنّ التفريق هو الأفضل، والسنّة تخصّ جواز الجمع بالسفر ومواقف خاصّة، ولكلّ دليله، وقس على ذلك سائر الاختلافات الفقهية، حتّى الاختلاف في متعة النكاح، فذهب جمهور السنّة إلى النسخ والشيعة إلى بقاء الجواز، فالاختلاف فيها كالاختلاف في سائر المسائل الناشئة من الاختلاف في النسخ وعدمه.

سابعاً: وجود الاختلافات القومية.

يتشكّل المسلمون من قوميات متعدّدة من عرب وعجم وترك وبربر إلى غير ذلك من الشعوب والقبائل، ولكن هذا الاختلاف اختلاف تكويني لا يصلح لأن يكون مانعاً عن وحدة الكلمة، وقد عالج سبحانه هذا النوع من الاخلاف قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة

الحجرات: ١٣).

فالاختلاف في اللون واللسان والدم والوطن وإن كانت عوامل توحّد طائفة كبيرة، لكنّها عوامل عرضية لا تمتّ إلى جوهر الإنسان بصلة، وأمّا الإيمان بالأُصول الثلاثة فهو عامل باطني ذاتي أقوى من جميع العناصر المتقدّمة.

فالمسلم الشرقي إذا تعارف مع المسلم الغربي مع ما بينهما من الهوّة السحيقة يتآخيان؛ لما بينهما من وحدة المبدأ والمعاد والقيادة والهدف؛ وأمّا الأُخوان من أُمّ وأب واحد إذا كان أحدهما إلهياً والآخر مادّياً فإنّهما يتناكران.

ثامناً: الجهل بمعتقدات الطوائف.

الحقيقة أنّ جهل كلّ طائفة بمعتقدات الطائفة الأُخرى يعدّ من أهمّ الموانع التي تشكّل حاجزاً منيعاً عن الوحدة، وهذا ليس بالأمر المستسهل، وإليك هذا المثال: إنّ الشيعة اقتداءً بالنبي وأئمّة أهل البيت لا يسجدون في الصلاة إلّا على الأرض أو ما ينبت منها، بشرط أن لا يكون مأكولاً ولا ملبوساً، فبما أنّ السجود على الأرض في المنازل وحتّى المساجد المفروشة غير ميسّرة، لذا يتّخذون أقراصاً من التربة يسجدون عليها، فعند ذلك نرى أنّ بعض إخواننا من السنّة يرمون الشيعة بالسجود للحجر والتراب كسجود عبّاد الوثن له! مع أنّهم لا يفرّقون بين المسجود عليه والمسجود له، فالتراب هو المسجود عليه، وأمّا المسجود له فهو الله سبحانه.

وعلى ذلك فلو وقف فقهاء المذاهب على ما لدى الطوائف الأُخرى من الفقه والأُصول والاستدلال والاجتهاد لما عاب أحدهم الآخر، وإنّما الخلاف في كيفية الاستدلال وحقيقة البرهان لا في الأخذ بالبرهان.

تاسعاً: الجهل بمصطلحات الطرف الآخر.

إنّ لكلّ طائفة مصطلحات خاصّة في العقيدة والشريعة، يجب أن تؤخذ مفاهيمها من كتب تلك الطائفة، وليس من الصحيح تفسيره اعتباطاً. ومثال ذلك اصطلاح التقية، فالتقية من المفاهيم الإسلامية، وهي سلاح الضعيف أمام القوي، فإذا خاف المسلم على ماله

وعرضه ودمه من أيّ إنسان سواء أكان كافراً أو مسلماً وأراد شخص قوي سلب حرّياته، فلا محيص له إلّا كتمان عقيدته، وقد أمر به سبحانه وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ (سورة النحل: ١٠٦)، وقد نزلت في حقّ عمّار بن ياسر، حيث أظهر الكفر وأخفى الإيمان، وجاء إلى النبي ﷺ باكياً. فقال ﷺ: «لا شيء عليك»، فنزلت الآية، ولكن اصطلاح التقية يفسّر عند بعض المخالفين بالنفاق، مع أنّ بين التقية والنفاق بوناً شاسعاً. فالتقية إظهار الكفر وإبطان الإيمان، والنفاق على العكس، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

* أمّا الحلول العلمية لوحدة الأُمّة الإسلامية: فمنها:

١ ـ الأخذ بالقواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية فقط، والإعراض بالكامل عن القضايا الخلافية.

٢ ـ اتّباع المنهج السلفي «الأصيل» للعودة إلى ما كان عليه الصحابة والتابعون، والإعراض عن المذاهب المستحدثة بعدهم.

٣ ـ ترجيح أحد المذاهب الموجودة واختياره، والإعراض عن المذاهب الباقية.

٤ ـ دمج المذاهب وإقرار المصالحة فيما بينها.

٥ ـ القبول بالمذاهب جميعاً وتخيير المسلمين في الأخذ بأيّ منها.

٦ ـ نظرية ابن أبي الحديد المعتزلي الداعية إلى الاتفاق حول الإمام علي عليه السلام والاقتداء بمواقفه في إقرار خلافة من تقدّمه.

٧ ـ نظرية السيّد أمير علي الهندي القائل بأنّ واقعة غدير خمّ تعني ترشيح الإمام علي عليه السلام للخلافة، وليس تنصيبه خليفة.

٨ ـ نظرية الصوفية القائلة بحصر الولاية المعنوية ـ وليس الخلافة السياسية أو المرجعية العملية ـ في علي وأولاده عليهم السلام.

٩ ـ نظرية العلّامة محمّد صالح المازندراني القائلة بالتفريق بين الإمامة والخلافة، والقبول بالمرجعية العلمية للإمام علي عليه السلام وخلافة الخلفاء.

١٠ ـ نظرية السيّد البروجردي القائلة بالتأكيد على المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام، والسكوت عن قضية حقّ علي وأولاده عليهم السلام بالخلافة باعتبارها قضية تأريخية ترتبط بالماضي، ولا ضرورة لها الآن، وقد استند في ذلك إلىٰ مقتضيات المصلحة العامّة ورعاية الأهمّ فالأهمّ والأخذ بنظر الاعتبار الأولويات الراهنة والاحتياجات الضرورية للمسلمين في العصر الحاضر.

١١ ـ القيام ببعض المشاريع التي من شأنها التقريب بين المذاهب الإسلامية، كتجربة دار التقريب في القاهرة سابقاً، وتجربة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية حالياً.

هذا، ولا يخفى أنّ بعض المشاريع فيها محلّ للتأمّل بلا شكّ.

وأمّا الحلول السياسية لوحدة الأُمّة الإسلامية فـ:

(منها): مشروع إقامة معاهدات واتّفاقات التعاون، وهو حلّ سياسي لغرض تحقيق الوحدة الإسلامية. لكن إذا كان المقصود من هذا المشروع إقامة حكم فدرالي واحد مثل اتّحاد الجمهوريات السوفيتية السابق أو الولايات المتّحدة الأمريكية، فهو يكون شبيهاً للغاية بمشروع الحكومة الإسلامية الموحّدة؛ لأنّه يستلزم إقامة حكومة مركزية موحّدة تخضع لها جمهوريات حكم ذاتي محلّية، ويبدو أنّه لا يختلف في هذه الحالة عن مشروع الحكومة الإسلامية الموحّدة سوىٰ بالاسم وبعض الصلاحيات المحلّية.

أمّا إذا كان المقصود أن يقيم كلّ بلد إسلامي جمهورية مستقلّة مع حفظ خصوصيته القومية ولُغته وعَلَمه الوطني وعملته النقدية الوطنية، ولكن تكون بين هذه الجمهوريات الإسلامية المستقلّة علاقات تضامن وتعاون فيما بينها في مجال السياسة الخارجية والاقتصادية والصناعية والعسكرية، فهو في هذه الحالة مشروع آخر تنبغي دراسته وتدوين ضوابط هذا التعاون، وهو مشروع عملي يمكن تحقيقه بلا شكّ، فهو ليس خيالياً وأُمنية محضة مثلما هو حال المشروع سالف الذكر.

ولكن ينبغي وضع خطط عملية لتنظيم التعاون المطلوب في مجالات السياسة

الخارجية والاقتصادية والحفاظ على الثقافة المشتركة والحضارة الإسلامية والقوميات واللغات والمذاهب الإسلامية.

ويبدو أنّ هذا هو الهدف الأساس لمؤسّسي منظّمة المؤتمر الإسلامي، ولكنّه لم يتحقّق عملياً سوى في حالات خاصّة ونادرة.

وعلى أيّ حال فهذا المشروع جدير بالدراسة، ومن اللازم تشكيل لجان من مندوبي البلدان الإسلامية يتمتّعون بخبرات جيدّة في الشؤون السياسية والاقتصادية والدينية؛ لكي تتولّى مهمّة وضع البيان التأسيسي الكامل والنهائي.

وبالطبع فإنّ جوهر هذا المشروع يعارض هوية العديد من الحكومات التي تدّعي الإسلام وتعهّداتها للمنظّمات الدولية والدول الكبرىٰ، وهذا بالتحديد هو سرّ الإخفاق لمنظّمة المؤتمر الإسلامي.

إنّ الكثير من حكّام هذه البلدان وقسماً من شعوبها يعارضون لدوافع مختلفة قومية ومذهبية هذا المشروع، ويقولون: إنّ آباءنا سعوا لتأسيس دولة مستقلّة لنا ذات نظام خاصّ ومذهب معيّن وقومية خاصّة، وعلينا أن نقتفي آثارهم ونتّبع طريقهم.

إذا أرادت حركات الصحوة الإسلامية في البلدان الإسلامية الحصول على ثمار مفيدة للإسلام والمسلمين، فعليها أن تقيم فيما بينها حالةً من التعاون والتنسيق والالتفاف حول الأُصول المشتركة التي تتّفق عليها جميعاً، وفي غير هذه الحالة ستقع في تناحر داخلي فيما بينها، حتّى إذا انتصرت؛ وذلك بسبب التناقضات الموجودة داخلها، هذا فيما لو غضضنا النظر عن مؤامرات الاستكبار والصهاينة الذين يسعون لاستغلال هذه الاختلافات المذهبية والاجتهادية بأشبع صورة ممكنة.

و(منها): مشروع إقامة معاهدات واتّفاقات التعاون، وهو حلّ سياسي آخر لتحقيق الوحدة الإسلامية، ومعلوم أنّ هذا المشروع يجري تنفيذه عملياً بين بعض البلدان الإسلامية مثل: إيران وتركيا والباكستان وبلدان أُخرى انضمّت إليها فيما بعد ضمن إطار منظّمة «أُكو».

ومن سبل تطبيقه المعاهدات المختلفة في المجالات الدفاعية والاقتصادية والثقافية المشتركة بين مجموعة من البلدان، وهذه سنّة معروفة منذ أقدم العصور.

وحقيقة الأمر هي أنّ معاهدة التعاون بين المسلمين في مختلف الأبعاد الثقافية والدفاعية والاقتصادية هي من صلب الإسلام، فالآية الكريمة: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: ٢)، والحديث الشريف: «من أصبح لا يهتمّ بأُمور السملمين فليس بمسلم»، وأمثالهما، توجب على المسلمين التعاون والتنسيق في جميع القضايا الإسلامية العامّة والاهتمام بأُمور المسلمين، وهذا واجب إسلامي عامّ وحتمي علىٰ كلّ مسلم حتّى لو لم يكن ثمّة معاهدة أو اتّفاقية مدوّنة بشأنه.

وهنا ينبغي الالتفات إلى عدّة أُمور:

أوّلاً: مثل هذه المعاهدات يمكن أن تكون شاملة لجميع المجالات الدفاعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، كما يمكن أن تنحصر في بعض هذه المجالات.

ثانياً: يمكن عقد هذه المعاهدات الشاملة أو المحدودة بين جميع البلدان الإسلامية أو بين عدد منها، وتوجد مشاكل وعقبات تختصّ بكلّ نوع، أهمّها مشكلة تبعية الكثير من هذه البلدان للدول الكبرىٰ كأمريكا وإنجلترا! وهذه التبعية تمنع عقد مثل هذه المعاهدات بين المسلمين، حتّى إذا دخلت هذه البلدان التابعة في مثل هذه المعاهدات فإنّ تحرّكها يتوجّه إلى التشكيك العملي في أصل جدوى تلك المعاهدات أو الكشف عن أسرار البلدان الإسلامية واطّلاع القوىٰ الكبرى عليها، الأمر الذي يجعل هذه القوى تمسك بخيوط توجيه العمل بهذه المعاهدات، فيكون ضررها على المسلمين أكثر من نفعها، وبالتالي تحوّلها إلى صورة لا محتوى لها أو تدمّرها بالكامل.

ثالثاً: يجب ـ وكما هو واضح ـ أن يبادر المسلمون بأنفسهم بعيداً عن تدخّل الدول غير الإسلامية إلى عقد معاهدات فيما بينهم؛ ليتخلّصوا من شرورهم. ولكن وجود أصابع الاستكبار في البلدان الإسلامية يسبّب الآثار السيّئة المشار إليها سابقاً، فيكفي دخول حكومة واحدة أو أكثر من الحكومات العميلة في هذه المعاهدات لتحويلها إلى وسيلة

لخدمة المصالح الاستكبارية . فأيّ سبيل نسلكه وأيّ حلّ نفكّر فيه لتحقيق الوحدة السياسية بين المسلمين ينبغي أن يكون شرطه الأوّل عدم التبعية للقوى الكبرىٰ، وهذا الشرط مفقود، كما هو مشهود لمن يلاحظ أوضاع حكومات البلدان الإسلامية.

رابعاً : أنّ ما يُقال من أنّ على المسلمين أن يعقدوا بصورة مستقلّة المعاهدات المطلوبة بعيداً عن تدخّل الأجانب، لا يمنع البلدان الإسلامية من الدخول في المعاهدات الدولية مثل منظّمة الأُمم المتّحدة ومجلس الأمن والمعاهدات الثقافية والصحّية وأمثالها ، ولكن شريطة أن لا تصدّها هذه المعاهدات عن التعاون فيما بينها في سبيل تحقيق المصالح الإسلامية العامّة.

و(منها) : مشروع الحكومة الإسلامية الموحّدة، وهو حلّ سياسي آخر لتحقيق الوحدة الإسلامية بين أبناء الأُمّة، غير أنّ محلّه عالم الخيال ! ويمكن ذكره كأُمنية لا يمكن تجسيدها في الواقع العملي أبداً، بل يكفي مجرّد عرضه على الأُمّة الإسلامية كمشروع مقترح، وهو يدعو جميع الشعوب والبلدان الإسلامية إلى الاندماج في دولة إسلامية كبرىٰ يجب أن تقيم مؤسّسات واسعة موحّدة، وتدمج جميع الأجهزة السياسية والقضائية والمالية والعسكرية للبلدان الإسلامية، وتوحيد اللغة الرسمية في لغة واحدة أو اثنتين، وتشكيل علم واحد وعملة مشتركة.

ويدعو لهذا المشروع عادة الذين ينظرون إلى ملحمة انتصار الإسلام في أيّامه الأُولى، ويؤكّدون أنّها لا تختصّ بزمن خاصّ، بل تمثّل قدوة دينية مقدّسة ومثالاً للحكومة الإسلامية، دون أن ينتبهوا إلى المشاكل العملية التي تواجهها هذه الدعوة على الصعيد العملي.

صحيح أنّ العالم الإسلامي حظي بحكومة موحّدة ومركزية قويّة في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وما بعده، وأنّ حركات الخروج عليه لم تنجح في إقامة حكومات انفصالية ، وأنّ الحال استمرّ على هذا المنوال في بدايات العصر العبّاسي رغم وقوع العديد من ثورات العلويّين والخوارج وحركات التمرّد المحلّية، ولكن هذا الوضع تغيّر بعد ذلك. ففي النصف

الثاني من القرن الهجري الثاني أُقيمت حكومتان مستقلّتان في المغرب الإسلامي من قبل فريقين متخاصمين: الأُولى أسّسها في مراكش العلويّون الأدارسة على يد إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنّىٰ بن الحسن بن علي المتوفّى سنة ١٧٧ هـ، والثانية في ليبيا وتونس، وقد أسّسها عبدالرحمان بن رستم المتوفّى سنة ١٧١ هـ، وهو على مذهب الخوارج، وقد استمرّ الحكم بيد آله مدّة طويلة في مقابل حكومة الأدارسة العلوية.

كما أُقيمت حكومات انفصالية في شرق العالم الإسلامي تحدّثت عنها كتب التاريخ، مثل دولة الصفّاريّين وغيرها.

وقبل ذلك أسّس عبدالرحمان الداخل المتوفّى سنة ١٧٢ هـ الدولة الأُموية في الأندلس في عهد الخليفة العبّاسي المنصور الدوانيقي، وأخرج الأندلس من سلطة العبّاسيّين إلى الأبد.

وفي أواسط العصر العبّاسي وأواخره أُقيمت عدّة حكومات مستقلّة في الشرق الإسلامي نفسه، وإن كانت في الظاهر تقرّ بالولاء للخليفة العبّاسي، وتعاقبت على حكم بلدانه، حتّى جاء المغول الذين أسقطوا الخلافة العبّاسية، وتقاسمت العالم الإسلامي حكومات مستقلّة أقامها العديد من الأُسر المختلفة، واستمرّ الوضع على هذا المنوال إلى اليوم رغم أنّ القرن الهجري العاشر شهد وجود ثلاث دول قويّة حكمت البلدان الإسلامية المهمّة، وهذه الدول هي:

١ ـ الخلافة العثمانية التي سيطرت على مناطق كثيرة من العالم الإسلامي من سنة ١٥١٦ م حتّى عام ١٩٢٤ م، شملت أواسط أفريقية من الغرب إلى العراق من الشرق إضافة إلى جميع البلدان العربية، وكانت تتبنّى المذهب الحنفي من بين المذاهب السنّية.

٢ ـ الدولة الصفوية التي حكمت إيران ومناطق تمتدّ من حدود الدولة العثمانية إلى قسم مهمّ من البلدان الواقعة شمال إيران وشرقها، وكانت تتبنّى المذهب الشيعي الاثني عشري، واستمرّ عهدها من سنة ١٦٠٢ م إلى سنة ١٧٣٦ م.

٣ ـ الأُمبراطورية التيمورية العظيمة في شبه القارّة الهندية.

وقد شهدت كلّ من هذه الدول الثلاث تغييرات عديدة، وتقاسمت الأراضي التي كانت تحكمها حكومات محلّية صغيرة، ثمّ خضعت للاستعباد الشرقي أو الغربي، كما هو مذكور في كتب التاريخ.

والعديد من المسلمين ـ وخاصّة من أهل السنّة ـ أخذوا يفكّرون بضرورة عودة الدولة الإسلامية القويّة والموحّدة، وقد ظهر هذا التيّار في أواخر العهد العثماني وقبيل الحرب العالمية الأُولى داعياً إلى تجديد حياة الخلافة الإسلامية الموحّدة، وأُسّست نهضة الخلافة في شبه القارّة الهندية ومصر كما هو معروف، ومازال بعض المسلمين الثوريّين في مصر وغيرها يحلمون بتحقيق هذه الأُمنية.

ويذكر هنا أنّ السيّد جمال الدين الأسد آبادي الشهير بالأفغاني كان يحمل هذه الفكرة أيضاً، وإن كان من غير المعروف على نحو الدقّة الهدف الحقيقي للسيّد من دعوته الوحدوية لزعماء البلدان الإسلامية، وخاصّة الخليفة العثماني السلطان عبدالحميد والملك القاجاري الإيراني ناصر الدين شاه. والمقدار الثابت أنّ السيّد اهتمّ بدعوة المسلمين إلى اليقظة والوحدة السياسية طوال عمره، وخاصّة في أواخر حياته عندما كان يدعو إلى الاتّحاد الإسلامي وهو يعيش في إسطنبول، لكنّه لم يحقّق هدفه رغم كلّ المساعي التي بذلها، ومن المهمّ هنا معرفة ما إذا كان قد أعدّ لتحقيق هذا الهدف أم لا.

ولكن هذا المشروع مثالي محض، وليس عملياً؛ لأسباب عديدة، أهمّها:

أوّلاً: أنّ أيّاً من حكومات التجزئة الحاكمة في البلدان الإسلامية حالياً وذات الاتّجاهات المتباينة غير مستعدّة للتخلّي عن سلطتها، وهذا واقع معروف لا يحتاج إلى توضيح.

ثانياً: حتّى لو قبلت الحكومات بذلك، فإنّ بعث المشاعر القومية خلال القرن الأخير بين الشعوب الإسلامية تقليداً للغرب ونتيجة للجهود الاستكبارية المكثّفة والمستمرّة إلى اليوم، أوجد حالة مضادّة لهذا المشروع، ونحن نعلم بأنّ الاستكبار الغربي نجد في إثارة المشاعر القومية بين الشعوب الإسلامية ذات الانتماءات القومية المتعدّدة أفضل وسيلة

لتمزيقها واستغلالها لتحقيق مطامعه والسيطرة عليها، وهو أمر لا يمكنه تحقيقه إذا اتّحدت هذه الشعوب على أساس الإيمان بالإسلام والمشتركات الدينية.

ثالثاً: حتّى لو نسّقت الشعوب الإسلامية تحرّكها واستعدّت لإقامة دولة إسلامية موحّدة وخضعت حكوماتها غير الإسلامية لمطاليبها ـ وهذه أُمنية فرضية بعيدة الحصول ـ فهل يمكن تصوّر أنّ الاستكبار الغربي سيسمح بذلك، وهو الذي فرض سلطته سنين طويلة بل قروناً متمادية على العديد من بقاع العالم الإسلامي مستغلّاً تفرّقها؟!

و(منها): مشروع المجلس القيادي الموحّد، وهو حلّ سياسي آخر لتحقيق الوحدة الإسلامية، وقد ورد الحديث به أوّل مرّة في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، وتناول مصداقين له:

الأوّل: هو الذي ينتخبه مجلس خبراء القيادة الإسلامية عندما لا يبرز أحد الفقهاء بخصوصية قيادية مميّزة، فينتخب الخبراء عدداً من الذين يتحلّون بشروط القيادة؛ لكي يتولّوا قيادة الأُمّة بصورة جماعية وعلى أساس مبدأ الشورىٰ، ولكن الدستور لم يحدّد ضوابط طريقة عمل هذا المجلس، وقد تمّ حذفه عند إعادة النظر في الدستور وإجراء الإصلاحات الدستورية، وذلك في ضوء التجارب غير الناجحة لعمل المجالس المماثلة مثل المجلس القضائي وغيره، ولعلّ الحذف جاء لأسباب أُخرى، ولكن عنوان مجلس القيادة بقي في الفصل الثامن من الدستور، والمقصود منه هو النوع الثاني.

والثاني: هو الذي يتمّ تشكيله عند وفاة القائد أو استقالته أو عزله؛ لكي يتولّى القيام بمهمّات القائد إلى حين انتخاب خبراء مجلس القيادة لقائد آخر، ويتشكّل هذا المجلس من رئيس الجمهورية ورئيس القوّة القضائية وأحد فقهاء مجلس صيانة الدستور الذي ينتخبه مجمع تشخيص مصلحة النظام. وهذا المجلس هو في الحقيقة خليفة مؤقّت للقائد، ولا يختلف عنه بشيءٍ يستدعي المزيد من البحث.

أمّا إذا كان المجلس القيادي دائماً ويرتبط بجميع البلدان الإسلامية، فإنّ ذلك سيفتح الطريق لها جميعاً للمشاركة في انتخاب الأعضاء، فينتخب كلّ منها عضواً قيادياً من بين

علمائه ومذهبه، أي: أنّ تشكّل مجلساً قيادياً من القادة المنتخبين من قبل الشعوب أو الحكومات في البلدان الإسلامية؛ لكي يتولّى القيام بمهمّات القيادة.

ولكن هل هذا المشروع عملي؟ ثمّ ألا يؤدّي إلى الاصطدام بمسؤوليات القائد الحازم والشجاع للجمهورية الإسلامية؟

إنّ دائرة عمل هذا المجلس القيادي تشمل المصالح المرتبطة بعموم العالم الإسلامي، وليس الشؤون الداخلية لبلدٍ معيّن، وعليه فإنّ حكم قائد الثورة الإسلامية الإيرانية ـ وطبقاً لمسؤولياته وصلاحياته ـ نافذٌ في الشؤون الداخلية للبلد. أمّا فيما يرتبط بالقضايا المرتبطة بالعالم الإسلامي كافّة فإنّ رأيه سيكون مدعوماً برأي القادة الآخرين، وحكم المجلس القيادي هو النافذ بشأن هذه القضايا.

وهذا المشروع ربّما كان أكثر المشاريع الأُخرى نجاحاً في الجانب العملي لتحقيق الوحدة السياسية للعالم الإسلامي. وبالطبع ينبغي هنا أن تكون طريقة انتخاب القادة وأعضاء هذا المجلس والشروط التي ينبغي توفّرها فيهم منسجمةً مع الشروط الواردة في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وثمّة صورة أُخرى يمكن فرضها كمصداقٍ للمجلس القيادي، وهي: أن تنتخب البلدان الإسلامية أعضاء مجلس قيادي استشاري يستعين قائد الثورة الإسلامية الإيرانية بآراء أعضائه فيما يرتبط بالقضايا الإسلامية العامّة، أي: أنّ دور المجلس هو استشاري، أمّا حقّ اتّخاذ القرار فهو بيد قائد الثورة.

و(منها): مشروع وحدة القائد، وهو حلّ سياسي آخر لتحقيق الوحدة الإسلامية. ولهذا المشروع أنصار أقوياء في الجمهورية الإسلامية، ويُستفاد من طيّات كلام الإمام الخميني والإمام الخامنئي وعدد من قادة الثورة تأكيدهم على هذا النمط من الوحدة الإسلامية.

الداعون لوحدة القيادة ـ وذلك من بين دعاة الوحدة الإسلامية الذين لديهم اتّصالات بطريقة أو بأُخرى بالمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ ليسوا قلّة، وبعضهم

من أعضاء المجلس الأعلى للمجمع، ويؤكّد العديد من المفكّرين الإسلاميّين ـ وذلك من أمثال الدكتور كليم صدّيقي ﷺ رئيس مؤسّسة البحوث الإسلامية في لندن والأُستاذ إبراهيم زكزكي زعيم حزب الوحدة الإسلامية في نيجيريا والأُستاذ محمّد هادي آونك الزعيم الثوري الماليزي وغيرهم ـ وحدة القيادة الإسلامية، ويصرّون عليها في مقالاتهم أو الكلمات التي يلقونها في مؤتمرات الوحدة الإسلامية التي يقيمها المجمع العالمي للتقريب كلّ عام في أُسبوع الوحدة.

وهذا المشروع أكثر واقعية بملاحظة خصوصيات الأوضاع الحالية للعالم الإسلامي، كما أنّه أقرب إلى طبيعة السنن التي كانت تحكم العلاقات بين السنّة والشيعة في العصر الإسلامي الأوّل، أي: سنّة الإمامة وسنّة الخلافة. يضاف إلى ذلك أنّ التجربة الناجحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية بيّنت بوضوح ملموس الآثار المباركة لوحدة القيادة في حلّ المشاكل الداخلية للدولة الإسلامية وسائر المجتمعات الإسلامية قدر الإمكان، حتّى أصبح نظام وحدة القيادة الثورية في إيران منار أمل للكثير من التيّارات والحركات الإسلامية، وأصبحت الجمهورية الإسلامية الإيرانية «أُم القرىٰ» بالنسبة للعالم الإسلامي. يضاف لذلك أنّ عناصر هذا المشروع متوفّرة في الواقع خلافاً للمشاريع الأُخرى، وغاية الأمر أنّ تنفيذه يحتاج إلى تحديد الخطط العملية لتوحيد القيادة الإسلامية للعالم الإسلامي وجميع الشعوب الإسلامية، وهو يشتمل على بعدين عامٍّ وتفصيلي، أو تحديد القضية الكبرىٰ والصغرىٰ، أي: أنّنا نقول تارةً: إنّ توحيد القيادة الإسلامية هو طريق الوحدة الإسلامية، وتارةً أُخرى نقول إضافة إلى هذا الحكم الكلّي العامّ: إنّ اتّباع قيادة إيران الإسلامية أفضل طريق للوحدة الإسلامية.

ويمكن تأييد القول الأوّل بدليلين، هما:

١ ـ إنّ هذا المشروع ينسجم مع أُصول كلا الفريقين؛ إذ تؤكّد كتبهما الكلامية وحدة الإمام والخليفة في كلّ عصر. فالشيعة الإمامية يؤمنون بأنّ الإمام معصوم ومنصوب من قبل الله تعالى ورسوله ﷺ ويعتبرون أنّ من ضروريات المذهب وجود إمام في كلّ عصر. أمّا

الشيعة الزيدية فلا يؤمنون بوجوب العصمة فيه والنصّ عليه، ويشترطون فيه الشجاعة والعلم والعدالة والانتماء النسبي للنبي الأكرمﷺ والقيام بالسيف، وثمّة خلاف بينهم في جواز تعدّد الأئمّة في عصر واحد إذا توفّرت فيهم هذه الشروط، وكان للزيدية في بعض العصور أكثر من إمام واحد في الوقت نفسه. أمّا في مذهب الخوارج وخاصّة «الإباضية» فإنّ وحدة الإمام والقيادة عندهم أصل ثابت، وهم يؤمنون بنوعين من الأئمّة: الأوّل: إمام الدعوة، ويمكن أن يكون أكثر من واحد في العصر الواحد. أمّا الثاني فهو: إمام القيام، وهذا يجب أن يكون واحداً لا أكثر في كلّ عصر.

فوحدة القيادة أمر ثابت لدىٰ أغلب الفرق الإسلامية، وخاصّة في عهود الإسلام الأُولى، وهذه العقيدة مازالت راسخة في أذهان معظم الإسلاميّين الثوريّين.

٢ ـ إنّ شرط نجاح كلّ نهضة سياسية هو وجود القيادة الموحّدة صاحبة الكلمة الفصل، وهذا هو سرّ انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في حين أنّ تعدّد القيادات هو السبب الرئيسي لإخفاق الحركات الإسلامية في بلدان المسلمين الأُخرى.

أمّا القول الثاني فيمكن ترجيحه على النحو التالي: بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني ﵀ حدّدت في دستور الجمهورية الإسلامية شروط وضوابط خاصّة بانتخاب القائد، تنسجم تقريباً مع الشروط والضوابط التي تعتقد أغلب الفرق الإسلامية بلزوم توفّرها في الإمام أو الخليفة أو ولي الأمر، كما توخّيت الدقّة الكاملة في تحديد ضوابط طريقة انتخابه ومسؤولياته وصلاحياته. وممّا لا شكّ فيه أنّه لا يوجد في العالم الإسلامي لا في الماضي ولا في العصر الحاضر مثل هذه الأُصول القانونية المدوّنة بشأن ولي أمر المسلمين، خاصّة بعد إعادة النظر فيها وإصلاحها استناداً إلى معطيات تجربتها في الواقع العملي.

وبعبارة أُخرى: فإنّ نظام القيادة الإسلامية تمّ تطبيقه في إيران عمليّاً، ولا نظير له في البدان الأُخرى، كما أنّ من المستبعد إيجاد مثل هذا النظام خاصّة مع ملاحظة الأوضاع السائدة فيها.

يضاف إلى ذلك أنّ الجميع شاهدوا خلال الأعوام الأخيرة أنّ إيران الإسلامية كانت من بين الدول القليلة التي التزمت الموقف الرسالي الإسلامي من قضايا العالم الإسلامي، وعرّضت بسبب ذلك لمختلف الأخطار والهجمات المعادية، وهذه الظاهرة هي ثمرة لاستقلالها السياسي والثقافي وعدم ارتباطها بالقوىٰ الدولية السلطوية، في حين أنّ معظم حكومات البلدان الإسلامية ترتبط بصورة أو بأُخرى بهذه القوى، ولا تستطيع الوقوف بصلابة وصراحة بوجه أعداء الإسلام.

فمادام الآخرون لا يحظون بمثل هذه القيادة السياسية الدينية القوية والمخلصة والصريحة فإنّ عليهم كحدّ أدنى أن يقتدوا بقائد الثورة الإيرانية بشأن مواقفه من القضايا المهمّة التي ترتبط بالمسلمين كافّة ويدعموا مواقفه لكي يعلن بصراحة المواقف التي لا يستطيعون هم التصريح بها، فيتحدّث ويتحرّك عنهم جميعاً. وهذا يخفّف مسؤوليتهم وواجبهم، ويزيد من خطورة مسؤولية وواجبات قائد الثورة الإسلامية الإيرانية الذي ينهض بهذه المسؤولية الجسيمة شريطة أن تقف إلى جانبه حكومات البلدان الإسلامية الأُخرى وتدعم مواقفه.

وواضح أنّ هذا الأمر لا يمسّ استقلال أيٍّ منها، فهي تحتفظ بحرّيتها واستقلالها في جميع شؤونها السياسية والاقتصادية والدينية والوطنية، دون أن يتدخّل أحد فيها، ولكن بحكم انتمائها الإسلامي عليها أن تقف في صفّ واحد: ﴿ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (سورة الصفّ: ٤)، في ظلّ القيادة الإسلامية، وتدعمها عند اللزوم دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

* أمّا مبرّرات أمل تحقّق الوحدة: فهي الأسباب والحقائق الداعية إلى وجود الأمل بتحقّق وحدة الأُمّة.. وأهمّ ما يبرّر هذا الأمل ما يلي:

أوّلاً: وجود المتابعة والمواصلة من قبيل الشخصيات التي حملت مشعل الوحدة وعدم الانسحاب من الميدان رغم الجراحات التي تعرّض لها هؤلاء ويتعرّض لها عادة كلّ من يتصدّى لهذا الأمر المهمّ، من الجهات الصديقة ومن الجهات المضادّة والمعادية

للإسلام.

ثانياً: وجود مراكز مؤسّسات متمخّضة لخدمة الأهداف الوحدوية بين أبناء الأُمّة الإسلامية، ممّا يجعل قضايا الوحدة أكثر جدّية وذات أبعاد فعلية ومستقبلية، ويدفع بعجلة الوحدة إلى أمام، ويخرجها من دائرة الحلم إلى ميدان الواقع.

ثالثاً: الظروف السياسية المحلّية والإقليمية والدولية التي تزداد جراحة يوماً بعد آخر، والتي عجّلت في وعي الأُمّة وساهمت في تنضيج الذهنية الإسلامية وطموحات الرسالة، وهذه الظروف وإن كانت في ظاهرها تشكّل عنصر ضغط لتذويب إرادة الأُمّة وتفتيت قدرتها، إلّا أنّ لكلّ فعل ردّ فعل يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتّجاه ويقع وإيّاه على خطّ فعل واحد، كما هو مقتضى القانون الثاني من قوانين «إسحاق نيوتن». هذا على صعيد الموادّ الجامدة غير الواعية وغير العاقلة، وأمّا على صعيد الأُمم والشعوب ـ وكما يستفاد ذلك من دراسة التاريخ بل والواقع المعاش ـ فإنّ ردّ الفعل قد يكون أضعافاً مضاعفة، وقد يفوق حدّ التصوّر أحياناً وجود الطاقة الإيمانية التي لا يمكن أن تخضع للحسابات المختبرية الصامتة. وعلى أيّة حال فإنّ الأُمّة الإسلامية باتت اليوم أكثر من أيّ وقت مضى تحسّ بضرورة الوحدة ونبذ الخلافات جانباً، ولا بدّ من التصدّي لأعداء الأُمّة الذين يريدون ابتلاعها ومصادرة شخصيتها وإلغاء هويتها.

رابعاً: انفتاح نافذة الحوار الإيجابي الذي يحلّ كثيراً من الإشكاليات ويرفض العديد من حالات الغموض وسوء الظنّ.

خامساً: التنظير للمشروع الوحدوي في أبعاد مختلفة، كالبعد التفسيري، والبعد الفقهي، والبعد الأُصولي، والبعد العقائدي والكلامي، والبعد التاريخي، والبعد السياسي، وتأسيس مناهج نظرية وعملية، وتقعيد الفكر الوحدوي من خلال أُطروحات عميقة ودقيقة مبنية على أساس الواقع الموجود، لا على أساس واقع متخيّل ومتصوّر، وعلى أساس فهم الآخر ودرك محيطه.

وقد يعدّ هذا أهمّ ركيزة تحمل البشائر، وتجعلنا نحسب للأهداف الوحدوية حساباً،

وتقلب تصوّراتنا إلى تصديقات.

هذا كلّه ما يتعلّق بالبحث الثالث.

وأمّا ما يتعلّق بالبحث الرابع ـ وهو التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ فأقول:

إنّ محاور هذا البحث الرئيسية هي: تعريف التقريب ـ آليات التقريب ـ أُسس التقريب وقواعده ـ عوائق وموانع التقريب وشبهاته ـ سبل ووسائل وعوامل نجاح التقريب ـ مجالات التقارب ـ أهداف التقريب ـ ضرورة التقريب وسبل مواجهة موانعه.

* أمّا تعريف التقريب: فالتقريب لغةً: ضدّ التباعد ونقيضه، كما جاءت هذه اللفظة بمعنىٰ التفاعل والامتلاء والإسراع ونحوها.

أمّا اصطلاحاً: فقد تعدّدت التعاريف المختارة لهذا الاصطلاح المهمّ جدّاً، وأغلبها تصبّ في مصبّ واحد، كما يلمسه القارئ حين يطّلع على التعاريف التي صيغت لهذا المصطلح..

فقد عرّفه الشيخ محمّد علي التسخيري الأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بأنّه: التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية بغية تعرّف بعضهم على البعض الآخر على طريق تحقيق التآلف والأُخوّة الدينية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة.

كما عرّفه أيضاً سماحة الشيخ التسخيري بأنّه: التمسّك بالمبادئ والأُصول الإسلامية المسلّم بها، والتعاون في المساحات المشتركة بين المذاهب، والسعي الحثيث لكشف هذه الميادين المتّفق عليها وتوسيعها، ورجوع كلّ فرد إلى مذهبه الخاصّ في الأُمور التي تختلف فيها المذاهب، وما أقلّها! وتعذير الواحد منّا الآخر فيما نختلف فيه من اجتهادات، وتنمية الآداب والأخلاق التقريبية، كالتآلف وحسن الظنّ والرقي بمستوىٰ التفاهم والإحساس بالأُخوّة والتكافل.

وعرّفه الشيخ محمّد واعظ زادة الخراساني الأمين العامّ السابق للمجمع بأنّه: بذل الجهود العلمية في سبيل إزالة الفوارق التي باعدت بين المذاهب الإسلامية وأئمّتها

وأتباعها، وتحسين العلاقة بين الأئمّة وعلماء المذاهب، وتكوين الجوّ الهادئ، والتعارف بينهم على أساس المشتركات بين المذاهب.

كما عرّفه الشيخ جعفر السبحاني أحد مراجع التقليد في قم بأنّه: التقريب بين قادة المذاهب وأتباعها برسم الخطوط العريضة المشتركة التي تجمع المذاهب الإسلامية في مجالي العقيدة والشريعة، وترك بعض الخلافات الجانبية.

وعرّفه الأستاذُ زكي الميلاد مدير تحرير مجلّة «الكلمة» التي تصدر في قم بأنّه: تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية التي تلتقي على الأُصول العامّة والثابتة في مجالات الفقه والأُصول والكلام وعلوم القرآن والحديث، وإزالة سوء الفهم المتبادل، والعمل على ما هو متّفق عليه، وتجنّب ما هو مختلف فيه في إطار العلاقات العامّة.

وعرّفته الدكتورة مريم بنت حسن آل خليفة رئيسة جامعة البحرين بأنّه: الفعل الدالّ على عدم التباعد، أو هو: كلّ الأفكار والأفعال والاجتهادات المؤدّية إلى التقارب بين المذاهب الإسلامية، وذلك من أجل تحقيق هدف أساسي، وهو الوصول إلى الأمن النفسي وتدعيم الثقة وتعزيز التعاون على البرّ والتقوى، أو هو: الإقرار بالاختلاف مع الإقرار بضرورة عدم التباعد والتناحر، والعمل على إزالة كلّ ما يشكّل طعناً للآخر.

كما عرّفه الدكتور عبدالسلام العبادي رئيس مجلس أُمناء جامعة آل البيت في الأردن بأنّه: إبراز الجوامع المشتركة، واحترام الفروق في إطار التأكيد على وحدة الأُمّة.

وعرّفه الشيخ الدكتور علاء الدين زعتري الأُستاذ بجامعة دمشق بأنّه: اتّحاد المسلمين على أُصول الإسلام، وتعذير البعض للبعض الآخر في فهم النصوص مادامت تحتمل ذلك، والدعوة إلى التعاون على البرّ والتقوىٰ لإصلاح أحوال المسلمين، فهو وسيلة لجمع الشمل ورأب الصدع وتبادل حسن الظنّ ومنح التقدير للآخر صيانةً لوحدة الأُمّة الإسلامية.

كما عرّفه الشيخ تاج الدين الهلالي المفتي العامّ لقارّة أُستراليا بأنّه: انفتاح علمي واستقراء فقهي للتعرّف على أدلّة أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة للوقوف على

حجّتهم فيما اختلف فيه من أحكام فقهية، والغاية منه اتّساع المدارك والأفهام، ومعرفة أكثر من طريق وبرهان ودليل يصل إلى الغاية التعبّدية لتطبيق النصوص الشرعية.

كما عرّفه الدكتور محمّد الدسوقي المصري أُستاذ الشريعة الإسلامية في الجامعة القطرية بأنّه: محاولة لكسر شوكة التعصّب، وجمع كلمة الأُمّة على أُصول عقيدتها والمبادئ الأساسية لدينها.

وأخيراً عرّفه الدكتور أحمد عبدالرحيم السائح المصري الأُستاذ في جامعة قطر والأزهر وأُمّ القرىٰ بأنّه: اتّحاد أهل الإسلام على الأُصول الإسلامية التي لا يكون المسلم مسلماً إلّا بها، وأن ينظر الجميع فيما وراء ذلك نظرة من لا يبغي الغلب بل يبغي الحقّ والمعرفة الصحيحة، والتركيز على النقاط المشتركة، كوحدة الغاية ووحدة المنهج ووحدة القيادة ووحدة العقيدة.

ولا يخفىٰ أنّ بعض هذه التعاريف ليس دقيقاً، كتعريف التقريب بالتقريب، أو تعريف التقريب بذكر هدفه دون ماهيته. ولسنا هنا في مقام مناقشة هذه التعاريف وأيّها الأقرب إلى واقع الحال وإلى الحقيقة، فهذا له محلّ آخر.

* أمّا آليات التقريب: فهي الوسائل المتاحة للوصول إلىٰ التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتضمّ:

١ ـ الاعتراف بالمذاهب الإسلامية، وبصحّة التعبّد بها، وترك الهجوم من أتباع بعضها على بعضها الآخر.

٢ ـ تطبيق مبدأ التسامح المذهبي، وغرس مفهومه بين الأتباع.

٣ ـ التوقّف عن محاولات الإقصاء والإبعاد المذهبي، ومحاولات الحلول محلّ الذي أُقصي وأُبعد.

٤ ـ الأخذ بمبدأ المقارنة في الدراسات الإسلامية، حتّى يتيسّر لجميع المسلمين الاطّلاع على آراء وأحكام المذاهب الإسلامية المختلفة، والابتعاد عن المناظرات التي تعضد هذا وتقلّل من ذاك.

٥ ـ تشجيع مبدأ البحث العلمي الحرّ بعيداً عن الاضطهاد الفكري والإرهاب الثقافي، ونشر البحوث العلمية في كلّ أقطار المسلمين وبمختلف لغاتهم؛ كي يتسنّىٰ لكلّ المسلمين الاطّلاع على نتائج هذه الأبحاث.

❋ أمّا أُسس التقريب وقواعده: فهي الأُصول والركائز التي يعتمد عليها التقريب بين المذاهب الإسلامية.. والتي يمكن إجمالها فيما يلي من أُمور:

الأمر الأوّل: أنّ الأُمّة الإسلامية بجميع مذاهبها وأقوامها وشعوبها أُمّة واحدة، وأنّ الوحدة هي ركن من أركان الإسلام. وما أجمل ما قاله الإمام كاشف الغطاء داعية الوحدة الإسلامية: «بني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة»! وأنّ المسلمين ما وصلوا ولن يصلوا إلى تحقيق أهداف الإسلام السامية إلّا بالوحدة، وأنّ عزّ المسلمين ومجدهم رهين وحدتهم، وليس بعد اختلافهم وتنازعهم إلّا ضعف الشوكة وحلول الوهن بهم.

الأمر الثاني: أنّ الأُصول الأساسية للإسلام لا خلاف فيها بين المسلمين، فكلّهم يعتقدون بتوحيد الربّ تعالى، وبنبوّة نبيّنا محمّدٍ والأنبياء قبله (صلوات الله عليهم أجمعين)، وبالمعاد، والجنّة والنار، وبالصلاة والصوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ كتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، إلى غير ذلك من أركان العقيدة والعمل. ولا يخفىٰ أنّ هذه الأُصول المتّفق عليها والمشتركة بين المذاهب الإسلامية هي بالذات ملاك الأُخوّة الإسلامية ومعيار وحدة الأُمّة، دون غيرها من المسائل المختلف فيها والآراء الخاصّة بكلّ مذهبٍ، والتي تدخل في معايير المذاهب نفسها دون أصل الإسلام.

الأمر الثالث: أنّ دعوة الناس إلى وحدة الأُمّة لا يُعنىٰ بها رفض المذاهب كلّها أو بعضها، كما لا يراد بها إدغام المذاهب والمساومة عليها، وذلك بأخذ شيءٍ من كلّ مذهبٍ ورفض شيءٍ بحيث تكون الحصيلة صفقة مرضية لأتباع المذاهب، كما لا يُعنىٰ بها تبديل مذهبٍ أو إحداث مذهبٍ جديدٍ في الإسلام، كما لا يُعنىٰ به الاكتفاء بالمشتركات ورفض موارد الاختلاف والإعراض عنها تماماً. نعم، لا يراد بالوحدة والتقريب شيئاً من هذه

الوجوه المتصوّرة التي ربّما يوجد لكلٍّ منها أنصار بين المسلمين الذين يدعون إلى وحدة الأُمّة، بل يراد التأكيد والركون إلى المشتركات في حقل العقيدة والشريعة باعتبارها الأُصول الأساسية للإسلام، وكونها معياراً للأُخوّة الإسلامية ووحدة الأُمّة. هذا مع الاحتفاظ بالمذاهب والاحترام المتقابل بين أتباعها فيما وراء هذه الأُصول من المسائل الجانبية الفرعية التي يسوغ الخلاف فيها في إطار الدليل والبرهان، والتي تعتبر غير ضرورية، ويكون باب الحوار والاجتهاد فيها مفتوحاً. إنّ الاختلاف في مثل هذه المسائل مقبول ولا ضير فيه، بل لا مناص منه، فلكلّ ذي رأيٍ رأيه: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...** ﴾ (سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩)، أي: للرحمة، أو للاختلافات على الخلاف، حسب تعبير الإمام كاشف الغطاء في إحدىٰ مقالاته.

الأمر الرابع: قد تبيّن ممّا سبق أنّ المراد بالمذاهب الإسلامية هي المذاهب التي تؤمن بتلك الأُصول الأساسية العقائدية والعلمية التي يلتزم أتباعها بالعمل بها بحيث يمكن أن يدخلوا في إطار الأُمّة الإسلامية ويُعَدّوا مسلمين، والذين ينكرون أصلاً من تلك الأُصول فنحن لا ندعوهم إلّا إلى الأخذ بما أخذ به إخوانهم المسلمون ليدخلوا في زمرة الأُمّة الإسلامية.

الأمر الخامس: لا بدّ من تعيين المشتركات والأُصول الأساسية للإسلام ـ وإن كانت معلومةً إجمالاً ـ من قبل نُخبةٍ من علماء المذاهب الإسلامية في مؤتمرٍ عامّ، وفي لجان تخصّصية مهمّتها تشخيص الأُصول المتّفق عليها؛ لتكون معياراً للحكم علىٰ من لا يلتزم بها، أو بشيءٍ منها بأنّه خارج عن الأُمّة أو أنّه غير مسلم.

الأمر السادس: مادام لم يوضّح ويحدّد هذا المعيار (الكفر والإيمان) فليس لأحد رمي الآخرين بالكفر، كما أنّه لايجوز المسارعة في الحكم به على أهل القبلة وعلى كلّ مَن التزم بالأُصول الإسلامية المتّفق عليها، وحتّى لو شُكّ في التزامه بها، بل ويجب الاجتناب بشكل قاطعٍ عن تشكيل محكمةٍ من قبلنا لتقسيم الجنّة والنار بين المسلمين، ولكن وجب أن نوكل هذا الأمر إلى الله تعالى، فإنّه الحكم العدل بين عباده: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ**

ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة النحل: ١٢٤).

الأمر السابع: المسائل الخلافية يجب أن تُبيّن على يد علماء المذاهب واعتماداً على المصادر المعتبرة عندهم، ولا يجوز الاستناد إلى الإشاعات والأقوال غير المسندة، أو إلى ما يروّجه أعداء كلّ مذهبٍ جهلاً وكذباً ضدّ الآخرين، ولا الاستناد إلى أقوال وأفعال الجهّال من أتباع كلّ مذهبٍ ممّا يرفضه علماء ذلك المذهب والخبراء بأسراره.

الأمر الثامن: ينبغي اتّخاذ منطوق أقوال المذاهب ملاكاً للحكم عليها، ولا ينظر إلى مستلزمات تلك الأقوال ممّا يرفضها أصحاب المذاهب.

الأمر التاسع: أن لا نجعل المسائل الخلافية الجانبية في نفس درجة أهمّية المسائل الأُصولية المتّفق عليها، ممّا قد يؤدّي إلى سيطرة الفروع على الأُصول في زحمة الاختلافات الفرعية، بل يجب نسيانها مؤقّتاً إذا زاحمت المسائل الأساسية؛ لئلّا تصرفُنا عن الاهتمام بتلك الأُصول غافلين عنها ومشتغلين عن الأهمّ بغيره.

الأمر العاشر: السعي لفتح باب الاجتهاد في كلّ المذاهب الإسلامية، وفي كلّ الأبعاد، أي: بالنسبة إلى المسائل الخلافية غير الضرورية؛ لكي تكون أبواب البحث فيها مفتوحةً على أساس الالتزام بالحقّ والاحتجاج بالدليل، وتكون القلوب مفتوحةً ومستعدّةً لقبول ما انتهى إليه البحث حسب الدليل، مع رعاية جانب الإنصاف وأدب الجدال بالتي هي أحسن، ومع النظر إلى تلك المسائل الخلافية من منظار التقريب والتحبيب سعياً إلى الوفاق مهما أمكن، لا من منظار الخلاف والخصام سعياً إلى الشقاق.

هذه الأُسس كلّها من إفادات الشيخ محمّد واعظ زادة الخراساني. أمّا الشيخ أحمد كفتارو المفتي الأسبق للديار السورية فقد أجمل أُسس التقريب في أُسس فكرية وأُخرىٰ أخلاقية..

أمّا الأُسس الفكرية فهي كالتالي:

١ ـ إبقاء الاجتهادات في إطارها الفكري.

٢ ـ اتّباع المنهج الوسط وترك التطرّف.

٣ ـ التركيز على المحكمات دون المتشابهات .

٤ ـ ضرورة الاطّلاع على الرأي الآخر .

٥ ـ الانشغال بهموم الأُمّة الكبرىٰ .

والأُسس الأخلاقية كالتالي :

١ ـ الإخلاص والتجرّد من الأهواء .

٢ ـ التحرّر من التعصّب .

٣ ـ إحسان الظنّ بالآخرين .

٤ ـ ترك الطعن والتجريح .

٥ ـ الحوار بالتي هي أحسن .

هذا ، ويمكن أن يضاف لما تقدّم من أُسس : الانفتاح في فهم الإسلام ضمن إطار الاجتهاد الصحيح والقائم على أساس الكتاب والسنّة ، والابتعاد عن الحسّاسيات التاريخية قدر الإمكان ، والانفتاح على الإسلام بروح عالية لا تقيم وزناً لفوارق اللون والجنس واللغة والمذهب .

كما يمكن تصنيف قواعد التقريب بين المذاهب فيما يلي :

١ ـ حسن الفهم ، أي : حسن التعرّف على حقيقة موقف الطرف الآخر ، وذلك بأخذ هذا الموقف من مصادره الموثّقة ، أو من العلماء الثقات المعروفين ، لا من أفواه العامّة ، ولا من الشائعات ، ولا من واقع الناس ، فكثيراً ما يكون الواقع غير موافق للشرع الحنيف .

٢ ـ حسن الظنّ بين الطرفين ، ذلك أنّ الإسلام يقيم العلاقة بين أبنائه على حسن الظنّ ، بمعنى : أن يحمل حال غيره على أحسن المحامل وإن كان يحتمل معنى آخر وتصوّراً معيّناً .

٣ ـ التركيز على نقاط الاتّفاق ، لا على نقاط التمايز والاختلاف ، سيّما مع وفرة وكثرة نقاط الاتّفاق .

٤ ـ التحاور في المختلف فيه ، وهذا ما ركّز عليه الكثير من دعاة الإصلاح والتقريب ،

كمحمّد رشيد رضا وحسن البنّا، فكلّ مختلف فيه قابل للحوار إذا كان الحوار جاداً ومخلصاً في طلب الحقيقة بعيداً عن التعصّب والانغلاق.

٥ ـ تجنّب الاستفزاز من أحد الطرفين للآخر، فالحوار المنشود يقتضي أن يتوخّىٰ كلّ من الطرفين في خطاب الآخر تجنّب العبارات المثيرة والكلمات المحدثة للتوتّر في الأعصاب وللإيغار في الصدور، واختيار الكلمات التي تقرّب ولا تباعد وتجمع ولا تفرّق.

٦ ـ البعد عن شطط الغلاة والمتطرّفين من كلا الفريقين الذين يثيرون الفتن في حديثهم وكتاباتهم، والقرب من المعتدلين من أهل البصيرة والحكمة الذين ينظرون إلىٰ الأُمور بهدوء وعقلانية ووسطية ومن جميع الزوايا، لا من زاوية واحدة.

٧ ـ المصارحة بالحكمة، فينبغي أن يصارح بعضنا الآخر بالمشاكل القائمة والمسائل المعلّقة والعوائق المانعة، ومحاولة التغلّب عليها بالحكمة والتدرّج والتعاون المفروض شرعاً بين المسلمين بعضهم مع بعض.

٨ ـ الحذر من دسائس الأعداء وكيدهم الذين لا يريدون الخير للأُمّة الإسلامية، بل دأبهم على تفريق الجمع وتشتيت الشمل وتمزيق الصفوف.

٩ ـ ضرورة التلاحم في وقت الشدّة والعسرة والمحنة، والوقوف صفّاً واحداً حال ذلك.

* أمّا عوائق التقريب وموانعه وشبهاته: فهناك شبهات أُثيرت حول جدوىٰ التقريب بين المذاهب الإسلامية.. والتي منها:

١ ـ إنّ الاختلاف بين المذاهب الإسلامية إنّما هو في الأُصول.

٢ ـ إنّ الاختلاف بين المذاهب الإسلامية إنّما هو في اختلاف المصادر.

٣ ـ اتّهام كلّ طرف الآخر بالابتداع.

٤ ـ اتّهام كلّ طرف الآخر بالشرك عبر تبيين لوازم العقيدة.

٥ ـ اتّهام كلّ طرف الآخر بالنفاق والتآمر.

٦ ـ تصوّر أنّ القبول بالحوار ينمّ عن شكّ في المذهب أو قبول ضمني بآراء الآخرين.

٧ ـ تصوّر أنّ التقريب يستهدف التذويب وحمل الناس على مذهب واحد، وهو أمر باطل، فالتقريب باطل.

٨ ـ تصوّر أنّ التقريب يسهّل الأمر للانتقال من مذهب لآخر، وبالتالي تخريب المعادلة بين المذاهب.

٩ ـ تصوّر أنّ التقريب غطاء للتسلّل إلى المذهب الآخر وتبليغ التعاليم المنافية له والتشكيك فيه.

١٠ ـ تصوّر أنّ التقريب حركة ذات مصلحة سياسية بعيدة عن جوهر الدين.

غير أنّه توجد ـ وذلك كما قال سماحة الشيخ التسخيري ـ الحقائق التالية:

أوّلاً: أنّنا لاحظنا مسألة اهتمام القرآن بالحوار حتّىٰ مع المشركين وأهل الكتاب، فكيف نتصوّر منعه للتفاهم بين المسلمين؟!

ثانياً: أنّ هناك بحثاً قرآنياً وحديثياً واسعاً حول (المداراة) كصفة رائعة للمسلم يتعامل بها مع الآخرين، ولا مجال للتفصيل هنا.

ثالثاً: أنّ الأئمّة كانوا يعيشيون معاً، ويدرس بعضهم على بعض، حتّى ليتباهىٰ بعضهم بفترة دراسته هذه، كما لم يكونوا ليحتكروا العلم بالحقيقة، في حين نجد بعض أتباعهم يبتعدون حتّىٰ عن التفاهم.

رابعاً: لقد شهدنا حركة تقريبية في الأزهر الشريف في الخميسينات شارك فيها الأعلام والعلماء، ومنهم: الشيخ المراغي، والشيخ مصطفىٰ عبدالرزّاق، والشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد شرف الدين الموسوي، والسيّد البروجردي، والسيّد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمّد تقي القمّي. وهم علماء كبار سنّة وشيعة، قاموا بحمل لواء التقريب، فهل خفيت عليهم هذه الشبهات وبعضها يتّصل بالأُصول؟! وقد استبشر المرحوم الشيخ محمّد محمّد المدني بخطوة رائعة اتّخذها الأزهر بتدريس المذهب الشيعي الإمامي والزيدي في أكبر كلّية من كلّياته، وأُخرى اتّخذتها إيران (آنذاك) بإدخال فقه السنّة في كلّية المعقول والمنقول.

خامساً: قد شهدت حركة التقريب تقدّماً واسعاً وقبولاً عامّاً اليوم. وأروع مثال على ذلك قيام أكبر مجمع فقهي ـ هو مجمع الفقه الإسلامي بجدّة ـ بإيجاد شعبة متخصّصة باسم «شعبة التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وحصول روح توافقية عامّة حرّة في اجتماعاته العامّة، ممّا يكشف عن وحدة المنابع والرؤىٰ وانفتاح للعالم الإسلامي بعضه على بعض. وقد أُسس في الجمهورية الإسلامية الإيرانية «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية»، وهو يضمّ في مجلسه الأعلى علماء من المذاهب الإسلامية المتنوّعة، وقد قام هذا المجمع بدوره بتأسيس «جامعة المذاهب الإسلامية». هذا، وقد اعتمدت «الإيسيسكو» (المنظّمة العالمية الإسلامية للتربية والعلوم) التقريب هدفاً، وعقدت له مؤتمرات في شتّىٰ أنحاء العالم. كما قامت المراكز العلمية الدينية في البلدان الإسلامية كالمغرب ومصر والجزائر والأردن وسورية ولبنان وإيران وباكستان والسودان وماليزيا وأندونيسيا وغيرها بعقد الندوات والمؤتمرات العالمية لتركيز هذه الحقيقة.

سادساً: أنّنا يجب أن نحدّد ماذا نعني بالأُصول؛ حتّى يتّضح لنا ماذا نقصد من قولنا عدم وجود الاختلاف فيها، وإذا لخّصنا البحوث المفصّلة حول الحدود التي تفصل بين الإسلام واللاإسلام استناداً للآيات الكريمة والروايات الشريفة فإنّها جميعاً تركّز على الحدود التالية: الإيمان بالتوحيد الإلهي إجمالاً، والإيمان بنبوّة الرسول الأكرم ﷺ ولزوم طاعته في كلّ ما يصدر عنه، والإيمان بالقرآن الكريم والعمل بكلّ أوامره ونواهيه وقبول كلّ تصوّراته وتعاليمه، والإيمان بالمعاد إجمالاً، والإيمان بتشريع الإسلام لمجموعة من الأحكام التي تنظّم السلوك الفردي والاجتماعي ولزوم تنفيذها. ولا نجد أيّ خلاف على هذه الأُصول مطلقاً. نعم، هناك خلافات حول التفصيلات، مثلاً: في الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات، وفي المسائل العقائدية الفرعية كالجبر والاختيار والقضاء والقدر والشفاعة وغير ذلك، وفي إثبات بعض الروايات وردّها سنداً أو دلالةً ويترتّب عليه اختلافات أُخرى، وفي مسائل الخلافة والإمامة، وفي بعض الأحكام التشريعية، وغير ذلك. إلّا أنّهم متّفقون جميعاً على أنّه إذا ثبت شيء بالقرآن الكريم أو السنّة الشريفة فإنّه

يجب الإذعان له دونما تردّد. وينبغي التنبيه على أنّ البعض يحاول إلجاء الطرف المخالف للخروج من الحدود الإسلامية من خلال ذكر لوازم قوله مثلاً بهذا الرأي. وهذا الأُسلوب مرفوض في هذا المجال مادام الطرف الآخر لا يعتقد بهذا اللزوم؛ إذ لو كان يعترف به كان عليه التراجع بعد أن نفترض إيمانه بالأُصول المذكورة. فلا يمكن أن نخرج فرداً عن الإسلام لأنّ من لوازم قوله في نظرنا نفي الأُصول الأُولىٰ. وبهذا تُحلّ مسألة الاتّهام بالابتداع والشرك.

سابعاً: من الواضح أنّ مصادر التشريع لدىٰ كلّ المسلمين هي الكتاب والسنّة، ولا يتنافىٰ هذا مع الاختلاف مثلاً في علاقة الكتاب بالسنّة، وهل لها أن تخصّص العامّ الكتابي مثلاً أم لا، ولا مع الاختلاف أحياناً في الطرق الموصلة إلى السنّة، ولا مع الاختلاف مثلاً في دلالة التقرير النبوي، ولا مع الاختلاف في وجه صدور الأمر النبوي وهل هو باعتباره حاكماً أو باعتباره رسولاً.

ثامناً: أنّ منطق الاتّهام والتشكيك نحن منهيّون عنه.

تاسعاً: أنّ حركة التقريب كما هو واضح لا تستهدف التذويب مطلقاً، وهي تؤمن بأنّ المذاهب كلّها ثروة لهذه الأُمّة والحضارة، كما تؤمن بأنّ فكرة المذهب الواحد خيال محض.

ومن موانع التقريب:

أوّلاً: العامل الخارجي.

فمن الواضح تماماً أنّ أعداء هذه الأُمّة يخلقون كلّ الظروف التي تؤدّي لتمزيق هذه الأُمّة، ويقفون في وجه كلّ ما يعمل لتوحيدها. وقد لاحظنا أنّ الاستعمار الغربي عمل خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي، وخصوصاً في الفترة التي احتلّ فيها العالم الإسلامي كلّه تقريباً، وقضىٰ على آخر دولة إسلامية شمولية في الربع الأوّل من القرن الميلادي العشرين، لاحظنا أنّه اعتمد سياسة ثلاثية تستهدف:

١ ـ إبقاء الأُمّة على تخلّفها العلمي والاقتصادي والثقافي والتعليمي وغير ذلك.

٢ ـ إشاعة الحالة العلمانية الغربية على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي، إلى جانب تحريك النزعات القومية والعنصرية. ولكن سرعان ما فشل مشروعه، ممّا دعا بعض الكتّاب المعاصرين لتسميته بـ «النصر سريع الزوال للعلمانية (١٩٢٠ ـ ١٩٧٠ م)».

٣ ـ تمزيق العالم الإسلامي إلى دول وشعوب متفرّقة، وتحريك النعرات المذهبية الجغرافية والقومية والعنصرية حتّى التاريخية. كلّ ذلك خوفاً من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عنه والتخوّف منه باستمرار من قبل القادة والمفكّرين والكتّاب الغربيّين، ويتمّ التنظير لصراع دائم مع العالم الإسلامي على أساسه.

وها نحن نشهد دور اليد الأجنبية الممتدّة لتحرّك النزاعات الطائفية في باكستان والعراق وأفغانستان ولبنان وسائر البلاد التي يتعايش فيها أتباع المذاهب، وربّما استخدمت وسائل الإعلام والأقلام والألسنة المأجورة لتحقيق الهدف.

ثانياً: المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكّام.

وهو أمر شهدناه في عصور الظلام الماضية، ونشهده اليوم أيضاً، حيث يستغلّ البعض نفوذه ليثير العامّة، بل ربّما بعض المنتسبين لأهل العلم لتحريك الإحَن والنزاعات الطائفية.

يقول أحد الكتّاب المؤرّخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة: «وكانت لا تمرّ سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنّة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، فقد تولّى الترك بأنفسهم عام ٢٤٩ هـ عمليات القمع الطائفي ضدّ الشيعة... وكان أكثر الضحايا من منطقة (الشاكرية) ببغداد، وبنتيجتها هوجم السجن المركزي وأُحرق أحد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة».

ويستمرّ في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق، وامتداد النزاع إلى المدينة المنوّرة وإلى طبرستان، وتواصلت إلى شمال أفريقيا، وهكذا.

ثالثاً: التكفير.

وتعدّ هذه الظاهرة من أهمّ العقبات بوجه التقريب، ورغم أنّ الإسلام وضّح تماماً

الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان وحدّدها بدقّة، فإنّ هذه الحالة الغريبة حدثت بقوّة.

وقد ربّىٰ القرآن العظيم الرسول الكريم ﷺ وأتباعه على التعامل العقلاني والحوار المنطقي والقبول بالتعدّدية الاجتهادية إذا كانت على أُسس شرعية منضبطة، إلّا أنّ هذه الظاهرة حدثت في ظلّ ظروف عصبية في مطلع الأمر كما في قضية الخوارج. وزاد الجهل والتعصّب الطين بلّة حيث يدخل في عملية الفتوىٰ من ليس أهلاً لها، فيفتي بغير ما أنزل الله. وهذا ما شهدناه بكلّ وضوح في الحركات التكفيرية في عصرنا، ممّا أدّى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والأُمّة! وهما من هذه الحالة براء.

رابعاً: التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار.

فإنّه لا يحقّق الجوّ الهادئ المطلوب، ويدفع لنوع من التهرّب أو المماطلة أو تلمّس العثرات، ممّا يمنع من تحقّق النتيجة المطلوبة. وهذا ما شهدنا نظيره في عمليات الحوار بين أتباع الأديان نتيجة ما يحمله كلّ طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر. فالطرف المسيحي مثلاً يحمل أحقاده الصليبية وإيحاءات المستشرقين بما يسمّونه بـ(الهرطقة الإسلامية)، وما يدور في نفسه من هواجس الصحوة الإسلامية التي تنافس مشروعه في السيطرة، في حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدىٰ قرون.

ولكن العمل الجادّ والتوجّه للتعليمات الإسلامية الهادية والداعية لحسن الظنّ في الأخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقريب، خصوصاً إذا تمّ على مستوىٰ العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضاً في مجالات العلم والإخلاص والعمل في سبيل الأُمّة بمجموعها.

خامساً: التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجّم على المقدّسات وعدم احترام الآخر.

وكلّ واحد من هذه الأُمور يمكن أن يشكّل بنفسه مانعاً من تحقّق الحوار المطلوب، وبالتالي الوصول إلى التقريب. وقد وجدنا النصوص الإسلامية تتظافر في المنع من هذه

الأُمور.

سادساً: اختلاف مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط.

فإنّه يمنع من التقارب في النتائج، وعليه ينبغي السعي إلى ما يأتي:

أ ـ الفراغ من المفروضات المسبقة قبل بدء عملية الحوار.

ب ـ الاتّفاق على منهج واحد للاستنباط، وليس هذا الاتّفاق أمراً صعباً.

ج ـ تحقيق محلّ الحوار بدقّة؛ لئلّا ينظر كلّ طرف إلى قضية ومفهوم لا ينظر إليه الطرف الآخر.

سابعاً: اعتبار القول الشاذّ علامةً على المذهب كلّه، وأخذ تصوّرات المذهب من أقوال خصومه.

ثامناً: دخول من ليس أهلاً في عملية الحوار، واتّباع الأساليب الملتوية للظفر بالآخر.

تاسعاً: عدم التصارح بين المسلمين.

فمن المشاكل الأساسية أنّنا غالباً لا نتصارح فيما بيننا عندما نختلف، بحيث لا يُظهر أحدنا ما يجول في عقله وقلبه للآخر.

فالذي يحكم الواقع الإسلامي في كثير من لقاءاته سواء أكانت على المستوى الرسمي أو العلمائي أو في الدوائر الثقافية هو أُسلوب المجاملة، بحيث يؤكّد للآخر على التزام الإسلام كقاعدة مشتركة وعلى أهمّية التنوّع في داخل الفكر الإسلامي والفقه والتشريع وفي بعض مفردات العقيدة وفهم القرآن، ويتمّ التأكيد على أهمّية الوحدة بين المسلمين وأنّها سبيل لقوّتهم، ولكن في الوقت نفسه تبقى لكلّ فئة أحكامها المسبقة عن الآخر، والتي غالباً ما يلفّها الغموض أو التشويه، لذا لا تأتي اللقاءات إلّا بمجاملات يطلقها الحريصون على الوحدة، أو بشواهد إضافية تكرّس للمتعصّبين مواقفهم الحادّة والرافضة للمذهب الآخر، والتي تأخذ في نهاية المطاف عنوان التكفير.

عاشراً: الذهنيات القلقة والخائفة من التواصل.

لعلّ من أبرز العوائق وجود الذهنية التي تعتبر التواصل والدعوة إلى الوحدة مدخلاً إلى

تمييع المذهب أو النهج الفكري الذي ينتمي إليه أصحاب هذه الذهنيات، فغالباً ما يتمّ الاصطدام بخطّ الوحدة تجنّباً لما يرونه من مخاطر تتمثّل في أُمور، أبرزها:

أ ـ التنازل عن بعض مفردات المذهب وحتّى بعض العناصر الأساسية، ففي بعض الحسابات أنّ الوصول إلى أيّة وحدة بين طرفين مختلفين أو أيّ تواصل مع الآخر يقتضي تقديم التنازل من كلّ طرف، والذي تختلف نسبته بحسب موقع كلّ طرف، فالضعيف لا بدّ من أن يقدّم تنازلاً أكثر من القوي، والأقل عدداً لا بدّ من أن يقدّم تنازلاً لغير الحريص.

ب ـ اعتبار التنازل في أيّ جانب ـ حتّى لو كان بسيطاً ـ يحمل التنكّر والإساءة لكلّ جراحات التاريخ وآلامه، حين كان كلّ طرف يقدّم التضحيات على مذبح تأكيد مذهبه وحفظه وإبقائه حيّاً ومعافى.

ج ـ المصاعب الكبرى التي تعترض الوحدويّين من كلّ مذهب في ضبط قواعدهم، وخصوصاً في ظلّ قيام التقسيميّين بتشكيك القاعدة بأنّه بإخلاص الرموز الوحدوية أم بخطوات الوحدة التي تهدّد المذهب بحسب زعمهم، ما يهدّد بكسب هذه القواعد لمصلحة التقسيميّين الذين تتوافر لديهم كلّ الإمكانات والقدرات، الأمر الذي يؤدّي فعلاً إلى التنافس في ميادين التعصّب والفرقة.

حادي عشر: وجود عوائق فكرية وأخلاقية.

ففضلاً عن مخاطر هذه الذهنية التي يجب أن تواجه بحكمة وموضوعية، فإنّ ثمّة أفهاماً وممارسات لا تقلّ خطراً عنها، منها:

١ ـ الابتعاد عن الأساليب الإسلامية في التعامل عند الاختلاف، بحيث لا نجد الأخلاقية الإسلامية حاكمة في مقاربة الاختلاف الفكري أو المذهبي.

وهذه الأخلاقية تتمثّل بالالتزام بمجموعة من القيم، منها:

أ ـ التأسيس للقواعد المشتركة قبل التحرّك لمعالجة قضايا الاختلاف.

ب ـ الجدال بالتي هي أحسن.

ج ـ الحمل على الأحسن في فهم الآخر، والعذر عند الاختلاف، وعدم الحكم على

أساس النيّة السيّئة أو تعميم الاختلاف، ناهيك بالتدقيق في النقل وفهم الآخر من مصادره الأصيلة لا ممّا تسمع عنه.

د ـ التحرّك من موقع المصلحة الإسلامية العليا عند التعاطي مع المستجدّات الخلافية.

هـ ـ عدم اعتماد أساليب السباب والشتائم واللعن كأساس في الحوار أو التعامل عند الاختلاف، لا بل التأكيد على حرمة ذلك، وتفهّم رأي الآخر وفق قاعدة أنّ الأمر الواضح عندك ليس بالضرورة واضحاً عند الآخرين وبالصورة نفسها؛ لأنّ الزاوية التي تنظر منها إلى القضايا قد تختلف عن الزاوية التي ينظر منها الآخر.

٢ ـ التهيّب من التعامل الجدّي مع المفردات التي تثير جدلاً بين المسلمين وتؤكّد اختلافهم، من قبيل: النظر إلى الإمامة والخلافة ومدىٰ حدودها، والنظرة إلى الخلفاء والصحابة، التكفير، السنّة النبوية، أحاديث الأئمّة، وغيرها.

٣ ـ التغافل عن الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الوحدة، واعتبار أنّها تنحصر فقط في الدائرة الواحدة ضمن المذهب الواحد، أو أنّ لها بعداً أخلاقياً توجيهياً لا يأخذ طابع الإلزام، ولا يشكّل عنواناً أساسياً للذهنية الإسلامية، وبذلك نبعد الإسلام عن أن يشكّل القاعدة الأساس للرؤية والسلوك، وننفي أنّ المذاهب تمثّل وجهات نظر في فهم الإسلام.

٤ ـ فهم بعض الآيات والأحاديث التي تعتبر الاختلاف حالة طبيعية إنسانية من قبيل الآية الكريمة: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩)، وفهمها بما يكرّس الاختلاف والانقسام، وهو ما لا تقصده الآية الكريمة، والسبب أنّ عقل المسلم وصدره لايزال عاجزاً عن تقبّل الاختلاف الذي يفسح في المجال لتعدّد الآراء وغنى الأفكار وتنوّع الرؤى.

٥ ـ عدم الجدّية في الأخذ بالوحدة الإسلامية، وحملها كشعار لا يحمل أيّ مضمون، لا سيّما إذا جرت مقاربتها إمّا من حيث هي وسيلة ليتنصّل من خلالها البعض من الاتّهام بالمذهبية واتّهام الطرف الآخر بها، أو ستاراً يخفي السعي للنفاذ إلى المجتمع الآخر، أو ديكوراً للفئات السياسية كي تبدو منفتحة في حضورها وغير منغلقة على ذاتها أو منحرفة

في دائرتها المذهبية.

ثاني عشر: عدم المعرفة.

فحينما لا يعرف الفرد المسلم الوجوب الشرعي لمشروع التقريب وضرورات الوحدة، ويجهل الأهمّية الحضارية لحضور أُمّته على الصعيد الدولي مرفوعة الرأس والراية، وحينما لا يشعر بخطورة التحدّيات الميحطة به وبقضاياه الإسلامية والمصيرية، فإنّه لا يتحرّك نحو العمل بمقتضيات المشروع التقريبي ومقوّمات الوحدة، بل قد يتورّط في هدم ذلك من حيث يشعر أو لا يشعر.

ثالث عشر: غياب التربية الصالحة.

فلا يكفي العلم وحده لإزالة موانع التقريب والوحدة ما لم تعضده نزاهة التزكية وباطن الخشية من الله الملك الحقّ المبين، فالذي يزوي عن نفسه التهذيب المعنوي يهوي إلى مستنقع الكراهية، ويمارس العدوانية، ولا ينفعه علمه، بل والعلم في هذه الحالة يسهّل طريقه في الصدّ عن التقريب والوحدة.

رابع عشر: علماء السوء.

حيث يلعب هؤلاء بفتاواهم والأفكار المصلحية التي يتبنّونها لعبةً أساسيةً في تشتيت الجهود وبعثرة الطاقات وعدم السماح للمشاريع الوحدوية أن تسلك في الأُمّة بسلام وقوّة ونجاح.

خامس عشر: العصبية والنزعة الأُحادية.

فهي غريزة يمتلكها كلّ فرد، كباقي الغرائز التي تميل بصاحبها على جهة السقوط ما لم تعتدل بكوابح الورع ونبل القيم، فمن لم يخرج من سيطرة هذه الغريزة بحبّ الخير للآخرين فسوف يتحوّل إلى سكّينة في خاصرة الفعّاليات الإصلاحية أو يُصبح كالرمح في صدر المساعي التقريبية بين المسلمين.

سادس عشر: حبّ الدنيا والمصالح الماليّة.

فحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، مقولة صادقة بتأييد النبيّ الأكرم ﷺ والتجربة

المشهودة على الأرض خير شاهد. ويلعب المال في خطيئات الدنيا لعبته الخطيرة لما تحتكره الأيادي وتوظّفه لمصالحها الذاتية، ثمّ من أجل الحفاظ عليها والتوسّع فيها يخضع أصحابها لكلّ مخطّط شيطاني ومشروع تمزيقي، فقد يدخلون في تحالفات مع الدول الكبرى أو الصغرى أو مَن يجدون لديه المصلحة المالية والتنمية التجارية لثرواتهم، فتمنعهم هذه المصالح من قبول أيّ مشروعٍ تقريبي في الأُمّة يرونه هادماً لتلك المصالح.

سابع عشر: شلل الإرادات.

فإنّ الضربات تتراكم على إرادات المصلحين بهدف إحداث شرخٍ في عزائمهم وخورٍ وخواءٍ في قراراتهم وشللٍ في قواهم، حتّى لا يجدو أمامهم سبيلاً للتقدّم وطريقاً للإنقاذ جرّاء الغبار الذي يرتفع في وجوههم بنفس الأسباب المذكورة. فما أكثر الإرادات التي قد تلاشت والهمم التي قد اندثرت والجهود التي قد تهدّمت نتيجة الجهل والأنانية والعصبية والمؤامرات الخلفية.

* أمّا سبل التقريب: فهي طرق إقرار ثقافة التقريب والوحدة بين الأوساط العامّة.. ويتمّ ذلك من خلال:

١ ـ نشر ثقافة الوحدة بين أهل الذكر من العلماء والحكّام، وذلك بعقد المؤتمرات في كلّ عامٍ أو عامين؛ ليجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من جميع الأقطار الإسلامية؛ ليتعارفوا أوّلاً، وليتداولوا في شؤون الإسلام ثانياً، وأوجب من هذا عقد المؤتمرات والمعاهدات بين قادة الشعوب الإسلامية؛ ليكونوا يداً واحدة، أو كيدين لجسد واحد تدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كلّ جانب.

٢ ـ التصدّي لهؤلاء الذين يقفون في سبيل الوحدة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم في كلّ بلد إسلامي وإن كان ظهورهم على أشكال وألوان مختلفة، غير أنّ لهم طابعاً واحداً مشتركاً، أو فكراً واحداً مميّزاً، أو أمراً واحداً جامعاً، ذلك أنّهم في فهمهم للدين يتّبعون أفكار غير المسلمين، وهي أفكار مفرّقة غير جامعة، لا تريد المسلمين قوّة في الأرض دافعة أو مانعة، ولا أُمّة واحدة جامعة، بل يريدونهم أوزاعاً متفرّقين لا حول لهم ولا قوّة. إنّ أوّل

طرائق الوحدة يتمثّل في محاور هؤلاء الذين يقفون بآرائهم محاجزين للوحدة، وأن نحول بينهم وبين أن تكون مقاليد الحكم في أيديهم.

٣ـ التعرّف على المذاهب من مصادرها، ولذلك كان من الخطوات العملية للتقريب بين المذاهب الفقهية والوحدة الإسلامية هو نشر المؤلّفات الأصيلة لرجالات المذاهب وعلمائها، وتداولها بين كلّ المهتمّين بالتقريب بين أتباع المذاهب، وتحقيق الوحدة؛ لأنّ الأفكار المرسلة والتي تنتشر بين جماهير الأُمّة هي التي تساعد على التمزّق والتفرّق، وتقف حجر عثرة في طريق الوحدة، ومن ثمّ كان من الضرورة العلمية وأيضاً من الضرورة لوحدة الأُمّة أن تعرف أحكام المذاهب من مصادرها المعتبرة لا من أقوال خصومها.

٤ ـ الإمساك عن المطاعن، ولهذا ينبغي أن تتوقّف حملة الأقلام عن إثارة المشاعر برمي أتباع بعض المذاهب بالفظائع معوّلين في ذلك على بعض الآراء الشاذّة والروايات المدخولة والأفكار المسمومة؛ لأنّ الذين يُهاجَمون ويُنتَقدون سيلجأون إلى الدفاع عن أنفسهم، فتثور الأحقاد، وتستمرّ الحفائظ، وتكون أكبر خدمة للأعداء الذين يتربّصون بالأُمّة الدوائر، فعلى كلّ علماء الأُمّة أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية، فهي من أعظم المحرّمات في هذه الظروف التي أحاط بالأُمّة فيها الأعداء من الداخل والخارج.

٥ ـ التفريق بين العقيدة التي يجب الإيمان بها وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون أن تمسّ العقيدة، فبهذا التفريق تجتمع الأُمّة على ما اتّفقت عليه، ويعذر بعضها بعضاً فيما اختلفت فيه، ويومئذٍ يعود المسلمون كما كانوا أُمّة واحدة، دينها الإسلام، وكتابها القرآن، ورسولها محمّد ﷺ، تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقبل الكلام فيما وراء ذلك على أنّه آراء يدلي كلّ بما يراه منها، دون أن تسيء إلى وحدة المسلمين، أو أن تكون عاملاً من عوامل فرقتهم وضعفهم.

٦ ـ أن يقوم العلماء ورجال الفكر بوضع القواعد الأساسية والمبادئ السليمة التي تمكّن من قيام وحدة سياسية واقتصادية لشعوب ودول الأُمّة الإسلامية.

٧ ـ أن تقوم مبادئ (الوحدة الإسلامية) المقترحة على أساس من المبادئ الإسلامية لتنسحب هذه المبادئ بصبغتها الإسلامية على الوحدة الإسلامية ، فتجدّد كلّ مساراتها واتّجاهاتها .

٨ ـ أن تتاح الفرصة لتهيئة المجتمعات الإسلامية نفسياً وفكرياً لهذه الوحدة ؛ حتّى يتوفّر المناخ الملائم ، فتصبح الوحدة مطلباً عامّاً تعمل الشعوب الإسلامية على تحقيقه .

٩ ـ يصاحب ذلك قيام الإعلام صحافة إذاعة تلفازاً وما جرى مجرى هذا في الإعداد لهذه الوحدة الإسلامية .

١٠ ـ أن يكون لهذه الوحدة (جامعة) أو مؤسّسة أو ما شابه ذلك ، يلتقي تحت اسمها المسؤولون عن مجتمعات الأُمّة الإسلامية .

١١ ـ أن تكون هذه الوحدة شاملة لكلّ المتطلّبات لتحقيق آمال الشعوب الإسلامية التي التقت في وحدتها العقدية والتشريعية والخلقية والفكرية .

١٢ ـ أن تقوم سوق إسلامية مشتركة على غرار السوق الأُوروبّية ، خاصّة أنّ عوامل قيام هذه السوق متوفّرة وإمكاناتها متاحة .

١٣ ـ أن تكون هناك مؤسّسات إسلامية مختلفة تُنشَأ هنا وهناك ، تعمل على التخطيط الدقيق لتحقيق التكامل بين المجتمعات الإسلامية .

١٤ ـ لا بدّ أن يكون هناك إخلاص كامل لهذه الوحدة الإسلامية التي تتخطّى وتتجاوز الإقليمية والعنصرية ، والأحزاب السياسية ، والأواصر اللغوية والقومية .

١٥ ـ أن تبذل الجهود المخلصة لإزالة المعوّقات التي تقف أمام وحدة المسلمين ، وتجعل خطوات الوحدة تتعثّر .

١٦ ـ أن تكون هناك قرارات سياسية ممّن يملكون القرار ؛ لتنطلق المؤسّسات الإسلامية وتعمل على ترسيخ مبادئ الوحدة الإسلامية وقيامها .

ومن عوامل نجاح التقريب :

١ ـ جعل القرآن الكريم دستور الأُمّة ، واعتباره العنصر الرئيس في أُسس أيّ لقاء ،

وجعله الحاكم في القضايا بين المسلمين.

٢ ـ إقامة التقريب بين المذاهب على أساس علمي رصين بعيداً عن العواطف أور ردّات الفعل الآنية؛ لأنّ ما يقوم على أُسس علمية يبقىٰ ويستمرّ، وما يقوم على الظروف الزمانية يفنىٰ ويضمحل.

٣ ـ جعل التقريب قائماً على أساس التعاون الجماعي والاجتماعي بعيداً عن السياسات المتقلّبة، أو الانحياز إلى نظام سياسي معيّن هنا أو هناك، فالأنظمة السياسية لا تدوم، والعمل الجماعي يدوم.

٤ ـ حسن النيّة وسلامة الطوية، وذلك بتبنّي المقاصد لتحقيق الأهداف.

٥ ـ الاهتمام بإبراز النقاط المشتركة بين المذاهب، والحديث دائماً عن نقاط التلاقي، وبخاصّة مع العامّة، وتوجيههم إلى أهمية الوحدة الإسلامية كما أرادها القرآن الكريم: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (سورة الحجّ: ٧٨)، وإشاعة ثقافة التقريب، وتضافر الجهود لذلك، وترك الجدل والمناظرات الفكرية والعقدية والفقهية للمختصّين في المستويات العليا.

٦ ـ التأكيد على أنّ الاختلاف بين المذاهب الإسلامية هو اختلاف خطأ وصواب، وليس اختلاف كفر وإيمان.

٧ ـ عدم تضخيم مسائل الخلاف وتحويلها إلى منازعات تشاحنية وخصومات تنافرية، تنسي مقوّمات الوحدة وعوامل الوفاق، مع أنّ نقاط التلاقي والاتّفاق أكثر بكثير من نقاط الخصام والتفرّق.

٨ ـ عدم الانشغال بمناظرات جانبية وجدالات داخلية، فالأهمّ هو الدعوة إلى الإسلام بعرض جوهره النقي وصفائه الروحي، وبيان رسالته الواضحة، وإبراز جمال الدين وشموله لكلّ مجالات الحياة، وأنّه يُصلح الإنسان والزمان والمكان.

فرسالة الإسلام جاءت لتجعل حياة الإنسان سعيدة، وقد وضّح الإسلام سبل النجاة والأمن والاطمئنان للبشر جميعاً، وللعيش فيما بينهم بسلام ومحبّة وإخاء، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء : ١٠٧)، وأهمّ العالمين المسلمون فيما بينهم ليكونوا رحماء برحمة رسول الله ﷺ.

٩ ـ التخلّص من عقدة كمال الصحّة المطلقة، وعقدة الوصاية على الدين، فما تحمله حقّ وصواب يحتمل الخطأ، وما أحمله حقّ وصواب يحتمل الخطأ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة سبأ: ٢٤)، وإذا كان هذا في الحوار مع غير المسلمين فهو مع المسلمين من باب أولىٰ.

فالمجتهد مهما بلغ لا يستطيع الجزم بأنّ اجتهاده هو الحقّ المطلق، وأنّ اجتهاد غيره هو الخطأ المتيقّن؛ فذلك لا يعلمه إلّا الله ورسوله، ولا سبيل إلى ذلك العلم بعد انقطاع الوحي.

١٠ ـ تجنّب التعصّب المذموم ومحاربته، فإنّه يعمي ويصمّ القلوب والعقول والبصائر، ومنهج القرآن النهي عن التعصّب المقيت، ويدعو إلى التسامح الديني، ومن باب أولى التسامح المذهبي، ويدعو إلى التآخي البشري، فكيف بالتآخي الايماني ؟!

١١ ـ الابتعاد عن مواجهة المسلم للمسلم بأشدّ الكلمات، وأغلظ العبارات، وأقسىٰ الأساليب وتجنّب التجريح والتنقيص، وإحصاء الأخطاء والعثرات لدرجة قد تصل إلى الإهانة، فمثل هذا يولّد مزيداً من الأحقاد والكراهية والبغضاء، وما أروع منهج القرآن: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩)!

فما أجمل اللقاء إذا كان بألطف الكلام وأرهف العبارات! وما أحسن الحوار إذا كان بأقوى الحجّة وأصدق الدليل!

١٢ ـ تقدير الرأي والرأي الآخر واحترامهما؛ لضرورتهما وأهمّيتهما عند الحوار وحين تبادل الرأي.

١٣ ـ أن يكون الحوار الفكري قائماً على تبادل المعرفة، وقبول الحجّة المنطقية المدعمة بالدليل الشرعي الصحيح دون جمود أو تعصّب.

١٤ ـ أن يكون الجدال بالتي هي أحسن، فلا يتعدّىٰ الإقناع بالدليل إلى إثارة الفرقة

والخصام، ومحاولة التفريق بين المسلمين؛ ليضعف أمرهم، ويتمكّن أعداؤهم منهم، فمنهج القرآن مع غير المسلمين رفق ولين، فهو مع المسلمين من باب أولى، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

١٥ ـ مراعاة الشعور والعواطف، واحترام تباين الآراء واختلاف الأفهام، فمثل هذا يولِّد المحبّة والصفاء، قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصّلت: ٣٤)، وحينها يتحوّل العدوّ إلى صديق، والمبغض إلى محبٍّ، والبعيد إلى قريب.

١٦ ـ عدم إثارة الطرف الآخر، فالإثارة تولّد الانفعال وتقطع الحبائل المقرّبة، فهذا منهج القرآن مع غير المسلمين: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٨)، فالمسلم ليس بالسبّاب ولا اللعّان ولا الفحّاش ولا البذيء، فالكلمة الطيّبة أصل التلاقي، والحوار الهادئ أساس التفاهم.

١٧ ـ التجرّد عن الأحكام المسبقة المبنية على الظنّ لدىٰ أطراف التقريب، فالعمل لا بدّ أن يكون قائماً على اليقين، وليس على الوهم والظنّ والشكّ.

فقد كان أهل السنّة يتصوّرون الشيعة من الغلاة والرافضة، مع أنّ الشيعة تكفِّر الغلاة وتعدّهم من النجاسات. وعند العامّة من أهل السنّة حكم مسبق أنّ الشيعة يعبدون الأحجار، وذلك بسجودهم على أقراص خاصّة، والحقّ أنّ السجود على جنس الأرض هو فعل رسول الله ﷺ، كما وصف ذلك الصحابة. وعند بعض العامّة من الشيعة أنّ أهل السنّة يبغضون آل بيت رسول الله ﷺ، ولا يُظهرون مناقبهم وأخلاقهم، وواقع الحال أنّ محبّة آل البيت لا ينكرها مسلم، بدليل تسمية أبنائهم، تبرّكاً بأسماء آل البيت، ويكاد لا يخلو بيت من اسم أحد أفراده باسم أحد آل البيت،، كعلي وفاطمة والحسن والحسين ورقية وزينب، وما من قصيدة تمدح رسول الله ﷺ إلّا ذكرت مناقب آل بيته الكرام.

إنّنا مطالبون بالتعارف والتعاون؛ لتحقيق المصالح المشتركة لشعوب الأُمّة الإسلامية، ونشر القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة بين شعوب الأرض قاطبة.

أمّا وسائل التقريب فهي : السبل الكفيلة بترتيب الأثر الملموس والنتائج المطلوبة لدفع عجلة التقريب بين المذاهب الإسلامية نحو الأمام.

ومن جملة هذه الوسائل والسبل اتّخاذ الإجراءات العاجلة والجادّة لتنفيذ عملية إجراء البحوث العلمية والموضوعية عن واقع كلّ مذهب من المذاهب الإسلامية، واستخراج حقائقه العقدية ومواقفه الفقهية من مصادر المذهب نفسه ومراجعه، لا ممّا كتب عنه الآخرون؛ لأنّ كلّ مذهب من المذاهب له خصوصياته التي لا تعرف إلّا من مصادره المعتمدة لديه، سواء كانت عقدية أو أُصولية أو من الفروع، أو حتّى في حقل تفسير التاريخ وفهمه، لاعتبار أنّ ما كان قد كتب أو روي عن بعض المذاهب من خارج بنيتها الحقيقية قد اختلط بنفثات نسبت إلى هذا المذهب أو ذاك اتّهامات، أقلّ ما يقال عنها: إنّها ليست معترفاً بها في هذا المذهب ولا يقرّها، أو ليست صحيحة عنده.

وانطلاقاً من أنّ عملية التقريب بين المذاهب لا بدّ أن يراعى فيها المصداقية والموضوعية، فإنّ مثل تلك الصفات والحقائق لا يمكن أن تؤخذ أو تستقى إلّا من لسان أصحاب المذهب نفسه، أو من مصادره المعتمدة عند أهله وأتباعه، لا من أقوال خارجية، فربّما صاحبتها أباطيل، ودسّت فيها دسائس، أو زوّرت عنها أقاويل دون ثوابت، حتّى انطوت على الشكّ فيها بصورة عامّة.

ويراعى عند تنفيذ بحوث التقريب وإجرائها ما يلي:

أ ـ التميز بين الرأي السائد والرأي الشاذّ داخل كلّ مذهب، وعلى الباحث الذي يسند رأياً إلى مذهب معيّن أن يأخذ بعين الاعتبار الرأي الشاذّ، كما أنّ عليه أن ينسب الآراء الشاذّة إلى أصحابها فقط، وليس إلى المذهب ذاته، باعتبار أنّ المذاهب هي القواعد والأفكار، وليست الأفراد.

ولتحقيق هذا الأمر فإنّ استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية تدعو المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وبالتعاون مع مفكّري المذاهب الإسلامية وعلمائها وفقهائها، إلى إعداد دراسة بحثية علمية لاعتمادها مرجعاً إسلامياً أساساً لكلّ دراسة تتمّ

عن أيّ مذهب من المذاهب الإسلامية، على أن تتاح لهم الاستعانة بميادين تنفيذ هذه الاستراتيجية.

ب ـ تقدير الرأي والرأي الآخر واحترامهما؛ لضرورتهما وأهمّيتهما عند الحوار، وحين تبادل الرأي، على أن يسود الحوار العلمي المجرّد كلّ مواقف عمليات التقريب وإن أدّت إلى الاختلاف، فالاختلاف طبيعي، وليس بمستنكر في إطار قواعد الاختلاف وآدابه. كما أنّ الدفاع عن الرأي والاستدلال على صحّته حقّ لكلّ عالم، والردّ المدعم بالدليل العلمي حقّ أيضاً، وإذا كانت المسألة من المسلّمات في القضايا الجدلية والمنطقية فهي في القضايا والمسائل الفرعية ومجالات الأحكام الاجتهادية من باب الأولىٰ والأحرىٰ.

ج ـ الاتّفاق على المرجع المبدئي والثابت للتحكيم بين الآراء المتحاورة، وهو الكتاب والسنّة النبويّة الصحيحة، كما هو مرجع كلّ المذاهب، والمسلمون متّفقون نظرياً على المرجعية الواحدة، لكنّهم مع التأثّر بالمغريات المادّية والوجاهة الدنيوية والدوافع الخارجية لا يلتزمون أحياناً بما تدعو إليه تلك المرجعية، ومرجع التقريب على كلّ الأحوال هو الكتاب الكريم والسنّة النبويّة الصحيحة التي ثبتت حجّيتها لدىٰ المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

د ـ الاهتمام بإبراز النقاط المشتركة بين المذاهب؛ لأنّها الأهمّ والأكثر من نقاط الخلاف، ولكونها العامل الجامع المشترك بين متعدّد المذاهب، ويتحقّق هذا الأمر الأساس من خلال ميادين التأليف والنشر، والبحث العلمي، والاستعانة بكلّ وسائل الاتّصال المقروءة والمسموعة والمرئية.

هـ ـ إذا تغلّب الاختلاف على الأفكار والآراء فلا يجوز أن ينعكس كلّياً أو جزئياً على مواقف المسلمين من القضايا العالمية الكبرىٰ، فالاختلافات الفكرية والفقهية تبيّن بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّها كنز اشتهر به الفقه الإسلامي، ولها تاريخ طويل، كما أنّها من سنن الله تعالى في خلقه، نتج وينتج عنها تفاعل الحركة العلمية وتنوّع قواعد التشريع، كما نجم عنها النموّ والغنى العلمي والفقهي الذي يباهي به التراث الإسلامي على المستوىٰ الدولي، لذلك

لا عيب ولا خطر في الاختلافات الفقهية والفكرية، وإنّما الخطر في استثمارها في فصم عُرى الإسلام ومخالفة ما جاء به التشريع السماوي، والأخطر من ذلك على الأُمّة والوحدة الإسلامية هو الاختلاف في مصادر الإسلام الأساس؛ لأنّ هذا النوع من الاختلاف ليس إلّا الهوان والخسران، كما يعني وبلا جدل الضعف والتمزّق وهيمنة الأعداء. لذلك فمن أهمّ أُسس التقريب وخطواته العملية الإسراع بتوحيد هويّة الأُمّة الإسلامية، بتأكيد وحدة مصادرها ومرجعياتها، والحفاظ على أمنها السياسي والاجتماعي والثقافي والعملي والاقتصادي؛ حتّى لا يقوى الاختلاف ويزداد التمزّق، فيسقط حقّ المسلم في حياة العزّة والمجد الذي هو نعمة من نعم الله على عباده المسلمين.

وبالنظر بموضوعية إلى القضايا الإسلامية ذات الأولويات الكبرى، والتركيز عليها دون الدخول في جزئياتها؛ حتّى لا يستفرغ الجهد في الهوامش والجزئيات، ومن أهمّها بل ومن أولوياتها الكبرى مسألة التفريق بين المسلمين، وضراوة التنكيل بشعوبهم، وخطورة العمل على إخراجهم عن دينهم بأعمال التنصير والتهويد والتجهيل واستغلال حاجاتهم المادّية في هذا العمل الخطير.

وباعتبار التقريب عملية متواصلة فلا بدّ من استمرارية الحوار المتأنّي والمتعمّق في مسائل التقريب وقضاياه.

ويمكن أن تشمل الخطط التنفيذية إقامة ندوات تخصّصية، وإحياء حلقات دروس الفقه المقارن، وتنظيم اجتماعات رجالات الفكر وعلماء الشريعة وفقهاء الإسلام والمؤرّخين وذوي الاهتمام من فقهاء مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ولتطبيق هذه الوسيلة يجب أن تعدّ خطط عمل تطبيقية تُعنى بها الجهات المعنية داخل كلّ تجمّع إسلامي، سواء منها ما كان على مستوى البلد الواحد، أو ما هو على مستوى الجاليات والأقلّيات القاطنة خارج بلدان العالم الإسلامي، بحيث تشمل تلك الخطط والبرامج والأنشطة التعاونية برامج ثقافية التقريب، يصحبها حملات توعية إعلامية، وحوارات فكرية فقهية تناقش فيها وبعمق وموضوعية مسائل التقريب وقضايا توحيد

الرأي، شاملة لمجمل قضايا الاختلافات الفقهية والفكرية، ويتمّ تنفيذها وفق خطّة زمنية محكمة، بحيث يبدأ تداوله على المستوى الدولي الإسلامي في إطار أنشطة المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومن ثمّ يتمّ انتقالها وتداولها على المستوى الإقليمي، تليها أنشطة في المجال نفسه، تنفّذ على المستوىٰ المحلّي، تخطيطاً وتنفيذاً، ومتابعةً وتقويماً، على أن يسبق ذلك إنشاء هيئة أو مجلس أو جمعية في البلدان الإسلامية وفي مراكز تجمّعات المسلمين، بحيث تتحدّد مهامّها ومسؤولياتها حول قضايا التقريب، على أن تكون تابعة للمنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة هيكلياً وتنظيمياً، وتحت مسؤولياتها وإشرافها، على غرار الأمانة العامّة لاتّحاد جامعات العالم الإسلامي، على أن تُعنى بإعداد لوائحها وتحدّد مهامّها ومسؤولياتها وبرامج عملها وخططها بنفسها وبعد تكوينها، ولها أن تستمدّ خبرتها ونشاطها وأوّليات برامجها وأنشطتها من خلال مقترحات رجالات الفكر والفقه الإسلامي وكتّابه وعلمائه، بالتعاون والتنسيق مع الدول الأعضاء والهيئات المماثلة القائمة حالياً على الساحة الإسلامية.

ولها أن تستعين بالمهامّ الإجرائية التالية:

١ ـ إعداد برامج العمل التقريبي وأنشطته، واقتراح خطط التنفيذ على مختلف الصعد والمناطق والموضوعات.

٢ ـ دراسة جهود التقريب، والعمل على تعميمها على مختلف الدول الأعضاء والهيئات المعنية.

٣ ـ التواصل مع المعنيّين بالتقريب أفراداً وجماعات حول كلّ الأُمور والمسائل التي تعنّ للمسلمين في ميادين التقريب ومجالاته، والعمل على إعلام الدول والهيئات المعنية بها للتعاون والتشاور في ذلك.

٤ ـ القيام بمهامّ الإعلام والتعريف والمتابعة الدائمة للجهود الدولية والإقليمية والمحلّية المبذولة في مجالات التقريب.

٥ ـ اقتراح موضوعات البحوث الإسلامية ذات البعد الهادف الموصل إلى وحدة العالم

الإسلامي علماً وعملاً، وفق أهداف التقريب، وبما يخدم ويحقّق مقاصد الدين الإسلامي في ترسيخ وحدته وتأصيل مبادئه، ووحدة بنيته، مع مراعاة الشمولية والتوسّع والتحديث فيما يصلح أمر المسلمين كافّة في حياتهم الدينية والدنيوية، وبما يمكّنهم من مسايرة الركب الحضاري العلمي والتقدّم التكنولوجي، ويعيدهم إلى مكانتهم التي أرادها الله لأُمّته، بحيث تتحقّق لها صفة الأُمّة الواحدة التي ينطبق عليها وصف الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ».

هذا، وتوجد إجراءات عملية في إطار تنفيذ استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، تبرز أهمّيتها من خلال اتّخاذ إجراءات متكاملة متماسكة على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، ويأتي في مقدّمتها ما يلي:

١ ـ وضع سياسة وطنية تستهدف التقريب بين المذاهب الإسلامية، تتضمّن خططاً عملية من شأنها أن تساعد المعنيّين على إبراز حقيقة الاختلافات الفقهية من منظور إسلامي باعتباره ظاهرة فكرية نابعة من منطلقات غير منافية للتشريع الإسلامي، لها جذور إسلامية صحيحة مبرّرة، وبالذات منها ما كان في المسائل والقضايا الاجتهادية المستنبطة من الأدلّة الظنّية.

٢ ـ إدماج مادّة (ثقافة التقريب بين المذاهب الإسلامية) في كلّ مناهج المراحل التعليمية، وبصور أخصّ في المعاهد والمدارس والجامعات الدينية ذات الطابع المتخصّص في العلوم الشرعية، ووفق أُسس تربوية، والتركيز عليها في كلّ مسارات العملية التعليمية، والعناية بها كمادّة تطبيقية صفّية ولا صفّية أساس يحصل الطالب عند تفوّقه فيها على تقدير أعلى في علامات النجاح التعليمي.

٣ ـ تكثيف المحاضرات الدورية عن التقريب وثقافته السلوكية في مختلف المراكز المعنية بالقضايا الثقافية، وفي المعاهد والمؤسّسات التعليمية، مع التركيز بشكل أكثر عمقاً على الوحدة الإسلامية، وشرح أسباب الاختلافات الفكرية والفقهية بين المذاهب، والعمل

على تبسيط مبرّراتها وتوضيح مقاصدها.

٤ ـ استغلال المناسبات الوطنية والتجمّعات الشبابية المتكرّرة لتناول مسائل التقريب، والعمل بشتّىٰ السبل والوسائل على نشر ثقافته، والتعريف بأنّ اختلافات المذاهب لا تعني التباين والتضادّ والتفرّق، وإنّما هي اختلافات اجتهادية ظنّية، تدور حول أحكام فروع مسائل وقضايا الفقه الإسلامي، وأنّها لا تمّت إلى جوهر الإسلام وثوابته.

٥ ـ الربط بين أُصول الدعوة الإسلامية ومحتوى اختلاف المذاهب والفتاوى الإسلامية وتعدّدها، والدعوة إلى ضرورة انسجام فتاوىٰ العصر مع جوهر الإسلام، وإسنادها إلى مصادر التشريع، لا إلى أقوال ليس لها مرجع من الدين، خصوصاً حول قضايا الساعة الملحّة الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية.

٦ ـ دعوة الكلّيات والجامعات الإسلامية لتطوير مناهجها ومقرّراتها، وفتح آفاق معرفية جديدة تتمثّل في توسيع الدراسات الإسلامية العليا وتطويرها في إطار التقريب، وتشجيعها على فتح باب الاجتهادات الفقهية وفق أُسسه المعروفة في علم أُصول الفقه، بحيث يتسنّىٰ لها تخريج المجتهدين والعلماء المبرّزين المتعمّقين في الشؤون والقضايا الإسلامية، ومساعدتها على تطوير البحث العلمي المتخصّص وتعميقه، وخصوصاً في جوانب الدراسة التي تخدم وتحقّق أهداف التقريب بين المذاهب، مع إيلاء مناهج ثقافة التقريب أهمّية خاصّة في الدراسات الدينية والجامعية وبحوث الدراسات العليا ورسائل الماجستير وأُطروحات الدكتوراه، وفي جميع إصداراتها.

٧ ـ إيلاء دور الأئمّة وخطباء المساجد والوعّاظ ورجال الدعوة الإسلامية والصحافيّين والإعلاميّين اهتماماً خاصّاً، والعمل على تشجيعهم على حمل رسالة التقريب، وتوحيد رؤيتهم الإسلامية نحو المذاهب، ودعوتهم للحدّ من تناول المسائل الخلافية وإثارة النقاش حولها، إلّا بما يجعل منها منطلقاً للغنىٰ الفكري والتوسّع المعرفي، وبما يخدم مقاصد التشريع، ويؤكّد الوحدة الإسلامية.

❊ أمّا مجالات التقارب: فهي المحاور التي يدور التقارب حولها.. والتي:

(منها) : محور العقائد ، فللمذاهب الإسلامية كافّة رؤية مشتركة واحدة تقريباً حول الأُصول العقائدية والأركان الإسلامية ، والخلاف في فروعها لا يخلّ بأصل الإسلام والأُخوّة الإسلامية .

و(منها) : محور الفقه وقواعده ، فوفقاً لوجهة نظر محقّقي فقهاء المذاهب ، فإنّ الأبواب الفقهية تتضمّن نسبة عالية من النقاط المشتركة ، والاختلاف في بعض المسائل الفقهية أمر طبيعي مردّه إلىٰ فهم الفقهاء واجتهاداتهم .

و(منها) : محور الأخلاق والثقافة الإسلامية ، فليس للمذاهب الإسلامية خلاف في الأُصول الأخلاقية والثقافة الإسلامية على الصعيد الفردي والجماعي ، والرسول الأكرم ﷺ هو أُسوة الأخلاق لدى كافّة المسلمين .

و(منها) :محور التاريخ ، فلا ريب في أنّ المسلمين يتّفقون على وحدة المسيرة التاريخية في مفاصلها الرئيسة ، والاختلافات التفصيلية والفرعية يمكن طرحها في جوّ هادئ ، فيتمّ الوصول إلىٰ موارد كثيرة للاتّفاق .

وعلى أيّ حال ، يجب أن لا تترك الخلافات آثارها السلبية على المسيرة الحاضرة للأُمّة الإسلامية .

* أمّا أهداف التقريب : فهي الثمار المرجوّة من ظاهرة التقريب بين المذاهب الإسلامية . ومن تلك الثمار :

١ـ الممانعة من الاضمحلال الداخلي .

منذ بداية البعثة النبوية ظهر الحقد والعداء ضدّ هذا الدين الجديد بأنماط مختلفة ؛ فالمشركون لم يخفوا حقدهم وغضبهم نتيجة نسخ دينهم السالف ، والاستهزاء به لما يحمل من أفكار خرافية ، وإلّا لم تكن بينهم وبين صاحب الرسالة وأتباعه أيّة نزاعات شخصية من قبل ، فكانوا على استعداد للمصالحة والاتّفاق بكلّ ما يرغب صاحب الدعوة الجديدة في ثروة أو مكانة اجتماعية شريطة التخلّي عن دعوته الجديدة ودينه . فسعى المشركون للإطاحة بهذا الدين العظيم والوقوف أمامه بكلّ ما أُوتوا من قوّة وثروات ومناصب ،

واستخدموا كلّ السبل المؤدّية إلى تحقيق غرضهم الواهي من التطميع والتهديد والتعذيب والحصار الاقتصادي والحرب النفسية والهجوم العسكري، ولكن لم يوفّقوا في ذلك.

فالحرب النفسية والداخلية تعتبر أسهل وأسرع طريق يوصل إلى الهدف، لكن القيادة الواعية للنبي الأكرم ﷺ بعقد المؤاخاة بين المسلمين سدّت كلّ الطرق الممكنة الاستغلال بواسطة طغاة قريش لإيقاع العداء بين أبناء الأُمّة الإسلامية، وآخت بين الأنصار والمهاجرين، والأسود والأبيض، والحرّ والعبد.

فسياسة زرع الفرقة بين المسلمين بأدنى شبهة وحيلة كانت متّبعة دائماً من قبل أعداء الاسلام؛ لذا فقد كانوا يرصدون كلّ تحرّكات النبي ﷺ وعائلته وعلاقاته مع الآخرين وإعطائه المناصب وتقسيمه للغنائم وقرارات السلم والحرب، وكلّ حركة من الرسول ﷺ كانت مرصودة كي تستغلّ لصالح الأعداء وبثّ الفرقة بين المسلمين، وتحريك عواطفهم، وإعادة الخلافات القبلية القديمة من جديد.

فقد أنقذ النبي الكريم ﷺ سفينة الإسلام من كلّ العواصف التي واجهتها، وقادها إلى ساحل النجاة بكلّ أمان، ودافع عن حكومته الإسلامية الفتية بكلّ حكمة ودراية أمام كلّ الأخطار حتّى في آخر لحظات حياته.

فهل من العقل أن يظنّ الإنسان أنّ بارتحال النبي ﷺ وسيّد الموحّدين ترحل كلّ المؤامرات والتهديدات ضدّ العالم الإسلامي، وأنّ الأعداء قد ندموا على ما فعلوا وتخلّوا عن عدائهم لصالح الإسلام، وتركوا المآذن ينطلق منها ذكر اسم الله ورسوله، واتّخذوا نهج الحوار الإيجابي نحو المسلمين؟! بل لا بدّ من معرفة أنّ يوم ارتحال الرسول ﷺ هو يوم استعادة الأعداء قواهم لزرع النفاق والفرقة في أوساط المجتمع الإسلامي، والإطاحة بهذه الحكومة الإسلامية الفتية.

لقد تصدّى الإمام علي عليه السلام إمام التقريب لكلّ المؤامرات التي دعت إلى سقوط ما بناه النبي ﷺ بصلابة وكياسة قلّ نظيرها.

إنّ خطر الإسلام على الاستكبار العالمي لا يقلّ عن خطر الإسلام في زمن

الرسول ﷺ ضدّ المشركين. فالعالم الإسلامي بما يمتلك من الثروات ومصادر القوّة وعدد النفوس مهدّد من قبل القوى العظمى؛ لمعرفتهم بمنهجية الإسلام المعارضة للظلم والاضطهاد والداعية للعدل والوسطية. فالطريق الوحيد هو التماسك والوحدة واتّباع السبل المؤدّية إلى عدم النزاع والسقوط من الداخل، والتقريب يحقّق الهدف المنشود لمواجهة التفرقة ومؤامرات أعداء الاسلام القديمة والجديدة.

٢ـ الحفاظ على كيان المسلمين.

مع أنّ عدد نفوس المسلمين يبلغ ربع العالم ويتجاوز المليار إنسان، لكنّهم مع الأسف غير قادرين على حماية فلسطين في مواجهة قلّة قليلة من الصهاينة، وهذا يدلّل على ضعف المسلمين نتيجة الاختلافات الواهية، وابتعادهم عن أُسس العزّة والعظمة، فهل استطاع المسلمون أن يرصدوا الطعن والردّ المتقابل على منابر المسلمين وفي كتبهم وبياناتهم؟! وكم أثمرت هذه الجهود لتحقيق عظمة الاسلام وشوكته؟! فهل توجد أوضح من هذه القضية بأنّ التفرّق والتشتّت وانفصال أعضاء الجمع الواحد يعطي الفرصة المناسبة للعدوّ لإسقاط شوكتهم والسيطرة على جمعهم؟ وهل من الجائز أن يتعاطف المسلمون مع أعدائهم في ضرب شوكة المسلمين، وتمزيق الجسد الواحد، وتفكيك المجتمع الإسلامي الموحّد؟!

إنّ التقريب يحافظ على عظمة المسلمين ووحدتهم، ويوجد الرهبة في القلوب المريضة التي تفكّر في التعرّض والعداء للإسلام. فالمجتمع الذي يحمل شعار الإسلام وعنوانه الذي يغطّي الفجوات لا يمكن للعدوّ أن يرسخ فيه ويشقّ الصفّ ويتّخذ من الانشقاق مأمناً لتوجيه ضرباته المتتالية.

٣ـ بتر الأطماع.

لو تصفّحنا كتاب تاريخ الإسلام المليء بالحوادث لشاهدنا آثار أنياب الذئاب الضارية التي افترست جسد أتباع الدولة المحمّدية، يقول الإمام محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: «وقد عرف اليوم الأبكم والأصمّ من المسلمين أنّ لكلّ قطر من الأقطار الإسلامية

حوتاً من حيتان الغرب وإفعى من أفاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه، أفلا يكفي هذا جامعاً للمسلمين ومؤجّجاً لنار الغيرة والحماس في عزائمهم؟! أفلا تكون شدّة هذه الآلام وآلام تلك الشدّة باعثة لهم على الاتّحاد وإماتة ما بينهم من الأضغان والأحقاد؟! وقد قيل: عند الشدائد تذهب الأحقاد».

فالوطن الإسلامي يزخر بالثروات الطبيعية المتنوّعة، وكان ـ ولازال ـ هدفاً لأطماع القوى المستعمرة. فالشرق الأوسط يحتوي على الكثير من مصادر الطاقة والمصادر الجوفية، وكثير من البقاع الأفريقية بما تحمل من ثروات طبيعية هي جزء من الجسد الإسلامي، وهناك الكثير من المسلمين في بلاد الغرب، فالوحدة هي العامل الأساس للوقوف أمام أطماع عصابات السطو الدولية المسلّحة التي تدخل البلاد الإسلامية باسم الدفاع عن الأمن وحقوق الإنسان، وتسلب المسلمين أمنهم وحقوقهم.

فالاتّحاد عنصر مهمّ ومؤثّر في فضح المؤامرات وإطفاء نارها وإبطال مفعولها. أليس من العجب انتصار المسلمين الأوائل بالعدد والعدّة القليلة على أكبر إمبراطوريتين آنذاك بما لهما من قدرات وإمكانات؟! واليوم تنتهك حرمات المسلمين وتغصب ثرواتهم وأراضيهم الواحدة تلو الأُخرى، وهم على عدد وعدّة كثيرة!

٤ـ تحقّق هدف الرسالة المحمّدية.

ممّا لا ينبغي الشكّ فيه أنّ حبّ المسلمين لنبي الإسلام يفوق حبّهم لأولادهم وأعراضهم وكلّ شيء لديهم، فهو أبو الأُمّة ونبي الرحمة وصاحب الخلق العظيم. فالاختلاف في العائلة أو القبيلة الواحدة يؤذي كبيرها، ويلقي غبار الأسى على قلبه، أما حان وقت الاتّحاد والتكاتف لإفراح قلب رسول الرحمة، والذي سعى جاهداً لإعلاء كلمة الله وعزّ المجتمع الإسلامي؟! فالنبي ﷺ لا يرضى لنا العداوة والشقاق، فهما من عمل الشيطان: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ﴾ (سورة المائدة: ٩١)، فالشيطان هو المنتصر عن طريق الشقاق والنفاق والنزاع والعداوة، والذي أمرنا به رسول الله ﷺ كراراً هو الاتّفاق: ﴿واعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقوا﴾ (سورة آل عمران:

١٠٣)، ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِن بَعْدِمَا جَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٥).

فليس من الإنصاف أن نقابل بالاختلاف جهود النبي ﷺ على مدى ٢٣ سنة خدمة للأُمّة وتوحيدها، بل العكس هو الصحيح، بأن نتجنّب الخلافات والنزاعات المقيتة ونعيد البسمة لشفاه النبي، والاتّحاد هو أقلّ الواجب على كلّ مسلم في المجتمع الإسلامي. يقول الدكتور محمّد الدسوقي: «الوحدة الإسلامية بحكم الفقه واجب شرعي، وليس مجرّد عمل ترغيبي تبرّعي، فهو عمل واجب على كلّ مسلم معتقد بوحدانية الله ونبوّة خاتم الأنبياء».

٥ـ السعي لتضييق الخلاف بين المدارس الاجتهادية.

٦ـ إثبات أنّ الخلاف ليس جوهرياً، بل هو خلاف اجتهادات.

٧ـ التعريف بحقيقة التقريب؛ كي يصبح أكثر عملية.

٨ـ التنويه بأنّ المساحة الخلافية لا ينفرد بها مذهب واحد.

٩ـ تحقيق التأليف والانسجام بين قلوب أتباع المدارس.

١٠ـ التأكيد على أنّ المساحة المشتركة أكبر بكثير من المساحة المختلف فيها.

١١ـ الوقوف علمياً على أساس الاختلاف لمعرفة الكوامن وليسهل إخماد البراكين.

١٢ـ انصهار مصالح الجماعة الكبيرة في مصالح الجماعات الصغيرة واتّحادها، وهذا لا يلغي إحساس الانتماء أو يكون على حسابه بل يصبّ في صالحه تماماً.

❊ أمّا ضرورة التقريب: فهي الحاجة الماسّة إلى التقريب والداعية إليه.. ويمكن إجمال أهمّية وأسباب ضرورة نجاح الجهود التقريبية فيما يلي:

١ ـ إنّ الأُمّة الإسلامية قد وصلت إلى حاله مؤلمة من الضعف والهوان بسبب التمزّق والاختلاف الذي يؤدّي إلى الشقاق والنزاع الذي نهىٰ عنه الإسلام وحذّر منه، وتحتاج إلى التجمّع والتوحّد تحت راية الإسلام.

٢ ـ إنّ التقريب بين المذاهب والابتعاد عن التصّب المذهبي يرجع في الأساس إلى أنّ

هذه المذاهب ليست من أصل الدين ولم توجد ليعتنقها الناس أو لكي كون ملزمة لهم، بل وجدت على أنّها آراء لأصحابها فيما عرض عليهم أو تعرّضوا له من المسائل والمبادئ، تتمثّل فيها أفكارهم وأنظارهم، ويتبيّن منها حكمهم على الأشياء أو حكم الله في نظرهم. فالله سبحانه وتعالى لم يأمر المسلمين بالتمذهب بمذهب بعينه، بل أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول وأُولي الأمر بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (سورة النساء: ٥٩).

٣ ـ إنّ وجود المذاهب المتمايزة بأسمائها وأتباعها الذين ينتسبون لها ولا يرون الحقّ إلّا فيما ذهبت إليه ليس ضرورة حتمية لوجود الخلاف، بدليل أنّ الخلاف موجود فعلاً في إطار المذهب الواحد دون أن ينقسم المذهب إلى مذاهب متعدّدة تنتسب إلى أصحاب هذا الخلاف. من ذلك مثلاً ما نراه في مذهب أبي حنيفة، حيث نرىٰ اختلافاً كثيراً بينه وبين أصحابه أبي يوسف ومحمّد وزفر واختلافاً بين بعضهم مع بعض في كثير من المسائل دون أن ينقسم هذا المذهب إلى مذهب لأبي حنيفة ومذهب لأبي يوسف ومذهب لمحمّد وهكذا.

٤ ـ إنّه من المهمّ جدّاً لدراسة المذاهب الفقهية دراسة دقيقة عميقة محيطة بجميع نواحيها واتّجاهاتها وموازنة بعضها ببعض وترجيح بعضها على البعض أن نرجع هذه المذاهب إلى أُصولها ونتبيّن إن كان بينها اختلافاً في الأُصول والمبادئ أم ليس بينها اختلاف في الأُصول والمبادئ، فلا يكون هناك محلّ للإبقاء على التعصّب والتنافر.

٥ ـ إنّ بيان مواقع الاتّفاق ومحاولة التقريب بين المذاهب في الأصل تشترك في الأُصول والمبادئ والأدلّة التي تستقي منها الأحكام الشرعية، له أهمّيته العظمىٰ وأثره القوي في جواز التلفيق بين الآراء من المذاهب المختلفة والخروج منها برأي موحّد مؤلّف من رأيين أو أكثر أو عدم جواز ذلك؛ لأنّ أُصول الآراء إذا كانت مختلفة متعارضة لم يكن من المقبول التلفيق بينها بأخذ رأي في مسألة من المسائل يعتبر مزيجاً من جملة آراء تتعارض أُصولها بعضها مع بعض؛ لأن كلّ أصل اعتمدت عليه في ناحية يستلزم بطلان ما أخذت به

في الناحية الأُخرىٰ من المسألة ؛ إذ لا يصحّ أن ترىٰ الشيء الواحد في وقت واحد صحيحاً باطلاً ، فذلك لا يقبله عقل ولا يسوّغه نظر . أمّا عند اتّحاد الأصل فليس ثمّة ما يمنع من ذلك .

٦ ـ إنّنا كأُمّة إسلامية واحدة نحتاج إلى تطبيق آداب الخلاف فيما بيننا مبتعدين عن منهج التكفير أو التسفيه الذي يعطي لأعداء الإسلام الذخيرة الحيّة التي يضربون بها مبادئ الإسلام التي تقوم على احترام الآخر وعلى الحجّة والبرهان وحسن الظنّ بالمخالف وتغليب جانب الأُخوّة في الله على كلّ اعتبار عملاً بمبدأ « الوقاية خير من العلاج » . ولنتذكّر أنّ الأُمم التي حلّقت عالياً في آفاق التقدّم هي الأُمم التي أقرّت التعدّدية واحترمت الخلاف وقبلت بالرأي الآخر في كلّ المجالات ، وإذا كانت التعدّدية في إطار الوحدة أصلاً في بناء الأُمّة الإسلامية فنحن بحاجة ملحّة إلى العودة لهذا الأصل .

وأمّا سبل مواجهة التقريب : فهي طرق مجابهة العوائق والعقبات التي تعترض حركة التقريب ، وذلك بوضع سياسات وبرامج استراتيجية ومرحلية مفيدة . ويمكن تلخيص ذلك بالنقاط التالية :

١ ـ إنّ من واجب كلّ الأطراف الإسلامية الحريصة على الوحدة ، والتي تعي بقوّة وشفّافية معالم خطر الحروب المذهبية التي يصنعها ساسة الغرب بفعل سياساتهم اليومية وتواطؤ فئات من كلّ الاتّجاهات والمذاهب ـ وذلك سواء عن وعي أم غير وعي ـ مع هذه السياسات ، إنّ من واجب هذه الأطراف أن تكشف بوضوح لكلّ القوى الرسمية والسياسية والشعبية النتائج التدميرية للفتنة المذهبية ، وأنّ تتحرّك بقوّة نحو كلّ القوىٰ المعنية بالشأن الإسلامي ؛ لعمل كلّ ما من شأنه أن يلجم الفتنة ويمنع تداعياتها التي لن ينجو منها أحد ، وحثّها على الأقلّ لعدم التوسّل بالعنوان المذهبي لخدمة سياسات ومصالح لا تخدم مصالح الوطن والأُمّة . أمّا حالة التكفير فلا بدّ من إدانتها وفضحها بكلّ صراحة ، ومن الإقلاع عن التغطية عليها لحسابات ضيّقة ؛ لأنّ حسابات الأُمّة في وجودها ومصيرها وسلمها ومستقبلها أكبر من أيّة حسابات أُخرى ، هذا عدا عن أيّة صورة مسيئة وخطيرة قدّمها منطق

التكفير للإسلام في العالم.

٢ ـ التحرّك بشكل خاصّ نحو الهيئات العلمائية والمرجعيات الدينية، وإقناعها بإصدار مواقف واضحة من أُولئك الذين يهشّمون الوحدة بين المسلمين ويضربون التفاعل في ما بينهم خوفاً منهم أو من الشارع العامّ، بما يكرّس سيطرة المتطرّفين على الأرض، بذريعة حماية المذهب من الفريق المقابل. وفي هذا الإطار لا بدّ لجميع الشخصيات العلمائية الكبرى وللمرجعيات الدينية من كلّ المذاهب أن تتّخذ مواقف فاعلة وفي قت واحد من الأعمال والممارسات العصبوية والفئوية، حتّى لا يعتبر البعض أنّ إصداره لوحده الموقف أو الفتوىٰ قد يشكّل قوّة للآخر المختلف معه، وبذلك تتمّ مواجهة الشارع العاطفي والملتهب مذهبياً والذي بات يحمل «منطقاً» يمنع العقلاء من أنّ يتحرّكوا بحرّية. إنّ رفع الصوت بجرأة من كلّ العلماء لتصويب حركة الشارع وتوجيهه بالاتّجاه الصحيح بدلاً من الخضوع لمنطقه هو أمر ضروري وواجب ديني وأخلاقي وعلى كلّ المستويات، وبذلك أيضاً تستكمل المساعي الوحدوية.

٣ ـ تحريك عناصر التقارب على مستوى المواقع الفاعلة في الأُمّة، بحيث لا تقتصر على المواقع العليا، وذلك لإيجاد واقع التقارب في برامج الحوزات الدينية، والمؤسّسات الإسلامية العلمية، وفي التوجيه في المساجد والتجمّعات العامّة، سواء أكانت أحزاباً أم جمعيات أم لجاناً، وكم هو ضروري في هذا المجال إيجاد مواقع عمل مشتركة تساهم في انصهار المسلمين وتفاعلهم، من أجل أن يتجسّد هذا التفاعل في التجمّعات الطلّابية أو العمّالية وفي النوادي الفكرية والثقافية، وفي مواجهة الظلم اللاحق بقضايا المسلمين الأساسية وبشخصياتهم وبرموزهم، فلا يقف كلّ في موقعه ويتحرّك من دون تنسيق مع الآخر، ولا شكّ في أنّ التحرّك المشترك تجاه القضايا الإسلامية في إرساء مشاعره وحدوية وتعاطف بين المسلمين، لا سيّما إزاء قضايا تتّصل بالقدس والإساءات المتكرّرة للرسول صلى الله عليه وآله والنيل من الإسلام كدين، وبذلك تتهيّأ عقول المسلمين ونفوسهم لتنظيم خلافاتهم الأُخرى والتقارب في ما بينهم.

٤ ـ تفعيل المواقع الأساسية التي تتيح للمسلمين تعزيز ارتباطهم، من قبيل: فريضة الحجّ، والتجمّعات العلمائية الموجودة، والمؤتمرات والندوات الوحدوية، والمنظّمات الإسلامية الوحدوية، مثل منظّمة المؤتمر الإسلامي ومؤسّسات التقريب، والتأكيد على المناخ التفاعلي بين كبار العلماء والمفكّرين وقادة الرأي، بحيث يتلاقون في إطار صحّي وبشكل دوري لتدارس قضاياهم الفقهية والفكرية والتاريخية والعقيدية بعيداً عن أجواء التوتّر والانفعال.

٥ ـ السعي الحثيث للشخصيات التي تحمل الهمّ الوحدوي للإطلالة الدائمة على المؤسّسات الإعلامية، ولا سيّما الفضائية؛ لوضع الأُمور في نصابها، وذلك على حساب المؤجّجين للفتنة.

٦ ـ اعتماد تربية إسلامية فاعلة تعمل على توجيه المجتمع بكلّ مواقعه على تقبّل الآخر، واحترام الاختلاف الموجود فيه، واعتباره مصدر غنى لا مصدر أزمة ومشكلة، وفي هذا الإطار كم هو مهمّ إشاعة العناوين التوحيدية واعتماد كتاب ديني وحدوي يؤكّد الآراء المشتركة ويعرض الخلافات بحكمة وموضوعية.

٧ ـ وضع ظاهرة التحوّل في الانتماء المذهبي عند بعض الأشخاص في حدودها، وهي حالة حدثت قديماً وراهناً في الاتّجاهين، وهي ظاهرة غير خطرة عندما تتمّ بوسائلها المشروعة وفي ظروف صحّية، أي: حين لا تنطلق من خطّة مدروسة تسيء إلى وحدة المسلمين وقوّتهم.

٨ ـ النظر في جدّية إلى النتائج الوخيمة لتأجيج الخلاف المذهبي، والذي يبدو أنّه سيتحوّل إلى ذريعة لنفي الدين واستبداله بالعلمانية كحلّ لقضايا المجتمع! ولإبعاد الدين عن الساحة العامّة، وإسقاط موقع الإسلام ودوره في صنع المستقبل.

٩ ـ نشر المعرفة وتعميم العلم، فلقد أعطى الإسلام لطلب العلم غاية الأهمّية: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٩)، وكفى أنّ الآية الأُولى التي أوحى الله بها على رسوله الأمين محمّد ﷺ قد أمرته بالقراءة.. كونها مفتاح العلم والمعرفة،

وهي مبدأ كلّ حركة إيجابية، وأردفتها بالقلم حيث الوسيلة لتقييد العلم وتطويره ونشره وتخليده: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (سورة العلق: ١ ـ ٥).

والإسلام لم يحصر نوعية العلم في مجال الدين فقط، بل أطلق مجالاته في رحاب المجالات كلّها ما عدا علوم الإفساد والتدمير.

فالعلم في الإسلام داعيةُ خيرٍ ونضجٍ وثباتٍ للشخصية الموزونة، وعكسه الجهل، حيث يجعل صاحبه مُختلّ الموازين ومذبذب المواقف وجسراً إلى الشرّ والرذيلة، لذلك حاربه الإسلام وحذّر المسلمين منه.

فينبغي توسيع دائرة الفعل الثقافي وترشيد المسلمين إلى قيمة الوعي والمطالعة وتوفير كافّة مستلزمات القراءة والتعلّم، بدءاً من البصائر القرآنية وعلوم النبي وأهل البيت، مروراً بما ورد عن كبار الصحابة المنتجبين والعلماء الصالحين، وانتهاءً بكلّ أبواب العلوم الإنسانية وما تحتاجه البشرية في تقويم مسيرتها الحضارية.

١٠ ـ التربية الصالحة، فهي ليست علماً ومعلومات وتعليماً ونظريات فحسب، بل هي فنّ تفعيل العلم وتطبيق المعلومات وإيصال التعليم إلى مستوى الإنتاج والأثر المتحرّك، ولا يتحرّك الخير والمحبّة والتآلف والسلم الأهلي كمشروعٍ على أرض الواقع ما لم تُزرَع في النفس البشرية حوافز إيمانية ودوافع إسنادية من الداخل.. وهذا ما تُناط به التربية المعنوية وتتكفّله التزكية الروحية وأهمّية الخلوة الفكرية حتّى يتحلّق صاحبها إلى آفاق الكون وفي أعماق الأنفس، فيكتشف كم للتعاون على البِرّ والتقوى من ضرورةٍ وسعة مصاديق في الحياة!

والإنسان ينمو نحو العظمة بنموّه النفسي والروحي والمعنوي؛ إذ على قدر التزكية والنزاهة وملكة التقوى وقوّة النفس سيتّخذ قراراته الإيجابية بشجاعة ومثابرة، ويتجاوز العقبات أمام التقريب والوحدة، ويقوم بتضحية الجزء في سبيل مصلحة الكلّ حسب مدارج الأهمّ ثمّ المهمّ وقواعد التوافق العامّ.

ولا يتأتّىٰ اتّخاذ مثل هذه القراءات الصعبة والكبيرة إلّا بخلفية روحية مركزها النفس المطمئنة.

ولعلّ من أهمّ زوايا التربية في سياق التقريب بين الناس تلك المتّصلة منها بالعواطف الإنسانية، ومركزها النفس المشبّعة بقيم الحبّ للخير على وجه الإطلاق حتّى يُحصَر البغض في موارد قليلة وعلى ضبط أخلاقي موزون، فلا يُوجّه ضدّ كلّ مَن طرأ خلاف معه في الرأي أو العقيدة المبنية على دليل.

إنّ هذه النفس هي التي توجّه صاحبها نحو الاعتدال في الموقف من الآخر، ولا تتصادم بدوافع مرضية كما هي السائدة في أكثر الخلافات بين المسلمين.

وبذلك يجب تثبيت هذه الناحية التربوية (أي: تنمية العواطف) أساساً لبناء الشخصية الوحدوية ذات المرونة الصادقة؛ إذ لن يقف صاحبها حائلاً دون الوحدة بين المؤمنين ومانعاً للتقريب بين المسلمين، بل لن يقف ضدّ أيّ مشروع تعارفي تعاوني مع الإنسان الآخر لتعميق أواصر المحبّة الإنسانية ومدّ جسور لقاء الحضارات بين الشعوب.

١١ ـ وجود الحكّام الصالحين، فباعتبار أنّ تأثيرات السلطة الحاكمة على وضع العباد وأوضاع البلاد قويّة ومباشرة وأثرها على الصلاح أو الفساد أمرٌ محسوم بلا نقاش، ترى الإسلام قد أولى اهتماماً كبيراً بمسألة الحكم والحاكم والحكومة.

فما هو نوع الحكم؟ هل حكم الله أو حكم الجاهلية؟! ومن يكون الحاكم، هل بصفات خليفة الله أو بصفات الجاهليّين؟! وكيف يجب أن تكون الحكومة، هل بسياسات مستقلّة أو بتبعية وذيلية؟!

الإجابة على هذه الأسئلة هي التي تحدّد مسار التقريب والوحدة أو مغارات التفريق والفتنة.

ويستمدّ بحث الولاية والإمامة والخلافة أهمّيته من أهمّية الإجابة على هذه الأسئلة المتقدّمة. وبالتالي فإنّ الإمامة الإبراهيمية تُمهّد للوحدة الإسلامية وتُمسك بزمام الأُمّة على طريق التعاون والتناصح والتعاضد لتحقيق العبادة التوحيدية لله الواحد الأحد

الفرد الصمد.

وفي دراسة موضوعية تعتمد منهجيّة الحياد والإنصاف يمكن استنتاج النتيجة التالية: إنّ الحاكم بمقدار صلاحه وحكمته وعدله يبني صرح الوحدة ويشيّد بنيان الأُخوّة، وهو بمقدار فساده وحُمقه وظلمه يهدم ويفرّق ويزرع بذور العداوة والبغضاء بين الناس.

١٢ ـ وجود العلماء الربّانيّين، فليس من شكٍّ أنّ العالَم الربّاني يقوم بدورٍ أساسي في توحيد الكلمة بناءً على كلمة التوحيد: (لا إله إلّا الله).. تلك هي رسالته الأُولى والأخيرة مادام يجلس في موقع الوراثة لدور الأنبياء وخاتمهم سيّد المرسلين محمّد ﷺ.

والربّانية أدقّ صفة للعالم الذي يربّي الناس بأخلاق الربّ الغفور الرزّاق لكلّ العباد. فكونه عالماً يسير على نهج الأنبياء والرسل يُحمّله مسؤولية التقريب بين وجهات النظر لتسبيل الوحدة بين عباد الله، بمعنى تسهيل التعاون على البرّ والتقوى بينهم وتعطيل التعاون على الإثم والعدوان.

والعالم الربّاني هو الذي يُلزم نفسه بمواقف الإصلاح بين الآخرين ويُجنّبها عن الصِدام بهم، ويرى ممارسة هذه الأخلاقية الاجتماعية واجباً شرعياً وليس خياراً استحبابيّاً يمكنه الاستغناء عنه متى شاء وأراد.

وبناءً عليه إذا كان الإصلاح والتقريب صدقة يُحبّها الله تعالى لعموم الأُمّة، فإنّها لخصوص العلماء الربّانيّين تعلو إلى درجة المسؤولية التي لا تتجزّأ عن بقيّة مسؤولياتهم الشرعية.

فالعالم قد وضع نفسه في موقع لا مفرّ له من إيفاء دور التقريب والسعي في سبيل الوحدة وكسب القوّة للأُمّة على شتّى الميادين، فكلّ فكرة وكلّ كلمة وكلّ خطوة يكون مسؤولاً عنها يوم القيامة إنْ لم تتّجه نحو بناء الوحدة القائمة على أُسس المحبّة والأُخوّة والتسامح والتلاحم لحمل أمانة الإسلام العظيمة كما حملها النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرون والصحابة الأوفياء والتابعون لهم على مرّ العصور.

١٣ ـ التمتّع بالروح الجماعية، فهي البدلة عن النزعة الأحادية التي نبذها الإسلام

لينمّي في الإنسان روح العمل الجماعي ؛ لأنّه دين أُمّة ، وليس دين فرد أو جماعة وأُسرة .

إنّ نظرة فاحصة على المنظومة الفكرية والأحكام الشرعية للإسلام تُثبت القيمة العالية للمشاريع الجماعية .. فالخطاب القرآني خطاب الجمع ، والدعوة إلى الحقّ موجّهة إلى الجماعة ، وحتّى العبادات تختزن الأهداف الجمعية ، فمن صلاة الجماعة وفضلها على صلاة الفرادى ، إلى مناسك الحجّ وفعاليّات هذا المؤتمر الجماهيري السنوي العامّ ، إلى أجر الآداب الاجتماعية وثواب التزاور والتهادي والتعاون بين الناس ، إلى بركات السير في الأرض والسفر للتعارف بين الشعوب والقبائل ، كلّ ذلك تمهيداً للأنشطة الجماعية المشتركة ، مضافاً إلى تأكيد الإسلام على نشر السلام بين الأنام ممّا يستلزم بناء الذات على أُسس القبول بالآخر والتعاطي معه بروح جماعية وحُبّ الخير للإنسان إلى درجة الإيثار .

١٤ ـ تعزيز عملية الإنفاق ، فهي سبيل البرّ والأُخوّة ، ولن تنال أُمّة برّاً في حياتها ما لم ينفق أغنياؤها وأثرياؤها ممّا رزقهم الله في سبيل وحدتها وقوّتها ورفعتها ودوام عزّها وبقاء مجدها وكرامة أجيالها وتماسكها على خطّ الأُخوّة ، حيث الأبناء يتأثّرون بمواقف آبائهم بطريقة وبأُخرى خيراً أو شرّاً .

ولا أحد ينكر أنّ المال يشكّل قوّةً أساسية في تشييد المشاريع الكبرىٰ على طريق التقريب والوحدة لأجزاء المجتمع وتقدّم الأُمم ، وعلى نفس القياس يُشكّل المال خطراً على التقريب والوحدة وسبباً لتخلّف الأُمّم .. والاتّجاهان كلاهما تصنعهما ثقافة البرّ وإرادة الأُخوّة أو ثقافة الفسق وإرادة العداوة .

١٥ ـ مقاومة الأطماع الأجنبية ، وهي ليست بالأمر الهيّن ، ولكنّها أمرٌ ممكن . ويتمّ ذلك بالعودة إلى شروط الإمكان من حيث البناء الفكري والتنوير الثقافي ، وتكثيف الأعمالية العلمية والدراساتية ، ونشر مراكز الأبحاث والمعرفة ، وتأسيس المكتبات العامّة للمطالعة . وكذلك من حيث الدروس التربوية المركّزة أخلاقياً لتقويم السلوك الفردي والأُسري والاجتماعي . وكذلك من حيث التعاقد في المشتركات وتكريس مفاهيم العطاء والإيثار والحبّ للغير كما الحبّ للنفس . وأيضاً من حيث توظيف الإمكانات الحكومية

واهتمام العلماء بتحقيق الأهداف السامية للأُمّة الإسلامية .

عند هذه الشروط تستعيد الوحدة روحها ومصداقيتها ، حتّى يستسلم الاستعمار ويقرّ للأُمّة حقوقها ، فيعلن الخروج من الباب على أن لا يعود من الشبّاك !

فليست الأطماع الاقتصادية ، ولا الإملاءات السياسية ، ولا التواجد العسكري للدول الاستعمارية الكبرىٰ في بلادنا اليوم وبشكلها السافر ، إلّا لأنّنا نفتقد شروط الاستقلال والحرّية ومعاني الأُخوّة وما تحتاجه الوحدة من مسلتزمات حقيقية خارجة عن نطاق المجاملات والشعارات[١] .

هذاكلّه ما يتعلّق بالبحث الرابع والأخير .

(١) للاستزادة من معلومات محاور البحثين الثالث والرابع راجع كتابنا «المعجم الوسيط» ١ : ١٩، ٦٣ـ ٦٤، ٧٦ـ٧٩، ٨٣ـ ٨٤، ١١٢ـ١١٦، ١٥٤ـ ١٥٥، ١٧٢ـ ١٧٤، ٢٧٩ـ ٢٨١، ٢٨٤ـ ٢٩٠، ٣٠٤ـ ٣٠٧، ٣٣٢ـ ٣٣٣، ٤٠٥ ـ ٤١٠، ٤٣٨ ـ ٤٤١، و٢ : ١٠ ـ ١١، ٣٦ـ ٣٧، ٣٩، ١٧٧ـ ١٧٨، ١٨٠ ـ ١٨٢، ١٩١ ـ ١٩٤، ١٩٨ـ ٢٠٣، ٢٢٩ ـ ٢٤٠، ٢٩٠ ـ ٢٩٩، ٣٩٦ـ ٣٩٨، ٤٠٩ـ ٤١٥، وغيرها من الصفحات .

﴿حرف الألف﴾

إبراهيم بيّوض

إبراهيم عمر بيّوض: أحد أعلام الإباضية في الجزائر.

ولد في مدينة (القرارة) بجنوب الجزائر سنة ١٨٩٩، وحفظ القرآن الكريم، وتعلّم في حلقات الشيوخ، ولازم الشيخ عمر بن يحيىٰ، وناب عنه في دروسه، وخلّفه في رئاسة الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية.

اختير عضواً في حلقة العزّابة، وكان أصغر أعضائها، وأنشأ «معهد الشباب» ببلده، وشارك بإنشاء «جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين» وصياغة قانونها الأساسي. كما أسّس «جمعية الحياة» بمسقط رأسه، فكانت هذه الجمعية رائدة النهضة بالجنوب الجزائري.

ولنشاطاته الكثيرة حكم عليه الفرنسيّون خلال الحرب العالمية الثانية بالإقامة الجبرية لمدّة أربع سنوات.

وقد وقف مع المؤيّدين في قضية فلسطين وفي ضمّ الصحراء إلى الجزائر، ومثّل وادي ميزاب بالمجلس الجزائري؛ ليدافع عن المؤسّسات الإسلامية، وخصوصاً في الجنوب.

وقد اتّصل بالثورة الجزائرية عند قيامها، وتوفّي عام ١٩٨١م تاركاً عدّة فتاوى ومقالات وبعض الكتب، منها: المجتمع المسجدي، البدعة.. مفهومها وأنواعها وشروطها، فضل الصحابة.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٤).

إبراهيم الجعفري

إبراهيم الأشيقر الجعفري: سياسي عراقي مرموق، وداعية وحدة.

ولد في عام ١٩٤٧م في كربلاء من أبوين عراقيين. وهو أحد رؤساء الوزراء السابقين في جمهورية العراق بعد إسقاط نظام صدّام عام ٢٠٠٣ م. والجعفري متزوّج، وله خمسة أولاد.

درس الطبّ في جامعة الموصل في العراق، وتخرّج عام ١٩٧٤ م. وكان قد انضمّ أواسط السبعينات من القرن العشرين إلى حزب الدعوة الإسلامية، وبرز دوره في حزب الدعوة الإسلامية بشكل سريع.

تعرّض الجعفري، مثله مثل أعضاء حزب الدعوة الآخرين، لضغوطات جمّة؛ لتعارض نهجه مع نهج الحزب العراقي الحاكم، ممّا أضطرّه لمغادرة العراق.

زار إيران في تمّوز من عام ١٩٩٥ م، ونجم المنتخب عن الزيارة عقد عدد من اتّفاقيات التعاون في مختلف المجالات.

وقد أسّس الجعفري العديد من المؤسّسات في المجتمع العراقي، منها: مؤسّسة الشباب العراقي، ومؤسّسة الطالب العراقي، ومؤسّسة المرأة العراقية؛ لتكون رافداً لطبقات المجتمع العراقي.

أسّس بعد ذلك تيّاراً سياسياً أسماه تيّار الإصلاح الوطني، حيث ضمّ الوزراء السنّة في وزارته مع بعض الشخصيات السنّية والعلمانية في محاولة منه لتدارك الانتقادات التي وجّهت له أثناء تولّيه لمنصب رئاسة الوزراء.

وقد وقعت في عهده بعض الأحداث السياسية. وكان الذي سبقه في منصبه أياد علّاوي، والذي خلفه فيه الدكتور نوري كامل المالكي.

من أقواله التي نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية: «إنّ العمل من أجل حفظ وحدة الأُمّة وصيانة كرامتها ممّا دلّت عليه الأدلّة العقلية والنقلية. ولم يعد أحد يناقش في مسألة «سرّ قوّة الأُمّة في وحدتها». كما لم يناقش أحد من أنّ أخطر أعداء الأُمّة هو مَن يستهدفها تحت شعار «فرّق تسد».

لكن المشكلة تكمن في أنّ الأُمّة لم تزل دون مستوى مسؤوليتها من الناحية العملية،

وهي تعاني من أزمات على مستوى الخطاب والمنهج والمؤسّسة والرموز، ممّا يجعل البحث في كلّ ما يتعلّق بوحدة الأُمّة أمراً ضرورياً ويهمّ الجميع من دون استثناء، فهي إضافة لكونها مسؤولية شرعية أرادها الله تعالى للمسلمين، فهي ضمان لسعادتهم وأمنهم وهي سرّ قوّتهم ومصدر عزّهم.

لم يعد اليوم أمر الوحدة للأُمّة الإسلامية شأناً إسلامياً، بل عاد شأناً عالمياً في وقت تضاربت فيه أطراف العالم وامتزجت الثقافات وتشابكت المصالح ولاحت فيه المخاطر المشتركة، وهو ما يجعل الأُمم الأُخرىٰ أمام مسؤولية الانفتاح على الأُمّة الإسلامية ونزع فتيل الأوضاع التي استبدّت بها ردحاً طويلاً من الزمن.

إنّ ما يمكن أن تقدّمه الأُمّة الإسلامية من إثراء على المستوى الاقتصادي والحضاري والفكري وما تساهم فيه من إرساء قواعد الاستقرار والطمأنينة، يجعلها محطّ احترام العالم كلّه. كما أنّ عامل الأخطار المشتركة التي يعانيها العالم ويحدق بالأُمّة الإسلامية كذلك يدفع هو الآخر باتّجاه عالمية الأُمّة الإسلامية. وعلينا أن نميّز هنا بين العالمية للأُمّة الإسلامية، والتي تطلّ برأسها الحضاري البنّاء والمساهم في إثراء الأُمم الأُخرى والمشاطر لهمومها بكلّ ثقة، وبين تدويل الأُمّة وجعلها رهينة حسابات دولية تبتزّ خيراتها وتعرقل حركة نموّها وتنظّر لها من وحي العقدة الفوقية.

إنّ الحضور العالمي للأُمّة الإسلامية يتجلّى في صورة التعاطي الفكري والاقتصادي والفنّي والسياسي لما يعزّز موقعها المرموق ويجعلها في الصدارة وأخذ زمام المبادرة في دعم الأُمم الأُخرى والاستفادة من تجاربها في عالم يراد له أن يكون عالم آمن وقوي ومزدهر بعيداً عن التوتّر والحروب.

وقال: «إنّما نتناول الحديث عن موضوع كالوحدة؛ لأنّ الأُمّة لم تزل تعاني من التفرقة والتمزّق في الكثير من مجالاتها، ولأنّ الترابط بين تماسكها الداخلي وأدائها الخارجي في سياقات التعامل مع الأُمم الأُخرى عضوي، ومن خلال مصدر مقدّس كالقرآن الكريم؛ لأنّه يحظى بتسليم كلّ المسلمين ومن مختلف خلفياتهم المذهبية. وحيث إنّ موضوع الوحدة

يستهدف الفرقاء المسلمين أنفسهم، فكان من الطبيعي أن ننطلق من كتاب الله الكريم عليهم ليتفتّحوا عليه جميعاً، فقد ينغلق البعض من أبناء المذاهب تجاه الآخرين من المذاهب الأُخرى إذا ما تمّ الانطلاق من الأحاديث والروايات التي لا يسلّم المخاطب باعتبارها ولو إلى حدٍّ ما، بينما سلّم المسلمون جميعاً لحاكمية القرآن الكريم على الحديث مهما كانت صحّة سنده ووضوح دلالته».

وفي سياق حديثه عن أهمّ عناصر الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم يقول: «هناك عناصر متعدّدة ومتنوّعة:

١ ـ المعرفية.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٢)...».

وهكذا يتسلسل في كلامه حتّىٰ يصل إلى العنصر العاشر، وهو قوله: « ١٠ ـ الرمزية الوحدوية.

مثلما يكون للوحدة خطابها، يكون للوحدة رمزها وخطيبها. ومثلما لا تكون ثورة ولا دولة ولا وحدة من دون خطاب، كذلك الحال لا ثورة ولا دولة ولا وحدة بدون خطيب. والأُمّة وإن تتأثّر كثيراً بالخطاب، لكنّها لا تستغني عن الخطيب (الرموز) الذي يجسّد وحدتها ويتّسع لمجمل مكوّناتها.

إنّ دعوة الوحدة تحتاج إلى خطاب الوحدة وتحتاج إلى رموز وحدوية... الرموز الوحدوية من كلا الخلفيتين المذهبية الشيعية والسنّية. فلا يكفي أن يكون الرمز الشيعي مقبولاً شيعياً فقط أو الرمز السنّي يكون مقبولاً سنّياً فقط، بل علينا أن نطرح رموزاً شيعية مقبولة لدى أبناء السنّة ورموز سنّية مقبولة لدى الشيعة كذلك.

إنّ التعاطي السنّي ـ الشيعي على مستوى الرموز المقبولة لدى الوسطين من شأنه أن يحدث آثاراً بالغة على طريق الوحدة».

ثمّ يبيّن الدكتور الجعفري أهمّ التحدّيات التي تواجه الأُمّة الإسلامية في مسيرتها الوحدوية بقوله:

« أوّلاً : النعرة الطائفية.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الانتماء المذهبي والنعرة الطائفية ، فالانتماء المذهبي : تعبير مشروع عن ارتباط المسلم بمذهب فقهي معيّن يعتقد هو ببراءة ذمّته حين يعمل بموجبه ، فيما تكون النعرة الطائفية : حالة من العصبية تنطلق من تعصّب مقيت يولّد كراهية لأبناء الطوائف الأُخرى . وفي الوقت الذي يعزّز الانتماء المذهبي روح الأُخوّة الإسلامية بين كافّة أبناء المذاهب الإسلامية نجد النعرة الطائفية تكون على عكس ذلك؛ إذ تطرح نمطية الاحتراب وثقافة التشاتم بين أبناء الأُمّة الإسلامية ، حتّى أنّها قد تصل ـ أي : النعرة الطائفية ـ إلى أسوأ مدياتها في استباحة دماء المسلمين من أبناء الطوائف الأُخرى . وقد تفرز هذه رموزاً طائفية وخطاباً طائفياً وفقهاً طائفياً يعطي للنعرة الطائفية مبرّراً شرعياً ويعبّئ أبناء الطائفة بالاتّجاه المضادّ.

وهنا لا بدّ أن نشير إلى حقيقة الحوار المفتوح بين أبناء المذاهب الذي ينطلق من ذات المثقّف المذهبي الذي يستهدف الوصول إلى الحقيقة .

كما أنّنا نعتبر أنّ المؤسّسات ذات الطابع التعريفي لكلّ مذهب من المذاهب هي الأُخرى أمراً مشروعاً مادامت تتحرّك في أروقة فكرها ودون أن تمسّ فكر الآخرين بسوء.

أمّا المؤسّسات ذات الطابع الكيدي التي تكرّس كلّ جهودها من أجل النيل من فكر الآخرين فهي ولا شكّ تدخل في نطاق النعرة الطائفية .

ثانياً : التسييس الطائفي.

ونقصد به : النظرة إلى الأفكار والمفاهيم إلى كلّ مذهب من المذاهب من منظور سياسي وليس من منظور معرفي محدّد، وتسييس الحالة الطائفية يحول دون التعرّف الإيجابي بين أبناء المذاهب ، وهو ما لا ينسجم مع المفاهيم القرآنية التي أرادت لكلّ المختلفين من أبناء الشعوب والقبائل أنّهم يتعارفون على بعضهم البعض ومن موقع التعارف يجري بينهم الحوار والتعامل : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

ثالثاً: العقدة الماضوية.

إنّ قراءة التأريخ قراءة متأنّية تعبر بجيلنا الحاضر إلى الأجيال الماضية لاستلهام التجارب والاستفادة من العبر أمر مطلوب إلى حدّ كبير، غير أنّ تحويل التأريخ إلى عقدة ماضوية تؤثّر على حاضرنا تأثيراً سلبياً وتجعله حاجزاً يحول دون التعامل بين أبناء الأُمّة الإسلامية فهو أمر مختلف.

من هنا كان علينا أن نقرأ التأريخ قراءة مستقبلية، بمعنى: أنّنا نستفيد من نجاحاتنا في التاريخ ونجاحات الآخرين لدفع عجلة التعاون في مجال الوحدة نحو الأمام. كما أنّنا نستفيد من أخطائنا التاريخية لتلافي تكرارها وعدم تحوّلها إلى عقبات في الطريق.

هناك الكثير من المواقف المشرقة التي أقدم عليها أهل البيت عليهم السلام تدفع باتّجاه الوحدة وتجعل من أصحابهم منفتحين على أبناء المذاهب الأُخرى. فعلى سبيل المثال ما نصح به الإمام الصادق عليه السلام لأبان بن تغلب ـ وهو يتحدّث في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ـ: «انظر ما علمت أنّه من قولهم فأخبرهم بذلك»، وهو ما يعني بأنّ الإمام يأمر أصحابه بالانفتاح على التعرّف على المذاهب الأُخرىٰ، كما أنّه يحثّه على احترام ما يعتقدون به ليجيبهم وفق ما يعتقدون.

رابعاً: الانكفاء الذاتي.

ما تتميّز به بعض الفرق الإسلامية في التاريخ من انكفاء ذاتي أضفى عليها نمطية باطنية في الأداء، وجعلها تعيش حصاراً داخلياً ربّما يولّد في لا شعورها وشعورها كراهية عارمة تجاه الآخرين.

كما أنّها أصبحت ـ والحالة هذه ـ تعاني من عقدة الاضطهاد بسبب عزلتها عنهم.

والانكفاء الذاتي هذا تتسبّب فيه عدّة عوامل، منها: ما ينطلق من الظرف الاجتماعي الضاغط على مجموعة ما أو طائفة معيّنة، ومنها: ما ينطلق من ذات المجموعة أو أبناء الطائفة. ومن أجل التخلّص من هذه الظاهرة السلبية لا بدّ أن تتوفّر أجواء الصحّة الاجتماعية الكافية التي تحترم كلّ معتقدات ومتبنّيات أبناء الطوائف الأُخرى. كما لا بدّ لذات الطائفة أن تتمتّع بالثقة الكافية والتخلّص من الشعور بعقدة الاضطهاد وتطوير خطابها للتعامل مع الوسط الاجتماعي التي تتحرّك فيه.

خامساً: عقدة الإقصاء والتسيّد الطائفي.

حاول بعض السلاطين أن يقصي أبناء المذاهب الأُخرى ممّن لا ينتمون إلى مذهبه، وقد أدّت هذه النعرة إلى وقوع ضحايا كثيرة وألحقت الظلم بأبناء المذاهب الأُخرى، كما حاولت الدولة الفاطمية في تعاملها مع بعض أبناء المذاهب السنّية، فيما وجّهت الدولة الأيّوبية بالمقابل ضغوطاً وممارسات قاسية على الفاطميّين لنفس الدوافع والأسباب ولتحقيق نفس النتائج.

إنّ مثل هذه السياسات والممارسات وإنّ تحقّق نتائج شخصية لواضعيها، ولكنّها لا شكّ مضرّة في مصلحة الأُمّة، وإنّها لا محالة زائلة في حسابات الأُمّة وعلى مدى عمرها الذي يتجاوز عمر واضعيها».

إبراهيم عزّت

إبراهيم عزّت محمّد سليمان: داعية كبير، وخطيب مؤثّر وشهير.

ولد سنة ١٩٣٩ م في قرية من قرى محافظة (سوهاج) بصعيد مصر، ونشأ نشأة طيّبة في بيت مسلم كريم بين أبوين محافظين على تعاليم الإسلام، وتخرّج بكلّية التجارة، وحصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال والاقتصاد من جامعة الأزهر.

كان والده يعمل مديراً للتعليم الصناعي في المدينة المنوّرة، فكان يقضي إجازة الصيف هناك، وكان كثير التردّد على مسجد رسول الله ﷺ والصلاة فيه، كما تردّد كثيراً على بيت الله الحرام خلال تلك الفترة مؤدّياً الحجّ والعمرة، ممّا كان له كبير الأثر في تكوين شخصيته المسلمة.

وقد عمل في وظائف الدولة، فكان مذيعاً، وتعرّف خلال دراسته على جماعة الإخوان المسلمين، فأخذ منهم الشيء الكثير، وأحبّ دعوتهم، وتربّى في أوساطهم، وانتسب إليهم، كما التحق بجماعة الدعوة والتبليغ، فكان يخرج معهم.

وقد اختار طريقه داعياً إلى الله تعالى، فطاف أغلب بلاد العالم شرقه وغربه، يبلّغ دعوة الإسلام بصدق وإخلاص، ممّا كان له أكبر الأثر في نفوس محبّيه ودخول كثير من الناس

على مختلف مذاهبهم وجنسياتهم في دين الله أفواجاً.

تمّ اعتقاله، وزجّ به في السجن لفترة ثلاث سنوات، قضاها في السجن الحربي من سنة ١٩٦٥ م إلى سنة ١٩٦٨ م راضياً بما قسم له ومتحمّلاً أعباء الدعوة والإرشاد.

وقد كان في أوّل أمره خطيباً في «مسجد المدينة»، وهو مسجد صغير يقع بمنطقة (الدقّي)، ومن ثمّ انتقل إلى «مسجد أنس بن مالك» الذي ضاق بالمصلّين على سعته وتعدّد طوابقه، فكان يصلّي خلفه ما يربو على خمسة وعشرين ألفاً من المصلّين في صلاة الجمعة، تضيق بهم الشوارع المحيطة بالمسجد حيث الميدان الذي يحيط به وخمسة شوارع تؤدّي إليه!

توفّي فجر الجمعة ٢١ من شهر رمضان وهو محرم بالعمرة سنة ١٩٨٣ م، فصلّي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بمكّة المكرّمة.

له ديوان «الله أكبر»، بالإضافة إلى قصائد كثيرة أُخرى، كما له حوالي ٢٠٠ خطبة جمعة مسجّلة على أشرطة.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ١٨، إتمام الأعلام: ٢٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٠٥).

إبراهيم مدكور

إبراهيم بيّومي مدكور: أحد رجال الفكر والسياسة واللغة.

ولد سنة ١٩٠٢ م بـ(أبي النمرس) بمحافظة الجيزة المصرية، ودرس باديَ الأمر في الأزهر الشريف، ثمّ التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على دبلوم دار العلوم عام ١٩٢٧ م. واستقال من وظيفته ليواصل تعليمه العالي، فسافر إلى فرنسا على نفقته الخاصّة عام ١٩٢٩ م، وحصل على إجازة الآداب من جامعة السوربون سنة ١٩٣١ م، فإجازة الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٣٣م، فدكتوراه الدولة في الفلسفة من السوربون عام ١٩٣٤م، وعاد مدرّساً في جامعة القاهرة وبعض كلّيات الأزهر.

وكانت له مشاركة سياسية في الحركة الوطنية ببلاده، واعتقل وسجن في حوادث ثورة ١٩١٩م.

وهو عضو في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٧ م لمدّة خمسة عشر عاماً، وتولّىٰ وزارة التعمير عام ١٩٥٢ م لمدّة يوم واحد فقط، ثمّ أصبح نائباً لرئيس مجلس الإنتاج عام ١٩٥٥ م.

انتخب عام ١٩٤٦ م لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثمّ عضواً في مكتب المجمع، فكاتب سرّه عام ١٩٥٩ م، فأميناً عامّاً له عام ١٩٧٤ م خلفاً للدكتور طه حسين، وظلّ يرأس المجمع حتّى وفاته عام ١٩٩٥ م على قول «إتمام الأعلام» أو عام ١٩٩٦ م على قول «الموسوعة العربية العالمية» أو عام ١٩٩٨ م على قول «موسوعة ألف شخصية مصرية»!

كما كان عضواً بمجمعي اللغة العربية بدمشق وبغداد.

وقد أنجز المجمع في عهده عدداً من المطبوعات المهمّة وبعض المعاجم.

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧١ م، ومنحته جامعة برينستون في الولايات المتّحدة درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٤ م تقديراً لخدماته العلمية ونشاطه في التبادل الثقافي.

وكان يدعو إلى تطوير اللغة العربية والابتكار فيها.

توفّي في مصر تاركاً عدّة مؤلّفات، منها: نشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، مع الخالدين، في الفكر الإسلامي، منطق أرسطو والنحو العربي، في اللغة والأدب، دروس في تاريخ الفلسفة (بالاشتراك). كما حقّق بالاشتراك كتب: الشفاء لابن سينا، والمغني للقاضي عبد الجبّار المعتزلي، والفتوحات المكّية لابن عربي، وشارك في إصدار الموسوعة العربية الميسّرة، وله عدّة مقالات عن الفكر والفلسفة الإسلامية باللغة الفرنسية.

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٢٨ ـ ٢٩، الموسوعة العربية العالمية ١: ٧٢، شخصيات لها تاريخ لعبدالرحمان المصطاوي: ٢٥ ـ ٢٤٦، إتمام الأعلام: ٢٠ ـ ٢١، موسوعة الأعلام ٤: ١٥٥، روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة: ٩٧ ـ ١٠٧).

ابن أبي الحديد المعتزلي

أبو حامد عزّ الدين عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي: عالم معروف، ومن أعيان المعتزلة، وصاحب نظرية في عالم التقريب.

ولد في المدائن سنة ٥٨٦ هـ، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي. له شعر جيّد واطّلاع واسع على التاريخ الإسلامي.

توفّي ببغداد عام ٦٥٦ هـ تاركاً عدّة مصنّفات، منها: شرح نهج البلاغة، الفلك الدائر على المثل السائر، نظم فصيح ثعلب، القصائد السبع العلويات، العبقري الحسان، الاعتبار، شرح الآيات البيّنات، ديوان شعر.

له نظرية خاصّة وحدوية، وهي: أحد الحلول التي اقترحها للتقريب، يقول ابن أبي الحديد: بأنّ علينا أن نعمل بمقتضىٰ قول الرسول ﷺ بشأن الإمام علي عليه السلام: «علي مع الحقّ، والحقّ مع علي، يدور معه حيثما دار». وهذا يعني أنّ الإمام علياً هو الميزان، وعلينا أن نرضى بما رضي، ونرفض ما رفض، وقد رضي ـ وذلك بسبب الحوادث التي جرت عليه ـ بخلافة الخلفاء الذين تقدّموا عليه، ولذا لا ننازع أنصارهم، فالخلفاء حكموا المسلمين، وعلي قام بمهمّات الإمامة.

هذا هو رأي ابن أبي الحديد الذي يصفه أحمد أمين بأنّه يمثّل نوعاً من «التشيّع المعتدل»، وهو في الواقع يعبّر عن محاولة للجمع بين المذهبين، أي: أنّه يؤيّد إمامة علي عليه السلام وخلافة الخلفاء التي يعتقد بأنّ الإمام علي عليه السلام أقرّها.

ويمكن نقد هذه النظرية: بأنّ الشيعة توافق على الشطر الأوّل من النظرية، وهو أنّ عليّاً هو ميزان معرفة الحقّ وأنّ أتباعه على الحقّ، بل يذهب ابن أبي الحديد إلى أنّ من حارب علياً كافر ومعذّب في النار، إلّا من ثبت أنّه تاب فيما بعد، ثمّ يذكر أسماء التائبين من محاربيه. ولكن نظرية ابن أبي الحديد تحلّ البعد السياسي للمشكلة، أي: أنّه هو المرجع في الشأن السياسي، فنحن راضون بما رضي، ولكن تبقىٰ المرجعية العلمية، فالمسلمون

بحاجة إلى مَن يرجعون إليه بعد النبي ﷺ لتلبية احتياجاتهم العلمية في الشؤون العقدية والفقهية والأخلاقية وتهذيب النفس والطرق السلوكية بحسب الاصطلاح الرائج، فهل يوافق ابن أبي الحديد على القول بأنّ الإمام علياً والأئمّة من ولده عليهم السلام هم المرجع في أخذ الفقه والسلوك الأخلاقي (الشريعة والطريقة) وفي الكلام (العقائد)؟ إذا قال بذلك فهو لا يرىٰ الخلفاء غاصبين للخلافة؛ لأنّه يعتقد بأنّ عليّاً رضي بخلافتهم، فهي مشروعة. ولكن ابن أبي الحديد لم يكن تابعاً لأهل البيت عليهم السلام في المسائل العلمية الفقهية والكلامية والسلوكيات الأخلاقية. صحيح أنّه يصرّح بقبوله بما ورد في «نهج البلاغة»، لكنّه يعرض جملةً من التأويلات المخالفة لظاهر ما ورد فيه من نقد وجّهه الإمام علي للخلفاء في بعض خطب «نهج البلاغة»، فهل يمكن ـ والحال هذه ـ القول بأنّه ملتزم بالفقه الشيعي؟ الظاهر هو الجواب بالنفي، خاصّة وأنّه يصف الشيعة بأنّهم كُذّاب.

(انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٥: ٣٩٢، فوات الوفيات ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٢، البداية والنهاية ١٣: ١٩٩ ـ ٢٠٠، الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٩، موسوعة المورد ٥: ١٤٧، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٩٧ ـ ٩٨، معجم تراجم الشعراء الكبير: ٩٥، موسوعة الأعلام ١: ١٣ ـ ١٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٣ ـ ٢٤ و٢: ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

ابن الجنيد الإسكافي

أبو علي محمّد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي الكاتب: واحد من كبار فقهاء الشيعة. كان محدّثاً متكلّماً وجهاً جليل القدر. قيل: إنّه كان يرىٰ القول بالقياس. صار عالماً معروفاً مصنّفاً في أيّام معزّ الدولة البويهي، وكان معزّ الدولة يسأله ويكاتبه.

يروي عن أحمد بن محمّد بن طلحة العاصمي، ويروي عنه: المفيد، وأحمد بن عبدون.

ولابن الجنيد كتب كثيرة، منها: تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، المختصر الأحمدي للفقه المحمّدي، نور اليقين وبصيرة العارفين، فرض المسح على الرجلين. وله أجوبة مسائل كثيرة أيضاً.

توفّي بالري بعد عام ٣٦٠ هـ.

ومن الملامح التقريبية في فكر ابن الجنيد ما يلي ذكره:

١ ـ الإفتاء العامّ لجميع المذاهب الإسلامية من موقع المسؤولية الشرعية والأخلاقية التي كان يفرضها الوضع السياسي والاجتماعي له.

٢ ـ العمل على تقريب وجهات النظر وتخفيف حدّة الصراع المذهبي بين المسلمين من خلال تقديم الحكم الشرعي مدعوماً بالأدلّة مورد الاعتماد عند جميع المسلمين.

٣ ـ اتّباع المنهج الجديد في الاستنباط. وهو منهج التفريع والتطبيق للقواعد، والذي كان قريباً من منهج جمهور المسلمين في التفريع والتطبيق.

٤ ـ الابتعاد عن التعصّب في الحركة العلمية والثقافية والاستفادة من جميع الإمكانات الفعلية، والتي منها استخدامه طريقة المعتزلة في الحوار والمناظرة.

(انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، رجال النجاشي: ٣٨٥ ـ ٣٨٨، الفهرست للطوسي: ٣٩٢ ـ ٣٩٣، الخلاصة: ٢٤٥، جامع الرواة ٢: ٥٩، الفوائد الرجالية ٣: ٢٠٥ و ٤: ١٤٥، طرائف المقال ٢: ٥١٥ ـ ٥١٧، تنقيح المقال ٢: ٦٧ ـ ٦٩، الكنىٰ والألقاب ٢: ٢٦ ـ ٢٧، معجم المؤلّفين ٨: ٢٤٨، موسوعة طبقات الفقهاء ٤: ٣٤٧ ـ ٣٤٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٤ ـ ٢٥).

أبو الأعلىٰ المودودي

أبو الأعلىٰ بن أحمد حسن الحسني المودودي: من كبار المفكّرين الإسلاميّين. نسبته إلى قطب الدين مودود جشتي مؤسّس الطريقة الجشتية بالهند.

ولد في مدينة أورنغ آباد بمقاطعة حيدر آباد بالهند سنة ١٩٠٣م، وحصل على شهادة مولوي، ثمّ انقطع عن الدراسة وعمل بالصحافة، وانتقل إلىٰ العاصمة مستغلاً وقت فراغه في التردّد على حلقات العلماء. كتب مقالات عن الجهاد كان لها أثرها في ترتيب أوضاع المسلمين ببلاده فيما بعد، وأصدر مجلّة «ترجمان القرآن» التي غدت الوسيلة الرئيسة لتوجيه مسلمي الهند. وانتقل إلى البنجاب بدعوة الشاعر الإسلامي المعروف محمّد إقبال، واُختير هناك اُستاذاً في كلّية الدراسات الإسلامية، وانتسب إلىٰ حزب الرابطة الإسلامية، فدعا للتفكير في حقيقة الإسلام وتطبيقه في جميع المجالات، ووضع برنامجاً لذلك أعلنه

في مؤتمر تمخّض عن نشأة «الجماعة الإسلامية» في مدينة لاهور الباكستانية عام ١٩٤١م، فكان أوّل رئيس لها، واعتقل أكثر من مرّة بسبب دعوته حكومة باكستان بوضع دستور إسلامي يحكم البلاد، ولنشره بياناً ضدّ القاديانية.

أسهم في المؤتمرات الإسلامية الكبرىٰ، وجمعية «الجامعات الإسلامية» بوصفها منظّمة دائمة، و«الجماعة الإسلامية». وكان رئيسها كما تقدّم، ثمّ استقال منها بعدما ساءت صحّته متفرّغاً للتأليف.

من آثاره: الجهاد في سبيل الله، الحجاب، المصطلحات الأربعة في القرآن، مبادئ الإسلام، تفسير سورة النور، الحضارة الإسلامية، الأُسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، أُسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، الإسلام والجاهلية، القانون الإسلامي، البعث بعد الموت، البيانات، نحن والحضارة الغربية، قضايا أمام المسلمين.

توفّي في نيويورك عام ١٩٧٩ م، ودفن بمدينة لاهور.

في مجال الوحدة الإسلامية كان المودودي يؤكّد على نفي التعصّب والتقليد الأعمىٰ، ويجعل المعيار القرآن والسنّة مع الاستهداء بأقوال علماء السلف. وقد حارب الدعوات التمزيقية للأُمّة كالدعوات القومية الضيّقة، وجعل الوطنية الحقيقية هي المستمدّة من الانتساب إلى الإسلام.. واعتقد أنّ القومية التي رسمها الإسلام تقع في إطار عقلاني محض هو دائرة الشهادتين، فهي ملاك الأُخوّة، وأكّد أنّه لا توجد في الإسلام مادّة قانونية واحدة تمنح امتيازاً لأيّ مسلم على آخر بمقتضىٰ التبعية الجغرافية أو اللغوية أو العنصرية، سواء في العبادات أم المعاملات أم التعامل الاجتماعي والسياسي.

وقد دعا إلى قيام حكومة إسلامية تحت قيادة واعية، تمتلك أهلية الخلافة، مستمدّة شروط حاكميتها من الله تعالى، ومطبّقة لقوانين الشريعة الإسلامية، ومختارة من قبل الأُمّة باعتبارها الخليفة المؤتمنة على تطبيق شرع الله. وهو ما أسماه بـ«الخلافة العامّة.

كما دعا إلى إحياء النظرة الإسلامية الشمولية العالمية، وإلى وضع أُسس المجتمع الإسلامي واستعادة خصائصه.

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ٢٤: ٣٧٢، تتمّة الأعلام ١: ٧٣ ـ ٧٥ و٣: ١٣٩، إتمام

الأعلام: ٦٤ـ ٦٥، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٥٠٩ ـ ٥٢٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٧ـ ١١٠، عظماء الإسلام: ٣٠٣ ـ ٣٠٤، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، نثر الجواهر والدرر ١: ٢٤٩ ـ ٢٥٣، شخصيات لها تاريخ لمحمدّ عـمارة: ٢٣٧ ـ ٢٤٣، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٣٠ ـ ٣٣٨، رجالات التقريب: ١٨٩ ـ ١٩٦، موسوعة الأعلام ٤: ٢٣٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٥ ـ ٢٦).

أبو بكر جومي

أبو بكر محمود جومي: عالم من دعاة الإسلام في نيجيريا، ومفتيها الأعظم.

ولد في نيجيريا، وتلقّىٰ مبادئ العربية والقرآن الكريم والفقه على أبـيه، ثـمّ واصـل الدراسة النظامية حتّىٰ تخرّج في كلّية الشريعة، وتابع تعليمه في السودان.

ولمّا عاد إلى بلاده ارتبط بأحمدو بللو وأصبح ساعده الأيمن في الدعوة إلى الإسلام ومحاربة البدع والخرافات، وشاركه في إنشاء منظّمة «جماعة نصر الإسلام، فمنحه بللو وساماً ذهبياً أمام الجماهير تكريماً له، كما منحته الحكومة الفيدرالية وسام الشرف الأعلى، وفاز بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام.

عيّن مساعداً لرئيس القضاء في محكمة الاستئناف الشـرعية العـليا بـعد استقلال نيجيريا، فرئيساً للقضاء في الإقليم الشمالي، فمفتياً أكبر للبلاد، فرئيساً لمـجلس مـركز التعليم التربوي في نيجيريا. كما اخـتير عـضواً فـي المـجلس الأعـلى العـالمي لشـؤون المساجد، والمجمع الفقهي في مكّة المكرّمة، ومجمع البـحوث الإسـلامية فـي القـاهرة، والمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وعضواً مؤسّساً في رابـطة العـالم الإسلامي، وجامعة أحمدو بللو، ومجلس كبار العلماء في نيجيريا.

جاهد الشيخ جومي لتحرير وطنه بقلمه وفكره، وترجم معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا، ونشر عدداً من المؤلّفات، من أهمّها: العقيدة الصحيحة بموافـقة الشـريعة، الورد العظيم من الأحاديث والقرآن الكريم، تفسير ردّ الأذهان إلى معاني القرآن.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٨٢ ـ ٨٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٦٤ ـ ١٧٦٥).

أبو الحسن الفاضل البهسودي

السيّد أبو الحسن فاضل البهسودي: عالم دين شيعي، وأحد مؤسّسي حزب الوحدة الإسلامي، وعضو مجلس الشورى العالي لقيادة الدولة المؤقّتة في بلاده أفغانستان.

ولد سنة ١٣٥٩ هـ في بلدة (بهسود) التابعة لمحافظة (ميدان) الأفغانية، واجتاز مقدّمات العلوم الدنية في مسقط رأسه ومرحلة السطوح في حوزة المحمّدية العلمية في كابل، ثمّ سافر إلى النجف الأشرف، وحضر أبحاث درس الخارج في الفقه وأُصوله عند السيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي، والسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر.

انتقل إلى إيران سنة ١٤٠٤ هـ، وسعى في توحيد كلمة الأحزاب الشيعية الأفغانية وفي إنشاء مؤسّسات خيرية ومدارس دينية.

توفّي في مدينة قم، ودفن في مقبرة شيخان سنة ١٤١٩ هـ.

من مؤلّفاته: آراء الذرّيّين حول الذرّة والحركة، تقريرات في الفقه والأُصول، حوار حول المهدي الفاطمي، الشبهات حول المعتقدات، شرح كفاية الأُصول، شرح المكاسب المسمّى بمنتهى المطالب في شرح المكاسب.

(انظر ترجمته في: موسوعة مؤلّفي الإمامية ٢: ٨٧ـ٨٨).

أبو الحسن الندوي

مفكّر وداعية إسلامي معروف.

ولد أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي عام ١٩١٤ م في قرية «تكية» من مديرية «رائن بريلي» من الولاية الشمالية في الهند. وأصله من أُسرة عربية كريمة ترجع بأُصولها العريقة إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وقد سكنت الهند منذ قرون خلت.

توجّه منذ حداثة سنّه إلى تعلّم العربية والإنجليزية فوق تعلّمه للأُردية، وتعمّق في دراسة الأدب العربي، والتحق بجامعة «لكنهو» في قسم آداب اللغة العربية، وتأثّر بأفكار: شاعر الإسلام إقبال، والشيخ عبد الرحمان المباركفوري، والشيخ حسين أحمد المدني،

والشيخ حيدر حسن خان، والدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي، وغيرهم. ومن بعد الجامعة التحق بالندوة ليلاقي كبار العلماء في الهند وليحضر دروس الشريعة عليهم.

وهو شاعر وخطيب وداعية وكاتب من الطراز الأوّل. اختير أميناً عامّاً لندوة العلماء، وعضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٧م، وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، ورئيساً لهيئة التعليم الديني في ولاية الهند الشمالية، ورئيساً لمجلس الأحوال الشخصية لمسلمي الهند. كما أنشأ رابطة الأدب الإسلامي العالمية لتقود حركة التجديد للأدب العربي والإسلامي، وأسّس «جمعية التبشير بالإسلام بين الهندوس»، وارتبط بحركة الدعوة والتبليغ في دلهي، وأصدر مجلّة «القمير» بالأُوردية.

توفّي في رمضان عام ١٩٩٩ م في «لكنهو» تاركاً الكثير من المؤلّفات، والتي منها: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، روائع إقبال، رحلات ومذكّرات، الصراع بين الإسلام والمادّية، المسلمون في الهند، المسلمون وقضية فلسطين، إلى الإسلام من جديد، اسمعي يا مصر، أُسبوعان في المغرب الأقصى، الإسلاميّات بين المستشرقين والباحثين المسلمين، الإسلام والغرب، الهند في العهد الإسلامي.

كان منهجه الدعوي يميل إلى التركيز على التربية وتنشئة أجيال مشبعة بروح الإسلام وأخلاقه وقيمه. وكان يرى أنّ بناء المجتمع المسلم القوي المترابط يسبق كلّ بناء، وحرص في خطبه ومؤلّفاته على إيقاظ الضمير الديني وبثّ الوعي الإسلامي. وقد أشاد بجهوده: مصطفىٰ السباعي، وسيّد قطب، وعلي الطنطاوي، وأنور الجندي، ومحمّد المجذوب، وغيرهم.

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ٢٥: ٢٨٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٢٦٤ ـ ٢٦٨، عظماء الإسلام: ٣١٨ ـ ٣١٩، إتمام الأعلام: ٢٨٦ ـ ٢٨٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٢٠ ـ ٣٩، وجوه عربية وإسلامية: ١٧ ـ ٢٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٨٥ ـ ١٩٨٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٦ ـ ٢٧).

أبو عبدالله الزنجاني

أبو عبدالله بن نصر الله الزنجاني: فقيه إمامي ماهر في علوم القرآن والفلسفة والكلام.

ولد في زنجان سنة ١٣٠٩ هـ، وتعلّم بها، ودرس علوم العربية ومبادئ الفقه وأُصوله، وتلقّى علم الهيئة وعلم الكلام عن الميرزا إبراهيم الفلكي الزنجاني، وواصل دراسته في طهران.

ومن بعد ذلك ارتحل صوب العراق سنة ١٣٣١ هـ، فورد النجف، وحضر بها على بعض الفقهاء الأعلام، كالسيّد محمّد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا محمّد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي.

وأُجيز بالرواية والاجتهاد من: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، وشيخ الشريعة، والسيّد محمّد الفيروزآبادي، وغيرهم.

ومكث في النجف إلى سنة ١٣٣٨ هـ، ثمّ قصد مسقط رأسه، وتنقّل في بعض مدن إيران المهمّة، وزار سوريا وفلسطين ومصر والحجاز والأردن، واتّصل بالشخصيات الفكرية والأدبية، وانتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً له، كما عيّن أُستاذاً لمادّتي التفسير والفلسفة الإلهية في جامعة طهران ومدرسة سبهسالار.

وقد أثنى عليه الدكتور أحمد أمين المصري بقوله: «من أكبر علماء الشيعة ومجتهديهم... رأيته واسع الاطّلاع عميق التفكير وغزير العلم بالفلسفة الإسلامية ومناحيها وأطوارها».

وقد روى بالإجازة عن: السيّد حسن الصدر الكاظمي، والسيّد محمود شكري الآلوسي البغدادي، والسيّد بدر الدين محمّد بن يوسف المغربي محدّث دمشق.

توفّي في طهران سنة ١٣٦٠ هـ تاركاً عدّة مصنّفات، منها: تاريخ القرآن، الأُصول الاجتماعية في القرآن، إثبات تحريف العهدين، التصوّف في التاريخ، حياة صدر الدين الشيرازي، المعارف في إيران قبل الإسلام، منهاج النجاح (مناسك آل محمّد ﷺ)، فلسفة الحجاب (بالفارسية)، طهارة أهل الكتاب، الأفكار الفلسفية، دين الفطرة (بالفارسية)،

تاريخ حياة نبي الإسلام (بالفارسية)، التصويت، الوحي، الإسلام والأوربيّون، شرح رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد لنصير الدين الطوسي. كما ترك عدّة مقالات أدبية وفلسفية نشرت في: مجلّة «المجمع العلمي العربي» بدمشق، ومجلّة «الزهراء» المصرية، ومجلّة «لغة العرب» البغدادية.

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٢: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٦٣٧، الأعلام للزركلي ٤: ٩٧، معجم المؤلّفين ٦: ١٥٩، موسوعة مؤلّفي الإمامية ٢: ٢١٨ ـ ٢٢٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٠ ـ ٤١).

أبو القاسم الخوئي

أحد مراجع الإمامية المشهورين بالعلم والفقاهة، وعلم من أعلام الدين.

ولد السيّد أبو القاسم بن علي أكبر بن مير هاشم الموسوي الخوئي النجفي عام ١٣١٧ هـ في مدينة «خوي» الإيرانية، وهاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٣٠ هـ لتحصيل العلوم الدينية، وحضر على جملة من العلماء، كشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وكتب تقريراتهم، حتّى بلغ رتبة عالية من الاجتهاد، فحضر عنده جملة كبيرة من الأعلام، واستمرّ بالتدريس والتأليف مدّة طويلة من الزمن، حتّى وافاه الأجل في النجف الأشرف عام ١٤١٣ هـ.

كان درسه يمتاز بعمق التحقيق، وعذوبة البيان، والقدرة على الإفصاح بكلّ يسر وسهولة.

وقد تعرّض لمحن كثيرة، كان أبرزها تفجير سيّارته الخاصّة سنة ١٤٠٠ هـ، وهدمت مدرسته (دار العلم) سنة ١٤١٠ هـ، واعتقل عدد كبير من أفراد عائلته، كما اعتقل هو نفسه.

أنشأ سنة ١٩٨٧ م مؤسّسة الإمام الخوئي الخيرية في لندن، والتي اهتمّت بنشر الدعوة وإنشاء المدارس في لندن ونيويورك، وأسهمت هذه المؤسّسة كذلك في الحوار الإسلامي مع الأديان، فاعترفت بها هيئة الأُمم المتّحدة، وصار لها سفير فيها.

من تصانيفه : البيان في تفسير القرآن ، أجود التقريرات ، تعليقة على العروة الوثقى ، رسالة في الغروب ، معجم رجال الحديث ، نفحات الإعجاز ، مستحدثات المسائل ، تعارض الاستصحابين ، قاعدة التجاوز ، المسائل والردود ، منتخب الرسائل ، تلخيص المنتخب ، مباني تكملة منهاج الصالحين ، رسالة في اللباس المشكوك .

عدّه بعض من جملة التقريبيّين مستنداً إلى لقاءاته المتعدّدة مع بعض علماء أهل السنّة ونقاشاته ومناظراته معهم ، وإلى تأسيسه بعض المساجد والمراكز الإسلامية في شتّى أنحاء العالم ، وإلى تأليفه كتاب فقهي مقارن بعنوان «فقه القرآن على المذاهب الخمسة» .

(انظر ترجمته في : معارف الرجال ١ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (الهامش الأوّل)، معجم رجال الفكر والأدب ٢ : ٥٣٢ ـ ٥٣٣، الذريعة ١ : ٢٧٨ و٢٤ : ٢٤٦، ملحق موسوعة السياسة : ٣٦٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب : ٢٠ ـ ٢٢، تتمّة الأعلام ٣ : ٢٢٨، إتمام الأعلام : ٣١٩ ـ ٣٢٠، مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٥١٨ ـ ٥٢٠، أساطين المرجعية العليا : ٢٦٥ ـ٣٣٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٢٧).

أبو القاسم الكاشاني

أبو القاسم بن مصطفىٰ بن حسين الكاشاني : عالم جليل ، ومجاهد كبير ، ومصلح مشهور ، وسياسي محنّك .

ولد في العاصمة الإيرانية سنة ١٣٠٣ هـ، وعندما بلغ من العمر ١٦ سنة سافر بمعية والده إلى العراق ، ودرس في النجف الأشرف على : الشيخ محمّد كاظم الخراساني ، والميرزا حسين الخليلي .

وكان منذ أوائل شبابه معروفاً بعمق الفكر ودقّة النظر وشرف النفس وعلو الهمّة والطموح . وقد شارك في محاربة الاحتلال البريطاني للعراق مدّة ١٨ شهراً في منطقة الكوت مع والده وبقية العلماء الأعلام . وعندما أراد الإنجليز أن يلقوا القبض عليه هاجر إلى إيران ، فكتب السيّد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٤١ هـ رسالة إلى أعاظم طهران يعرّفهم بالسيّد واصفاً إيّاه بركن الملّة والدين وعمدة المجتهدين.

وفي إيران قام بالنضال ضدّ النظام الملكي متّفقاً في بادئ الأمر مع الدكتور محمّد مصدّق على محاربة الشاه، فاعتقل وأُودع السجن في آراك ورشت وكرمان شاه، وتعرّض لأشدّ أنواع التعذيب، ثمّ حكم عليه بالنفي مدّة ١٨ شهراً إلى قزوين، ومن ثمّ إلى لبنان، فمكث في منفاه مدّة طويلة، ثمّ عاد إلى إيران، وواصل نشاطاته، حتّىٰ قيل: إنّه أحد أقطاب نهضة تأميم النفط في إيران، وتعرّض للاضطهاد مرّة أُخرى، وبقي على مواقفه وجهاده حتّىٰ لبّىٰ نداء ربّه سنة ١٣٨٢ هـ، فدفن في مدينة الري بطهران.

وقد كان السيّد أبو القاسم يعتقد بفكرة اتّحاد الدين والسياسة، ويرىٰ أنّ الفصل بينهما من مخطّطات الاستعمار الغربي الخطيرة. كما كان يؤمن بضرورة وحدة البلاد الإسلامية ومسلميها ضدّ التحدّيات التي تواجه الإسلام. وكان يفكّر في إقامة مؤتمر علامي إسلامي، غير أنّ الظروف لم تسمح له بتحقيق هذا الأمل.

ومن الجدير ذكره أنّه في عام ١٩٤٨ م خلال موسم الحجّ التقىٰ السيّد أبو القاسم الكاشاني بالشيخ الداعية حسن البنّا (المتوفّىٰ سنة ١٩٤٩م)، وحدث بينهما تفاهم وتقارب في وجهات النظر حول التقريب والوحدة بين المسلمين، وأملا أن يكون هذا اللقاء بداية مسار على طريق الوحدة الإسلامية.

وقد سجّل هذا الحدث لأهمّيته في تراجم سيرة الرجلين، وكان ملفتاً لنظر الكثيرين.

فقد نقل الأُستاذ عبدالمتعال الجبري صاحب كتاب «لماذا اغتيل حسن البنّا؟» عن السياسي «روبير جاكسون» في حديثه عن الشيخ حسن البنّا قوله: «ولو طال عمر هذا الرجل لكان يمكن أن يتحقّق الكثير لهذه البلاد، خاصّة لو اتّفق حسن البنّا مع آية الله الكاشاني الزعيم الإيراني على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة والسنّة. وقد التقىٰ الرجلان في الحجاز عام ١٩٤٨ م، ويبدو أنّهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنّا بالاغتيال».

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٧٣، كفاح علماء الإسلام: ٢٣٩ ـ ٢٤٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٧١ ـ ١٧٢).

إحسان حقّي

إحسان سامي حقّي: مؤرخ، أديب، مصلح.

ولد بدمشق سنة ١٩٠٤ م، ونشأ بها، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة لوزان السويسرية، وعاد إلى بلاده، فعمل في سلك التعليم، ثمّ سافر إلى الهند قبل استقلالها وتقسيمها، فبقي فيها مدّة طويلة، فأتقن اللغة الأُوردية كأحد أبنائها.

عيّن أُستاذاً بجامعة عليكرة، وأبعده الإنجليز، فقصد فرنسا، واشتغل بالتجارة، وعاد بعد الحرب العالمية الثانية. واختير عضواً في المجمع العلمي الإسلامي للأبحاث الذي أنشاه العلّامة محمّد إقبال اللاهوري سنة ١٩٣٢م، وحضر اجتماعه الأوّل، وعمل معه في المجالات الإسلامية.

كان يعرف جغرافية باكستان ولغاتها وأديانها معرفة تامّة، كما يعرف أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، واتّصل بكبار الشخصيات فيها، فدعوه للاستعانة بخبرته أكثر من مرّة لوضع برنامج لتعليم العربية بوصفها لغة ثانية في البلاد. وحمل فكرة تعريب باكستان، وطالب بإعطاء العرب فيها حقوق الأقلّيات، وطوّف في عدد من جامعاتها، فألقىٰ محاضراته. ومن أجل ذلك زارها سنة ١٩٨٣ م، وقدّم ثلاثة تقارير ضمّنها رأيه في كيفية نشر اللغة العربية.

قلّده رئيس جمهورية الباكستان في وقته ضياء الحقّ أرفع وسام باكستاني تقديراً لخدماته.

سافر إلى كثير من بلدان أوروبّا وأفريقيا وآسيا، حتّىٰ استقرّ أخيراً في دمشق، وأحسّ بدنو أجله، فأهدىٰ خزانة كتبه لمكتبة الأسد الوطنية، ومات سنة ١٩٩٣م.

من مؤلّفاته: تاريخ شبه الجزيرة الهندية ـ الباكستانية، مفتاح العربية، محمّد علي جناح باني باكستان، تونس العربية، المغرب العربي، أصغر خمس دول في العالم، انهيار عروش وتدحرج رؤوس، مسلم الغد، مأساة كشمير المسلمة، المسلمون أمام التحدّي العالمي، محمّد رسول الله، الصوم عند الأُمم، أسرار الخلقة وإبداعها، علم الكفّ.

ومن كتبه المحقّقة أو المترجمة: علمانية الهند، تاريخ الدولة العثمانية، بروتوكولات

حكماء صهيون، اليقظة العربية الإسلامية، المسلمون في الاتّحاد السوفيتي، عائد من الجحيم ،خلق لا تطوّر.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٧ ـ ٢٨).

أحمد أبو الفتح المصري

أحمد أبو الفتح بك ابن حسين أبو الفتح: أُستاذ مصري مرموق، وهو والد آل أبي الفتح أصحاب جريدة «المصري».

ولد في بلدة الشهداء من أعمال مديرية المنوفية بمصر سنة ١٨٦٦ م، ودخل كتّاب القرية، فحفظ القرآن الكريم وجوّده، ثمّ أخذ يمارس كثيراً من متون العلوم اللغة والشريعة، فحذقها وحفظها، ثمّ التحق بمعهد طنطا الديني، ومن بعده تحوّل إلى الأزهر الشريف وتلقّى العلم علىٰ أفاضل علمائه، والتحق بعد ذلك بمدرسة دار العلوم ونال شهادتها العالمية سنة ١٨٩٠هـ.

وأخذ من بعد ذلك بممارسة مهنة التدريس في مدارس وزارة المعارف بضع سنين، فاختارته الوزارة مفتشاً لمدارسها عدّة سنوات، إلى أن جاءت سنة ١٩٠٧ م حيث اختاره سعد زغلول أُستاذاً للشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق، وبقي في عمله حتّىٰ سنة ١٩٣٠ م. وانتخب من بعدها عضواً في مجلس النوّاب عن دائرة عزب شبرا بالقاهرة، وأُنعم عليه قبلها برتبة البكوية من الدرجة الثانية من قبل الملك فؤاد الأوّل تقديراً لخدماته.

توفّي في القاهرة سنة ١٩٤٦ م تاركاً عدّة مؤلّفات، كالمختارات الفتحية في تاريخ التشريع الإسلامي وأُصول الفقه، والمعاملات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية، ومختصر المعاملات.

وقد وصفه الشيخ عبدالله مصطفى المراغي بكونه مثال المؤمن الصالح، وبأنّه كان شديد العطف على تلاميذه وكثير البرّ بأهله وبالناس جميعاً، لم يدّخر وسعاً في إغاثة ملهوف، ولم يأل جهداً في إعانة محتاج.

(انظر ترجمته في: الفتح المبين ٣: ١٩٩ ـ ٢٠١، الأعلام للزركلي ١: ١٩٣ ـ ١٩٤، نثر الجواهر والدرر ١: ١٥٦ ـ ١٥٧، سيّد قطب.. آية الجهاد: ٩٨).

أحمد بدر الدين حسّون

أحمد بدر الدين حسّون: مفتي الجمهورية العربية السورية، وداعية وحدة مشهور.

ولد في مدينة حلب الشهباء عام ١٩٤٩ م في أُسرة علم وعمل وأدب، فوالده المربّي والعلّامة الشيخ محمّد أديب حسّون.

نال شهادة الثانوية الشرعية بحلب عام ١٩٦٧ م، وحاز على شهادة الليسانس في الأدب العربي والدراسات الإسلامية من جامعة القاهرة، ونال درجة الدكتوراه من جامعة الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف بدرجة امتياز في الفقه الشافعي، وكانت أُطروحة الدكتوراه (موسوعة الإمام الشافعي) تحقيقاً وشرحاً، وتقع في عشرة مجلّدات. ونال درجة الدكتوراه الفخرية على كلمته في البرلمان الأوروبيّ (وحدة الإله ـ وحدة الحضارة ـ ووحدة الإنسان) من جامعة سونان كاليجاكا ـ جوكجاكرتا.

بدأ الدعوة إلى الله تعالى منذ عام ١٩٦٧ م خطيباً ومدرّساً، وقد انتشر فكره في العالم العربي والإسلامي والعالمي، حتّى لُقّب بـ(مفتي العالم الإسلامي). وشارك في عدد من المؤتمرات عربياً وعالمياً، فقد زار كلّاً من لبنان والسعودية وقطر والمغرب والإمارات ومصر والكويت وليبيا وعمان والبحرين والولايات المتّحدة الأمريكية وكندا وإيران وسريلانكا وتركيا وفرنسا واليونان والهند وكينيا وإيطاليا وبريطانيا والنمسا وروسيا وأرمينيا والنروج وألمانيا وفرنسا وأندونيسيا.

كان أوّل المتحدّثين في عام حوار الثقافات ٢٠٠٨ م في البرلمان الأوربّي.

وأمّا المواقع التي شغلها: فقد عيّن مدرّساً في عدد من مدارس مدينة حلب، وخطيباً ومدرّساً في عدد من الجوامع في محافظة حلب، وأخيراً في جامع الروضة، وعضواً في مجلس الشعب عن فئة المستقلّين لدورتين متتاليتين (١٩٩٠ ـ ١٩٩٨م) بصفة عضو لجنة الشؤون الخارجية والإرشاد، وعيّن مفتياً ثانياً لمحافظة حلب، ومفتياً أوّل لها، وعضواً في مجلس الافتاء الأعلى في الجمهورية العربية السورية، ومفتياً عامّاً للجمهورية العربية السورية، ورئيساً لمجلس الإفتاء الأعلى فيها.

وهو عضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، ورئيس اللجنة الإعلامية في المجلس الاستشاري الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية في المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ورئيس الهيئة الاستشارية الشرعية لمجلس النقد والتسليف في مصرف سوريا المركزي.

أمّا أهمّ الأفكار والهموم التي يحملها ويدافع عنها:

١ ـ الواقع الإسلامي ومستجدّاته.

٢ ـ إنّ الدين السماوي واحد والشرائع متعدّدة، والحضارة واحدة والثقافات متعدّدة.

٣ ـ أهمّية التواصل والتعاون والتنسيق مع المؤسّسات الدينية للنهوض بحال الأُمّة.

٤ ـ العلاقات الدينية والإنسانية.

٥ ـ الحوار البنّاء مع كلّ بني الإنسان لما فيه صلاح الأوطان وسعادة الإنسان.

٦ ـ بيان حقيقة العلاقة الشمولية للإسلام من خلال الدين الواحد وإن تعدّدت الشرائع واختلفت المذاهب وتنوّعت الأطياف.

٧ ـ ضوابط العلاقة مع الإنسان في ظلال حوار الحضارات وتنوّع الثقافات وإظهار الثقافة الإسلامية على أنّها إنسانية وعالمية.

٨ ـ العدل الإنساني والاقتصاد في المجتمعات.

٩ ـ العمل على أن تأخذ العبادة مكانتها الاجتماعية بعيداً عن الجمود والتقليد والتطرّف الفكري.

١٠ ـ الدعوة إلى ترشيد الخطاب الديني والإنساني على كافّة المستويات.

١١ ـ الدعوة إلى إزالة الحواجز بين الأطياف والمذاهب والآراء من أجل تحقيق الوحدة الوطنية.

١٢ ـ التواصل بين الثقافات الإنسانية على مستوى الشعوب لإثراء الفكر الإنساني.

١٣ ـ أصل العلاقة بين الشعوب والأُمم: التعارف والتعاون والتراحم، لا التناكر والتدابر والتقاتل.

ومن نشاطاته الاجتماعية والخيرية : تأسيس جمعية الفرقان الخيرية ، وأُسّست فيها روضة براعم الفرقان والمشغل المهني للفتيات الفقيرات .

وفي مطلع التسعينات ترأس جمعية رفع المستوى الصحّي والاجتماعي بحلب ، وتشمل عشرة مراكز صحّية تخصصية وداراً للمسلمين ومستشفى عمر بن عبد العزيز الخيرية ، وقد فتحت عدّة فروع للجمعية في باقي المحافظات السورية .

وقد ساهم في نهاية التسعينات بتأسيس صندوق العافية الخيري الذي يقوم بإغاثة المرضى المحتاجين من الفقراء إلى عمل جراحي .

وهو عضو في لجنة دعم الانتفاضة الفلسطينية ومقاومة المشروع الصهيوني لتهويد القدس وطمس معالمها الإسلامية والمسيحية . كما أنّه في حوار مستمرّ مع كلّ الشخصيات السياسية والدينية التي تزوره ، كالسفراء الغربيّين والأمريكيّين ، ووفود الكنائس الغربية ، ومجلس الكنائس العالمي ، والسفراء البابوبيّين ، والوفود اليهودية حول قضية الحقوق والواقع في فلسطين وكيف تصل إلى السلام دون إراقة الدماء .

من آثاره : موسوعة الأُمّ للشافعي ، الموسوعة في آداب الفتوى (كلاهما جمعاً وترتيباً) ، عوامل النصر وعوامل الهزيمة ، تفسير سورة التوبة .

والشيخ حسّون له خمسة أبناء وعشرة أحفاد.

ومن جملة مشاركاته التقريبية حضوره مؤتمر الوحدة الإسلامية العشرين في طهران .. ففي الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ألقى كلمة أكّد خلالها أنّ الوحدة والتكاتف والوفاق الإسلامي من الضروريات لعلاج حقيقي لجميع مشاكل المسلمين وتحقيق الانتصار ، وقال : «إنّ العالم الإسلامي على استعداد للتحرّك نحو تحقيق العزّة والاستقلال والتقدّم العلمي» .

ودعا إلى تدعيم وحدة المسلمين لمواجهة المشاريع المعادية للعالم الإسلامي ، مؤكّداً دور الحكومات الإسلامية وعلماء المسلمين في إعداد الأرضية للوحدة والوفاق الإسلامي مشيراً إلى الضرورة التاريخية ليصاغة ميثاق الوحدة الإسلامية بجهود علماء المسلمين.

وحذّر من المؤامرات التي تستهدف العالم الإسلامي من خلال بثّ الفرقة والاختلافات المذهبية، وقال: «إنّ العراق الذي احتضن قادة الفكر الإسلامي على مدى زمن طويل كان مثلاً للتعايش والمحبّة والأُخوّة، ولكن ما يحدث في العراق الآن من قتل هو من فعل المشاريع الغربية التي تسعى للتفرقة ونشر الخلاف بين الشعوب الإسلامية».

وأشار إلى أنّ العلوم الإسلامية كانت لخدمة الإنسان وسعادته وعزّته وكرامته وفي خدمة الإنسانية، ولم تكن يوماً لتدمير الإنسان الذي هو مقدّس في العالم دائماً.

كما أشار إلى انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية على العدوّ الإسرائيلي في عدوانه على لبنان، مؤكّداً أنّ انتصار المقاومة دفع قوى الغطرسة لتقوم بمؤامرتها للتأثير السلبي على هذا الانتصار من خلال بثّ الفرقة والاختلافات، وقال: «لقد دمّر العدوان البيوت والجسور، لكنّه عجز عن تدمير الإنسان المقاوم»، مؤكّداً أنّ سورية ستبقى درعاً حصيناً للأُمّتين العربية والإسلامية وقويّة بشعبها ومبادئها.

وفي تصريح لقناة العالم الأخبارية على هامش مؤتمر الوحدة الإسلامية حذّر مفتي سوريا من أنّ عقد مؤتمرات تدعو إلى الوحدة بين المسلمين دون التوصّل إلى نتائج عملية ربّما يؤدّي إلى قطع خيط التواصل الذي لا يزال يربط الجميع على الأقل حتّى الآن.

وأضاف: أنّ القادم خطير جداً حيث يُنسج للمسلمين نسج في قضية الاختلافات المذهبية والطائفية. وهذا ما هو حاصل الآن في العراق وما نرى في بعض صوره في لبنان وأفغانستان وباكستان، داعياً علماء الدين وقادة الفكر الإسلامي إلى أخذ دورهم الحقيقي.

وفي ثاني أيّام المؤتمر ترأس جلسة عمل بعنوان «السيرة النبوية الشريفة.. الخصائص الاجتماعية. وقد أكّد في هذا الإطار أهمّية الوحدة والتضامن في ظلّ التحدّيات الراهنة التي تواجه العالم الإسلامي، مؤكّداً على ضرورة أن يكون لعلماء المسلمين الدور البنّاء والفاعل من أجل ترويج ثقافة التآخي والمحبّة؛ لأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) هو رسول البرية جمعاء ورسول المحبّة والخير ورمز التسامح.

وحذّر من مخاطر المؤامرات التي تستهدف وحدة الصفّ الإسلامي من خلال بثّ ونشر الاختلافات الطائفية المذهبية التي لا تخدم سوى أعداء الأُمّتين العربية والإسلامية.

أحمد بشير

أحمد بشير: داعية إسلامي، ورئيس جمعية المسلمين في الفلبين.

كرّس حياته في خدمة الإسلام في الأرخبيل الفلبيني، وساهم في الحفاظ على الوجود الإسلامي في ذلك البلد.

أسّس «المعهد الإسلامي العربي» بمدينة براوي بجزيرة فندنا (مندنا) جنوب الفلبين، وحصل على اعتراف به من الجامع الأزهر والجامعات السعودية والليبية وغيرها.

من مؤلّفاته: «تاريخ الإسلام في الفلبين»، صوّر فيه كفاح المسلمين فيها ضدّ التبشير والغزو الأجنبي.

توفّي عام ١٩٩٠م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٨، إتمام الأعلام: ٣٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧١٢ ـ ١٧١٣).

أحمد التجاني عمر

أحمد التجاني عمر: باحث وداعية من أهل السودان.

تخرّج بكلّية اللغة العربية بالأزهر سنة ١٩٥٥م، وحصل على دبلوم اللغة الإنجليزية من الجامعة الأميركية بالقاهرة، وعلى دبلوم تربية خاصّ من جامعة عين شمس، وعلى ماجستير في النقد العربي، وعلى الدكتوراه في الأدب العربي.

تولّى التدريس بمدارس بلاده وجامعاتها إلى جانب وظائف إدارية، وقام بأنشطة ثقافية.

كان عضواً في مجلس الأُمناء بمنظّمة الدعوة الإسلامية وفي لجنة التعليم العالي بالسودان، ومثّل بلاده في عدد من المؤتمرات.

ألّف: «موكب النصر» و«وحدة أفريقيا»، وهما مسرحيتان شعريتان، وكتاب «شهيد وأحداث»، كما ترك سلسلة كتب للأطفال لم تطبع. وله أيضاً مؤلّفان، هما: العهد الأُموي، والتصوير في الشعر العربي من العهد الجاهلي إلى القرن الخامس الهجري.

توفّي سنة ١٩٨٥ م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٨ـ ٢٩، إتمام الأعلام: ٣٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧١٣).

أحمد توفيق

أحمد محمّد توفيق أحمد سعد: داعية إسلامي، وصحفي بارز.

ولد في مصر سنة ١٩٠١ م، وتخرّج من مدرسة الفنون والصنائع في القاهرة، وكان يسعى لتصحيح مفهوم الإسلام عند الأجانب، فأصدر لذلك مجلّة «التقوى» عام ١٩٢٣م وجريدة «البريد الإسلامي» عام ١٩٤٢م، وأسّس «دار تبليغ الإسلام» في مدينة بادن بسويسرا عام ١٩٢٩ م، ثمّ نقلها إلى القاهرة عام ١٩٣١م، وأصدر رسائل عن الإسلام في ثماني لغات عالمية.

أسلم على يديه أكثر من ٤٠٠٠ شخص، وتوفّي عام ١٩٩١ م عن عمر ناهز ٩٠ عاماً. وصدر فيه كتاب «رجل من أُمّة التوحيد أسلم على يديه ٤٠٠٠ من الأجانب» من تأليف عبداللطيف الجوهري.

ومن الجدير بالذكر أنّه قد سمّي في كتاب «إتمام الأعلام» باسمين، أحدهما: أحمد توفيق، والآخر محمّد توفيق! كما ترجم ترجمتين!

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٣٦، إتمام الأعلام: ٥١ و ٤٣٧).

أحمد حسن الباقوري

الشيخ أحمد حسن الباقوري: وزير الأوقاف بمصر سابقاً، ورائد من روّاد التقريب.

وهو من مواليد «باقور» بمحافظة أسيوط في الصعيد الأعلى بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٠٧ م. التحق بمعهد أسيوط الديني سنة ١٩٢٢ م، وحصل منه على الشهادة الثانوية سنة ١٩٢٨ م، ثمّ التحق بالقسم العالي، وحصل منه على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٣٢ م، ثمّ حصل على شهادة التخصّص في البلاغة والأدب سنة ١٩٣٦ م.

وبعد تخرّجه عيّن مدرّساً في معهد القاهرة الأزهري، ثمّ مدرّساً بكلّية اللغة العربية، واختير وكيلاً لمعهد أسيوط الديني، فمعهد القاهرة، فشيخاً لمعهد المنيا الديني.

رشّح نفسه عدّة مرّات في عضوية مجلس الأُمّة، وحصل على ثقة الحكومة رغم انتمائه سابقاً إلى «الإخوان المسلمين. عُيّن وزيراً للأوقاف بعد ثورة ١٩٥٢ م معارضاً رأي جماعته، ونجح في إدارة وزارة الأوقاف مدّة طويلة.

وكان رئيساً للمركز العامّ لجمعيات الشبّان المسلمين، وعضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م. وفي سنة ١٩٦٤ م عيّن رئيساً لجامعة الأزهر حتّىٰ عام ١٩٦٨ م، ومنح عدّة جوائز وأوسمة، وعُرف بخطابته المؤثّرة، وتوفّي بمصر سنة ١٩٨٥ م.

أهمّ آثاره: مع كتاب الله، مع الصائمين، مع القرآن، أثر القرآن الكريم، علي إمام الأئمّة، في فقه الشيعة الإمامية، صفوة السيرة المحمّدية، في علم الصيد، عروبة ودين، تحت راية القرآن، قطوف من أدب النبوّة، خواطر وأحاديث، الشريعة والبيزرة، مع الشريعة.

وقد سعى في نشر كتاب «المختصر النافع» في فقه الإمامية، وله تقديم لكتاب «العلم يدعو للإيمان» و«وسائل الشيعة ومستدركاتها»، وله مشاركة واسعة في المقالات الأدبية والدينية، والأحاديث في الإذاعة والتلفاز.

وهو من كبار رجال الفكر الإسلامي، ومن دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية العاملين، كان يدعو إلى نشر كتب الشيعة للوقوف عليها بغية إزالة الخلاف بينهم وبين إخوانهم أهل السنّة.

ومن أقواله وكتاباته في التقريب بين المذاهب: «فما تفرّق المسلمون في الماضي إلّا لهذه العزلة العقلية التي قطعت أواصر الصلات بينهم، فساء ظنّ بعضهم ببعض، وليس هناك من سبيل للتعرّف على الحقّ في هذه القضية إلّا سبيل الاطّلاع والكشف عمّا عند الفرق المختلفة من مذاهب وما تدين من آراء، ليهلك مَن هلك عن بيّنة ويحيا مَن حييٰ عن بيّنة. والخلاف بين السنيّين والشيعيّين خلاف يقوم أكثره على غير علم، حيث لم يتح لجمهور الفريقين اطّلاع كلّ فريق على ما عند الفريق الآخر من آراء وحجج، وإذاعة فقه الشيعة بين جمهور السنيّين وإذاعة فقه السنيّين بين جمهور الشيعة من أقوى الأسباب وآكدها لإزالة

الخلاف بينهما ، فإن كان ثمّة خلاف فإنّه يقوم بعد هذا على رأي له احترامه وقيمته ».

وكان يقول : «إنّ قضية السنّة والشيعة هي في نظري قضية إيمانٍ وعلمٍ معاً ، فإذا رأينا أن نحلّ مشكلاتها علىٰ ضوءٍ من صدق الايمان وسعة العلم فلن تستعصِ علينا عقدة ، ولن يقف أمامنا عائق . أمّا اذا تركنا للمعرفة القاصرة واليقين الواهي أمر النظر في هذه القضية والبتّ في مصيرها فلن يقع إلّا الشرّ ، وهذا الشرّ الواقع إذا جاز له أن ينتمي الىٰ نسبٍ أو يعتمد علىٰ سببٍ فليبحث عن كلّ نسبٍ في الدنيا وعن كلّ سببٍ في الحياة ، إلّا نسباً إلى الإيمان الصحيح ، أو سبباً إلى المعرفة المنزّهة .

نعم ، قضية علمٍ وإيمان . .

فأمّا أنّها قضية علمٍ فإنّ الفريقين يقيمان صلتهما بالإسلام علىٰ الإيمان بكتاب الله وسنّة رسوله ، ويتّفقان اتّفاقاً مطلقاً على الأُصول الجامعة في هذا الدين فيما نعلم ، فإن اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهية والتشريعية فإنّ مذاهب المسلمين كلّها سواء في أنّ للمجتهد أجره ، أخطأ أم أصاب . .

وعندما ندخل مجال الفقه المقارن ونقيس الشقّة التي يحدثها الخلاف العلمي بين رأي ورأي أو بين تصحيح حديثٍ وتضعيفه نجد أنّ المدىٰ بين الشيعة والسنّة كالمدىٰ بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي .

وأمّا أنّها قضية إيمانٍ فإنّي لا أحسب ضمير مسلمٍ يرضىٰ بافتعال الخلاف وتسعير البغضاء بين أبناء أُمّة واحدة ولو كان ذلك لعلّة قائمة ، فكيف لو لم تكن علّة قط ؟!

كيف يرضىٰ المؤمن صادق الصلة بالله أن تختلق الأسباب اختلاقاً لإفساد ما بين الأُخوة ، وإقامة علائقهم علىٰ اصطياد الشبه ، وتجسيم التوافه ، وإطلاق الدعايات الماكرة ، والتغرير بالسذّج والهُمل ؟!» .

(انظر ترجمته في : مع رجال الفكر ١ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، موسوعة ألف شخصية مصرية : ٤٩ ، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : ٤٣ ـ ٤٧ ، تتمّة الأعلام ١ : ٣٠ و ٣ : ١٢٩ ، إتمام الأعلام : ٣٤ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٧١٢ ـ ١٧١٤ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٤٥ ـ ٤٧).

أحمد الحسني

أحمد إسماعيل الحسني : عالم داعية ، من ذرّية أحمد بن عرفان الشهيد .

ولد بالهند سنة ١٩١٥ م ، وتعلّم فيها ، وأتقن اللغة العربية والإنجليزية ، وعلّم بـندوة العلماء بلكنو ، ثمّ انتقل إلى دلهي ، فاشتغل بالقسم العربي في إذاعتها. وما لبث أن هاجر إلى باكستان ، فكان ملحقاً ثقافياً في عدد من البلدان . وانتقل إلى جدّة ، ثمّ عيّن فـي المكـتب السعودي بإسلام آباد ، حتّى أُحيل على التقاعد .

توفّي عام ١٩٨٩ م .

(انظر ترجمته في : إتمام الأعلام : ٣١).

أحمد حسين أحمد محمّد

أحمد حسين أحمد محمّد : أُستاذ كويتي مرموق ، وداعية تقريب .

وهو حاصل على الإجازة الجامعية في الحقوق من جامعة الكويت ، وعلى الإجـازة الشرعية من فقهاء الحوزة الشرعية الدينية لتدريس العلوم الدينية .

كما أنّه عضو اللجنة الشرعية لتعزيز الوسطية بدولة الكويت ، وعضو الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين ، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وعضو اللجنة الشرعية للأوقاف الجعفرية في الأمانة العامّة للأوقاف ، وعضو اللـجنة العـلمية لمـنتدى قضايا الوقف الفقهية في الأمانة العامّة للأوقاف .

له العديد من المشاركات العلمية والبحوث المنشورة في المجالين القانوني والشرعي.

يقول في بحث له قدّمه إلى المـؤتمر الدولي الثـاني والعشـرين للـوحدة الإسـلامية بطهران :

«إنّ الشريعة الإسلامية تحترم حرّية الإنسان في اختيار معتقده ، فالإسلام لا يفرض على الإنسان معتقداً أو ديناً ما ، ولكنّه في نفس الوقت يفرض عليه الالتزام الشرعي بعد أن يعتقد باختياره المطلق .

إنّ البدعة مفهوم يعنىٰ بوضع خطّ يفصل بين أُصول الشريعة والعقيدة وما ليس كذلك ،

وذلك صيانة للدين الإلهي من زخرف وأهواء الإنسان الذي يطيع في أغلب الأحوال أهواءه وملذّاته الخاصّة جدّاً، والذي قد تسوّل إليه نفس أحياناً إلباسها لبوس الدين ونسبتها إلى الباري عزّ وجلّ.. ولذلك لقد كان حديث الباري عزّ وجلّ حول المبتدعين في الدين وأنّ أعمالهم لا تقبل منهم لأنّهم نسبوا إليه سبحانه وتعالى ما لم يصدر منه. علمت أنّ البدعة نظام وضع لحماية الدين، ولكن من يقوم بهذا العمل، وماذا يستخدم بشأنه؟ وهنا لا بدّ من توضيح أنّ من يقوم بمثل هذا العمل هم العلماء الربّانيّون ممّن وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق في العلوم الشرعية، ومن الذين يمتلكون من القدرة العلمية ما يؤهّلهم لبيان حدود الدين وأسرار التشريع، فيكشفون للناس ما هو بدعة في الدين، ولا ينشئون رأياً جديداً في هذا الأمر، فإنّ الدين قد كمل وتمّت النعمة.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ هذا العالم إن لم يكن عاملاً بعلمه مخلصاً لله فإنّه يفقد صلاحيته وأهليته لعمل الأمانة الربّانيّة. ولا شكّ أنّ هذا النمط من العلماء هم من تعقد عليهم الآمال لبناء أجيال حاضنة للعلم والاجتهاد الديني الذي يتجاوز الأُطر المذهبية الضيّقة.

هناك من يخطأ في تشخيص الثابت والمتغيّر من الدين الإسلامي الحنيف، سواء في الجانب الفكري أو في الجانب الواقعي العملي، ولا شك أنّ هذا الخلط قد تسبّب في تخلّفنا حضارياً وضياع المشروع الإسلامي الحضاري، بل تحوّل إلى مشروع طائفي يقوم على الكراهية ونشر التبديع والتفريق، بل لقد أصبح التبديع في حدّ ذاته مشروعاً فكرياً استراتيجياً لهؤلاء.. ولذلك لقد ركّزت الجماعات المتشدّدة جهودها لنشر ثقافة تدعو إلى الصراع المذهبي والتصادم الإسلامي ـ الإسلامي. الأمر الذي ساهم في كسر عجلة التغيير الحقيقي للمجتمعات الإسلامية، ولذلك فلا بدّ من إعادة صياغة المفردات وبناء المفاهيم من جديد في ضوء تعاليم الإسلام ودراستها بحرّية مع استخدام كافّة أدوات النقد العلمي المنهجي المتاحة في سبيل تحقيق ذلك.

من هنا أنّنا نخلص إلى أنّه من الضروري تغيير فهمنا للبدعة لنتّفق على أنّها مخالفة أُصول الدين الإسلامي وقواعده المشتركة المتّفق عليها، وأنّ ممارسة النقد للمسائل الدينية

تكون عبر نقدها بالأدوات والوسائل العلمية الأصلية والمنهجية، وليس بكيل التهم والافتراءات، كما يفعله بعض أصحاب الأجندات الخاصّة اليوم.. كما أنّ البدعة تتحقّق بنسبة أُمور لمنظومة الدين الإلهي وإلى الشارع المقدّس، مع التأكيد على أنّه لا يملك أحد مهما بلغ من العلم أن يبدّع الآخرين ويخرجهم من الملّة، وأقصى ما يمكن للعلماء المجتهدين هو نقد المفاهيم وبناء الأفكار.

إنّنا بحاجة اليوم إلى دراسة الإشكاليات ومعالجة المشاكل العلمية وما ورائها من مبادئ فكرية وجذور معرفية في شتّى المجالات، ولا سيّما المجال الديني.. ولذلك فإنّ الأمر ضروري نحو بناء المفاهيم والإعداد لمنظومة تحفظ التعدّدية العلمية الفكرية وتوثّق القراءات الدينية المتعدّدة علمياً حتّى لا يختل توازن البناء التعدّدي في الإسلام وحتّى نعيش في ظلّ تعايش آمن ولا نقع في فوضى معرفية.

وفي الحقيقة فإنّنا كأُمّة إسلامية نستطيع ذلك ونملك من مبادئنا الأخلاقية ما يفتح لنا المجال نحو بناء نمط جديد من الحوار والتبادل الثقافي والفكري مع الآخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم، ممّا يساعد على تحرير الأُمّة من براثن التعصّب».

أحمد الحصري

أحمد مصطفى الحصري: داعية مربٍّ من أهالي سورية.

ولد بمعرّة النعمان شمال حماة سنة ١٩٠٩ م، وتعلّم بها، ثمّ رحل إلى حلب، فتعلّم بالمدرسة الخسروية الشرعية، وتردّد في أثناء ذلك على حلقات العلماء، وسلك في التصوّف على الشيخ محمّد أبي نصر خلف الجندي الحمصي، ثمّ أخذ يشتغل بالدعوة، وتولّى الإمامة والخطابة والتدريس بالجامع الكبير في بلدته، وأنشأ فيها جمعية خيرية، ثمّ أسّس كذلك معهد الإمام النووي الشرعي سنة ١٩٦٢م، والذي لا يزال قائماً حتّى الساعة، وكان له تأثيره الحميد.

توفّي عام ١٩٨٦م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٥٥).

أحمد حمد الخليلي

أحمد بن حمد بن سليمان بن ناصر بن سالمين بن حميد الخليلي : المفتي العامّ لسلطنة عمان، ونائب رئيس الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعضو المجلس الأعلى للمجمع المذكور، وأحد دعاة الوحدة والتقريب.

ولد سنة ١٩٤٢ م في زنجبار، وعندما بلغ اثنين وعشرين عامّاً عاد إلى بلاده، وتلقّى العلوم الدينية عند بعض المشائخ معتمداً على نفسه في تلقّيها بالدرجة الأُولى، فأصبح ممّن يشار إليه بالبنان علماً وتقوىً وصلاحاً.

اتّجه لتدريس العلوم الدينية في مسجد الخوير بمسقط من سنة ١٩٦٥ م حتّى سنة ١٩٧٣ م. وفي هذه السنة (١٩٧٣ م) حتّى سنة ١٩٧٦ م شغل منصب مدير الشؤون الإسلامية بوزارة العدل، فكان له الدور الفعّال في دعم المسيرة الدينية في بلاده. وفي سنة ١٩٧٦ م عيّن مفتياً عامّاً لسلطنة عمان بدرجة وزير في الحكومة، ولايزال يشغل هذا المنصب ،بالإضافة إلى رئاسة معهد القضاء والإمامة والخطابة، وهو عضو كذلك في اللجنة العليا للتظلّمات ومميّز للأحكام الشرعية الصادرة من السلطان. وهو متزوّج من امرأتين وأب لأحد عشر فرداً.

له عدّة مؤلّفات، منها: إعادة صياغة الأُمّة، عوامل تقوية الوحدة الإسلامية، الفتاوىٰ، الحقّ الدامغ.

ومن كلامه في مجال الوحدة: «ولأجل المحافظة على وحدة الأُمّة والمجتمع شدّد الإسلام الحكم في كلّ ما يؤدّي إلى تفكّكها، فحرّم السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظنّ والتجسّس والغيبة والتعالي بالأنساب والأحساب».

ويقول كذلك: «من أهمّ القضايا التي يجب على الداعية أن يجعلها نصب عينيه ويجعلها الشغل الشاغل لفكره وحدة الصفّ، فإنّها من الأُمور التي تبنىٰ عليها أعمال الداعية، فعليه أن يتّخذ أُسلوب من يحرص على الاتّحاد لا على الفرقة والتنافر وإساءة الظنون بالناس. ذلك بأنّ الله تعالى فرض الوحدة على الأُمّة، فجعلها أُمّة واحدة، كما جعلها

أُمّة توحيد . . .».

(انظر ترجمته في: شخصيات من الخليج: ٥٢ ـ ٥٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٣ ـ ٤٤).

أحمد خان

أحمد بن محمّد متّقي خان: من زعماء الإصلاح في الهند.

يرجع نسبه إلى أُسرة أرستقراطية نبيلة، رحل أجداه من بلاد العرب إلى هراة، ومنها إلى دلهي في عهد أكبر شاه.

وقد ولد السيّد أحمد سنة ١٨١٧ م، وتوفّي والده وهو في التاسعة من عمره بعد أن ثقّفه ثقافة دينية على عادة أهل زمنه وبلده. والتحق بخدمة الحكومة أميناً للسجلات في القلم الجنائي في دلهي، ثمّ عيّن قاضياً مدنياً في فاتح بور من إقليم أكرا، وفي بجنور. وفي أثناء وجوده في هذه المدينة اندلعت نار الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م ضدّ الإنجليز. غير أنّ السيّد أحمد لم يتحرّك ساكناً مخالفاً بذلك الرأي العامّ، إذ رأى أن لا فائدة من هذه الثورة وأنّها في النهاية ستسفر عن عودة السيطرة الإنجليزية مرّة ثانية، فعمل هو وأصدقاؤه على تخليص عدد كبير من الإنجليز. ولمّا هدأت الثورة كافأه الإنجليز على خدماته مادّياً وأدبياً، واستغلّ صلته بهم فيما وضع من خطّة إصلاح.

ومن هنا رمي بالخيانة، غير أنّ بعض الكتّاب ـ ومنهم أحمد أمين ـ يرون السيّد أحمد في الهند هو أشبه شيء بالشيخ محمّد عبده في مصر بعد مفارقته السيّد جمال الدين وعودته من نفيه. الإصلاح عندهما إصلاح العقلية بالتثقيف والتهذيب، والنظر إلى الدين نظرة سماحة ويسر، والاستقلال يأتي بعد ذلك تبعاً، فلا استقلال لجاهل ولا مخرّف، إنّما عماد الاستقلال العلم، العلم بالدنيا والدين، العلم بكلّ شيء جيّد أتت به المدنية الحديثة من طبيعة وكيمياء ورياضة وفلك ونفس واجتماع ونظام حكم وإدارة. ذلك كلّه إلى جنب دين يحيي القلب ولا يقيّد العقل ويغذّي النفس ولا يشلّ التفكير، والإسلام كفيل بذلك إذا فهم على أُصوله. وكان يرى المسالمة والمصالح مع المستعمر طالما لا مقاومة حتّى مع الاتّحاد،

وكيف الاتّحاد مع تفشّي الجهل واختلاط الأهواء وضعف الخلق؟! وكان يرى أنّ المأخوذ من المستعمر يمكن استغلاله في خير الشعوب وثقافتها خير استغلال، والزمن بعد كفيل بإظهار النتائج.

غير أنّ هذا المنطق الذي اتّبعه أحمد خان فيه ما فيه.

وقد وضع رسالة في أسباب هذه الثورة الهندية باللغة الأُوردية، ردّ فيها على بعض الجرائد الإنجليزية فيما ذهبت إليه من أنّ سبب الثورة تهييج الأفغان أو الروس للهنود، معتبراً أنّ حركة الثورة حركة شعبية خالصة صادرة من صميم الشعب وأنّ سببها المآسي التي عاناها الهنود من السلطات الإنجليزية المحتلّة.

من أهمّ ما جاء به أحمد خان في مجالات الإصلاح الذي كان يدعو إليه هو وضعه خطّة في التربية بدأها بإنشاء جمعية علمية أدبية في عليكرة، حيث كان قاضياً بها سنة ١٨٦١ م، كان الغرض منها نشر الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم الطبيعية وترجمة أهمّ الكتب الإنجليزية في هذه الموضوعات إلى اللغة الأُوردية، فوضع الحجر الأساس لكلّية فيكتوريا بغازي بور.

وفي سنة ١٨٦٩ م زار إنجلترا، فدرس هناك نظام التربية في المدارس الشعبية والجامعات، وكتب عنها، ودعا الهنود إلى السير على نهجها والأخذ بسبل الآداب والعلوم. وجعل من أوّل خططه بعد عودته أن ينشئ في الهند جامعة تكون للمسلمين كـأُكسفورد وكمبردج في إنجلترا، تربّي الخاصّة، ثمّ هم يربّون العامّة. وبعد عناء وكدّ نجح في إنشاء كلّية عليكرة المشهورة، ثمّ أنشأ وأصدر مجلّة دورية اسمها «تهذيب الأخلاق»، عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جرأة وصراحة، فتعرّضت حياته للخطر، وأراد أحدهم أن يطعنه بخنجر، فنجا بأُعجوبة، وظلّ على آرائه.

يقول الأُستاذ أحمد أمين عنه: «ثمّ كانت له فكرة عظيمة نافعة، وهي أن يجمع مؤتمراً كلّ عام يجتمع فيه قادة المسلمين من الأقاليم الهندية المختلفة كلّ عام في مدينة، يلقون فيه الخطب والمحاضرات عن الشؤون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها، ويصدرون

القرارات التي يرونها نافعة في ذلك، وكان الغرض الذي يرمي إليه السيّد بثّ روح الائتلاف بين المسلمين في البلاد الهندية وتبادل الآراء في خير الوسائل لترقيتهم».

ولمّا بلغ الحادية والثمانين من العمر ـ وذلك في سنة ١٨٩٨ م ـ أسلم الروح لخالقه، فبكاه المسلمون والهندوس والأوربيّون على اختلاف عقائدهم وطبقاتهم ومذاهبهم الاجتماعية والسياسية.

(انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ٩٣ـ١٠٦، موسوعة السياسة ١: ٩٤ـ ٩٥، الموسوعة العربية العالمية ٤: ١١٤، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٢٨٦ ـ ٢٩٢).

أحمد الريسوني

أحمد الريسوني: من الأساتذة المغربيّين المرموقين، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد سنة ١٩٥٣ م بناحية مدينة القصر الكبير بالمملكة المغربية، وفي هذه المدينة تلقّى تعليمه الابتدائي والثانوي.

حصل على الإجازة في الشريعة من جامعة القرويّين بفاس سنة ١٩٧٨ م، وأتمّ دراسته العليا بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمّد الخامس بالرباط، فحصل منها على شهادة الدراسات الجامعية العليا سنة ١٩٨٦ م، ودبلوم الدراسات العليا (الماجستير) سنة ١٩٨٩ م، ودكتوراه الدولة سنة ١٩٩٢ م.

عمل أُستاذاً لعلم أُصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمّد الخامس وبدار الحديث الحسنية. وهو خبير أوّل لدىٰ مجمع الفقه الإسلامي بجدّة، وعضو مجلس الأُمناء للاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومستشار أكاديمي لدى المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

من مؤلّفاته: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية، من أعلام الفكر المقاصدي، الوقف الإسلامي.. مجالاته وأبعاده، مدخل إلى مقاصد الشريعة. وله مقالات كثيرة، بعضها منشور في مجلّة «رسالة

التقريب» الطهرانية.

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٧).

أحمد الزين

الدكتور الشيخ أحمد الزين: رئيس مجلس الأُمناء في تجمّع العلماء المسلمين بلبنان، وأحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

نشرت له مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية بعض المقالات الوحدوية، يقول في واحدة منها: «على المجتمعات الإسلامية أن تخطو سوية وبجدّ نحو تحقيق هذا الهدف السامي (هدف الوحدة) متجاوزين كلّ الصعوبات، فبإمكان الشعوب الإسلامية أن تتّحد رغم الاختلافات المذهبية والطائفية ونمط المعيشة والتقاليد والعادات، فالمقصود من الاتّحاد هو: اتّخاذ مواقف موحّدة تجاه قضايانا المصيرية، وأن يساعد بعضنا بعضاً، وأن لا تستخدم ثرواتنا ضدّ بعضنا البعض. وإنّ العدوّ يلجأ بعض الأحيان إلى الإيقاع بين أبناء الطائفة الواحدة مستخدماً في ذلك أصحاب النفوس الضعيفة والأغراض المريضة»؛ لذا علينا أن نحذر ذلك ونتّحد مادام كتابنا واحد ونبيّنا واحد وحجّنا واحد ومحننا واحدة وعقائدنا واحدة، ما عدا بعض الاختلافات. فقد أصبحت مسألة وحدتنا ضرورية، وكلّما تأخّرنا في تحقيقها يوماً واحداً فهذا يعني خسارة لعالمنا الإسلامي».

ويقول في إحدى مقالاته التي نشرتها أيضاً مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية: «وبعد أن اطّلعنا على رأي كبار علماء السنّة والشيعة في دعوتهم لنبذ الفرقة بين المسلمين والعمل على توحيد كلمة المسلمين نرى ضرورة الالتفات للأُمور التالية:

أوّلاً: أن نؤكّد ضرورة السعي الجادّ لتحقيق الوحدة الإسلامية، وذلك تحقيقاً للمصلحة الإسلامية والنهوض بالأُمّة مدنياً وحضارياً، ومن أجل حماية المقدّسات وعلى رأسها المسجد الأقصى في القدس الشريف، والحفاظ على ثروات الأُمّة من السرقة والنهب.

ثانياً: أنّ أعداء الأُمّة الإسلامية والطامعين في ثرواتها يوحّدون صفوفهم ويرسمون الخطوط ويضعون المشاريع من أجل الهيمنة على العالم الإسلامي ونهب ثرواته.

ثالثاً : إذا كان الأعداء يوحّدون صفوفهم للتآمر والاعتداء على المسلمين ، وكما هو حاصل في فلسطين والعراق وأفغانستان وصولاً إلى لبنان وما حدث من اعتداء عليه من قبل العدوّ الإسرائيلي ، وقد استطاع لبنان بمقاومته الإسلامية تحقيق الانتصار بعد أن فشل في ذلك سياسياً وعسكرياً. ويأتي السؤال التالي : هل من العدل والمنطق السليم أن يتوحّد الأعداء للتآمر على الأُمّة الإسلامية ويبقى المسلمون متفرّقين مشرذمين ؟

رابعاً : أنّ الدعوة للوحدة الإسلامية يجب أن لا تتعارض مع الدعوة للانتماء للوطن وللقومية ،كما ذكرنا سابقاً ؛ إذ أنّه قد يصحّ الانتماء للوطن وللقومية من ضمن الانتماء الكبير للأُمّة الإسلامية ، وإنّ الإسلام يسع الجميع ، حيث يدخل في دائرة الناس على اختلاف أوطانهم وقومياتهم ولغاتهم ومصالحهم .

خامساً : أنّ الدعوة التي كانت تطرح الوحدة الإسلامية وتدعو في نفس الوقت إلى التخلّص من المذاهب الإسلامية شكّلت بذاتها مذهباً جديداً أُضيف إلى سائر المذاهب الإسلامية . ولا يغيب عن بالنا أنّ الثروة الفقهية والثقافية والعلمية التي جاءت بها المذاهب الإسلامية على مرّ العصور قد شكّلت ثورة علمية لا يستغنى عنها ، وهي علامة بارزة للحضارة الإسلامية .

سادساً : ولتكن الدعوة للوحدة الإسلامية تضمّ جميع المسلمين مع تعدّد مذاهبهم ولغاتهم وألوانهم ومصالحهم ، كما تضمّ غير المسلمين الذين يشاركون المسلمين في أوطانهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة الانسانية والتي هي من آيات الله تبارك وتعالى ، حيث يقول الله تعالى في سورة الروم : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ ، ولكن هذا الاختلاف لن يكون سبباً للنزاع والشقاق بين الأُمم ، وإنّما للتعارف والتعاون والتراحم ، كما ورد في قوله تعالى من سورة الحجرات : ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ .

سابعاً : أنّ أوروبّا قارّة تضمّ عدداً كبيراً من القوميات والأوطان واللغات المتفاوتة إضافة إلى المصالح المتباينة ، ولكن مع ذلك وتحقيقاً لمصالحها وحماية لثرواتها من

المزاحمة الأمريكية اضطرّت لإقامة الاتّحاد الأوربّي كما نشاهد اليوم.

ثامناً: لقد آن للمسلمين أن ينتقلوا في الدعوة للوحدة الإسلامية من الحالة العاطفية والوجدانية إلى الحالة العلمية والواقعية، وأن لا تقتصر الدعوة للوحدة على الكلام الإنشائي والخطب المنبرية. وأمام ما يتعرّض له المسلمون من اعتداءات على إنسانهم ومقدّساتهم وأموالهم أصبحت الحاجة ماسّة للعمل الجادّ والسعي المتواصل من أجل الوصول للوحدة الإسلامية والتعاون بين المسلمين في أرجاء العالم في جميع الأُمور والنشاطات وبخاصّة في الأُمور السياسية والاقتصادية والثقافية واستخباراتها الأمنية وصولاً إلى الشأن العسكري والمقاومة بأُسلوبها المناسب من أجل مقارعة الأعداء، وعليه فإنّي أرى البدء والشروع بتشكيل لجان علمية متخصّصة في الشؤون الآنفة الذكر لوضع المشروع العصري والذي يتلاءم مع الواقع ويراعي التوجّه الشرعي، وأعني به المشروع اللازم لتحقيق الوحدة الإسلامية والسعي الحثيث ووضع الآلية اللازمة لتنفيذها.

تاسعاً: أنّ الجهة التي عليها وضع المشروع الوحدوي بعد الدراسة العلمية اللازمة هي الدولة التي تؤمن بالوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين والتعاون بينهم في جميع المجالات. وإذا لم تقدم الدولة الإسلامية على وضع هذا المشروع لأسباب سياسية تحتفظ بها لنفسها فإنّ على الشعوب الإسلامية من خلال لقاءاتها والمؤتمرات التي تعقدها أن تسعى لإنجاز هذا المشروع الوحدوي في السياسة والاقتصاد وسائر النشاطات.

عاشراً: وأخيراً لا بدّ من التذكير أنّ الانطلاق للعمل من أجل الوحدة الإسلامية يجب أن يكون من الالتزام الكامل بالإسلام عقيدة وشريعة؛ ليأتي العمل الوحدوي والإسلامي حرّاً ومبرأً من استغلال الدول الاستعمارية، والتي كثيراً ما تدعو الأحلاف لخدمة مصالحها. ولنكن حذرين من سياسية هذه الدول وعملائها، لذلك قد يحتاج العمل الوحدوي العمق في الفهم والإخلاص في العمل، ينطلق في أسبابه وغاياته من الإسلام في عقيدته وشرعه، ويهدف في غايته لخدمة الإسلام والأُمّة الإسلامية والإنسانية جمعاء».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٨ ـ ٤٩).

أحمد سعود السيابي

مفكّر ومؤرّخ عماني، وداعٍ من دعاة الوحدة الإسلامية.

له مؤلّفات تاريخية وفقهية وفكرية، وقد شغل منصب الأمين العامّ لمكتب الإفتاء بسلطنة عمان.

من أقواله التقريبية: «والذي أراه في هذه القضية توحيداً للمذاهب الإسلامية أو تقريباً منها هو إلغاء الألقاب بين المذاهب، وإماتة الانتماءات إليها، والرجوع إلى التسمّي بالإسلام والانتساب إليه فقط، ويكفي أن يكون المسلم مسلماً يبحث عن الحقّ. وهذا الرأي هو أقوىٰ الآراء وأكبر العوامل في القضاء على التفرقة، ومن شأنه التقريب بين المسلمين».

والذي يظهر من قوله هذا أنّه يدعو لفكرة دمج المذاهب وذوبانها في بوتقة واحدة، وهذا من الصعوبة بمكان، وليس المقام مقام مناقشة ذلك.

ومن الجدير بالذكر أنّ للشيخ السيابي كتاباً في الوحدة الإسلامية، هو: «جهود العلماء المصلحين في توحيد المذاهب الإسلامية».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٤ـ ٤٥ و٢٠١).

أحمد الشرباصي

الشيخ أحمد الشربيني جمعة الشرباصي: أمين لجنة الفتوى بالأزهر سابقاً، ورائد من روّاد التقريب.

وهو من مواليد بلدة «البجلات» مركز «دكرنس» في مديرية الدقهلية بمصر سنة ١٩١٨ م. تعلّم في الكتّاب، ثمّ تخرّج من كلّية اللغة العربية، ثمّ نال شهادة التخصّص، ثمّ درجة الماجستير من معهد الدراسات العربية العليا، فالدكتوراه في الأدب والنقد من الكلّية المذكورة.

واشتغل مدرّساً في وزارة المعارف، ثمّ في معهد الزقازيق، فمعهد القاهرة، فمعهد سوهاج، ثمّ أميناً للجنة الفتوىٰ بالأزهر. كما كان وكيلاً لرواق الحنفية بالأزهر، ومستشاراً لهيئة الرقابة على المطبوعات، وعضواً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وأميناً عامّاً

لجمعية الشبّان المسلمين.

ألّف أكثر من تسعين كتاباً في مباحث الدين والتاريخ والأدب والاجتماع، منها: حركة الكشف، محاولة بين صديقين، سيرة السيّدة زينب، واجب الشاب العربي، المحفوظات الأزهرية، لمحات عن أبي بكر، محاضرات الثلاثاء، صلوات على الشاطئ، أمين الأُمّة أبو عبيدة، عائد من الباكستان، مذكّرات واعظ أسير، النيل في ضوء القرآن، من أجل فلسطين، في رحاب الصوفية، غربة الإسلام، أيّام الكويت، القصص في الإسلام، في عالم الكونين، الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز، يسألونك في الدين والحياة، موسوعة أسماء المصطفى ﷺ، مشرق النور، رشيد رضا صاحب المنار.

كان مبعوثاً علمياً للأزهر الشريف في الكويت، ثمّ أُسندت إليه أمانة الفتوى في الأزهر. كما كان محاضراً مرموقاً وخطيباً مفوّهاً، اعتقل بسبب خطبه الحماسية، فكتب في سجنه «مذكّرات واعظ أسير».

وقد توفّي بمصر سنة ١٩٨٠ م.

له في مجال التقريب مقال تحت عنوان «نحو حياة دينية أفضل»، اقتطفنا منه سطوراً:

«إذا كانت أديان قد زالت أو تقلّص ظلّها؛ لأنّ التحريف استبدّ بها ولم يقيّض لها من ينفي الدخيل عنها، فإنّ الإسلام العالمي العامّ الذي نزل به الروح الأمين من لدن ربّ العالمين ليكون شرعة ومنهاجاً في كلّ زمان ومكان حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، لن يزول ولن يبيد، بل سيقيّض الله له على الدوام من يذبّ عنه ويدعو إليه ويخلّصه ممّا يعلق به، فالحقّ تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩)، والرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) ـ وهو الصادق المصدّق ـ يقول: «يحمل هذا الدين من كلّ خلف عدوله... ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، ويقول: «لاتزال طائفة من أُمّتي قائمة على الحقّ لا يضرّهم من خالفهم حتّى يأتي أمر الله».

ولا شكّ أنّ حالتنا الدينية الآن ممّا يثير الأسى ويستدعي الأسف»! فبعد أن كان للدين سلطانه على الفرد والجماعة أصبحنا نرى الأكثرية منصرفة عنه، مهملة لفروضه وحدوده،

غير ملتزمة في شؤونها الداخلية والخارجية، وأصبحنا نألف سماع الشكوى من هذه الحال، وصيحات الاستنكار لضعف الروح الديني، وصرخات الرجاء أن يقيّض الله للمسلمين من الأسباب والوسائل ما يحدو ركابهم العامّ إلى حياة دينية أفضل ممّا هم فيها الآن. ومن الأُمور المسلّمة أنّ تشخيص الداء ركن هامّ في معرفة الدواء، وخطوة واسعة نحو العلاج فالشفاء.

ومن هنا يصحّ أن يقال: إنّ النصّ على رؤوس الأمراض التي تشكوها الأُمّة الإسلامية نوع من المعاونة على الوصول إلى حياة دينية أفضل.. وفي طليعة هذه الأمراض أنّ كثيراً من المسلمين يتلقّون عقائدهم الدينية وثقافتهم الإسلامية عن طريق التلقين والتقليد والمتابعة والوراثة. وهذا الطريق التقليدي لا يجعل للعقائد المتلقّاة أثرها العميق والوثيق في نفس المتابع وعقله، كما يحدث ذلك عندما يدرس الإنسان ما يلقى إليه ويمحّصه ويعرف شواهده وبراهينه.

وهذا هو السرّ في أنّنا نرىٰ إيمان الرجل الغريب عن بيئة الأقطار الإسلامية أقوى وأهدىٰ من إيمان بعض المسلمين المقلّدين، وما كان ذلك إلّا لأنّ هذا الغريب كان على دين غير الإسلام، ثمّ سمع بالإسلام فأقبل عليه يدرسه ويقارنه بسواه، فوضحت له شمس صدقه متبدية رائعة، فأسلم عن دليل وآمن عن يقين، فأخذ يعمل للإسلام، ويدعو إليه، ويبذل في سبيله أضعاف ما يقدّمه الكثير من من المسلمين.

وهذه الفرق الإسلامية والطوائف الدينية يجب أن يكون بشأنها جهد جاد عازم حازم للتقريب بينها، وتوحيد صفوفها، وإزالة البغضاء من بين أربابها، فالكلّ يجب أن يكونوا أُخوة متاحبّين؛ لأنّهم مسلمون مجمعون على الأُصول وإن اختلفوا في الفروع، واختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية، ونريد في هذا التقريب عملاً سريعاً جديداً واسعاً لا يقتصر على التمنّي ولا على المحاولات السطحية أو المظاهر الشكلية».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٣: ٤٦٣ـ٤٧٦، إتمام الأعلام: ٣٩ـ٤٠، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٦٠ـ١٦٤، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٢٠ـ٣٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٩ـ٥١).

أحمد صدقي الدجاني

أبو الطيّب أحمد صدقي بن محمّد طيّب الدجاني : أحد مفكّري الأُمّة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي ، وأحد رموز العمل الوطني الفلسطيني ، وأحد مؤسّسي منظّمة التحرير الفلسطينية ، وأحد رموز اللسان العربي في زمانه ، وأحد الأشخاص الذين ـ على حدّ تعبير من عرفوه ـ أخذوا أنفسهم بأعلى مستويات الأخلاق الحميدة .

أُمّه صبحية إبراهيم جبري ، وزوجته سنا كامل توفيق الدجاني ، ولهما من الأولاد أربعة : مزنة ، الطيّب ، بسمة ، والمهدي . . وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتنتسب عائلة الدجاني إلى القدس ، إذ سكن قرية دجانية الكائنة ببيت المقدس السيّد أحمد الدجاني ، وهو أوّل من عرف باسم الدجاني بعد مغادرته إيّاها ، كما استقرّ عدد من أبناء الدجاني في يافا . واشتهرت عائلة الدجاني باشتغال عدد كبير من أبنائها بالعمل العامّ وبالإفتاء والعلم الشرعي ، كما اشتغل بعض أبنائها بالتجارة . ومن أعلام عائلة الدجاني في القرن العاشر الهجري أحمد بن يونس القشاشي الدجاني العالم والعارف بالله القطب ، ومن أعلام عائلة الدجاني في القرن الثاني عشر الهجري والثالث عشر الهجري الشيخ سليم الدجاني مفتي يافا والشيخ حسين الدجاني ابنه المفتي من بعده ، وقد كتب عنهما أحمد صدقي الدجاني . ووالد زوجته كامل الدجاني مجاهد وشاعر فلسطيني اشتغل بالعمل العامّ ، وله ديوان بعنوان « في غمرة النكبة » ، وجدّ زوجته توفيق الدجاني مفتي يافا .

ولد أحمد صدقي الدجاني بمدينة يافا على ساحل فلسطين يوم ١٨ / صفر / ١٣٥٥ هـ الموافق ٧ / ٤ / ١٩٣٦ م . وهاجر مع أُسرته من يافا عام ١٩٤٨ م ، إذ كان يبلغ الثانية عشر من عمره عندما حصلت نكبة فلسطين . وقد استقرّ مع عمّه في اللاذقية ، ثمّ عمل مدرّساً وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وهي المرحلة التي ألزم نفسه خلالها بالتحدّث باللغة العربية الفصحى حتّى وفاته .

حصل على درجة الإجازة في التاريخ عام ١٩٥٩ م من الجامعة السورية ، ثمّ انتقل إلى ليبيا ليعمل في الإعلام والإذاعة الليبية بالإضافة إلى نشاطه في العمل الفكري ، وحصل

على الماجستير في ليبيا، وكان عنوان رسالة الماجستير التي كتبها «الحركة السنوسية: نموّها وانتشارها في القرن التاسع عشر»، وتعدّ دراسته هذه إحدى المراجع الأساسية عن الدعوة السنوسية، وحصل على درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ في جامعة القاهرة بمصر عام ١٩٦٩ م، وكان عنوان أُطروحته «ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي».

أسهم في عام ١٩٦٤ م في تأسيس منظّمة التحرير الفلسطينية بالتعاون مع عدد من رجالات فلسطين، وكان عضواً بالمؤتمر الفلسطيني التأسيسي، وقد شغل منصب مدير عامّ دائرة التنظيم الشعبي بالمنظّمة عام ١٩٦٦ م، ثمّ أصبح عضواً باللجنة التنفيذية، وأسهم في بدايات السبعينات من القرن الماضي في تأسيس جريدة «البلاغ» بالتعاون مع علي وريث وإبراهيم الغويل.

رشّح من الفصائل الفلسطينية المختلفة ليكون عضواً مستقلاً باللجنة التنفيذية عام ١٩٧٧ م، وظلّ عضواً باللجنة التنفيذية حتّى عام ١٩٨٤ م، إذ أعلن تركه اللجنة التنفيذية عام ١٩٨٤ م باجتماع المجلس الوطني بعمّان بالمملكة الأردنية الهاشمية؛ لاختلافه مع قيادة المنظّمة حول الخطّ السياسي العامّ.

ترأس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم بمنظّمة التحرير الفلسطينية لمدّة طويلة، وظلّ عضواً بالمجلس الوطني، وعضواً بالمجلس المركزي بالمنظّمة منذ عام ١٩٧١ م، وعضواً بالصندوق القومي منذ عام ١٩٧٤ م، وعضواً بالوفد الفلسطيني للأُمم المتّحدة بين عامي ١٩٧٧ م، و١٩٨٤ م، كما كان مسؤول الحوار العربي ـ الأُوربي بين عامي ١٩٧٥ م و١٩٨٥ م.

عمل مدرّساً في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، ثمّ رشّح واختير عضواً عن فلسطين بأكاديمية المملكة المغربية، وظلّ عضواً بها حتّى رحيله.

أسهم في تأسيس المؤتمر القومي ـ العربي، وكان عضواً لأمانته العامّة، وأسهم في تأسيس المؤتمر القومي ـ الإسلامي، واختير ليشغل منصب المنسّق الأوّل للمؤتمر (١٩٩٤ م ـ ١٩٩٧ م)، كما أسهم في تأسيس المؤتمر القومي ـ الإسلامي، واختير ليشغل منصب المنسّق الأوّل للمؤتمر بين عامي ١٩٩٤م، و١٩٩٧م، وكان عضواً بلجنة المتابعة للمؤتمر، وأسهم في تأسيس المنظّمة العربية لحقوق الإنسان، وكان عضواً بمجلس أُمنائها، وعضواً

بلجنتها التنفيذية، ونائباً لرئيسها. كما اختير عضواً مراقباً بمجمع اللغة العربية في سوريا ومصر.

شغل منصب عضو جلس أُمناء منتدى الفكر العربي، وأسهم في فعّالياته، كما أسهم في فعّاليات مركز دراسات الوحدة العربية، والتزم كتابة المقال الأُسبوعي، إذ غطّت مقالاته موضوعات سياسية وفكرية وأدبية وتاريخية وإنسانية، وقد نشر مقالاته في عدد كبير من الجرائد العربية، منها: «البلاغ» و«ليبيا» و«الجمهورية» و«مصر» و«الخليج» (الإمارات)، و«الأهرام» (مصر).

له ما يربو على ستّين كتاباً في التاريخ والفكر السياسي والدراسات المستقبلية والتأمّلات، ومسرحية، ومجموعة بحوث ودراسات في العلوم الإنسانية.

توفّي أحمد صدقي الدجاني في القاهرة مغرب الاثنين في التاسع والعشرين من ديسمبر سنة ٢٠٠٣ م، هذا وقد عقدت حفلات تأبين له عقب وفاته في كلّ من القاهرة وعمّان وبيروت والخرطوم ولندن ورام الله.

وقد حصر الدكتور الدجاني العناصر المكوّنة لثقافة التقريب بين المذاهب الإسلامية في ثلاثة:

١ ـ العنصر المتعلّق بالعقيدة، والذي ينطلق من نظرات الإسلام في الكون والحياة والإنسان، ويؤمن بأنّ مبدأ الاختلاف بين الناس هو أحد سنن الله في الكون، وهو واقع بمشيئته سبحانه وتعالى، ويرتبط مبدأ الاختلاف هذا بمبدأ الحقّ في الاختيار الذي أقرّه الإسلام وأثبته في القرآن الكريم أيضاً بعد أن فطر الله الإنسان عليه.

وهذا العنصر ممّا يعين على تحقيق أهداف الحوار الساعي إلى التقريب، حيث إنّ تعدّد الرؤية سنّة من سنن الله وناموس من نواميسه في خلقه، وأنّ وحدة الحقيقة لا تنفي تعدّد زواياها واختلاف العقول في تفسيرها.

٢ ـ العنصر المتعلّق بالتاريخ، وهو استحضار التاريخ الحافز المتّصل بالتقريب واستلهامه والتحرّر في الوقت نفسه من أسر التاريخ العبء؛ لكي يتمّ التخلّص والتغلّب على سوء فهم موجود ونوازع غير صالحة، ونمهّد الطريق أمام تعارف شعوب وتفاعل حضارات وتعاون على البرّ والتقوى.

٣ ـ العنصر المتعلّق بالتربية ، وهو استحضار الموروث التربوي الإيجابي بشأن هـذا الموضوع وتغذية الأجيال الصاعدة به .

والموروث التربوي هو ما ورثته الأُمّة عبر تاريخها ، وهو يدخل في عناصر تكـوين ذاتها الحضارية ، وله مكانة في تنشئة الشخصية الإنسانية .

وفي التعامل مع هذا الموروث التربوي تبدو الحاجة ماسّة إلى وعي تحكمه مـبادئ أساسية :

منها : الكفّ عن النظر إلى التراث على أنّه غاية في ذاته ، فهو وسيلة ، ويمكن خضوعه للنقد والتمحيص أو التغيير ، وعدم الخلط بين ثوابت الأُمّة الموروثة (الكتاب والسنّة) وبين متغيّرات التراث التي هي من صنع البشر ؛ حتّىٰ لا تنتفي عن التراث صفة الإبداع الإنساني .

ومنها : عدم اعتبار التراث أمراً مستقلّاً عن الواقع ، فهو جزء منه ، فلا يستبدل بالواقـع الحالي الواقع التراثي ، فيصير الخلط بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون .

ومنها : أنّ التراث ليس كلّاً لا يتجزّأ يؤخذ كلّه أو يرفض كلّه ، وأنّه ليس خارج التاريخ والزمان والمكان ، وأنّ البعد عن التعصّب ضرورة .

وهذه المبادئ تؤكّد على ضرورة التعامل المنهجي مع الموروث التربوي بحيث تتحوّل عملية استقرائه ومحاولة الإفادة منه إلى قوّة تطوير وطاقة تجديد ، لا إلى قيود تعوق .

أحمد عبد المجيد هريدي

أحمد عبد المجيد هريدي : مفتي مصر ، القاضي ، اللغوي .

ولد ببلدة النقاعي بمحافظة بني سويف المصرية سنة ١٩٠٦ م ، وحفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية ، ودرس بالجامع الأزهر . وعندما أُنشئت كلّية الشريعة التـحق بـها ، وكـان تخصّصه في القضاء الشرعي ، وتخرّج منها سنة ١٩٣٦ م ، وكان أوّل خرّيجيها .

بدأ حياته العملية موظّفاً قضائياً بالمحاكم الشرعية ، واختير للتفتيش القضائي الشرعي بوزارة العدل ، ثمّ عيّن قاضيّاً من الدرجة الأُولى سنة ١٩٤٨م ، ثمّ وكيلاً للمحكمة الملكية الشرعية سنة ١٩٥٢م ، ثمّ رئيساً لمحكمة المنصورة الشرعية سنة ١٩٥٤م . وعندما أُلغيت

المحاكم الشرعية عيّن رئيس نيابة بمحكمة النقض سنة ١٩٥٥ م.

وفي سنة ١٩٦٠ م عيّن مفتياً لمصر حتّى سنة ١٩٧٠م. وفي سنة ١٩٧٣م عيّن عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، واختير لعضوية اللغة العربية سنة ١٩٧٩م.

له نشاط علمي في مجال الفقه الإسلامي، فقد شارك في عدّة مؤتمرات ولجان، وأسهم ببحوث في هذا الميدان، فكان عضواً في اللجنة التي اختارت قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وساهم في لجنة تعديل القوانين واستمداد أحكامها من الشريعة الإسلامية سنة ١٩٧٢م بمصر والكويت، وشارك في لجان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمكّة المكرّمة، وكان يحضر مؤتمرها السنوي، كما ساهم في المؤتمر الإسلامي بماليزيا سنة ١٩٦٨ م.

أمّا بحوثه فكثيرة، نشر بعضها في أعداد من موسوعة الفقه الإسلامي، وكثير منها مازال مخطوطاً، مثل: نظام الحكم في الإسلام، ونظام القضاء في الإسلام، ونظام الزكاة، والولاية على النفس والمال، ورؤية الهلال، والإسقاط، والولاية العامّة، والخلافة، ونظام الإقرار، ونظام الشهادة، وقتل الجاسوس، ونظام تطبيق الحدود الشرعية.

من كتبه المطبوعة: تلخيص كتاب المقولات لابن رشد، وتحقيق كتاب «المذكّر والمؤنّث» للتستري.

توفّي سنة ١٩٨٤ م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٤٦، إتمام الأعلام: ٤٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٢٣).

أحمد عروة

أحمد عروة: طبيب وداعية إسلامي جزائري، عميد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

ولد سنة ١٣٥٣ هـ، وتخرّج من جامعات فرنسا طبيباً جرّاحاً، ومارس العمل في القطاعات الصحّية، لكنّه كان أكثر اهتماماً بإلقاء المحاضرات والأحاديث الإذاعية والتلفازية والكتابة للصحف والمجلّات؛ لإبراز المعاني السامية للدين الحنيف، والتركيز

على الإعجاز الطبّي للقرآن الكريم .

توفّي في شهر شعبان من سنة ١٤١٢ هـ تاركاً بعض المؤلّفات ، منها : العلم والدين : مناهج ومفاهيم ، الوقاية وحفظ الصحّة عند ابن سينا .

(انظر ترجمته في : نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٧٢٩).

أحمد عسّاف

أحمد محمّد عسّاف : من علماء لبنان ، ومن الباحثين في حقل الفقه المقارن المذهبي.

كان له رصيد شعبي لا بأس به في منطقة عائشة بكّار ، وقد أنشا فيها مركزاً إسلامياً يضمّ مسجداً ومستوصفاً وقاعة محاضرات ومدرسة .

وقد قُتل غيلة سنة ١٩٨٢ م ، وكان ضحية المجالس المحلّية عندما اتّخذت الحركة الوطنية قراراً بإنشاء مجالس محلّية يجري انتخابها تحت إشرافها ، ممّا يمنح الحركة تفويضاً شعبياً شرعياً لتنطق باسم الشارع الوطني والإسلامي ، ولتشدّ من قبضتها عليه من خلال أن تتولّى بدلاً عن الدولة الشؤون العامّة المدنية والنظامية ، وأن تجبي الضرائب ، وتقرّر ما تريد من خلال تمتّعها بشرعية التمثيل بعد إجراء الانتخابات ، فقامت في وجه هذه الخطوة معارضة واسعة ، تمثّلت في التيّار الإسلامي العامّ و«التجمّع الإسلامي» الذي يضمّ الزعامات الدينية الإسلامية التقليدية ورؤساء الوزارات السابقين وحركة أمل الشيعية . وبرز تكتّل ضمّ الجمعيات والهيئات الإسلامية في بيروت برئاسة الشيخ أحمد عسّاف أعلن رفضه للمشروع ، ولمّا أدركت زعامة الحركة الوطنية حجم المعارضة اضطرّت لأن تسحب مشروعها .

من مؤلّفاته : الأحكام الفقهية في المذاهب الإسلامية الأربعة ، قصص من التنزيل ، الحلال والحرام في الإسلام.

وقد كان الشيخ أحمد من خلفاء الطريقة اليشروطية الشاذلية .

(انظر ترجمته في : تتمّة الأعلام ١ : ٥٠ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٧٤٣ ـ ١٧٤٤).

أحمد علي الملط

أحمد الملط : نائب المرشد العامّ للإخوان المسلمين في مصر، وأحد الدعاة.

انتظم في الجامعات وهو شاب يافع، ثمّ أصبح علماً من أعلامها ونجماً من نجومها. وهو طبيب متخصّص في الجراحة العامّة، وصاحب قلم فيّاض ويد سخية معطاءة، فكان من المجاهدين بنفسه وماله وقلمه في سبيل الله تعالى.

دعا إلى الله، وصبر على المحن التي تعرّض لها طوال حياته، وسجن في عهد الملك فاروق والرئيس جمال عبد الناصر.

شارك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ضدّ اليهود الصهاينة، وبقي يدافع عن القضية المركزية خمسين عاماً وحتّى آخر نفس في حياته، وكان يقول : «قضية فلسطين هي قضية الإسلام الكبرىٰ».

وخرج من المعتقل في السبعينات الميلادية من القرن المنصرم ليواصل دعوته وجولاته في أوروبّا وأمريكا وشرق آسيا؛ ليبلّغ الدعوة وينصر الدين. فكان يتابع عن كثب قضايا المسلمين.. سافر إلى أفغانستان أثناء حربها مع الشيوعيّين، وأصلح بينهم وقد كبر سنّه وأدركته العلل، وزار المستبعدين من مسلمي فلسطين في مرج الزهور، كما زار المحاصرين في سراييفو.

وفي داخل مصر كان داعية محسناً وجيهاً، يسهر على المرضى، وبخاصّة الفقراء منهم، وييسّر سبل العلاج لهم، حيث أنشأ «الجمعية الطبّية الإسلامية» والمستوصفات الخيرية بأجر زهيد يتناسب وأموال الفقراء.. كلّ ذلك من غير دعاية ولا ضوضاء ولا إعلانات.

كان يؤمن بأنّ الإسلام الصحيح الأصيل ليس مجموعة من المعارف وكفىٰ، بل هو المعرفة التي تتّصل بتقوى الله وخشيته، فكلّما ازداد المسلم معرفة صفت نفسه وسما إدراكه واستشعر عظمة الخالق جلّ وعلا وأدرك بحسّه الصادق رقابة الباري على كلّ صغيرة وكبيرة، وعظمت مسؤولية المسلم بعد ذلك، كأنّ المسؤولية على قدر المعرفة، وكلّما

ازداد علم المسلم بمولاه شعر بتضاؤله هو وأدرك سابغ النعم عليه.

كان عابداً ناسكاً، قضى رمضان سنته الأخيرة معتكفاً في الحرم المكّي، وتوفّي في مكّة المكرّمة سنة ١٩٩٥ م بعد أن أدّى مناسك الحجّ والعمرة وزيارة المسجد النبوي.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٥١ ـ ٥٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٣٠).

أحمد عمر هاشم

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمّد بن هاشم العزّازي: أُستاذ الحديث وعلومه بالأزهر الشريف، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، ورئيس جامعة الأزهر سابقاً.

ولد بقرية بني عامر (الزقازيق شرقية) عام ١٩٤١م، وتخرّج في كلّية أُصول الدين من جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٦١م، وحصل على درجة الدكتوراه في نفس تخصّصه، وأصبح أُستاذ الحديث وعلومه عام ١٩٨٣ م، ثمّ عيّن عميداً لكلّية أُصول الدين بالزقازيق عام ١٩٨٧ م. وفي عام ١٩٩٥م شغل منصب رئيس جامعة الأزهر حتّى عام ٢٠٠٣ م، وأضحى عضو مجلس الشعب بالتعيين للدورة البرلمانية (٢٠٠٥ م ـ ٢٠١٠ م).

من مؤلّفاته: الإسلام وبناء الشخصية، من هدي السنّة النبوية، الشفاعة في ضوء الكتاب والسنّة والردّ على منكريها، التضامن في مواجهة التحدّيات، الإسلام والشباب، قصص السنّة، القرآن وليلة القدر.

يقول في كلام له نشرته مجلّة «الأزهر»: «إنّ وحدة أُمّتنا واجبة وضرورية لمواجهة التحدّيات والتكتّلات والأخطار التي تحدق بالأُمّة من كلّ جانب، ولو نظرنا إلى ما تملكه أُمّتنا الإسلامية والعربية من الثروة البشرية والمعدنية والبترول والعقول والحضارة والعلم والزراعة إلى غير ذلك من أسباب القوّة والمنعة، لو نظرنا إلى ما تملكه أُمّتنا من هذا كلّه لكنّا على يقين بأنّنا حين نتوحّد ونتجمّع نصبح أكبر قوّة مؤثّرة في العالم كلّه.

ومن أجل هذا أدرك أعداء أُمّتنا سرّ قوّتنا، فراحوا يعملون على نشر مبدئهم: «فرّق تسد»، فكانت الحدود المصطنعة، وكانت أساليب التفرقة المتعدّدة في الثقافة وفي نشر مبادئ الاختلاف بين الأُمّة لإحداث شروخ بين فصائل الشباب المسلم، وبينهم وبين

الدعاة والأنظمة، ومحاولة تضخيم بعض الاجتهادات والخلافات الفقهية. وإلى جانب هذا سعوا جاهدين في فصل الأُمّة عن دينها ودستورها؛ لأنّه يوحّدها، فقال أحدهم في بعض المؤتمرات: «لا قرار لنا مادام المصحف في أيدي المسلمين»!

إنّ الوحدة أساس كلّ خير في دنيا الناس وآخرتهم، وإنّ الفرقة أخطر الآفات التي تقضي على سعادة الناس، وترديهم في مهاوي التهلكة، وتجرّهم إلى وحل المعصية، وتظلّ تفرّقهم شيعاً حتّى تجعلهم ينفصلون تماماً عن الدين.

لا بدّ من تكوين وحدة إسلامية بين جميع المسلمين، وحين يكون للمسلمين على الأقلّ موقف إسلامي موحّد فإنّه لن يكون لتلك التحدّيات سبيل علينا، بل تصبح الأُمّة الإسلامية أكبر الدول والأُمم وأقواها وأعزّها.

إنّ هذه الوحدة المنشودة هي التي دعا إليها الإسلام وأكّد الدعوة إليها: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، ودعا الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) إلى توحيد المسلمين ومعاونة بعضهم، فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»، ثمّ شبك أصابعه.

وإنّ على المجتمعات والدول الإسلامية أن توحّد موقفها وتتعاون لإنقاذ الأقلّيات الإسلامية ومواجهة التحدّيات العالمية، وعلى جميع الدول الإسلامية أن تمدّ يد العون لكلّ البلاد المحتاجة والفقيرة، وتساعد الأقلّيات، وتخلّصها ممّا يُدبّره لها أعداء الإسلام، وحتّى لا يكون لتيّارات الفساد والشرّ سبيل لها.

ويوم أن تتّحد بلاد العالم الإسلامي وتتوحّد على هدف منشود تحقّق به خيرها، وتنصر دينها، يوم أن ينصرها الله نصراً مؤزّراً، ويمكّن لها في الأرض؛ لتقيم شريعة الله في الأرض، مؤكّدة صلتها به، ومقوّية روابطها بالمجتمع، ومدافعة عن دين ربّها، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٥١ ـ ٥٢).

أحمد عيسىٰ عاشور

أحمد عيسى عاشور: عالم، داعية، صحفي.

ولد سنة ١٨٩٩م في بلدة الشنياب من أعمال محافظة الجيزة، وتعلّم بالأزهر حتّى حصل منه على شهادة العالمية، وخرج إلى الحياة العامّة ليعمل مأذوناً شرعياً يوثّق عقود الزواج والطلاق، ثمّ ترك هذا العمل إلى مجال التجارة الحرّة. غير أنّ أشواقه كانت مركّزة في مجال الدعوة لإلقاء الدروس والخطب وإرشاد المسلمين، فأنشأ مجلّة «الاعتصام» لتكون اللسان المعرب عن «الجمعية الشرعية» التي تأسّست لتحمي الشريعة وتحافظ على السنّة النبوية. وقد اتّجهت المجلّة منذ صدورها إلى محاربة البدع والخرافات والمفاسد الاجتماعية والسياسية والاهتمام بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية الغرّاء.. وقد أصدر هذه المجلّة قبل ٦١ سنة لتكون مجلّة أُسبوعية، لكنّها ظلّت تصدر شهرية مؤقّتاً لأكثر من نصف قرن.

وقد تعرّض هو وأولاده إلى الاضطهاد الذي وصل إلى سجن بعض أولاده وملاحقتهم ومحاصرتهم على مدى نصف قرن من الزمان.

توفّي عام ١٩٩٠م تاركاً عدّة مؤلّفات، منها: غرائب الأخبار ونوادر الحكم واللطائف والأشعار، الفقه الميسّر في العبادات والمعاملات، متفرّقات، برّ الوالدين وحقوق الأبناء والأرحام، الدعاء الميسّر، رسالة الحجّ والعمرة.

كما قام بإعداد ونشر بعض محاضرات الشيخ حسن البنّا وتحت بعض العناوين، كنظرات في كتاب الله، ونظرات في السيرة، ونظرات في إصلاح النفس والمجتمع، وحديث الثلاثاء.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٥٣، إتمام الأعلام: ٤٧، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٣١).

أحمد كفتارو

المفتي العامّ السابق للجمهورية العربية السورية، ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى في دمشق، ورئيس مجمع أبي النور الإسلامي، وأحد دعاة التقريب والوحدة الإسلامية.

تلقّى كفتارو علومه الدينية على أيدي كبار علماء دمشق الأفاضل الذين شهدوا له بسعة فهمه وحدّة ذكائه، ومنهم: الشيخ محمّد أبو الخير الميداني، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ محمّد سليم الحلواني، والشيخ محمّد الملكاتي، والشيخ محمّد جزو، والشيخ الملّا عبد المجيد، وغيرهم. بالإضافة إلى والده، وشيخه الشيخ محمّد أمين كفتارو، وعمّه الشيخ محمّد صالح كفتارو، وقد أجازه شيوخه بتدريس علوم الشريعة والتزكية والتربية والدعوة والإرشاد.

وقد حاز على الدكتوراه الفخرية في علم الدعوة الإسلامية من جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرتا عام ١٩٦٨م، وعلى دكتوراه فخرية في علوم أُصول الدين والشريعة من جامعة عمر الفاروق في الباكستان عام ١٩٨٤م، وعلى دكتوراه فخرية في علوم الدعوة الإسلامية من جامعة أُمّ درمان الإسلامية في السودان سنة ١٩٩٤م.

ومن الأوسمة التي تقلّدها: وسام نجمة باكستان الذهبية من رئيس الجمهورية الباكستانية سنة ١٩٦٨ م، ووسام الاستحقاق من جامعة الفاروق من الباكستان سنة ١٩٨٤م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأُولى من جمهروية مصر العربية سنة ١٩٩٨م.

بعد وفاة والده عام ١٩٣٨م تولّى الإرشاد والتعليم والدعوة والتربية الروحية، وقد تخرّج وتربّى على يديه مئات العلماء والدعاة والمفكّرين والكتّاب الذين أصبح للكثير منهم شهرة واسعة محلّياً وعالمياً.. ومن هؤلاء: الدكتور الشيخ محمّد بشير الباني، والقاضي عبدالرؤوف الأُسطواني، والدكتورمحمّد حبش، والدكتور عبدالسلام راجح، والشيخ عبد الناصر الجبري، والدكتور محمّد شرف الصوّاف، والدكتور بسّام الزين، والدكتور بسّام الصبّاغ، والدكتور علاء الدين زعتري.

وقد فسّر القرآن أربع مرّات خلال نصف قرن من المثابرة على التدريس والتوجيه والتربية، وبذل النصح لكافّة طبقات الأُمّة صغيرها وكبيرها رجالها ونسائها فقيرها وغنيها ومن أُميّيها إلى مثقّفيها ومن محكوميها إلى حكّامها. ولم يترك حاكماً عربياً أو مسلماً إلّا والتقى معه في حدود الطاقة وبذل له النصيحة وبلّغ البلاغ المبين المستند إلى الدليل المقنع

والحقيقة التي لا تشوبها الأغراض والمصالح، فكان مقبولاً عند الجميع على اختلاف توجّهاتهم.

عيّن مدرّساً دينياً في دار الفتوى بالقنيطرة عام ١٩٤٨ م، وشارك في تأسيس رابطة العلماء في الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٤٩م، وأسّس وافتتح معهد الأنصار الثانوي للذكور سنة ١٩٤٩م. عيّن مدرّساً دينياً في دار الفتوى بدمشق ١٩٥٠ م، وأسّس وافتتح جمعية الأنصار الخيرية سنة ١٩٥٢ م، وانتخب مفتياً عامّاً للجمهورية العربية السورية ورئيساً لمجلس الإفتاء الأعلى ١٩٦٤ م، وأسّس وافتتح معهد بدر للإناث سنة ١٩٦٤ م، وقام سنة ١٩٧١ م بتأسيس مجمع أبي النور الإسلامي الكبير بطوابقه الثمانية (والذي تحوّل اسمه إلى مجمع الشيخ أحمد كفتارو)، والذي يضمّ مسجداً وعدّة معاهد وكلّيات جامعية شرعية ومؤسّسات تعليمية وخيرية.

وقد ضمّ المجمع الأقسام التالية التي افتتحت تباعاً:

١ ـ افتتح المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد بفرعيه الذكور والإناث في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي سنة ١٩٧٥ م.

٢ ـ افتتحت دار العلّامة الشيخ محمّد أمين كفتارو لتحفيظ القرآن الكريم في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق عام ١٩٨١ م.

٣ ـ افتتح فرع لكلّية الدعوة الإسلامية الليبية في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي سنة ١٩٨٢م.

٤ ـ افتتحت دار العلّامة الشيخ محمّد أمين كفتارو لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق. وهي مخصّصة للمغتربين الذين يريدون تعلّم العربية لدراسة العلوم الإسلامية في الكلّيات الجامعية سنة ١٩٨٨ م.

٥ ـ افتتح فرع لكلّية الإمام الأوزاعي قسم الدراسات العليا في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق سنة ١٩٩١م.

٦ ـ افتتح فرع لكلّية الدين في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بالتعاون مع جامعة

أُمّ درمان الإسلامية عام ١٩٩٢م.

٧ـافتتح فرع لقسم الدراسات العليا في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بالتعاون مع جامعة أُمّ درمان الإسلامية عام ١٩٩٢م.

٨ـافتتح قسم الدورات التأهيلية للأئمّة والخطباء والمدرّسين الدينيّين من البلدان الناطقة بغير اللغة العربية في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق سنة ١٩٩٣م.

٩ـافتتح قسم الدورات التأهيلية للدعاة الناطقين باللغة الإنجليزية في أوربّا وأمريكا، وقسم آخر للدعاة والناطقين باللغة الروسية في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق سنة ١٩٩٤م.

١٠ـوضع مشروعاً لافتتاح مجمع سكني للطلّاب المغتربين الدارسين في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي سنة ١٩٩٥م.

١١ـأسّس مشروعاً لإنشاء مجمع لرعاية الأيتام من المناطق الإسلامية المنكوبة تابع لجمعية الأنصار الخيرية ومجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي بدمشق سنة ١٩٩٩م.

أمّا أهمّ أفكار الشيخ كفتارو: ففي مجال التجديد والإصلاح: أكّد على إعادة قواعد التصوّف إلى القرآن والسنّة وتقديم ميثاق العمل الصوفي، والأخذ بمنهج الوسطية دون تفريط، وإحياء روح الاجتهاد بضوابطه، وتوحيد جهود الدعوة، ونبذ التعصّب بين الجماعات، والعناية بالإعلام الإسلامي، وتشجيع إطلاق القنوات الفضائية الإسلامية.

وفي مجال الحوار مع غير المسلمين: بيّن موقف الإسلام من الديانات السماوية، وأكّد على التعاون على المشترك والحفاظ على الثوابت، وعمل على تنمية العيش المشترك بين أبناء الديانات في المجتمع الواحد.

وفي إطار الوحدة الإسلامية: أكّد على محاربة التعصّب المذهبي، والمساهمة بتأسيس أوّل مجلس تقريب بين السنّة والشيعة، كما عمل على ترسيخ أدب الحوار والاختلاف.

وفي مجال الإسلام والقضايا السياسية والوطنية: أكّد على التعاون مع الحكومات

الوطنية لخدمة قضايا الدعوة والأُمّة، وترسيخ الوحدة الوطنية، وحرمة التطبيع مع إسرائيل، وحرمة الاعتداء على السوّاح الأجانب، ودعم الكفاح التحرّري ومشروعية المقاومة.

توفّي الشيخ أحمد كفتارو يوم الأربعاء بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١ م، حيث صلّي عليه عقب صلاة الظهر في جامع بني أُميّة الكبير بدمشق، وشيّع جثمانه إلى وزارة الأوقاف، ثمّ تابع الموكب سيراً على الأقدام إلى مجمع الشيخ أحمد كفتارو، حيث وارى جثمانه الثرىٰ.

وقال عنه العلّامة أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الإسلامي العالمي ورئيس ندوة العلماء بالهند في كتابه: «مذكّرات سائح في الشرق العربي» ما نصّه: «الشيخ أحمد عالم مثقّف مطّلع، ناضج العقلية، واسع آفاق الفكر، نشيط في عمله. وقد تمكّن من إلغاء البغاء الرسمي في سوريا... ومنهجه في الإصلاح يتمثّل في وجوب إصلاح المعارف وتوجيهها الإسلامي. وهو قوي الأمل عظيم الثقة.. لقد قال لرئيس أركان الحرب الحاكم العسكري للبلاد: تستطيع أن تكون زعيماً للبلاد العربية كلّها بل للعالم الإسلامي كلّه إذا هيّأت لنفسك الزعامة الإسلامية واحتضنت خدمة الإسلام».

يقول الشيخ كفتارو حول الوحدة: «الدعوة إلى الوحدة الإسلامية مطلب عظيم، ينبغي أن نسعىٰ إلى تحقيقه على أُسس علمية موضوعية، وأن نجرّد هذه الدعوة الصادقة من الصيغ الخطابية والعاطفية التي تتردّد بين الحين والآخر، وتخلط بين تحقيق الوحدة الإسلامية وبين إلغاء المدارس الاجتهادية الفكرية التي هي مظهر ثراء هذه الأُمّة في الفقه والتشريع وحرّية الفكر.. إنّ الوسطية والاعتدال هما الركن الركين في بناء الوحدة وفي دعوة التقارب والتعاضد».

(انظر ترجمته في: رسائل الأعلام إلىٰ العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٠٢ ـ ١٠٣، موسوعة الأعلام ٣: ٤٣٨ ـ ٤٣٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٥٢ ـ ٥٣).

أحمد كمال أبو المجد

أحمد كمال أبو المجد: مفكّر إسلامي، وفقيه دستوري مصري، وهو وزير سابق

للإعلام والشباب، وأمين مجلس حقوق الإنسان في مصر.

ولد في أسيوط عام ١٩٣٠ م، وتخرّج في كلّية الحقوق عام ١٩٥٠ م، وحصل على دبلوم القانون العامّ سنة ١٩٥١ م، ثمّ دبلوم الشريعة الإسلامية عام ١٩٥٢ م، ثمّ الدكتوراه في القانون من جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ م.

وعمل مدرّساً بكلّية حقوق جامعة القاهرة، ثمّ مستشاراً ثقافياً ومديراً للمكتب الثقافي المصري في واشنطن عام ١٩٦٥ م، ثمّ رئيساً للمجلس الأعلى للشباب عام ١٩٧١ م، فوزيراً لشؤون الشباب عام ١٩٧٢ م، فوزيراً للإعلام في الفترة من عام ١٩٧٣ م حتّى عام ١٩٧٥ م، ثمّ عميداً لكلّية الحقوق والشريعة الإسلامية بجامعة الكويت عام ١٩٧٧م، فمستشاراً لولي عهد الكويت خلال الفترة من عام ١٩٨٠م حتّى عام ١٩٨٦ م. وفي هذا العام الأخير عيّن نائباً لرئيس المحكمة الإدارية للبنك الدولي بواشنطن، وأُستاذاً بكلّية حقوق جامعة القاهرة، ورئيساً لقسم القانون العامّ بها.

وهو عضو بمجمع البحوث الإسلامية، وعدد من المجامع والمؤسّسات القانونية والتشريعية، وقد مثّل مصر في العديد من المؤتمرات الإقليمية والعالمية.

من مؤلّفاته: دراسات في المجتمع العربي، مبادئ القانون الدستوري، حوار لا مواجهة.. بالإضافة إلى عدد من البحوث والمقالات والدراسات المتخصّصة.

وقد حصل الدكتور أحمد كمال أبو المجد على وسام الجمهورية من الطبقة الأُولى عام ١٩٧٦ م.

ويجدر بالذكر أنّه ينحدر من أُسرة أغلب رجالها من علماء الدين الأجلّاء.

يقول: «الدعوة إلى التقريب بين المسلمين فيما اختلفت فيه مذاهبهم ومدارسهم الفكرية والاعتقادية والفقهية ليست أمراً طارئاً ولا هي أمر جديد.. فمنذ تجمّعت حول المذاهب المختلفة جماعات مختلفة من المسلمين ينحاز كلّ جمع منها إلى مذهبه، ولا يكاد يرى الحقّ والصواب إلّا فيه، ولا يكاد يرى حقّاً ولا صواباً في مذاهب الآخرين وحوزاتهم التي انحازا إليها.. منذ وقع ذلك بدأ علماء الأُمّة وحكماؤها يشفقون أشدّ الإشفاق

من عواقب هذا التفريق مدركين أنّ الاختلاف في الرؤية والرأي قد يكون رحمة ونعمة حين يلتزم أصحابه منهجاً علمياً وأخلاقياً صارماً في التعامل معه وفي إدارة الحوار «بالتي هي أحسن» حول مواضع ذلك الاختلاف.. ولكنّه ينقلب إلى «نقمة» تنذر بأخطار جسيمة على الأُمّة كلّها حين تزايله روح السماحة والعدل، وتختلف عنه الموضوعية، وتستولي على أطرافه شهوة التغلّب على الآخرين.. حينئذٍ يوشك الأمر أن يؤول إلى الحال التي وصفها سبحانه بقوله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾، وهذه البراءة الإلهية والنبوية من الذين فرّقوا دينهم لم تأت إلّا بعد قيام الحجّة على الأُمّة، خاصّتها وعامّتها، أمراؤها وعلماؤها، بقوله تعالى لهم جميعاً: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾.

وإذا كان صحيحاً أنّ العلماء المحقّقين والعارفين والمخلصين قد تنادوا بالدعوة إلى التقريب منذ بواكير التاريخ الإسلامي، فإنّ اللقاء الذي يتمّ هذه الأيّام تجديداً لهذه الدعوة وسعياً للوصول بها إلى نتائج عملية تجني الأُمّة ثمراتها الطيّبة.. هذا اللقاء يتمّ في إطار ملابسات جديدة تماماً، يتّصل بعضها بعالمنا الإسلامي والعربي، كما يتّصل بعضها الآخر بالأوضاع العالمية التي تحيط بالناس جميعاً، مسلمين وغير مسلمين..

إنّ المعرفة الدقيقة بعناصر «الواقع» والإحاطة باتّجاه حركة التغيير الذي طرأ ولا يزال يطرأ على تلك العناصر، لقد صار يكوّن ـ فيما نرى ـ أكثر من نصف «الفقه» ونصف أدوات «الاجتهاد» المنشود.

إنّنا نعيش عصراً جديداً بكلّ المعايير، وليس صحيحاً ما يحتجّ به البعض من أنّ أهل كلّ عصر يرونه جديداً، ويرونه فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين؛ ذلك أنّ عصرنا هذا قد شهد خلال نصف القرن الأخير ثورات وقفزات علمية هائلة متعاقبة ومتراكبة في ميادين الانتقال والاتّصال والمعلومات وميادين أُخرى عديدة من ميادين العلم والصنعة وأدوات الحرب والقتال، ترتّب عليها أمران خطيران:

أوّلهما: أنّ الحواجز بين الناس والشعوب قد تهاوت بعد أن طوى العلم المسافات،

فالتقى ماء الحضارات المختلفة على أمر قد قدّر، ولم تعد عزلة البعض عن البعض ممكنة حتّى لو كانت في نظر البعض جائزة أو نافعة، وصار أبناء الثقافات المختلفة يواجه بعضهم بعضاً بلا حاجز ولا وسيط. وبدأ الناس يتساءلون في إشفاق وتوجّس: أيكون هذا اللقاء لقاء تعاون على البرّ والخير وما ينفع الناس كلّ الناس؟ أم يكون لقاء عداوة وصراع ومحاولات ضاربة للاستئثار بخيرات الدنيا وثمرات العلم استئثاراً يستعبد به الآخرون كلّ الآخرين ؟ لقد زالت الحجب والستر التي كانت تزيّن لنا ـ نحن المسلمين ـ أنّ في وسعنا أن نقضي عمرنا كلّه وعمر أجيالنا من بعدنا في حوزة ثقافية مغلقة لا يدخلها علينا أحد إلّا برضانا وإذننا، وصار علينا فجأة أن نواجه طوفاناً من «الوافدين»، ناساً من الناس، وأفكاراً غير أفكارنا، وقيماً غير القيم التي أقمنا عليها حياتنا كلّها وأدرنا بها شؤوننا كلّها.. لقد صار علينا اليوم ـ نحن المسلمين ـ أن نتذكّر من جديد ما علّمه الإسلام للمؤمنين به من أوّل يوم من أنّهم ليسوا وحدهم في هذه الدنيا، وأنّ تعدّد الأجناس والألوان واختلاف الألسنة والعقائد والأفكار سنّة من سنن الله من خلقه وناموس من نواميس في هذا الكون، وأنّه سبحانه أراد بهذا التنوّع أن يتبادل الناس الخبرة، وأن يتعاونوا على البرّ والخير متسابقين إلى ذلك ومتنافسين فيه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ (سورة المائدة: ٤٨).

ثانياً: أنّ انهياراً حادّاً ومفاجئاً قد وقع في التوازن الدولي مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي، وذلك بسقوط ما كان يسمّىٰ «المعسكر الاشتراكي» الذي كان ـ بغضّ النظر عن محتواه الأيديولوجي وناظمه السياسي والاقتصادي ـ يحقّق توازناً في العلاقات الدولية تستفيد منه الدول النامية والصغيرة، وبانهيار ذلك المعسكر انفرد القطب الدولي الأخير بموضع الصدارة والقيادة والقدرة على التأثير المباشر على العلاقات الدولية مانحاً نفسه حقّ التدخّل في شؤون الآخرين وفرض هيمنتهم عليهم وعلى قراراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية.. ولقد تمكّن هذا القطب الواحد حتّى الآن من فرض هيمنته هذه بما كان قد توفّر له من تقدّم علمي وتقني هائل وقوّة اقتصادية ضخمة وآلة عسكرية بالغة

التقدّم والتفوّق.

وإذا كان جائزاً ـ وهو في الحقيقة غير جائز ـ أن يشتغل المسلمون بخلافاتهم التاريخية والجديدة في ظلّ النظام الدولي القديم وفي ظلّ إمكان الانسحاب إلى حوزة مغلقة تعفيهم في ظنّهم من التواصل النشط مع غيرهم من الأُمم والشعوب، فإنّ الاستمرار في هذا «الشقاق» الثقافي والسياسي قد أصبح خطيئة كبرى بكلّ المعايير، لا يحمل عامّة المسلمين إثمها، وإنّما يحمله الأُمراء والساسة والعلماء.

ومن عجب أن ينتبه كثير من علماء المسلمين وساستهم إلى ضرورة التواصل مع أبناء الحضارات المعاصرة ساعين إلى تضييق شقّة الخلاف بين المسلمين ومن عداهم، وألّا يصاحب ذلك بل يسبقه سعي مماثل لحوار إسلامي ـ إسلامي، يهدف إلى تضييق شقّة الاختلاف بين فئات المسلمين وطوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفكرية المختلفة!».

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٩٢).

أحمد المبلّغي

أحمد ما شاء الله (المروّجي) المبلّغي: أُستاذ حوزوي، وداعية تقريب.

ولد في مدينة خرّم آباد الإيرانية سنة ١٣٣٨ هـ. ش لأُسرة بروجردية معروفة بالتديّن والعلم. وبرعاية والده المرحوم ـ والذي هو رجل دين معروف في منطقته وكان له أعظم الأثر في توجّه المترجم له نحو دراسة العلوم الدينية ـ قام بالانضمام إلى صفوف الحوزة العلمية بقم وهو لا يزال في ريعان شبابه، فدرس «المقدّمات والسطوح» بجدّ متتلمذاً عند بعض الأساتذة المعروفين، كالاشتهاردي وستودة والباياني والاعتمادي. ومن بعد ذلك حضر أبحاث الخارج في الفقه والأُصول عند الشيخ محمّد فاضل اللنكراني والميرزا جواد التبريزي وغيرهما من المراجع.. فحصل على رتبة عالية من العلم والفقاهة إضافة لما يمتاز به الشيخ من ذهن متوقّد كان له خير العون في طي مراحله الدراسية بجدّ وتفوّق. كما كانت للمبلّغي نشاطات سياسية في أيّام شبابه ضدّ نظام الشاه، دخل على أثرها المعتقل مرّتين. وهو يعمل حالياً رئيساً للمركز العلمي للتحقيقات التابع للمجمع العالمي للتقريب بين

المذاهب الإسلامية، ورئيساً لمعهد العلوم والثقافة الإسلامية التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، وأُستاذاً في بعض المراكز الدينية الجامعية في كرمان وآراك وطهران ومشهد.

له مقالات عديدة في مختلف فروع المعرفة الإسلامية، كما له كتاب مطبوع بعنوان «موسوعة الإجماع في فقه الإمامية»، وله بعض البحوث المخطوطة، منها: كتاب الوصية، تغيير الجنس، الاجتهاد والتقليد، كتاب الخمس.

وللشيخ نشاط تقريبي ملحوظ ترجمه بكتابة مقالات كثيرة بهذا الشأن، بالإضافة إلى مشاركته في العديد من المؤتمرات الوحدوية الدولية التي عقدت في إيران وقطر والأردن وعمان ولبنان والمغرب والبوسنة والهرسك وماليزيا والكويت وتايلند، وأيضاً مشاركته في عدّة لقاءات صحفية وتلفزيونية مع بعض القنوات الفضائية والمحلّية.

يقول المبلّغي في ورقة عمل قدّمها للمؤتمر العشرين للوحدة الإسلامية في طهران: «من النتائج الكارثية التي ترتّبت على انتشار ظاهرة التكفير تشويه وجه الإسلام.. والحقيقة أنّه قد ساهمت الأعمال العنفية للتكفيريّين مساهمة كبيرة وفاعلة جدّاً في إضفاء الكثير من التشويه على صورة هذا الدين الحنيف، حيث إنّه في الوقت الذي يحاول فيه أعداء الإسلام التوسيع من دائرة الحرب الإعلامية لإثبات كون التراث الإسلامي ممتلكاً للمقوّمات والوسائل المثيرة للعنف في المجتمع البشري، بدأوا يزوّدون محاولات الغرب الإعلامية ضدّ الإسلام بحجج ملموسة للرأي العامّ تدلّ على كون الإسلام بمعزل عن السلام وأنّه يمثل خطراً على البشرية! وهذه خيانة عظيمة للإسلام الذي حاول النبي الأكرم ﷺ أن يعرّفه كدين متلائم مع الفطرة ومكمّل للأخلاق.

وعلى المجتمع الإسلامي أن يعلم أنّه لو تتواصل وتتّسع هذه الأعمال البشعة وغير الإنسانية باسم الإسلام من قبل المتطرّفين ولا نفوّت الفرصة عليهم، فسوف تختفي أبعاد الإسلام الإنسانية والفطرية أكثر فأكثر، ومثل ذلك ينتهي إلى أن تتضيّق شيئاً فشيئاً دائرة دائرة رجوع غير المسلمين إلى الإسلام والدخول فيه.

والجدير بالالتفات أنّ الأعمال الإجرامية لهم لمّا تتمّ باسم الجهاد فالتشويه قبل كلّ

شيء توجّه إلى مفهوم هذا الأصل القرآني. والحقيقة أنّ النبي الأعظم ﷺ لم يكن يسمح طوال السنوات التي كان المسلمون متواجدين في مكّة أن يبادر أحد إلى الجهاد، بل وحتّى الدفاع، ولم يكن ذلك منه إلّا احتراماً لحرمة الجهاد وحفاظاً واعياً عليه، حيث إنّه ما كان الوقت آنذاك مناسباً للقيام به. ولو كان المسلمون يبادرون في ذلك الوقت إلى الجهاد لكانت مبادرتهم هذه مبادرة لأمر لا جدوى فيه، ولكان ذلك في الواقع تهميشاً للجهاد وإهداراً لقابلياته العظيمة وتشويهاً لوجهه الواقعي، ولكن لمّا دخل المسلمون المدينة واستقرّت لهم ثقافة وقدرة وحصلت لمجتمعهم عدّة وعدد بدأوا يصمدون صموداً واعياً أمام اعتداءات المشركين، فدخلوا بذلك في الجهاد، فازدهرت قابليات الجهاد أكثر فأكثر، وكانت معاركهم معارك حاصلة عن بصيرة ودرك.. يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف أصحاب النبي الأعظم ﷺ بأنّهم: «حملوا بصائرهم على أسيافهم»، وكان آنذاك الخوارج، وقد وقع منهم أيضاً استخدام عشوائي وغير عقلائي للسيف مجرّداً عن أيّ فكرة وبصيرة.. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عنهم: «جفاة طغام وعبيد أقزام، جمعوا من كلّ أوب وتلقّطوا من كلّ شوب، ممّن ينبغي أن يفقّه ويؤدّب ويعلّم، ويدرّب ويولّى عليه ويؤخذ على يديه».

وأسوا حالاً من الخوارج في هذا المجال هؤلاء الذين برزوا الآن ويسمّون باسم التكفيريّين، حيث إنّ ما قاموا به من أعمال عشوائية وإجرامية تحت عنوان الجهاد لا مثيل له في كافّة مراحل التاريخ الإسلامي، وقد أضرّوا بذلك بوجه الجهاد أضراراً فادحة وشوّهوا سمعة الجهاد في عيون الآخرين إلى حدّ ينظرون إليه كرمز للخشونة والعنف اللابشري.

إنّ النزاع بين طوائف المسلمين ـ وكما هو معلوم ـ مخالف للقرآن ومغاير لما كان النبي الأعظم ﷺ مصرّاً عليه من تشكيل الأُمّة وإقرار الأُخوّة الإسلامية بين أبنائها.

ويكفي التعرّض لبعض الروايات النبوية على سبيل المثال لإثبات لزوم الوحدة والتجنّب عن الفرقة، وهي ما يلي:

ـ قوله ﷺ: «كونوا ـ عباد الله ـ إخواناً».

ـقوله ﷺ : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا ـ عباد الله ـ إخواناً .. ولا يحلّ لمسم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ».

ـقوله ﷺ : « عليكم بالتواصل والتباذل ، وإيّاكم والتقاطع والتحاسد والتدابر ، وكونوا ـ عباد الله ـ إخواناً ، فإنّ المؤمن أخو المؤمن .. لا يخونه ، ولا يخذله ، ولا يحقّره ، ولا يقبل عليه قول مخالف له ».

فانطلاقاً من ذلك يتبيّن أنّه لا يجوز الورود في ميدان الاختلاف بعد هذا الرفض القرآني والنبوي للتنازع والفرقة ، سواء الإقدام عليه أو المساهمة فيه أو التستّر عليه أو التخطيط له ، وأنّه إذا كان أصل الورود في التنازع مخالفاً للقرآن وسيرة النبي الأعظم ﷺ فذنب من يحاول إيجاد فرقة دامية بين المسلمين وإحداث نزاع عميق بين طوائفهم كبير للغاية جدّاً.

والحقيقة أنّه لم تمرّ على المجتمع الإسلامي حادثة تدعو إلى تنازع طويل وشقاق عريض بين أبناء الأُمّة الإسلامية بمثل عامل التكفير. ومن المؤسف له أنّ هذا السبب المفرّق بين المسلمين قد برز الآن كظاهرة خلقت في الواقع أزمة ذات أبعاد خطرة على الإسلام والمسلمين ».

أحمد المحاميد

أحمد محمّد سعد المعروف بأحمد نصيب المحاميد : من كبار علماء الشريعة بسورية ، أديب ، خطيب .

ولد سنة ١٩١٢ م في قرية نصيب بمحافظة درعا ، فنسب إليها ، وفيها تعلّم وفي مركز المحافظة ، وظهرت نباهته فأرسله والده إلى دمشق لينخرط في حلقات الشيخ علي الدقر صاحب النهضة العلمية الذي كان بدوره قد استقطب عدداً كبيراً من الشباب من حوران وغيرها ، فانقطع إليه ، وحفظ القرآن الكريم ، وقرأ على طلّابه أوّلاً ، ثمّ عليه وعلى كبار المنتسبين إليه ، واستأذنه في القراءة على الشيخ بدر الدين الحسني محدّث الشام وكبير علمائها لزمنه ، فأذن له فأقرأه مهمّات الكتب وأجازه ، كما أجازه عدد آخر من شيوخه.

ومنذ تمكّن في العلم تولّى التدريس والدعوة الخطابة ، فدرّس في مدارس الجمعية

الغرّاء التي أسّسها شيخه الدقر وفي جمعية الزهراء. كما درّس في الثانوية الشرعية بدمشق وفي المساجد، خصوصاً جامع التوبة بحي العقيبة، وذلك في حلقات عامّة وخاصّة. واشتهر خطيباً في جامع الشمسية بالمهاجرين والجامع الأُموي وجامع السباهية. وكانت آخر خطبة له في جامع العثمان، ومنه استقال من وظائف وزارة الأوقاف كلّها طواعية، وسبب ذلك أنّ الأمر اقتضى منه أن يخطب بحضور رئيس البلاد، فاشترط ألّا يذكر في كلامه ثناءً على أحد ولا دعاءً خاصّاً، وفضّل الانسحاب بهدوء.

توفّي بدمشق عام ٢٠٠٠ م، ودفن بها.

له من الكتب: الأمانة والأُمناء، الحبّ بين العبد والربّ، من وحي المنبر، قبسات هادفات، روائع من الأدب العربي، التفسير الميسّر، الذين لا يحبّهم الله، لقطات من عيون الأخبار. وله أيضاً شعر لم ينشر.

امتاز الشيخ المحاميد بهدوئه واتّزانه وحرصه على السنّة في أحواله، لم يقف بباب أحد، ولم يقبل هدية ذات غاية. ابتلي بموت ابنة له صغيرة فصبر، وأُوذي من السفهاء فلم ينتصر لنفسه وكان يستطيع لو أراد، وعاش مستور الحال على الكفاف منقطعاً إلى العلم والعمل به حتّى أسنّ وساءت حاله، فلزم بيته حتّى وافاه الأجل.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٥٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٤١ـ١٧٤٣).

أحمد محمّد الشامي

أحمد محمّد الشامي: أحد أعلام الأدب في اليمن خلال القرن العشرين، وشاعر متمكّن، وسياسي مجرّب. وهو عضو لجنة الإعلام التابعة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) بمدينة الضالع في اليمن، وهاجر مع أُسرته إلى صنعاء بعد احتلال الإنجليز عام ١٩٢٨ م، وتخرّج من مدارس صنعاء ومعاهدها العلمية، وعمل في التعليم والقضاء، وكان من أبرز من شاركوا في ثورة ١٩٤٨م اليمنية.

عمل دبلوماسياً في الخارجية اليمنية عام ١٩٥٥ م، وعيّن وزيراً مفوّضاً للمملكة

المتوكّلية اليمنية بلندن عام ١٩٦١ م. كما عيّن وزيراً للخارجية في حكومة المنفى الملكية خلال الفترة من ١٩٦٢ م إلى ١٩٦٩ م، وعيّن عضواً في المجلس الجمهوري بعد المصالحة سنة ١٩٦٩ م إلى ١٩٧٠ م، وكذلك عيّن سفيراً لليمن في لندن سنة ١٩٧١ م، ثمّ سفيراً في باريس سنة ١٩٧٢ م، ثمّ سفيراً متجوّلاً ومتفرّغاً للكتابة والبحث ابتداءً من عام ١٩٧٤م.

كتب الشعر وهو في سنّ الخامسة عشرة، وأصدر أوّل دواوينه «النفس الأوّل» عام ١٩٥٥ م، ثمّ تتابعت إصداراته الشعرية، ومنها: «علالة مغترب» ١٩٦٣ م، «من اليمن» ١٩٦٤ م، «ألحان الشوق» ١٩٧٠ م، «إلياذة من صنعاء» ١٩٧٢ م، «حصاد العمر» ١٩٧٥ م، «مع العصافير في بروملي» ١٩٨٠ م، «اللزوميات» ١٩٨٠ م، «أطياف» ١٩٨٥ م.

يعتبر ذاكرة يمنية وعربية تاريخية، وقد ألّف عدداً كبيراً من الدراسات الأدبية والتاريخية، منها: قصّة الأدب في اليمن، مع الشعر المعاصر في اليمن، المتنبّي شاعر مكارم الأخلاق، السوائح والبوارح، شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام، مصادر الفكر اليمني، تاريخ اليمن الفكري في العصر العبّاسي، رياح التغيير في اليمن.

له كتابات أدبية تدرّس في المناهج الأدبية. وقد نشرت أبحاثه وكتاباته في عدد كبير من الصحف والمجلّات والحوليات اليمنية والعربية والأجنبية بعد ترجمتها.

وكان قد اتّصل بولي العهد أحمد، وكان شاعره حسب تعبير أحمد بن محمّد عبد الله الوزير في كتابه «حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، ثمّ «تأثّر بالتيّار الإصلاحي»، فانضمّ إليه، وهاجر مع رفيقه زيد الموشكي إلى عدن.

وقدكان أحد تنويري ثورة ١٩٤٨م التي ناهضت حكم الإمام يحيى، وسجن إثر فشلها في سجن حجّة، ولم يطلق سراحه إلّا بعد خمس سنوات. وهو حسب الدكتور عبد العزيز المقالح صاحب القسم الوطني المشهور: «نقسم بالأُمّة والقدر المقدور وبما في مصحفنا من نور، أن نطلب لليمن الدستور».

وعرف عن الشاعر الشامي التقلّب في مزاجه السياسي؛ إذ وقف ـ وهو الثائر

الدستوري فيما بعد ـ إلى صفّ الملكيّين ّى حتام ١٩٧٠ م، حيث أصبح عضواً في المجلس الجمهوري.

وكان الشامي ملتزماً في نهجه الأدبي بخط يغور في تقصّي الإرث الأدبي، ويتّبع التقاليد الأدبية القديمة، ممّا أدّى إلى إحداثه لمعارك واختلافات أدبية بينه وبين الكثير من الأُدباء والباحثين، ومنهم: عبد العزيز المقالح، وعبدالله البردوني، وطه حسين الذي انتقد رأيه في مكانة اليمن الشعرية في العصر الجاهلي. كما اختلف مع الباحث محمّد أحمد العقيلي مدافعاً عن يمنية الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل. وكتب كتيّباً في الردّ على أفكار عبد الله القصيمي، حتّى أنّ معاركه الأدبية وصلت إلى الجيل الذي يلي جيله، كما حدث في اختلافه مع الشاعر والناقد عبد الودود سيف على صفحات مجلّة «اليمن الجديد» في منتصف سبعينات القرن الماضي حول الشعر القديم والشعر الحديث.

توفّي الشامي في مدينة بروملي ببريطانيا موطن هجرته الاختيارية مطلع عام ٢٠٠٨ م.

(انظر ترجمته في: تاريخ اليمن الفكري (مقدّمة الكتاب أ ـ ط)، معجم البابطين ١: ٣٢٠ ـ ٣٢١، معجم الشعراء للجبوري ١: ١٩٨).

أحمد محمّد الطيّب

أحمد محمّد الطيّب: شيخ الجامع الأزهر منذ ١٩ / مارس / ٢٠١٠ م بقرار رئاسي خلفاً للدكتور محمّد سيّد طنطاوي، والرئيس السابق لجامعة الأزهر، ومفتي سابق للديار المصرية، وعضو سابق بأمانة السياسات في الحزب الوطني، وأحد دعاة الوحدة والتقريب البارزين.

ولد في مصر سنة ١٩٤٦ م، وحصل على شهادة الليسانس في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر في مصر عام ١٩٦٩ م، وعلى شهادة الماجستير في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر عام ١٩٧١ م، وعلى الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر عام ١٩٧٧ م.

عيّن عميداً لكلّية أُصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، وانتدب عميداً لكلّية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) بأسوان (مصر)، وانتدب عميداً لكلّية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة قنا (مصر)، وعمل معيداً ومدرّساً مساعداً ومدرّساً وأُستاذاً مساعداً للعقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر. وحالياً هو أُستاذ للعقيدة والفلسفة في نفس الجامعة.

من الجامعات التي درّس فيها سابقاً: جامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض، وجامعة قطر، وجامعة الإمارات، والجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد.

ومن مصنّفاته: الجانب النقدي في فلسفة أبي البركات البغدادي، تعليق على قسم الإلهيات من كتاب «تهذيب الكلام» للتفتازاني، بحوث في الثقافة الإسلامية (بالاشتراك مع آخرين)، مدخل لدراسة المنطق القديم، مباحث الوجود والماهية من كتاب «المواقف».. عرض ودراسة، مفهوم الحركة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الماركسية (بحث)، أُصول نظرية العلم عند الأشعري (بحث)، مباحث العلّة والمعلول من كتاب «المواقف».. عرض ودراسة.

قام بتحقيق رسالة «صحيح أدلّة النقل في ماهية العقل» لأبي البركات البغدادي، مع مقدّمة باللغة الفرنسية.

كما قام بترجمة كتاب: Chodkiewiez, Prophetie et Saintete dans la doctrine, Ibn Arabi من الفرنسية إلى العربية بعنوان: «الولاية والنبوّة عند الشيخ محيي الدين بن عربي»، وترجمة المقدّمات الفرنسية للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وترجمة كتاب Osman Yahya , Historie et classification de 1> oevure d>Ibn Arabi من الفرنسية إلى العربية بعنوان: «مؤلّفات ابن عربي.. تاريخها وتصنيفها، وترجمة كتاب «ابن عربي في أروقة الجامعات المصرية»، وكتاب «نظرات في قضية تحريف القرآن المنسوبة للشيعة الإمامية»، وكتاب «دراسات الفرنسيّين عن ابن العربي».

شارك في عدد من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية والدولية ، منها : الملتقى الدولي التاسع عشر من أجل السلام بفرنسا ، والمؤتمر الإسلامي الدولي حول حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر ورئاسة الجلسة الأُولى ـ مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي في المملكة الأردنية الهاشمية ، ومؤتمر القمّة للاحترام المتبادل بين الأديان المنعقد في نيويورك وجامعة هارفارد ، ومؤتمر الأديان والثقافات « شجاعة الإنسانية الحديثة » والذي نظّمته Universita Perucia ، والمؤتمر العالمي لعلماء المسلمين بأندونيسيا تحت شعار « رفع راية الإسلام رحمة للعالمين ».

ترأس وفداً من الصحافة ومجلس للشعب لإجراء حوار مع البرلمان ووسائل الإعلام ومجلس الكنائس في ألمانيا ، ودُعي كأُستاذ زائر من جامعة فريبورج في سويسرا لمدّة ثلاثة أسابيع ، وقام بمهمّة علمية إلى جامعة باريس لمدّة ستّة أشهر ، ورأس المتلقى الأوّل لخرّيجي الأزهر.

وهو عضو الجمعية الفلسفية المصرية ، وعضو سابق بأمانة السياسات في الحزب الوطني حتّى ١١ / أبريل / ٢٠١٠ م ، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، وعضو مجلس أُمناء اتّحاد الإذاعة والتلفزيون ، ورئيس اللجنة الدينية باتّحاد الإذاعة والتلفزيون ، ومقرّر لجنة مراجعة وإعداد معايير التربية بوزارة التربية والتعليم ، وعضو أكاديمية مؤسّسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي ، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

أحمد محمّد عيسىٰ

أحمد محمّد عيسىٰ : شخصية مصرية مرموقة.

ولد سنة ١٩١٥م بإقليم البحيرة في مصر ، وحصل على إجازة التاريخ والدبلوم العالي في الآثار الإسلامية من جامعة القاهرة ، وترقّى في وظيفته بها حتّى صار مديراً عامّاً لمكتباتها . أُعير لجماعة الخرطوم ، فحاضر بقسم المكتبات بها ، وعيّن مديراً للمكتبة بجامعة أُمّ درمان. كما انتدب للعمل في مركز الأبحاث التاريخية بإسطنبول ، وكان عضواً بمجلس إدارته عن مصر ، وعيّن عضواً من قبل في عدد من اللجان والهيئات العلمية ببلده.

منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة مرمرة بإسطنبول تقديراً لجهوده في مجال الفنون الإسلامية.

توفّي سنة ١٩٩٦م تاركاً بعض المصنّفات، منها: مصطلحات الفنّ الإسلامي، التصاوير في الإسلام بين التحريم والكراهية، شرح غريب مصطلحات كتاب النجوم الزاهرة.

وترجم عن الإنجليزية: الفنون الإسلامية، التنقيب عن الماضي، رصيد البنك الكبير، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسّط من سنة ٥٠٠ إلى ١١٠٠م، تراث فارس، بهزاد، تعال معي إلى مقرّ الأُمم المتّحدة، إنسان ما قبل التاريخ، موسوعة تاريخ العالم (بالاشتراك).

وله عدد من المقالات التي نشرت في مجلّة «رسالة الإسلام» صوت جماعة التقريب في القاهرة وغيرها من المجلّات، كما أشرف على نشر عدد من الكتب.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٥٣).

أحمد محمّد هليل

أحمد محمّد هليل: إمام الحضرة الهاشمية، وقاضي قضاة المملكة الأردنية الهاشمية، وداعية وحدة.

حصل على درجة البكالوريوس من الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، وحصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر ـ كلّية أُصول الدين، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ـ كلّية أُصول الدين بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف.

وهو رئيس مجلس إدارة مؤسّسة تنمية أموال الأيتام، ونائب رئيس مجلس التربية والتعليم، وعضو مجلس أُمناء مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، ورئيس مجلس الإفتاء العامّ في المملكة الأردنية الهاشمية، ومدير الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية، وأمين عامّ وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية، ووزير للأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية، ومستشار ملك الأردن.

عمل محاضراً في الجامعة الأردنية ـ كلّية الشريعة، وجامعة البلقاء التطبيقية ـ كلّية الدعوة وأُصول الدين الجامعية، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية والإسلامية والبرامج التلفزيونية والإعلامية، وألقىٰ العديد من المحاضرات.

له عدد من البحوث والمؤلّفات، منها: رسالة القضاء، الخطاب الإسلامي المعاصر، قصص الأنبياء، الحرابة، تفسير سورة نوح، تفسير سورة يوسف، تفسير سورة الحجرات، أبو جعفر النحّاس وأثره في التفسير، نحو تجديد الخطاب الديني، العولمة من منظور إسلامي، الوحدة في العالم الإسلامي، البعد الأخلاقي في تكوين الحضارة الإسلامية، حكم نقل زراعة الأعضاء.

يقول: «الإسلام ليس ديناً مُنبتاً ليس له جذور، فدين الله واحد، وقد فصّل القرآن حقيقة الأصل الواحد، وأنّ محمّداً ﷺ إنّما هو امتداد لموكب الرسل الكرام في مسيرة واحدة وأصل ثابت، فالإنسانية كلّها في نظر الإسلام بناء واحد، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾.

وكأنّ هذه الآية تقرّر السلام العميق بين المؤمنين بدين الله الواحد السائرين على شرعه الثابت، وانتفاء الخلاف والشقاق، والشعور بالقربى الوثيقة التي تدعو إلى التعاون والتفاهم ووصل الحاضر بالماضي والماضي بالحاضر، والسيرة جملة في الطريق. وإذا كان الذي شرّعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمّد هو ما وصّى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسىٰ؟ وفيم يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمّد ﷺ؟ ولِمَ لا يتضامن الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التي يحملها رسولهم الأخير والوصية الصادرة للجميع: أن أقيموا الدين ولا تفرّقوا فيه؟

فرسل الله جميعاً حملت ذات الدعوة: ﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُون ﴾، حتّى كأنّهم رسول واحد على اختلاف زمانهم ومكانهم ولغاتهم. وقد مثّل رسول الله ﷺ

نفسه لبنة في هذا الصرح العظيم، فقال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بنياناً فأحسنه وأجمله إلّا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا إلّا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة».

فالدين إذاً دعوة إلى الوحدة الجامعة المبنية على الأُصول الثابتة، ودعوة إلى العودة إلى الوحدة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا﴾، وقال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾، أي: فاختلفوا فبعث الله النبيّين لإخراجهم من الاختلاف وإرجاعهم إلى الوحدة على اختلاف معانيها. ويذكّرهم القرآن بأصلهم الواحد وأنّ تشعّبهم الناتج عن كثرتهم لا يسوّغ لهم التفرّق، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾.

لقد قام الإسلام على ركنين أساسيين: «كلمة التوحيد» و«توحيد الكلمة، فكلمة التوحيد هي الباب الوحيد الذي يدخل منه الناس إلى ساحة الإسلام، وتوحيد الكلمة هو التطبيق العملي لكلمة التوحيد. فكلمة التوحيد باب الإسلام، وتوحيد الكلمة سرّ البقاء فيه والإبقاء عليه، ولا شكّ أنّ التوحيد يبعث على الوحدة.

ودعا الإسلام الناس جميعاً إلى كلمة سواء أن لا نعبد إلّا الله حتّى لا نكون كالعبيد المملوكين عند الشركاء المتشاكسين، وكلمة التوحيد هي العنصر الأساس في توحيد الأهداف والاهتمامات والتصوّرات، وهذا يجعل الجماعة متقاربة متآلفة متوحّدة، وذلك أنّ كلّ فرد من أفرادها يرتبط بغيره على أساس الإيمان بالله، فيكون البنيان متآلفاً والجميع متماسكاً، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾.

وقد جاءت العبادات في الإسلام ترجمة لهذا المعنى مرسّخة لهذا التلاقي في تدريب عملي حتّى لا يصيبه ضعف أو يعتريه وهن.. فالصلاة هي الصلة الدائمة المتكرّرة بالله سبحانه وتعالى، ينادي منادي الإيمان ويرفع الأذان، فيترك المسلمون ما بأيديهم من أشغال وما في أفكارهم من مشاغل منطلقين صوب النداء، فتجتمع الأبدان، وتتعارف الوجوه، وتتصافح الأيدي، وتتآلف القلوب.. يقومون في صعيد واحد، يناجون ربّاً واحداً،

ويصلّون خلف إمام واحد، ويتلون كتاباً واحداً، ويتوجّهون إلى قبلة واحدة، ويؤدّون أعمالاً واحدة، ويتلون كتاباً واحداً، ويتوجّهون إلى نقطة واحدة ومركز ثابت، لا يتحوّلون عنه ولا يلتفتون.

وتأدية هذه العبادة في جماعة أمر مقصود، أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، فالركوع مطلوب، ولكنّه مطلوب مع الراكعين لتترسم صورة حيّة ماثلة للوحدة الإسلامية.

وشتّان بين وحدة ألّفتها يد الله واعتصمت بحبل الله، وبين وحدة جمعتها المصالح والأهواء! فإنّه لا شكّ مآلها الانهيار؛ لأنّها تقوم على شفير هار.

وإنّ الدارس للسيرة والتاريخ ليتجلّى له بوضوح أنّ أسباب نصر القلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة بعد الإيمان بالله والثقة به لهو التماسك والاتّحاد في الصفّ المؤمن مقابل تشتّت باد وإن توارى خلف انضمام ظاهري الشكل، فالأحزاب الباغية حينما أتوا إلى المدينة بغية القضاء على الإسلام والمسلمين كانوا كثرة عددية ترهب وترعب، لكنّها كانت تنقصهم الوحدة الجامعة والأُلفة الرابطة، فتشتت الشمل وتفرّق الجمع وتبعثر الصفّ.

فالأعداد مهما كانت كثرتها إذا كانت أعداداً غير متكاتفة ولا متّحدة كانت كما لا قيمة له؛ لأنّها أشبه ما تكون حينها بغثاء السيل الذي يجري إلى غير هدف معلوم أو مجرى مرسوم. وهذا ما كان يخشاهﷺ على أُمّته حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأُمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتهم»، قالوا: أَو مِن قلّة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، لكنّكم غثاء كغثاء السيل».

إنّ الأُمّة إن لم تتّبع السبيل نفقت هي أنفاق السبل، وإن لم يجمعها الحقّ شعّبها الباطل، وإنّ التاريخ يقول: إنّ الأُمّة لم تحقّق غاياتها وتدرك أمانيها إلّا من خلال الوحدة وفي نطاق الجماعة، كما أنّها لم تضعف ولم تنتكس إلّا بسبب الفرقة والاختلاف، وإنّ الاختلاف ليضعف الأُمم القوية ويميت الأُمم الضعيفة، كما أنّ في الاتّحاد قوّة للضعفاء.

وقديماً شرح هذا المعنى حكيم لأبنائه؛ إذ قدّم إليهم حزمة من العصي، فعجزوا عن

كسرها، ففكّ رباطها فكسروها، ثمّ خلص من هذا المثل العملي إلى الثمرة:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرّقوا آحاداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسّراً وإذا افترقن تكسّرت أفراداً

إنّنا نعيش في عالم سمته التقارب، وشعاره التكتّل، وإنّ الأُمّة لا تستطيع أن تحقّق التنمية المنشودة والقوّة المطلوبة إلّا بالاتّحاد، وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب، وإنّ أوجب الواجبات اليوم لهو بناء صفّ الأُمّة، ونشر ثقافة الوحدة، وتعزيز أواصر التماسك، والضرب بيد من حديد على ثقافة الفتنة.

ومن الأولويات المناطة بالعلماء التقريب، لا بل المؤاخاة بين الطوائف الإسلامية؛ لإزالة معنى الطائفية، واستبدال الخلاف بالاختلاف، فإنّ الاختلاف محلّه العقول، والخلاف محلّه القلوب.

وإذا كان البغدادي قد كتب عن «الفَرق بين الفِرق» فإنّا أحوج ما نكون إلى الكتابة عن الجمع بين الفرق، وإذا كان الأشعري قد كتب عن «اختلاف المصلّين» فإنّا أحوج ما نكون إلى الكتابة عن اتّفاق المصلّين، والكلّ منّا على ثغرة، وإنّ نفير طائفة منّا تنذر نفسها في سبيل الوحدة بين المسلمين واجب شرعي وفرض كفائي.

والمطلوب أن لا يكون الواحد منّا كالدفتر يحكي ما قال الرجال وما فعلوا دون أن يضرب معهم في بناء الوحدة بنصيب أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب، ولنبني في وحدة أُمّتنا لبنة».

أحمد الوائلي

الدكتور الشيخ أحمد بن حسّون بن سعيد بن حمّود الليثي الوائلي: عالم، أديب، شاعر، خطيب متميّز، داعية وحدة.

ولد في النجف الأشرف عام ١٩٢٨ م، ونشأ بها على والده الخطيب فعني بتربيته، وقرأ مقدّماته على بعض الأفاضل، ثمّ دخل «منتدى النشر»، وكانت علائم الذكاء تبدو عليه منذ الصغر، فدرس علومه الأدبية والشرعية والحكمة على: الشيخ حسين زاير دهّام، والشيخ

محمّد سعيد مانع ، والشيخ علي ثامر ، والشيخ عبدالمهدي مطر ، والشيخ علي سماكة ، والشيخ هادي القرشي ، والسيّد حسين مكّي ، والسيّد محمّد تقي الحكيم ، والشيخ محمّد حسين المظفّر ، والشيخ محمّد تقي الأيرواني ، والشيخ محمّد رضا المظفّر ، والشيخ علي كاشف الغطاء. كما تمرّن في الخطابة على السيّد باقر سليمون.

أنهى تعليمه النظامي في سنة ١٩٦٢ م، ثمّ حصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ثمّ التحق بكلّية الفقه التي تخرّج منها سنة ١٩٦٩ م، ثمّ حصل على شهادة الماجستير من جامعة بغداد عن رسالته «أحكام السجون في الشريعة والقانون»، ثمّ حصل على شهادة الدكتوراه من كلّية دار العلوم بجامعة القاهرة عن أُطروحة «استغلال الأجير وموقف الإسلام منه» سنة ١٩٧٢ م.

ارتقى منبر الخطابة في سنّ الرابعة عشرة ، حتّى صار من أشهر الخطباء المسلمين والمنبر الحسيني في العصر الحديث ، حيث أنشأ مدرسة خطابة جديدة مختلفة عن سابقتها ، حيث يجمع بين البحث العلمي والخطابة الحسينية والشعر الأدبي . وقد استقطب إليه شريحة واسعة من المستمعين على مدى ثلاثة أجيال .

يتميّز شعر الوائلي بفخامة الألفاظ وبريق الكلمات وإشراقة الديباجة ، فهو يعني كثيراً بأناقة قصائده ، وتلوين أشعاره بريشة مترفة. وهو شاعر ذو لسانين فصيح ودارج ، وأجاد وأبدع بكليهما ، ويجري الشعر على لسانه يجري السهل الممتنع ، بل ويرتجله ارتجالاً .

ورسم الوائلي قصائده المنبرية بريشة الفنّان المتخصص الخبير بما يحتاجه المنبر الحسيني من مستوى الشعر السلس المقبول جماهيرياً وأدبياً، فكانت قصائده في أهل البيت عليهم‌السلام طافحة بالحرارة والتأثير .

وللوائلي دواوين صغيرة مطبوعة تحت عنوان الديوان الأوّل والديوان الثاني من شعر الشيخ أحمد الوائلي . وقد جمعت بعض قصائده التي تنوّعت في مضامينها في ديوانه المسمّى باسم «ديوان الوائلي» والتي كانت من غرر أشعاره في المدح والرثاء والسياسة والشعر الإخواني .

شغل عمادة «جمعية منتدى النشر» لمدّة طويلة امتدّت حتّى عام ١٩٧٩م، وبسبب الظروف السياسية في العراق هاجر الوائلي إلى المنفى (سوريا) سنة ١٩٧٩م، ولمدّة ٢٤ سنة.

وقد شارك في أكثر من مؤتمر للأُدباء العرب في بغداد والكويت وغيرهما.

له الآلاف من المحاضرات المسموعة والمرئية، بالإضافة إلى العديد من الكتب، أهمّها: هوية التشيّع، حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية، الأوّليات في حياة الإمام علي عليه السلام، الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام، منتجع الغيث في الصحابة من بني ليث، نحو تفسير علمي للقرآن، دفاع عن الحقيقة، تجاربي مع المنبر، من فقه الجنس في قنواته المذهبية، أحكام السجون، استغلال الأجير، بالإضافة إلى دواوينه الشعرية.

أُصيب الشيخ الوائلي بمرض السرطان ثلاث مرّات، وشفي منه، ثمّ رجع إلى العراق بعد سقوط نظام صدّام حسين. وقد توفّي في ١٤ / جمادى الأُولى / ١٤٢٤هـ (١٣ / يوليو /٢٠٠٣م) في النجف الأشرف، ودفن إلى جانب الصحابي الكميل بن زياد (صاحب الدعاء الشهير بدعاء كميل)، وأُقيم له تشييع يليق بما قدّمه للإسلام.

وله قصيدة مشهورة يبدؤها بالتعبير عن أمانيه في ما يمكن أن يقدّمه تجمّع الشعراء من عطاء، ويتمنّى أن تحقّق الأُمّة الانتصارات وكرامة العيش، يقول:

لغدٍ سخيّ الفتح ما نتجمّع ومدَى كريم العيش ما نتوقّع

ثمّ يخاطب مهرجان الشعر، ويتحدّث عن الرسالة التي يجب أن يحملها الشعر وأصحاب الشعر، وهي تتمثّل في: تحمّل الأعباء الثقيلة، وتحقيق أماني الأُمّة، والريادة في البناء، والإبداع في الفكر.. يقول:

يا مهرجان الشعر عِبؤك مجهد فإذا نهضت به فإنّك أروع

إنّا نريدك والأماني جسَّدت بك رائداً يبني وفكراً يُبدع

ويرى أيضاً أنّ رسالة الشعر إزالة الأحقاد؛ لتخصب وتورق الأرض المجدبة..

يقول:

أنـا إن شـذى بك مـزهري فـلأنّك ... اللـحن المـحبَّب والنشـيد الأروع
ولأنّ أهـدافـاً تـوحّد أو دمـاً ... غـمر العـروق قـرابـةً لا تُـقطع
بـالأمس والحـقد اللئيم يسـومنا ... فـيجفُّ فـي يـده الأغـضُّ الأينع
فـابعث بـروح مـنك فـي تـلعاتنا ... لتـرفَّ مـجدبةٍ ويُـورق بَـلقعُ

وتعود به الذكريات إلى الماضي، فيرسم في آفاقه ما قدّمه المسلمون من عطاء للعالم أجمع، ومن نور جلى الظلام، ومن حضارة اقترنت بالخُلُق والعفّة والورع، ومن تعامل إنساني مع شعوب البلدان المفتوحة، ثمّ يعود إلى مخاطبة المؤتمر بأنّ هذا التحليق في الماضي إنّما هو لوضع الشعراء أمام مسؤوليتهم تجاه وطنهم الذي يتعرّض للتمزيق، وتجاه هذه الحواجز التي يبنونها بين أبناء الشعب الواحد:

لسـنا بـمعهود عـلى أبـعادنا ... يَـبس فـدنيانا الربـيع المـمرعُ
أيّ الكـرائـم ليس فـي أعـناقها ... مـمّا نـسجناه العـقود اللـمَّع
أم أيّ وضّـاء وليس بـجذره ... قـبس لنـا يـجلو الظـلام مشـعشع
سُدنا فـما سـاد الشـعوب حـضارة ... أسـمى ولا خُـلق أعـفّ وأروع
قـدنا الفـتوح فـما تشكّى وطـأنا ... فكـر ولا ديـن ولا مـن يـتبع
حـتّى الرقـيق تـواضـعت أحسـابنا ... كـرماً فـأولَيناه مـا لا يـطمع
عـفواً إذا جـمح الخـيال فـلم أجـز ... للأمس أسـريَ الضـرعَ أو استرضع
لكـنّها صـور جـلوت ليُـرسم الفـجرُ ... المشـرق والأصـيل الـمفجع
وليسـتبين الشـعرُ أيّ رسـالة ... يُـدعى لهـا وبـأيّ أمـر يُـصدع
يـدعى إلى وطـن يشـظّي خـصمه ... أوصـاله بـيد الهـباة ويـقطع
والمـبتلي بـبنيه فـي نـزواتـها ... تـعطيه مـزرعة لمـن لا يـزرع
يـدعي ليـهدم مـا بـنوه حـواجـزاً ... ويـلمّ مـا قـد مـزّقوه ووزّعـوا

والأبيات التالية تصف بأسلوب أدبي رائع جراح الأُمّة، وخاصّة جرحها في فلسطين، ويقول: يكفي جراحنا ألماً أنّها تعيش على ذكريات الماضي، وأنّ الآسي (الطبيب) يلهو بها

ومبضغ الجرّاح يسخر منها، ونحن لا نملك أمام هذه الجراح إلّا التغنّي! ينكأ الجراح، ويشير إلى المتاجرين بكرامة الشعوب، وإلى القدس التي لاترى سوى ضجيجنا، فتصحو على ظاهرة حركة منّا، ولكن سرعان ما تتبدّل الحركة إلى سراب، والطريق نحوها مليء بالسروج (بالعتاد)، ولكن السروج تفتقد الفارس الذي يمتطيها، وعشرون بلداً عربياً حرّاً لم تستطع أن تقف أمام يد اليهود المغلولة.

ويدعو الشاعر إلى استثارة الجراح المخدّرة، وعدم الاكتفاء بشتم الخطب وإدانته، بل بالتصدّي للخطوب بشجاعة؛ لأنّ الجبان يشرب الصدى والمنبع قريب منه (لا يستفيد ممّا تتوفّر لديه من إمكانات).. يقول:

يا مهرجان الشعر حسب جراحنا | أنّ الهوى ممّا تعتّق يُكرع
ولقد نغصّ لما نقول بأنّها | يلهو بها الآسي ويسخر مبضع
غنّى بها نفر فألّم حُزننا | إنّ التغنّي بالجراح تنطّع
ولشدّ ما يؤذي الكرامة أن نرى | صوت المساوم بالكرامة يُرفع

ويذكر أنّ عقيدة السماء لو قدّمت إلى الأُمّة صافية نقية فإنّ جياع العقيدة من المنجرّين إلى التيّار المادّي سيعرفون أنّ شريعة السماء هي التي تبني الغد السعيد للإنسان.. يقول:

يا مهرجان الشعر مَرَّ بأُفقنا | وَهَج يفحُّ من السموم ويفزع
بالحقد تسقى ما علمت جذوره | وبثوب إنسانية يتبرقع
يمشي إلى الهدف الخدوع ولو على | برك الدما وغليله لا ينقع
أغرى الخطايا بالنعوت رفيعة | ومشى على القيَم الكريمة يقذع
فالله وهمٌ والفضيلة كلّها | تَرَفٌ وما رسمت وما تستتبع
ما الفرد إلّا معدة وغريزة | وسواهما أُكذوبة وتصنّع
ومشى بمعصوب العيون يقوده | يبكي إذا أوحى له ويرجّع
سوّاه من دنس فماتت عنده | فِطَر سليمات ولُوِّث منزع
وأسفَّ فاحتضن المسوخ يربِّها | حتّى تعملق في ذراه الضفدع

حــــتّى إذا الطـــغيان طـــاح بـــأهله ... وكـــــبا بِـــــهِ بـــغي وأوشك يـــصرع
ألقــــى لنــــا صـــوراً تـــعدّد نــعتها ... لكـــــنّها تــــنمى إليـــــه وتـــرجـــع
فــــانهدّ له بـــالفكر يـــخضدُ جـــذره ... فـــالفكر ليس بــــغير فكـــر يـــقرع
وأغث جـــــياعَ عـــــقيدةٍ فــــهُمُ إلى ... فكــــــر يســــدُّد مـــن طـــعام أجـــوع
قُـــــدهم إلى نـــــبع الســــماء نِــطافه ... عــــــذب وســـــائغ ورده لا يُـــــمنعُ
واســـلك بـــهم دربـــاً أضـــاء مــحمّد ... أبـــــعاده وجـــــلاه فـــــهو المـــهيع
وأنـــــا الضــــمين بـــــأنّه ســيعيدهم ... ألقــــاً يـــمتّ إلى الســـموّ ويــنزع
وســـيعرفون بـــأنّ مـــا شـــرع الســـما ... يـــبني الكـــريم الرغـــد لا مـا شـرّعوا

وفي آخر مقطع من قصيدته يبلغ الذروة في توعية المخاطب على ما يحيط بالأُمّة من مخططات سامّة، ويحذّر من الأراقم (الأفاعي)، ومن الانجرار وراء طبول تُقرع، فأيدي ذارعيها ملطّخة بدماء العراقيّين (ويقصد أيدي البريطانيّين بقرينة الأبيات التالية)؛ إذ يشير بعد ذلك إلى اشتراك العراقيّين جميعاً في مقارعة الاحتلال البريطاني. حتّى إذا أرسى السفين وتحقّق النصر حُرمت فئة من أيّ شيء ونالت فئة كلّ شيء. في إشارة إلى الأُسلوب البريطاني في حرمان الشيعة من استلام المسؤوليات في الدولة. ويقول: إنّ هذه الخطّة كانت بهدف إثارة التفرقة بين السنّة والشيعة، ثمّ يخاطب أُولئك الذين يستهدفون قتل الأُخوّة بين العراقيّين قائلاً: لمّوا الشباكَ فطيرنا لا يُخدع؛ لأنّ الكتاب والسنّة غرست روح الإخاء بين المسلمين.. يقول:

يـــــا مـــــهرجـــان الشـــعر إنّ ثـــمالةً ... مـــن كـــأس غـــيرك عــافها المـترفّع
مـــــا آمــــنت بك غــير أنّ ظــروفها ... تــــــملي ولاءً بـــالرياء يــــقنّع
ولجت حـــماك فـــي الرؤوس مـــتسلّط ... وأعـــــيذ قـــومي مـــن لظـــاء مـروّع
وهـــي التـــي إن أوتـــرت أقـــواسـها ... فـــــي غـــــفلة فـــأنا وأنت المـصرع
فـــتوقَّ أرقــمها فــلست بـــواجـدٍ ... صِـــلّاً عـــلى طـول المـدى لا يَـلسَع
لا تـــــطربنّ لطــــبلها فــــطبولها ... كـــانت لغــــيرك قــبل ذلك تَـقرع

مـــازلت أعــرف فـي يـديها مـن دمـي عَـــلَقاً وهــل تـنسى ضناها المـرضع
أيّــــام نـــتقسِمُ اللـظى وصـدورنا تـضرىٰ فـيمنحها الوسـامَ المـدفع
ودمـاؤنا امـتزجت سـواه فـلم تكـن فـــرقاً يـــصنّفها الهـوى ويـنوّع
وتـــعانقت فـوق الحـراب أضـالع مـــنّا فـما مـيّزت هـنالك أضـلع
حـــتّى إذا أرسـى السـفين وعـافه نـــوء زحـــمنا مـــنكبيه زعـزع
عُـــدنا وبـــعضٌ للسـفين حـبالُه والبـــعض حُـصّته السـفينةُ أجـمع
ومشت تـــصنّفنا يـــدٌ مســـمومة مُـــتسنِّنٌ هـــذا وذا مـــتشيّع
يـــا قـاصدي قـتل الأُخـوّة غـيلة لمُّـــوا الشـباك فـطيرنا لا يُـخدع
غـــرسَ الأخـــاء كـتابنا ونـبيّنا فـــامتدَّ واشـــتبكت عـليه الأذرع

وفي القصيدة استحضار للماضي للانطلاق منه إلى المستقبل، حيث ترى ما تحقّق في الماضي من ازدهار حضاري كان بسبب ما في الشريعة (قرآن وسنّة) من عناصر نـهوض حضاري، وهذه العناصر هي قائمة بين ظـهرانـي المسـلمين، ويـمكن اسـتئناف مسيرة الحضارة على أساس من ذلك الماضي التليد واستلهاماً من القرآن والسنّة.

وهي تستنهض شعور الأُمّة وتعقد الأمل على مستقبل وضيء، وهـي تـحمل هـموم العراق وهموم الأُمّة الإسلامية.

والقصيدة تؤكّد ما وراء الفتن الطائفية من يد معادية تحاول الانتقام مـن أتـباع أهـل البيت، ومنها نستنتج أنّ العامل الأساس في إثارة الفتنة الطائفية في العراق هم البريطانيّون، سعوا إلى ذلك قبل احتلالهم العراق، ومارسوا ذلك إبّان احـتلالهم بـقوّة، وحـين واجـهوا مقاومة النجف اضطرّوا إلى الانسحاب من العراق، ولكن بنيّة الانـتقام. فـوضعوا للـحكم الملكي خطّة تكرّس الطائفية في الحكم، وتواصل هذا التكريس على مرّ الأعوام التـالية. وإذا زال هذا الاحتكار الطائفي بعد سقوط نظام صدّام فإنّ التفرقة الطائفية لاتزال تمارس بقوّة على يد المحتلّين وبمساندة قوى إقليمية، لكنّ صوت النجف يبقى صوتاً يـدعو إلى الوحدة والوئام ونبذ الطائفية، سواء على مستوى المـرجـعية أم عـلى صـعيد المـفكّرين

والأُدباء والمثقّفين.

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ١: ٢٩٣ ـ ٣٠٢، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣١٥ ـ ١٣١٦، أُدباء وشعراء العرب ٢: ٣٨، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٢٦، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ١: ١٣٧ ـ ١٣٨، معجم الشعراء للجبوري ١: ٩٥).

أسعد السحمراني

أسعد السحمراني: أُستاذ جامعي لبناني مرموق، وداعية تقريب.

ولد في عكّار ـ لبنان سنة ١٩٥٣ م، وهو أُستاذ العقائد والأديان المقارنة في جامعة الإمام الأوزاعي ـ بيروت، وعضو المؤتمر الإسلامي العامّ لبيت المقدس ـ عمّان، وعضو لجنة القدس وفلسطين في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، وعضو «جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين» في الجزائر، ومسؤول الشؤون الدينية في المؤتمر الشعبي اللبناني، وعضو منتدى الحكمة للمفكّرين والباحثين في الرباط، وعضو مجلس أُمناء المركز الثقافي الإسلامي في بيروت، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.

من مصنّفاته: التصوّف.. منشؤه ومصطلحاته، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما بين الكواكبي والإبراهيمي، إسرائيل الأُولى: بيروبيجان، الإسلام بين المذاهب والأديان، الإعلام أوّلاً، بدعة عبادة الشيطان: الخطر وسبل المواجهة، البهائية والقاديانية، البيان في مقارنة الأديان، التطرّف والمتطرّفون، شهود يهوه: نشأتهم وأفكارهم، صراع الأُمم بين العولمة والديمقراطية، العدل فريضة إسلامية، عقل الإنسان بين الفلسفة والطبّ والقرآن (بالاشتراك مع آخرين)، الفلسفة العربية: دروس ونصوص (بالاشتراك مع آخرين)، لا للإرهاب نعم للجهاد، الماسونية: نشأتها وأهدافها، مالك بن نبي مفكّراً إصلاحياً، المشروع الصهيوني الجديد، المرأة في التاريخ والشريعة، من قاموس الأديان: الصابئة ـ الزرادشتية ـ اليزيدية، من قاموس الأديان: الهندوسية ـ البوذية ـ السيخية، من قاموس الأديان: الشنتوية ـ الكنفوشية، من

اليهودية إلى الصهيونية، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية، قضايا المرأة في الملفّ العربي والإسلامي.

يقول في مقالة له بعنوان: «المنهج النبوي في معالجة الفتن»، نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية عام ١٤٢٨ هـ: «إنّ هذا البحث تمليه ظروف وأحداث تمرّ بها الأُمّة العربية والإسلامية، حيث يخطّط الأعداء للنيل من وحدة أبناء الأُمّة وقوّتهم واستقرارهم بزرع الفتن والشقاق ونشر التنازع والاقتتال. ولا يخفى على الغيور على دينه ومجتمعه أنّ قوى الاستعمار والاحتلال والغطرسة الصهيوأمريكية تعمل تحت عناوين «العولمة» و«الشرق الأوسط الجديد أو الكبير» و«حرّية الأقلّيات» و«الحرّيات الدينية»، ولكن هذه العناوين جميعاً تعمل لمقصد واحد، هو تفتيت المسلمين وأوطانهم إلى كيانات طائفية ومذهبية وعرقية يتمكّنون من السيطرة عليها.

ويهدف البحث إلى الوقوف على الأُسلوب النبوي في معالجة الفتن ووأدها؛ ليكون ذلك عملاً يؤصّل لمنهج نحتاجه في أيّامنا هذه.

إنّ الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالوحدة والأُخوّة والتآلف؛ لأن ذلك رحمة تصون المجتمع، وتقوّي أو صره، وتحقّق استقراره.. وبالمقابل فقد نهى الله تعالى عن الفتنة، ونبّه من مخاطرها وشرورها، فالفتنة في النصّ القرآني مذمومة، وشرّها مستطير.

إنّ وحدة الأُمّة موقفاً وصفّاً ومساراً حضارياً يولّد القدرة على الإنجاز وصون الدين والأرض والمقدّسات والحقوق والكرامات. أمّا الفرقة التي تؤدّي إليها الفتنة فهي التي تذهب الريح والقوّة، وتجلب الخذلان والخواء والذلّة.. والكلّ معرّض للاختبار، فمن تأصّل يقينه ورسخ إيمانه يفز، ومن اخترق الشيطان الفاتن قلبه وفكره أودى به ذلك إلى شرور شررها يتطاير فيحرقه مع من حوله!

إنّ العصبية أمر خطير ومسلك وعر، لذلك نهى عنها الإسلام وذمّها وحذّر منها.. والعصبية هي: انتصار الشخص لقومه على الظلم.. والعصبية والفئوية منبع الفتن التي تهلك الحرث والنسل، فما من مرّة تبرز فيها عصبية إلّا قاد ذلك إلى التنازع والخصام والاقتتال.

ومن وقائع غزوة بني المصطلق يظهر ذلك جلياً.. فعندما طلب كلّ واحد من المتدافعين جهجاه الغفاري وسنان الجهني التأييد والنصرة من قومه ثارت حمية وعصبية لا تلائم روح الإسلام، فإذا بها تبعث فتنة، وتترك فرصة لمنافق من داخل الصفوف هو عبدالله بن أُبي بن سلول كي ينفث سمومه ويذرّ قرنه؛ لأنّ الشيطان الفاتن قد هيّأ له المناخ.

الدرس في هذه النقطة هو أن ينتبه كلّ فرد مؤمن لكلامه ومواقفه، وألّا يدع العصبية أيّاً كانت رابطتها (مذهبية ـ طائفية ـ عرقية ـ قبلية...الخ) تفعل فعلها في نفسه؛ لأنّ العصبية مع الغضب تترك لشياطين الإنس المجال واسعاً لزرع الفتنة، وتترك المنافقين القابعين داخل الصفوف فرصة تنفيذ مؤامراتهم. وإذا كانت فتنة شاس بن قيس وافدة من عدوّ من خارج فإنّ فتنة ابن أبي سلول قد بعثها منافق صاحب هوى من داخل. إنّ ظروف أُمّتنا اليوم تحتاج أن نأخذ العبر كي نواجه كلّ دافع للفتنة، أكان من داخل الصفوف أو من خارج الأُمّة. وما ذلك إلّا لأنّ الوحدة قوّة ورحمة وسبيل إلى الفوز والفلاح والانتصار، والفرقة ضعف وخذلان وسبيل إلى الهزيمة والانكسار وضياع الحقوق.

درس مهمّ في حفظ وحدة المجتمع ووحدة الأُمّة، إنّه درس الحلم والصبر على الأذى الصادر من قبل بعض المنافقين وأصحاب الأهواء؛ لأنّ حفظ الوحدة يحتاج للصبر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

واليوم ـ ونحن نمرّ بظروف معقّدة متشابكة فيها الهموم والمشكلات والنزاعات ومتعدّدة فيها التحدّيات ـ نحتاج داخل المجتمع أن نعمد إلى الرفق في الأمر كلّه بعيداً من الغلوّ والتطرّف، وأن نعمل في علاقتنا بقاعدة حُسن الصحبة؛ كي تحصل الأُلفة وتترسّخ الأُخوّة؛ لنحفظ وحدة المجتمع ونئد الفتن، فبالوحدة ننتصر، وبالأُلفة تتعانق القلوب والمشاعر قبل الهامات والأبدان، فيتحوّل أهل الأُمّة صفّاً كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

لقد استقبلنا السنوات الأُولى من القرن الحادي والعشرين والمؤمراة الاستعمارية الصهيوأمريكية تستهدف الأُمّة العربية والإسلامية في كلّ الميادين: الأرض، والمقدّسات،

والاقتصاد، والأجيال، وقبل ذلك الإسلام الذي لم يتورّعوا عن إطلاق تهمة الإرهاب عليه شريعةً وفقهاً ومسلمين.. يعمل هؤلاء مواصلين عدوانهم وجرائمهم من فلسطين والقدس والمقدّسات في قلب الأُمّة إلى سائر أرجائها؛ لأنّهم يرون الإسلام والمسلمين ـ وفي قلبهم العرب ـ عقبة في طريق مشاريعهم في الاغتصاب والاحتلال والسيطرة والنهب والإفساد، ومؤامراتهم تستهدف وحدة الكلمة والصفّ وزرع الشقاق والانقسام والفتن بمسمّيات وألوان متعدّدة»؛ لأنّهم يرون في ذلك انتصاراً لمشاريعهم وتحقيقاً لأطماعهم، فما يهدفون إليه لا يستطيعون تحقيقه مع الوحدة.. لذلك نحتاج إلى التأكيد بأنّ المسلمين جميعاً عليهم واجب التزام قاعدة أساسية في الإسلام، هي أنّ الإسلام قام على عقيدة التوحيد وتوحيد الكلمة».

إسماعيل الصدر

إسماعيل بن حيدر بن إسماعيل بن محمّد بن صالح بن محمّد الموسوي الكاظمي الصدر: أخو المفكّر الإسلامي الكبير الشهيد محمّد باقر الصدر.

كان مجتهداً أُصولياً مدرّساً من علماء الإمامية.

ولد في الكاظمية ببغداد سنة ١٣٤٠ هـ، وقطع بعض مراحل دراسته الدينية في مسقط رأسه متتلمذاً على: والده، وعمّه السيّد محمّد جواد الصدر، والميرزا علي الزنجاني، والسيّد أحمد الكيشوان.

ارتحل صوب مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٦٥ هـ، فحضر على أعلامها: الشيخ محمّد كاظم الشيرازي، والسيّد عبدالهادي الشيرازي، والشيخ محمّد رضا آل ياسين، والشيخ مرتضى آل ياسين (وهما خالاه)، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبي القاسم الخوئي.

وأُجيز بإجازة الاجتهاد من أُستاذيه: السيّد عبدالهادي الشيرازي، والشيخ مرتضى آل ياسين.

وشرع في تدريس أُصول الفقه في النجف مدّة يسيرة، ثمّ رجع إلى الكاظمية، فبدأ

ببحث في التفسير، فكان يحضره أكثر من مائة شخص من الجامعيّين والمثقّفين. كما درّس الفقه والأُصول أيضاً، ونهض بمسؤولية الإرشاد وإمامة الجماعة في الصحن الكاظمي المطهّر، وازدهرت في البلدة أساليب العمل الديني والتبليغ على يده.

تتلمذ عليه وانتفع به جماعة، منهم: أخوه السيّد محمّد باقر، وابنه السيّد حسين بن إسماعيل، والشيخ عبدالأمير قبلان، والسيّد علي العلوي، والسيّد يوسف العاملي، والسيّد عبدالرسول علي خان، وحسن طرّاد العاملي، وحميد الحرّ العاملي، وآخرون.

ألّف كتباً ورسائل، منها: شرح بلغة الراغبين في فقه آل ياسين لخاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين، تعليقة على العروة الوثقىٰ، تعليقة على التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة، تعليقة على الكفاية، فوائد في الفقه والأُصول، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، الأخلاق ودورها في الحياة، مستدرك أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين، رسالة في بيع الصبي وأحكامه، رسالة في صلاة الجمعة، رسالة في حكم التزاحم بين الحجّ والنذر، رسالة في أسباب اختلاف المجتهدين، رسالة في قاعدة الفراغ والتجاوز، محاضرات في تفسير القرآن، رسالة في قبلة المتحيّر، فصل الخطاب في حكم أهل الكتاب.

توفّي في الكاظمية سنة ١٣٨٨ هـ.

(انظر ترجمته في: معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨٠٨ ـ ٨٠٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٣ ـ ٥٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ١١٨ ـ ١٢٠).

إسماعيل الفاروقي

إسماعيل راجي الفاروقي: مفكّر داعية، باحث منظّر في الفلسفة والحضارة الإسلامية، من أهالي فلسطين.

ولد في يافا سنة ١٩٢١ م، وتعلّم الإسلام في البيت والمسجد وجامعة الأزهر، ودرس المسيحية في المدارس الفرنسية والكلّيات النصرانية، واستوعب التوراة والإنجيل.

أتقن الإنجليزية والفرنسية كإتقانه العربية.

حصل على بكالوريوس الفلسفة من الجامعة الأمريكية ببيروت، وانتخب عمدة

لمدينة الخليل وعمره ٢٤ عاماً، ثمّ سافر إلى أمريكا بعد سقوطها في أيدي اليهود، فعمل مقاولاً للبناء في تصميم المساكن.

حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة إنديانا، ثمّ قصد مصر، فتعلّم في الأزهر (١٩٥٤م ـ ١٩٥٨م)، ثمّ عاد إلى أمريكا ليقيم فيها حتّى آخر حياته.

مارس التدريس في المعهد المركزي للبحوث الإسلامية في باكستان، وفي جامعة سيراكيوز الأمريكية، وماك كيل الكندية، وفي قسم الدين بجامعة تمبل في بنسلفانيا، وتولّى رئاسة المعهد العالمي للدراسات الإسلامية بأمريكا، وشارك في تأسيسه عام ١٩٨١م.

ترأس جمعية الوقف الإسلامي بأمريكا الشمالية، وانصرف إلى الدعوة الإسلامية هناك، فتعرّض للتهديد مراراً، ونشط في مجال إصلاح النظام التعليمي الإسلامي.

كان مستشاراً لعدد من الجامعات من البلدان الإسلامية، وهو عضو مؤسّس للمعهد العالمي للفكر الإسلامي وأوّل رئيس له، وعضو في مجلس إدارة المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجامعة الدول العربية.

أصدر أكثر من ٢٥ كتاباً، ونشر مئة بحث، منها: أسلمة المعرفة.. المبادئ العامّة وخطّة العمل، صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، التوحيد وتطبيقاته في الفكر والحياة، الإسلام والديانات الآسيوية الكبرىٰ، أطلس تاريخ الأديان في العالم، المنظومة الأخلاقية في المسيحية (ألّفه بالإنجليزية)، التوحيد والفنّ، نحن والغرب، أطلس الحضارة الإسلامية (ألّفه بالإنجليزية، وترجم إلى العربية وعدد من اللغات).

قال الشيخ محمّد الغزالي عنه: «كان من أبرز الدارسين للفلسفة الإسلامية، وكان يقدّم الإسلام للعقل الغربي المستنير على نحو يثير الإعجاب».

نشط في مجال الإصلاح التعليمي الإسلامي، وندّد بالأطماع الصهيونية.

قتل غيلة في أميركا هو وزوجته في ظروف غامضة، ودفن هناك سنة ١٩٨٦م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٦٢).

الله شكور باشا زاده

الله شكور بن همّت باشا زاده: مفتي آذربايجان، ورئيس دائرة مسلمي القفقاز، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد سنة ١٩٤٩م، وتدرّج في المدارج العلمية حتّى رقي إلى درجة مفتٍ لجمهورية آذربايجان.

يقول: «إنّ مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية هي من المسائل المعقّدة والهامّة التي تشغل بال المسلمين اليوم، وأنا أُريد أن أتحدّث إليكم في هذا الموضوع وأطرح أفكاري في صيغة المقولات الآتية:

أوّلاً: يتكوّن اليوم نظام جديد في العالم، وأصبح هذا النظام بعد تفكّك الاتّحاد السوفيتي يتميّز بأُحادية القطبية، فنرى العالم اليوم كأنّه لا يقدر أن يعيش في ظلّ القطبية الواحدة، ويحتاج بالضرورة إلى إيجاد القطبية الثانية، ليتمكّن من الحفاظ على توازنه، وإنّ الغرب الذي يشكلّ قطبية واحدة يريد أن يكون العالم الإسلامي هو القطبية الثانية. وإذا كانت المواجهة بين القطبين قبل انهيار الاتّحاد السوفييتي تظهر في الغالب في المجالات المادّية، اقتصادية كانت أم عسكرية، فإنّ هذه المواجهة تحدث اليوم في ميدان الحياة الروحية المعنوية والقيم الدينية على الأغلب، وفي ظروف توسّع العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية بين دول العالم، وتحوّل وسائل الإعلام والاتّصالات إلى قوّة مؤثّرة هائلة، وجريان العولمة على نماذج المعايير التي تحدّدها الدول الغربية.. يواجه الإسلام تحدّيات في مجالي العقائد والشريعة، وتتكوّن في الرأي العامّ العالمي تصوّرات مشوّشة عن الإسلام والمسلمين، حيث يتّهم الإسلام بأنّه دين لا يعرف التسامح ويدعو أتباعه إلى الإرهاب، ويُتّهم المسلمون بأنّهم متطرّفون!

في مثل هذه الظروف من الضروري أن يتجنّب المسلمون الخلافات المذهبية، وتوحّد المذاهب مساعيها من أجل السعي لحلّ مشاكل العالم الإسلامي العامّة.

ثانياً: إلى جانب هذه العوامل السياسية الثقافية التي يتطلّبها التقريب بين المذاهب

الإسلامية، يمكننا أن نشير إلى الأدلّة النقلية أيضاً: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ...﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

وقد دعا الرسول الكريم المؤمنين إلى المودّة بينهم والتعاطف بقوله: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».

ثالثاً: ينبغي للمسلمين أن ينصرفوا عن الخلافات، ويوحّدوا صفوفهم حول كلمة التوحيد، ويعرفوا أنّهم هم الذين أسلموا أنفسهم لله الواحد الأحد: ربّهم واحد، وكتابهم واحد، ورسولهم واحد، وأهدافهم واحدة، وعدوّهم واحد، بصرف النظر عن سنّيتهم أو شيعيتهم أو حنيفيتهم أو حنبليتهم أو إماميتهم أو زيديتهم. ومثل هذه الذهنية الإسلامية الصحيحة تجعل منافع الإسلام أهمّ بكثير من المنافع المذهبية، وإنّ الله وعد المسلمين بنصره حيث قال: ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمّد: ٧).

رابعاً: ينبغي لكلّ مذهب من المذاهب الإسلامية أن يزوّد أتباعه بالمعارف الصحيحة غير المشوّهة عن عقائد المذاهب الإسلامية الأُخرى، ويجب أن تكون هذه المعارف مبنية على الأقوال والوثائق الحقيقية الأصيلة التي تميّز موقف هذا المذهب أو ذاك بشكل عامّ.

خامساً: يجب أن تعبّر المذاهب عن مواقفها على أساس المصادر الأُولى: القرآن الكريم، والأحاديث والأخبار الصحيحة.

سادساً: يجب أن يفهم المسلمون المنتمون إلى المذاهب المختلفة أنّ التقريب بين المذاهب لا يهدف إلى ردّ السنّي أو الشيعي عن مذهبه، بل يهدف إلى توحيد صفوف المسلمين حول الأُصول المتّفق عليها، وقبول الاختلاف، وتقريب وجهات النظر في المسائل التي يختلفون فيها.

سابعاً: لا يوجد في الإسلام مؤسّسة دينية مثل الكنيسة في المسيحية، الأمر الذي

يجعل الإسلام أكثر ديمقراطية ومفتوحاً لحرّية الرأي والحوار. وبناءً على ذلك، لا يمكن أن يكون في الإسلام مذهب يمثّل الدين الحقّ وحده ولا يتقبّل المناقشة من جانب المذاهب الأُخرى. وكلّ من المذاهب الأُخرى يمكن أن يعتبر نفسه «أهل السنّة والجماعة» المذكورين في الحديث النبوي الشهير، ولكنّه لا يحقّ له أن يتّهم مذهباً من المذاهب في بطلان رأيه أو البدعة، ذلك أنّ المسلمين جميعاً ـ مهما اختلفوا في الآراء والاجتهادات الفقهية في الفروع بسبب اختلاف الزمان أو المكان أو الأحداث أو التفسيرات ـ ملتقون على الأُصول. ويجب اعتبار محاولات المعتزلة (مسألة قدم أو حدوث القرآن الكريم) في عهد المأمون ومساعي الحنابلة (تكفير مرتكبي الكبائر) للعب دور المذهب الوحيد المعتمد «أخطاءً تأريخيةً».

ثامناً: بسبب غياب مذهبية وحيدة معتمدة في الإسلام يجب اعتبار كلمة «البدعة» في معناها اجتهادات في الرأي، إذا كان قائلها أو فاعلها يستنّ فيها بالمصادر الأُولى.

تاسعاً: إنّ الاختلاف حقّ من حقوق الإنسان سواء في المعتقد الديني أو الثقافي، ويجب احترام هذا الحقّ كما كان يحترمه المسلمون الأوائل. وكان أبو حنيفة الذي درس خلال سنتين عند الإمام جعفر الصادق يفتخر بأُستاذيته ويقول: «لولا السنتان لهلك النعمان»، ويقول مالك بن أنس: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد».

وأخيراً أُريد أن أقول: إنّ الأهداف الرفيعة التي ترمي إليها دول العالم من التقريب بين المذاهب والأديان المختلفة قد أصبحت أمراً واقعاً في جمهورية آذربيجان، ومن المعلوم أنّ الشيعة يزيدون عدداً عن أهل السنّة في هذا البلد.

ولعلّ آذربيجان من البلدان الفريدة التي يسود فيها جوّ التعاطف وعلاقات الاحترام المتبادل، ليس بين المسلمين من المذاهب المختلفة فحسب، بل بين المسلمين وأصحاب الديانات الأُخرى أيضاً.

نحن ـ [أخصّ] المسلمين ـ في آذربيجان نؤمن بالمصادر الأُولى للإسلام، ونقدّس كتاب الله، ونأخذ رسوله قدوة حسنة، ونعيش على أرض الوطن الواحد، ونحن على ثقة

تامّة موطّدة بأنّ وحدتنا هذه هي التي تؤمّن لنا الحياة المحترمة واستقرار السيادة الوطنية، ونعتقد أنّ مثل هذا الموقف هو الموقف السليم والذي يمكن أن يكون نموذجاً لجميع بلدان العالم.

لا يمكن نكران دور رجل الدين في التقريب بين المذاهب، ولكن من الحقائق التي لا شكّ فيها أنّه لا يمكن الوصول إلى هذه الأهداف بدون تأييد قوي من قبل الدولة».

أمجد الزهاوي

أمجد بن محمّد سعيد الزهّاوي: عالم، داعية معروف.

ولد في بغداد سنة ١٣٠٠ هـ، ونشأ في أُسرة علمية ثرية ذات مكانة اجتماعية مرموقة، ودرس على يد والده وبعض المشايخ، والتحق بالمدارس الرشدية والابتدائية والإعدادية في بغداد، ثمّ سافر إلى إسطنبول حيث درس هناك ستّ سنوات في كلّية القضاء، وتخرّج فيها، وكان ترتيبه الأوّل، ومنحه السلطان عبد الحميد الثاني وسام الشرف تقديراً لنبوغه وتفوّقه.

عاد إلى بغداد حيث تقلّد مناصب القضاء، ورأس مجلس التمييز الشرعي ببغداد، واشتغل في المحاماة فترة من الزمن، ثمّ تفرّغ للدعوة إلى الله سنة ١٩٤٦م.

اشترك في تأسيس الكثير من الجمعيات الإسلامية ورأسها جميعاً في وقت واحد، وكان منها: جمعية «التربية الإسلامية»، وجمعية «إنقاذ فلسطين»، و«اللجنة العليا لنصرة الجزائر»، وغيرها.

كان يوجّه الشباب نحو نصرة الإسلام والتمسّك بعقيدته والالتزام بمنهجه.

اتّصل بالمجاهد المغربي عبد الكريم الخطّابي، وبالحاجّ أمين الحسيني الفلسطيني، وبالبشير الإبراهيمي الجزائري. كما جاء إلى مصر والتقى بالإمام البنّا سنة ١٩٤٨ م، وأُعجب بجماعة الإخوان المسلمين.

كان ينصح عبد الكريم قاسم، وأسمعه كلاماً قوياً في مقابلتين معه بديوان الرئاسة، ولكنّه كان يراوغ الشيخ ولا يلتفت لكلامه.

كانت ليهودي قطعة أرض مجاورة لأرض الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله،

فاغتصبها الوصي منه، فاشتكى اليهودي وصدر الحكم في مصلحة الوصي، فميّز اليهودي الدعوى، وعرضت على الشيخ الزهّاوي باعتباره رئيس مجلس التمييز يومذاك، وتوسّط بعض معارف الشيخ لجعله يصادق على قرار الحكم إرضاءً للوصي، فردّهم الشيخ الزهّاوي قائلاً: «لا يهمنّي رضاء الوصي، ولكن يهمّني رضاء ربّ الوصي»، ودرس القضية جيّداً ووجد الحقّ في جانب اليهودي، فنقض قرار الحكم وأعاد الأرض لليهودي.

اهتمّ بقضية فلسطين، وجاب البلاد من أجلها، ولازم أوّل فوج من مجاهدي العراق إلى فلسطين، وكان رئيس المؤتمر الإسلامي لنصرة فلسطين.

كان رجلاً ربّانياً ورعاً شديد الورع، وكان كبير القلب ذكياً.

قال عنه الإمام البنّا: «إذا أردت أن تنظر إلى وجه رجل من صحابة رسول الله ﷺ فانظر إلى وجه الشيخ أمجد الزهّاوي».

وقال عنه الشيخ عبد العزيز البدري: «إنّ الشيخ أمجد إسلام يمشي على الأرض! فكلّ مَن يراه يذكر الله تعالى؛ لما منّ عليه من فضل وجلال وهيبة ووقار».

توفّي في العراق سنة ١٩٦٧ م.

وكان هو الشخص الذي اتّصل بعبد السلام عارف سنة ١٩٦٤ م طالباً منه أن يتوسّط عند جمال عبد الناصر كي يطلق سراح المفكّر سيّد قطب من السجن، وفعلاً أُطلق سراحه آنذاك.

(انظر ترجمته في: عظماء الإسلام: ٣٠٩ ـ ٣١٠، سيّد قطب.. آية الجهاد: ١٠٦).

أمير علي الهندي

أمير علي بن سعادت علي الهندي: من كبار المناضلين عن الإسلام في العصر الأخير، وصاحب نظرية في التقريب بين المسلمين.

ولد عام ١٨٤٩ م في «أوهان» من إقليم «أود» الهندي من أُسرة عربية تنتمي إلى آل البيت عليهم السلام، وتعلّم في كلكتّا ولندن، وأحرز شهادة الحقوق، وتفقّه في الشريعة والأدب العربي والفارسي، وبرع في القانون والأدب الإنجليزي، واحترف المحاماة في كلكتّا، ثمّ

عيّن أُستاذاً للشريعة الإسلامية فيها، فمديراً لمدرسة الحقوق، فمستشاراً في محكمة بنغالة العليا.

اعتزل القضاء، وذهب إلى لندن، فعيّن فيها مستشاراً ملكياً في المجلس المخصوص سنة ١٩٠٩ م، وتصدّى لردّ التهم عن الدين الإسلامي، فأصدر باللغة الإنجليزية: روح الإسلام (أو حياة محمّد وتعاليمه)، مختصر تاريخ المسلمين والعرب، آداب الإسلام، الأحكام الشرعية.

يقول عنه الأُستاذ أحمد أمين: «هو في لسانه خطيب بارع، وفي قلمه بليغ ساحر.. وبقلمه ولسانه كم حييت نفوس، وتنبّهت عقول، واهتدى ضالّ، وأُصلح فاسد، واستقام معوجّ، واستردّت للمسلمين حقوق».

اشترك في السياسة الإسلامية العامّة اشتراكاً فعلياً بكتاباته وحملاته على السياسة البريطانية في الشرق الأدنى، وأسّس عام ١٨٧٨ م «الجمعية الوطنية الإسلامية» للدفاع عن حقوق المسلمين وتحديد الوضع السياسي لهم، على خلاف السيّد أحمد خان الذي كان يركّز على جانب التربية فقط.

توفّي فجاة في «سوسكس» البريطانية سنة ١٩٢٨ م.

أمّا بالنسبة لنظريته التقريبية فأقول: لقد شرحها السيّد أمير علي في كتابه «مختصر تاريخ الإسلام»، فهو يقول في كتابه: «يجب الإذعان بصحّة وصية الرسول الأكرم ﷺ بالخلافة لعلي وأولاده عليهم السلام، ولكنّه في الحقيقة رشّحه للخلافة دون أن يلزم المسلمين بانتخابه، بل أعطاهم حرّية الانتخاب، فكانوا أحراراً في قبول هذا الترشيح أو رفضه، ولم ينتخبوه؛ لأنّ الأوضاع القائمة يومذاك لم تكن مناسبة لأسباب سياسية، وكذلك لوجود مشاكل سلبتهم القدرة على انتخاب مرشّح الرسول الأعظم ﷺ للخلافة».

ويمكن نقد هذه النظرية: بأنّ السيّد أمير علي أراد بطرح هذه النظرية إقامة نوع من المصالحة بين الشيعة والسنّة، في حين أنّ نظريته هذه مرفوضة من كلا الفريقين، فأهل السنّة يرفضون القبول بمقولة أنّ الرسول رشّح عليّاً للخلافة؛ لأنّ هذا الترشيح يسلب

الصحابة كلّ مسوّغ لعدم انتخابهم له عليه السلام، كما أنّ الشيعة ترفضها أيضاً؛ لأنّنا نؤمن بأنّ وصية الرسول صلى الله عليه وآله بشأن علي عليه السلام تعني أكثر من مجرّد الترشيح للخلافة، فهي تعني أمراً صريحاً للمسلمين بالرجوع إلى الإمام علي عليه السلام وانتخابه خلفاً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وإماماً أيضاً، أي: أن يكون خليفة يدبّر الشؤون السياسية للمسلمين وإماماً يرجعون إليه في مسائلهم العلمية في أبواب العقائد والعمل والأخلاق والتفسير والسنّة النبويّة، وهذه عقيدة راسخة لا يتنازل عنها الشيعة بحال من الأحوال. إذن، إذا أردتم إقرار المصالحة بين الفريقين عن هذا الطريق فلن يرض به أيّ منهما؛ لأنّ حقيقة الأمر هي أنّ النصوص والروايات الكثيرة الواردة بشأن ولاية الإمام علي عليه السلام تدلّ بلغة أكثر صراحة على ما هو أوسع وأعمق من مجرّد الترشيح للخلافة، ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نتجاهل كلّ هذه الأدلّة والنصوص، خاصّة وأنّ الدليل العقلي على الحاجة للإمام يؤكّد وجوب أن يكون الإمام المطلق معصوماً، وعلي بن أبي طالب وجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام معصومون، ولا يجوز الرجوع عن المعصوم إلى غير المعصوم إلّا بإذن المعصوم.

(انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ١٠٧ ـ ١١١، الأعلام للزركلي ٢: ١٣ ـ ١٤، موسوعة المورد ١: ٩٩، نثر الجواهر والدرر ١: ٢٦١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٧٠ـ٨٣، موسوعة مشاهير وعظماء: ٢١٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٠٥ و٢: ٣٧١ـ٣٧٢).

أمين الحسيني

محمّد أمين بن محمّد طاهر بن مصطفىٰ الحسيني: زعيم وطني فلسطيني، ورجل علم وحكمة.

ولد سنة ١٨٩٦ م بفلسطين (القدس)، وتعلّم بالقدس والأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمّد رشيد رضا بمصر، وتخرّج من الكلّية الحربية بإسطنبول، وانضمّ إلىٰ الجيش الشريفي إبّان الحرب العالمية الأُولى، وشارك في ثورة القدس عام ١٩٢٠م ضدّ الإنجليز، وصدرت أحكام غيابية قاسية بحقّه. عاد عام ١٩٢١ م على أثر تعيين «هربرت صموئيل» مندوباً سامياً بريطانياً بفلسطين، وانتخب مفتياً لبيت المقدس سنة ١٩٢٢ م خلفاً

لأخيه محمّد كامل الحسيني، وترأس عام ١٩٣١ م المؤتمر الإسلامي في القدس، وحاولت السلطات البريطانية إلقاء القبض عليه عام ١٩٣٧ م بتهمة التحريض على الثورة، ففرّ إلىٰ لبنان فالعراق فإيران فبرلين وروما و باريس، واعتقل عام ١٩٤٥ م من قبل الحلفاء، وتمكّن من الهرب إلىٰ مصر فلبنان، وترأس الهيئة العليا العربية، وأصدر مجلّة «فلسطين» الشهرية.

أعطته المملكة العربية السعودية جنسيتها، ثمّ ترك مصر واستقرّ في بيروت.

وقد كانت تربطه علاقات مودّة مع بعض الشخصيات التقريبية الشيعية، كالشيخ عبدالكريم الزنجاني، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء.

وقد كان أحد المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، ومن المنادين إلىٰ الوحدة. وهو رئيس المجلس الشرعي الأعلى لإدارة شؤون الأوقاف والمحاكم الشرعية الإسلامية، ورئيس اللجنة العربية العليا لإدارة أوضاع فلسطين، وأوّل من نبّه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور عام ١٩١٧ م، وكان هو الذي منع دخول بلفور والمندوب السامي البريطاني حرم المسجد الأقصىٰ.

توفّي في بيروت إثر عملية جراحية عام ١٩٧٥ م، ودفن فيها.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٤٥ـ٤٦، موسوعة السياسة ١: ٣٣٥، موسوعة المورد ٥: ١٣٥، الموسوعة العربية العالمية ٩: ٣٥٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ٣٥٧ـ٣٧٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٦٨ ـ ١٠٦٩، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٠٧ـ١٠٨، عظماء الإسلام: ٢٤١ ـ ٢٤٢، موسوعة مشاهير وعظماء: ١٨، موسوعة الأعلام ٢: ١٣٥ ـ ١٣٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٠٥ـ١٠٦).

أمين الخولي

أمين الخولي: أديب، ومفكّر، وباحث لغوي.

من مواليد قرية «شوشاي» التابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية في الأوّل من مايو عام ١٨٩٥م. التحق كأقران طفولته بكُتّاب القرية وحفظ القرآن الكريم، ثمّ عهد أبوه بتربيته

إلى خاله في القاهرة، فألحقه بمدرسة القيسوني الابتدائية، وجعل جدّه لأُمّه يهذّبه ويصقل مواهبه بالمعرفة، فنشأ أمين الخولي محبّاً للعلم، عارفاً بشتّى فنون الأدب العربي والثقافة الإسلامية وهو لم يبلغ حدّ الشباب بعد، ثمّ التحق بمدرسة القضاء الشرعي بالأزهر الشريف، وكوّن جمعية أدبية ناشئة سمّاها «جمعية إخوان الصفا»، فلمّا تخرّج في مدرسة القضاء الشرعي سافر إلى إيطاليا عام ١٩٢٣م إماماً للمفوّضية المصرية في روما، ثمّ انتقل إلى برلين سنة ١٩٢٦م، وتعلّم خلال تلك الفترة كلّاً من اللغتين: الإيطالية والألمانية، ثمّ عاد عام ١٩٢٧م مدرّساً بمدرسة القضاء الشرعي بعد أن أُلغيت وظيفة الإمامة، ثمّ انتدب للتدريس بالأزهر، وعيّن بعد ذلك مدرّساً بالجامعة المصرية عام ١٩٢٨م، وظلّ في عمله بالتدريس حتّى عيّن وكيلاً لكلّية الآداب عام ١٩٥٣ م، فمديراً للثقافة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة ١٩٥٥م، وبها أُحيل على المعاش، وانضمّ قبل وفاته بسنوات إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما مثّل مصر في عدّة مؤتمرات.

وقد استطاع أمين الخولي أن يؤسّس مدرسة فكرية متميّزة من خلال عمله في الجامعة المصرية، فقدّم إلى الأدب العربي أعلاماً وروّاداً كثيرين، يأتي على رأسهم: الدكتورة عائشة عبدالرحمان (زوجته)، والدكتور شكري عياد، وفاروق خورشيد، وعبد المنعم شميس، والدكتور كامل سعفان الذي كتب عنه كتاباً متميّزاً في سلسلة أعلام العرب.. وقد عرفت تلك المدرسة باسم (الأُمناء).

وخاض الشيخ عدّة معارك أدبية في سبيل نصرة أفكاره، كان أشهرها مع الأديب الكبير عبّاس محمود العقّاد.

ومن أهمّ مؤلّفات أمين الخولي: البلاغة العربية، كناش في الفلسفة، فنّ القول، الأزهر في القرن العشرين، الجندية في الإسلام، من هدي الرسول، الإمام مالك بن أنس، تجارب حياة، من هدي القرآن، المجدّدون في الإسلام، صلات بين النيل والفولجا، في الأدب المصري، مشكلات حياتنا اللغوية، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب.

وهذا الكتاب الأخير هو أخطر ما كتب أمين الخولي؛ ففيه وضع خلاصة فكره، ورسم

فيه الطريق لمن بعده لبثّ الدماء في جسد الثقافة العربية وتطويرها بما يتناسب مع تـقدّم الفكر الإنساني.

يقول الأُستاذ لمعي المطيعي: «وقد خلّف الشيخ أمين الخولي فراغاً كبيراً بعد وفاته لم يستطع أحد أن يملأه حتّى الآن!».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢: ١٦، موسوعة ألف شخصية مصرية: ١٢٢ ـ ١٢٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٣٤ ـ ٤٨، نثر الجواهر والدرر ١: ٢٦٣، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢٢٣ ـ ٢٣٠).

أمينة محمّد علي الأصفهاني

العلوية أمينة بنت محمّد علي بن حسن بن مير محمّد بن معصوم بن مير محمّد بن مير معصوم الحسني الخاتون آبادي الأصفهاني: نابغة عصرها في الفقه وأُصوله والكلام العرفان.

اسمها الصريح نصرت أمين، وتعرف بخانم أمينة. ولدت سنة ١٨٩٠ م (١٣٠٨ هـ) في أصفهان، وكان والدها من وجوه التجّار هناك، وتتلمذت على يد بعض العلماء، منهم: علي اليزدي، وعلي النجف آبادي. كانت جادّة في تحصيل العلم ومداومة على المطالعة، وقد امتحنها بعض فقهاء عصرها ـ وهي في نحو الأربعين من عمرها ـ فأجابت بإحكام وبأجوبة لا تصدر إلّا من العلماء. فكتبوا لها إجازات وأنّها قد بلغت درجة من الاجتهاد.

درّست وربّت الطالبات الدارسات للعلوم الدينية، وأصبح بيتها منتدى للنساء العالمات والمتعلّمات، فاشتهرت وعرفها كبار العلماء. كما سعت في إنشاء مدارس ومؤسّسات لتربية البنات، وكانت تتعهّدها بنفسها، وقد تخرّجت عليها بعض النساء في مجال الفقه والأُصول والفلسفة.

واهتمّت بالفلسفة والعلوم العقلية والنفس والعرفان، وكانت تتجنّب وسائل الشهرة، وطبعت مؤلّفاتها غفلاً عن اسمها ولقبها، وإنّما كان يكتب عليها «بانوي إيراني» أي: سيّدة إيرانية.

من مؤلّفاتها: أخلاق وراه سعادت بشر، الأربعون الهاشمية (أوّل تأليفاتها)، مجمع

الشتات (أجوبتها على الأسئلة التي كانت ترد عليها)، حاشية الأسفار الأربعة، حاشية المكاسب، روش خوشبختي، السير والسلوك، مخزن العرفان في تفسير القرآن، مخزن اللآلي في مناقب مولى الموالي، آخرين سير بشر، النفحات الرحمانية في الواردات القلبية. كما قامت بترجمة كتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» لابن مسكويه.

تروي عن جماعة، منهم: الشيخ رضا الأصفهاني، والسيّد الشيرازي الأصطهباناتي، والسيّد شهاب الدين المرعشي النجفي. ويروي عنها جماعة، منهم السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، والذي تروي هي عنه أيضاً كما تقدّم آنفاً.

قال عنها السيّد شهاب الدين المرعشي: «وأمر هذه الشريفة ممّا يقضي منه العجب في هذا العصر، مصدّقة في حصول الاجتهاد لها عن جمّ، كشيخنا الشيخ عبدالكريم الحائري وغيره. فهي فريدة العصور، ونادرة الدهور، الحجّة على نساء العصر، والآية لبارئ الدهر. وزوجها السيّد الحاجّ معين التجّار من تجّار أصفهان. والغريب من أمرها أنّها مع قيامها بأمر الزوجية وإدارة المنزل وتربية الأطفال نالت هذه المراتب السامية العالية. فلله درّها وعليه أجرها».

كما وصفها السيّد المرعشي أيضاً بقوله: «العاملة المجتهدة الصالحة الأديبة المرتاضة السالكة العارفة».

وقد كتب الشيخ محمّد رضا بن محمّد حسين بن محمّد باقر بن محمّد تقي الطهراني الأصفهاني صاحب «حاشية المعالم» إجازة لها بعنوان «رسالة الإجازة الشاملة للسيّدة الفاضلة».

توفّيت في أصفهان سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

(انظر ترجمتها في: أعيان الشيعة ٣: ٤٩٩، الذريعة ١٠: ٦٤ و١١: ٢٩ و٢٤: ٢٤٨، تتمّة الأعلام ٣: ١٤٣ ـ ١٤٤، المفسّرون للأيازي: ٦٢٩ ـ ٦٣٣).

* * *

﴿حرف الباء﴾

بدر عابدين

محمّد بدر الدين بن محمّد كامل عابدين : عالم داعية مربٍّ من أهالي دمشق.

ولد بها سنة ١٨٩٧ م، وتعلّم بها وبالكلّية الصلاحية بالقدس، وقرأ على شيوخ بلده الأعلام، وعيّن معلّماً بوزارة المعارف حتّى أُحيل على التقاعد، ثمّ أخذ بالتدريس في المساجد. ولمّا كان يتقن التركية فقد استقطب الحجّاج الأتراك واليوغسلاف المارّين بدمشق يعلّمهم أُمور دينهم، كما اهتمّ بالطلّاب الأتراك كذلك، وساهم بتأسيس «جمعية إسعاف العلوم الشرعية الإسلامية» من أجلهم، وتفرّع عنها معهد يحمل اسمها. خرّج كثيراً من الطلّاب الأغراب، وساهم كذلك بتأسيس «جمعية الفرقان» مثلها. وكان له أثره العظيم فيها، وتولّى رئاستهما، إضافة إلى نشاطه في جمع المال لتشييد المساجد وترميمها، وفي الخطابة والإمامة.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٤٢).

بدران أبو العينين بدران

أُستاذ الشريعة في كلّية الحقوق بجامعتي الإسكندرية وبيروت، وأحد دعاة الوحدة.

حصل على درجة العالمية من جامعة الأزهر، وكان يدرّس الفقه والأُصول، وله عدّة مؤلّفات، أشهرها «الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنّية والمذهب الجعفري والقانون».

كان يقول: «الشيعة جماعة من المسلمين تشيّعوا لآل بيت الرسول ﷺ... وهم يقيمون مع أهل المذاهب السنّية، وتربطهم بهم روابط التسامح والسعي إلى تقريب وجوه الخلاف؛ لأنّ جوهر الدين واحد، والله لا يسمح بالتباعد والتنافر... والإمامية مع ذلك لا

يفترقون عن جمهور أهل السنّة إلّا في بضع عشرة مسألة».

(انظر ترجمته في: وركبت السفينة: ٣٨٤، المتحوّلون ٧: ٤٢).

بديع الزمان سعيد النورسي

من أكبر رجالات العلم والتقريب والإصلاح في العصر الحديث.

ولد سنة ١٨٧٦م في قرية (نورس) قرب بحيرة (وان) التركية، ودرس مختلف العلوم الإسلامية والأكاديمية حتّى برع فيها، فلقّب ببديع الزمان، وكان آية في الذكاء والنبوغ، دعاه الكثير من العلماء المرموقين لمناظرته، فأسكتهم جميعاً! وكان يكتب على باب داره: هنا جواب كلّ سؤال!

طلب من السلطان عبدالحميد الثاني إنشاء جامعة إسلامية شرقي الأناضول على غرار جامعة الأزهر، تجمع بين دراسة العلوم الإسلامية والعلوم الأكاديمية الحديثة، وسمّاها بمدرسة الزهراء، غير أنّ نشوب الحرب العالمية الأُولى حال دون ذلك.

وفي أثناء الحرب أصبح قائداً لفرقة الأنصار المتطوّعين في الجبهة القوفازية ضدّ الروس، وألّف في ساحات الجهاد والوغىٰ كتابه «إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز»! ووقع أسيراً بيد الروس بعد أن جُرح، وسيق إلى معتقلات الأسر في سيبيريا، وظلّ فيها سنتين وبضع شهور، ثمّ تمكّن من الفرار إلى ألمانيا فالنمسا فإسطنبول التي دخلها سنة ١٩١٨م، وهناك عيّن رئيساً للوعّاظ في شرق الأناضول، وعضواً في دار الحكمة الإسلامية. ووقف ضدّ الغزاة البريطانيّين بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأُولى وهاجمهم بسلاحه ولسانه، ومن ثمّ أصبح عدوّاً لدوداً لحركة العلمانيّين في تركيا، وناضل متعرّضاً للنفي والسجن والتعذيب حتّىٰ الرمق الأخير.

لم يتزوّج خاصّة أنّه ـ كما يقول ـ كان يعيش حياة مضطربة غير مستقرّة.

وقد ناظره رئيس المحفل الماسوني اليهودي قرصو، وبعد المقابلة خرج قائلاً: «لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجّني في الإسلام بحديثه»!

خطب في إحدى محاكماته في تركيا خطبة من ١٠ صفحات تناقلتها جميع الصحف

ووسائل الإعلام، قال فيها: «إنّني أقول لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمّونه السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم، بل ليتناقله العالم كلّه: لقد آن للسرائر أن تنكشف، ويبدو من أعماق القلب أنّني متهيّئ بشوق إلى قدومي للآخرة، وأنا حاضر للذهاب مع هؤلاء الذين علّقت مشانقهم.. لقد كانت الحكومة تخاصم العقل أيّام الاستبداد، والآن فإنّها تعادي الحياة. وإذا كانت الحكومة هكذا فليعش الجنون وليعش الموت، وللظالمين فلتعش جهنّم! لقد سألتموني: هل أنت داخل في جمعية الاتّحاد المحمّدي؟ وأنا أقول لكم ـ مع الفخر ـ: إنّني من أصغر أفرادها، ولكن هل لكم أن تخبروني من هم الذين يوجدون خارج هذه الجمعية غير المجانين والسفهاء؟! وكانت جريمتي الأُخرى أنّني تصدّيت لدعاة الماسونية والإلحاد من أصحاب الصحف وقلت لهم: إنّ على الأديب أن يكون أديباً في دعوته. خصوصاً إذا كان سمع الأُمّة ولسانها، وإنّني أقول الآن: كما أنّه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين، فكذلك لا يناسب إستانبول أن تلبس أخلاق أوروبّا».

توفّي في مدينة أورفا بتركيا سنة ١٩٦٠ م تاركاً وراءه عدّة مؤلّفات مفيدة، منها: الكلمات، المكتوبات، صيقل الإسلام، رائد الشباب، اللمعات، الشعاعات، وغيرها. والتي عُرفت كلّها باسم «رسائل النور».

من أقواله الوحدوية: «إنّ المسلمين كافّة كالعشيرة الواحدة، ترتبط فيها طوائف المسلمين برباط الأُخوّة الإسلامية، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمدّ بعضهم بعضاً معنوياً ومادّياً، وكأنّ الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية».

ويقول كذلك: «إنّ أوجب الفرائض في هذا الوقت هو الوحدة الإسلامية، وهدف هذه الوحدة وقصدها تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية المنتشرة والمتشعّبة. وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلىٰ طريق الرقي بأمر وجداني».

وهناك جماعة تسمّى بـ«جماعة النور»، وهم مجموعة من ملايين الشبّان المسلمين الذين التفّوا حول العلّامة بديع الزمان سعيد النورسي وحول دعوته، وساندوه إلى

وفاته عام ١٩٦٠ م، واستمرّوا بعد وفاته في نشاطاتهم ودعوتهم للإسلام والتمسّك به.

وكانت جماعة النور أو طلّاب النور تدعو إلى تفهّم القرآن، والتخلّق بأخلاق الإسلام، وتحثّ على الجهاد في سبيل الله، وتطبيق شريعته، وإقامة وحدة مع البلدان الإسلامية.

وأعضاؤها لا ينفرون من الدنيا ونعيمها، ولا ينزوون بعيداً عن الحياة، ولكنّهم يحبّون العمل النافع والحركة المثمرة، ويجاهدون لإعلاء كلمة الله، ويحرصون على تربية أفرادهم تربية روحية وعقلية.

وقد حظرت الحكومة التركية العلمانية نشاطات هذه الجماعة، فأعقبها ظهور حزب الرفاه الإسلامي.

ولكاتب السطور كتاب يدور حول حياة هذا الرجل الكبير وحول دوره الوحدوي، سيتمّ نشره ـ إن شاء الله تعالى ـ عمّا قريب بطبع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

(انظر ترجمته في: عظماء الإسلام: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، الإسلام والتحدّيات المعاصرة: ٤٨٢ ـ ٥١١، رجالات التقريب: ٢٧٩ ـ ٢٩٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ١٦٩ ـ ١٨٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٢٥ ـ ١٢٦ و ١٩٥ ـ ١٩٦).

برهان الدين ربّاني

برهان الدين ربّاني بن محمّد يوسف: سياسي أفغاني معروف، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٩٤٠ م في مدينة فيض آباد مركز ولاية بدخشان الأفغانية لأُسرة تنتمي إلى قبيلة اليفتليّين ذات العرقية الطاجيكية السنّية، ودرس الابتدائية في مسقط رأسه، ثمّ التحق بمدرسة أبي حنيفة بكابل، وبعد تخرّجه من المدرسة انضمّ إلى جامعة كابل دارساً في كلّية الشريعة عام ١٩٦٠ م، وتخرّج منها عام ١٩٦٣ م، وعيّن مدرّساً بها. وفي عام ١٩٦٦ م التحق بجامعة الأزهر، وحصل منها على درجة الماجستير في العقيدة والفلسفة الإسلامية، وتأثّر هناك بحركة الإخوان المسلمين. ومن بعد ذلك عاد إلى جامعة كابل ليدرّس بها الشريعة الإسلامية.

اختارته الجمعية الإسلامية ليكون رئيساً لها عام ١٩٧٢ م، وفي عام ١٩٧٤ م حاولت الشرطة الأفغانية اعتقاله من داخل الحرم الجامعي، لكنّه نجح في الهروب إلى الريف بمساعدة بعض الطلّاب، وسافر إلى الباكستان، ثمّ إلى السعودية.

لم يحظَ بآراء الناخبين لقيادة الحركة الإسلامية في الانتخابات التي أُجريت خارج أفغانستان عام ١٩٧٧ م، وهو ما أدّىٰ إلى انشقاق في الحركة الإسلامية، فانقسمت إلى حزبين: «الحزب الإسلامي» الذي يقوده حكمتيار، و«الجمعية الإسلامية» التي كان يقودها ربّاني.

ومنذ الاحتلال الروسي لأفغانستان عام ١٩٧٩ م كان ربّاني مشاركاً في أعمال المقاومة ضدّ السوفيت، والتي عرفت بـ«الجهاد الأفغاني»، وكانت قوّاته أوّل القوّات التي دخلت كابل بعد هزيمة الشيوعيّين فيها.

كان يتولّى منصب الناطق الرسمي باسم ائتلاف الأحزاب الجهادية عام ١٩٨٦ م، وسافر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية مع وفد من المجاهدين كان يرأسه، والتقى هناك بالرئيس الأمريكي رونالد ريغان.

وربّاني هو ثاني رئيس لدولة المجاهدين في كابل بعد سقوط الحكم الشيوعي فيها في أبريل عام ١٩٩٢ م، ولمدّة ستّة أشهر فقط بعد صبغة الله مجدّدي، وقد خرج من كابل في ٢٦/سبتمبر/١٩٩٦ م على يد حركة طالبان، وظلّ ينتقل في ولايات الشمال التابعة له. ومع الهجوم الأمريكي على أفغانستان وسقوط حركة طالبان حوّل ربّاني مقاليد الحكم إلى حامد كرزاي بتاريخ ٢٢/ديسمبر/٢٠٠١ م، وكان من الداعمين للأخير في الانتخابات الأفغانية، وعيّن عضواً في البرلمان الأفغاني عن ولاية بدخشان، وفي سنة ٢٠٠٧ م أسّس مع بعض الأحزاب «جبهة أفغانستان الوطنية»، وغدا رئيساً لها. هذا، مع العلم بأنّ ابنة الأُستاذ ربّاني متزوّجة من ضياء مسعود (أخ أحمد شاه مسعود)، الذي يشغل وظيفة المعاون الأوّل لرئيس أفغانستان الحالي.

ويتميّز الأُستاذ ربّاني بروح تقريبية متميّزة، وقد شارك في عدّة مؤتمرات دولية بهذا الشأن، وهو عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

بسّام الصبّاغ

بسّام الصبّاغ: مفكّر إسلامي، وداعية إصلاح.

ولد في دمشق سنة ١٩٤٤ م، وحصل على ليسانس في اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٧١م، وعلى ليسانس في الدراسات الإسلامية من كلّية الدعوة في ليبيا عام ١٩٨٦ م، وعلى ماجستير في الدراسات الإسلامية سنة ١٩٩٣م من كلّية الإمام الأوزاعي في بيروت برسالة «مشكلة الخمر في العالم»، وعلى دكتوراه في الدراسات الإسلامية سنة ١٩٩٨م من كلّية الإمام الأوزاعي ببيروت برسالة «الدعوة والدعاة».

وقد شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والندوات، ونشر عشرات المقالات والأبحاث في مجلّات وصحف عربية.

عمل مدرّساً للّغة العربية والعلوم الشرعية في ثانويات دمشق منذ سنة ١٩٧١م، وهو يدرّس مادّة الدعوة والفكر في كلّيتي الدعوة الإسلامية وأُصول الدين منذ تأسيسهما في مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق.

عمل مديراً لفرع كلّية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية العليا بدمشق منذ عام ١٩٩٠م وإلى الآن، وشغل منصب مدير لفرع كلّية الدعوة الإسلامية في اللاذقية من عام ١٩٩٠م حتّى عام ٢٠٠٠ م.

وهو عضو مجلس إدارة جمعية الأنصار الخيرية من سنة ١٩٧٩م حتّى سنة ١٩٨١ م، ومنذ ١٩٩٩م وحتّى الآن، وهذه الجمعية هي الجمعية المشرفة على مجمع الشيخ أحمد كفتارو والتابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وعمل مديراً لمعاهد تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة الأوقاف في مساجد عمر الفاروق ومسجد لالا باشا ومسجد بعيرة. وهو خطيب وإمام في مساجد دمشق منذ سنة ١٩٧٦ م وإلى الآن، وحالياً هو خطيب لجامع لالا باشا.

كما أنّه عضو مؤسّس في الاتّحاد العالمي للعلماء المسلمين، وأحد أُمنائه العشرين، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

أصدر في نهاية الستّينات من القرن الماضي سلسلة «أغاريد الإيمان» في سبعة أجزاء، ويقوم بإصدار التقويم الإسلامي السنوي (تقويم أبي النور) منذ عام ١٩٧٧م، وقد شارك في كتابة «موسوعة الأديان الميسّرة».

من مؤلّفاته: مشكلة الخمر في العالم، المنهج العلمي فيكتابة حلقة بحث جامعية، الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف، مجتمعات عربية معاصرة، دعوة الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، الدعوة الإسلامية في بلدان غالبيتها من غير المسلمين، الأقلّيات المسلمة في المجتمعات الغربية .. مشكلات ومقترحات، الدعوة الإسلامية بين المغالين والمفرّطين.

وقد أشرف على العديد من أبحاث الدبلوم والدراسات العليا في كلّية الإمام الأوزاعي ببيروت، وفرع الكلّية في دمشق، وكلّية أُصول الدين بجامعة أُمّ درمان من السودانية، وكلّية الأزهر الشريف في دمشق.

يقول: «إنّنا نملك من أسباب الوحدة والتقريب ٩٠٪، ونقاط الاختلاف لا تتجاوز ١٠٪، فعلينا أن نبحث ونكتشف وننشر هذا الرصيد الفكري الكبير الوحدوي للأُمّة الإسلامية، ونتصدّى لكلّ من يريد أن يزعزع تقاربنا .. نعمل فيما اتّفقنا عليه، ويعذّر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

وعندما أُسّس مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة تعرّض أصحابه للنقد والتجريح، ولكن بثباتهم واستمراريتهم أثمرت جهودهم، وأسّسوا لطريق التقارب والوحدة والمحبّة بين المسلمين. ونحن اليوم لا تظنّون أنّ هذه الدعوات التقريبية طريقها مفروش بالورود، لا بل بالأشواك والصعاب. فعلينا الاقتداء بالأنبياء والمرسلين، وعلينا أن نذكر الإمامين الجليلين: إمام الجهاد الحسين بن علي سيّد الشهداء وإمام الوحدة الحسن بن علي (رضي الله عنهما).

إنّ لرجال الفكر والدعوة والمذاهب أن يميّزوا بين صوت النصيحة وبوق الفضيحة، بين الأصوات التي تريد توحيد الله ووحدة المسلمين وبين الأبواق التي تنشد الفرقة والخصام.

علينا أن نكثر من مثل هذه المؤتمرات والندوات والملتقيات، وندخلها ونحن مفتقرون إلى الله سائلينه توحيد كلمة المسلمين، وعلينا جعل مجامع فقهية مشتركة بين جناحي المسلمين السنّة والشيعة، وأن يصدع العلماء المخلصون الحكماء في كلّ طائفة مع أبناء طائفته وأتباعه بالخطاب الوحدوي التقريبي، وأن يقف بوجه كلّ من يريد أن يفرّق جماعتنا ووحدتنا، وينقّي المقولات والوعظ والخطب والعادات والمظاهر من كلّ ما يباعد وينشر الفرقة».

ويقول أيضاً: «لقد كتب ميثاق الاتّحاد العالمي للعلماء المسلمين، واشترك فيه علماء أجلّاء من السنّة والجعفرية والزيدية والإباضية (ونذكر منهم: الشيخ د. يوسف القرضاوي، والشيخ محمّد علي التسخيري، والشيخ أحمد الخليلي، وغيرهم الكثير)، فأصبح مرجعاً هامّاً، وقرّرته أنا على الآلاف من طلبة الجامعات في كلّيات إسلامية مختلفة.

وأخيراً أُصيب العالم الإسلامي بعدوّين: بعدوّ خارجي. وعدوّ داخلي، والعدوّ الداخلي هو أخطر من العدوّ الخارجي، وأخطر ما أفرزه هذا العدوّ الداخلي حالات التفرقة والانقسام، وحالات التطرّف والتعصّب، والجهل والفساد. وابتلي الكثير منها بساسة فاسدين يبغون مصالحهم، كما ابتلي بعلماء دين وشخصيات همّها مصالحها وأطماعها بالرياسة أو المال أو الجاه، وابتلي عالمنا الإسلامي بحالات استفزازية بين أهل الطوائف والمذاهب وخاصّة لدى العامّة من بعض الجاهلين أو المنتفعين أو ممّن كانت تسيّره شهواته ورغباته، أو أعداء الأُمّة الإسلامية من داخلها وخارجها، وهناك بلايا كثيرة.

وليس المهمّ أنّ نبثّ ألمنا ونبكي حالنا، المهمّ أن نحصي تلك الأمراض؛ لنجعل لها علاجاً شافياً؛ لنرسم خططاً مستقبلية نواجه بها التحدّيات بصدق وإخلاص وعلم وبصيرة. ويصل تنفيذ هذه الخطط الاستراتيجية المستقبلية إلى جماهير الأُمّة الإسلامية بمختلف طبقاتها وتنوّعاتها وثقافاتها، تصل إلى الإنسان المسلم أينما كان، في الإقامة والمهجر، في البلاد الإسلامية وفي غيرها، عند المرأة والرجل المسلم، والصغير والكبير، والحاكم والمحكوم، والعالم وغير العالم، مركّزين على حركة النضال والمقاومة لدى أبناء أُمّتنا

الإسلامية، فإنّ المقاومة وحّدت المسلمين. وهذا ما لمسناه في مقاومة جنوب لبنان وأهل غزّة، وعلينا أن نجد طرق تواصل واتّصال بين علماء هذه الأُمّة».

بنت الشاطئ

عائشة بنت محمّد بن عبدالرحمان المشهورة ببنت الشاطئ: أديبة، ناقدة، أُستاذة في الدراسات الإسلامية والأدبية واللغوية، وهي بلقبها أشهر من نار على علم.

ولدت سنة ١٩١٢م في محافظة دمياط، ودرست أوّل أمرها في بيتها الذي تربّت فيه تربية أصيلة، ثمّ انتسبت إلى معهد المعلّمات، ونالت إجازة اللغة العربية من جامعة فؤاد الأوّل (القاهرة) سنة ١٩٣٩م، ومنها حصلت على الدكتوراه في الآداب عام ١٩٥٠م بعد أن حصلت على درجة الماجستير سنة ١٩٤١م. وعيّنت معيدة في الجامعة، ومفتشة لغة عربية بوزارة المغارف المصرية عام ١٩٤٣م ـ ١٩٤٤م، ثمّ انتقلت إلى جامعة عين شمس، وأصبحت رئيسة لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلّية الآداب بتلك الجامعة من سنة ١٩٦٢م إلى سنة ١٩٧٢م، وانتدبت للتدريس في الأزهر وفي معهد الدراسات العربية العالية، كما كانت أُستاذة بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، وأضحت عضوة في نقابة الصحفيّين، وأمست أُستاذة دراسات عليا في كلّية الشريعة بفاس في جامعة أُمّ القرويّين بالمغرب حوالي عشرين عامّاً، كما درّست في عدد آخر من جامعات الأقطار العربية.

كانت عضوة في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وفي مركز تحقيق التراث بدار الكتب، وفي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وفي المجلس الأعلى للثقافة.

كتبت بجريدة «الأهرام» المصرية عام ١٩٣٦م، وقد تميّزت بجمعها بين الدراسة العميقة للعلوم الإسلامية وعلوم العربية وتحقيق النصوص التراثية والمعاصرة.

حصلت بنت الشاطئ على عدد من الجوائز الثقافية، من أهمّها: جائزة الدولة التقديرية في الآداب، ووسام الكفاية الفكرية من ملك المغرب الحسن الثاني، ووسام تقدير من منظّمة اليونسكو، وجائزة الملك فيصل.

كان من أهمّ الذين أثّروا في شخصيتها أُستاذها ثمّ زوجها المفكّر المصري الشيخ أمين الخولي، وعندما توفّي عام ١٩٦٦م جزعت عليه، كما جزعت على ابنها الذي أمضّها موته. فاعتزلت الناس وتوقّفت عن العطاء أكثر من ثلاثين عاماً.

وكانت قد خاضت بعض المعارك الأدبية والفكرية التي شغلت الصحافة والمثقّفين، كمعركتها ضدّ الدكتور مصطفى محمود عندما كان يساري النزعة وصحّحت له كثيراً من انحرافاته كما سمّيت آنذاك، واحتدم السجال بينهما أمداً طويلاً، تدخّل فيه عدد من الكتّاب والمفكّرين.

توفّيت عام ١٩٩٨م تاركة عدّة مؤلّفات تربو على الأربعين كتاباً، منها: على الجسر، التفسير البياني للقرآن الكريم، الإسرائيليات في الغزو الفكري، الريف المصري، قراءة في وثائق البهائية، قضية الفلّاح، سيّد العزبة، رجعة فرعون، سرّ الشاطئ، صور من حياتهنّ، امرأة خاطئة، أُمّ النبي ﷺ، نساء النبي ﷺ، السيّدة زينب بطلة كربلاء، سكينة بنت الحسين، موسوعة آل النبي ﷺ، مقال في الإنسان، أعداء البشر، مع المصطفى ﷺ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، القرآن والتفسير العصري، القرآن وقضايا الإنسان، الشخصية الإسلامية.. دراسة قرآنية، مقدّمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء، أرض المعجزات.. رحلة في جزيرة العرب، الخنساء، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، الشاعرة العربية المعاصرة، تراثنا بين ماض وحاضر، لغتنا والحياة، مقدّمة في منهج، مع أبي العلاء في رحلة حياته.

وكانت تنزع في ثقافتها وقلمها إلى نصرة أهل البيت والإشادة بهم، كما لها أُسلوب متين في عرض آرائها والدفاع عن قضايا الإسلام، وكانت كثيراً ما تقول: «أنا شيعية، تشيّعت من التاريخ»، كما تقول: «إنّي أُريد أن أكتب كتاباً عن الإمام الحسين، وأُريد أن أدخل العراق من الطريق الذي دخله الإمام الحسين حتّى أصل إلى كربلاء، وأكتب عمّا أراه أثناء الطريق لحين وصولي مشهد الإمام الحسين».

وعُرفت بدفاعها عن الريف المظلوم والفتيات البائسات، وهجومها على الحضارة

الزائفة، واختارت لها اسم (بنت الشاطئ)، فكان له بريق لدى القرّاء، وقد توهّموها كاتبة كبيرة تجاوزت عصر الشباب؛ لما أبدت من نضج مكتمل، وهكذا كانت في نظر المنصفين من كتّاب الصفّ الأوّل في مصر.

وحين التحقت بالجامعة كانت نمطاً جديداً لفتيات الكلّية.. فمنهنّ من آثرن السفور ودعون إلى حفلات السمر اللاهية، ولكنّها عارضت ذلك كلّه، وعكفت على دراستها الواعية حتّى لفتت إليها كبار الأساتذة في الكلّية. ومنهم: منصور فهمي، وأحمد أمين، ومصطفى عبدالرزّاق، وعبد الوهاب عزّام، بل منهم أُستاذها الذي صار زوجها فيما بعد (أمين الخولي)، فجنت من كلّ ما قدّم لها من صادق المعرفة، وكانت فتاة طلقة متيقّظة، فامتلأت علماً وزكت خلقاً، وثابرت حتّى نالت الليسانس بامتياز، فالماجستير، فالدكتوراه، وأصبحت عضواً في هيئة التدريس، فمشاركة لزوجها الكبير في أعماله الأدبية؛ إذ كانت على قرب عهدها بالبحث العلمي موضع استشارته ومجال ثقته، وقد ترك لها أُسلوبها المتفرّد، فكانت ذات شخصية مستقلّة في البحث، تخالف في بعض مناحيها منهجه الأدبي، وإن لم تعترف بذلك، بل نصّت على أنّها تحتذيه. وقد كتبت سيرتها في كتاب قيّم عنوانه «على الجسر» ضمّ كلّ شائق طريف.

ومن حسن توفيق الله لبنت الشاطئ أنّها اهتدت بفطرتها الإسلامية النبيلة إلى طريق الحقّ في سنّ المراهقة قبل أن تلتحق بالجامعة؛ إذ كانت في هذا العمر الغضّ كاتبة في مجلّة «النهضة النسائية»، فكتبت بالعدد (٧٢) الصادر في مارس سنة ١٩٣١ م وهي في سنّ الثامنة عشرة من عمرها مقالاً، قالت فيه حين زارت القاهرة لأوّل مرّة: «لقد خيّل إليّ وأنا أسير في شوارع القاهرة أنّي في مخادع النساء، وكأنهنّ معرض عامّ لاستعراض الأجسام! أين الغيرة التي تحسّ بها المسلمات تمشي في أجسادهنّ؟! أين النخوة التي تشعر بها المؤمنات؟! إنّ الحرّية الزائفة والإباحية المنكرة هي كلّ ما يعرفن من شؤون الحياة! لقد تركت الفتيات مخادعهنّ، استبدلنها بالأسواق، حيث يمشين مشية يشمئز منها الرجل الحرّ، فالفتاة لا تستحي أن تمشي نصف عارية ولا تخجل من السير معطّرة كأنّها بين

محارمها! أين وقار الإسلام وجمال الحياة ؟ ! إنّي لأشعر بالهدوء يغمرني حين أذكر أنّ هناك رجلاً ولو في المائة تسمو شجاعته فيهزأ بأمثال هؤلاء الخليعات ، ويكون سلوى لأمـثالنا في هذا الجو الموبوء ». هذا بعض ما كتبته بنت الشاطئ قبل أن تلتحق بالجامعة ، وهو نفسه ما دأبت على تكراره في مقالاتها السيّارة بجرائد « البلاغ » و« كوكب الشرق » و« الأهرام » من بعد، ممّا يدلّ على أنّ الروح الإسلامية كانت أصيلة في كيانها ، وأنّـها نشـأت مـلتزمة مصونة تدعو إلى الحسنى ، حتّى أتت أُكلها الطيّب بعد حين .

وقد تعدّدت اتّجاهاتها الفكرية ، ولا يستطاع مواكبتها في كلّ ما جاءت به من مؤلّفات ممتازة، ولكن يمكن أن يكتفىٰ بالمنحى الإسلامي والنشر المتواني لذخائر الأدب العربي . وأوضح ما ظهر من ذلك ما كتبته عن إعجاز القرآن والتفسير البياني ، وما سـمّته بـالتفسير العصري . وقد ذكرت في مقدّمة الجزء الأوّل من التفسير البياني : أنّها التزمت بمنهج أُستاذها أمين الخولي فيما كتبته من مواد الإعجاز والتفسير ، وحدّدت هذا المنهج في نقاط ، أهمّها :

١ ـ التناول الموضوعي للآيات التي تتحدّث عن غرض واحد.

٢ ـ ترتيب الآيات على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان ، مهتمّة بأسباب النزول التي تختلف في بعض الروايات ، وموضّحة بواعث هذا الخلاف .

٣ ـ فهم دلالات الألفاظ عن طريق الحسّ العربي الخالص ، واستقراء كلّ ما في القرآن من الصيغ اللغوية ، وتدبّر السياق الخاصّ بالكلمة والجملة والسورة الكريمة .

٤ ـ الاحتكام إلى سياق النصّ في كلّ ما يعطيه من دلالات على الائتناس بـأساليب البيان العربي في عصره الزاهر .

وقد حاولت أن تطبّق هذا المنهج جاهدة فيما كتبته عن التفسير في جزءين جيّدين ، ولكنّها اختارت قصار السور فحسب . وهذا الاختيار لا يظهر ما تعنيه بالتفسير الموضوعي على حقيقته ، كما يظهر في طوال السور . ولعلّها كانت تمهّد بذلك إلى تفسير للسور الطوال ، فضاق العمر عن التنفيذ . كما أنّها وقفت عند الدراسة اللـغوية مـقارنة ومـوازنـة بـين آراء المفسّرين من لدن الطبري إلى محمّد عبده ، ولم تفسح المجال لما بعد الدراسة اللغوية من

أفكار قرآنية، وهي ذات هدف أوّل، ولعلّ عنوان التفسير البياني قد غلب على اتّجاهها في هذا المنحى، ولكلّ وجهته الخاصّة.

أمّا الاتّجاه الثاني في المجال الإسلامي فيتجلّى في كلّ ما أصدرته عن الأُسرة النبوية الكريمة في موسوعتها الحافلة عن سيّدات البيت النبوي التي شملت السيّدة آمنة (رضي الله عنها)، وأُمّهات المؤمنين جميعهنّ، ومن يتّصل بالبيت النبوي، كفاطمة الزهراء، وزينب الأُولى، وزينب الثانية بطلة كربلاء، وسكينة، وغيرهنّ.

والحقّ أنّ الأُسلوب الأدبي الرائع قد جلّى ما تهدف إليه من الحقائق الإيمانية أحسن تجلية، لذلك تعدّدت طبعات هذه الموسوعة الرائعة، ونُقلت إلى لغات شتّى، وقد نشرت أوّلاً في أجزاء صغيرة مسلسلة «كتاب الهلال»، ثمّ جُمعت في مجلّد تجاوز الألف من الصفحات التي ترجمت إلى التركية والفارسية والأُردية والأندونيسية، فذكّرتنا بما كان يُترجم تلقائياً لهذه اللغات من مؤلّفات محمّد عبده وطنطاوي جوهري وفريد وجدي ومحمّد رشيد رضا في مطلع القرن العشرين.

(انظر ترجمتها في: مع رجال الفكر ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٤٨ ـ ٣٤٩، أعلام الأدب العربي المعاصر ١: ٣٦٠ ـ ٣٦٣، أعلام التراث: ٢٢٠ ـ ٢٢٢، إتمام الأعلام: ٢١٧، أُدباء وشعراء العرب ٢: ٥٦، المتحوّلون ٦: ٩١ ـ ٩٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٥٨٥ ـ ٥٨٩، موسوعة الأعلام ٢: ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

بنت الهدىٰ

العلوية آمنة بنت حيدر بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح الصدر العاملي المعروفة بلقب بنت الهدىٰ: من فضليات بنات جنسها ومذهبها في العصر الحديث علماً وتقوىً وجهاداً.

ولدت في الكاظمية سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧م) لأب فقيه من كبار علماء العراق، ولأُمّ من أُسرة علمية معروفة، فهي أُخت المرجع الديني الشيخ محمّد رضا آل ياسين. كما كانت هي ـ أي: بنت الهدى ـ أُختاً للشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.

فقدت والدها في أوائل عمرها، فكفلها أخواها السيّد إسماعيل والسيّد محمّد باقر وكذلك أُمّها، وقاموا بتربيتها وتعليمها، فأحاطت بالمعارف الإسلامية وبالمناهج الدراسية الرسمية دون أن تنضمّ لمدرسة ما، وحصلت على مراتب علمية وروحية عالية عن طريق أخيها وشريكها في النضال والجهاد السيّد محمّد باقر.

تصدّت للتدريس والإشراف على مدارس الزهراء للبنات في النجف والكاظمية، وكان لها دور مؤثّر وجريء في نشر الوعي الديني بالوسط النسائي مستفيدة من إلقاء المحاضرات ونظم الشعر وصياغة القصّة وكتابة المقالات بتوقيع «بنت الهدىٰ» و«أُمّ الولاء»، فقادت نساء بلدها بنشاط إسلامي وعلمي ملحوظ.

وفي تاريخ ١٧ / رجب / ١٣٩٩ هـ دخل ما يقارب المائتي مسلّح من جلاوزة النظام بيت أخيها وألقوا القبض عليه وعليها، ثمّ أُطلق سراحهما بعد مدّة من الزمن. وفي سنة ١٤٠٠ هـ(١٩٨٠م) أُلقي القبض عليهما ثانية، فاستشهدت مع أخيها ورفيق دربها السيّد محمّد باقر الصدر.

من مؤلّفاتها: امرأتان ورجل، أُمنية ودعوة للمرأة المسلمة، الباحثة عن الحقيقة، بطولة المرأة المسلمة، الخالة الضائعة، ذكريات على تلال مكّة، صراع من واقع الحياة، الفضيلة تنتصر، كلمة ودعوة، لقاء في المستشفىٰ، ليتني كنت أعلم، المرأة مع النبي ﷺ في حياته وشريعته، المرأة وحديث المفاهيم الإسلامية.

(انظر ترجمتها في: معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨٠٨، مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٤، موسوعة مؤلّفي الإمامية ١: ١٠٥ ـ ١٠٧، تتمّة الأعلام ١: ٧ ـ ٨، إتمام الأعلام: ١٩، ملحق موسوعة السياسة: ٢١٧ و ٤٨٢، تكملة أعلام النساء: ٧، معجم الروائيّين العرب: ٩ ـ ١٠).

بهاء الدين الندوي

بهاء الدين أكرمي الندوي: عالم داعية، فقيه شافعي، صحفي، من أهالي الهند.

تعلّم في ندوة العلماء بالهند، وأسهم في الصحافة الإسلامية بجنوب الهند وبومباي، وأصدر مجلّة «النوائط» الشهرية، وعرف بأخلاقه الطيّبة وتمسّكه بالدين.

له كتاب «العرب وديار الهند»، تحدّث فيه عن وصول الجاليات العربية الإسلامية إلى الهند والخدمات الإسلامية فيها.

توفّي في مدينة باتكل سنة ١٩٩٠م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٨٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٦٦).

البهي الخولي

البهي نجا إبراهيم الخولي: المفكّر والكاتب والداعية الإسلامي، وأحد مؤسّسي جماعة الإخوان المسلمين، وعضو الهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد بالجماعة.

ولد الشيخ البهي الخولي عام ١٣١٧هـ-١٩٠١م بقرية القرشية مركز السنطة (محافظة الغربية) بمصر، ونشأ في أُسرة متديّنة، وكان والده من ذوي النعمة واليسار.

تدرّج البهي الخولي في مراحل التعليم من كتّاب القرية، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ القراءة والحساب، إلى أن بلغ دور الصبا، فدفع به والده إلى المعهد الأحمدي بطنطا، ومنه التحق بدار العلوم في القاهرة، وفيها تفتّحت مداركه ونضجت مواهبه وتحدّد هدفه.

درس على نخبة من علماء الدين، أمثال: محمّد عبدالمطّلب، وعبدالوهاب النجّار، وطنطاوي جوهري، والشيخ أحمد إبراهيم. وقد كان الشيخ البهي شغوفاً بكتب ابن قيم الجوزية..

عيّن بعد تخرّجه من دار العلوم مدرّساً في المعاهد الأزهرية بطنطا، ثمّ انتقل إلى أسيوط، ثمّ إلى القاهرة، ثمّ عاد إلى طنطا.

بعد قيام الثورة عمل مديراً عامّاً للمساجد بوزارة الأوقاف، ومديراً لتحرير مجلّة «منبر الإسلام»، ثمّ عيّن مراقباً عامّاً للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، ثمّ اختير عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

عمل مستشاراً بالمجلس الأعلى لجمعية الشبّان المسلمين، كما انتدب للتدريس في الأزهر -كليّة أُصول الدين، وفي دار العلوم، وكلّية العلوم الاجتماعية، وغيرها.

كان البهي الخولي داعية بارزاً، وأحد المربّين والموجّهين من جماعة الإخوان المسلمين بمصر، حيث كان زميلاً للشيخ حسن البنّا وقائماً بمهام العمل الدعوي معه. دخل السجن في ديسمبر سنة ١٩٤٨ م في معتقل الطور مصر. وكان مسؤولاً عن الإخوان المسلمين في السجن، ولكنّه استدعي إلى القاهرة حيث وجّه إليه اتّهام في قضية تتعلّق بالنظام الخاصّ، فاختار السجناء محمّد الغزالي أميراً لهم.

خرج من السجن وانتخب عضواً في مكتب الإرشاد الذي أُعيد تشكيله في سنة ١٩٥١ م أيّام حسن الهضيبي، وكان الدكتور محمّد خميس حميدة وكيلاً للمكتب، وعبدالحكيم عابدين سكرتيراً، وحسين كمال الدين أميناً للصندوق، وعبد القادر عودة وكمال خليفة وعمر التلمساني وعبد الرحمان البنّا وعبدالمعزّ عبدالستّار وأحمد شريت وعبد العزيز عطية ومحمّد فرغلي ومنير أمين الدلّة وصالح أبو رقيق والبهي الخولي ومحمّد حامدأبو النصر .. أعضاء فيه. وهو المكتب الذي قابل محنة الإخوان مع جمال عبد الناصر، وأُدخل معظم أعضائه السجون والمعتقلات، وحكم على بعضهم بالإعدام، وبعضهم بالسجن المؤبّد، وبعضهم بسنوات طويلة !

من تلاميذ البهي: الدكتور سعيد رمضان، والدكتور عبد العظيم الديب، والدكتور يوسف القرضاوي.

ممّا كتب في مجال الدعوة: تذكرة الدعاة (وهو باكورة إنتاجه العلمي وأشهر كتبه، وهو كتاب طبع عدّة طبعات، قدّم له الشيخ البنّا)، آدم ﷺ: فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، منهج القرآن في المعرفة، مذكّرة في الدعوة (قرّرها على طلّاب كلّية أُصول الدين)، الخالقية.

وممّا كتب في حقل الاقتصاد الإسلامي: الثورة في ظلّ الإسلام، الإسلام: لا شيوعية ولا رأسمالية، الاشتراكية في المجتمع الإسلامي بين النظرية والتطبيق، مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي.

وممّا كتب في السيرة والتراجم: من أسرار الفتح (فتح مكّة)، يوم الفرقان (غزوة بدر)، الإمام الممتحن أحمد بن حنبل، الإمام محمّد عبده.

وله دراسات حول القرآن الكريم، منها: بنو إسرائيل في ميزان القرآن، تفسير سورة المزمّل، هدى الإسلام (بالاشتراك مع آخرين)، وقرّرته وزارة التربية والتعليم بمدارسها الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٥٦م.

كما له دراسات فقهية، منها: الصيام، الحجّ والعمرة، رفيق الحاجّ، منهاج الإسلام في الزواج والطلاق.

وله دراسات حول قضايا المجتمع، منها: المرأة بين البيت والمجتمع، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة.

وقد كتب عنه الأُستاذ يسري عبدالخالق رسالة ماجستير بعنوان «الشيخ البهي الخولي وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى».

توفّي البهي الخولي في ٢٧ / ديسمبر / ١٩٧٧م عن ستّ وسبعين عامّاً، وقد أوصى أولاده ألّا ينشروا نعيه، فمضى إلى ربّه دون أن يعلم كثير من عارفيه بوفاته.

يقول العلّامة السيّد أبو الحسن الندوي حول البهي: «والقلب يمتلئ قوّة وحرارة بتأثير الأُستاذ البهي وروحه القوية وقلبه الفيّاض بالحبّ والإيمان حتّى شعرت بنشاط جديد».

ويقول الأُستاذ حسن البنّا عنه: «الأخ الداعية المجاهد الأُستاذ البهي الخولي هو بحمد الله صافي الذهن، دقيق الفهم، مشرق النفس، قوي الإيمان، عميق اليقين».

ويقول عنه الشيخ القرضاوي: «هو رجل ذوّاقة للمعاني الربّانية عميق الحاسّة الروحية، وقد كان يرأس الإخوان في الغربية، وكانت محاضراته ودروسه التي يظهر فيها الجانب الربّاني. وكان للأُستاذ البهي لقاءات خاصّة مع مجموعة من الشباب اصطفاهم، يصلّون الفجر معاً كلّ أُسبوع، ويذكرون الله عزّ وجلّ، ويعيشون في جوّ روحي محلّق. وقد أُطلق على هذه المجموعة اسم «كتيبة الذبيح» يعني بالذبيح إسماعيل عليه السلام الذي أسلم عنقه طاعة لله دون تلكؤ ولا تردّد».

(انظر ترجمته في: رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٠٩ ـ ١١٢).

❊ ❊ ❊

﴿حرف التاء﴾

تاج الدين الهلالي

تاج الدين حامد عبدالله الهلالي: مفتي استراليا السابق، ويعتبر بنظر الكثيرين الممثّل الأوّل للمسلمين هناك، وهو أحد دعاة الوحدة والتقريب البارزين.

ولد في مصر سنة ١٩٤١م، وحصل على الإجازة العالية «العالمية» في الشريعة والقانون من جامعة الأزهر ودبلوم في الدراسات العليا في تدريس علوم اللغة والفقه المقارن، ومارس الوعظ والإرشاد والإمامة، والخطابة، وأصبح أُستاذاً لعلوم اللغة والفقه المقارن في الجامعات والمعاهد الإسلامية بعدّة دول.

هاجر الهلالي من مصر إلى أُستراليا عام ١٩٨٢ م، وبسبب مؤهّلاته الدينية اشتغل الشيخ تاج الدين الهلالي بمهنة إمام مسجد ضاحية لاكمبا في سيدني، وأصبح مشرفاً على المركز الإسلامي بمدينة سيدني منذ عام ١٩٨٢ م.

في العام ١٩٦٩م شهدت أُستراليا تخلّي الشيخ (خالد زيدان) عن مهمّاته الدينية والاجتماعية كمفتي لأُستراليا بسبب اعتلال صحّته، وبقي مركز مفتي المسلمين شاغراً حتّى العام ١٩٨٨م. وفي هذا العام تولّى الشيخ تاج الدين الهلالي منصب المفتي العامّ لقارّة أُستراليا، وذلك بقرار المؤتمر الإسلامي للجمعيات والمجالس الإسلامية في أُستراليا وبتزكية مفتي لبنان الشيخ حسن خالد، وبصفته صار عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ورئيس المجلس الشرعي لمسلمي أُستراليا.

يوم الخميس ٢٦ / ١٠ / ٢٠٠٦ م أدلى الشيخ الهلالي بتصريحات في خطبة خلال شهر رمضان أمام ٥٠٠ مصلّ أثارت استياءً بعد أن وصف النساء غير المحجّبات بأنّهنّ لحم مكشوف يجلبن لأنفسهم الهجمات الجنسية، ووصف رئيس الوزراء الأُسترالي «جون

هاورد» للصحافيّين تلك التصريحات بأنّها (مروّعة وتستحقّ التوبيخ)! وتابع قائلاً: «إنّ فكرة أنّ النساء يتحمّلن مسؤولية تعرضهنّ للاغتصاب مشينة»، ودعا مفوّض مكافحة التفرقة بين الجنسين في الحكومة الأُسترالية إلى إقالة الشيخ تاج الدين الهلالي وطرده من البلاد التي ترتدي فيه النساء التنانير القصيرة ولباس البحر البكّيني! اعتذر الهلالي فيما بعد عن تصريحاته. علماً أنّ الهلالي أدلى بتصريحاته في خطبة خلال شهر رمضان أمام ٥٠٠ مصلّ، في حين بلغ عدد المسلمين في القارّة الأُسترالية نحو ٣٠٠ ألف نسمة، من إجمالي نحو ٢٠ ميلوناً هم سكّان أُستراليا. وفي أعقاب هذه التصريحات قدّمت ٣٤ منظّمة إسلامية أُسترالية عريضة تشجّع الهلالي على تجاهل وتحدّي الأصوات الأُسترالية التي طالبته بالتنحّي.. ثمّ في أثناء زيارة لمصر أطلق الهلالي تصريحاً آخر بثّه التلفزيون المصري قائلاً: «إنّ المسلمين أحقّ بأُستراليا أكثر من أهلها من أبناء الأنجلو ساكسون الذين ذهبوا إليها طائعين مكبّلين بالقيود والأغلال. أمّا المسلمون فقد ذهبوا إلى الأراضي الأُسترالية بحرّيتهم بحثاً عن فرص أفضل في الحياة، وإنّه لا حرّية ولا ديمقراطية للمسلمين في هذا البلد، وإنّ الغربيّين ـ خصوصاً الإنجليز ـ خبثاء وغير عادلين، وإنّ الكنائس المسيحية سمحت للمثليّين بالزواج».

في البداية هزأ رئيس الحكومة «جون هاورد» بهذا الكلام وتعمّد تخفيف وقعه، لكن أُستراليا الرسمية والشعبية هبّت في صوت واحد مطالبة الهلالي بالبقاء في مصر وعدم العودة إلى أُستراليا، ما أحرج أقرب المقرّبين إليه، وأرسلت الجمعية اللبنانية الإسلامية برئاسة صديق زريقا خطاباً إلى الهلالي وأربعة أئمّة تطلب منهم عدم الحديث إلى أجهزة الإعلام وعدم التعامل مع إذاعة «الصوت الإسلامي» بعد أن أثار الأئمّة الخمسة جدلاً بحديثهم عن الجهاد وموقف الإسلام من اليهود، وأوضح زريقا أنّ اختيار الأئمّة للعمل في أُستراليا يجب أن يكون على مقدار فهمهم للقيم الأُسترالية.

وفي يوم الأحد ١٠ / ٦ / ٢٠٠٧ م تنحّى الشيخ تاج الدين الهلالي عن منصبه كمفتي أُستراليا، وتمّ الإعلان عن تعيين الشيخ فهمي ناجي الإمام مفتياً جديداً لأُستراليا خلفاً

للهلالي لفترة ولاية تستمرّ لمدّة عامين، وفي أعقاب اجتماع مغلق لمجلس الأئمّة الأُسترالي في مسجد بريستون بضاحية ملبورن الأحد ١٠ / ٦ / ٢٠٠٧ م صرّح المجلس أنّه حاول التجديد للهلالي كمفتٍ للبلاد، ولكنّه رفض البقاء في هذا المنصب، وأثنى المجلس على الجهود والخدمات التي قدّمها الشيخ الهلالي خلال الأعوام الماضية داعياً الله له بدوام الصحّة.

وقيل: إنّ الهلالي التي تولّى منصب الإفتاء منذ عام ١٩٨٨م يعاني من إعياء صحّي، وكان قد تمّ نقله إلى المستشفى في أُكتوبر ٢٠٠٦ م بعد شعوره بالألم في الصدر.

من مؤلّفاته: الحرّية في الإسلام، تحذير المسلمين من غلوّ المتنطّعين، حوار هادئ مع العلمانيّين، دليل الحاجّ والمعتمر، مواجهات صريحة بين السنّة والشيعة، ديوان شعرى «خواطر في سجن القناطر»، زاد الدعاة من الخطب والمحاضرات، زاد المسلم المهاجر في فقه الدنيا والدين، الجامع المبين لإصلاح قلوب المسلمين، حوار بين شابّ مسلم وآخر أميركي.

يقول الشيخ: «وبعد ـ أخي المسلم ـ إنّ رسول الله ﷺ يهتف في أعماقك وسويداء قلبك قائلاً: «إنّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»، وربّ العزّة جلّ وعلا ينادينا: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾.

إنّ قواعد الشريعة سمحة مرنة سهلة، وسّعها الله تعالى فلا تضيّقوها، ويسّرها فلا تعقّدوها، وما أنزلها الله تعالى إلّا لتحقيق مصالحنا، وأوّلها الوحدة والتوحيد والتآخي والاعتصام بحبل الله تعالى.

وإنّ تعدّد الأراء في المسائل المختلف فيها لا يفسد للودّ قضية، ولا يحول دون الحبّ والاحترام والتقدير.

إنّ كلّ الجماعات والفرق الإسلامية على ثغرة من ثغور الإسلام، تنضوي تحت لوائه، وتدافع عن حرماته في حدود مكاناتها وتخصّصاتها وتوجّهاتها، وتعمل على عودة دولته

الضائعة المسلوبة . وأعداء هذا الدين لا يفرّقون بين طائفة وأُخرى ، وإنّما يخطّطون لاستئصال شأفتكم وإلغاء وجودكم .

وإنّ الالتفات عن تلك المهمّة وهذا الهدف بأن يحارب بعضنا بعضاً ويكفّر المسلمون بعضهم ويتّصفون بصفة أهل النار كلّما دخلت أُمّة لعنت أُختها ، إنّما هو جريمة موبقة لا تخدم إلّا مصلحة أعداء الإسلام .

إنّني أردت بهذا المبحث أن يكون ومضة نور تزيل ظلمة ما في الصدور ، وهو تذكرة للمتعنّتين والمتهوّسين والمغرضين والمنتفعين المبتلين بالميول العدوانية وضحالة العلم وضيق الأُفق واللائذين حين تعوزعهم الحجّة ويخالفون في الرأي إلى الشتم واللعن والتكفير ، فهذه بضاعة المفلسين ورأس مال المتنطّعين !

واعلم أنّك لو اطّلعت على آراء وأدلّة مخالفيك لالتمست لهم العذر وحسّنت بهم الظنّ وما بلغ بك التعصّب إلى درجة التكفير أو التبديع ، ولا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإن ظنّ أنّه قد علم فقد جهل ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

إلامَ الخلاف على ذي (الفروع)	وكلّ ينافحُ عن مذهَبهْ
وليس الصوابُ بحكر على	فقيه ولا مقتد بَعْدَ بهْ
تعدّدت (الطرق) نحو الصواب	فخذ ما تشاء ولا تشتبهْ
وَمَثّلْهُ بـ (الكعبة) المصطفاة	ونحن حوَاليها (فانتبهْ)

وأُذكّر بما قاله الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قاعدته العلمية : « حسبنا من المسلم ما يكون به مسلماً » ، وسيبقى الخلاف مادام هناك اختلاف في العقول والتحصيل والفهم والاستنباط والبيئات .

وإنّ محاولة جمع المسلمين في مذهب واحد وعلى فكر واحد ورأي واحد أمر صعب المنال وغاية لا تدرك ، وهو لحم جمل غثّ على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى ، وهو أمر دونه جمع نجوم السماء ، والله تعالى يقول : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ » .

توفيق الشاوي

القاضي المستشار الدكتور توفيق محمّد إبراهيم الشاوي: مفكّر وحقوقي وداعية إسلامي.

ولد الشاوي عام ١٩١٨م بقرية الغنيمية ـ مركز فارسكور ـ دمياط، وهو أحد الرعيل الأوّل لجماعة الإخوان المسلمين ممّن رافقوا الإمام حسن البنّا.

حصل على الشهادة الابتدائية بتفوّق في دمياط، ثمّ التحق بالمدرسة الثانوية بالمنصورة، وحصل منها على الشهادة الثانوية، وكان ترتيبه الثاني على القطر المصري، ثمّ التحق بكلّية الحقوق بجامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الحقوق بتفوّق، وكان ترتيبه الثاني، ثمّ عيّن في النيابة في المنصورة. ولمّا فتح باب البعثات في عام ١٩٤٥م سافر إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه في جامعة باريس، وحصل عليها في نهاية عام ١٩٤٩م ليعود إلى مصر، ويعيّن مدرّساً بكلّية الحقوق بجامعة القاهرة. وقبل سفره كان قد عُيّن مدرّساً مساعداً في الكلّية التي حصل منها على الليسانس في عام ١٩٤١م، ثمّ عيّن وكيلاً للنائب العامّ لمدّة سنتين قبل أن ينقل منها إلى الجامعة في عام ١٩٤٤م، وفي عام ١٩٤٥م أُبعد عن الجامعة مع عدد كبير من الأساتذة، واستدعته الحكومة المغربية للتدريس في كلّية الحقوق بجامعة محمّد الخامس بالرباط، ثمّ انتقل منها إلى تدريس الفقه المقارن في جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، ثمّ أُعيد لكلّية الحقوق بجامعة القاهرة في عام ١٩٧٤م، وبعد تقاعده استمرّ يعمل في المحاماة والاستشارات القانونية، وهذه هي مسيرته كأُستاذ للقانون في مصر والمغرب والمملكة العربية السعودية.

وإلى جانب هذه المسيرة الطويلة كأُستاذ جامعي فإنّ له دوراً كبيراً في طريق العمل للصحوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي.

في عام ١٩٥٦م كان المغرب وتونس قد أعلنتا استقلالهما، ودعاه أصدقاؤه من الوزراء المغاربة إلى مشاركتهم في إعداد النظم والقوانين الحديثة، فعيّن قاضياً بالمحكمة العليا بالرباط عام ١٩٥٩م، وأُستاذاً بجامعة الملك محمّد الخامس، ثمّ مستشاراً بالمجلس الأعلى لمحكمة النقض المغربية، ثمّ مستشاراً قانونياً للبرلمان المغربي.

انتقل إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٩٦٥م، حينما تعاقدت معه وزارة البترول كمستشار قانوني لإدارة الثروة المعدنية في جدّة، ثمّ عيّنه الملك فيصل عضواً بالمجلس الأعلى لجامعة الرياض، وفي عام ١٩٦٦م أُعطي الجنسية السعودية، ثمّ عيّن أُستاذاً للقانون والفقه المقارن بكلّية الاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة، واستمرّ يتعاون مع الأمير محمّد الفيصل في مشروعه لإنشاء مدارس المنارات وإدارتها ابتداءً من عام ١٩٧١م، والاتّحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية الذي أُنشئ تحت إشراف منظّمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٧٦م. كما تعاون مع «تنكو عبد الرحمان» عندما كان الأمين العامّ لمنظّمة المؤتمر الإسلامي في إعداد اتّفاقية تأسيس البنك الإسلامي للتنمية، ثمّ شارك في تأسيس بنك فيصل الإسلامي بالخرطوم والقاهرة، وبقي عضواً بمجلس إدارة هذا البنك عشر سنوات، ممّا أدّى به إلى نشر ثلاث كتب عن الاقتصاد الإسلامي في التطبيق.

شارك مع المرشدَيْن لجماعة الإخوان المسلمين عمر التلمساني ومحمّد حامد أبو النصر برفع الدعوى ١٣٣ لسنة ٣٢ قضاء إداري، وطالبوا بإلغاء قرار مجلس قيادة الثورة بحلّ الإخوان، واستمرّت الدعوى في التداول حتّى عام ١٩٩٢م حين قضت محكمة القضاء الإداري في ٦ / ٢ / ١٩٩٢م بعدم قبول الدعوى؛ لعدم وجود قرار إداري بحلّ الإخوان، وقرّرت في حيثيات حكمها: «أنّه من حيث المستقرّ عليه فقهاً وقضاءً أنّه يشترط لقبول دعوى الإلغاء أن يكون هناك قرار إداري سواء أكان هذا القرار إيجابياً أو سلبياً، فإذا انتفى مثل هذا القرار تعيّن الحكم بعدم قبول الدعوى. وإذا ثبت ممّا سلف ذكره أن ليس هناك قرار سلبي يمنع جماعة الإخوان من مباشرة نشاطها، فمن ثمّ يتعيّن ـ والحالة هذه ـ القضاء بعدم قبول هذا الطلب؛ لانتفاء القرار الإداري».

وبناءً على ذلك الحكم فإنّ القضاء الإداري يقرّ بأنّه ليس هناك قرار يمنع الإخوان من ممارسة أنشطتهم، ورغم ذلك قام الإخوان برفع دعوى استئناف لذلك الحكم، ولم يحكم فيها إلى يومنا هذا، وهو حكم يحتاج إلى قرار سياسي أكثر منه إلى إجراء قانوني.

من مؤلّفاته: مذكّرات نصف قرن من العمل الإسلامي، فقه الخلافة الإسلامية وتطوّرها

لتصبح عصبة أُمم للعلّامة السنهوري ، الموسوعة العصرية للفقه الجنائي الإسلامي ، السنهوري من خلال أوراقه الشخصية ، الفتن العصرية ، منافذ التجديد في الموسوعة العصرية للفقه الجنائي الإسلامي ، الشورى أعلى مراتب الديمقراطية ، فقه الحكومة الإسلامية بين السنّة والشيعة ، بنك فيصل الإسلامي ، اعترافات كوبلاند ، فقه الشورى والاستشارة ، سيادة الشريعة الإسلامية في مصر ، الشرق الأوسط والأُمّة الوسط ، اقتصاد المستقبل ، قصص البنوك الإسلامية «البنك الإسلامي للتنمية » ، كمين في بيروت (قصّة) ، هندي في السجن الحربي (قصّة) ، صمود الأزهر في الدفاع عن قيم الإسلام ومقدّساته ، فقه الإجراءات الجنائية ، جرائم الأموال ، المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية ، التشريع الجنائي في الدول العربية ، المبادئ الأساسية للتنظيم القضائي في البلاد العربية ، التعديلات التشريعية في قانون الإجراءات الجنائية ، حرمة الحياة الخاصّة ونظرية عامّة في التفتيش ، تعليقات على قانون الإجراءات الجنائية الجديدة في المغرب ، قضاء المجلس الأعلى المغربي في المسائل الجنائية .

كما ألّف بالفرنسية كتاب « نظرية التفتيش » ، وقد طبعته جامعة القاهرة على نفقتها الخاصّة .

توفّي الشاوي بتاريخ ٨ /أبريل / ٢٠٠٩ م عن عمر ناهز ٩١ عاماً ، وتمّ تشييع جنازته بمسجد عمر الفاروق بحي المعادي بالقاهرة .

توفيق علي وهبة

توفيق علي وهبة : مستشار قانون مرموق ، وداعية تقريب .

ولد بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٤٠م في ديرب نجم الشرقية بمصر ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ، وواصل دراساته العليا في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني حتّى حصل على الدكتوراه .

وهو عضو في عدد من الهيئات العلمية ، كرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، والجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

الإسلامية، ومجلس إدارة جماعة دار التقريب بالقاهرة، وجمعية الحقوقيّين، وغيرها.

عمل سابقاً مستشاراً لوزارة الداخلية السعودية (الأمن العامّ)، وتقلّد عدّة وظائف قانونية واستشارية وقيادية ببلاده وخارجها ابتداءً من عام ١٩٦٤م حتّى الآن.

شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والمحلّية، وشارك في كثير من الندوات والمحاضرات في الداخل والخارج، وله مشاركات متعدّدة في الدعوة للتقريب بين المذاهب، كما تستشيره عدد من المنظّمات العربية والإسلامية في مجال التشريع الجنائي الإسلامي ومكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين.

قام بوضع العديد من القوانين والأنظمة واللوائح، وشارك في الإعداد والتخطيط ووضع برامج عدد من المؤتمرات والندوات المتعلّقة بالتشريع الإسلامي، وشارك مع خبراء البنك الدولي للإنشاء والتعمير في وضع برامج ومناهج التعليم والتدريب المهني لنزلاء السجون، وشارك مع خبراء البنك الدولي للإنشاء والتعمير في وضع برامج تعليمية وتدريبية للأفراد العسكريّين، وتدرّس بعض كتبه في عدد من الجامعات الإسلامية والمعاهد العسكرية والمتخصّصة. وهو يساهم منذ أكثر من أربعين عاماً في الكتابة في العديد من المجلّات الإسلامية والأدبية والمتخصّصة في العالمين العربي والإسلامي. كما يساهم في المحاضرات العامّة في المواسم الثقافية لبعض الجامعات والمراكز البحثية والنوداي الأدبية والدور الصحفية والجمعيات، وله العديد الأحاديث والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، ويساهم في تقييم ومنافسة الرسائل الجامعية والبحوث والكتب المقدّمة إلى بعض الجهات الأكاديمية.

ألّف وحقّق أكثر من ستّين كتاباً في الفكر الإسلامي والأدب ومقارنة الأديان، وترجمت بعض كتبه وأبحاثه إلى اللغة الإنجليزية والتركية.

أسّس المركز العربي للدراسات والبحوث، ويرأس مجلس إدارته. وهو مؤسّسة بحثية تضمّ جماعة من كبار العلماء والمفكّرين. ويعمل في مجال الفكر الإسلامي والتشريع وردّ الشبهات والإعجاز العلمي في القرآن والسنّة وتحقيق وتنقية كتب التراث.

أسّس مجلّة علمية بحثية محكمة تصدر عن المركز سالف الذكر باسم «بحوث ودراسات»، ويرأس مجلس إدارتها. وهي تعالج قضايا العصر في ضوء الفكر الإسلامي، ويرأس تحريرها الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح. كما أسّس مجلّة بحثية محكمة باسم «عالم البحوث والدراسات»، وهو رئيس مجلس إدارة جريدة «حول العالم» وجريدة «أخبار العالم»، ونائب رئيس مجلس إدارة جريدة «البرلمان العربي».

من مؤلّفاته: حقوق الإنسان بين الإسلام والنظم العالمية، الإسلام أمام افتراءات المغتربين، شبهات وانحرافات في التفكير الإسلامي المعاصر، الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية.. دراسة مقارنة، محاضرات في إدارة دور الإصلاح والتهذيب.. المؤسّسات العقابية، من وحي الإسلام، التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي، الشعر الشعبي.. شعر أم زجل، محاضرات في حماية الآداب العامّة، الإسلام في مواجهة أعدائه، الدعاء المختار من الكتاب والسنّة، الحرب في الإسلام والقانون الدولي العامّ، الحجّ والعمرة في الكتاب والسنّة، المرأة في الإسلام.. قضايا نسائية معاصرة وموقف الإسلام منها، السلوك الصوفي (بالاشتراك)، الجهاد في الإسلام، الحرب في الإسلام والمجتمع الدولي المعاصر، الإسلام شريعة الحياة، دور المرأة في المجتمع الإسلامي.

يقول في ورقة عمل قدّمها إلى المؤتمر الدولي الثالث والعشرين للوحدة الإسلامية بطهران: «إنّ أُمّة الإسلام في محنة وشدّة وأزمة، لا مخرج منها إلّا بالرجوع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

نحن في حاجة إلى وحدة ويقظة إسلامية راشدة، تستفيد من الإيجابيات وتنبذ السلبيات، تعيد المجد والعزّة والكرامة إلى أُمّة الإسلام، وتدفع عنها ما ألحقه بها أعداء الداخل وأعداء الخارج.

اليقظة الإسلامية المطلوبة تسبق الوحدة وتمهّد لها، وتنبذ العنف والتعصّب والطائفية، وتعيد الأُمّة إلى رشدها وإلى دينها دون تطرّف لتصبح بحقّ خير أُمّة أُخرجت للناس، كما وصفها ربّنا سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ، ومن النهي عن المنكر مكافحة الفئات المنحرفة التي تتبنّى أفكاراً ومعتقدات هدّامة وإرهابية ، تكفّر المجتمع ، وتقتل المخالفين ، وتستحلّ أموال المسلمين وغير المسلمين ، ولا يكون ذلك إلّا بالعودة إلى كتاب الله وسنّة رسول الله دون تشدّد ولا تعصّب ولا شطط ، بل التمسّك بالوسطية التي دعا إليها الإسلام .

واليقظة الإسلامية المطلوبة الآن يقظة شاملة في شتّى المجالات : في الفكر ، وفي العزم ، وفي العمل ، وفي العلم والتعليم ، وفي الاقتصاد ، وفي الصناعة والزراعة ، وفي القوّة العسكرية ، وغير ذلك ؛ حتّى يعود للأُمّة مجدها وفاعليتها ، وتصبح لها قوّة فاعلة في السياسة الدولية وفي العلاقات الإنسانية وفي التعامل مع بلاد العالم كبيرها وصغيرها .

إنّ الإسلام لا يقبل أن تكون بلاده كما كانت من قبل مستوطناً ومقرّاً للمستعمرين والأعداء من تتار ومغول وصليبيّين وصهاينة وغيرهم . فقد ابتلي المسلمون ابتلاءً عظيماً وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولمّا عادت لهم اليقظة والصحوة وقامت الأُمّة من غفوتها استطاعت أن تهزم كلّ أعدائها .

ولم يكن لهذه الأُمّة أن تقوم من كبوتها وتتغلّب على هزيمتها إلّا بالقوّة والتماسك ووحدة الصفّ والهدف ، ولا يكون ذلك إلّا بالإيمان والعودة إلى دين الله والاعتماد عليه سبحانه وتعالى .

إنّ اليقظة والصحوة التي أدّت إلى انتصار الأُمّة في كثير من معاركها قادها رجال أفذاذ عظماء أنجبتهم الأُمّة ، وهم كثر ، ولن تعجز الأُمّة أن تلد أمثالهم في كلّ عصر وحين .

إنّنا في حاجة إلى بثّ الحماس في مواجهة القضايا المصرية للأُمّة ومواجهة التيّارات الإلحادية ، سواء من الداخل أو الخارج ، والثقافات الوافدة التي تغزوها من كلّ صوب وتهدّدها في عقر دارها .

وعلماء الدين هم قادة الأُمّة المعتدلون والمتمسّكون بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، هم أصحاب دعوة الحبّ والتسامح ، ليس لديهم حقد على غيرهم من طوائف المسلمين .. إنّهم يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسن امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾.

لذا لا نجد من بينهم متطرّفاً ولا منحرفاً ولا إرهابياً، فهم القلب النابض لهـذه الأُمّـة، أصحاب فكر الوسط والتسامح والرحمة.

فعلماء الإسلام هم المؤهّلون لقيادة سفينة النجاة في هذا الوقت العصيب الذي تداعت فيه الأُمم على بلاد الإسلام الذين يريدون نهبها والقضاء على عقيدتها ودينها؛ لأنّهم يعلمون أنّ هذا الدين هو الذي يوحّد هذه الأُمّة ويأخذ بيدها إلى سبيل النجاة.

يقول المستشرق البريطاني المعاصر برنارد لويس: «إنّ الدول الإسلامية قد تسقط أو تزول كدولة بالغزو العسكري، ولكن المجتمع يظلّ في حياته محكوماً بقوانينه الإسلامية في معاملاته وعلاقاته ربّما عشرات السنين حتّى تقوم الدولة من جديد، وهي تجربة مرّت بها الدولة الإسلامية التي خضعت للاستعمار عشرات السنين».

فالعلماء والمراكز والمجامع هم الذيـن يـدفعون شـبهات الإرهـابيّين والمـتعصّبين وشبهات أعداء الله ويدرأون باطلهم جميعاً.. إنّهم الفئة المعتدلة المـهتدية التـي يـجب أن تتقدّم وتقود العمل الدعوي المستنير.. إنّهم أهل الله وأهل رسول الله المتمسّكين بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.. إنّهم حملة الحقّ المتمسّكين بما كان عليه سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) الداعين إلى الله على بصيرة إنفاذاً لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسول الله ﷺ.

فالإسلام يدعو أتباعه إلى الرحمة، فما بالنا نجد المتعصّبين والمـتشدّدين يـعتنقون أفكاراً شاذّة متطرّفة بعيدة كلّ البعد عن صحيح الإسلام؟ فالإرهاب لا يقيم ديناً ولا يصلح مجتمعاً، ويشيع الاضطراب والخوف بين الناس.. إنّهم يهدمون قواعد الدين وأُسسه التـي أُقيمت على قيم دينية وإنسانية عظيمة من المحبّة والعدل والسلام والتسامح.

إنّ بين أيدينا نوراً، ويريد هؤلاء لنا أن نعيش في الظلام! إنّهم لا يدركون أنّ روح أُمّتنا هو الإسلام، فهي لا تعيش إلّا به، ولا تنطلق إلّا منه، ولا تجتمع كلمتها إلّا عليه، ولا تحقّق نصراً إلّا تحت لوائه.

على العلماء والمؤسّسات الدينية تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الآخرين سواء في الداخل أو الخارج، وتعديل اتّجاهاتهم الفكرية، ولا يكون ذلك إلّا بيقظة إسلامية عامّة يقودها علماء الأُمّة؛ امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

قلنا: إنّ الأُمّة الإسلامية تتعرّض لحملات شرسة ومؤامرات خسيسة ودسائس مدبّرة من أعدائها المتربّصين بها، سواء في داخل البلاد من الخارجين عن إجماع أُمّتهم والداعين إلى توهين العقيدة في أنفس الناس وبثّ الشبهات والأباطيل والافتراءات ضدّ الإسلام عقيدة وشريعة، أو من أعدائها في الخارج المتمثّلين في دول الاستعمار والاستكبار العالمي التي تروّج للطائفية والعصبية، وتنشر الفتن والدسائس، وتحاول الوقيعة بين الدول الإسلامية وبين الفرق والمذاهب الإسلامية بإشعال نار التعصّب المذهبي بين السنّة والشيعة وبين أهل السنّة أنفسهم؛ حتّى يتعصّب كلّ أصحاب مذهب لمذهبهم، فتدبّ الخلافات، وتنتشر الأحقاد، وتنفصل عرى المجتمع، وتضعف قواه، وينشغل داخلياً بصغائر الأُمور؛ ليسهل للعدوّ الانقضاض على دول الإسلام دولة وراء أُخرى، فتنهب خيراتها، ويستغلّ ثرواتها، ويبقى جاثماً على صدرها، حتّى لا تستطيع الفكاك من سيطرته، وتصبح سوقاً رائجة لتجارته ومنتجاتها، وتظلّ هي في مؤخّرة الدول منشغلة بتكفير وتفسيق وتبديع بعضها بعضاً.

وإذا أرادت أُمّة الإسلام توحيد صفوفها وتوحيد كلمتها والوقوف يداً واحدة لبناء دولة قوية عزيزة الجانب يكون لها وضعاً مميّزاً ومؤثّراً في العالم، وضع العدوّ المتربّص بها العراقيل أمامها وشغلها بمشكلات الطائفية والقومية والتعصّب المذهبي لتبقى دولاً ضعيفة مفكّكة».

توفيق الفكيكي

أبو أديب توفيق علي ناصر الفكيكي البغدادي: محامٍ باحث، وأديب مؤلّف.

ولد سنة ١٩٠٣ م في «الكرخ» ببغداد، وتخرّج بالمدرسة الرشدية ببغداد، ثمّ بدار

المعلّمين، ثمّ بالحقوق. وقرأ الأُصول والأدب، ومارس المحاماة، وانتسب إلى سلك القضاء، ثمّ استقال منه.

وقد صنّف كتباً، منها: الراعي والرعية، أدب الفتوّة أو الدعاية العسكرية عند العرب، أقرب الوسائل لنشر الحضارة الصحيحة في العراق، الحجاب والسفور، حماية الحيوان في شريعة القرآن، المعاهدات في الإسلام، المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي، سكينة بنت الحسين، الإمام جعفر الصادق، دراسات في الفقه المقارن، القومية الإسلامية (جنسية القرآن)، هشام بن الحكم، أدب النخيل.

عمل في الصحافة، فأصدر جريدة «النظام» سنة ١٩٢٧ م، فعطّلتها حكومة الانتداب سريعاً. كما أصدر أيضاً جريدة «الرعد» سنة ١٩٤٨ م، ولم تلبث أن عُطّلت كذلك. وانتخب نائباً أيضاً.

توفّي سنة ١٩٦٩ م، وأُقيم له حفل تأبيني كبير بعد وفاته.

وقد نشرت له مجلّة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة «رسالة الإسلام» عدّة مقالات في سنة ١٩٥٠ م و١٩٥١ م و١٩٦٠ م، أحدها كان عنوانها «سبيل التفاهم». ناقش فيها نظريات الشيخ محمّد أبي زهرة المتوفّىٰ سنة ١٩٧٤ م حول ضوابط الرواية والتعديل، وحول الشيخ الكليني صاحب كتاب «الكافي»، وكذلك حول لفظ «المؤمنين» في وقوف الإمامية. وكلّ هذه المسائل تعرّض لها الشيخ أبو زهرة في كتابه «الإمام زيد»، فتعرّض لمناقشتها هذا الرجل المخلص، ونشر فصول المناقشة على قرطاس مجلّة «رسالة الإسلام»، وذلك في سنة ١٩٦٠ م، في العدد الأوّل من السنة الثانية عشرة للمجلّة.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢: ٩٢، هكذا عرفتهم ٣: ٤٣ ـ ٧٠، مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٤، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٧٣ ـ ٧٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٨٠ ـ ١٨١).

التيجاني عبد الرحمان

التيجاني عبد الرحمان أبو جديري: الداعية الإسلامي العالمي، والأمين العامّ لمنظّمة

الدعوة الإسلامية.

ولد في مدينة الأبيض عاصمة إقليم كردفان بغرب السودان، ونال تعليمه الابتدائي والمتوسّط في مدارس الأبيض، وتعليمه الثانوي بمدرسة خور طقت الثانوية، وانضمّ في هذه المرحلة (عام ١٩٥٤م) لتنظيم الإخوان المسلمين، وعمل في الحركة الإسلامية منذ ذلك التاريخ بجدّ ونشاط وإخلاص.

التحق بجامعة الخرطوم /كلّية الزراعة عام ١٩٦١ م، وعمل عند تخرّجه في مشروع الجنيد، ثمّ أصبح رئيساً لقسم الأبحاث في سكر الجنيد إلى عام ١٩٦٩ م.

ابتعث إلى الولايات المتّحدة لنيل درجة الدكتوراه، حيث وفّق لنيل درجتين بدل درجة. وأثناء وجوده في أمريكا كان رئيساً لاتّحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحّدة، ووهب نفسه لوضع الأُسس الصحيحة لهذا الاتّحاد، وحقّق في عهده إنجازات رائعة.

عند عودته من أمريكا ترك الوظيفة الحكومية وتفرّغ للعمل الإسلامي بعد المصالحة، وعمل بالتجارة.

وكان عضواً في مجلس الشعب السوداني، وعيّن وزيراً للزراعة في السبعينات الميلادية من القرن المنصرم.

له صلات واسعة بالعالم الإسلامي وعلاقات مع العاملين للإسلام في كلّ قطر من أقطار المسلمين وأوروبّا وأمريكا، وهو عضو في كثير من المنظّمات الإسلامية، أهمّها ندوة الشباب العالمي.

توفّي صباح يوم الثلاثاء أبريل (نيسان) سنة ١٩٨٤م في حادث حركة أليم بمنطقة القضارف إثر عودته من السعودية، حيث كان يعمل على وضع الترتيبات الأخيرة لافتتاح المقرّ الرئيسي لمنظّمة الدعوة الإسلامية ومشروعاتها، وكان الأمين العامّ لهذه المنظّمة الرائدة التي أُنشئت عام ١٤٠٠ هـ، ومقرّها الخرطوم.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٩٩ ـ ١٠٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٦٩ ـ ١٧٧٠).

❊ ❊ ❊

﴿حرف الجيم﴾

جاد الحقّ علي جاد الحقّ

جاد الحقّ، جاد الحقّ: أحد شيوخ الأزهر المعروفين.

ولد ببلدة بطرة مركز طلخا بمحافظة الدقهلية بمصر سنة ١٩١٧ م، وتعلّم بالأزهر بعد أن حفظ كتاب الله، والتحق بالمعهد الأحمدي بطنطا ودرس المذهب الحنفي، وحصل على الشهادة العالية من كلّية الشريعة العالمية مع الإجازة في القضاء سنة ١٩٤٥ م، ثمّ نصب قاضياً شرعياً، ثمّ مفتشاً قضائياً، فمستشاراً بالمحاكم الشرعية، ثمّ كان مفتياً للديار المصرية سنة ١٩٧٨ م، ثمّ وزيراً للأوقاف سنة ١٩٨٢ م، فشيخاً للأزهر، وهو الثاني والأربعون فيهم. كما كان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠ م، واختيراً رئيساً للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة إلى جانب مشيخته للأزهر، وهو عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أيضاً سنة ١٩٦٥ م، وعضو المجلس الأعلىٰ للمساجد.

منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٩٥ م، ووشاح النيل من مصر سنة ١٩٨٣ م، ووسام الكفاءة والعلوم من المغرب عام ١٩٨٤ م.

عرف بتواضعه في مسكنه ومأكله.

له: من أحكام القرآن وعلومه، الختان، الحكم الشرعي في التدخين، نقض الفريضة الغائبة، الطفولة في ظلّ الشريعة الإسلامية، الفقه الإسلامي.. مرونته وتطوّره، أحكام الشريعة في مسائل طبّية عن الأمراض النسائية، أحكام قضائية، رسالة في الاجتهاد وشروطه، الأزهر في ندوة الفقه الإسلامي بعمّان، المسجد.. إنشاءً ورسالةً وتاريخاً، سمات الحلال والحرام، قدسية الحرمين الشريفين. وطبعت له «فتاوى».

بذل جهداً للتأكيد على الروابط في المجتمعات الإسلامية وتحسين أوضاع الأقلّيات المسلمة، واهتمّ بالبحوث في أُصول الدين وفروعه والمعارف الإسلامية، ممّا كان له نتائج طيّبة وفوائد، منها التوسّع بإنشاء المعاهد الدينية ومكاتب الدعوة والإرشاد.

توفّي عام ١٩٩٦م.

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٢: ٣٩٩ ـ ٤٠٠، موسوعة ألف شخصية مصرية: ١٧٢، الموسوعة العربية العالمية ٨: ١٠٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٦٨ ـ ٨٨، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٦٩، إتمام الأعلام: ٩٣، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٩٥ ـ ١٩٦).

جعفر الشهيدي

جعفر بن محمّد السجّادي الشهيدي: مؤرّخ وأديب وباحث إيراني شهير، وداعية تقريب.

ولد السيّد جعفر سنة ١٢٩٧ هـ. ش. في محلّة قديمة من محلّات مدينة بروجرد الإيرانية، ودرس الابتدائية وبعض سنوات المتوسّطة في مسقط رأسه، ثمّ أكمل دراسته في طهران. وفي سنة ١٣٢٠ هـ. ش. سافر إلى مدينة النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية فقهاً وأُصولاً، فنال قسطاً وافراً من العلوم. ومن بعد ذلك رجع إلى بلده، فدرس في مدينة قم أيضاً، وحضر الأبحاث العالية عند السيّد حسين البروجردي وغيره من المراجع.

غير أنّه قد أصابه المرض الذي لازمه سنيناً طوالاً وكان سبباً في عدم إكماله الدراسة الدينية، فآثر ترجمة بعض المتون العربية إلى اللغة الفارسية عند الدكتور سنجابي (وزير الثقافة الإيرانية آنذاك)، ثمّ قام بالتدريس في إعدادية «أبو مسلم»، ومن بعد ذلك استطاع الحصول على شهادة بكالوريوس الإلهيات بمعدّل ممتاز من الجامعة.. ويعدّ الشهيدي من أبرز تلاميذ الأساتذة: علي أكبر دهخدا، وبديع الزمان فروزان فر، وجلال الدين همائي، ومحمّد مغني.. وقد وصفه أُستاذه دهخدا بقوله في رسالة بعثها إلى الدكتور آذر (وزير الثقافة الإيراني وقتئذٍ): «إنّ الشهيدي إن لم يكن عدم النظير في نوعه، فهو على الأقلّ قليل

النظير »، وهذه المقولة تكشف ما كان عليه الشهيدي من مرتبة علمية عالية . وقد حصل الشهيدي على الدكتوراه في التاريخ من الجامعة ، فعيّن أُستاذاً في الجامعة ، وقام بهذه الوظيفة إلى سنة ١٣٤٥ هـ. ش.

وقد شغل عدّة وظائف، منها : معاون رئيس مؤسّسة «لغت نامه» دهخدا سنة ١٣٤٢ هـ.ش ورئيس المؤسّسة سالفة الذكر، ورئيس المركز العالمي لتعليم اللغة الفارسية سنة ١٣٦٨ هـ. ش، ومعاون تنظيم وإعداد لجنة كتابة قاموس « معين » الفارسي .

وقد صاهر الشهيدي الأُستاذ السيّد غلام رضا سعيدي الذي يعدّ من الكتّاب والباحثين الإيرانيّين المعروفين في العهد المعاصر .

توفّي الساعة الحادية عشرة صباحاً يوم الأحد المصادف لـ٢٣ / دي / ١٣٨٦ هـ. ش. في طهران، ودفن في جامعتها .

من جملة مصنّفاته : مهدويت وإسلام (المهدوية والإسلام)، جنايات تاريخ (جرائم التاريخ)، جراغ روشن در دنياي تاريك (المصباح المنير في دنيا الظلام)، ويتمحور هذا الكتاب حول حياة زين العابدين عليه السلام ، در راه خانه خدا (في الطريق إلى بيت الله)، بس از بنجاه سال .. بجوهشي تازه بيرامون قيام إمام حسين (بعد خمسين عاماً .. بحث جديد حول النهضة الحسينية)، شرح لغات ومشكلات ديوان أنوري (شرح لغات وغرائب تعابير ديوان الأنوري)، تاريخ تحليلي إسلام (تاريخ الإسلام التحليلي)، زندكاني حضرت فاطمة (حياة فاطمة)، آشنايي با زندكاني إمام صادق (إلمامة وقبس من سيرة الإمام الصادق عليه السلام ، ستايش وسوك إمام هشتم در شعر فارسي (مدح ورثاء الإمام الثامن ـ الرضا عليه السلام ـ في الشعر الفارسي)، علي أز زبان علي (حياة علي على لسانه)، أز ديروز تا إمروز (من الأمس إلى اليوم).

ومن جملة تحقيقاته وتصحيحاته : براهين العجم لمؤرّخ الدولة سبهر، الدرّة النادرة وتلخيصها. ومن جملة ترجماته إلى الفارسية : نهج البلاغة، وبطلة كربلاء. ويصل عدد مقالاته إلى حدود ١٢٠ مقالة، وقد فاز كتابه « تاريخ تحليلي إسلام » بجائزة كتاب السنة

الإيراني عام ١٣٨٥ هـ. ش. وترجمت بعض كتبه إلى العربية والتركية والألمانية واليونانية.

يقول الشهيدي في مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية في عددها الأوّل ـ وكانت المقالة بعنوان «خطوات نحو التقريب» ـ ما نصّه: «دعوة المسلمين إلى الوحدة وعدم التفرّق ليست وليدة العصر، ولا من مخترعات دار التقريب أو مجمع التقريب، بل بدأت منذ أن أنزل الله تعالى على قلب نبيّه العظيم قوله عزّ من قائل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وحذّرهم من الشقاق، وحثّهم على عدم التخاصم، وقال: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦).

أمّا دعوة المسلمين إلى الاتّحاد، وترك الخلافات المذهبية جانباً، أو الغمض عن الخلافات بالمعنى الأدقّ، والأخذ بما يقرّه الكتاب والسنّة، وقيامهم جميعاً في وجه الأعداء، فهذه بدأت منذ قرنٍ ونصف حينما تسلّط المستعمر الغاشم على المسلمين واستولىٰ عليهم، وسلبهم كلّ ما في يدهم من الإمكانات، حتّى الاطمئنان على دينهم الإلهي ولغتهم القومية، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت! عند ذلك تداركتهم رحمة الله تعالى، وقام غير واحد من رجال الدين يبلّغون كلمات الله، ويحذّرون المسلمين من الخطر الذي أحدق بهم.

فطفقت الشعوب تهبّ من نومتها شيئاً فشيئاً، وتحرّكت النفوس، وتبصّرت الفرق بأنّ أعدائهم يشنّون الغارات عليهم من كلّ جانب، ويحتلّون أراضيهم، ويستغلّون مصادر ثرواتهم، وتفطّنوا إلى أنّ هذا الاستيلاء لم يتحقّق إلّا من جهة تشتتهم، فلا تبالي أُمّة بما يجري على الأُخرى.

وأخطر وأهمّ من هذه الهجمة العنيفة أنّ العدوّ المسيطر كان قد تقدّم في ميادين العلم أشواطاً واسعة، في حين أنّ الأُمّة الإسلامية على اختلاف أجناسها وبيئاتها كانت تخوض في المباحث غير اللازمة والمناقشات التي تنتهي إلى الاشتباكات الدامية أحياناً! عند ذلك قام بعض ذوي الغيرة على الإسلام من العلماء ودعاة الدين بدراسة الشعوب وإلفات أنظار العلماء خاصّة، وطلبوا منهم أن يدرسوا الموقف درساً عميقاً؛ ليصلوا إلى نقاط مشتركة،

ويواجهوا العدوّ، ويثبتوا قبال التيّارات التي تهدّد كيان الإسلام.

ولم يكن مع الأسف لهذه الدعوة صدى عميق، وإن استجاب لها عدد من الشخصيات البارزة من جملتهم العلماء والكتّاب، وكان السبب هو تفكّك الأُمّة إلى وحدات متباينة من ناحية الميزات العنصرية والأشكال الإقليمية والمناقشات العقائدية، ولم يكن ذلك يفسح المجال لتؤثّر الدعوة أثرها المطلوب فتصل إلى الآفاق البعيدة.

وبعدما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وبعدما ذاقت الأُمّة الإسلامية ألواناً مرّة من الهدم والنهب والقتل، وبعدما تنبّهت الشعوب إلى أنّ تلك الخسائر التي تحمّلتها لم تكن إلّا نتيجة التفكّك وعدم التفاهم بين أتباع المذاهب، قام عدد من علماء الأزهر الشريف مع عددٍ من علماء إيران والعراق، وأنشأوا دار التقريب بين المذاهب الإسلامية؛ لتبصير الأُمّة بمختلف شعوبها، وتحذيرهم من عواقب هذا التفرّق ووجوب التخلّص منه، ولزوم تعارف المذاهب، والأخذ بما يقرّه القرآن الكريم والسنّة النبوية.

ورحّب بهذه الدعوة عدد كبير من علماء مصر وإيران والعراق والبلاد الإسلامية الأُخرى، واعتنق الفكرة آلاف من المسلمين، وإن سمعنا بجانبها نعرات تردّد: إنّ دار التقريب تريد أن يترك المسلمون مذاهبهم ويدينوا بمذهب جديدا! ليضعوا التقريب ـ وذلك بزعمهم الفاسد ـ في قفص الاتّهام. ومع الأسف لم تكن صفقتهم خاسرة كلّياً، وظهرت في الأسواق كتيّبات كتبها بعض المتطفّلين على موائد الكتابة ليشتروا بها ثمناً قليلاً. وأمّا أعداء الإسلام والمسلمين والمستعمرين الذين يريدون أن يسيطروا على الأُمّة الإسلامية فإنّهم اتّخذوا من هذه الخلافات أبواباً يلجّون منها إلى التدخّل في شؤون هذه الأُمّة.

والآن وبعدما مضت على إنشاء دار التقريب خمسون عاماً تشهد إنشاء (مجمع التقريب) في طهران بأمر قائد الثورة الإسلامية العظيم وتحت رعايته، وبمشاركة جماعة من قادة العلم والدين من مختلف المذاهب الإسلامية.

إنّهم رأوا من واجبهم الديني أن يدعو المسلمين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم الإسلامية لقطع أسباب الخلاف والتفرقة، ولكن نرى في نفس الوقت أنّ ثمّة أيادٍ أثيمة

أخذت تتلاعب بالأذهان الخالية والأفكار الساذجة وتنفث في آذانهم: أنّ مجمع التقريب يريد أن يحثّ طوائف المسلمين على ترك مذاهبهم والدخول في المذهب الشيعي! ونرىٰ أيضاً بعض إخواننا الشيعة يقولون: إنّ الغرض الأصلي للمجمع رفض التشيّع وإلزام المسلمين باعتناق المذهب السنّي!

فتبيّن إذاً أنّ أوّل شيء حال بين دعاة دار التقريب ومجمع التقريب وبين الوصول إلى أُمنيتهم هو عدم وقوف كثير من أتباع المذاهب على معنى التقريب، وهذا هو الذي لم يسمح لدعاة التقريب بالنجاح في ميدان العمل الديني منذ أعوام: لأنّ جهل بعض الشعوب يستلزم خواراً في إرادتها، وهذا ما يفسح المجال أمام الأعداء، فإن قام عدد من العلماء بالدعوة فإنّهم سوف لا يستطيعون ـ والحال هذه ـ أن يحصلوا على مساعدين كثيرين يطمأن باستقامتهم وإخلاصهم لمبادئ هذه الدعوة.

لذا فالذي يقع على عاتق مجمع التقريب كوظيفة إسلامية ـ لو أراد توسيع دائرة العواطف المشتركة ـ هو أن يقوم عاجلاً بالأعمال التالية:

أوّلاً: الصلة الدائمة بين المكتب الرئيسي وأعضاء اللجنة العليا للمجمع عن طريق اللقاء والمكاتبة واستطلاع آرائهم والاستخبار عن نشاطاتهم.

ثانياً: إكثار الصلات بين أعضاء اللجنة وبين علماء المسلمين من جهة، وبين العلماء والشعوب من جهة أُخرى؛ لتبادل النظر والبحث عن الخطط التي تنتهي إلى التقريب.

ثالثاً: الإعلان لعامّة المسلمين عن طريق أجهزة الإعلام بأنّ الغرض من التقريب ليس نسخ المذاهب الإسلامية ـ معاذ الله ـ بل الغرض تعرّف كلّ مذهب على الآخر.

رابعاً: الإعلان لعامّة المسلمين بأنّ الخلافات المذهبية لا تضرّ بالوحدة مادام المسلمون يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ويصلّون إلى قبلة واحدة.

ولقد كان الخلاف موجوداً بين أئمّة المذاهب الإسلامية المختلفة في الفتاوى، ولم تسمع أنّ أحداً منهم أفتى ببطلان المذهب الآخر. وقد روي عن الإمام الشافعي أنّه قال: «مذهبي صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيري خطأ يحتمل الصواب»، ويحكي لنا التاريخ

أنّ المسلمين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية في عصر الخلفاء، وفتح الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها، وتفتّحت القلوب لدعوتهم، ولم يكونوا في ذلك العصر على مذهب فقهي واحد.

إنّ التقارب المطلوب هو أن يفهم أتباع كلّ مذهب الآخر، لا أن يدين جميع الفرق بمذهب واحد، وقد قال الرسول الأعظم ﷺ عند خروجه لحرب بني قريظة: «من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلا يصلّي العصر إلّا في بني قريظة»، فانطلقوا، فلمّا أدركهم العصر في الطريق صلّى بعضهم، وأصرّ البعض الآخر على ألّا يصلوا إلّا في بني قريضة، واختلفوا، فلمّا عادوا إلى الرسول واحتكموا إليه قال لكلّ فريق منهما: «أصبتم».

خامساً: ليكن معلوماً أنّ الوحدة التي نحن نطلبها ونريد دعمها هي: الوحدة بين الشعوب الإسلامية، لا بين الزعماء وذوي السلطات السياسية.

سادساً: إنّ الوحدة التي نأمل أن نصل إليها هي الأخذ بما ترتضيه جميع الشعوب الإسلامية على اختلاف عناصرها وبيئاتها.

إنّ الوحدة الإسلامية التي أوجدها المسلمون في صدر الإسلام وبلغت بالمجتمع الإسلامي إلى ذروة العزّ والمنعة إنّما حصلت كنتيجة للإيمان، إيمان المسلم بنفسه، إيمانه بربّه، إيمانه بمجتمعه.

وأظنّ أنّ مجتمع اليوم أشدّ حاجة إلى بثّ هذه الدعوة الإسلامية الإنسانية من الوقت الذي أظهر فيه محمّد ﷺ دعوته في بطن مكّة؛ إذ اليوم العالم بطوله وعرضه وبما بلغ من التقدّم الصناعي ومع أنّ الإنسان مسّ بقدميه سطح القمر لم يذق بعد طعم العيش الرغيد والحياه السعيدة، فلتكن أوّل وظيفة يقوم بها مجتمع التقريب وأعضاؤه إبلاغ هذه الرسالة الإسلامية الإنسانية من جديد.

سابعاً: إفهام الشعوب الإسلامية بأنّ مجمع التقريب لا يريد أن يتّحد المسلمون بالمعنى السياسي للكلمة، بأن تحكم عليهم حكومة واحدة، حتّى يستلزم ذلك إلغاء الحدود والقرارات السياسية التي تكون بين الحكومات الإسلامية.

ثامناً : إنّ الغرض من التقريب أن تتحرّك الشعوب وتقف في وجه المستعمر والاستعمار ؛ حتّى تخلع الربقة وتتخلّص عن الرقّية ، فإنّهم إذا تخلّصوا من شباك المستعمرين أمكنهم أن يصلوا إلى الحرّية التي كانوا يتمتّعون بها في ماضي الأعوام .

إنّ الله تعالى يريد منّا ـ نحن المسلمين ـ أن نكون أُمّة واحدة ، ويحذّرنا عن التفرقة . وهذه الوحدة تنحصر في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وفوق العنصريات والاقليميات .

فإذا أردنا أن نسلك المنهج الذي ينتهي بنا إلى التخلّص من هذه المشاكل ونصل إلى الضالّة المنشودة التي نطلبها يجب علينا أن نتمسّك بما هو المسلّم المقطوع به بيننا وندع الخلافات .

ولا شكّ أنّ هناك صعوبات وعراقيل تحول بيننا وبين أُمنيتنا هذه ، ولكن لنعتمد على الله ونستعين به ، فقد قال عزّ مَن قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (سورة العنكبوت : ٦٩) » .

(انظر ترجمته في : الذريعة ١٦ : ٩٦) .

جعفر عبد السلام

جعفر عبد السلام علي : أمين عامّ رابطة الجامعات الإسلامية ، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، ورئيس قسم القانون الدولي بكلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

حصل على الدكتوراه في القانون الدولي العامّ من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م ، وشارك في كثير من المؤتمرات والندوات التي عقدت في معظم دول العالم تقريباً ، ومثّل مصر والأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية في اللقاءات العلمية داخل مصر وخارجها .

من أهمّ مؤلّفاته وأبحاثه : نظرية تغيّر الظروف في القانون الدولي ، دروس في الجنسية ومراكز الأجانب ، المنظّمات الدولية ، الوجيز في القانون الدولي ، الوسيط في القانون الدولي العامّ ، النظم الدبلوماسية والقنصلية ، قضايا فلسطين أمام القانون الدولي ، النظام

الإداري السعودي، الإطار القانوني للنظام الاقتصادي الدولي الجديد، المدخل للتشريع السعودي (بالاشتراك)، معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية على ضوء أحكام القانون الدولي، قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، قانون العلاقات الدولية، الإطار التشريعي للنشاط الإعلامي، القانون الدولي لحقوق الإنسان، القانون الدولي الإنساني مقارنة بالشريعة الإسلامية، من أوراق القضية الفلسطينية، دراسات في القانون الدولي الاقتصادي.. مدخل إنساني، الإطار القانوني للنشاط الإعلامي، اتّحاد الجمهوريات العربية (بالاشتراك)، الجنسية ومركز الأجانب.. مذكّرات على الاستنسل، العلاقات الدبلوماسية بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، نظام الدولة في الإسلام، الإسلام وحقوق الإنسان، أحكام الحرب والحياد في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

وله أكثر من خمس مائة مقال وتحقيق صحفي وحوار أُجري معه منشور في جرائد: «الأهرام، والأخبار، والجمهورية، والوفد، والأحرار، وعقيدتي، واللواء الإسلامي، وصوت الأزهر»، ومجلّة «رابطة العالم الإسلامي»، وجريدة «العالم الإسلامي، والشرق الأوسط، والحياة الدولية، وعكاظ، والراية القطرية، والاتّحاد الإماراتية، والقبس الكوتية، والأنباء الكويتية»، ومجلّة «الوعي الإسلامي»، ومجلّة «منار الإسلام»، ومجلّة «الأزهر»، وغيرها.

يقول في حوار أجرته معه مجلّة «رسالة التقريب» عام ٢٠٠٠م: «نحن نعلم أنّ الدين له أحكام ثابتة وأحكام متغيّرة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا . . .** ﴾، فالآية نفسها تشير إلى أنّ هناك قواعد ثابتة وآيات محكمة لا ينبغي التفريط بها أبداً، فهي ثوابت، وهناك إطار آخر متغيّر. ومن حكمة الإسلام أنّه لا يجمّد الناس في قوالب وأُطر محدّدة، وإنّما يترك للعقل البشري مجالاً واسعاً، فالقواعد

التشريعية ليست كثيرة، وهي قواعد كلّية، وهناك مجال كثير لتفسيرات متعدّدة لها تتلاءم مع ظروف حياة الإنسان، ولهذا كانت المذاهب الفقهية، وكانت الاجتهادات داخل المذهب الفقهي أيضاً. ولذا نجد اجتهادات واسعة، وكذلك تفاسير للقرآن والسنّة.

إذاً هناك مجال واسع للاجتهاد بما يتلائم مع أُمور الناس مادام ضمن الدائرة المتغيّرة (المحكوم بالدائرة الثابتة)..

فمثلاً كان للإمام الشافعي مذهب في العراق، ولكنّه عندما هاجر إلى مصر أُخـريات حياته وعاش فيها وجد الظروف مختلفة والأعراف متغيّرة، فغيّر كثيراً من أحكام مـذهبه؛ لكي تتطابق مع واقع الحال في المجتمع الجديد الذي هاجر إليه.

وهكذا تجد أنت هنا المذهب الجعفري الاثني عشري، وتجد أيضاً مـذاهب أُخـرى عديدة تحاول تجميعها أن لا تخرج عن قواعد الدين، تفسّر القرآن الكريم وتفسّر الأحاديث بما يتماشى مع ظروف عصر كلّ فقيه.

لا شكّ أنّنا اليوم متخلّفون في مجال التشريع، ففي الماضي وحـتّى القـرن الرابـع إذا حدثت مشكلة تعرض على الفقيه فيبدي رأيه فيها مستنداً إلى قواعد أُصول الفقه، فإذا وجد حكماً في القرآن أخذ به، فإذا لم يجد يلجأ إلى السنّة، فإن لم يجد يلجأ إلى الاجتهاد وفق الطرق الأُخرى كالقياس والمصالح المرسلة وسدّ الذرائع إلى آخر القواعد المجدّدة في علم أُصول الفقه.

الآن توقّف الاجتهاد عندنا في معظم الدول الإسـلامية، والأسـباب عـديدة، مـنها: الاستعمار الذي كان له دور في هذا المجال، ودعاة التحديث كما حدث عندكم، حيث كان الشاه يرى طرح كلّ ما هو قديم والسير وراء أميركا ووراء الغرب في كلّ ما يأتي به.. ليس الشاه وحده، فالكثير من حكوماتنا ومثقّفينا ساروا بالاتّجاه نفسه، فماذا حدث؟ نستطيع أن نقول: إنّه حدث انفصام ذهني بين ما كان لدينا من فكر وفقه وبين الواقع الجديد، فاضطررنا أن نستعدي قوانين وأفكاراً أُخرى لتحكمنا وبقيت مسيطرة ومهيمنة علينا لوقت كبير.

بعد الصحوة الإسلامية بدأنا ننادي بتوحيد الاجـتهاد وبـالتصدّي لكـلّ المشكـلات

الحديثة وإيجاد الحكم الشرعي له على نفس الأُسس التي اعتمدها علماؤنا الأوّلون.. فلو وصلنا إلى هذا نستطيع أن نحلّ كثيراً من مشكلاتنا، أي: أنّنا ندعو إلى إطار ثابت، ولكن في داخله فلك متغيّر، فلا يمكن أن نجمّد حياتنا وأوضاعنا في نصوص.. نفس الإمام الشهرستاني يقول بعبارة لها مغزى: «الوقائع والأحداث والأُمور متجدّدة غير متناهية، والنصوص متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، لذا وجب أن يكون مصدر كلّ حادثة اجتهاد..».

إذن يجب أن يجتهد، فالقرآن الكريم يقول: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (سورة النساء: ٨٣).. إذاً فالاستنباط أمر من الله سبحانه وتعالى لنا يجب أن نتّبعه. ومع الاستنباط يمكن أن ننظر في الأحوال الجديدة ثمّ نطبّق ما عندنا من قواعد كلّية على ضوء المشكلات المستحدثة.. إذن يجب أن نحيي وظيفة الاجتهاد لنجدّد حياتنا ونأخذ دائماً بما يتناسب مع ظروف الحياة.

هذا من الناحية التشريعية والفقهية. أمّا من ناحية العلوم فيمكن أن نقول: كان هناك تعارض بين الكنيسة والعلم في أوروبّا، وهو الذي أنشأ ظاهرة العلمانية. أمّا في الإسلام فلا يوجد هذا التعارض.. يكفي حديث الرسولﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين»، فمعناه: أن نطلب العلوم المدنية في أيّ مكان، و«الحكمة ضالّة المؤمن ينشدها حيث وجدها». فنحن ديننا يدعونا إلى الاعتبار في الحياة وفي الكون، في كلّ ما خلقه الله سبحانه، وأن نحكّم العقل دائماً في أُمور حياتنا، مع عدم إهمال الوحي والأُمور القطعية التي يجب أن نوليها دائماً اهتمامنا عند الحديث في أيّ شيء.

التجديد يبدأ من هنا.. اليقظة تبدأ من إحياء أحكام الله سبحانه وتعالى في حياتنا مع اعتبار التطوّرات التي تحدث في حياتنا أيضاً، لكن لا ينبغي الخروج أبداً عن ثوابت الدين.. يجب أن نحيي الأنظمة الإسلامية أيضاً كنظام الوقف ونظام الزكاة ونظام الشورى.. كلّ هذه الأُمور يجب أن نستعيدها من شريعتنا. كذلك يجب أن نحيي الحضارة الإسلامية.. فنحن هنا نعيش في بلد الفنّ، لدينا مقامات موسيقية تطرب وتشجي من يستمع إليها،

وكذلك لدينا الرسوم العظيمة التي خلّفها علماء فهموا فنّ التوريق والفسيفساء.. الفنون الموسيقية الأُخرى التي تتمشّى مع طبيعة الأُمّة والناس طرحناها جانباً وصرنا نلجأ إلى الأشياء الغربية التي لا طرب فيها ولا راحة، بل تزعج من يجلس ويستمع إليها، ولا أفهم كيف نستسيغها ؟!

إذاً العودة إلى الأُصول ليس في الدين والشريعة والعقيدة فقط. بل في الفنّ والتراث والفكر.. نحن مدعوون إلى تجديد ما وضعه آباؤنا وأجدادنا وأسلافنا من أُسس للحياة القويمة دون أن نهمل جوانب العصر الذي نعيش فيه، فنحن في عصر الكهرباء والسيّارة والطائرة، وتطوّرت كثير من وسائل الحياة والعيش، لكن لا ينبغي أن يُسلب الإنسان عقيدته وشريعته وفكره لكي يتمشّى مع هذه الأشياء، فالأُسس المادّية يمكن الإلمام والإحاطة بها، لكن في إطار قواعدنا الكلّية والأُسس التي شُرّعت لنا.

في المجال المادّي نستطيع أن تكون لنا الإرادة في الأخذ من الآخرين ما يناسبنا وأن نرفض ما لا يناسبنا. أمّا التحدّي الرئيسي الذي يواجهنا فهو التحدّي الثقافي والتحدّي الحضاري. والحصن الثقافي هو الحصن الباقي الي نستطيع أن ندافع به عن أنفسنا وهويتنا ضدّ محاولات التهميش والاقتحام.

نحن أمام مجتمع تعلوه القنوات الفضائية المفتوحة، وتصيبه من كلّ مكان السهام الجارحة التي تحاول طمس هويته تحت إطار العولمة، وتريد سلب ما تبقّى له من أُسس الحضارة والثقافة، بل والعقيدة أيضاً.

لا شكّ أنّ جزءاً كبيراً من الضعف الذي يعترينا ناجم من أنّنا لا نواصل بعث التراث، ولا نواصل دراسة مصادر شريعتنا: القرآن الكريم والسنّة الشريفة، والرسول الكريم يقول: «إنّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله و سنّتي (عترتي)».

إنّ الانقطاع الثقافي الذي حال بيننا وبين إخراج كنوز ترابنا ومعرفة ما تركه الأسلاف والأجداد والآباء وتكملته، مسألة في منتهى الخطورة؛ لأنّها هي التي أوقفتنا، وهي التي جعلتنا ضعفاء لا نستطيع مواجهة التحدّيات المقبلة. لذا نستطيع القول: إنّه من الضروري

تدريس العلوم الدينية بطريقة أُخرى نهضمها جيّداً ونعيد كتابتها بالشكل الذي يتماشى ويتلاءم مع قدرات الجيل الحالي. كذلك لا بدّ أن ننقل ما كان عندنا من تراث في الثقافة والفكر والموسيقى و... نحن لدينا نماذج رائعة لمفكّرين مسلمين كانت سلوكياتهم دافعاً للدخول في الإسلام.. لدينا أشخاص مثل «خبّاب بن الأرت» الذي أرسله الرسول ﷺ إلى المدينة مفرداً فعلّمها لوحده بأكملها الدين.. لدينا هذه القدرات العظيمة التي استطاعت أن تفعل ما لم تفعله أُمم بكاملها في الماضي.

إذاً مطلوب منّا إحياء التراث، إحياء القدوة من تراثنا، ومواصلة ما بدأه الأجداد والأسلاف بدراسات مستفيضة تلائم العصر.

المطلوب أيضاً أن ننقّي برامج الإعلام من كلّ ما يشين إلى الثقافة، وأن تكون فيها أبواب ثابتة للتعامل مع معطيات الثقافة الحديثة.

مطلوب أيضاً أن تكون الكتب وبرامج الإعلام وغيرها مكتسبة ثوب التراث، وأن تؤمّن فكرنا الإسلامي من مصادر هذا التراث، وأن تعلّبه دائماً في كلّ موادها وأعمالها.

ومطلوب منّا أيضاً أن نعيد كتابة التاريخ والجغرافيا، ونبعث أنظمة الشورى والوقف والزكاة.

كلّ هذا مطلوب لمواصلة ما كان، والقضاء على عيوب فترة الانتقال، والاستعداد لمواجهة تحدّيات القرن».

وعندما وجّه إليه هذا السؤال: أوروبّا تركّز على عوامل الوحدة بينها، ونحن نستثير عوامل التجزئة، فما العلاج؟ أجاب بقوله: «فعلاً، فأوروبّا تتوحّد رغم أنّ بين دولها مشاكل كثيرة وكراهية وحربين داميتين أُزهقت فيها عشرات الملايين من الأنفس، وليس لديها عوامل للوحدة، فهم لا يتكلّمون لغة واحدة، وليسوا من قومية واحدة، بينما نحن لدينا تاريخ مشترك، ولغة تكاد تجمع بين عدد كبير منّا، ودين واحد. ومع ذلك فنحن متفرّقون! فإذا لم نأخذ العوامل التي قرّبتنا ووحّدتنا ونعيد بعثها فينا فسنظلّ ـ كما قلت ـ مختلفين ومتخلّفين. لقد كان هدف الرسول ﷺ أن ينشئ أُمّة واحدة، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ . . . ﴾ ، هذه الآيات تدعونا إلى التوحّد (الوحدة) ، بل الآية الثانية التي ذكرتها في سورة آل عمران تقول : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا ﴾ ، فالتفرّق حفرة من النار أراد الله لنا أن نتخلّص منها. ومن أهداف الرسول الأُولى إماتة العصبيات وهدم أُسس الجاهلية التي فيها التفاخر بالآباء (وإن كانوا على باطل) ، واستطاع أن يبني أُمّة على هذا الأساس ، فقد كان يحارب كلّ محاولة للتجزئة والتفرقة في أُمّته .

فكما قلت : إنّنا أصبحنا نعلّي (شأن) القوميات المحلّية ، وهذا خطأ فادح ، سيّما ونحن في عصر التكتّلات. أميركا بنفسها تتكتّل مع دول الباسفيك والمكسيك وكندا في مواجهة التكتّل الأوربّي الذي صار دولة اقتصادية ، وهناك أيضاً تنسيق سياسي وقانوني.. إلى آخره .

الطريق أمامنا واضح.. نستطيع أن نبدأ بتكتّلات جزئية ومشاريع مشتركة ومناطق حرّة مشتركة ، إلى أن نصل إلى مرحلة الاتّحاد الجمركي ثمّ السوق الإسلامية المشتركة.. فهذه خطوات يجب أن تبدأ . والمؤتمر الإسلامي كمنظمّة تجمع بيننا اتّخذ قرارات بهذا الشأن ، لكن تعوزنا الإرادة لتنفيذ ذلك . وحبّذا لو قامت حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران بتذكير المنظّمة في اجتماعاتها السنوية وغير السنوية بضرورة بعث هذه الأُسس وتبنّي أشياء منها. فهناك قرار بإنشاء محكمة عدل إسلامية لم ينفّذ ، وهناك أيضاً قرار بإنشاء سوق إسلامية . . فهذه عوامل الوحدة ، ومعرفة كيفية تحقيقها معروفة ، لكن تبقى الإرادة ، ويبقى بعث ما يربط بيننا من جديد ليحكمنا ويؤهّلنا للقرن المقبل » .

وعن ظاهرة انبهار المسلمين بالغرب يقول : « الغرب هو المنتصر ، ودائماً المنتصر يعني هو الذي حضارته غالبة ، والمغلوب والمتخلّف يميل إلى تقليد المنتصر (وصاحب الحضارة) ، فهذه ظاهرة طبيعية ، ولكن نستطيع مقاومتها. طبعاً نحن لا ندعو إلى نبذ الأشياء الجيّدة في الغرب ، فهم مثلاً قد أخذوا بقيم العمل والعلم ، وطوّروا التكنولوجيا ، ويجب أن نتّبعهم في ذلك ، فنأخذ منهم ما يلائمنا ، ولكن في نفس الوقت لا ينبغي أن يقترن ذلك بالانبهار ، فنحن أيضاً لدينا ثقافة ، وليس التقدّم المادّي أهمّ أنواع التقدّم ، بل إنّ الغرب يعاني

من مشكلات كثيرة.. يعاني من تفكّك الأُسرة، ومن الحزن الذي يخيّم على حياة الناس هناك بسبب سرعة الحياة وغياب النواحي الإنسانية، فيجب أن نأخذ منهم ما تفوّقوا فيه بحسب قدرتنا على الهضم والاستفادة، ولكن يجب في الوقت نفسه أن نعترف بقدرنا وقيمة ما عندنا، وأن نصدّر أيضاً ما لدينا من فكر وثقافة إلى الغرب، ونحن لدينا ما يُسعد الروح وما يؤدّي إلى شيوع العدالة وقيمة المساواة بين البشر وقيم احترام حقوق الإنسان وغيرها».

وعندما سئل عن أُسلوب الدعوة في العصر الراهن أجاب بقوله: «أهمّ أساس هو العلم، ومعرفة مشاكل الناس. فالداعية الذي يتحدّث كلاماً عامّاً ووعظاً (مجرّداً) لم يعد يقنع الناس، المطلوب من الداعية أن يفهم المشكلات ويحلّلها ويحاول النفاذ إليها، وأن يقنع الناس بوجهة نظره. فإذا لم يكن الداعية يستند إلى أساس علمي متين وقوي لم يستطع أن ينقل شيئاً إلى غيره. كما يجب التحلّي بالأساليب المعروفة للدعوة، والآن هناك إذاعة وتلفزيون وإنترنيت.. كلّ هذا يحتاج إلى عرض الفكر الإسلامي بعد دراسته وهضمه جيّداً عرضاً عصرياً يتّصل بالبيئة التي نعيش فيها وبمشكلات الناس اليوم. كما أنّ معرفة اللغات الأُخرى مهمّ في التبليغ، ولهذا فتحت جامعة الأزهر أقساماً للدراسات الإسلامية باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية بحيث تكون كلّ دراسات الداعية بإحدى هذه اللغات. ومن ثمّ نستطيع أن ننقل صوتنا إلى غيرنا؛ لأنّنا قد كوّنا الداعي تكويناً علمياً جيّداً بلغة أجنبية مطلوبة للعالم الآن.. هذا هو الذي نقوم به نحن الآن».

وعن طريق التعامل مع الآخر يقول: «التعامل مع الآخر ضروري، سواء كان هذا الآخر من بيننا أم غيرنا، لا بدّ أن نفهم الغير ونتعايش معه، فالحياة لا تقوم على الفرد الواحد ولا على الفكر الواحد، بل الحياة للناس جميعاً. وما لم نفهم الآخرين ونتعامل معهم ونسمح بمساحة من الاختلاف فلن تكون هناك حياة مشتركة. إذن يجب احترام الآراء الأُخرى، ولكن هناك حدّ أدنى من حدود المسلّمات الإسلامية، فنحن لا نناقش كافراً أو ملحداً أو لا يؤمن أساساً بما عندنا».

وأخيراً عن فتاوى الإمام الخميني يقول: «لو كنّا نستمرّ على الخوف من الجمود في التيّار الفقهي لما ظهر بيننا شخص مثل الإمام الخميني؛ لأنّ أبرز ما يميّز الإمام الخميني أنّه استطاع أن يكسر كثيراً من القيود التقليدية، بل إنّني قرأت له فتاوى عدل عنها فيما بعد. فهذا نموذج لرجل لا يخشى في الله لومة لائم، ويجدّد بما يقتضيه الواقع».

جمال الدين الأفغاني

جمال الدين محمّد بن صفدر الحسيني الأفغاني: من أكبر روّاد التقريب والوحدة الإسلامية في العصر الحديث، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة.

ولد السيّد جمال الدين الأفغاني في أسعد آباد سنة ١٨٣٨ م / ١٢٥٤ هـ، ونشأ بكابل، وتلقّىٰ العلوم المختلفة، وسافر إلى الهند، وحجّ سنة ١٢٧٣ هـ، وعاد إلى كابل، وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد دوست محمّد خان، ثمّ رحل مارّاً بالهند ومصر إلى الآستانة سنة ١٢٨٥ هـ، فجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف، ونفي منها سنة ١٢٨٨ هـ، فقصد مصر، ونفح فيها روح النهضة الإسلامية في الدين والسياسة، وتتلمذ له الشيخ محمّد عبده وآخرون. نفته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦ هـ، فرحل إلى حيدر آباد فباريس، وأنشأ في العاصمة الفرنسية جريدة «العروة الوثقىٰ» بمعية الشيخ محمّد عبده. ورحل رحلات طويلة، فأقام في العاصمة الروسية أربع سنوات، ومكث قليلاً في «ميونيخ» بألمانيا، ثمّ سافر إلى إيران. فضيّق عليه. واعتكف في أحد المساجد سبعة أشهر كان يكتب خلالها إلى الصحف مبيّناً مساوئ ملك إيران ناصر الدين شاه القاجاري ومحرّضاً على خلعه، ومن ثمّ نزل بلندن، وأخيراً رحل إلى الآستانة، ودسّ إليه السمّ من قبل السلطان عبدالحميد الثاني وبتدبير من أبي الهدىٰ الصيّادي، فلقىٰ أجله سنة ١٨٩٧ م، ثمّ نقل رفاته إلى أفغانستان بعد وفاته بحدود ٥٠ سنة.

وكان عارفاً بالعربية والبشتو والفارسية والتركية والسنسكريتية، وتعلّم الإنجليزية والفرنسية والروسية.

ولم يكثر من التصنيف اعتماداً على ما كان يبثّه في نفوس العاملين وانصرافاً إلى

الدعوة بالسرّ والعلن.

من مؤلّفاته: تاريخ الأفغان، رسالة الردّ على الدهريّين التي ترجمها إلى العربية تلميذه الشيخ محمّد عبده.

وقد أُلّفت حول حياته ودوره الوحدوي مؤلّفات كثيرة، قام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بنشر بعضها بالعربية والفارسية.

لقد نظر السيّد جمال الدين في أوضاع الأُمّة، فرآها كئيبة، وشخّص أهمّ نقاط ضعفها في الأُمور التالية:

أوّلاً: الاحتلال الغربي والاستعمار، فلم تكن هناك أرض إسلامية تسلم منه، إلّا إيران والدولة العثمانية وبعض المناطق الأُخرى.

ثانياً: هدر الطاقات، وضعف النفوس، وتثاقلها عن حمل الرسالة.

ثالثاً: انتشار الفساد الخلقي القاتل.

رابعاً: انتشار عناصر التفرقة الممزّقة مذهبياً وقومياً وحزبياً.

خامساً: التخلّف في جميع المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية.

سادساً: التحجّر الفكري، والتعصّب، والتكفير، وشيوع الأفكار المخدّرة كالجبرية.

سابعاً: الاستبداد، وضعف الشورى، وعدم المشاركة الشعبية.

وكانت علّة العلل في رأيه في كلّ هذه الأُمور تكمن في: ابتعاد هذه الأُمّة عن دينها، وعدم تطبيقها لتعاليم الدين الحنيف، ممّا أدّى بها إلى الحالة السيّئة الممزّقة.

وكان من الطبيعي أن يخطّط السيّد جمال الدين استراتيجياً ـ وهو البصير النقّاد ـ للإنقاذ، ومن هنا دعا للأُمور التالية:

أوّلاً: التركيز على عودة الأُمّة لإسلامها، فهو الحلّ الناجع لكلّ أدوائها.

ثانياً: دعوة العلماء والمفكّرين لاستعادة دورهم الاجتماعي عبر تقرّبهم بعضهم إلى بعضهم الآخر وتلاحمهم، ثمّ القيام بواجبهم، وتنسيق جهودهم الدعوية، وتنسيق العمل في مراكزهم ومساجدهم.

ثالثاً: تكوين الجمعيات والتشكيلات الإسلامية؛ لتشكّل العرق النابض في الأُمّة. وقد

قام هو بتشكيل جمعيات «العروة» منذ إقامته في مدينة (كلكتّا) بالهند، وعمل على نشر فروعها في شتّى أنحاء العالم، وكان يرسل من يقوم بتشكيلها إلى مختلف المناطق.

رابعاً: الدعوة إلى إقامة مؤتمر إسلامي في مكّة المكرّمة يتركّب من العلماء ومندوبي الدول الإسلامية، مستفيدين من قدسية المكان وأنوار موسم الحجّ، محيين لهذه الشعيرة، متدارسين لمشاكلهم وحلولها، معلنين نتائج بحوثهم أمام جماهير الأُمّة.

خامساً: الدعوة الحثيثة لنفي تأثيرات العوامل التمزيقية للأُمّة من قبيل النعرات القومية والاختلافات المذهبية، كما هو الحادث بين الشيعة والسنّة غالباً، والتركيز على التعاون في نقاط الاشتراك الكثيرة، وتقديم مصالح الأُمّة على المصالح الضيّقة.

وكان يقدّم التجربة الألمانية الموحّدة للأُمّة رغم اختلاف المذاهب فيها.

ومن الأُمور التي ركّز عليها السيّد نفي التعصّب الأعمى الذي يؤدّي لطائفية قاتلة وتكفير للآخرين بأيّة ذريعة، وبالتالي تعظم الخلافات. كما كان يدعو لرفض الأُمور الاستفزازية المنفّرة.

سادساً: رأى السيّد جمال الدين أنّ فقدان المعنويات والفضائل الأخلاقية وانتشار مظاهر الرذيلة والفساد هي أكبر عوامل الانهيار الاجتماعي. ولذا دعا لمحاربة الرذائل ونشر الفضائل لاستعادة التوازن إلى الجماهير.

سابعاً: ركّز السيّد على تضامن الحكومات الإسلامية والتزامها بالأُخوّة الإسلامية وتطبيق تعاليم الإسلام، بل حاول أن يتدرّج في توحيد الأراضي الإسلامية بالدعوة إلى اتّحاد إيران وأفغانستان.

(انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ٤٧ ـ ٩٢، الأعلام الشرقية ١: ٣٦٨ ـ ٣٧٣، دائرة المعارف الإسلامية ٧: ٩٥ ـ ١٠١، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩، موسوعة السياسة ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢ و٢: ٧٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٢١٨ ـ ٢٢٢، موسوعة المورد ١: ٤٨، عظماء الإسلام: ٢٩٢ ـ ٢٩٣، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٧٧ ـ ٨١، عمالقة وروّاد: ٨١ ـ ٨٥، موسوعة مشاهير وعظماء: ٢٢٦، كفاح علماء الإسلام: ٤٥ ـ ٧٢، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٧١ ـ ١٧٩، رعاة الإصلاح: ٤٨ ـ ٨٠، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٢٩٣ ـ ٢٩٩، رجالات التقريب: ٣٢٦ ـ ٣٣٦ و٤٢٩ ـ

٤٤٠، موسوعة الأعلام ٢: ٨٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٨٩ ـ ١٩٠ و١٩٦ ـ ١٩٨).

جنيد البخاري

جنيد محمّد البخاري: وزير سكتو بنجيريا، فقيه، عالم، شاعر، من أبرز الوجوه الثقافية والسياسية في غرب إفريقيا.

ولد بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الإنجليزي لنيجيريا، أي: سنة ١٩٠٦ م، وتوفّي والده عام ١٩١٥ م، فكفله عمّه الوزير محمّد سبو بن أحمد، ولمّا توفّي هو الآخر انتقلت رعايته إلى أخيه الوزير عبدالقادر بن محمّد البخاري مشيدو.

ختم القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثمّ جالس العلماء لدراسة العلوم الإسلامية، وكان أوّل معلّم له إمام مسجد محمّد بيلو، والذي قرأ عليه الكثير من كتب الشيخ عثمان بن فودي، ثمّ قرأ الأدب والشعر على القاضي يحيى ابن الوزير عبدالقادر، حيث قرأ عليه كتب الحديث، ثمّ انتقل إلى المعلّم بوي، ثمّ إلى المعلّم ألفا نوح، والذي طلب منه أن يبدأ بالتدريس، فعيّن معلّماً في المدرسة المتوسّطة بسكتو، وذلك عام ١٩٣٤ م، حيث درس عليه الشيخ شاغاري الرئيس السابق لنيجيريا. وفي عام ١٩٣٠ م تمّ تعيينه مدرّساً في كلّية المعلّمات في المدرسة المتوسّطة بسكتو، وفي عام ١٩٤٠ م عيّن مستشاراً للسلطان في الشؤون الدينية، وفي عام ١٩٤٨ م تمّ تعيينه وزيراً لسكتو خلفاً لأخيه الوزير عبّاس.

وقد ساهم كثيراً في النواحي السياسية، فكان عضواً في مجلس الأُمراء والرؤساء، بكادونا عاصمة الولايات الشمالية آنذاك، وذلك ما بين ١٩٥٢ م ـ ١٩٦٦م، وكان ممثّلاً لسكتو في مجلس النوّاب الشمالي، هذا بالإضافة إلى استمراره في وظيفته مستشاراً للسلطان. ورأس وفوداً عديدة لكثير من دول العالم، وساهم كذلك في تأسيس «المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية» الذي يجمع بين المسلمين في كلّ نيجيريا، وكان أوّل رئيس لجماعة «نصر الإسلام» المنظّمة التي أنشأها أحمد بيلو أوّل رئيس وزراء لشمال نيجيريا، والمنصب الذي تسلّمه منه سلطان سكتو السيّد أبو بكر.

وفي عام ١٩٦١ م منحته جامعة أحمد بيلو كبرى الجامعات في إفريقيا درجة

الدكتوراه الفخرية في الآداب، وعيّن أوّل رئيس لمركز المخطوطات والوثائق بولاية سكتو بتاريخ ١٩٧٦ م ـ ١٩٧٧ م.

ويعتبر مرجعاً تاريخياً ولغوياً وأدبياً، بالإضافة إلى أنّه شاعر بارع، له ملكة تصوير الحياة على طبيعتها، وغير ذلك من القدرات العلمية. وهو يكتب بثلاث لغات: اللغة العربية، اللغة الهوسية، واللغة الفلانية.

توفّي عام ١٩٩٣ م تاركاً كتباً كثيرة تفوق الخمسين، منها: إتحاف الحاضرين بمرائي المسافرين، إتحاف الأكياس بأخبار أقدس، إتحاف الإخوان بالتبرّك بالأماكن التي نزل بها الشيخ عثمان، إسعاف الزائرين بترب الأولياء الصالحين، إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمّد بيلو، الباكورة الجنية في تعليم اللغة الفلانية، تأنيس الأحبّاء بذكر أُمراء غواند، التحفة السنية بذكر بلدة سكتو البهية، التنزيل على كتاب خليل، تسلية القلوب عمّا أصابها من الكروب، تعليم الإخوان بذكر من تعلّمت منه لغة الفلاني، تقريب قصيدة أسماء في التوسّل بأولياء الله، تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس، تلخيص إسعاف الزائرين، تنشيط الزائرين لمزار أمير المؤمنين محمّد بيلو، التوسّل بالأتقياء والكرام من النساء، رحلة أقدس، الرحلة الفاخرة في زيارة ليبيا والسودان والقاهرة، رحلة غينيا والسنغال والمغرب الأقصى وليبيا، روائع الأزهار في روض الجنان، دلائل الشيخ عثمان، العادات على سنّة الرسول ﷺ وتابعيه السادات، عقد المرجان على لغة الفلان، شرح تقريب قصيدة أسماء، ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرّقة والمؤلّفات، قصيدة التوسّلات، المبادئ الضرورية في الدروس العروضية، متحف الإخوان بما أُتي في الكشف والبيان، مزار الشيخ عبدالله بن فودي، مزار الشيخ عثمان بن فودي، نسخ كتاب سعد على حروف أبجد، النفحة الزكية عن الرياض الحجازية، نيل الأرب في استقصاء النسب الفلاني، نيل الأمل بذكر قرية دغل.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ١١٦ ـ ١١٧، إتمام الأعلام: ١٠١ ـ ١٠٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٧١ ـ ١٧٧٣، معجم الشعراء للجبوري ١: ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

❋ ❋ ❋

﴿حرف الحاء﴾

حامد حفني داود

حامد حفني داود: أُستاذ مصري معروف، يرجع نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام.

ولد عام ١٩١٨ م في جرجا بمصر، وتخرّج في كـلّية الآداب بـجامعة القـاهرة عـام ١٩٤٣ م، وحصل على دبلوم معهد التربية العالي عام ١٩٤٥ م، وشهادة معهد الدراسـات العليا عام ١٩٤٩ م، والماجستير في الأدب العربي بعنوان «الصاحب بن عبّاد بعد ألف عام» سنة ١٩٥١ م، والدكتوراه مع مرتبة الشرف الأُولىٰ عام ١٩٥٨ م.

وهو واضع أُسس المنهج العلمي الحديث بالقاهرة، ورئيس قسم الأدب العـربي فـي جامعة عين شمس المصرية، والمشرف على الدراسات الإسلامية بجامعة عليكرة، وأُستاذ كرسي الأدب العبّاسي بجامعة الجزائر.

يُعدّ في جملة رجال السنّة المنصفين.. من أقواله: «إنّ هذا الإحياء الصادق الذي يقوم به علماء الشيعة في صرح الثقافات الإسلامية يعتبر في نظري انعكاساً لهذه الثورة النفسية التي أشعلت نيرانها السياسة الأُموية والعبّاسية... ولقد كان اضطهاد هـذه الشـيعة بـالقدر الذي خامر أعماق الإيمان واستقرّ في النفوس بحيث توارثه هـؤلاء الشـيعة فـي مـعارج التاريخ كلّها، وامتزج منهم بالدم واللحم امتزاج الإيمان الصـادق فـي نـفوس المـؤمنين، فالشيعة من هذه الناحية بالذات مؤمنون عقائديّون.

ويقول: «التشيّع هو المذهب الإسلامي الأوّل الذي عني كلّ العناية بالمنقول والمعقول جميعاً، ولولا ما امتاز به الشيعة من توفيق بين المعقول والمنقول لما لمسنا فيهم هذه الروح المتجدّدة في الاجتهاد وتطوير مسائلهم الفقهية مع الزمان والمكان بما لا يتنافىٰ مـع روح الشريعة الإسلامية الخالدة».

من كتبه: دراسات في الخلافة الإسلامية، مع أحمد أمين، الآداب الإقليمية، الإسراء،

تاريخ الأدب الحديث، تاريخ الأدب الجاهلي.

وقد قام بالتقديم لبعض الكتب المهمّة، ككتاب «عقائد الإمامية» للشيخ محمّد رضا المظفّر، وكتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر.

وهو من روّاد الإصلاح ودعاة التقريب، يتميّز بروح الإنصاف والتجرّد والموضوعية في كتاباته عن الشيعة.

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

حبيب آل إبراهيم العاملي

الشيخ حبيب بن محمّد بن الحسن بن إبراهيم المهاجر العاملي: من أعلام لبنان المرموقين ومن كبار مجتهديها.

ولد في «حنوية» سنة ١٣٠٤ هـ، وقرأ المقدّمات هناك، ثمّ رحل إلى النجف الأشرف، فحضر على أعلام عصره: شيخ الشريعة الأصفهاني، والمحقّق النائيني، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ علي بن باقر الجواهري. وله إجازة في الرواية من: شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد حسن الصدر. وأجاز هو في الرواية: السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، والسيّد محمّد صادق بحر العلوم.

أقام فترة في مدينة العمارة العراقية مرشداً، ثمّ غادرها عام ١٣٥٠ هـ إلى لبنان، فأقام في بعلبك، واشتغل بالتدريس والتأليف، وكانت له شعبية ونفوذ كلمة.

توفّي في عاشر شوّال من سنة ١٣٨٤ هـ في لبنان، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، فدفن في إحدىٰ حجرات الصحن العلوي الشريف، وأبّنته الصحف اللبنانية، ورثاه بعض الشعراء.

من مؤلّفاته: المولد والغدير، الخطاب المنير في ذكرىٰ عيد الغدير، الغدير والنجف، الحقائق في الجوامع والفوارق، سبيل المؤمنين في أُصول الدين وفروعه، الصراط المستقيم في أُصول الدين القويم، الإسلام في معارفه وفنونه.

يعدّ أحد رجالات التقريب والوحدة، وكتابه «الحقائق في الجوامع والفوارق» خير شاهد على ذلك.

(انظر ترجمته في: معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨٧٧ ـ ٨٧٨، تراجم الرجال ١: ١٣٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ١٢٨ ـ ١٢٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ١٦٩ ـ ١٧١، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ١: ٣٠٦ـ٣٠٧، رجالات التقريب: ٤١٧ـ٤٢٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٠٦ـ٢٠٧).

الحبيب المستاوي

الحبيب بن محمّد المستاوي: فقيه ومصلح تونسي معروف.

ولد بالرقبة بولاية مدنين بالجنوب التونسي سنة ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ)، والتحق بجامع الزيتونة، وحصل منه على الشهادة العالمية في الآداب.

عمل في التجارة، ثمّ باشر التدريس بالفرع الزيتوني ببلدته، وتقلّب في وظائف التعليم، ومارس عدداً من النشاطات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

سافر إلى طرابلس الغرب، فعلّم بها، ثمّ عاد أُستاذاً للشريعة وأُصول الدين في الزيتونة.

وهو عضو اللجنة المركزية للحزب الحرّ الدستوري في مؤتمر المنستير، والأمين العامّ للجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم.

أصدر مجلّة «جوهر الإسلام» سنة ١٩٦٨م، وتولّى رئاسة تحريرها وإدارتها حتّى وفاته سنة ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ).

له: «ديوان مع الله»، و«تفسير أجزاء من الكتاب العزيز»، و«مجموعة أحاديث الإذاعة».

يقول ابنه الشيخ صلاح الدين المستاوي واصفاً والده: «مناسبة من يجري بينه وبينهم حديث عن بعض جوانب عطاءات الشيخ الوالد الحبيب المستاوي ﷺ العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية في داخل البلاد وخارجها في عمره الذي لم يتجاوز

الثانية والخمسين، إذ في شهر رمضان المبارك وفي فجر يوم الخميس الثاني عشر وبعد الإمساك والقيام للصلاة وفي الركعة الثانية التحقت روحه ببارئها راضية مرضية، حيث كان مبيته ليلة الجمعة في قبره الذي نسأل الله أن يكون روضة من رياض الجنّة، كان ذلك يوم ١٢ رمضان الموافق لـ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٧٥م، أكثر من ثلاثين سنة مضت وكأنّ الرجل مات من سنوات قريبة، ولا يرجع هذا الحضور التلقائي الربّاني المتواصل إلّا لإخلاصه فيما بذل من جهود وما قام به من أعمال (وما كان لله دام واتّصل)، فالرجل لم يقم له إلّا أربعينية محتشمة في مقرّ جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمبادرة من بعض إخوانه وأصدقائه لم تنل حتّى جزءاً ـ ولو قليلاً ـ من التغطية الإعلامية، اللهمّ إلّا ذلك العدد الخاصّ من مجلّته «جوهر الإسلام» التي أسّسها وبذل في سبيلها الغالي والنفيس من صحّته وممّا يحصل عليه من دخله الذي لهم يتجاوز راتبه الذي بارك الله له فيه، فأنفق منه على أُسرته وأقربائه وأكرم به أصدقاءه وأحبابه وإخوانه من علماء الأُمّة الإسلامية الذين كانوا لا يمرّون بتونس دون أن يأكلوا وحتّى يقيموا في بيته المتواضع بمقرين.

إنّ كلّ من تقول لهم: إنّ الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ توفّي في عمر الخمسين يستغربون ولا يصدّقون، فيقولون: أكلّ تلك الصولات والجولات بالقلم واللسان في أغلب مدن تونس وقراها مدرّساً ومحاضراً على منابر اللجان الثقافية في المناسبات الدينية في ذكريات المولد والهجرة والإسراء والمعراج وغزوة بدر وفتح مكّة وليلة القدر، فقد كان ﷺ لا يتأخّر عن دعوة توجّه إليه، يركب سيّارته يسوقها بنفسه أو بمساعدة من يكون بجانبه من أصدقائه وتلاميذه، وما أكثرهم، وما أشدّ عطفه عليهم، وما أصدق تعلّقهم به، فقد كان لهم أُستاذاً وأباً شفوقاً لا يبخل عليهم بما بين يديه من قليل ما يملك ولكنّه كثير يباركه الله.

ولم يقتصر هذا الحضور للشيخ الحبيب المستاوي ﷺ على الداخل، بل تجاوزه إلى خارج البلاد، فقد كان عنصراً بارزاً في بعثة تعليمية أُرسلت إلى الشقيقة ليبيا، فكان المدرّس بمعهد أحمد باشا بطرابلس، وكان المعدّ للحصص الدينية في الإذاعة الليبية، يكتب الحديث الديني ويلقيه بصوته الجهوري المجلجل، ويحرّر المسرحية الهادفة، وكان

المحيي للمناسبات الدينية بغرر القصائد العصماء التي تحي الذكريات المجيدة التي يستلهم منها الدروس والعبر لاستنهاض الأُمّة كي تغيّر ما بها.

كما كان الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ عضواً لأكثر من مرّة في الوفد الرسمي للحجيج التونسيّين، فكان المرشد والموجّه لجموع الحجيج، وكان المستلهم بأشعاره الروحية المشرقة لنفحات الحجّ وإشراقات البقاع المقدّسة، وكان الداعي صاحب الضراعات المبكية المؤثّرة على جموع الحجيج، يستوقف أشقّاءهم من حجيج بيت الله الحرام استغراق الشيخ الكبير، فتكبر الحلقة الملتفّة حوله ﷺ، يشهد على ذلك ويصوّر روعة تلك المشاهد كلّ من حجّوا مع الشيخ ﷺ.

وفي الجزائر كان الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ نجم ملتقيات الفكر الإسلامي التي كان يدعوه إليها صديقه الأُستاذ مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية ﷺ، فقد كانا (رحمهما الله) يشتركان في صفات عديدة، منها وفي طليعتها الصدق والجرأة في قول كلمة الحقّ وتسمية الأُمور بمسمّياتها تحريكاً للسواكن وسعياً صادقاً منهما لتغيير ما بالأُمّة من سكون وخمول. والقصيد الطويل (في مائتي بيت) الذي تضمّنه ديوان «مع الله» الذي نشر بعد وفاته، وعنوانه «إلى الله أشكو»، أصدق دليل على ما أقول.

وفي المغرب الأقصى كانت للشيخ الحبيب المستاوي ﷺ علاقات علمية واسعة، حيث درّس وحاضر في أغلب مدن المغرب، واتّصل بكبار علماء المغرب ومفكّريه، وفي المغرب نظم قصيداً مطوّلاً حول تاريخ المغرب، سجّل فيه كما لو أنّه ممّن عاش طويلاً في المغرب أمجاد المغرب وعرّف برجالاته علماء وقادة تاريخيّين، وقد تناقلت هذا القصيد الموجود في الديوان عديد المجلّات والجرائد المغربية وبثّته الإذاعة والتلفزة المغربية.

وكلّ هذه الصلات بالبلدان الشقيقة (ليبيا والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية) بالزيارة أو تلك الصلات بواسطة المراسلة والمكاتبة قوّتها وجعلت منها جانباً ثرياً من حياة الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ مجلّة «جوهر الإسلام» التي أسّسها سنة ١٩٦٨ م، وكانت بذلك أوّل مجلّة ثقافية إسلامية تصدر بعد الاستقلال، وما كان لهذه المجلّة

لتصدر في تلك الفترة الصعبة لولا ما يتوفّر عليه الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ من رصيد نضالي وطني جعل منه محلّ الاحترام والتقدير ، فقد كان الشيخ متعفّفاً لم يتهافت على العروض الدنيوية ، ولو رغب فيها لنالها بدون طلب ، ولكن الرجل كان مسكوناً بحبّ الوطن والدفاع عنه والمساهمة في كلّ ما يمكن أن يحصّنه ويحقّق مناعته وإشعاعه .. لأجل ذلك وبعد أن استقرّ به المقام في تونس بعد أن عمل في عديد جهات البلاد (مدنين ـ قفصة ـ تطاوين ـ قابس) في فروع الجامع الأعظم التي ما كان يكتفي فيها بالتدريس ، بل كان يقوم بحملات التوعية وتحريك السواكن لتحرير البلاد واستقلالها ، وكان ذلك يسبّب له المتاعب المتوالية التي كان يتحمّلها بشجاعة وصبر كبيرين .

كانت تلك المرحلة التي سبقت الاستقرار في تونس مليئة بالعطاء الحزبي ، وهو المناضل الذي نشأ وترعرع في الحزب الدستوري وناضل من خلاله قبل الاستقلال وبعده ، وكانت للشيخ أنشطة اجتماعية ونقابية فضلاً عن الأنشطة العلمية والثقافية ، وكان يحرّر في عديد الصحف والمجلّات التي كانت تصدر في تلك الفترة .

عندما استقرّ الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ بتونس في ضاحية مقرين التي أحبّها وأحبّ أهلها ، فكان إمام جامعهم الكبير الذي أصبح بجهود الشيخ مجموعة من الجوامع والمساجد التي أُلحقت بها كتاتيب عصرية ، وكان رئيس الشعبة مقرين التي ترعى مناضليها ومواطنيها وتساهم في تشييد الأحياء السكنية والمرافق العمومية وتنجز البنية الأساسية .

وإلى جانب هذا النشاط المحلّي الديني والاجتماعي والسياسي للشيخ كانت له أنشطة تعليمية مكثّفة ، فهو العنصر البارز والفاعل في القسم الذي أسّسه سماحة الشيخ الإمام محمّد الفاضل ابن عاشور ﷺ في الكلّية الزيتونية للشريعة وأُصول الدين ، أعني به قسم الوعظ والإرشاد الذي تخرّج منه خيرة وعّاظ تونس الذين اتّصل بهم سند الإرشاد الديني الصحيح ؛ لأنّهم تكوّنوا على أيدي خيرة شيوخ الزيتونة ، من أمثال : الشيخ الفاضل ابن عاشور ، والشيخ الشاذلي النيفر ، والشيخ أحمد بن ميلاد ، والشيخ العربي العنّابي ، والشيخ اللقاني السائح ، والشيخ محمّد المختار بن محمود ، والشيخ الشاذلي بلقاضي ،

والشيخ محمّد الهادي بلقاضي، والشيخ محمّد الأُخـوّة، وغـيرهم (رحـمهم الله وأجـزل مثوبتهم)، والبقية الباقية منهم، أمثال: الشيخ مـحمّد الحـبيب بـلخوجة، والشـيخ كـمال جعيط، والأُستاذ البشير العريبي.

وكان الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ لا يكتفي بالتكوين النظري الأكاديمي، بل يكمل تكوين الوعّاظ بالجانب التطبيقي الخطابي في الجامع الكبير الذي يـتولّى الخـطابة فـيه بمقرين، كما كان الشيخ ﷺ وراء التوصية خـيراً بـمن أرادوا مـن خـرّيجي قسـم الوعـظ والإرشاد أن يواصلوا دراستهم بالشرق العربي في ليبيا ومصر والعراق والسعودية، وقد تبوّأ بعض هؤلاء أرفع المواقع العلمية والإدارية بعد عودتهم إلى تونس.

ودرّس الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ لسنوات طويلة في الأكاديمية العسكرية بفندق الجديد، وكان أوّل من أفسح له المـجال للـقيام بـالتكوين الروحـي والمـعنوي لطـلّاب الأكاديمية الذين تخرّجوا بأرفع الرتب، ولا يزالون يحفظون للشيخ ﷺ أطيّب الذكريات.

ولم يكن الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ يكتفي بهذا النوع من التعليم النظامي، بل كان حريصاً إلى جانب المحاضرات والمسامرات التي يـلقيها فـي المـناسبات الديـنية عـلى التواصل مع روّاد بيوت الله في أكثر من درس أُسبوعي تطوّعي تلقائي في جامع سبحان الله بباب سويقة كلّ يوم أحد وبجامع الزيتونة كلّ يوم خميس ليلة جـمعة وكـذلك بـجوامـع الزراعية وباب الجزيرة (سيدي البشير) جامع الهواء سبّاحة معقل الزعيم فضلاً عن الجامع الكبير بمقرين.

وكان الشيخ ﷺ المحاضر على منابر الجمعيات والمنظّمات ديوان تعليم الكبار (محو الأُمّية) والاتّحاد النسائي ومنظّمات الشباب وحتّى السجون والثكنات والمبيتات الطالبية وغيرها.

وكان يعدّ للإذاعة الوطنية حصّتين كلّ أُسبوع، إحداهما في التـفسير، وأُخـرى فـي حديث الصباح، فضلاً عن الحصص الرمضانية والمنابر الحوارية.

وكان المساهم البارز في ما كـانت تـعقده لجـنة الدراسـات الاشـتراكـية بـالحزب

الاشتراكي الدستوري من جلسات، لا سيّما الموضوع الذي امتدّ الحوار فيه لمدّة عام كامل «الإسلام وتحدّيات العصر»، فكان الواقف بجسارة وجرأة ملفتة للانتباه في وجه من تحدّثه نفسه بالتطاول على الثوابت.

إنّها مواقف احتسبها الفقيد لوجه الله وإيماناً منه بالتلازم الوثيق بين الإيمان الراسخ والحبّ الصادق للوطن (فحبّ الوطن من الإيمان)، وهو ما رسّخ لديه القناعة بأنّ الإصلاح وتحسين المردود والإخلاص للوطن وللقيادة يقتضي النصح بالكلمة الطيّبة وبالحكمة، وهو ما لم ينقطع عن القيام به إلى آخر أيّام عمره، لا يبالي بما يلحقه من أذى وابتلاء.. والدليل على ذلك ما خطّه قلمه إبّان وقفة التأمّل سنة ١٩٧٠م في بيان قدّمه إلى اللجنة العليا للحزب، يقف على صحّة ما أقول، وكذلك من حضر معه مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري سنة ١٩٧١م الذي انعقد بمدينة المنستير، والذي انتخب فيه عضواً باللجنة المركزية في ترتيب متقدّم جدّاً، والذي جاء على إثر خطاب ألقاه وضع فيه النقاط على الأحرف فيما يتعلّق بالقضايا المصيرية وبالخصوص قضايا الأصالة والهوية. لقد احتسب الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ ما ناله وتعرّض له بعد ذلك عند الله، فانقطع إليه وتوجّه إليه صادقاً خاشعاً مستغرقاً في سبحات ومناجاة تمتدّ إلى طلوع الفجر، ليس معه فيها إلّا ربّه الذي تذوّق حلاوة مناجاته، فلم يعبأ معها بآلام أخذت تفتك بجسمه الذي لم يرأف به ولم يعطه في أيّ يوم من الأيّام حقّه في الراحة والاستجمام، فقد كان الشيخ ﷺ على عجل من أمره، ولا أذكر أنّني في يوم من الأيّام قمت في الصباح ووجدته في المنزل، فقليلاً ما يقع ذلك، ولا أذكر ولا يذكر إخوتي وأخواتي أنّ الوالد رجع إلى المنزل ونحن أيقاظ إلّا نادراً.. لقد كان في كلّ حياته في عمل لا يتوقّف: عمل للدين وللناس، كلّ الناس، الأقارب والأباعد.. لقد كان رجل المواقف والوقوف بجانب المصابين المبتلين يتأثّر لأحوالهم ويهب لنجدتهم، وكان المشفق العطوف حتّى على أصحاب المحن ممّن يضعفون أمام أنفسهم، يبتغي لهم الأعذار ويدعو لهم بالهداية والغفران. لم يعبأ الشيخ الحبيب المستاوي ﷺ بمن تنكّروا وأساؤوا وأعرضوا بعد أن كانوا مقبلين عليه يملؤون عليه بيته

ووقته، لقد أقبل بكلّيته على ربّه وعجّل بلقائه، فلكأنّه ﷺ أحسّ بقرب الرحيل، فعجّل إلى ربّه راضياً مرضياً قرير العين مطمئناً تمام الاطمئنان على من تركهم من خلفه من أبناء وبنات صغار خلفه فيهم ربّه أحسن خلافة، فسلام على الشيخ يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً».

يقول الحبيب المستاوي من رسالة بعثها في صيف عام ١٩٧٠ م إلى الحزب الحرّ ما نصّه: «وبعد، فشعوراً بواجب النصح الذي جعله الله أمانة في عنق المؤمنين، يجازيهم خير الجزاء إن هم قاموا به لوجهه الكريم، ويحلّ بهم مقته وغضبه إن هم أهملوه أو قاموا به لغير وجهه الكريم أو لما توسوس به النفوس الأمّارة بالسوء من منافع ومطامع. وكلّ هذا قد وضّحه القرآن الكريم أعظم توضيح حين قال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤ ـ ١٠٥)، وأكّده وقرّره سيّد الكائنات ﷺ حين قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم»، وقال أيضاً: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليحلنّ بكم عذاب محتضر».

إنّ الاستجابة لهذه الهتافات السماوية النبوية تحتّم على المخلصين لها أن يقدّموا النصح لمن طلبه ولمن لم يطلبه على حدّ سواء، إنّما المهمّ أن يطبع بالطابع الإسلامي الصميم، ذلك الطابع الذي وضّحه القرآن الكريم أجمل توضيح حين قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). ولا ننسى أنّ تونس قد تمسّك دستورها في فصله الأوّل بعروبتنا وإسلامنا، وعلى هذا الأساس نلفت نظركم إلى ما يلي ممّا نحسّ بأنّ التناقض قد بلغ فيه منتهاه:

١ ـ الإشعاع الروحي.

إنّ شعبنا التونسي الذي هو شعب معروف بأصالته العربية الإسلامية قد وهبه الله من الخصائص ما جعله جديراً بأن يحتلّ مقام القيادة والريادة منذ فجر الإسلام الأوّل؛ إذ قد

استطاع هذا الشعب أن يجعل من بلده مصدر إشعاع لا في الشمال الأفريقي وحسب بل في مجاهل أفريقيا وقلب أوروبّا، ولقد كانت القوّة الروحية هي المطية التي عبر بواسطتها أجدادنا الفيافي والبحار، وحققوا لدينهم ولأُمّتهم أعظم انتصار..

إنّ الرقعة الأرضية الضيّقة والنسبة العددية لهذا الشعب لم تستطيعا أن ترجعا المدّ التونسي عن غاياته البعيدة، وليس ذلك للفصاحة والذكاء والجاذبية والطيبة التي ميّزنا الله بها فقط، بل مردّه الأوّل والحقيقي إلى جامع عقبة وجامع الزيتونة، فمن هذين المكانين الأقدسين تخرّج الدعاة والفاتحون، وجاؤوا من كلّ صوب وحدب؛ ليغترفوا من معين تونس، وليجعلوها عن اختيار واقتناع وطنهم الثاني إن لم تكن الأوّل.. لقد رأينا بأعيننا أنّ تونس الصغيرة استطاعت أن تكون عديلة لمصر الشاسعة الكبيرة، وأن تنازعها عن جدارة زعامة المسلمين، وكثيراً ما تفتكها منها لا بشيء إلّا بجامع الزيتونة الذي طاول الجامع الأزهر فطاله، وغالبه فغلبه، ورأينا ـ وما بالعهد من قدم ـ أنّ أصدقاء كثيرين تنكّروا لصداقتهم معنا، بل واشتركوا مع من تآمر علينا! ولم نر واحداً من الذين رضعوا ثدي الزيتونة من غير أبناء تونس كفر بنعمتنا أو تنكّر لأُبوّتنا. فهل آن لنا أن نراجع أنفسنا ـ ونحن أهل المراجعة ـ «والرجوع إلى الحقّ فضيلة»؟! هل آن لنا أن نعيد تلك القلعة الشامخة البناء إلى سالف عهدها متطوّرة متعصّرة تحتضن فئات من أبنائنا الذين نحن في حاجة إلى خدماتهم المجدية، وفئات من الوافدين علينا ليصبحوا أبناء لنا اليوم وأشقّاء أوفياء لنا غداً؟!

٢ ـ إصلاح التعليم.

إنّ تجربتنا النضالية الطويلة المظفّرة أبانت لنا بكلّ وضوح أنّه لن يستبسل ويثبت في أيّة معركة إلّا من كان صادق الإيمان بقيمه ومثله ودينه وتاريخه، فهو الذي يعتزّ بالماضي ويجعله ركيزة المستقبل، ويأبى عليه إيمانه بربّه أن يتوغّل في الشرّ إذا ما انزلق فيه عن غير قصد وروية.. لا تمكن أبداً المقارنة بين مؤمن وجاحد، وبين بارّ وعاق، وبين مخلص ومتنكّر، والتجربة الناطقة ماثلة أمام أعيننا توضّح بما لا غموض فيه أنّ من كفر بربّه سهل

عليه أن يمزّق روابطه العائلية والقومية، وسهل عليه أن يتاجر بكلّ شيء؛ لأنّه لا يؤمن إلّا بالمادّة، فأينما رآها جرى خلفها لاهثاً.. وإزاء هذه الحقائق المرّة الحلوة يكون لزاماً علينا أن نعيد النظر بكلّ تمحيص ودقّة وصراحة وشجاعة في برنامج تعليمنا من ألفها إلى يائها؛ لأنّنا رأيناها ـ والحقّ يقال ـ لا تستطيع أن تخرّج لنا رجالاً نطمئن على مصير أُمّتنا إذا ما أُلقي بين أيديهم، ومن لم يتشبّع بتاريخ أُمّته ولم يقدّس مثلها ولم يتعمّق في لغتها لا يمكن أن يكون معتزّاً بها ولا مخلصاً إليها.. إنّنا لسنا من أنصار الانغلاق أو الانعزال، بل نحن من المؤمنين بالتفتّح الذي لا يصل إلى حدّ الذوبان والانسلاخ، لقد أخذ عنّا الغرب العلم والحضارة، إلا أنّهم كرّسوا جهودهم لترجمتها وطبعها بطابعهم حتّى أصبحت مع الأيّام وكأنّها نتاج عبقريتهم وتراث أجدادهم، فلماذا لا نفعل مثلما فعلوا، فنبعد عن أجيالنا الصاعدة الذبذبة والحيرة والتنطّع؟!

إنّ الشباب الذي نريد أن نجعل منه مسلماً صميماً وعربياً صادقاً وتونسياً مخلصاً، لا يمكن أن يتعلّم بالمدرسة لغة أكثر من تعلّمه للغته، وتاريخاً أكثر من تعلّمه لتاريخه، وفلسفة أكثر من تعلّمه لفلسفته.. إنّه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون جميع شبابنا المتعلّمين من نوع المهندسين والأطبّاء والذرّيين والفيزيائيّين، بل لا بدّ أن يكون من بينهم الأُدباء والمختصّون في الكتاب والسنّة وحفظة القرآن أيضاً المختصّون في علومه، ممّا يحقّق حاجة المجتمع التونسي المسلم. فأين المدارس القرآنية (الكتاتيب) المنظّمة التي ستحقّق هذا الغرض؟ وأين البرامج التعليمية أيضاً؟ ومتى سنهتمّ بهذا المشكل الخطير؟

٣ ـ وسائل الإعلام.

إنّ وسائل الإعلام والثقافة تلعب الدور الأساسي الرئيس في توجيه الشعوب، فتكيّف أذواقها وتقوّم انحرافاتها، فهل إنّ وسائل الإعلام والثقافة لدينا بما فيها من صحافة وتلفزة وإذاعة وتمثيل وسينما ونشريات محلّية أو مستوردة، هل إنّ هذه الوسائل تخدم الغايات الأخلاقية والوطنية والدينية؟ أم هي سائرة في غير هذا الاتّجاه؟ وهل نسمح لأنفسنا أن نتركها تهدم ما نبني، وتعمل على نقيض ما نريد؟!

٤ ـ الهياكل الدينية .

إنّ العصر الذي نعيش فيه هو عصر الدعاية والإشهار، وإنّ الحق الواضح إذا لم يقع التعريف به والدعوة إليه بالإلحاح يهمل وينسى تماماً، ومن أجل هذا دعا الله نبيّه ﷺ إلى التذكير فقال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الذاريات: ٥٥)، وقال: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (سورة ق: ٤٥). ونحن إذا ما أردنا أن نقارن هنا بين ما يقوم به دعاة الدين والأخلاق والفضيلة نرى أنّ سوق الأوّلين أنفق وإمكاناتهم أعظم، وإزاء هذا التكالب من أنصار الضلال والإلحاد نرى أنّه يتعيّن علينا أن نقيم أجهزة عتيدة للدعوة الإسلامية، ونعطيها من الفعّالية والعون ما يجعلها تنطلق في هذه المجالات انطلاقة تعطي للدولة وللحزب ما تعطيه المنظّمات القومية التي ثبتت نجاعتها واستمرّت رسالتها. لقد رأينا جلّ الدول الإسلامية بل جميع الدول الإسلامية تجعل ضمن الهيئات المحترمة مجلساً إسلامياً أعلى أو مجلساً للعلماء، وبجانب ذلك جماعات للدعوة الإسلامية تجد من حكومتها الدعم الماديّ والأدبي، ويندرج ضمنها رجال مؤمنون يخلصون النصح ويصدقون فيه، ويمارسونه كعبادة وهواية، يتأثّرون ويؤثّرون، فكم نحن في حاجة أكيدة إلى جمع شتات هؤلاء المؤمنين المخلصين الصادقين الذين يفهمون الإسلام على حقيقته، وإعطائهم الفرص الكافية للعمل؟

٥ ـ التشريع .

وكم تتوّج أعمالنا بالنجاح والتوفيق إذا نحن عمّمنا مسألة المراجعة الواعية المتبصّرة حتّى في بعض مسائلنا التشريعية على ضوء التجارب التي عاشها المجتمع التونسي في ظروفه الأخيرة.. وكلّ هذه الأشياء أمام أصحاب العزائم الصادقة من روّاد الإصلاح المقدّرين للمسؤولية التاريخية سهلة وميسورة، وإنّها لتعطي للحزب والدولة من القوّة والمناعة ما لا تعطيه الجيوش الجرّارة ولا قوّة البوليس!

٦ ـ لغة الإدارة .

لقد جعلنا من أهدافنا القومية المقدّسة مسألة تعريب التعليم والإدارة، وبذلنا في سبيل تحقيق هذه الغاية، ولكنّنا بكلّ أسف وقفنا تماماً عن تطبيق مسألة التعريب عندما أصبحت

أُمورنا بأيدينا ؛ إذ أنّ الإدارة ما تزال لغتها فرنسية في مجموعها، والتعليم يخدم الفرنسية أكثر من التعريب، الأمر الذي جعل شبابنا يفضّل التخاطب بالفرنسية حتّى في أُموره العادية، فمتى نأذن لمصالحنا الإدارية باستعمال العربية في مناشيرها وتنابيهها وغير ذلك من كلّ ما هو خارج عن نطاق الفنّيات الضرورية ؟!

٧ ـ الأخلاق العامّة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأُمم تعلو وتنزل بالأخلاق:

فإنّما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إنّ نبينا ﷺ قال: «الدين الأخلاق»، وقال: «إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»، وليس هناك من ذوي العقول من يجادل في ثبوت هذه الحقيقة، غير أنّنا ـ ويا للأسف ـ نلمس انحداراً أخلاقياً عظيماً يجتاح المعمورة قاطبة، ويصيبنا شرّه هنا بنسبة كبيرة جدّاً، الأمر الذي يوجب علينا أن نقف لصدّ تيّاره الجارف بكلّ ما أُوتينا من قوّة ؛ حتّى نجنّب أُمّتنا الانهيار المحقّق إذا تمادى هذا الإهمال والتجاهل لمسألة الأخلاق؛ لأنّه لا علاج لها إلّا بالرجوع إلى الأخلاق الإسلامية الأصيلة.

خاتمة:

وإنّي إذ أُقدّم هذه المقترحات أُقدّمها بدافع الحبّ لهذه الدولة ورجالها والغيرة على الدين والوطن، والإيمان القوي بأنّ الوحدة القومية يجب أن تكون شيئاً مقدّساً، ويجب أن تكون واسعة تستوعب جميع الناس وتحقّق لهم أهدافهم؛ إذ مع بعد النظر وحسن النية لا يمكن أن يوجد تناقض بين المخلصين. أُقدّم لكم كلمتي هذه ورائدي الوحيد النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، فعسى أن تجد لديكم ما تستحقّه من تأمّل واعتبار، وذلك هو غايتي ومنى نفسي».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١١٠).

حسّان حتحوت

حسّان حتحوت: طبيب، وداعية، ومفكّر إسلامي مصري.

ولد في مدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية شمالي مصر بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٢٤ م، وأنهى دراسته للطبّ في جامعة فؤاد الأوّل (جامعة القاهرة الآن) متخصّصاً في مجال النساء والولادة، ثمّ حصل على الماجستير من نفس الجامعة عام ١٩٥٢ م، بعدها نال درجة الدكتوراه في علم الأجنّة ثمّ الزمالة من بريطانيا. وعمل في مستشفى الدمرداش بالعاصمة المصرية القاهرة لمدّة سنة، ثمّ بالقسم الريفي في بعض ضواحي مدينة المنصورة شمال القاهرة.

وفي عام ١٩٨٩ م هاجر إلى الولايات المتّحدة حاملاً هدفاً رئيسياً، وهو مساعدة الأقلّية المسلمة في الولايات المتّحدة، وشارك في تأسيس المنظّمة الدولية للعلوم الطبّية الهادفة إلى نشر أخلاقيات في مجال الطبّ نابعة من أحكام الله تعالى، وأسهم أيضاً في تأسيس مجلس الأديان بجنوب كاليفورنيا. وكان المتحدّث الرسمي في احتفالية المسلمين والمسيحيّين الأُولى بالبيت الأبيض عام ١٩٩٩ م، كما كان عضواً نشطاً في لجنة أخلاقيات التناسل البشري بمنظّمة الصحّة العالمية، وقريباً بشكل كبير من الفاتيكان. وكان خطيباً مفوّهاً متمتّعاً بثقافة ثرية، ويكتب الشعر.

ونجح الدكتور حتحوت في عقد تحالفات مع منظّمات اجتماعية وجماعات دينية حول بعض القضايا، منها مناهضة استخدام الأسلحة النووية، وكذلك معارضة إباحة حقّ الإجهاض، وإساءة استخدام الدين بشكل عامّ.

مع تلك الحياة الزاخرة في خدمة الإسلام علّق الدكتور مزامل صدّيقي رئيس مجلس الفقه في أمريكا الشمالية على خبر رحيل الدكتور حتحوت عام ٢٠١٠ م بقوله في تصريح لـ«إسلام أون لاين. نت»: «لقد فقدنا اليوم رمزاً من رموز الإسلام في أمريكا الشمالية.. كان صوتاً للحكمة والوضوح على مدار أكثر من ثلاثين عاماً في جنوب كاليفورنيا».

بدوره قال رئيس مجلس الشورى الإسلامي بجنوب كاليفورنيا في بيان له: «ببالغ الحزن والأسى عرفنا برحيل الدكتور حتحوت بعد ظهر اليوم (أمس)، وندعو الله أن يسكنه

الفردوس، وأن يلهم أُسرته الصبر والسلوان».

أمّا الدكتور ماهر حتحوت الشقيق الأصغر للراحل فقال لـ «إسلام أون لاين. نت»: «كان بالنسبة لي أكثر من شقيق، كان صديقاً ومعلّماً وقائداً ورائداً».

وأردف الشقيق الأصغر: «هو الشخص الوحيد الذي لم أره طيلة حياته يحمل كرهاً لأحد.. كان يعبّر عن الإسلام من خلال سلوكه الشخصي.. حديثه وتعبيرات وجهه وكتاباته».

فيما قال الدكتور كمال الهلباوي المتحدّث الرسمي السابق باسم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين: «إنّ الدكتور حتحوت كان يمتلك كاريزما خاصّة.. كان على قدر كبير من الثقافة، ويمتلك خبرة عظيمة».

وأضاف الدكتور الهلباوي: «كان تركيزه الرئيسي على إعادة تشكيل المستقبل ومعالجة أزمة العقل لدى المسلمين، وسيظلّ العديد من الأجيال المسلمة تنتفع بإرثه الثري».

نال الدكتور حتحوت العديد من الجوائز من المنظّمات الدينية والإنسانية، منها: جائزة غصن الزيتون المسلم المسيحي؛ نظراً لجهوده في إحلال السلام ودعم التعايش بين أتباع الديانات المختلفة.

هذا، وقد انظمّ حتحوت لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤١ م على يد مؤسّسها الإمام حسن البنّا، وكان شديد التأثّر به. ومازال يحفظ كلمته «سنقاتل الناس بالحبّ»، وجعلها مبدأً أساسياً لحياته.

شارك من خلال قسم الطلبة في الحركات الطلّابية والحركة الوطنية المشتعلة في مصر حتّى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ م، وبعدها انقطعت صلته التنظيمية بالجماعة منذ عام ١٩٥٣ م.

اشترك في حرب فلسطين، وذلك بصفته طبيباً، واشترك مع آخرين في إدارة مستشفىٰ الرحلة أثناء المعارك. وبعد عودته من فلسطين تمّ اعتقاله في معتقل «الهايكستب» قرابة العام، وقد تعرّض خلالها للتعذيب والضرب. وبعدها سافر للكويت واستقرّ في عمله هناك،

فأرسل إلى المباحث العامّة المصرية يطلب العودة والمشاركة بجهده وعلمه في خدمة مصر، فرحّبت به السلطات المصرية، وعاد مدرّساً بطبّ عين شمس عام ١٩٦١ م وبجامعة أسيوط الجديدة عام ١٩٦٣ م، وخلال هذه الفترة عمل على دعم العلاقة الودّية بين المسلمين والأقباط خلال محاضراته ودروسه حتّى أحبّه الجميع. ولكن كلّ هذا لم يكن شفيعاً له؛ إذ تمّ اعتقاله عام ١٩٦٥ م في ظلال أغرب قرار اعتقال لجماعة الإخوان المسلمين، وهو «اعتقال كلّ من سبق اعتقاله»، واستمرّ الاعتقال عدّة أشهر، ورغم عدم تعرّض آلة التعذيب لشخصه لكنّه عايش وسمع ورأى بعينه عمليات التعذيب الرهيبة والتي عرفت باسم «المحرقة»، وخرج بعدها ليسافر إلى الكويت مرّة أُخرى مقرّراً عدم العودة إلى مصر ثانيةً.

استقرّ الدكتور حسّان في الكويت قرابة عشرين سنة طبيباً ومدرّساً، ورئيس قسم أمراض النساء والولادة بكلّية الطبّ بها.

كما سبق واستقرّ الرجل في إنجلترا أثناء فترة دراسته للدكتوراه، وكان هذا هو أوّل احتكاك بوضع المسلمين في الغرب وبوضع المسلمين من بلاد شتّى، وإن كان أكثرهم من باكستان والهند. ورأى الدكتور حسّان أنّ المشكلة الأساسية هي أنّ المسلمين يأتون للغرب بمشاكل بلادهم، ويعيشون بنفسية المغترب.

وخلال فترة عمله بالكويت سافر الدكتور حسّان إلى الولايات المتّحدة الأمريكية العديد من المرّات، وبعد تفكير عميق قرّر الرجل أن يترك مكانه ومكانته في الكويت وأن يجعل ما بقي من العمر من أجل العمل للإسلام في الولايات المتّحدة الأمريكية، حيث لمس بيده أنّ في هذه الأرض فرصة حقيقية للدعوة الإسلامية، وكانت البداية في أمريكا عام ١٩٨٨ م، والمفتاح هو العمل والتعاون من أجل خير المجتمع الأمريكي نفسه.

عند وصوله كان المركز الإسلامي بولاية نيوجيرسي بلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، سبقه إليه شقيقه الأكبر بحوالي عشرين سنة.

كان هدفه هو تحويل وجهة نظر الأمريكان للمسلمين وإقناعهم بأنّهم بشر مثلهم،

وذلك أنّ آلة الإعلام الغربي جعلتهم ينظرون إليهم وكأنّهم حيوانات مقزّزة غير مستأنسة !

فشرع في استخدام ما توفّره آلة الإعلام الغربي نفسها من إمكانات ؛ إذ بدأ بتسجيل برامج تليفزيونية في أشكال مختلفة تعمل على تقديم الإسلام في شكله الصحيح وإذاعتها في أوسع دائرة ممكنة ، وقام بإلقاء محاضرات في كافّة المحافل ، وذلك لعرض الإسلام ، حتّى أنّه ألقى محاضرة في إحدىٰ الكنائس مبتدئاً بإثارة مقولة لأحد القساوسة في كتاب منشور أنّ المسلمين لهم « ذيول » ، ثمّ استدار متسائلاً : هل يرون لهذا القول مصداقية ؟ ! وشرع ينقد كثيراً من المغالطات المشهورة بينهم عن المسلمين .

كان الأمر الأكثر تأثيراً هو العمل على تقديم النماذج الإسلامية الصحيحة سلوكاً وعملاً بين أفراد المجتمع الأميركي ، فكان نموذج المدير المسلم الناجح في عمله والملتزم بدينه في ذات الوقت هو الدافع وراء التغيير التدريجي في تعامل الأمريكيّين مع المسلمين .

كما نجح في عقد تحالفات مع تنظيمات اجتماعية مختلفة ، وكذلك مع تنظيمات دينية مختلفة ، وذلك في الأُمور التي تتّفق مع وجهة النظر الإسلامية ، مثل التحالف ضدّ استخدام الأسلحة النووية ، والتحالف ضدّ إباحة الإجهاض ، أو سوء استخدام الدين بكافّة أشكاله . وكان هذا الأخير محلّاً لوقف حملة ضدّ المسلمين ؛ إذ قامت لجنة من الكونجرس بعقد حوار واسع تمهيداً لإصدار تشريع ضدّ الدول التي تمارس الاضطهاد الديني ، وكانت الوجهة كلّها ضدّ الدول العربية والإسلامية! وقد شارك أحد تلاميذ الدكتور حسّان في هذه اللجنة ، وإذا بالرجل يفجّر الأمر أمام اللجنة ، إذ يطرح تساؤلاً : «أين اضطهاد إسرائيل للفلسطينيّين؟ أين اضطهاد المسلمين في الفلبين؟ أين اضطهاد المسلمين في الشيشان في روسيا الاتّحادية؟ أم أنّ الإسلام غير معترف به ديناً عند اللجنة ، وتكون نتيجة المواجهة تشريعاً ميّتاً بوقف المساعدات عمّن يمارس اضطهاداً دينياً .

وينجح الدكتور حسّان ورفاقه في حمل الإدارة الأمريكية على الاعتذار في وسائل الإعلام المختلفة عن إهانة وجّهت للمسلمين والإسلام باعتبارهم «إرهابيّين» وبصورة

خاصّة وجّهوا اعتذاراً لمسلمي أمريكا.

حسّان موسىٰ

الدكتور حسّان موسىٰ: مسؤول المجلس السويدي للأئمّة، ومسؤول لجنة الدفاع عن شخصية الرسول الأكرمﷺ ضدّ التطاولات الغربية على الإسلام ورسوله، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يقول في لقاءٍ معه أجرته مجلّة «رسالة التقريب» ما نصّه: «لم يعرف المجتمع الإسلامي التعصّب المذهبي إلّا بعدما تدخّلت السياسة في صناعة القرار والحكم، حيث إنّ في العهد الأوّل، العهد النبوي الذي عاش فيه الصحابة الكرام وأهل بيته الأخيار، جوّاً من التعارف والتحابب والتعايش والتقدير لأهل بيت النبيﷺ، ثمّ عندما تدخّلت السياسة في قضايا الأُمّة وأصبح هناك تجاذب في قضية الحكم ومن يحكم بدأ الصراع يظهر، ولذلك ترتّب على ذلك آثار سلبية: أوّلاً: انقسام الأُمّة وتفرّقها. ثانياً: اعتداء على بعض المحرّمات، كالاعتداء على أهل البيت عليهم السلام من قتل وتشريد وانتهاك بعض الحرمات. نجم عن ذلك أنّ الأعداء قد تدخّلوا بصبّ الزيت على النار، كما أنّ هذه الآثار امتدّت إلى ظهور صراعات قبلية واجتماعية أدّت إلى خلق حالة تنافر بين الأُمّة، بعدما كانت تجتمع تحت مظلّة واحدة.

لهذا مع مرور الزمن، ومع التراكمات التاريخية ومع الآلام والأحداث التي حدثت في تاريخ الأُمّة ظهرت هناك فِرق بعضها تنادي بالثأر لأهل السنّة، وبعضها بالثأر لأهل البيت عليهم السلام، ممّا أدّى إلى نشر ثقافة الثأر. لهذا دفعت الأُمّة إلى التشتت والتفرّق، واستطاع أعداء هذه الأُمّة بهذه الصور المنحرفة وهذه التجاذبات الدخول والتأثير على بعض صنّاع القرار، ممّا أدّى إلى الاستعانة بالعدوّ في كثير من الأحيان، وتحويل الأُمّة الواحدة إلى دويلات هنا وهناك.

لهذا أعتقد أنّ التقريب بين المذاهب هو أحد الطرق أو الطرائق التي تجمع بين الأُمّة وإلى وحدتها، خاصّة في هذه الظروف، ولا بدّ أن نقرّ أوّلاً وأخيراً أنّنا عندما ندعو إلى

التقريب فأنا أُفضّل كلمة التعايش بدل التقريب ؛ لأنّني أعتقد أنّه لا يمكن للسنّي أن يكون شيعياً، وكذلك العكس، ولكن يمكن أن يكونوا أُخوة مسلمين. ولهذا أنا ضدّ التبشير المنظّم، سواء باسم السنّة أو باسم الشيعة، أو بأيّ اسم لطائفة أُخرى، على أنّ الناس أحرار باتّخاذ المذهب في إطار الحرّية الشخصية.

لهذا أعتقد أنّ حرية التعايش يجب أن تمرّ بمراحل :

أوّلاً : تعليم الناشئة ثقافة الحوار، وللأسف ممّا يحزن له أنّنا نقبل الحوار مع المسيحي واليهودي ومع أصحاب الديانات الأُخرى، وندعو إلى حوار الحضارات، لكن للأسف عندما نتحاور كإسلاميّين أو كمسلمين نتحوّل من حوار الفنادق إلى حوار البنادق !

اثنين : لا بدّ أن لا نعيد التاريخ ونستجلب الماضي. نعم، هناك مرارات في تاريخنا، هذا تاريخ قد مضى، وإنّا لسنا بمسؤولين على ما حدث، أو مطالبين بالحكم عمّا حدث. مطلوب منّا أن نستفيد ونأخذ الظروف والعِبر على ما مضى، ونستلهم في إطار أُخوّة صادقة، ووحدة كاملة، وعمل دؤوب، يؤدّي إلى رفع إبهامات هذه الأُمّة الجريحة في أفغانستان وفي العراق وفي الشيشان وفلسطين وفي كلّ مكان.

نقطة أُخرى أُريد أن أؤكّد عليها، أنّنا لا نعني بتجاوز مرارات التاريخ أنّنا نلغي التاريخ، فالتاريخ موجود وسوف يبقى شاهداً لنا أو علينا، ولكن نتمثّل قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة : ١٣٤).

وفي رأيي علينا أن نشيح مؤقّتاً عن نبش التاريخ ؛ لأنّه لا يعيد من مات، ولا يعيد عقارب التاريخ، ولا يعيد لنا الأمجاد، بالعكس ولّد لنا نبش التاريخ ثقافة اسمها « ثقافة الأحقاد، ثقافة التآمر والكراهية ».

لهذا أنا أدعو إلى ثقافة التعايش وثقافة التعدّدية في إطار مجتمع واحد وفي إطار أُمّة واحدة تحت شعار : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ».

ويقول حول رسالة مجمع التقريب : «الحقيقة مجمع التقريب له رسالة عظيمة، خاصّة

أنّه ينطلق من إيران، هذه الدولة التي رفعت شعار (الإسلام هو الحلّ) ورفعت (لا شرقية ولا غربية، إسلامية إسلامية).

أعتقد أنّ هذا المجتمع بحاجة إلى أن يُدعم من الخيّرين والعقلاء والشرفاء، من كلّ العالم، وأن لا يكون تحت مظلّة أيّ دولة أو أيّ سياسة، وإنّما يكون تابعاً لسياسة واحدة، هدفها الوحدة، وتجمّع المسلمين، والارتقاء بهم حضارياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً لا سياسياً فقط.

أعتقد أنّ وجوده في إيران قد يعطيه الزخم الإسلامي والبعد الثوري في عملية الحركة، وليس في تصدير الثورة، ولكن يبقى أنّ وجود مراكز في مناطق أُخرى قد يكون من الأهمّية بمكان.

المؤتمر وهو في نسخته الثامنة عشرة أعتقد أنّه حقّق كثيراً من الإنجازات:

الأوّل: أنّه جمع المبتعدين والمتفرّقين.

ثانياً: استطاع أن يكسر بعض الحواجز التي صنعت من قبل هذه الأُمّة.

ثالثاً: أنّه شرح الوضع، وقدّم الحلول والمقترحات، واستطاع أن يبرز إمكانية الاجتماع من خلال البحث العلمي بعيداً عن الاعتبارات السياسية أو العرقية أو إلى غير ذلك».

ويقول أيضاً: «لا شكّ هناك من يريد أن يعيد الصراع الطائفي أو العرقي في بعض أقطار المجتمع، هم أعداء الدعوة الإسلامية ولصوص الحركة الإسلامية وقطّاع طرق!

الحقيقة إذا كان المسيحي واليهودي قد وصل إلى قناعة من الاجتماع على كلمة سواء، إذا كان أتباع الديانة المسيحية البروتستانتية والأرثذوكسية [استطاعوا] أن يجمعوا أمرهم على كلمة سواء في إطار قواسم مشتركة، فكيف ببني أُمّة الإسلام من المحيط إلى جنوب شرق آسيا؛ يجمعهم السجود إلى ربّ واحد، والاتّجاه إلى قبلة واحدة، ويجمعهم تلاوة كتاب واحد، ويجمعهم نبي واحد، وبكثير من الأحيان تجمعهم لغة واحدة، وحضارة واحدة، وقواسم مشتركة في التاريخ، يختلفون ويقتتلون ويقدّمون أنفسهم قرابين في إطار

خدمة الأعداء!».

وأخيراً يتحدّث عن نشاطه الإسلامي قائلاً: «لنا نشاط إسلامي على مستوى السويد والدول الإسلامية، نحاول من خلاله تحقيق ثلاثة أهداف:

أوّلاً: تثبيت الوجود الإسلامي في الغرب، وعلى أنّ الإسلام أتى ليبقى لا ليرحل.

الثاني: هو التركيز على القواسم المشتركة التي تجمعنا كأعراق، وكذلك لأنّنا من أعراق شتّى عرباً وعجماً، سنّة وشيعة وغيرها، نحاول على قدر الإمكان أن نجمع الناس على كلمة سواء، وهي: (لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله)، والتأكيد على الأُصول.

الثالث: أنّنا ندعو إلى أنّنا في مجتمع متعدّد الثقافات والأعراق والأديان، يجب علينا أن نمارس من خلال حقوق المواطنة الكاملة على أنّنا مواطنون سويديّون، لنا حقوق وعلينا واجبات، ونحبّ هذا الوطن الذي جمعنا وسمح لنا بالحركة، وفي كثير من الأحيان بنشاطات إسلامية، وساعدنا في بناء المساجد، وساعدنا في إنشاء المؤسّسات، ودعم مدارسنا و.. وسمح للمحجّبة أن تكون عضواً في البرلمان، وسمح لها أن تمارس وجودها الإعلامي من خلال البرنامج في القناة الأُولى والثانية السويدية، وسمح لنا بالمشاركة السياسية، ويستحقّ منّا الشكر».

حسن إسلام يحيى

حسن إسلام يحيى: داعية، من كبار علماء يوغسلافيا وألبانيا.

ولد بمدينة جاكووه في إقليم كوسوفو بيوغسلافيا السابقة سنة ١٩٠٥م، ونشأ في بيئة علمية، ودرس على والده وغيره العلوم العربية والإسلامية، ثمّ حصل على الشهادة العالمية للغرباء من الأزهر، وعاد إلى بلاده، فكلّفه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القيام بالدعوة، واستحدث له وظيفة واعظ سيّار، فأخذ يتجوّل في المدن والقرى لهذا الغرض، فلمّا نشبت الحرب العالمية الثانية عيّن مفتياً في مدينة برزرين، فاتّخذ مركزاً له معهد بيراقلي باشا الديني جامعاً بين التدريس والإفتاء، ثمّ لزم داره عندما دخل الشيوعيّون بلاده وألغوا الوظائف الدينية، فأخذ يشتغل بتربية النحل، حتّى سمح الرئيس اليوغسلافي

تيتو للمسلمين بفتح معاهدهم والاهتمام بدينهم، فجعل يدرّس بمعهد علاء الدين في برشتنة، واستمرّ فيه عشرين عاماً، تفرّغ بعدها للتصنيف، فترجم «معاني القرآن الكريم» إلى اللغة الألبانية.

توفّي في برشتنة سنة ١٩٩١ م، ودفن في جاكووه.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١١٢).

حسن البنّا

حسن أحمد عبدالرحمان البنّا الساعاتي: المرشد العامّ لجماعة الإخوان المسلمين ومؤسّسها في مصر، وأحد روّاد الوحدة والتقريب.

ولد عام ١٩٠٦ م ببلدة «المحمودية» بمحافظة «البحيرة»، وبدأ بحفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، ثمّ التحق بمدرسة الرشاد الدينية، ثمّ بمدرسة المحمودية الإعدادية، ثمّ بمدرسة المعلّمين بدمنهور. وانضمّ لبعض الجمعيات الدينية التي أسّسها هو بنفسه، كجمعية «الأخلاق الأدبية» وجمعية «منع المحرّمات»، ثمّ انضمّ إلى طريقة صوفية «الإخوان الحصافية»، ممّا أصّل في نفسه معاني الصفاء والزهد والتجرّد، وساهم في تأسيس الجمعية «الحصافية الخيرية» لمقاومة المحرّمات والنشاط التبشيري المسيحي، وتخرّج من الثانوية، وكان ترتيبه الخامس على الجمهورية المصرية، والتحق عام ١٩٢٣ م بدار العلوم في القاهرة، وتخرّج منها سنة ١٩٢٧ م، وكان ترتيبه الأوّل، وساهم في تحرير صحيفة «الفتح» الإسلامية.

أسّس مع ستّة آخرين جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ م للتعريف بالإسلام الصحيح، واختار لنفسه لقب المرشد العامّ، وتخرّج مدرّساً بالقاهرة عام ١٩٣٢ م، فانتقل مركز نشاط الجماعة إليها، وأصدر صحيفة «الإخوان المسلمين»، واتّجه صراحة صوب ميدان السياسة سنة ١٩٣٨ م، وأصدر صحيفة «النذير»، وأنشأ معهد حراء الإسلامي ومعهد أُمّهات المؤمنين.

وقعت أعمال عنف وأحداث اغتيال سياسي وعمليات نسف نُسبت للجماعة، فحلّتها

وزارة النقراشي سنة ١٩٤٨ م، فاغتيل الآخير في نفس السنة، وردّت الحكومة المصرية باغتيال الشيخ البنّا سنة ١٩٤٩ م.

وقد كان البنّا يرىٰ أنّ الإصلاح يجب أن يحظىٰ بشكل ومحتوىً محلّي ولا يكون تقليداً للغرب ومفاهيمه وفلسفته. ويرىٰ أنّ الوحدة هي القاعدة الأساسية للحركات الإسلامية، ولا يتيسّر للحركات الانتصار دون إزالة عوامل وعناصر التشتّت والتفرقة بين أبناء الأُمّة الإسلامية. وقد عدّ الاستعمار أو كما يقول هو معبّراً عنه بالاستخراب عنصراً مخرّباً لوحدة الأُمّة، ومن ثمّ طالب بإزالته بمختلف صوره.

وقد كان من جملة أبرز المهتمّين بحركة التقريب بين المذاهب الإسلامية وضمن المؤسّسين الأوائل لجماعة التقريب بالقاهرة، وحواره الجاد مع آية الله الكاشاني معروف للجميع، والذي قيل: إنّه أحد الأسباب التي دعت الحكومة المصرية إلى اغتياله، بالإضافة إلى دعمه للقضية الفلسطينية.

وتجدر هنا الإشارة إلى نقطتين وذكريان تاريخيتان بشأن الدور التقريبي للشيخ حسن البنّا:

كان آية الله السيّد رضا الصدر من العلماء المعروفين في الحوزة العلمية في قم (نجل المرحوم آية الله السيّد صدر الدين الصدر والأخ الأكبر للإمام موسىٰ الصدر)، حيث كان يقدّم دروساً في الأخلاق لطلّابه في ليالي الخميس في بيته (وقد طبعت كلماته في تلك الليالي في عدد من المجلّات)، وفي عام ١٣٧٥ هـ تحدّث السيّد الصدر حول أسرار الحجّ وآثاره الاجتماعية ودوره في إيجاد الوحدة الإسلامية بين طوائف المسلمين، فقال: «أثّر التبليغ والإعلام السيّئ من جانب السلفيّين الوهابيّين، فاحتجّ بعض المصريّين في أحد المراسم التي أُقيمت في موسم الحجّ ـ والتي كان قد حضرها حسن البنّا ـ من منطلق عدم معرفتهم لحقيقة التشيّع على الشيعة المشاركين في الحجّ، وعندما عرف المرحوم حسن البنّا بالأمر حضر في مركز تجمّع الحجّاج المصريّين، وألقى كلمة تنويرية محذّراً فيها من مغبّة هذا الشيء، وقال: لا يحقّ لأيّ فرد أن يهاجم المسلمين الآخرين، وأضاف بعد ذلك

في كلمته قائلاً: إنّ الفرق الموجود بين بعض أهل السنّة وبين الشيعة هو أنّ الشيعة يحبّون أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله» أكثر من غيرهم، وهذا الشيء أداء لهم للدين، فينبغي أن يشكّل هؤلاء القدوة لنا نحن المصريّين الذين لنا ولاء لأهل البيت عليهم السلام، ثمّ أضاف آية الله الصدر قائلاً: «لقد لعبت هذه الكلمة للشيخ حسن البنّا دوراً أساسياً في تغيير التعامل مع الشيعة».

خاطرة أُخرى كان يرويها المرحوم العلّامة الشيخ محمّد تقي القمّي مؤسّس «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في مصر، فكان يقول: «بعد مقتل أبي طالب اليزدي في الحجاز من جانب السعوديّين توقّفت زيارة الإيرانيّين للحجّ عدّة أعوام، وبعد بذل المزيد من الجهود لإزالة الشبهات قامت دار التقريب بطباعة كتيّب مناسك الحجّ اعتماداً على المذاهب الأربعة لأهل السنّة ومذهب الشيعة الإمامية؛ ليتّضح وجود الإجماع الكلّي بين المذاهب الإسلامية في مسائل الحجّ كذلك، لكنّ المؤسف هو أنّ المسؤولين عن الحجّ منعوا نقل هذه المناسك إلى الحجاز، وعندما طرح هذا الموضوع على الشيخ حسن البنّا ـ والذي كان من مؤسّسي دار التقريب ـ طرح حلاً ملفتاً للنظر لنقل مناسك الحجّ للمذاهب الخمسة، وهو الأمر بطبع كافّة مسائل الحجّ وفق آراء فقهاء المذاهب الإسلامية في الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الإخوان المسلمين، ثمّ بعث الصحف بواسطة الحجّاج المصريّين إلى الحجاز، وتمّ توزيعها على الحجّاج، وترك ذلك أثراً بالغاً في إيجاد الوحدة بين المسلمين».

وقد وضع الشيخ البنّا أُصولاً عشرين للمّ شمل المسلمين، وهي كالتالي:

الأصل الأوّل: الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأُمّة، وهو خلق وقوّة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادّة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

الأصل الثاني: القرآن الكريم والسنّة المطهّرة مرجع كلّ مسلم في تعرّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلّف ولا تعسّف، ويرجع في فهم السنّة إلى رجال الحديث الثقاة.

الأصل الثالث : للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلّة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلّا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

الأصل الرابع : التمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادّعاء معرفة الغيب وكلّ ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته ، إلّا ما كان آية من قرآن أو رقى مأثورة .

الأصل الخامس : رأي الإمام ونائبه فيما لا نصّ فيه وفيما يحتمل وجوهاً عدّة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغيّر بحسب الظروف والعرف والعادات ، والأصل في العبادات التعبّد دون الالتفات إلى المعاني ، وفي المعاملات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد .

الأصل السادس : كلّ أحد يؤخذ من كلامه ويُترك إلّا المعصوم ﷺ ، وكلّ ما جاء عن السلف (رضوان الله عليهم) موافقاً للكتاب والسنّة قبلناه ، وإلّا فكتاب الله وسنّة رسوله أولى بالاتّباع . ولكنّنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدّموا .

الأصل السابع : لكلّ مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلّة الأحكام الفرعية أن يتّبع إماماً من أئمّة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتّباع أن يجتهد ما استطاع في تعرّف أدلّة إمامه ، وأن يتقبّل كلّ إرشاد مصحوب بالدليل متى صحّ عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتّى يبلغ درجة النظر .

الأصل الثامن : الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً في التفرّق في الدين ، ولا يؤدّي إلى خصومة أو بغضاء ، ولكلّ مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق التزيه في مسائل الخلاف في ظلّ الحبّ في الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجرّ ذلك إلى المراء المذموم أو التعصّب .

الأصل التاسع : كلّ مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلّف الذي نهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع ، والخوض في المعاني القرآنية

التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب (رضوان الله عليهم) وما جرى بينهم من خلاف، ولكلّ منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفي التأويل مندوحة.

الأصل العاشر: معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من التشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرّض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله وأصحابه ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (سورة آل عمران: ٧).

الأصل الحادي عشر: كلّ بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم ـ سواء بالزيادة فيه أو النقص منه ـ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدّي إلى ما هو شرّ منها.

الأصل الثاني عشر: البدعة الإضافية والتركية والالتزام بهما في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكلّ فيه رأيه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

الأصل الثالث عشر: محبّة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيّب عملهم قربة إلى الله تبارك وتعالى. والأولياء هم المذكورون في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (سورة يونس: ٦٣)، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنّهم (رضوان الله عليهم) لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم.

الأصل الرابع عشر: زيارة القبور أيّاً كانت سنّة، وهي مشروعة بالكيفية المأثورة. ولكنّ الاستعانة بالمقبورين ـ أيّاً كانوا ـ ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها، والتمسّح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق ذلك من المبتدعات، كبائر تجب محاربتها، ولا نتأوّل لهذه الأعمال سدّاً للذريعة.

الأصل الخامس عشر: الدعاء إذا قُرن بالتوسّل إلى الله بأحد خلقه موضع خلاف فرعي

في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة.

الأصل السادس عشر: العرف الخاطئ لا يغيّر حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكّد من حدود المعاني المقصود بها اللفظ والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كلّ نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسمّيات لا بالأسماء.

الأصل السابع عشر: العقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهمّ من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مرتبتا الطلبة.

الأصل الثامن عشر: الإسلام يحرّر العقل، ويحثّ على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحّب بالصالح والنافع من كلّ شيء، و«الحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحقّ الناس بها».

الأصل التاسع عشر: قد يتناول كلّ من النظر الشرعي والنظر العقلي ما يدخل في دائرة الآخر، ولكنّهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤوّل الظنّي منهما ليتّفق مع القطعي، فإن كانا ظنّيين فالنظر الشرعي أولى بالاتّباع حتّى يثبت العقلي أو ينهار.

الأصل العشرون: لا نكفّر مسلماً أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدّىٰ الفرائض برأي أو بمعصية، إلّا إن أقرّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً بالضرورة، أو كذّب صريح القرآن، أو فسّره على وجه لا يحتمل تأويله إلّا الكفر.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢: ١٨٣ ـ ١٨٤، معجم المؤلّفين ٣: ٢٠٠، موسوعة السياسة ٢: ٥٣٢، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، الموسوعة العربية العالمية ٩: ٣٥٠، عظماء الإسلام: ٢٠٥ ـ ٢٤٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٦٢ ـ ٨١، نثر الجواهر والدرر ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢٠٠ ـ ٢١٨، من أعلام الإحياء الإسلامي: ٦٥ ـ ١١٨، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٣٩ ـ ٣٤٧، معجم السياسيّين المغتالين: ١٥١ ـ ١٥٢، رجالات التقريب: ٢٥١ ـ ٢٧٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٧١ ـ ١٧٢، ٢٠٨ ـ ٢١٠ و٢: ١٨٣ ـ ١٨٦).

حسن الترابي

حسن عبد الله الترابي: زعيم سياسي وديني سوداني، وداعية وحدة وإصلاح.

ولد في كسلا بالإقليم الشرقي في السودان بتاريخ ١ /فبراير / ١٩٣٢م، وكان والده قاضياً وخبيراً في قانون الشريعة. ويعدّ الصادق المهدي رئيس الوزراء السابق للسودان من أقربائه.

درس الترابي الحقوق في جامعة الخرطوم منذ عام ١٩٥١م حتّى ١٩٥٥، وحصل على الماجستير من جامعة لندن عام ١٩٥٧م، ودكتوراة الدولة في القانون المقارن من السوربون عام ١٩٦٤م. ويتقن الترابي أربع لغات بفصاحة، وهي: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

كان الترابي أُستاذاً في جامعة الخرطوم، ثمّ عيّن عميداً لكلّية الحقوق بها، ثمّ عيّن وزيراً للعدل في السودان. وفي عام ١٩٨٨م عيّن وزيراً للخارجية. كما اختير رئيساً للبرلمان السوداني عام ١٩٩٦م.

بعدما تخرّج عاد إلى السودان، وأصبح أحد أعضاء جبهة الميثاق الإسلامية، وهي تمثّل أوّل حزب أسّسته الحركة الإسلامية السودانية والتي تحمل فكر الإخوان المسلمين. بعد خمس سنوات أصبح لجبهة الميثاق الإسلامية دور سياسي أكثر أهمّية، فتقلّد الترابي الأمانة العامّة بها عام ١٩٦٤م.

عمل الترابي في ظرف سياسي اللاعب الأساسي فيه طائفتا الأنصار والختمية ذاتا الخلفية الصوفية واللتان تدعمان حزبي الأُمّة والاتّحادي ذوي الفكر العلماني. بقيت جبهة الميثاق الإسلامية حتّى عام ١٩٦٩م حينما قام جعفر النميري بانقلاب، وتمّ اعتقال أعضاء جبهة الميثاق الإسلامية، وأمضى الترابي سبع سنوات في السجن، وأُطلق سراحه بعد مصالحة الحركة الإسلامية السودانية مع النميري عام ١٩٧٧م.

وقد أعلنت حكومة النميري فرض قوانين الشريعة الإسلامية في عام ١٩٨٣م، وانقلبت بعدها على جبهة الميثاق الإسلامية حليفتها في السلطة، وعارض الشعب هذا الأمر بواسطة الإجراءات القانونية مثل حلّ البرلمان السوداني، وبواسطة المظاهرات، ممّا

أدّى إلى ثورة شعبية ضدّ النميري في عام ١٩٨٥ م. أسّس الترابي بعد عام الجبهة الإسلامية القومية، كما ترشّح للبرلمان، ولكنّه لم يفز. في يونيو عام ١٩٨٩ م أقام حزب الترابي انقلاباً عسكرياً ضدّ حكومة المهدي المنتخبة ديمقراطياً، وعيّن عمر حسن البشير رئيساً لحكومة السودان.

في عام ١٩٩١ م أسّس الترابي المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي الذي يضمّ ممثّلين من ٤٥ دولة عربية وإسلامية، كما انتخب الأمين العامّ لهذا المؤتمر. وقف الترابي ضدّ التدخّل الأجنبي في المنطقة بحجّة تحرير الكويت إبّان الغزو العراقي عام ١٩٩٠ م ممّا أدّى إلى تدهور علاقاته مع الغرب وبعض الدول العربية. اختلف مع حكومة الإنقاذ حول قضايا، أهمّها الفساد، والشورى، والحرّيات.. وحلّ البشير البرلمان في أواخر عام ١٩٩٩م، وبعدها أصبح الترابي أشهر معارض للحكومة. شكّل مع عضوية حزبه المؤتمر الشعبي في ٣١ / يونيو / ٢٠٠١ م، وحوى معظم قيادات ورموز ثورة الإنقاذ الوطني ومسؤولين كبار في الحكومة تخلّوا عن مناصبهم.

اعتقل في ٢٠٠١ م لتوقيع حزبه مذكّرة تفاهم مع الحركة الشعبية، ثمّ اعتقل مرّة أُخرى في مارس ٢٠٠٤ م بتهمة تنسيق حزبه لمحاولة قلب السلطة، وأخيراً اعتقل عام ٢٠١٠ م.

يعدّ الترابي من أشهر قادة الإسلاميّين في العالم، ومن أشهر المجتهدين على صعيد الفكر الإسلامي المعاصر، له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب في أُصول الفقه، وكتب كثيرة أُخرى في مجالات الإصلاح الإسلامي والسياسة، وله العديد من الرؤى الفقهية المتميّزة والمثيرة للجدل، وله دور فعّال في ترسيخ قانون الشريعة الإسلامية في الجزء الشمالي للسودان.

من مؤلّفاته: قضايا الوحدة والحرّية (عام ١٩٨٠ م)، تجديد أُصول الفقه (عام ١٩٨١ م)، تجديد الفكر الإسلامي (عام ١٩٨٢ م)، الأشكال الناظمة لدولة إسلامية معاصرة (عام ١٩٨٢ م)، تجديد الدين (عام ١٩٨٤ م)، منهجية التشريع (عام ١٩٨٧ م)، المصطلحات السياسية في الإسلام (عام ٢٠٠٠ م)، الدين والفنّ، المرأة بين تعاليم الدين

وتقاليد المجتمع، السياسة والحكم، التفسير التوحّدي، عبرة المسير لاثني عشر السنين، الصلاة عماد الدين، الإيمان وأثره في الحياة، الحركة الإسلامية: التطوّر والنهج والكسب، قضايا التجديد.. نحو منهج أُصولي.

وقد عدّه السيّد هادي الخسروشاهي ـ وذلك في ورقة بعثها لكاتب السطور ـ من أعلام التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ويرى الدكتور الترابي أنّ هناك أربع علل رئيسية تعدّ جذوراً للتطرّف والجمود الديني، وهي:

١ ـ الانقطاع عن الأُصول الشرعية في الكتاب والسنّة، والرضا والاقتناع بكلّ ما هو قديم من تقليد التطبيق العملي للسلف.

٢ ـ العكوف على «الفروعية» كأحكام الطهارة والوضوء وتعداد فرائض الصلاة ومندوباتها ومكروهاتها وأحكام البيع والشراء وآداب الراعي والرعية، وفي نفس الوقت التزام الصمت المطبق إزاء النظام السياسي والاقتصادي الإسلامي.

٣ ـ الخلل في ترتيب الأولويات، فهذه النظرة أفقدت العالم الإسلامي أولويات الإسلام، فما دامت الأُمور كلّها فروعاً فهو لا يعلم أيّ الفروع أهمّ من غيره.

٤ ـ الشكلية التي تعدّ من الآفات التي أبعدت الإنسان المسلم بعض الشيء عن أُصول دينه، فالألفاظ أُخذ الاهتمام بها وكأنّها ذات معنى خطير في الإسلام، وهكذا بالنسبة إلى وضع اليدين في الصلاة وقيام الإصبع عند قراءة التشهّد وغير ذلك من الشكليات.

وقد تناول الدكتور حسن الترابي العلاقة بين التجديد في الكون والتجديد في نمط التديّن، فأشار إلى أنّ الكون مذ خلقه الله تعالى ما فتئ يتحوّل ويتغيّر ويتجدّد، فالحيوان والنبات يولد ثمّ ينمو ويموت، فينتشي من بقيتها مولودات أُخرى، والوجود الكوني كلّه حادثات تزول وتتحوّل. فالتجديد لا يعني فناء القديم بجوهره، بل تدخّل مادّته وصيرورتها في شكل ووعاء جديد. والتديّن هو محاولة لعبادة الله من خلال التفاعل مع الحادثات، فلا بدّ للمتديّن إذن حتّى يثبت مع المعنى الديني الأزلي (معنى عبادة الله) أن

يتقلّب مع تلك الحادثات، وأن يتطوّر حتّى يضمن دائماً استقامة على القبلة والوجهة إلى الله سبحانه وتعالى، ليكون على صراط مستقيم، مهما تقلّبت به صروف الدهر وأحواله. أمّا إذا ثبت المرء على حالة واحدة من التديّن فإنّ الدهر بتقلّبه سيجرفه أو يقطعه عن وجه الله من حيث يحسب هو ويتوهّم أنّه ثابت على التوجّه القديم.

وذلك هو مغزى الطبيعة الابتلائية في الحياة الدنيا، فالله قد شاء أن يبتلينا بالتفاعل مع الكون، وقد كان لله لو شاء أن يبقينا في مسرح الجنّة نعبده على وجه واحد مطلق، ولكنّه أنزلنا إلى الأرض وحياتها الدنيا وابتلانا بمختلف صروفها وظروفها، يمتحننا أحياناً على الصعيد الاجتماعي بالرخاء، ولكنّه لا يديم علينا رخاءه، وإنّما يسلمنا إلى الشدّة أحياناً أُخرى؛ لينظر كيف نعمل في كلّ حال. ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥)، ويمتحننا الله على الصعيد الحضاري بتحدّ يرد علينا من الخارج عدواناً وغزواً، كما يمتحننا بتحدّ يقع علينا من الداخل مرضاً وانخذالاً في وحدتنا أو نهضتنا.

إنّ الجمود والتمسّك الحرفي بالقديم، واستعادته بصورته ومحتواه بتمامه، يعني محاولة قسرية للعودة بالزمان إلى الوراء، فإنّه مهما جمد الفكر فإنّ الحياة لا تتوقّف، بل تجتاح الحياة أطوار وأحوال مختلفة بمرور الزمان، فكيف يفي الفكر الذي أفرزته أطوار ماضية بمتطلّبات الأيّام المتغيّرة؟! إذن ينبغي عدم الخلط بين العناصر الثابتة والمتغيّرة في الدين؛ كيما نضمن استمرار رسالة الدين وخلودها.

ويثير الدكتور حسن الترابي مجموعة اعتراضات طالما تردّدت بين بعض الذين يريدون استعادة الماضي كما هو، منها: أنّ الدين من حيث تعلّقه بالله القديم الباقي لا يخضع في شيء لأحوال الزمن وأطواره، ولا نتصوّر فيه مفارقة بين قديم وجديد ممّا نعالجه بالتجديد، في حين ردّد الدهريّون أنّ الدين بل الوجود كلّه متقادم بائد.

ثمّ يجيب الشيخ الترابي على مثل هذه الاعتراضات ببيان العناصر الثابتة والعناصر المتحرّكة في الدين، وكيف أنّ الدين مثلما استطاع أن يوحّد بين الدنيا والآخرة وحظّ

الأزلي والقدر الزمني، يعالجها الدين عبر التزام التكليف الشرعي بمجاهدة تلك المفارقة حيثما طرأت ومحاولة تحقيق التوحيد في كلّ حال، ومن ثمّ يوصل الدين بين الأزل والزمن أو ما بين الثابت والمتحوّل.

أمّا كيف يوصل الدين بين الثابت والمتحوّل، فإنّه مادام الدين من حيث هو خطاب للإنسان ثمّ كسب منه واقعاً في الإطار الظرفي، فلا بدّ أن يعتريه شيء من أحوال الحركة الكونية، ولكنّه من حيث هو صلة بالله وسبب للآخرة متعلّق بالأزل المطلق الثابت، إنّما يؤسّس على أُصول وسنن ثابتة لا تتحوّل ولا تتبدّل.. وهو بهذا وذاك قائم على ردّ الشأن الظرفي المتحوّل إلى محور الحقّ الثابت، وردّ الفعل الزماني إلى المقصد اللا نهائي. فحركة التحوّل الدائبة في ظروف الحياة توشك أن تحوّل الإنسان عن الحقّ المطلق، فيلزم أن تقع له أو منه حركة دائبة مجاوبة تصحّح وجهته وتقوّم سيره؛ لئلّا ينحرف بتديّنه الواقع عن سنّة الله الواجبة.

ويورد الترابي نماذج لما يراعي معنى الثبات ويحفظ للحياة الدينية مستقرّها من الدين، مثل ما يشتمل عليه الوحي من أخبار وتقريرات لحقائق من عالم الغيب أو وقائع تاريخ عالم الشهادة.

ومن ذلك أيضاً وصايا الوحي بمواقف العبادة الكلّية ليكون الإنسان متديّناً، فيلقى ربّه يوم الدين. فذلك كلّه من أصل الدين والملّة الذي لا ينسخ؛ لأنّه يتعلّق بثوابت الوجود ويتّصل بالله الباقي أزلاً.

أمّا صورة التعبير عن أخبار الشرع فإنّها تتكيّف طبقاً لواقع الابتلاء الظرفي المعيّن الذي تخاطبه الرسالة الدينية المعيّنة، فيأتي خطاب كلّ رسالة على نحو ما يستجيب لحاجة تجاوز الباطل المعيّن الذي يقابلها، للانتقال إلى الحقّ الثابت الواحد. ولمّا كانت الابتلاءات الظرفية تتنوّع فإنّ الخطاب الديني قد يتنوّع في مداه وصوره، حسب حاجة كلّ رسالة، مهما كان مغزاه في آخر التقدير واحداً، وهو توجيه العباد إلى الله.

ومن ثمّ تتباين الرسالات أو الشرائع المنزلة في مدى إخبارها عن حقائق الوجود،

حسب ما هو أوقع على المخاطبين المعيّنين وألزم لهم، وتتباين فيما تتناوله من دحض باطل المعبودات الواقعة والعقائد السائدة والمذاهب الوضعية، لتقارن الحقّ مع تلك الضلالات الماثلة وتهدي إلى النور وراء الظلمات القائمة، وتتباين أساليب المخاطبة والمعادلة حسب البيئة الثقافية والتراث الخاصّ بالأُمّة المخاطبة وظروف الرسالة.

أمّا متى تقع الحركة في شرع الله ويتحوّل الحكم الشرعي؟ فهو حين يكون الحكم الأوّل مختصّاً بزمان معيّن وظرف بعينه، ولا تنسخ الشريعة الإلهية إلّا بوحي جديد، فإذا جاء أجلها بعث الله رسولاً جديداً؛ لتبديل ما أحلّ الله أو حرّم لظرف محدّد في أُمّة خالية، وقد تتوالى الشرائع متحرّكة مع تقادم الزمن بوحي جديد لا ينسخ القديم، وإنّما يبعثه بعد نسيان، ويظهره بعد خفاء إصابة بعد تطاول العهد وتضييع المتسحفظين أو تحريفهم، فتأتي الرسالة مصدّقة لما بين يديها لتحيي موات الدين، أو مصدّقة ومهيمنة لتحيي شرع الله وتكيّفه لتطوير جديد يقتضي تعبيراً عن حقّ الملّة الثابت بصورة تديّن ظرفية تكون هي الحقّ الزماني النسبي، بعد أن غدت الصور التي كانت مشروعة غير وافية بمقصد العبادة لله بسبب تحوّل قاعدتها الظرفية، ففي مجال الشعائر التعبّدية الخالصة تثبت مشروعية الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحجّ في الرسالات المتواترة، ولكن صورها قد تتبدّل، من حيث قبلة الصلاة وشرائطها وهيئتها، وميقات الصيام ونظمه، وقبلة الحجّ ومناسكه، وأقدار الزكاة ومصارفها.. فمن الشريعة كلّيات ثابتة هي تراث الرسالات الدينية الباقي أبداً، ومنها أحكام قطعية ثبّتها الله في وجه صروف الزمان والمكان؛ لأنّها أُمّ الكتاب، ومحاور الحياة الدينية التي تضبط حركتها على الدوام، ومنها مبادئ عامّة، ومجملات مرنة، وظنّيات واسعة يمكن أن تنزّل على الواقع بوجوه شتّى تبعاً لتطوّر ظروف الحياة وعلاقاتها وعلم الإنسان وتجاربه.

هذا، ويميّز الشيخ الترابي بين نحوين من تجديد الدين يصطلح على الأوّل «الإحياء» فيما يصطلح على الثاني «التطوير»، ويعتبر الأوّل ممّا يمثّل الدرجة الأدنى من التجديد، في حين يمثّل التطوير الدرجة القصوى؛ لأنّ الإحياء كما يقول يهدف إلى بعث شعاب

الإيمان الميّتة في النفوس، بتطاول الآماد وقسوة القلوب، من خلال التذكير بأُصول الدين والموعظة بوازعه ودافعه، ويهدف الفكر الخامل والعلم الضائع بثّ أُصول الشريعة وعلوم التراث، وإثارة لطاقات الحركة، لتصحيح الواقع الديني المجانب لمعايير الدين، ولمّا كان دين الله الحقّ محفوظاً في أُصوله الباقية، فإنّما يطرأ الموت والخمول والفتور على كسب المؤمنين وتديّنهم، فحركة الإحياء بعث للروح، ويقظة للعلم، ونهضة للعمل، تتصوّب بنحو التديّن لترتفع به نحو كمالات الدين.

أمّا التطوير فإنّه يهدف إلى ما هو أعظم من مجرّد الإحياء بالبعث والإيقاظ والإثارة؛ لأنّه يكيّف أحوال التديّن التاريخية لطور جديد في ظروف الحياة، وينهض بالدين نحو كسب يثري معانيه ويؤكّد وقعه بوجه جديد. ولا يتأتّى ذلك بالخروج من أُطر الدين الحقّ، بل عبر تصريف للمعاني والأحكام والنظم المركّبة في سياق نصوص الشريعة ذاتها، ممّا يتيح إنشاء أو يكون إعمالاً لمعان علقت بعلل ظرفية دائرة ورتّبت لتدور معها وتحوّل بحولانها، أو يكون التجديد إتماماً لما شرّعه الدين من مقاصد بتنزيل مجملاته وحمل توجيهاته على الواقع المعيّن، أو يكون التجديد نسخاً لما أُلحق بأُصول الشريعة من فقه السلف الاجتهادي وكسبهم، استدراكاً يعطّل ما ثبت خطؤه بمزيد تدبّر نظري أو تجربة تاريخ تكشف الحقّ وتعمّ الخلق، أو تبديلاً يهمل ما كان صواباً لزمانه، ولكن حالت الظروف التي ناسبته ونصبته صواباً، وغدا لزاماً أن نبحث عن الحقّ النسبي الجديد، فحركة التطوير لا تغشى أُصول الشرع ولا تنسخها، وإنّما ترد على وجوه التديّن بها والاجتهاد لفهمها وتحقيقها، فما أحاله الشرع للظروف يصرف بحسبها، وما جعله لرأينا وكسبنا رهين بأحوال النقص والاستدراك البشري.

كما يرى الشيخ الترابي أنّ الصلة عميقة جدّاً بين الفكر والواقع، فحين انقطع فكرنا عن الواقع حرم من كلّ مدد يصله بأُصول الحياة، وغدا محفوظات نقلية، والفكر الإسلامي الذي نشأ في سياق حركة الانحطاط التي لازمتنا دهراً طويلاً كان فكراً منحطّاً؛ لأنّه إذا انحطّ الواقع انحطّ الفكر، وإذا تحرّك الفكر تحرّك الواقع، فهما متلازمان تماماً.. فمع حركة

الانحطاط أصبحنا نرى أرض الإسلام تنقص من أطرافها، ومظاهره تتلاشى، وخيره يتضاءل، وتحيط به الشرور المقتحمة، وكانت علّة ذلك وعاقبته مواقف في العقيدة قنوعة غير طموحة تجنح للمحافظة، وتخاف من الشرّ، فلا تقتحم المخاطرات، بل تؤثر الفرار والنجاة، ولا ترى ارتياد المخاطر إلّا تهلكة، ولا في الحركة إلّا تردّداً إلى الأرذل، والفكر الإسلامي الذي أنتجته هذه المواقف العقدية في عهود الانحطاط فكر يدبّر عن واقعه الحاضر ويتشبّث بتراث الفكر الذي نشأ عن واقع سالف، وذلك من فرط تعلّقه بالماضي وارتيابه بالحاضر وخوفه من المستقبل، وحين يؤخذ فكر كان ثمرة تفاعل مع واقع معيّن مأخذاً مطلقاً وينقطع عن إطاره الواقعي يصبح تراثاً مجرّداً تنسدّ طرق الاجتهاد فيه والتجديد؛ لأنّ التفاعل مع الواقع الحي هو الذي يعرّض الفكر لتحدّيات الظروف المتجدّدة كلّ يوم، ويستفزّه إلى أن يستجيب لها فيتجدّد وينمو اضطراداً، وبغير هذه الصلة تموت دواعي التجديد وعناصر الحركة والتوالد.

هذا، ويدور جدال واسع حول الصلة بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية وسائر العلوم الحديثة الأُخرى، فهل يمكن الإفادة من معطيات هذه العلوم وتوظيفها في حقل الدراسات الإسلامية؟ وقد يذهب البعض إلى ما هو أبعد مدى من ذلك، فيدعو إلى اصطباغ العلوم الحديثة كلّها بصبغة إسلامية، وبالتالي أسلمتها بأسرها.. غير أنّ الشيخ حسن الترابي يقدّم حلّاً بديلاً يقوم على تحديد وظيفة تبادلية يمكن أن ينهض بها ما يسمّيه بعلم الطبيعة للعلم الشرعي وبالعكس، وعلم الطبيعة لديه يعني ما يشمل العلوم الاجتماعية وعلوم الطبيعة كالفيزياء والكيمياء وغيرها، بل أنّ الدكتور الترابي يعتبر كلّاً منهما مصدراً للعلم الإسلامي؛ لأنّ العلم الإسلامي في نظره له مصدران: أحدهما عقلي، والثاني نقلي، وهذان المصدران يتّحدان في الإسلام ويتناصران، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر، فلا يمكن أن تقرأ القرآن غير متدبّر ومتفكّر، كذلك لا يمكن للفكر أن ينظر في الطبيعة، ولا ينبغي له أن ينحصر بين الأشياء المشهودة، بل لا بدّ للإنسان كذلك أن ينفعل بعلم الوحي والغيب حتّى ينفذ إلى أعماق الطبيعة ويهتدي بالعلم كلّه إلى خالق الطبيعة، فالعلم الطبيعي

والعلم الشرعي فرعان من علم الدين ينبغي أن يتناصرا وأن يتّحدا؛ ليوحّد العلم كلّه، ويوجّه إلى الله تعالى، ويسخّر لعبادته فوق الأرض.

ولا يمكن أن نجتهد إلّا إذا تعلّمنا علوم الطبيعة كما نتعلّم علوم الشريعة؛ ذلك أنّ علم الطبيعة هو الذي يعرّفك بالواقع وأدواته. ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة فلا بدّ لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء ثمّ تقدّر ما هو الدواء الشرعي المعيّن الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يستدعي دراسة المجتمع دراسة فيزيائية وكيميائية حتّى تستطيع أن تحقّق الدين بأكمل ما يتيسّر لك.. ولا يسعنا اليوم أبداً أن نحقّق الدين بمنأى عن هذه العلوم الطبيعية؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد سخّر لنا من العقل ما أحاط بهذ العلوم وإنّه لسائلنا عنها.. لا بدّ من دراسة العلوم الطبيعية التي تمكّننا من إعداد القوّة بأقصى ما نستطيع في تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى.

ويتساءل الشيخ الترابي عن مبرّرات بناء فقه جديد، ثمّ يسوق عدّة مبرّرات يشدّد فيها على عدم قدرة التراث الفقهي على الوفاء بمقتضيات الزمان؛ لأنّ العلم البشري اتّسع اتّساعاً كبيراً، وكان الفقه القديم مؤسّساً على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع، ممّا كان متاحاً للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره، أمّا العلم العقلي الذي كان متاحاً في تلك الفترة فقد كان محدوداً أيضاً مع عسر في وسائل الاطّلاع والبحث والنشر، بينما تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة، وأصبح لزاماً علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة لنسخّر العلم كلّه لعبادة الله، ولعقد تركيب جديد يوحّد ما بين علوم النقل التي نتلقّاها كتابة ورواية قرآناً أو سنّة يديمها الوحي، وعلوم العقل التي تتجدّد كلّ يوم وتتكامل بالتجربة والنظر، وبذلك العلم الموحّد نجدّد فقهنا.

إنّ قراءة تراثنا الفقهي بتبصّر تكشف عن قصور كبير في رصيدنا الفقهي إذا طالبناه للوفاء بواقعنا المتجدّد، فعلى ما فيه من ذخائر شاهدة على رقيه البعيد بالمناظرة إلى ما كان يوازيه تاريخاً من التراث الوضعي، وعلى ما فيه من باقيات صالحات لهذا الزمان أو هاديات لما يصلح، فإنّه قد كان استجابةً للبيئة التي نشأ فيها، وتنزل عليها من أُصول

الشرع، كسباً اجتهادياً ينفعل بالبيئة أيضاً ويخاطبها مباشرة، وقد حدثت منذئذٍ تحوّلات مادّية وثقافية كبيرة، لا تطوّراً وتراكماً من تقدّم المسلمين، بل طفرة جرّتهم إليها هجمة الحضارة الأجنبية الغربية، هكذا نشأت قطاعات واسعة من الحياة لا يشملها الفقه التقليدي ولا يغطّيها.

ويتبدّى أحد أبعاد قصور الفقه بقصور منهج الاجتهاد التقليدي الذي يبتني على أُصول الفقه القديم، فعلم أُصول الفقه القديم منسوب إلى البيئة الثقافية التي نشأ فيها أو التي تكاملت فيها أبنيته وصياغاتها الأخيرة، ولذلك تلبّس بمفهومات المنطق الصوري التقليدي بأشكاله ومصطلحاته، ومن ذلك غدا علماً نظرياً مجرّداً للتأمّل، ولكنّه جاء عميقاً منبتاً عن الواقع الخصب بالحياة، ولا يكاد يؤهّل الماهر فيه لأن يولّد فقهاً أو يمارس اجتهاداً، هكذا كان مصيره في التاريخ، لم يؤذن تمام صياغته بنهضة للفقه، وتحجّر من بعدها، إلّا في أحوال أفلت المجتهدون فيها من المعهود الأُصولي، ولا يمكن أن تغشانا الغارة الفكرية الغربية بخيرها وشرّها ومناهجها المنطقية الوضعية والنسبية والتجربية دون أن تبدّل المعطيات الفكرية الأساسية التي أثمرت الفقه الأُصولي القديم.. إنّ بعض أُطروحات علم الأُصول أو منهج الفقه والتشريع الإسلامي التقليدي وبعض مصطلحاته، لا تشفي حاجات النهضة الفقهية، ولا تناسب البيئة المادّية الاجتماعية والثقافية الحاضرة، ولا تلبّي دواعي تجديد الفقه.

وأخيراً يؤكّد الدكتور الترابي أنّ المجدّدين إذا سلموا من الاتّهام في نياتهم فإنّ فقههم لا يسلم لغرابته من الاتّهام بالمروق على الدين وحركتهم من الاتّهام بالتطرّف والتهوّر، ويدخل الهوى أحياناً في الصراع تنافساً على الوجاهة والقيادة لدى العامّة المسلمة، أو فرقاً من تبعات التجديد ومجاهداته المضنية، وقد وئدت كثير من حركات التجديد؛ لأنّها اصطدمت بطبقة الشيوخ التقليديّين الذين كانوا يمثّلون الشرعية الدينية لدى السواد الأعظم من المسلمين، بثقافتهم وهيئتهم وسمعتهم الخاصّة، ويشكّل هؤلاء في كثير من البلاد طبقة متمكّنة تعوق التجديد كلّه، أو تضطرّه إلى مدخل رفيق بطيء.

وهناك طبقة تحسب أن لا سبيل لتجديد في أمر الدين ؛ لأنّ كلّ الإمكانات العقلية والعلمية في بيانه قد استنفدت ، ولا بأس عندهم بحركات التجديد التي تقتصر على تطرية ذكريات الماضي ، وإحياء حمية الإيمان بتلقين ذات المقولات المنقولة ، أمّا تصويب الإيمان نحو ابتلاءات الواقع ، وإلقاء ضوء جديد من فقه الدين عليها ، والتعبير العملي عن ذلك بالأفعال والنظم المناسبة ، فذلك أمر لا يعنيهم ، كأنّ تقدّم الدين قد جمد على كسب الأسلاف ، وحرّية الاجتهاد نسخت من بعدهم ، وكأنّ الدين بطلاقته الأزلية قد حوصر في ظرف معيّن من المكان والزمان في الماضي .

وطبقة أُخرى تسمّى بالسلفية ترى أنّ الدين متمثّلاً في تاريخ المتديّنين ، فهم بحسن نية يتعصّبون لذلك التاريخ ، وينسون أنّ مغزاه في وجهته لا في صورته ، ويقلّدون السلف في مسالكهم من التديّن اجتهاداً وجهاداً ، بل يحاكمون حرف أقوالهم وأعمالهم ، ويرون الاتّباع لا في المضي على المنهج السالك قدماً إلى الله ، بل في الوقوف عند حدّ الأوّلين ومبلغهم .. والغالب في الذين يرجعون إلى الصور السالفة في تطبيق الشريعة لا إلى مغزى أحكامها أنّهم أهل ثقافة صاغها الانغلاق على القديم ، ولا يعلمون كثيراً عن الواقع الحاضر .

وهناك من يدرك ضرورة الاجتهاد غير أنّه يصاب بالذعر إذا صدمه موقف اجتهادي جديد لم يقل به أحد من قبل ، بل يتبرّم حتّى من الصياغة والعبارة الجديدة التي لم يألفها في كتب التراث .

(انظر ترجمته في : الموسوعة العربية العالمية ٦ : ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ملحق موسوعة السياسة : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، أزمة الخلافة والإمامة : ٣٢٧).

حسن التلّ

حسن بن أرشيد بن علي التلّ : داعية تقريب ، وأحد روّاد الصحافة الإسلامية ، ومؤسّس « صحيفة اللواء » ومديرها العامّ ، وأحد أبرز كتّاب المقالة الإسلامية المعاصرة ، ومفكّر إسلامي ، أمين عامّ جمعية « العروة الوثقى » ، وأحد الأعضاء المؤسّسين لحزب « جبهة العمل الإسلامي » في الأردن ، وعضو المكتب التنفيذي ، والمكتب السياسي ، ومجلس

الشورى، وصاحب مؤسّسة اللواء للدراسات والأبحاث.

ولد التلّ في مدينة إربد سنة ١٩٣٢م، وأنهىٰ تعليمه الثانوي في الكلّية الإبراهيمية في القدس، وتخرّج من دار المعلّمين الإسلامية، واشتغل بالتعليم بين عامي (١٩٥٥م - ١٩٦٢م)، ثمّ انتقل إلى وزارة الإعلام الأردنية، وعمل مديراً للبرامج الدينية في التلفزيون الأردني، وعمل مستشاراً ثقافياً في السفارة الأردنية بدمشق، وترشّح للبرلمان مع الحركة الإسلامية عام ١٩٩٣م.

تأثّر بمحمّد سعد الدين خليفة الذي نظّمه في صفوف «الإخوان المسلمين» وعبد الحميد ياسين مدير دار المعلّمين في السلوكيات، وقرأ في كتب الإخوان، ثمّ انطلق يبحث عن الحقيقة في كتب الأدب والتراث، وتوثّقت صلته بالأُستاذ سعد جمعة بعد صدور كتابه «المؤامرة ومعركة المصير»، وكان سعد قبل تولّيه رئاسة الوزراء يكتب افتتاحية «اللواء» ويشنّ حملة ضدّ الفساد.

شارك في تأسيس رابطة «الوعي الإسلامي» وجمعية «العروة الوثقى» عام ١٩٦٥م. و«الجبهة الإسلامية» عام ١٩٦٨م، ومجلس «المنظّمات والجمعيات الإسلامية في الأردن» عام ١٩٧٤م.

أحبّ مهنة الصحافة ومارس حرفة الأدب وهو طالب على مقاعد الدرس في أواخر الأربعينات من القرن الماضي. يقرأ للرافعي والعقّاد، ويعيش «وحي القلم» و«العبقريات»، ويبحث عن الحقيقة ومشروع النهضة في كتابات المجدّدين، ويغوص في بحور الأدب المنثور والمنظوم.

أصدر بمعاونة ابنه الأكبر الأُستاذ بلال في عمّان صحيفة «اللواء» الأُسبوعية.. صحيفة كلّ المسلمين، وحاملة لواء الإصلاح في عصر الصحوة في ٢٠/ ٢/ ١٩٧٣م، والتي حملت أكثر من ربع قرن رسالة اليقظة ومشروع النهضة، وحملت رسالة الحبّ والتآخي بين أبناء الأُمّة الواحدة، وعاشت مرحلة المخاض العسير والتحوّلات الخطيرة، وكانت أعظم إنجازاته، وقد واظب على كتابة مقالته الأُسبوعيّة فيها، وفي جريدة

«الدستور» الأردنية. وقد جمعت بعض مقالاته في عدّة كتب منشورة، منها: «الأنبياء الكذبة» الذي كشف فيه حقيقة التزوير الذي انتحلته طوائف كثيرة من تجّار الشعارات في ميادين العلم والسياسة والفكر، و«التلوث الفكري»، و«خارج الزمان الرديء ـ الشهود»، و«الهزيمة.. أسباب وتبريرات»، درس فيه أسباب الهزيمة وعواملها وبيّن الحلول الكفيلة بالتغلّب عليها، و«قضية ورجل»، و«الإعلام العربي»، و«الزعامة المميّزة» في سيرة عصام العطّار، حيث رأى في شخصيته عنواناً آخر للهجرة والرفض لكلّ أساليب الهوان والاستخذاء، و«آيات سلمان رشدي الشيطانية»، و«المخابرات المركزية وتدبير السماء».

رأى التلّ أنّ العلاج الوحيد لهزيمتنا: العودة إلى الدين، والالتزام بأُصوله الفكرية والمسلكية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي والفكري للإسلام.

ورأى في الغزو الفكري عاملاً من عوامل الهزيمة؛ لأنه اجتثّنا من جذورنا، ووسّع الفرقة والانقسام بين صفوفنا، ونزع من نفوسنا الإخلاص لوطننا وأُمّتنا، وجعل ولاء الكثير من أبنائنا ليس لعقيدتهم وتراب أوطانهم بل لعقائد غريبة عنّا، على حدّ تعبير الأُستاذ محمّد علي شاهين.

وكانت دعوته الإصلاحية التقريبية التي لم تتوقّف حتّى آخر لحظة من حياته صحيحة عالية لا تعرف التزمّت ولا الانغلاق ولا الجمود.

وكان شديد الاعتزاز بالإسلام، داعية تقريب وتوفيق وإصلاح بين المسلمين، يحبّ آل البيت حبّاً لا يعادله حبّ، ويمقت المستشرقين وأعداء الملّة الذين يوسّعون هوّة الخلاف بين المذاهب الإسلامية خدمة لمشاريعهم الاستعمارية.

وكانت القضية الفلسطينية هاجسه الأوّل، وهي في نظره أُمّ القضايا الإسلامية، فقد واكب مسيرة المؤتمر الإسلامي العامّ لبيت المقدس منذ تأسيسه عام ١٩٥٣م في القدس الشريف، وشارك إخوانه مسؤولية قيادة المؤتمر بعد الاحتلال الصهيوني للمدينة المقدّسة وانتقال المؤتمر الإسلامي إلى عمّان عام ١٩٦٧م ومصادرة مقرّه وممتلكاته من السلطات

الصهيونية المحتلّة.

وأتاحت له مهنة الصحافة زيارة العديد من دول العالم، والاختلاط بالشعوب ومفكّريها وساستها، والمشاركة في المؤتمرات والندوات.

انفعل بالثورة الإسلامية الإيرانية بعد قيامها، وأشاد بإنجازاتها، وظلّ معجباً بالثورة السودانية؛ لأنّها تمثّل الثورة الحرّة، متفائلاً بمقدرة الدكتور حسن الترابي ليقوم بدور فعّال في ترشيد الصحوة الإسلامية. ورأى أنّ الصحوة تحتاج إلى الزعامة الراشدة وإلى المرجعية الفكرية والفقهية والسياسية، وأنّنا نستطيع أن نحقّق تطلّعاتنا عندما تلتقي الحركات الإسلامية لتحقّق ما اتفقت عليه، وأنّ الإمام حسن البنّا أحسن تصوّر الإسلام وكان يعرف ماذا يريد. وحافظ التلّ على إحياء ذكرى استشهاده كلّ عام بإصدار عدد ممتاز عن فكر البنّا، وقال: «نحن بحاجة إلى حركات إسلامية إصلاحية تضع الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي والعربي في مأزق مفاده: نحن نستطيع أن نحقّق وأنتم لا تستطيعون».

توفّي سنة ٢٠٠١ م بطهران خلال حضوره أحد المؤتمرات الإسلامية العالمية، عقد بمناسبة ذكرى استشهاد المفكّر السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر، ونقل إلى العاصمة الأردنية عمّان، حيث دفن في مدفن العائلة بمدينة إربد، ورثاه الشاعر ذياب الشاهين فقال:

جرداء إربد لا مرج ولا أجم ... قد مسّها الجدب لما مسك العدم
جائتك باكية تلتاع في خفر ... فامسح جماناً على الخدّين يزدحم
غبراء إربد لا قرط يزيّنها ... والجيد في عطل قد راعه السقم
والفكر كالسيف لو جفّت مضاربه ... ما نفعه اللوح لو لا ينطق القلم

وبكاه الشيخ محمّد علي التسخيري في قصيدة مطلعها:

كان منّا العناق ثمّ النحيب ... ما له عانق الغناء النعيب
هكذا أيّها الحبيب الحبيب ... هكذا يجرح الشروق الغروب
هيه هذه الحياة غرّ لعوب ... طلعة حلوة وخدّ تريب

وفي ذكرى وفاته الأُولى أصدرت جريدة «اللواء» ومنتدى حسن التلّ لقضايا الفكر كتاب «حسن التلّ بأقلامهم».

يقول عنه الدكتور عبد السلام العبادي: «لقد كان المرحوم الأُستاذ حسن التلّ من دعاة الحوار الإسلامي البارزين، أمضى حياته وسخّر قلمه وصحيفته لحمل لوائه والدعوة إليه توثيقاً للصلات بين المسلمين وبناءً لقوّتهم وقدراتهم في مواجهة التحدّيات التي يتعرّضون لها في هذه الأيّام على جميع الأصعدة وفي مختلف الميادين».

حسن جاد حسن

حسن جاد حسن: شاعر مصري معروف، وأُستاذ بكلّية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة سابقاً، ومن دعاة التقريب.

ولد الأُستاذ حسن بالدقهلية لأُسرة محافظة متواضعة سنة ١٩١٤ م، وذاق اليتم في الخامسة من عمره، فكفلته أُمّه وأدخلته الكتّاب بالقرية، فحفظ القرآن الكريم، ودرس في الأزهر حتّى تخرّج من كلّية اللغة العربية، وحصل على الدكتوراه في الأدب والبلاغة، وتقلّب في مناصب التعليم حتّى غدا عميداً للكلّية التي تخرّج منها، واختير عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.

أهمّ اثاره: دراسات في النقد القديم والحديث، الأدب العربي في المهجر، الأدب المقارن، ابن زيدون، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، الأدب العربي في ظلال الأُمويّين والعبّاسيّين، ميزان الشاعر في العروض والقوافي. وله ديوان شعر باسم «زورق الأشجان»، فهو من أساتذة الأدب واللغة والفكر والتحقيق.

فقد ولده الوحيد ففجع به ورثاه بقصيدة طويلة قيل فيها: إنّها من أعظم ما قيل في رثاء الولد بالأدب العربي، كما فقد بصره، فانطوى على نفسه.

كان قانعاً بما يأتيه لا يسعى إلى ثراء أو منصب معتزّاً بكرامته جاهراً برأيه.

له في مجال التقريب بين المذاهب بحث حول «وسائل الشيعة»، يقول فيه: «... فمهما أمكن من شأن الخلاف اليسير بين الشيعة وأهل السنّة، فإنّ الأصل واحد،

والمنبع واحد، وأُصول الدين واحدة، ممّا يقرّب مسافة الخلاف ويوحّد صفوف المسلمين.

حـــقيقة الشـــيعة فـــي ديـــنها حـــقيقة الســـنّة لن تـــنقضا

جـــداول مـــــن مـــنبع واحـــد وإن بـــدا الخـــلف لمـــن أغـــمضها

لم تـــبق بـــعد اليـــوم مـــن فـــرقة ذلك عـــهد قـــد مـــضىٰ وانـــقضى.

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، إتمام الأعلام: ١١٢، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٩١ ـ ٩٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢١٠ ـ ٢١١).

حسن خالد

الشيخ حسن خالد: رجل دين وسياسة.

ولد في بيروت سنة ١٩٢١ م، ودرس في الكلّية الشرعية ببيروت وكلّية أُصول الدين بالأزهر الشريف، وتقلّب في عدّة مناصب، حيث عيّن قاضياً شرعياً بالكلّية الشرعية في بلده، ثمّ في محكمة بيروت الشرعية، وفي عام ١٩٥٤ م كان نائباً للقاضي بها، فقاضياً شرعياً لعكّار، وأصبح مفتياً للجمهورية اللبنانية سنة ١٩٦٦ م، ورئيساً لمجلس القضاء الشرعي الأعلى، ورئيساً للمجلس الشرعي الأعلى، ورئيساً أعلى لعلماء الدين السنّة في لبنان. وفي عام ١٩٦٧ م منحته جامعة الأزهر شهادة الدكتوراه الفخرية.

وكان عضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، وغيرهما من المؤسّسات الإسلامية.

له عدّة مؤلّفات، منها: الزواج بغير المسلمين، الإسلام والتكافل المادّي في المجتمع، مسار الدعوة الإسلامية في لبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري، أُحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، آراء ومواقف، المواريث في الشريعة الإسلامية (بالاشتراك)، الشهيد في الإسلام، المسلمون في لبنان والحرب الأهلية، أحاديث رمضان، المسلمون وحرب السنتين، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ترجمة)، رسالة التعريف بالإسلام (بالعربية والفرنسية).

كما كانت له مقالات كثيرة عالجت قضايا مهمّة في الشريعة والاجتماع والأخلاق.

اغتيل عام ١٩٨٩ م في الحرب الأهلية اللبنانية بحادث تفجير سيّارة بمقربة من دار الإفتاء.

وقد تمّ في عام ١٩٩٣ م افتتاح مؤسّسة في لبنان تحمل اسمه، هي «مؤسّسة الشهيد حسن خالد للتربية والتعليم».

له مواقف وحدودية وروح تقريبية واضحة، وكان من المنادين بالوحدة الإسلامية وضرورتها.

(انظر ترجمته في: موسوعة السياسة ٢: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، ملحق موسوعة السياسة: ٣٥٤، تتمّة الأعلام ١: ١٣٠، إتمام الأعلام: ١١٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٨٦ ـ ١٧٨٨، موسوعة الأعلام ٢: ١٥٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢١١).

حسن الربّاني

السيّد حسن بن إبراهيم ربّاني: رئيس مكتب الإعلام الإسلامي، وداعية وحدة معروف.

ولد سنة ١٣٣٣ هـ. ش. في «تربت حيدرية» بخراسان في إيران، ودرس الابتدائية ومقدّمات العلوم الدينية الحوزوية في مسقط رأسه، وحضر في مرحلة السطوح عند بعض علماء مدينة مشهد، وكانت له منذ نعومة أظفاره علاقة وهواية في مسائل التبليغ الديني والإرشاد، ومن هنا كانت له أسفار كثيرة لمدينة مسجد سليمان، فأثّر في أهلها كثيراً.

وقد تصدّى السيّد ربّاني ضدّ النظام الملكي الحاكم آنذاك، ولقي في سبيل نضاله العنت والمشقّة، حتّىٰ انتصرت الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ م، فعيّن إماماً لمدينة مسجد سليمان.

حضر أبحاث الخارج عند بعض علماء قم، كالميرزا جواد التبريزي، والسيّد محمّد الروحاني، وبلغ مرتبة عالية من العلم. وقد قام بالتدريس في بعض الجامعات الإسلامية ببلده.

والسيّد حسن الربّاني رجل عرفته الأوساط العلمية والدعوية في الجمهورية الإسلامية وخارجها بنشاطه الدائب في حقل التقريب، حيث عاش في منطقة سيستان

وبلوشستان ممثّلاً لولي أمر المسلمين في شؤون أهل السنّة، فكان له هناك دوره المتميّز في صدّ محاولات الفتن الطائفية، كما اهتمّ بأمر التقريب في الحقل العلمي، فكان رئيساً وقتها للمركز العالمي للعلوم الإسلامية، وهومركز يهتمّ بجمع طلّاب العلم من مختلف أرجاء العالم ليجلسوا حول طاولة الدراسة والبحث والتحقيق في عملية جادّة تستهدف تربية دعاة يحملون الإسلام إلى أرجاء المعمورة، كما أنّه إضافة إلى هذا وذاك نائب الأمين العامّ السابق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يقول في حوارٍ أجرته معه مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية متحدّثاً عن نشاطاته في سيستان وبلوشستان: «أوّل ما لفت نظري لدى دخولي المنطقة وجود أرضية صالحة للعمل التقريبي. لقد وجدت من كثير من الأوساط العلمائية والشعبية السنّية اهتماماً بأمر وحدة المسلمين، فكّرت كثيراً في سبب هذا التجاوب السريع، فألفيت أنّ فطرة الإنسان السليمة تتّجه نحو الوحدة والتآلف ورفض التفرقة والتنازع، ثمّ إنّ التربية الإسلامية ذاتها إن قامت على أساس القرآن والسنّة وابتعدت عن القيل والقال تكوّن الإنسان ذا العاطفة الميّالة نحو حبّ المسلمين ووحدة صفّهم وقوّة شوكتهم، وتنأىٰ عن الشقاق والنزاع.

ثمّ إنّي وجدت إضافة إلى ذلك أنّ جذور هذا الشوق إلى الوحدة يعود إلى أيّام إقامة العبد الصالح الإمام السيّد علي الخامنئي في هذه المنطقة، فقد كان (حفظه الله) يعيش السنوات الأخيرة التي سبقت الثورة الإسلامية منفياً في هذه المنطقة، واستطاع أن يقيم علاقات واسعة مع علمائها وأبنائها. ومن الطريف أنّ هذه العلاقات بدأت عن طريق تبنّيه لمشاكل الناس وهمومهم وهو منفي! وكان له دور كبير في إنقاذ أهالي مدينة «إيرانشهر» من السيل المدمّر الذي اجتاح المنطقة آنذاك، فدخل الرجل المنفي في قلوب الناس، واستثمر هذا الارتباط لإزالة الحواجز النفسية الطائفية، ونفّذ هناك أوّل مشروع لأُسبوع الوحدة خلال أيّام المولد النبوي الشريف. غير أنّ حالة التخلّف وعمق الحواجز النفسية كانت طبعاً أكبر من أن يتغلّب عليها رجل يعيش في منفاه، لكنّ جهوده وفّرت أرضية صالحة يسّرت لنا كثيراً عملنا في المنطقة فيما بعد.

ومن التجارب التي حصلت عليها خلال عملي في المنطقة أنّ عملية البناء في حقل توحيد صفوف المسلمين أسهل من عملية الهدم، وهذا من عجائب الأُمور؛ لأنّ عملية الهدم عادةً أسهل من عملية البناء، غير أنّ ارتباط قضية الوحدة بفطرة الناس، وبمشاعرهم الإسلامية، وبتعاليم القرآن والسنّة التي تقرع آذانهم ليل نهار أن ﴿ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (سورة الشورىٰ: ١٣)، وأن ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وأن « لا ترجعنّ من بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » و.. ما لا يعدّ ولا يحصى من النصوص التي تجعل وحدة المسلمين مبدأً يقترن بمبدأ توحيد الله تعالى، كلّ هذه تجعل نداء الوحدة يدخل القلوب بسرعة، ويزيل كلّ الزبد الذي تركته سنون الجفوة والصراع الطائفي، لذلك فإنّ عملية توحيد الصفوف في المناطق التي يعيشها أهل السنّة والشيعة تسير بنجاح باهر رغم معاول الهدم التي لا تريد لهذه الوحدة أن تتحقّق... وهناك معاول للتخريب، وبعض هذه المعاول داخلية تعود إلى وجود الحالة العشائرية في هذه المنطقة.. هذه الحالة العشائرية تكرّست في زمن الطاغوت ضمن خطّة لإثارة النزاعات بين الشيعة والسنّة وبين أهل السنّة أنفسهم. كما أنّها تعود إلى حالة الجهل المتفشّي في المنطقة، والجهل مرتع خصب للشيطان الذي يوقع بين الناس العداوة والبغضاء، كما أنّ جهل فصائل المسلمين بعضهم للبعض يؤدّي عادة إلى شكوك وهواجس، وإلى شيوع التهم والأراجيف.

غير أنّني أيضاً تلمّست بوضوح خطّة القوى الأجنبية المعادية في إثارة النعرات الطائفية في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية.

استطيع أن أقول من خلال تجربة عشتها سنوات بكلّ وجودي: إنّ الجماهير تبغض أيّ لون من ألوان الصراع الداخلي والاقتتال بين أبناء البلد الواحد، غير أنّ القوى الأجنبية تستثمر حالات التخلّف الفكري والتشرذم الذاتي، فتثير الفتن وتضرم النار بين المواطنين، هذا ما شاهدناه بوضوح في لبنان، ونشهده في باكستان وأفغانستان. لبنان شهد أكبر فتنة أسموها طائفية، أطلق فيها اللبنانيّون على بعضهم كلّ أسلحة الدمار والتخريب، فقتل

بعضهم بعضاً، وهدم بعضهم بيوت بعض، حتّى تحوّلت لبنان وبيروت خاصّة إلى خرائب.. وهذه الفتنة اتّخذت مع الأسف صفة الطائفية، فالفرقاء فيها سنّة وشيعة ودروز ومارونيّون.. غير أنّها في الواقع لم تكن طائفية، بل لم تكن فتنة لبنانية أصلاً.. ولا أدلّ على ذلك أنّها انتهت حين تمّ «الاتّفاق» في مؤتمر «الطائف»، ولو كانت المسألة طائفية ولبنانية لما انتهت بمجرّد انعقاد هذا الاتّفاق.

وهكذا أغلب الفتن التي يراد لها أن تسمّى طائفية، ويراد لها أن تأخذ طابع الدين، إنّها في الواقع نتيجة مصالح متصارعة خارجة عن إطار الفئات المتنازعة المتقاتلة، والدين منها بُراء، والجماهير لا مصلحة لها في مثل هذه النزاعات أبداً.

العالم الإسلامي شهد ألوان الصراعات الطائفية والقومية والحدودية والإقليمية، وكانت المصالح المذكورة تغذّي هذه الصراعات وتسعّر نيرانها مستغلّة طبعاً ضعف المستوى الثقافي للجماهير المسلمة، غير أنّ الحالة التي تمرّ بها أشعرت الجميع بأنّ الصراع في العالم الإسلامي ليس فيه غالب ومغلوب، بل كلّ المسلمين به مغلوبون، ولا غالب فيه سوى القوى التي تريد أن تصادر ثروات المسلمين وتتحكّم في رقابهم، وتسيطر على مقدّراتهم، وتستهين بكرامتهم.

أعتقد أنّ العالم الإسلامي لم يشعر في القرون الأخيرة بخطر يهدّد كيانه وهويته ووجوده كما يشعر اليوم، فالغزو هدّام لا يرحم، والهيمنة خانقة لا تدع مجالاً للتنفّس، والاستهتار بالمقدّرات بلغ ذروته، وعمليات التصفية العرقية للمسلمين اتّخذت أبشع صورها.. كلّ هذه الفجائع لم تبق لذي عقل شكّاً في أنّ المسلمين أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا التوحّد، وإمّا الطوفان.

هذا الذي نشهده على الساحة الإسلامية يمثّل نتيجة طبيعية لسيادة الشعور بفداحة الخطب الذي يلمّ بالمسلمين، وبهواجس ما ينتظرهم في المستقبل. وممّا لا شكّ فيه أنّه سيوفّر الظروف النفسية والفكرية والعاطفية لتقارب المسلمين على صعيد علمائهم وشعوبهم ومفكّريهم وسائر فصائلهم.

أمّا قضية الجذور التاريخية والفقهية والعقائدية للخلافات بين المسلمين فهي حقيقة لا يمكن إنكارها، غير أنّها سوف لا تكون عائقاً أمام الوحدة والتقريب إذا كانت مصحوبة بوعي على أهمّية صنع المستقبل المطلوب للمسلمين، وإذا كانت محصّنة من عمليات الاستفزاز والتآمر.

سوف تتّخذ الخلافات في الجوّ السليم طابعاً علمياً يثري الفكر وينمّي حالة الحوار بين المسلمين».

حسن سعيد

حسن بن عبد الله بن مسيح جهل ستوني الطهراني المعروف بحسن سعيد: عالم، محقّق، كاتب، داعية تقريب.

ولد في طهران بتاريخ ٢٧ / رجب / ١٣٣٧ هـ، ونشأ بها على والده العالم المتوفّى سنة ١٣٩١ هـ، وهاجر مع أبيه في صغره إلى قم وأقام بها.

قرأ أوّلياته هناك، ثمّ رجع إلى طهران، ودخل الجامعة وتخرّج فيها، وكان ذكياً مجدّاً في تحصيله.

هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٧٠ هـ، وحضر الأبحار العالية فقهاً وأُصولاً على: السيّد الخوئي، والسيّد الحكيم، والشيخ حسين الحلّي، ولازم الأخير حتّى تخرّج عليه. وكان لحسن سعيد ولد اسمه محمّد تقي، توفّي في حياة المترجم.

رجع إلى طهران سنة ١٣٨٥ هـ، وأقام الصلاة جماعة خلفاً لوالده، وتصدّى للتدريس والتأليف، وأسّس مكتبة كبيرة في المسجد الجامع الواقع في سوق طهران. وكانت له أيضاً اتّصالات مع رجال التقريب، كالسيّد موسى الصدر، والشيخ محمود شلتوت.

توفّي بطهران سنة ١٤١٦ هـ، ودفن بها، وترك بعض المؤلّفات، منها: دليل العروة الوثقى، فاطمة الزهراء القلعة التي لا تهزم أبداً، دائرة معارف القرآن الكريم، الحكومة بنظر القرآن والعترة، الحسين عليه السلام من خلال الوحي، حديث فاطمة عليها السلام، أُصول الدين، الله والمهدي.

كما قام بالتقديم لبعض الكتب، ككتاب «الإمام علي عليه السلام» للدكتور جواد جعفر الخليلي، وكتاب «الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام» للسيّد مصطفى محسن الموسوي.

(انظر ترجمته في: مجلّة «تراثنا» ١٠: ٢٢٤ و ٢١: ٣٠٧، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١٠٢).

حسن الشيرازي

السيّد حسن بن مهدي بن حبيب الله الحسيني الشيرازي: أحد العلماء الشيعة المجاهدين، وداعية وحدة.

ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٥٤ هـ، ونشأ وترعرع في بيت تقوى وفضيلة وعلم، وهاجر في مطلع حياته صوب كربلاء بصحبة والده الجليل وعاش بجوار مرقد سيّد الأحرار الحسين عليه السلام، وتتلمذ على يد بعض العلماء، كوالده السيّد مهدي، وأخيه السيّد محمّد، والسيّد محمّد هادي الميلاني، والشيخ محمّد رضا الأصفهاني، والشيخ محمّد الهاجري، حتّى بلغ مرتبة عالية من العلم والفضل. كما درس بعض العلوم الحديثة، ونبغ في نظم الشعر وعلوم الأدب والبلاغة.

قضىٰ فترة من حياته في سجون العراق متعرّضاً للتعذيب، فهاجر سنة ١٣٩٠ هـ إلى لبنان وسكنها، وأسّس بها حوزة علمية راقية «مدرسة الإمام المهدي»، كما أسّس سنة ١٣٩٣ هـ حوزة علمية في دمشق، وفي عام ١٣٩٧ هـ أسّس مكتب «جماعة العلماء» في لبنان وترأسه بنفسه، وقام بدور كبير في الدفاع عن الجنوب اللبناني، وبذل جهوداً واسعة من أجل المحافظة على وحدة لبنان. كما دافع عن المحرومين والمضطهدين وساعد عوائل الجنوب وواساهم مادّياً ومعنوياً واضعاً لهم بعض البرامج الدينية لتثقيفهم وتوعيتهم.

كان يركّز علىٰ العمل بالأساليب السلمية (اللاعنف) ونبذ مختلف أنواع الإرهاب واحترام رأي الآخر داعياً إلى التعدّدية السياسية وتشكيل مجلس شورى فقهاء الإسلام مع التأكيد على الوحدة الإسلامية ودورها في لمّ شعث الأُمّة.

حارب الصهاينة في شعره ونثره وبياناته داعياً المسلمين إلى الاتّحاد والتضامن من أجل تحرير فلسطين، وكان يبثّ روح الرجاء والأمل في نفوس المسلمين ويعدهم بالنصر المحتوم على عدوّهم قائلاً لهم:

سوف نحيي أرض سيناء بأزهار الربيع   سوف يقضي موكب النور على جيش الظلام
أُمّة الإسلام سيري دائماً نحو الإمام   واجهدي للحقّ كيما تلبسي بُردَ الكرام
واحملي القرآن في كفٍّ وفي الأُخرى الحسام   كي تعيدي مجدك الغابر من أيدي اللئام

اغتيل في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ، ونقل جثمانه إلى مدينة قم، ودفن بها.

من مؤلّفاته: إله الكون، الوعي الإسلامي، أهداف الإسلام، رسول الحياة، الشعائر الحسينية، الاقتصاد، العمل الأدبي، مسند الإمام موسى بن جعفر، حديث رمضان، الأدب الموجّه، تفسير القرآن، الاشتقاق في النحو، إنجازات الرسول، موقف الإسلام الفاضل، موسوعة الكلمة، ديوان شعر.

(انظر ترجمته في: المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١١٤، إتمام الأعلام: ١١٤، كفاح علماء الإسلام: ٢٩٩ ـ ٣٠٥، معجم الشعراء للجبوري ٢: ٧٧ ـ ٧٨).

حسن الصفّار

حسن موسىٰ رضي الصفّار: مفكّر سعودي معروف، وأحد دعاة الوحدة.

ولد سنة ١٣٧٧ هـ(١٩٥٨ م) في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وتعلّم القرآن الكريم ضمن الكتاتيب الأهلية في المنطقة، ودرس الابتدائية في مدرسة زين العابدين بالقطيف، ثمّ التحق بمدرسة الأمين المتوسّطة بالقطيف.

هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية سنة ١٣٩١ هـ(١٩٧١ م)، ثمّ انتقل إلى الحوزة العلمية في قم سنة ١٣٩٣ هـ(١٩٧٣ م)، ثمّ التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة ١٣٩٤ هـ(١٩٧٤ م).

تلقّى علومه ومعارفه على يد مجموعة من العلماء والفضلاء، من أبرزهم: السيّد محمّد الحسيني الشيرازي، الميرزا حسن الحائري، والسيّد محمّد تقي المدرّسي، والسيّد مرتضى

القزويني، والسيّد علي ناصر السلمان، والشيخ علي المرهون.

درس على يده عدد كبير من طلّاب العلوم الدينية من مختلف المناطق، حيث قام بتدريس مادّة اللغة العربية ضمن كتابي «قطر الندى» لابن هشام و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك»، كما قام بتدريس مادّة الفقه الإسلامي ضمن كتابي «شرائع الإسلام» للمحقّق الحلّي و«شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثاني، وتدريس مادّة أُصول الفقه ضمن كتابي «أُصول الفقه» للشيخ المظفّر، و«رسائل» الشيخ الأنصاري، كما قام بتدريس مادّة الاقتصاد الإسلامي، والأخلاق الإسلامية، وتفسير القرآن، ونهج البلاغة، والخطابة.

وتقديراً لكفاءته وتوثيقاً لدوره الديني والاجتماعي منحه عدد من كبار مراجع الدين وأعلام الأُمّة شهادات وإجازات للرواية والتصدّي للمهامّ الدينية، ومن أبرزهم: السيّد علي السيستاني، والسيّد محمّد رضا الموسوي الكلبايكاني، والسيّد محمّد الحسيني الشيرازي، والشيخ محمّد إسحاق الفيّاض، والشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

بدأ ممارسة الخطابة الدينية عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)، وعمره إحدى عشرة سنة، واستضافته مختلف المجتمعات لإحياء المواسم والمناسبات الدينية بمحاضراته في: الإحساء، والبحرين، والكويت، وسلطنة عمان، وقطر، ودبي، ودمشق، وقم، وطهران.

صدر له أكثر من ثمانين كتاباً في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، وترجم بعضها إلى لغات أُخرى. ومن مؤلّفاته المطبوعة: التعدّدية والحرّية في الإسلام، التسامح وثقافة الاختلاف: رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات، الشيخ علي البلادي القديحي.. دراسة في شخصيته وتاريخه، المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السيّدة زينب بنت علي، التنوّع والتعايش.. بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، علماء الدين.. قراءة في الأدوار والمهام، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين، الحوار والانفتاح على الآخر، فقه الأُسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، السلفيّون والشيعة نحو علاقة أفضل، المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة، السلم الاجتماعي.. مقوّماته وحمايته،

السياسة النبوية ودولة اللاعنف.

كما نشرت له عدد من المجلّات العلمية والثقافية بحوثاً ومقالات، منها: مجلّة «الكلمة»، ومجلّة «الواحة»، ومجلّة «البصائر»، ومجلّة «الحجّ والعمرة»، ومجلّة «المنهاج»، ومجلّة «رسالة التقريب»، ومجلّة «الوعي المعاصر»، وغيرها. كما نشرت له بعض الصحف اليومية مقالات أُسبوعية منتظمة، منها: جريدة «اليوم» السعودية، وجريدة «الوطن» الكويتية، وجريدة «الأيّام» البحرينية.

وهو عضو في الهيئة الاستشارية لمجلّة «الكلمة» والهيئة الاستشارية لمجلّة «الوعي المعاصر»، وعضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. وشارك في مؤتمرات الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتّحدة الأمريكية، وبعض مؤتمرات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مملكة البحرين. كما أنشأ ورعى عدداً من المؤسّسات الثقافية والاجتماعية في مختلف المناطق.

يقول: «إنّ قيام الاتّحاد الأُوربّي يشكّل تجربة ملهمة للمسلمين، تدلّ على إمكانية تحقّق صيغة مناسبة للتضامن الإسلامي في هذا العصر، وأنّ ذلك ليس أملاً خادعاً ولا أُمنية تسرح في الخيال، خاصّة مع ما يختزنه الوجدان الإسلامي في نفوس أبناء الأُمّة من تطلّع للوحدة، ومع ما تحمله مفاهيم الإسلام من قيم وتعاليم دافعة نحو التضامن والتماسك..

لا شكّ أنّ ما يحدث الآن من مآسي النزاع والاحتراب في أكثر من ساحة إسلامية يفجّر الألم والغضب في نفوس أبناء الأُمّة، حيث تسيل دماء المسلمين على أيدي المسلمين، ويحلّ بديارهم الخراب والدمار من خلال معاركهم الداخلية، فضلاً عن توقّف مسيرة التنمية وضياع الثروات والقدرات. وتمنح هذه الصراعات الدامية للقوى الأجنبية أفضل فرص التدخّل والهيمنة وبسط النفوذ، كما حصل في العراق وأفغانستان والصومال والسودان ولبنان..

لكنّ تصاعد مشاعر الألم والغضب قد ترتدّ سلباً على واقع الأُمّة حين تصيب النفوس

بالإحباط واليأس، وقد تدفع باتّجاهات تدميرية انتقامية تضرّ بـالذات أكـثر ممّا تـضرّ بالأعداء وتضاعف المآسي بدل معالجتها، كما نرى ذلك في الممارسات الطائشة للإرهاب والعنف الداخلي والخارجي الذي شوّه صورة الإسلام في العالم وأساء للأُمّة إساءة بالغة.

إنّ واجب العلماء والمفكّرين وقيادات الأُمّة أن توجّه هذ المشاعر بالاتّجاه الصحيح؛ لتكون هذه الأحداث المؤلمة بمثابة الصدمة التي توقظ الأُمّة وتدفعها نحو استعادة تضامنها الإسلامي، كما دفعت الحربان العالميتان أوروبّا نحو طريق الوحدة والاتّحاد.

وأُشير هنا إلى بعض الخطوات التي أراها ضرورية للسير في طريق التضامن الإسلامي:

أوّلاً: تبلور الإرادة السياسية للوحدة.

حيث تمسك القيادات السياسية ضمن الحكومات والأحزاب بأزمّة الأُمور في بلاد المسلمين، وبإمكانها أن تتجز مهمّة الوحدة والتضامن في واقع الأُمّـة، كـما صنعت ذلك القوى السياسية في أوروبّا، شرط امتلاكها لوعي حضاري، وتوفّرها على استقلالية القرار.

إنّ كثيراً من القيادات الساسية في عالمنا العربي والإسلامي لا تحمل أكثر من همّ بقائها في سدّة الحكم وموقع النفوذ، لذا لا تجد نفسها معنية بمشاريع التغيير والتطوير الحضاري.

كما أنّ ضيق أُفقها السياسي يحشرها في زوايا الاهتمامات الذاتية والقضايا الجانبية، فتكون أسرع إلى التصادم مع بعضها.

من ناحية أُخرى، تخضع بعض هذه القيادات لتأثيرات القوى الخارجية الأجنبية التي لا تريد لهذه الأُمّة أن تتوحّد إرادتها وأن تتضامن شعوبها.

إنّ هذا الكلام لا يأتي في سياق عقلية المؤامرة وإلقاء مسؤولية أوضاعنا على الخارج، بل يمثّل حقيقة واضحة تكرّر مصاديقها وشواهدها كلّ يوم.

فهل تُخفي إسرائيل وأمريكا تشجيعها لحالة الصراع الداخلي الفلسطيني؟ وهل تتستّر أمريكا وحلفاؤها على محاولات إفشال أيّ توافق لبناني؟ وهل يحتاج الأمر إلى أدلّة لإثبات دور الاحتلال الأمريكي في اقتتال العراقيّين؟

لقد آن أن يدرك السياسيّون في العالم العربي والإسلامي أنّهم في مـأزق خـطير، وأنّ حسابهم أمام التاريخ وشعوبهم صعب عسير، فلا بدّ من المبادرة لإصلاح المسار، وتـبنّي هموم الأُمّة، والانطلاق مـن مـصالحها بـعيداً عـن تـأثيرات القـوى الأجـنبية، وتـجاوز الحسّاسيات والخلافات الجانبية، «فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممّن مضى ولا ممّن بقي» كما يقول الإمام علي عليه السلام وكما تؤكّد حقائق التاريخ».

ثانياً: حماية الوحدة الوطنية.

لعلّ أخطر ما تواجهه الأُمّة الآن هو استهداف وحدة أوطـانها بـإشعال الفـتن داخـل المجتمعات لتمزيق الأوطان والشعوب، وما كان لهذه الفتن أن تنجح وأن يـتّقد أُوارهـا لم تكن لها بذور ولو لم تتوفّر الأرضية الخصبة لنموّها.

إنّ من أهمّ منافذ الفتن وعوامل النزاع الداخـلي غـياب العـدل والمسـاواة واعـتماد سياسات التمييز بين المواطنين على أساس تنوّعهم القومي والديني. وهـناك مـنفذ آخـر شديد الخطورة هو التعبئة الطائفية، حيث تعالت أصوات الاتّجاهات التـعصّبية المـذهبية التي استغلّت تنوّع مذاهب أبناء الأُمّة لشنّ حملات التحريض على الكراهـية بـين أتـباع المذاهب والدفع بهم نحو النزاع والاحتراب.

رغم أنّ هذا التنوّع المذهبي ليس جديداً ولا طارئاً بل هو أمر قائم عريق في تـاريخ الأُمّة، إلّا أنّ هناك جهات خارجية وداخلية تريد اللعب على هذا الوتر وإثارة صراع مذهبي يمنع تلاحم قوى الأُمّة وتوجّهها لمقاومة العدوّ الصهيوني والهيمنة الأجنبية.

ويتحمّل علماء الأُمّة القسط الأكبر من المسؤولية لمواجهة أخطار هذه الفتنة الداهمة؛ إذ أنّ عليهم القيام بواجب التذكير بمبدأ الوحدة، والدعوة إلى الاعتصام بـحبل الله وعـدم التفرّق والنزاع، وأن يبشّروا بثقافة التسامح واحترام تعدّدية المذاهب وشـرعية الاجـتهاد وحرّية الرأي.

إنّ مكر الأعداء عظيم، لذلك يسعون إلى استدراج بعضنا بإثارة الغيرة على المـذهب والنصرة للطائفة؛ للإيقاع بنا في فخّ الفتنة والنزاع، بما يمحق أصل الإسلام ويكسر شوكة

الأُمّة.

ثالثاً : تفعيل منظّمة المؤتمر الإسلامي.

يُعَدّ قرار إنشاء منظّمة المؤتمر الإسلامي استجابة مهمّة للتحدّيات التي تواجه الأُمّة ولتطلّعات الشعوب الإسلامية، لكنّه رغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على تأسيس هذه المنظّمة ـ حيث عقد أوّل مؤتمر قمّة إسلامي سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ـ لازالت تعاني من ضعف في الجدّية والعزيمة وبطء في المسيرة والحركة.

لقد انضمّت إليها كلّ الدول الإسلامية وتكوّنت فيها المؤسّسات والأجهزة التي تُعنى بمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، لكنّه لاتزال تشكو من ضعف الإمكانيات المادّية؛ لعدم التزام عدد من الدول الأعضاء بدفع مساهماتها المعتمدة لميزانية المنظّمة، كما يغلب على اجتماعاتها طابع المجاملات الشكلية وإصدار البيانات العامّة بعيداً عن اتّخاذ القرارات الجادّة وطرح المعالجات الجريئة للمشاكل الحقيقية التي تعاني منها ساحة الأُمّة.

إنّه يجب تفعيل دور هذه المنظّمة؛ لتكون المؤسّسة الجامعة لشمل الأُمّة ولتبدأ من خلال أجهزتها خطوات التعاون والتكامل بين الدول الإسلامية، وصولاً إلى تحقيق التضامن الإسلامي.

رابعاً : ثقافة الوحدة الإسلامية.

في غمرة الاندفاع الديني الذي يسود أجواء الأُمّة تعالت في الأيّام الأخيرة أصوات طائفية بغيضة، تريد الانحراف بحماس أبناء الأُمّة ليتّجه صوب الخلافات الداخلية بدل استهداف الأعداء الطامعين.

وكانت ساحة العراق التي تئنّ تحت وطأة الاحتلال الأمريكي هي مختبر الإنتاج ومنطقة التصدير لهذه البضاعة الكريهة، حيث يشتعل أُوار فتنة طائفية هوجاء وقودها المواطنون العراقيّون الأبرياء من مختلف الطوائف. ويُراد لهذه الفتنة أن تنتشر لإحراق مختلف ساحات المنطقة، تطبيقاً لمبدأ نشر الفوضى الخلاقة الذي تبنّته الإدارة الأمريكية.

بالطبع، لا يمكننا إنكار وجو بذور للطائفية في تراثنا وثقافتنا وأنماط علاقاتنا، وإنّما تقوم الاتّجاهات التعصّبية برعاية تلك البذور، فيجد الأعداء من خلال ذلك فرصتهم المناسبة لتمزيق صفوف الأُمّة.. من هنا تبرز أهمّية مراجعة هذا التراث وتنقية الثقافة المتداولة بين المسلمين من آثار وشوائب عصور التخلّف والصراعات الطائفية.

إنّ الجهاد الأكبر لفقهاء الأُمّة وعلماء المسلمين يتمثّل اليوم في التأكيد على مبدأ الوحدة، وتحريم وتجريم أيِّ قول أو فعل يضرّ بوحدة الأُمّة، وكذلك التأكيد على أُصول الإسلام التي تمثّل الجامع المشترك بين المسلين بمختلف مذاهبهم، والتقليل من شأن الاختلافات الفرعية في المعتقدات والأحكام باعتبارها نتاجاً طبيعيّاً لاختلاف الآراء والاجتهادات.

خامساً: القضايا المصيرية.

وأبرز قضية مصيرية تمثّل عنوان التحدّي للأُمّة في هذا العصر هي القضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني للقدس الشريف وسائر الأراضي المحتلّة.

إنّها قضية عادلة مقدّسة لا يختلف عليها اثنان من أبناء الأُمّة، فيجب أن تكون محوراً لوحدة الأُمّة وتضامنها ومنطلقاً لنهضتها وانبعاثها، فهي أعمق من احتلال أرض وقهر شعب.. إنّها مواجهة لمشروع صهيوني يستهدف إخضاع إرادة الأُمّة والهيمنة على هذه المنطقة الاستراتيجية الثريّة ليكون القرار الإسرائيلي هو النافذ فيها.

وحين تتضافر قوى هذه الأُمّة وتتوحّد جهودها في مقاومة العدوان والأطماع الصهيونية فإنّ ذلك سيكشف للأُمّة قوّتها وعظيم قدرتها، وسيكسبها احترام العالم وتقديره، وسيعرف الصهاينة حجمهم الحقيقي بعيداً عمّا يحيطون به أنفسهم من تضخيم وتهويل.

وما صمود الفئة المقاومة في لبنان في حرب تمّوز الماضي وإيقاعهم الهزائم النكراء في الجيش الذي لا يقهر كما يدّعون إلّا أُنموذج لما تختزنه هذه الأُمّة العظيمة من إرادة الصمود وقوّة المقاومة وروح التضحية والفداء».

(انظر ترجمته في: المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١١٥).

حسن قريشي

الأُستاذ حسن قرشي: مفكّر إسلامي، ومن الدعاة إلى الإسلام، ومتخصّص بالهندسة الكيميائية.

تعلّم في مدارس سراييفو في البوسنة، وتخرّج بجامعة زغرب في الآداب. وكان صديق طفولته علي عزّت بيغوفتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك، وهو الذي هرّب من السجن كتاب هذا الأخير «الإسلام والغرب» ونشره بالإنجليزية.

هاجر إلى كندا، حيث التحق بجامعة تورنتو، وحصل على درجة علمية في مجال الهندسة الكيميائية، ثمّ استقرّ بالقرب من شلّالات نياغرا، وأسّس هناك جناح عمله وبيته الفسيح الذي كان ملتقى المفكّرين الإسلاميّين من شتّى بقاع العالم.

وكان نشطاً في حقل العمل الإسلامي بالولايات المتّحدة الأمريكية، حتّى أقعده المرض ووافاه الأجل سنة ١٩٩٣ م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١١٧).

حسن المدرّس

حسن بن إسماعيل بن مير عبد الباقي المدرّس الحسني: رجل دين وسياسة إيراني، وأحد المصلحين.

ولد السيّد المدرس حوالي عام ١٢٨٧ هـ بمدينة أصفهان الإيرانية، وكان والده السيّد إسماعيل من الخطباء المعروفين، وبعد أن بلغ عمره ستّ سنوات أخذه جدّه متكفّلاً له، ولمّا بلغ عمره أربع عشرة سنة توفّي كافله، وبعد وفاة جدّه بسنتين قرّر دراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، وعندما بلغ عمره إحدىٰ وعشرين سنة توفّي والده، واستمرّ على مواصلة الدراسة لمدّة ثلاث عشرة سنة، حضرها متتلمذاً على يد بعض الفضلاء، كجهان كير خان القشقائي والآخوند محمّد علي.

وبعد حركة التنباك (التبغ) سافر إلى مدينة النجف الأشرف لإكمال دراسته، وكان في النجف لا يستلم أيّ راتب من الحوزة، بل كان مصدر رزقه الطبابة، حيث كان ملمّاً بالطبّ

القديم ويداوي به. وبعد سبع سنوات عاد إلى أصفهان، وأخذ يدرّس الفقه والأُصول، ثمّ ذهب إلى العاصمة طهران، واستمرّ يلقي دروسه في مدرسة سبهسالار.

من أساتذته: الشيخ عبد العلي النحوي، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والشيخ محمّد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند.

وقد أولى السيّد المدرّس العمل السياسي جلّ وقته، فبرع فيه إلى الحدّ الذي يعتبره أكثر المؤرّخين الإيرانيّين من نوادر وأفذاذ تاريخ إيران السياسي، وشخصيته جمعت بين العلم والتقوى والبساطة من جهة وبين القدرة على قراءة المستقبل والوضع السياسي من جهة ثانية.

لمّا أُعلنت حركة المشروطة (الدستورية) في إيران سنة ١٩٠٦ م اشترط علماء الدين على حكومة رضا خان تأييد المذهب الجعفري وحمايته، وكان وجود جملة من علماء الدين أعضاء في المجلس النيابي الإيراني بقصد حماية الشريعة الإسلامية، ومراقبة باقي الأعضاء لئلّا يحيدوا عنها. وكان من بينهم السيّد المدرس، والذي دخل المجلس النيابي بتوصيات من علماء النجف الأشرف، واشترك في دورته الثانية سنة ١٩٠٩ م، وكذلك في دورته الثالثة منتخباً من قبل أهالي طهران، وظلّ يدافع عن أفكاره الإسلامية إلى آخر عمره الشريف، ووقف بوجه مخطّطات رضا خان ووصفها بالخيانة والعمالة للاستعمار، وفي إحدى المرّات قال لرضا خان: «أنت إنسان همجي، ما شأنك وشأن السياسة، اذهب وفتّش عن عمل يناسبك!».

وقد حاول نظام رضا خان اغتياله عندما كان في أصفهان، لكن المحاولة باءت بالفشل، وفي المرّة الأُخرى التي حاول النظام اغتياله، وهي عندما جاء لغرض التدريس في مدرسة سبهسالار في العاصمة طهران، حيث هاجمته مجموعة مكوّنة من عشرة أشخاص، وأخذوا يطلقون النار عليه من كلّ جانب، فلم تصبه إلّا أربع رصاصات، ثلاث في اليد اليسرى والرابعة في اليد اليمنى، لكنّ الإرادة الإلهية شاءت بقاءه؛ إذ لم تكن الإصابات قاتلة.

كان يقول: «نحن أصحاب الدار، وصاحب الدار أعلم بما فيه، اتركونا نشخّص صلاحنا وفسادنا»، ويقول: «ليس من اللائق أن نترك ونُعرض عن حرّيتنا واستقلالنا الذي أقررناه ووقّعناه بأيدينا»، ويقول: «إنّ أصل سياستنا هو ديننا، نحن أصدقاء مع الدول الأُخرى المجاورة وغير المجاورة، وكلّ من يتعرّض لنا نتعرّض له، كما تُدين تُدان»، ويقول: «اختلافي مع رضا خان ليس اختلاف التاج مع العمامة، أنا في خلاف مع الأساس الذي قام عليه النظام».

قال الإمام الخميني: «كان المرحوم آية الله المدرّس من الأشخاص الذين وقفوا بوجه الظلم والاستبداد ـ ظلم واستبداد رضا خان ـ أيّام كان نائباً في مجلس النوّاب»، وقال: السيّد محسن الأمين في «أعيان الشيعة»: «كان عالماً، فاضلاً، جريئاً، شجاعاً، مقداماً، حتّى أنّه لشدّة شجاعته نسب إلى التهوّر».

في عام ١٣٤٧ هـ أبعده نظام رضا خان إلى خراسان لمدّة مديدة، ثمّ اعتقله، وبقي هناك إلى عام ١٣٥٦ هـ، ثمّ نقلوه إلى سجن في مدينة كاشمر في جنوب خراسان، ومنعت عنه الزيارة والمراسلة، وأصدر رضا خان في نفس السنة التي نقلوا فيها السيّد المدرّس إلى سجن كاشمر أمراً بقتله، فدُسّ له السُمّ، فقضى شهيداً في الثامن والعشرين من شهر رمضان ١٣٥٦ هـ، وقيل: بل خُنق خنقاً وأُشيع بأنّه توفّي بالسكتة القلبية، ودفن بمدينة كاشمر في إيران، وقبره معروف يزار.

من مؤلّفات السيّد المدرّس: حاشية على الكفاية في الأُصول، رسالة في العقود، رسالة في الشرط المتأخّر، بحث في لزوم القبض في الموقوفات، رسالة في حجّية الظنّ، رسالة في الاستصحاب، رسالة في شرائط الإمام والمأموم، كتاب زرد (الكتاب الأصفر).

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٥: ٢١ ـ ٢٢ و ٣١١، الذريعة ١٧: ٢٧٦، گلشن أبرار (روضة الأبرار) ٢: ٥٦٢ ـ ٥٧٠).

حسن مكّي

حسن مكّي: مفكّر إسلامي سوداني، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٩٥٩ م بالحصاحيصا في السودان.

يقول وليد الطيّب: «لو كان حسن الترابي هو زعيم الإسلاميّين السودانيّين وقائدهم التاريخي، فإنّ البروفيسور حسن مكّي هو الوشيجة بين السودانيّين الآخرين والمشروع الإسلامي السياسي السوداني كما جسّدته حكومة الإنقاذ، فمكّي هو أحد العقول الضخمة التي قدّمت قراءات مبكّرة لهذا المشروع، وكيفية تطويره، ودفعه خارج عنق الزجاجة بأفكاره حول توسيع التجربة باستيعاب الآخر، وبالتواصل مع أهل الأديان الإبراهيمية، بجانب اهتماماته بالإسلام وفكره وقضاياه وتمثّلاته في أفريقيا.. من الصحافة المصرية كانت البداية، ومع قصص الهلال وكتب طه حسين والعقّاد كانت النشأة الثقافية، ثمّ كان التحوّل الفكري بـ«معالم» الشهيد سيّد قطب. الغريب أنّ مكّي كما يؤكّد خرج من «بين فرث ودم»، «خليط» كما سمّاه، تمثّل في بيئة جمعت بين مئذنة وحلبة قمار، بين بار ومقهى، بحسبان المقهى وقتها مقصداً للمثقّفين.. وتفاصيل هذا الخروج يمثّل حقيقة جوهر الرجل الذي اعتاد الصدق والتواضع، فكان يجيب عن أسئلة مدارك بلا تزويق أو تزييف، سواء ما يتّصل بشخصه أو أُسرته أو مسيرته الطويلة في حياته العامّة وتجربته ومعاناته الفكرية التي تمتدّ لأكثر من ٤٥ عاماً».

يقول حسن مكّي عن نفسه: «لم نكن نعش وسط عائلتنا، كنّا كنخلة استنبتت في غير أرضها، فقد هاجر والدنا ووالدتنا من شمال السودان إلى «الحصاحيصا»، ولهذا لم نكن نعرف حتّى أقاربنا، وبيتنا كان بيتاً ذكورياً، فقد تفتّحت أعيننا ونحن بلا أخوات، فأُختي الكبيرة تزوّجت مبكّراً جدّاً، ولكن بادراتنا الفكرية الأُولى أخذناها من السوق؛ لأنّ والدنا كان تاجراً، وأيضاً من الشارع السوداني.

الحصاحيصا مدينة مختلطة وعمّالية، وبها مكتبات ومهرجانات، ولعلّ ما بقي في ذاكرتي من تلك المرحلة هو مكتبة الشعلة وتوجيهات الوالد، والشكل الثقافي والاجتماعي للمدينة، فالحصاحيصا كانت مدينة متأثّرة بالاستعمار، بها أحياء للمومسات وبها مسجد واحد، وبها قهاوى، وكانت تحتفل بالمولد، وهو مناسبة للهو أكثر منه للتديّن!

والتجمّعات الدينية كانت متصالحة مع اللاتديّن الموجود، وكان هناك تآخٍ بين المئذنة وحلبة القمار، وبين البار والمقهى!

كان هناك تخليط كبير في الأوضاع والمفاهيم في الحصاحيصا.. أطللت على الدنيا من خلال هذا التخليط، وخرجت من بين فرث ودم، لكن ليس لبناً خالصاً، وفي هذا التخليط كنت حريصاً على قراءة المجلّات المصرية، والجرائد السودانية، وكنت ألتهمهما التهاماً، وكنت أقرأ ـ وأنا طالب في المرحلة الأوّلية والمتوسّطة ـ ثلاث أو أربع جرائد يومياً، وأقرأ الألغاز البوليسية مثل أرسين لوبين، وشارلوك هولمز، والروايات العالمية، وروايات الهلال، وطه حسين، والعقّاد إذا استطعنا، وجاء التحوّل الكبير حينما قرأت كتاب «معالم في الطريق» للشهيد سيّد قطب!

أخي الأكبر توفّي في العام ١٩٥٠م، ولم أره، فقد ولدت بعد وفاته بـ ٩ سنين، ولكن يبدو أنّه كان ذا ثقافة دينية؛ لأنّه كان يدرس في المعهد العلمي، كتبه كانت موجودة في البيت، ولكن لم نكن نقرأ منها إلّا مقامات الحريري، أمّا بقية ميراثه من الكتب الصفراء فكانت الأُسرة تحتفظ بها في «شنطة» كبيرة. وكنّا نذهب إلى السينما والموالد، ونقف في المولد في حلقة القمار، ونشهد حلقة الذكر الصوفي، دون أن نتأثّر بهذا أو ذاك، وأذكر أنّنا كنّا نتأثّر جدّاً بخطابات جمال عبد الناصر ونتعاطف معه.

في المدرسة الوسطى بدأنا نعرف الإخوان المسلمين، وبعد ثورة أُكتوبر انفتح الباب أمام التيّارات الفكرية الجديدة التي غابت أيّام الحكم العسكري. وفي أُكتوبر شاركت في المظاهرات، وبعد أُكتوبر شاركت في أوّل ندوة بالحصاحيصا، وكنت وقتها في الصفّ الثالث بالمرحلة الوسطى، سمعنا حسن الترابي، وعبد الله حسن أحمد، وزين العابدين الركابي، وتأثّرت بهذه الندوة وشعرت أنّني أنتمي لهؤلاء الناس!

بعدها قرأت «معالم في الطريق»، وبعد أقلّ من عام التحقت بمدرسة حنتوب الثانوية، ووجدت الإخوان هناك، وكان أنتمائي لهم تحصيل حاصل.

أعجبني أوّلاً الجو الحداثي، فالترابي كان يلبس بزّة فخمة ويستشهد بالقرآن الكريم،

وأنا الذي لا يملك آنذاك بزّة ولا أحفظ القرآن! ما زلت أذكر الآيات التي استشهد بها في تلك الندوة، ومنها آيات سورة الأنعام التي تحكي قصّة إبراهيم مع أجرام السماء، وقد أسقط الترابي ذلك على الواقع السوداني، وقال: «إنّ الشعب السوداني مثل إبراهيم، إذا رأى الشمس بازغة قال: هذا ربّي، وكذلك هو كلّما رأى حكومة عسكرية قال: هذا ربّي.. حتّى إذا أفل كأُفول الشمس قال: لا أُحب الآفلين!».

طبعاً الفكرة التي قالها الترابي بسيطة، لكن مبدأ استخدام القرآن في التعاطي مع الواقع والسياسة كان مؤثّراً فينا، ونحن لا نحفظ إلّا آيتين أو ثلاثاً نصلّي بها.

وكذلك هالني إقبال الناس على سماع الترابي وإخوانه، حتّى إنّ الجمهور كان يصعد على الكراسي بقدميه ليرى الترابي، ونحن كنّا تجّاراً وندرك معنى تلك التصرّفات ودلالاتها.

وعلى الجهة المقابلة كانت هناك محاولات من الشيوعيّين لتجنيدنا، وقد سعوا معنا ودعونا لمحاضرات وندوات.. لكن لم تستهونا مثل ندوات الإسلاميّين.

قد بدأ الالتزام عندي بمدرسة «حنتوب» الثانوية بعدما تعرّفت على الإخوان، وحنتوب مدرسة للمتفوّقين ودرس بها أغلب مشاهير السودان، وفيها أمسكت المصحف لأوّل مرّة. فحياتنا لم يكن فيها مصحف، ولا تتعدّى علاقتي به رؤيتي له في رفوف المسجد، ودخلت خلوة قرآنية لأيّام لا تتعدّى ٢٠ يوماً، ولكن الذي فتح أمامي نافذة الالتزام بالإسلام التجديدي الحي هو سيّد قطب.

شدّني في كتاب «معالم في الطريق» احتقاره للحياة التي أعيشها (حياة الحصاحيصا)، ووصفه لها أنّها جاهلية، فأنا كنت أقرأ الكتاب، وأتذكّر حياة الحصاحيصا بصفوف الرجال أمام بيوت الداعرات، وبارات الخمر التي أعبرها كلّ يوم، بل وأحياناً أُرسَلُ إليها لجلب الخمر. أيضاً وصف قطب لهذه الحياة بالجاهلية وكلامه عن (الاستعلاء الإيماني) خلقت فينا إرادة لأن نستعلي على حياة الحصاحيصا، بل والدنيا كلّها، خاصّة أنّ المدّ الشيوعي كان طاغياً، فجاءت كلمات سيّد قطب بمثابة قوّة نفسية موازية لكلّ القوى

المادّية الطاغية المستعلية في الكون، فقطب بقلمه وما رسمه قام بعمل معادلة في الذهن جعلتنا نعيش فوق الحياة.

وبالمناسبة لم أكُ طالباً مميّزاً أكاديمياً، ولم أك يوما ضمن العشرة الأوائل في الفصل، ولكن في البناء الفكري كنت متجاوزاً لرفاقي، فكنت أعرف المفكّرين وقيمة الكتاب، وأتكلّم في الجمعيات الأدبية والمناظرات الفكرية، ولكن نتائجي الدراسية لم تكن تخلو من الإخفاق.

أنا عدوّ للسوق من طفولتي وإلى الآن، فالسوق كان بالنسبة لي العواصف الترابية وإرهاق النظافة من واقع تجربتي الشخصية، وكنت أكره ذلك جدّاً؛ لأنّني كنت أعتبر ذلك مشروع الوالد لا مشروعي أنا، وكلّ إخواني كانوا كذلك.. لم أستطع أن أعمل في مشروع لا يداعب أحلامي، وكان والدي يعتقد أنّ الدكّان ـ برغم كونه كبيراً ـ سينتهي بوفاته، وقد كان. وحتّى الآن لا أشتري من السوق شيئاً سوى البرتقال، وهو نفسه لا أشتريه من عمق السوق ولا أنزل من سيارتي لشرائه، وهذا ليس تكبّراً، ولكنّها الكراهية القديمة. وقد زرت أغلب دول العالم، ولكنّني لا أزور الأسواق إلّا إذا كنت أتريّض، والحقّ أنّني أتعجّب كثيراً عندما أرى إقبال الناس على البضائع، بينما أبحث عن الحدائق والمكتبات، ولا أُضيّع وقتاً طويلاً في المكتبات، فأنا أصل للكتاب الذي أرغب فيه بسرعة.

نشرت لي جريدة «الصحافة» مقالاً ـ وأنا في المرحلة الثانوية ـ عن «سيكولوجية الصراع في الفضاء بين الولايات المتّحدة والاتّحاد السوفييتي»، وهو تلخيص لمقال طويل لراشد البراوي في مجلّة «الهلال»، وقد أضفت إليه بعض الأفكار والتعليقات عن الحرب الكورية.

في فترة حنتوب الثانوية كانت عندنا اهتمامات أُخرى غير أكاديمية، فكنّا نجتمع بصورة دورية لمتابعة ما يحدث من صراع بين طائفة الأنصار وحكومة النميري الشيوعي آنذاك، وفي أثناء امتحانات الشهادة الثانوية المؤهّلة للجامعة زارنا جار النبي والأخ حسن عبد الله لتنظيمنا للالتحاق بصفوف المقاتلين بعد نهاية الامتحانات.

وبذات الطريقة وفّقت في دخول كلّية الآداب بجامعة الخرطوم، وحاولت دراسة اللغة الفرنسية والفلسفة حتّى أهرب من التاريخ الذي كنت أعتقد أنّني متميّز فيه، وأنّه لن يضيف إليّ جديداً؛ لأنّ قراءاتي لنيتشه والعقّاد وسيّد قطب وماركس وطه حسين جعلتني أعرف فيه أكثر من أساتذتي.

وحين انتظمت في الدراسة وجدتني أشعر بالشعور نفسه تجاه الفلسفة، ولم يبق لي إلّا اللغة الفرنسية التي كانت متعبة للغاية، حيث كنّا نأخذ ١٢ محاضرة في الأُسبوع، ورسبت في امتحان نهاية العام، وعقد معي أُستاذ اللغة الفرنسية ـ وكان فرنسياً ـ اتّفاقاً أن ينجّحني في امتحان هذا العام على أن أترك اللغة في السنة الثانية، وكان هذا فراقاً بيني وبينها.

وفي السنة الثالثة عيّن الدكتور إبراهيم الشوش عميداً للكلّية، فأدخل اللغة العبرية، وتظاهرنا في تلك الفترة ضدّ الحكومة، ففصلنا من الجامعة، وبعد إرجاعنا إليها عادت ربّما لعادتها القديمة، ودرست التاريخ من جديد».

حسن الهضيبي

المستشار القاضي حسن إسماعيل الهضيبي هو: الداعية الإسلامي المعروف، والمرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين بمصر، ويصفه أعضاء الجماعة الذين عاصروه والذين لحقوه بأنّه المرشد الممتحن؛ نظراً لأنّه تولّى إرشاد الجماعة في أثناء فترة الخلاف مع رجال الثورة وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر، وهي الفترة التي قتل فيها مئات من شباب الإخوان في معتقلات الواحات والسجن الحربي من جرّاء التعذيب، حيث كان النظام يأمل في ذلك الوقت أن يصفّي جماعة الإخوان المسلمين بالقوّة.

ولد الهضيبي في عرب الصوالحة مركز شبين القناطر سنة ١٣٠٩ هـ، الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩١م، وقرأ القرآن في كتّاب القرية، ثمّ التحق بالأزهر لما كان يلوح فيه من روح دينية وتقى مبكّر، ثمّ تحوّل إلى الدراسة المدنية، حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧م. التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١١م، ثمّ التحق بمدرسة الحقوق، وتخرّج منها عام ١٩١٥م. قضى فترة التمرين

بالمحاماة في القاهرة حيث تدرّج محامياً، وعمل في حقل المحاماة في مركز شبين القناطر لفترة قصيرة، ورحل منها إلى سوهاج لأوّل مرّة في حياته دون سابق علم بها ودون أن يعرفه فيها أحد، وبقي فيها حتّى عام ١٩٢٤م، حيث التحق بسلك القضاء. كان أوّل عمله بالقضاء في «قنا»، وانتقل إلى «نجع حمادي» عام ١٩٢٥م، ثمّ إلى «المنصورة» عام ١٩٣٠م، وبقي في «المنيا» سنة واحدة، ثمّ انتقل إلى أسيوط، فالزقازيق، فالجيزة عام ١٩٣٣م، حيث استقرّ سكنه بعدها بالقاهرة، وتدرّج في مناصب القضاء، فكان مدير إدارة النيابات، فرئيس التفتيش القضائي، فمستشاراً بمحكمة النقض.

استقال من سلك القضاء بعد اختياره مرشداً عامّاً للإخوان عام ١٩٥١م، واعتقل للمرّة الأُولى مع إخوانه في ١٣ / يناير / ١٩٥٣م، وأُفرج عنه في شهر مارس من نفس العام، حيث زاره كبار ضبّاط الثورة معتذرين. اعتقل للمرّة الثانية أواخر عام ١٩٥٤م حيث حوكم، وصدر عليه الحكم بالإعدام، ثمّ خفّف إلى المؤبّد، ونقل بعد عام من السجن إلى الإقامة الجبرية؛ لإصابته بالذبحة ولكبر سنّه، ورفعت عنه الإقامة الجبرية عام ١٩٦١م. أُعيد اعتقاله يوم ٢٣ / أغسطس / ١٩٦٥م في الإسكندرية، وحوكم بإحياء التنظيم، وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات، على الرغم من أنّه جاوز السبعين، وأُخرج لمدّة خمسة عشر يوماً إلى المستشفى، ثمّ إلى داره، ثمّ أُعيد لإتمام مدّة سجنه، ومدّدت مدّة السجن ـ وذلك بعد انتهاء المدّة المقرّرة ـ حتّى تاريخ ١٥ / أُكتوبر / ١٩٧١م، حيث تمّ الإفراج عنه.

انتقل إلى رحمة ربّه في الساعة السابعة صباح يوم الخميس ١٤ / شوّال / ١٣٩٣هـ، الموافق ١١ / نوفمبر / ١٩٧٣م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: دعاة لا قضاة، إنّ هذا القرآن، الإسلام والداعية (مجموعة كتابات جمعها أسعد سيّد أحمد).

يروي الهضيبي أنّ علاقته بالإخوان قد بدأت منذ عام ١٩٤٢م، وقد اقتنع بهذه الدعوة بالطريق العملي قبل الطريق النظري، وذلك حين لمس من بعض أقاربه الفلّاحين إدراكاً لمسائل كثيرة في الدين والسياسة ليس من عادة أمثالهم الإلمام بها، وخاصّة أنّهم كانوا شبه

أُميّين، ولمّا علم أنّ ذلك يعود إلى الإخوان أُعجب بهذه الدعوة، وأخذ يحرص على حضور خطب الجمعة في المساجد التي كان يخطب فيها مؤسّس الجماعة حسن البنّا. فمن هذا العام ١٩٤٢م بدأت صلته بالدعوة عن طريق مؤسّس الجماعة أثناء أحد زياراته لمدينة الزقازيق، وكان بين الذين تلقّوا الدعوة رجلان من كبار المستشارين، هما: محمّد بك العوارجي، وحسن الهضيبي.

وفي الثاني عشر من شهر فبراير ١٩٤٩م اغتال رجال ملك مصر الملك فاروق حسن البنّا، فشغر بذلك مركز المرشد العامّ للدعوة، وأخذ الإخوان يبحثون عن قائد آخر، وأجمعت الهيئة التأسيسية على انتخاب حسن الهضيبي مرشداً عامّاً. وبقي الهضيبي يؤدّي عمله سرّاً نحو ستّة شهور، كما أنّه لم يترك العمل في القضاء خلالها. ولمّا سمحت حكومة النحّاس باشا للهيئة التأسيسية للإخوان بالاجتماع طلب أعضاؤها من الهضيبي أن يرأس اجتماع الهيئة بصفته مرشداً للجماعة، ولكنّه رفض طلبهم؛ إذ اعتبر انتخابه من قبل الهيئة التأسيسية في المرحلة السرّية من الدعوة لا يمثّل رأي جمهور الإخوان، وطلب منهم أن ينتخبوا مرشداً آخر غيره، ولكنّ الإخوان رفضوا طلبه، وقصدت وفود الإخوان من جميع مصر بيته، وألحّت عليه بالبقاء كمرشد عامّ للجماعة، وبعد أخذ وردّ وافق على مطالب وفود الإخوان، وقدّم استقالته من القضاء؛ ليتفرّغ للعمل في الإخوان المسلمين. وفي ١٧ / أُكتوبر / ١٩٥١م أُعلن حسن الهضيبي مرشداً عامّاً لجماعة الإخوان المسلمين.

وبدأ المرشد العامّ حياته الجديدة بالتعامل مع الأزمة مع الثورة من خلال سلسلة من الاعتقالات والمحاكمات، وسجن أثناء ذلك، ونقل عنه أنّه عذّب وحكم عليه بالإعدام، ثمّ بدّل ذلك بالأشغال الشاقّة.

يقول أحمد حسين زعيم «مصر الفتاة»: «لقد ضمّنا السجن الحربي في مارس ١٩٥٤م، وأشهد أنّه كان معي كريماً، وبي عطوفاً، وأحسب أنّ أعظم تكريم له هو في تكريم الإخوان المسلمين.. ولقد سألني صحفي: ما رأيك في الإخوان في معركة فلسطين؟ فأجبته بأنّه كان أعظم الأدوار، حتّى لقد كانوا هم الذين أنقذوا الجيش المصري من الوقوع

في كارثة، عندما حموا مؤخّرته وهو يتراجع، ويجب أن تعرف الدنيا كلّها منّي أنا أنّ من حارب الفقيد وحارب الإخوان بالحديد والنار إنّما كان يفعل ذلك لحساب الشيطان، ولا تظنّوا ـ يا أحبّائي ـ أنّني أقول هذا الكلام الآن فقط، فقد غادرت مصر عام ١٩٥٥م احتجاجاً على ما حلّ بالإخوان، وكان آخر لقاء بيني وبين عبد الناصر يدور حول هذا الموضوع، ثمّ يقول: إنّ شهيدكم، وشهيد الإسلام إذ ينعم الآن بالحياة إلى جوار ربّه، فسوف يسجّل له التاريخ أنّه كان كابن حنبل، رفض أن يساوم أو يتزحزح عمّا يتصوّره حقّاً».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢: ٢٢٥، ملحق موسوعة السياسة: ٦٧٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٢١٥، عظماء الإسلام: ٣١١ـ٣١٢).

حسنين الفضيل الورتيلاني

حسنين الفضيل بن محمّد السعيد بن فضيل الورتيلاني: شخصية متميّزة في عالم الدعوة والإصلاح الديني في الجزائر وفي العالَمين العربي والإسلامي.

ولد سنة ١٩٠٠م في قرية «أنو» ببلدية بني ورتيلان بولاية سطيف الجزائرية، ونشأ في عائلة كريمة محافظة ذات علم ومجد ومكانة وفضل، فحفظ القرآن الكريم، وتعلّم المبادئ الأوّلية للعلوم العربية والدينية، وتتلمذ على يد العالم الشيخ محمّد السعيد البهلولي.

وقد وصفه حقّ الوصف الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي قائلاً: «... ومعرفة الأُستاذ الورتيلاني لا تتمّ إلّا بمعرفة نشأته وتربيته الأُولى. فقد نشأ على مقربة من الفطرة السليمة، وتربّى تربية دينية يتعاهدها المربّي من والدين ومعلّمين بالمحاسبة على الصغيرة والكبيرة، والمناقشة في الجليلة والحقيرة، فأيفع وشبّ مرتاض الطبع على المحاسبة والمناقشة والاهتمام والجدّ مع توهّج الإحساس وإشراف الروح وسمو الغاية، يعاون ذلك كلّه ذكاء متوقّد وبديهة مطاوعة في مجالات القول ولسان كالسيف المأثور إذ لاقى الضريبة صمّم، ومازالت تلوح على تفكيره ورأيه آثار من تلك التربية، يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها.

وفي خريف سنة ١٩٢٨م سافر إلى قسنطينة والتحق بحلقات ودروس الشيخ عبد

الحميد بن باديس، فتتلمذ على يديه، وبعد تخرّجه تولّى التدريس معه في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، فتخرّج على يديه خلق كثير من التلاميذ الذين اضطلعوا بالعمل الإسلامي والثوري في الجزائر، وأُعجب به الشيخ عبد الحميد بن بادريس أيّما إعجاب، وصار يصطحبه معه أينما ذهب، ويتباهى به في كلّ مجلس، ويستخلفه في غيابه من بعده في شؤون التربية والتعليم والإدارة، كما كان يرسله ممثّلاً ونائباً عنه في الكثير من المناسبات التربوية والتعليمية والدينية والاجتماعية.

اجتمعت جملة من العوامل الفطرية والمكتسبة لتجعل من شخصية الشيخ الفضيل الورتيلاني شخصية نابعة ومتميّزة في عصره. وأهمّ هذه العوامل هي:

١ ـ انتسابه لأُسرة كريمة ومحافظة ومشهورة بالعلم والأدب والفضل.

٢ ـ تلقّيه تربية دينية وأخلاقية صالحة، وبقاؤه وفياً لفطرته السمحة التي فطر الله الناس عليها، فلم يعرف عنه التبديل أو التغيير أو التحريف أو الانزلاق.

٣ ـ ذكاؤه وفطنته وشجاعته وجرأته في الحقّ وثراء قدراته ومواهبه الفطرية المتعدّدة.

٤ ـ حفظه للقرآن الكريم في سنّ مبكّرة، وحفظه للأحاديث والأخبار الصحاح، وتعلّمه اللغة العربية.

٥ ـ تتلمذه على يد الشيخ المرحوم بعد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر من سنة ١٩٢٨ م إلى سنة ١٩٣٢ م.

٦ ـ تقريب الشيخ عبد الحميد له وتوليته بعض المهام التربوية والتعليمية والدينية والصحفية والدعوية.

٧ ـ هجرته الدعوية المبكّرة إلى فرنسا بتكليف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين لتولّي شؤون الجالية الإسلامية المهاجرة من سنة ١٩٣٦ م إلى سنة ١٩٤٠ م.

٨ ـ تلقّيه تعليماً جامعياً عالياً في الأزهر الشريف من سنة ١٩٤٢ م إلى سنة ١٩٤٩ م، وحصوله على شهادة العالمية في الشريعة وأُصول الدين.

٩ ـ إقامته الطويلة والمثمرة في المشرق العربي منذ سنة ١٩٤٢ م إلى وفاته سنة

١٩٥٩م.

١٠ ـ علاقاته وصداقاته العديدة مع رجال الدعوة والإصلاح الديني، أمثال: الشيخ المرحوم الشهيد حسن البنّا، والشيخ محمّد محمّد رمضان، وسائر رجال جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة الشبّان المسلمين، وجماعة عبّاد الرحمان، ومع رجال الأدب والفكر والثقافة والفنّ، ومع رجال السياسة ومن الرؤساء والقادة والزعماء، ومع رجال الإصلاح الإسلامي.

١١ ـ رحلاته الكثيرة في الشرق والغرب.

١٢ ـ انتماؤه لجماعة الإخوان المسلمين وتبوؤه منصباً دعوياً وقيادياً وإرشادياً فيها.

١٣ ـ سرعة بديهته، وقوّة حافظته، وبيان عارضته، وذرابة لسانه، وبلاغة خطبه وبيانه.

١٤ ـ عظيم إخلاصه وتضحيته وتفانيه في سبيل خدمة أُمّته ودينه ولغته وتأريخه العربي الإسلامي.

١٥ ـ نشاطاته السياسية المتعدّدة المحلّية والإقليمية والعربية والعالمية وغشيانه النوادي والمجامع والمحافل خطيباً وداعياً.

وبعد أن أمضى سنوات يدرس على يد الشيخ عبد الحميد في قسنطينة ألحقه بسلك المدرّسين التابعين لمدارس جمعية التربية والتعليم، وعهد له الشيخ سنة ١٩٢٣ م بمتابعة ومراقبة وإخراج وتطوير مجلّة «الشهاب»، وظلّ كذلك إلى أن كلّفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين بمهمّة الوعظ والإرشاد وهداية المهاجرين الجزائريّين في فرنسا خاصّة وأوروبّا عامّة، فهاجر منتدباً من قبل الجمعية إلى فرنسا سنة ١٩٣٦ م، وظلّ بها أربع سنوات يدعو إلى الإسلام واللغة العربية بين صفوف المهاجرين، ويستحثّ همّتهم لطلب الاستقلال عن فرنسا، فخشيت الإدارة الاستعمارية من نشاطاته الدعوية والدينية، فقرّرت الخلاص منه، ولكنّه استغلّ أحداث الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا بيد الألمان سنة ١٩٤٠ م، فهرب إلى مصر.

وفي مصر كان له تاريخ حافل بالمآثر والأمجاد، كما كان سجلّه الدعوي والحركي والديني والعلمي عظيماً في تلك الفترة، والتي بدأها بمتابعة دراسته في جامع الأزهر، إلى حصوله منه على شهادة العالمية الأزهرية، ثمّ تعيينه رئيساً ممثّلاً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين في مصر إلى غاية التحاق الشيخ البشير الإبراهيمي سنة ١٩٥٢ م، ثمّ تعيينه عضواً فاعلاً في جماعة الإخوان المسلمين. وكثيراً ما كان الشيخ حسن البنّا ينيبه في الخطابة عنه في الكثير من المناسبات، ولا سيّما دروسه ومحاضراته الإرشادية الأُسبوعية. كما كانت له العديد من التدخّلات والمشاركات النضالية السياسية والفكرية والأدبية والدينية في جماعة الإخوان والمسلمين وجمعية الشبّان المسلمين بمصر وفي بعض الأقطار العربية الأُخرى، وكذلك علاقته الإصلاحية والدعوية الوطيدة بجماعة «عبّاد الرحمان» ببيروت، والتي اعترفت بجميله في خدمة الدعوة الإسلامية، فطبعت مقالاته النارية الثائرة التي كان يعرّف فيها بعدالة القضية الجزائرية الرازحة تحت نير الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٥٦ م، ثمّ أعادت طباعتها سنة ١٩٦٣ م، ثمّ شارك في ثورة اليمن ضدّ السلطان يحيى حميد الدين سنة ١٩٤٨ م، وحكم عليه بالإعدام، ممّا اضطرّه للهرب إلى سورية ولبنان.

ومع حلول سنة ١٩٤٩ م قام الشيخ الفضيل بإنشاء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين بالقاهرة، وعمل به ممثّلاً للجمعية. وقد قام بعدها بالاتّصال بقادة دول المشرق العربي والإسلامي بهدف استقبال الطلبة الجزائريّين للدراسة فيها، فلبّت دعوته الكثير من الدول التي توافد عليها طلّاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين لإتمام دراستهم العليا فيها.

ثمّ انضمّ إلى صفوف الثورة التحريرية من أوّل يوم، وقدّم هو والشيخ البشير الإبراهيمي بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين من مصر المؤيّد والمناصر للثورة التحريرية، وقدّم الكثير من أجل التعريف ونصرة القضية الجزائرية، كما أكثر من الترحال في سبيل الجزائر، إلى أن انتقل إلى تركيا ممثّلاً للثورة الجزائرية فيها، وقد استطاع أن يبدّل الموقف

الرسمي والشعبي التركي فيها ليصبح مؤيّداً للقضية الجزائرية العادلة.

وقد اشتهر بعذوبة لسانه وخطبه الرنّانة، ولا سيّما خطبه السياسية منها، وكان عنيفاً في خطبه ومقالات وحواراته، وناريًا في مهاجمة الطغاة والمستعمرين، وقاتلاً في الإغارة على أعوانهم وخدمتهم وأذيالهم الكثيرين يومها في العالمين العربي والإسلامي وفي الجزائر خاصّة. كما كان مندفعاً فيما يدعو إليه، ومتحمسّاً فيما يعمل من أجله. وقد ترك كتابه الشهير «الجزائر الثائرة» المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٦ م والذي أُعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٣ م، وقد ضمّ بعضاً من مقالاته المنشورة في الصحف العربية والجزائرية.

اضطلع الشيخ الفضيل الورتيلاني بنشاط سياسي ملفت للانتباه، ولم تكد تمرّ مناسبة سياسية عربية وإسلامية إلّا وكان له توقيع المشاركة فيها.. فعندما أمضت مصر اتّفاقية الجلاء مع بريطانيا سنة ١٩٥٤م سارع إلى تأكيد موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين منها.. وممّا جاء في البرقية المرسلة إلى مكتب رئاسة الجمهورية المصرية بتوقيعه والشيخ البشير الإبراهيمي قوله: «إنّ مكتب جمعية العلماء الجزائريّين بالقاهرة ليسرّه أن يبعث إلى سيادتكم بالتهنئة الحارّة على إرسائكم الحجر الأساسي لتحرير مصر من المعتدين الغاصبين. وإنّ اعتقادنا في همّتكم وعزيمتكم واتّساع أُفقكم، مع ما يتجدّد في كلّ مناسبة من أقوالكم المتّحدة ذات الطابع العسكري البسيط، كلّ ذلك يجعلنا نأمل كلّ الأمل في أن يكون تحرير مصر على أيديكم وأيدي زملائكم الكرام. إنّما هو بداية لتحرير جميع العرب وجميع المسلمين، وطريق معبّد لجمع كلمتهم على الحقّ والخير؛ ليعيدوا تاريخ أسلافهم الأبرار في إسعاد الإنسانية جمعاء...».

كما أصدر بالقاهرة برفقة الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي بيان الجمعية التأريخي المندّد بسياسة وموقف فرنسا الاستعمارية والمؤيّد للثورة التحريرية منذ انطلاقتها الأُولى.

وعندما حلّ الزلزال الكبير بمدينة الأصنام (الشفّ حالياً) الجزائرية شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م سارع إلى إرسال برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يستعطفه فيها للتبرّع لمنكوبي الجزائر ومذكّراً إيّاه بحالة التعليم السيّئة في الجزائر، فبادر عبد الناصر بالردّ

عليه، وبتخصيص مبلغ عشرة آلاف جنيه لمساعدة منكوبي الأصنام.

كما كانت له علاقات وطيدة مع زعماء العالم وأحراره، فقد قابل مرّة الزعيم الهندي جواهر لال نهرو، والزعيم الباكستاني محمّد علي جناح، والزعيم الأندونيسي أحمد سكارنو، وزعيم الجماعة الإسلامية السيّد أبا الأعلىٰ المودودي، وزعيم مسلمي الهند الشيخ أبا الحسن الرابع الندوي، وغيرهم من الزعماء السياسيّين والدينيّين.

كما التقى الورتيلاني في بيروت بآية الله الكاشاني قائد النهضة الإسلامية الإيرانية حينذاك بعد الهجرة الجبرية من بلادهما إلى بلاد الشام. وقد تكرّرت هذه اللقاءات التقريبية الداعية إلى البحث عن سبل التقريب بين المذاهب الإسلامية وتقوية المناهج الوحدوية في الوسط الإسلامي، وكانت الحوارات في غاية الأهمّية، وقد تمخّض عنها ولادة إقامة مؤتمر وحدوي إسلامي، يقام هذا المؤتمر إمّا في لبنان وإمّا في طهران، ويتطرّق فيه إلى مواضيع تهمّ العالم الإسلامي وتؤدّي إلى الوحدة والمحبّة والأُخوّة الإسلامية، وتقدّم الدعوة إلى كبار العلماء والمثقّفين المسلمين لمناقشة العناوين المشار إليها.

وقد تنوّعت أساليب الشيخ الفضيل الورتيلاني الدعوية والإصلاحية والتربوية والتغييرية، بحيث لم يترك وسيلة ناجعة يستطيع أن يوصل بها رسائله التوعوية إلّا واستثمرها أيّما استثمار. ويمكن حصر وسائله وأساليبه الدعوية والإصلاحية في الوسائل التالية:

١ ـ التربية والتعليم والتدريس في المدارس.

٢ ـ الخطب والدروس الدينية والمواعظ المسجدية.

٣ ـ الانخراط وتأسيس الجمعيات الوطنية والمحلّية والعربية والإسلامية العالمية.

٤ ـ الكتابة في الصحف والمجلّات الجزائرية والعربية والإسلامية.

٥ ـ حضور المؤتمرات والندوات والتجمّعات الخاصّة والعامّة.

٦ ـ ربط الصلة بالمشرق العربي لغةً وروحاً وانتماءً.

٧ ـ إحياء قيم وماضي وتاريخ وأمجاد الجزائر في نفوس الشعب الجزائري.

٨ ـ محاربة الطرقية والبدعية وكلّ أشكال الخرافة.

٩ ـ مقابلة الملوك والقادة والرؤساء العرب والمسلمين وزعماء أحرار العالم.

١٠ ـ الرحلات الإصلاحية الكثيفة في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه.

وقد ضعفت قواه، وتراجعت فتوّته، وأُصيب بالعديد من الأمراض، فاعتلّت صحّته، فلقد أصابه مرضا الربو وضيق التنفّس والسكّري نتيجة الإرهاق، وتوجّب عليه العلاج والسفر إلى أوروبّا لإجراء عملية جراحية، ولكن اندلاع ثورة الجزائر أنساه كلّ شيء، فظلّ في حركة دائبة، ولمّا استحكمت العلل فيه والأمراض نصحه بعض الإخوان بالسفر إلى أوروبّا أو إلى تركيا للاستطباب فيها، وبحكم كونه ممثّلاً لجبهة التحرير الوطني الجزائرية بتركيا فقد اتّجه إليها مباشرة أواخر سنة ١٩٥٨ م، ولكنّه لم يكد يبدأ العلاج فيها حتّى حمل إلى المستشفى الكبير بأنقرة، وفيها توفّي يوم ١٢ / مارس / ١٩٥٩ م من ثقل الأمراض المزمنة التي استشرت في جسده المجاهد والتي كان يعاني منها، وبها دفن، ثمّ نقل رفاته إلى الجزائر يوم ١٢ / مارس / ١٩٨٧ م.

وقد كتب عن مجهوداته وتأثيراته تلميذه الشيخ محمّد الأكحل شرفاء يصفها ويعدّدها، فقال: «إنّ نفس الورتيلاني العظيم من تلك الفئة الأُولى الأصيلة، تلك التي تشبه المعدن الذهبي، ذلك الذي يصهر بالنار، ولكنّه يخرج منها ألمع ما يكون بريقاً، وأنقى ما يكون من الشوائب. وهذا نفس ما حدث للفضيل، فلقد مرّت عليه كما تمرّ على الأفذاذ العباقرة ظروف عابسة حسبها الناس حجباً صفيقاً بين ماضيه ومستقبله، ولكنّها سرعان ما انقشعت كما تنقشع السحب الثقال عن وجه الشمس، فأشرف الورتيلاني من جديد على دنيا الإسلام والعروبة بالأضواء الكاشفة، فأنار طريق الكفاح من جديد، وفتح جبهة الجهاد من جديد، وتبوّأ مركزه العظيم بين أساطين النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي».

(انظر ترجمته في: مجلّة رسالة التقريب / العدد: ٧٥ / صفحة: ١٥١ ـ ١٧٠).

حسنين محمّد مخلوف

حسنين بن محمّد بن مخلوف العدوي المالكي: مفتي الديار المصرية، فقيه ومحدّث

وأُصولي صوفي.

ولد في قرية بني عدي مركز منفلوط بمحافظة أسيوط سنة ١٨٩٠م، والتحق بالأزهر، فحفظ القرآن وقرأ العلوم، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على الشهادة العالمية وهو دون الرابعة والعشرين، ودرّس في الأزهر، ثمّ عيّن قاضياً بالمحكمة الشرعية، وتدرّج في وظائف القضاء حتّىٰ صار رئيساً لمحكمة الإسكندرية الكلّية سنة ١٩٤١ م، فرئيساً لتفتيش القضاء الشرعي بوزارة الحقّانية (العدل) سنة ١٩٤٣ م، ونائباً لرئيس المحكمة الشرعية العليا سنة ١٩٤٢ م، كما عيّن عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر، وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية، وعضواً مؤسّساً برابطة العالم الإسلامي، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وشغل منصب مفتي الديار المصرية مرّتين (١٩٤٥م ـ ١٩٥٠ م) و (١٩٥٢ م ـ ١٩٥٤ م)، وأُسندت إليه رئاسة لجنة الفتوىٰ بالأزهر، ورئاسة جمعية البحوث الإسلامية بالأزهر كذلك، ورئاسة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية. ومنح كسوة التشريف العلمية مرّتين، إحداهما حين كان رئيساً لمحكمة طنطا، والأُخرى حين كان مفتياً لجمهورية مصر العربية.

وقد تأثّر بأفكار الشيخ محمّد عبده، وكان صديقاً لعلي ماهر باشا، ومواليـاً للـوفد، ووقعت خلافات بينه وبين جمال عبد الناصر.

توفّي سنة ١٩٩٠ م تاركاً بعض المصنّفات، منها: كلمات القرآن تفسير وبيان، نفحات زكية من السيرة النبويّة، المرأة في الإسلام، الإسلام بين الشرق والغرب، البيان الإسلامي، المواريث في الشريعة الإسلامية، صفوة البيان لمعاني القرآن، شرح عدّة الحصن الحصين، بداية الداعية، رسالة الأخلاق الإسلامية، دعاء يوم عرفة.

كما قام بتحقيق بعض الكتب، كبلوغ السؤل، والحديقة الأنيقة، والدعوة التامّة، وهداية الراغب، والنصائح الدينية، وتبلغ عدد فتاويه (٨٦٣٩) فتوى.

يعدّ من كبار أصدقاء التقريب العاملين على جمع كلمة المسلمين وتخليصهم من براثن التعصّب والتفرّق. ومن أقواله في التقريب التي نشرت في مجلّة «رسالة الإسلام»: «إنّني

من المؤمنين بفكرة التقريب العاملين على أن يدرك المسلمون جميعاً مزاياها، وما تـؤدّي إليه من جمع كلمتهم، وتوحيد أهدافهم، وظهورهم في العالم الحاضر بالمظهر الكريم اللائق بعظمتهم وسمو شريعتهم ونبل غايتهم، كما كانوا في الماضي قبل أن تعدو عليهم عـوادي الفتن وتجرفهم أمواج الضغائن والإحن. إنّ الإسلام هو دين الوحدة كما هو دين التوحيد، وقد حرصت شريعته الخالدة على أنّ تقرّ في الناس أُسس التضامن والتكافل الاجتماعي، والتعاون على البرّ والتقوى، وعلى أن تنزع من بينهم أسباب العداوات والضغائن وما ينزغ به الشيطان بينهم ليفشلوا وتذهب ريحهم. وهذه هي القواعد الخمس التي بني عليها هذا الدين المتين، ترمي كلّها إلىٰ توطيد أمر المسلمين على الوحدة والأُلفة واتّفاق الغاية... ثمّ إنّـنا نرىٰ الإسلام كما يشرّع أسباب التآلف والتجمّع ينهىٰ عن أسباب التقاطع والتفرّق، فـهو لا يعتبر رابطة تربط المسلمين إلّا رابطة الدين، فلا جنسية ولا شعوبية ولا تفريق بالألوان أو اللغات أو القبائل... وإنّ إصلاح الأفكار، وتنقية الصدور من الأحقاد والأضغان، والدعوة إلى الأُلفة والاتّفاق، والرجوع إلى الينابيع الأُولى الصافية للدين، هي أساس نجاح الأُمّة، وإفاقتها من غفوتها، ونهوضها من كبوتها».

(انظر ترجمته في: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٢١٦ ـ ٢١٧، الموسوعة العربية العالمية ٢٢: ٤٦٠، تتمّة الأعلام ١: ١٤٠ ـ ١٤٢، إتمام الأعلام: ١٢٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٨٤ ـ ٩٦، نثر الجـواهـر والدرر ٢: ١٧٩٠ ـ ١٧٩٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢١٤ ـ ٢١٥).

حسين البروجردي

السيّد حسين بن علي بن أحمد بن علي نقي بن جواد بن مرتضىٰ الحسني الطباطبائي البروجردي: من مشاهير علماء الإمامية وأكابر مراجع التقليد والإفتاء، ومن روّاد حـركة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في «بروجرد» بإيران سنة ١٢٩٢ هـ، والتحق بمدرسة «نور بخش» الدينية، ثمّ انتقل إلى أصفهان سنة ١٣٠٩ هـ، فتتلمذ في الفقه وأُصوله والفلسفة على بعض الأسـاتذة،

كأبي المعالي الكلباسي، ومحمّد تقي المدرّس، ومحمّد الكاشاني، وغيرهم.

قصد النجف الأشرف سنة ١٣١٩ هـ، فحضر الأبحاث العالية على الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني، وعاد إلى بروجرد سنة ١٣٢٨ هـ، فأكبّ على المطالعة والتحقيق والدراسة والتدريس، حتّىٰ أصبح من مراجع الدين، وأقام في مدينة قم سنة ١٣٦٤ هـ.

كان رجلاً زاهداً سخياً متهجّداً عزيز النفس غيوراً على مصالح الإسلام والمسلمين.

من مؤلّفاته: المسائل الفقهية، حاشية على نهاية الشيخ الطوسي، حاشية على كفاية الآخوند، ترتيب أسانيد الكافي، ترتيب أسانيد التهذيب، تعليقة على الوسائل، بيوتات الشيعة، تعليقة على منهج المقال.

توفّي بمدينة قم سنة ١٣٨٠ هـ، ودفن هناك.

وقد كان السيّد يعدّ البحث والدراسة في كتب وفتاوىٰ أهل السنّة من المقدّمات اللازمة لفهم الاجتهاد والفقه. وهو من المهتمّين بقضية الوحدة بين المسلمين، ويعتقد بأنّ معالجة هذه القضية من الواجبات الحيوية لكلّ عالم شيعي، ويتعيّن عليه السعي لتوطيدها وتحقيقها، وكانت لديه رغبة عميقة لإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الفريقين.

وقد بارك وعاون وعاضد تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، وكانت له علاقات وتبادل رسائل طيّبة مع بعض مشايخ الأزهر، كالشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ محمود شلتوت.

وكان يؤكّد على التركيز على النقاط المشتركة بين جميع الفرق حتّىٰ تنتشر الأُلفة والمحبّة والمودّة بين أتباع تلك الفرق، بحيث تتحوّل هي وأتباعها إلى يد واحدة ضدّ أعداء الإسلام.

ولمعرفة متانة العلاقات الودّية فيما بين السيّد البروجردي وبعض أعلام أهل السنّة أستعرض هنا الرسالة التي بعثها إليه الشيخ عبد المجيد سليم في إحدىٰ المرّات، وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرة آية الله السيّد الجليل الحاجّ حسين البروجردي (حفظه الله): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد: فقد أبلغني حضرة صاحب الفضيلة الأُستاذ الشيخ محمّد تقي القمّي الأمين العامّ لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية نصّ رسالتكم الشفهيّة التي رأيتم فضيلتكم إبلاغها إليّ.

تفضّلتم فتحدّثتم إليه عن إعجابكم بما أُودّيه من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين، وعن جهود جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وما لها من أثر في جمع كلمة المسلمين، وما تستطيع أن تفعله وترشد إليه ممّا يصلح به الفساد الذي دسّه ذوو الأغراض.

والله يعلم أنّ هذه هي أعزّ آمالي التي أعمل لها جاهداً طول حياتي، وأسأل الله تعالى أن يحقّقها وأن يؤيّد كلّ ساعٍ في سبيلها. وإنّي لأشكر لسماحتكم هذه الثقة في شخصي وهذا الاعتداد بجهدي، وأُنوّه بما أعرفه فيكم من مشاطرتي هذا الجهاد في سبيل الله، وأنّكم لا تفتأون تعملون على إصلاح شأن الأُمّة بما لكم من العلم والجاه والنفوذ في إيران وغير إيران، وأنّ فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية تلقىٰ منكم عناية بالغة ومؤازرة قويّة في شتّىٰ المواقف والمناسبات؛ لأنّكم ـ كما هو المنتظر من مثلكم في عمله وتقواه ورجاحة عقله ـ قد أدركتم ما لها من جدوى في إعلاء شأن المسلمين وتقوية شوكتهم وإحلالهم المحلّ اللائق بهم من العزّة والكرامة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة المنافقون: ٨).

إنّ أهل العلم ـ يا سماحة السيّد الجليل ـ هم حملة أمانة الإسلام والقائمون بالقسط مع الله وملائكته بشهادة القرآن، وإنّ عليهم لهذا لواجباً عظيماً، يجب أن يتعاونوا على أدائه، وأن يتبادلوا الرأي والمشورة في شأنه على بعد البلاد واختلاف الشعوب. ولقد أتىٰ على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه هدفاً لكثير من الدسائس الفكريّة التي يراد بها زلزلتهم عن الحقّ، واجتذابهم إلى الباطل، وشغلهم عن الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وتفريقهم بالخلاف والجدال تفريقاً يقضي عليهم جميعاً، ولم تزل آثار هذه الدسائس تغشي العقول

وتشغل القلوب وتحول بين كثير من الناس وما ينبغي أن يكونوا عليه من فهم صحيح للدين وإدراك لأسراره وتفانٍ في سبيل إعلاء كلمته.

فأوّل واجب علينا معشر العلماء ـ لا فرق بين سنّيين منّا وشيعيّين ـ أن ننفي من أذهان الناس ما علق بها من ذلك، وأن ننشر صفحات الإسلام الناصعة ومبادئه القويمة وشريعته الحنيفيّة السمحة نشراً يبصّر الناس بما فيها من هدىً ورشاد، ويأخذهم بما لها من قوّة وجمال، ويجعلهم يدينون بها عن فهم وحبّ، لا عن وراثة وتقليد، فإنّ المرء إذا فهم أحبّ، وإذا أحبّ آمن إيماناً تسهل معه التضحية، ولا يقف في سبيله شيء من أعراض هذه الدنيا الفانية.

وقد علمت أخيراً بنبأ وفاة العالم الجليل السيّد محسن الأمين العاملي، فأسفت لهذا النبأ؛ لما بلغني عنه ﷺ من علمه وإخلاصه وجهاده في سبيل دينه وأُمّته. وإنّي أبعث إلى سماحتكم بخالص عزائي لإخواننا الشيعة الإمامية في شخصكم، وأسأل الله الكريم أن يتغمّد الفقيد برحمته ورضوانه، وأن يجزينا وإيّاكم عن مصابه جزاء الصابرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمادى الثانية / ١٣٧١ هـ

عبدالمجيد سليم ـ الجامع الأزهر ـ القاهرة».

وقد أقام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مؤتمراً لتكريم شخصية الإمام البروجردي وكذلك شخصية الشيخ شلتوت سنة ١٤٢١ هـ، كما ترجم كتاباً عن حياته من الفارسية إلى العربية ونشره سنة ١٤٢٨ هـ، وقد كان لكاتب السطور شرف الإشراف على الترجمة وتحقيق الكتاب واستدراكه.

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٦: ٩٢ ـ ٩٤، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ١٥٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١٢٦ ـ ١٢٧، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٢١٣ ـ ٢١٦، رجالات التقريب: ٩ ـ ٤٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢١٣ ـ ٢١٤).

حسين جوزو

حسين جوزو: أحد أعلام المسلمين في البوسنة.

تخرّج بكلّية الشريعة والقانون في الأزهر الشريف، وعاد إلى بلاده متأثّراً بفكر الشيخ محمّد عبده ومحمّد رشيد رضا وأمثالهما من رجال الإصلاح الإسلامي.

عمل في الصحافة والترجمة، وأسّس جريدة «البعث»، وترأس تحريرها، وانصرف إلى التأليف والتدريس.

شارك في تأسيس كلّية الدراسات الإسلامية في سراييفو، وعلّم بها.

توفّي سنة ١٩٨٢ م تاركاً بعض المؤلّفات، ومن أهمّها: الإسلام والعصر، فتاوىٰ معاصرة.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٢٢).

حسين الراضي

حسين بن علي بن راضي بن محمّد علي صالح العبد الله الراضي: أحد أعلام المملكة العربية السعودية، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في قرية الحوطة بمدينة العمران (بمحافظة الإحساء السعودية) في أواخر شهر ذي الحجّة من عام ١٣٧٠ هـ، والتحق ـ وهو لم يتجاوز عمر خمس سنوات ـ بما يسمّى (بالكتاتيب) لتعلّم القرآن الكريم، واستمرّ فيها سنتين حتّى ختم القرآن الكريم. وفي السابعة من عمره دخل المدرسة النظامية وواصل دراسته فيها إلى الصفّ الرابع الابتدائي، حيث كان يحصل على المراتب الأُولى في المدرسة، إلى أن واجه شخصاً ما يتهجّم على الشيعة الإمامية ومعتقداتهم، فقرّر لذلك أن يخرج من المدرسة ويدرس فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام والذي يتمذهب هو بمذهبهم حتّى يستطيع أن يردّ على كلّ من يتهجّم على هذا المذهب، فكانت فكرة التوجّه إلى النجف الأشرف رغم عدم معرفته بالنجف الأشرف آنذاك.

خرج من المدرسة وهو في السنة الحادية عشرة من عمره، فذهب ليكدّ ويكدح من أجل تجميع المال الذي يمكنه من الذهاب به إلى النجف الأشرف، فسعى لتهيئة الأجواء النفسية والعائلية والمادّية طيلة ستّ سنوات من عمره ليتمكّن من الذهاب إلى النجف، إلى أن تحقّق له ذلك في عام ١٣٨٧ هـ.

كان أوّل طالب علم من قرية الحوطة بعد خروج الشيخ سلطان الفضلي والشيخ محسن الفضلي (قدّس الله نفسيهما) من القرية، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة، فكان أصغر طالب علم من منطقة الإحساء في ذلك العام.

التحق الشيخ في بداية وصوله النجف بالحوزة العلمية ضمن المدرسة الشبّرية ـ والتي أسّسها السيّد علي شبر ـ إلى أن فتح السيّد محسن الحكيم ﷺ الدورة الدينية بعد مرور عدّة أشهر من ذهاب الشيخ إلى النجف، فالتحق بها لتنظيم دروسه في هذه الدورة، حيث كان السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر ﷺ هو المشرف عليها. فدرس المقدّمات والسطوح فيها، فكان من أبرز أساتذته في هذه الدورة وغيرها: الشهيد السيّد محمّد صادق الصدر في «شرح ابن عقيل، واقتصادنا»، والسيّد الشهيد محمّد باقر الحكيم في «فلسفتنا، والكفاية»، والسيّد عبد المجيد الحكيم في «شرائع الإسلام، والرسائل»، والسيّد الشهيد عبد الصاحب الحكيم في «الكفاية»، والرسائل، والمكاسب» أيضاً، والشيخ أحمد البهادلي في «شرح المعالم»، والسيّد محمود الهاشمي في «المنطق» للمظفّر، والشيخ محمّد تقي الجواهري والسيّد محي الدين الغريفي في «المكاسب»، والشيخ محمّد هادي معرفة في «تفسير علوم القرآن».

أمّا في دراسة البحث الخارج ـ والتي بدأ بها عام ١٣٩٥هـ ـ في النجف الأشرف فدرس عند أفضل الأساتذة، وهم: الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر في الفقه والأُصول، وله تقريرات لبحوثه، والسيّد الخوئي في الفقه، وله تقريرات لبحوثه، والسيّد عبد الأعلى السبزواري في الفقه، والسيّد نصر الله المستنبط في الفقه.

كانت هذه الدروس الأربع ضمن خمس سنوات.

وفي أثناء تواجد الشيخ الراضي في النجف الأشرف رشّح ليكون الوكيل الشرعي للسيّد الخوئي في قطر، وكان ذلك باقتراح من السيّد عبدالله العلي (أبي رسول)، إلّا أنّه اعتذر عن ذلك.

وكانت للشيخ علاقة روحية خاصّة ومميّزة بالشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، فقد كان الشيخ من المعجبين بالسيّد الشهيد وبأفكاره منذ بداية دراسته في الدورة الدينية وقبل أن يدرس عنده، فكانت علاقته بالشهيد علاقة محبّة ومودّة وتعاون، فقد لقي الشيخ من الشهيد اهتماماً خاصّاً، وكان له عند الشهيد معاملة خاصّة ووضعاً خاصّاً، وفي مواقف عديدة كانت تظهر وتبرز هذه العلاقة..

ومن ذلك أنّ الشهيد الصدر انتدب الشيخ لزيارة السيّد الخوئي عندما كان يرقد في مستشفى ببغداد، كما أنّ الشهيد الصدر في درس من دروسه في البحث الخارج (الفقه) طلب من تلامذته التصدّي لتحقيق كتاب «المراجعات» للسيّد عبدالحسين شرف الدين، حيث كان لهذا الكتاب الأثر والتأثير البالغان في الوسط الإسلامي، فتصدّى مجموعة من الطلبة آنذاك إلى تحقيق الكتاب، فلم يوفّق وقتها إلّا الشيخ في تحقيق الكتاب، فعرضه على الشهيد الصدر، فأثنى عليه واستحسنه، ثمّ طبعه تحت إشرافه.

عاش الشيخ طوال فترة تواجده في النجف مع الشهيد الصدر الحلوة والمرّة طيلة حياة الشهيد، وكان على اتّصال دائم بالشهيد في كلّ الأوقات وفي جميع التصرّفات، إلى أن استشهد السيّد الصدر، فاضطرّ الشيخ بعد ذلك إلى الرحيل إلى قم المقدّسة.

انتقل الشيخ إلى قم المقدّسة عام ١٤٠٠هـ، واستكمل دراسته في البحث الخارج أيضاً عند كلٍّ من: الشيخ حسين المنتظري، والسيّد كاظم الحائري، والسيّد علي الفاني، والشيخ حسن زاده الآملي، والشيخ عبد الله جوادي الآملي، والسيّد محمّد رضا الكلبايكاني.

وأجازه السيّد المرعشي النجفي إجازة الرواية، كما أجازه شفوياً بدرجة الدراية والاجتهاد السيّد علي الفاني.

تولّى الشيخ مسؤولية حوزة ما يسمّى بالحجازيّين (أهل الإحساء والقطيف) كإدارة

لشؤونهم الخاصّة من ترتيب لدروسهم وجلب الأساتذة المناسبين لهم، واستمرّت هذه الإدارة قرابة الخمس سنوات تقريباً.

استمرّت إقامته في قم المقدّسة حوالي (١٠ سنوات)، خلالها كان يتنقّل من إيران إلى سوريا، وهناك كان يقيم الجمعة والجماعة وصلاة العيدين في بعض الأحيان عوضاً عن السيّد أحمد الفهري، إلى أن عاد إلى موطنه الأصلي عام ١٤١٠ هـ مدرّساً ومرشداً.

من محقّقاته: المراجعات، النصّ والاجتهاد، الفصول المهمّة، وجميعها للسيّد عبد الحسين شرف الدين. كما له تحقيق علمي لكتاب «نهج البلاغة» كمقارنة بين النسخ المختلفة المخطوطة.

وله ملاحظات وتعليقات على كلٍّ من الكتب التالية: جواهر الكلام، والحدائق، والكافي، ومعجم رجال الحديث للسيّد الخوئي، وأيضاً ميزان الاعتدال للذهبي، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وغيرها.

ومن مؤلّفاته: مشكلة الزنىٰ.. أسبابها وعلاجها، الزواج بناء المجتمع وسمو الحياة، تاريخ علم الرجال، أين قبر فاطمة، مكّة أحبّ البقاع إلى الله، أصالة التذكية، نجوم السماء وأعلام الإحساء.

يقول: «لا يمكن للوحدة أن يكون لها نصيب من الوجود والتحقّق في الخارج إلّا أن تكوّن قيادات واعية ومخلصة تقود الأُمّة، وعلى رأسها العلماء الأعلام... إنّ الخاصّة من طبقة المجتمع يجب عليها أن تتواضع للعامّة من الناس الملتزمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشاركهم فيها، وتشرف على الدعوة إلى الله، وتقودهم إلى شاطئ الخير والنجاة.

وهذا من مظاهر الوحدة الإسلامية في الأُمّة بين طبقات المجتمع، بل والذي يقودها هم الصفوة من الأنبياء والمرسلين أو من أئمّة الهدى أو من العلماء المخلصين من الأُمور الضرورية في قيادة الأُمّة وتوحيد كلمتها ورصّ صفوفها أن تكون تلك القيادات واعية، فإنّ القيادة إذا كانت معصومة كالأنبياء والمرسلين والأئمّة (سلام الله عليهم أجمعين) فإنّ

العصمة تسدّ كلّ ما يحتاجون إليه، بل لا تكون في الشخص إلّا إذا كان كاملاً. وأمّا إذا لم يكن معصوماً فلا بدّ أن يكون واعياً وعارفاً بزمانه، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»، وعن الإمام علي عليه السلام: «حسب المرء من عرفانه علمه بزمانه»، وعن الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام أيضاً: «أعرف الناس بالزمان من لم يتعجّب من أحداثه»، وبحسب التعبير الحديث: أن يكون سياسياً ومحيطاً بالأحداث.

إنّ اهتمام الأُمّة بالقضايا المصيرية والمهمّة وعدم الانشغال بالقضايا الجزئية ممّا يكوّن لها الوحدة والانصهار في بوتقة واحدة. مثلاً القضية الفلسطينية قضية مصيرية مهمّة يشترك فيها جميع المسلمين، فتصدّي المسلمين لها ممّا يوحّد صفوفهم ويضفي عليهم القوّة والحزم والنجاح.

لقد كشفت الرؤية السابقة عن غطرسة بني إسرائيل، وأنّهم السبب في فساد الأرض، وأعطت هذه الرواية وصفاً حقيقياً لبني إسرائيل، حيث قال: «وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير».

وقد حذّرهم الله سبحانه من ذلك، وأمر عيسى أن يأمرهم بالإيمان بهذا الرسول الآتي ـ وهو الحبيب المصطفى ـ ويصدّقوه وينصروه ولا يدرسوا كتبه (من الاندراس، أي: لا يبيدوها ولا يعدموها)، ولا يحرّفوا سنّته. وهذا هو السبيل الوحيد لقطع شرّهم عن العالم.

ولكن إسرائيل تمادت طيلة التاريخ بشكل عامّ وتاريخ الإسلام بشكل خاصّ على عدم الإيمان بنبي الإسلام وعدم التصديق به، بل أُلصقت به كلّ شائنة، وحاربته بكلّ ما أُوتيت من قوّة، وقامت بزرع الفتن وإشاعة الحروب في العالم، واستمرّت على هذا المنوال في فسادها وإفسادها. وهي السبب الوحيد في اضطراب العالم وعدم استقراره، خصوصاً بعد احتلالها لأرض فلسطين الحبيبة. وإذا أراد العالم الاستقرار فلا بدّ من الوقوف أمام إرادة الصهاينة وغطرستهم واستعمارهم وفسادهم في العالم.

إنّ القضية الفلسطينية والالتفاف حولها والشعور بالمسؤولية والدفاع عنها، كلّ ذلك

يحقّق الوحدة بين الأُمّة الإسلامية، كما هو حاصل لكلّ مَن يشعر بـالواجب اتّـجاه هـذه القضية المصيرية».

حسين علي محفوظ

حسين بن علي بن جواد بن موسى بن حسين آل محفوظ الوشاحي الأسدي الكاظمي: من أشهر علماء العراق المعاصرين في اللغة والأدب، وأحد مناصري حركة التقريب بـين المذاهب الإسلامية، وهو مؤلّف موسوعي كتب في التاريخ والأدب والأنساب وفقه اللغة المقارن.

ولد الدكتور حسين سنة ١٩٢٦ م بالكاظمية، وتعلّم بها، ثمّ تخرّج بـدار المـعلّمين العالية ببغداد، وحصل على درجة «البكالوريوس» في اللغة العربية سنة ١٩٤٨ م، ونـال درجة الدكتوراه في الآداب الشرقية «الأدب المقارن» سنة ١٩٥٥ م من جامعة طهران، كما كانت له مطالعات واسعة لبعض العلوم الإسلامية.

عيّن مدرّساً في دار المعلّمين العالية ببغداد سنة ١٩٥٦ م، ومفتشاً اخـتصاصياً للّـغة العربية في وزارة المعارف العراقية حتّى سنة ١٩٥٩ م، ثمّ انتقل إلى كلّية الآداب بـجامعة بغداد، ودرّس اللغة العربية وآدابها في الكلّية الشرقية بجامعة بطرسبورغ من سنة ١٩٦١ م حتّىٰ سنة ١٩٦٣ م، وحاز على لقب أُستاذ المستشرقين، وأسّس قسم الدراسات الشرقية في كلّية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦٩ م، ورأسه حتّىٰ سنة ١٩٧٣ م.

كان عضواً في: مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م، والجمعية الآسيوية الملكية في لندن سنة ١٩٥٤ م، واللجنة الأدبية في المجمع العلمي الإيراني سنة ١٩٥٢ م، والجمعية التاريخية في كابل.

وقد فاز بعدّة أوسمة ولوائح تـقدير؛ لإسـهاماته العـلمية حـتّىٰ فـي مـجالات «الفولكلور (الفنون الشعبية)» والخطّ العربي والتقويم ووضع المعاجم.

له شيوخ كثيرون أجازوه بالرواية، منهم: الشيخ فرج القطيفي، والشـيخ آغـا بـزرك الطهراني، والسيّد صادق الهندي، والشيخ عبد الرزّاق العـاملي، والشـيخ عـلي الغـروي

التبريزي ، والشيخ محمّد أمين زين الدين ، والسيّد محمّد سعيد الحكيم ، وغيرهم. ويروي عنه : السيّد مهدي الوردي ، والسيّد عبد الستّار الحسني ، والسيّد سلمان آل طعمة ، والأُستاذ كامل سلمان الجبوري .

توفّي بالعراق سنة ٢٠٠٩ م.

من مؤلّفاته ومحقّقاته ودراساته : المنتخب من أدب البحرين ، سيرة الشيخ الكليني ، المتنبّي وسعدي ، معجم الموسيقىٰ العربية ، معجم الأضداد ، الصنعاني ، علم المخطوطات ، نظرة في تراث إقبال ، ذكرىٰ الزيتونة ، الطفل في التراث العربي ، علي بن أبي طالب المسلم الكامل ، الشيخ الطوسي ، النابغة البحراني ، تاريخ الشيعة ، حياة الشريف الرضي ، الألفاظ التركية في اللهجة العراقية ، ابن الكوفي ، أدب النيروز ، الشيخ محمّد عياد طنطاوي ، مقالة «الوفاق بين المذاهب الإسلامية ».

وقد بيّن في مقالته الأخيرة هذه دلائل الوفاق في مسائل الخلاف ، وأثبت أنّ نسبة الخلاف لا تزيد على ٦٪ من مسائل الخلاف ، لا من مجموع مسائل الفقه .

ويمكن تلخيص أفكاره التقريبية بما يلي :

١ ـ إنّ موضوعات كتب الخلاف في الفقه هي مادّة توافق ، وإنّ علم الحديث يشدّ بنيان الأُمّة ويجمع أمرها ويمهّد وحدتها .

٢ ـ ترك كتب الخلاف ، وعدم التعويل على كتب الملل والنحل المثيرة للفتن .

٣ ـ الاشتغال بالعلوم الحقيقية والتعويل عليها بدلاً عن الاستغراق في الخلاف والمجالات التي لا توصل إلى نتيجة إيجابية .

٤ ـ اتّفقت الأُمّة على أنّ أُصول أدلّة الأحكام الشرعية أربعة : الكتاب ، والسنّة ، والإجماع ، والعقل . وإنّ منهاج الأُمّة واحد ، وطريقها واحد ، وسنّتها واحدة ، ومذهبها واحد ، وهو الإسلام . وإنّ الخلاف في آراء العلماء هو نقطة البداية نحو توحيدها .

(انظر ترجمته في : المنتخب من أعلام الفكر والأدب : ١٢٨ ـ ١٢٩ ، معجم الشعراء للجبوري ٢ : ١١٤ ـ ١١٥ ، رجالات التقريب : ١٤٥ ـ ١٥٦ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٢١٣ ـ ٢١٤).

حسين كمال الدين

حسين كمال الدين بن أحمد الحسيني: العالم، المجاهد، الداعية، الفلكي، الطبوغرافي، المسّاح، المهندس.

ولد في القاهرة سنة ١٩١٣ م، وعاش في كنف والده العلّامة الشيخ أحمد إبراهيم، وتلقّىٰ على يديه مبادئ الإسلام.

وتنحدر أُسرته من نسل الحسين بن علي عليه السلام، وكانت في الأصل في الحجاز، ثمّ نزحت إلى مصر، وصارت إلى مدينة بلبيس، وهاجر جدّه إبراهيم إبراهيم إلى القاهرة، وسكن في جوار الأزهر الشريف.

درس المترجم له في مدارس مصر الابتدائية والثانوية، ثمّ دخل الجامعة في القاهرة، واختار كلّية الهندسة وتخرّج فيها، ونال شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية مع مرتبة الشرف سنة ١٩٣٨ م، وتابع دراسته العليا، فحصل على الماجستير في المساحة التصويرية أيضاً سنة ١٩٤٣ م، ثمّ نال شهادة الدكتوراه في المساحة التصويرية أيضاً سنة ١٩٥٠ م.

وقام برحلات علمية أمدّته بكثير من المعلومات والمعرفة في عدد من البلاد العربية والبلاد الأوروبيّة والأمريكية.

عمل في حركة الإخوان المسلمين في مصر، فانتظم في صفوفها عاملاً نشيطاً. وما إن أدرك مؤسّس تلك الحركة الشيخ حسن البنّا مواهبه وحيويته حتّى أدناه منه، وجعله من قادة هذه الحركة، فكان عضواً في مكتب الإرشاد ـ وهو المجلس القيادي الأعلى للجماعة ـ وتولّى قيادةُ الجوّالة في هذه الحركة، فقد كان في الاستعراضات يقود أُلوف الشباب وهم يسيرون في صفوف متراصّة منتظمة، ويحضر مخيّماتها، ويُسيّر أعمالها.

وقد جرّ عليه نشاطه الإسلامي في حركة الإخوان كثيراً من المغارم، وكان يقابل ذلك بالرضا بقضاء الله وقدره.

وعندما توفّي الأُستاذ عمر التلمساني المرشد الثالث للإخوان كان اسمه مطروحاً ليكون المرشد الرابع، ولكن تمّ اختيار الأُستاذ حامد أبي النصر لاعتبارات رأتها الجماعة.

وقد عمل مدرّساً في جامعة القاهرة، وما زال يترقّى في الدرجات العلمية حتّى بـلغ رتبة الأُستاذ.

وكان من أنصار تدريس العلوم التجريبية والتطبيقية باللغة العربية، وقد نادىٰ بضرورة التعريب في كلّ مناسبة، وألّف عدداً من الكتب العلمية الرصينة في موضوع تخصّصه باللغة العربية.

ذهب إلى العراق، وأسهم في إنشاء كلّية الهندسة، ودرّس هناك، وعمل فـي جـامعة أسيوط أُستاذاً لمادّة المساحة، ورئيساً لقسم المساحة، وكان في الوقت نفسه وكيلاً لكلّية الهندسة في أسيوط، وعمل أُستاذاً منتدباً في المعهد العالي للمساحة بالقاهرة، وفي جامعة الأزهر، ثمّ تعاقدت معه جامعة الرياض، فكان رئيساً لقسم المساحة في كلّية الهندسة، ثمّ انتقل إلى جامعة محمّد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعيّن عضواً في هيئة مشروع المدينة الجامعية، ثمّ عيّن أُستاذاً مشرفاً على مركز البحوث الفلكية، وظلّ يعمل في جـامعة ابـن سعود إلى ما قبل وفاته بسنتين.

أمّا اللجان والهيئات العلمية التي شارك فيها فكـثيرة.. فـقد كـان عـضواً فـي لجـنة المساحة التصويرية، وفي لجنة إنشاء كلّية الهندسة بالجامعة الأزهـرية ووضـع المـناهج الخاصّة بها، وفي لجنة إنشاء المعهد العالي للمساحة بمصر، وفي لجنة الترقيات العـلمية لدرجة الأُستاذية بالجامعات المصرية، وفـي لجـنة دراسـة المسـاحة الجـوية بـمصلحة المساحة المصرية، وفي لجنة التحضير والمتابعة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة محمّد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٩٧٦ م.

وحصل على جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٣٩٨ هـ.

وقد وضع الخطوط الأساسية لإنشاء أطلس جديد يُسمّى «الأطلس المكّي»، ويمتاز بإظهار موضع مكّة المكرّمة بالنسبة إلى القارّات الأرضية، واسـتعمال الإسـقاط المكّـي للعالم في إنشاء خرائط هذا الأطلس، وبيان خطوط اتّجاهات الصلاة على هذه الخرائط.

واستطاع أن يتوصّل إلى معادلات وبرامج استفيد منها في تصنيع ساعة تضبط مواقيت

الصلاة، وتعطي إشارة صوتية عند حلول وقت الصلاة حسب البلد الذي يحدّد في الساعة، وهي في الوقت ذاته تحدّد اتّجاه القبلة في أيّ مكان من الأرض، وقد صُنعت وأصبحت في متناول أيدي الناس.

وكان مضرب المثل في خلقه وتواضعه ومعاملته الطيّبة التي كانت سبباً في حبّ طلّابه له إلى درجة كبيرة. وقد سجن مرّات عدّة في أيّام فاروق وجمال عبد الناصر، وأُصيب بمرض الربو في آخر حياته.

توفّي في القاهرة يوم الخميس ١٢ من شهر ذي الحجّة سنة ١٤٠٧ هـ(١٩٨٧ م).

أمّا البحوث التي نشرها في المجلّات العلمية فكثيرة جدّاً، وكذلك الكتب التي ألّفها ونشرها، وكان أكثرها باللغة العربية، وبعضها بالإنجليزية. وكلّ هذه الكتب والبحوث أصيل مفيد وجديد عميق، ويقع بعض هذه المؤلّفات في عدّة مجلّدات، منها: المساحة المستوية، المساحة الطبوغرافية، المساحة الجيوديسية (ويبحث في الشبكات المثلثية، وكروية سطح الأرض، وقياس قواعد الشبكات المثلثية، وأبراج الرصد، ونظرية الأخطاء والاحتمالات، وتصحيح الأرصاد وتعيين دقّتها)، جداول مواقيت الصلاة، جداول اتّجاه القبلة، منحنيات مواقيت الصلاة، تعيين أوائل الشهور العربية، بحث في مواقيت الصلاة والصوم عند اختلال الزمن، بحث في وقت العشاء بالنسبة لوقت المغرب، بحث في بيان فرق الارتفاع بين مكان المصلّي ومكان شروق الشمس أو غروبها.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ١٤٦ ـ ١٤٧، إتمام الأعلام: ١٢٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩، موسوعة الأعلام ٢: ١٣٦).

حسين مجيب

حسين مجيب حسني المصري: عميد الأدب الإسلامي المقارن، وداعية إصلاح.

ولد بالقاهرة عام ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٦م بقصر جدّه لأُمّه محمّد ثاقب باشا الذي كان وزيراً للري في عهد الخديوي إسماعيل عام ١٣٤٧ هـ/١٩٢٩م. وحينما كان طالباً في المدرسة الابتدائية عكف على قراءة كتب الرافعي وجبران خليل جبران، وقد ظهرت ملكاته الأدبية

عندما التحق بمدرسة السعيدية الثانوية بمحافظة الجيزة عـام ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م، فكـان يحصل على الدرجات النهائية في الإنشاء. ونشر أوّل قصيدة له بعنوان «الوردة الذابـلة» وهي مرثية في ابنة عمّ له توفّيت، وهذه القصيدة من عيون شعره. كما كان متأثّراً بـالخيال العالي في شعر الرافعي وشوقي والزهير وغيرهم من الشعراء الذين قرأهم. وفي هذه الفترة كان ينظم الشعر بالفرنسية ويقدّمه إلى مدرّسه ليصحّحه له، وكان المدرّس يبدي إعـجابه بخياله ورقّة عاطفته. وكان يترجم من الشعر الإنجليزي إلى الشعر العربي. وفـي الجـامعة التحق بقسم اللغة العربية، وفيها تكاملت حصيلته اللغوية، وكانت من مواد الدراسة اللـغة الفارسية والتركية، فأُولع بهما كثيراً، وتعمّق في دراستهما، وكان يعلّم نفسه بنفسه ولا يعتمد فقط على الدراسة. كما درس الألمانية، وترجـم كـتابا ألمـانياً عـنوانـه «تـاريخ الأدب الفارسي» وعلّق عليه. تعلّم الإنجليزية والفرنسية في المدرسة الثانوية، وفي الجامعة تعلّم الفارسية والتركية والألمانية. وبعد التخرّج التحق بمعهد اللغات الشرقية ثلاث سنوات بما يعادل الماجستير، وفيه أتقن الأوردية والإيطالية والروسية. وكان يترجم من هذه اللغات إلى العربية. درس المصري هذه اللغات بهدف التعرّف على المـصادر الخـاصّة بـالتاريخ الإسلامي في هذه الآداب. وكان يترجم وهو طالب لزملائه وأساتذته من هذه اللغات، وقد ساعدته على الاطّلاع على التراث الإسلامي للشعوب الشرقية. وقد كـان يـرى أنّ هـذا التراث لا يقتصر على الشعوب العربية فقط، ولكن يجب الاطّلاع على التراث الإسـلامي لهذه الشعوب؛ لأنّه جزء من الحضارة الإسلامية وتاريخها. كما ساعدته هذه اللغات على عقد المقارنات بين آداب الشعوب الإسلامية. وحين حصل على دبلوم مـعهد الدراسـات الشرقية الذي يعادل درجة الماجستير حالت الحرب العالمية الثـانية دون سـفره لإعـداد رسالة الدكتوراه، فاشتغل بتدريس الأدب التركي والفارسي والأدب الإسلامي المقارن في جامعة القاهرة ومعهد الدراسات العربية. وعمل بالصحافة في بعض الصحف المصرية حتّى عام ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م، ثمّ سافر إلى تركيا للحصول على الدكتوراه عن فضولي البغدادي «أمير الشعر التركي»، وأثناء إعداده لرسالة الدكتوراه أُصيب بانفصال شبكي، طالت فـيه

رحلة العلاج التي انتهت بفقد بصره. ورغم ذلك زاد إصراره وحصل على الدكتوراه، وكان أوّل عربي يحمل الدكتوراه في الأدب التركي، وأوّل من عرّف القارئ العربي بتراث الترك الأدبي، وأخرج العديد من الكتب في ذلك، وترجم الشعر التركي إلى شعر عربي على نفس الوزن والقافية، وكذلك الحال لآداب الشعوب الشرقية. وكان يساعده أثناء رحلته، سواء في القراءة أو الكتابة، ابنه وبعض أصدقائه. كانت سعة اطّلاعه وإلمامه باللغات الشرقية من العوامل التي ساعدته منذ البداية على عقد المقارنات بين الآداب الشرقية والإسلامية. وكان أوّل من اشتغل بالأدب الشرقي، وكذلك أوّل من اشتغل بالأدب الإسلامي المقارن، وكان يقول: «عقد المقارنات له أهمّية خاصّة لا يستطيعها إلّا من ملك ناصية كلّ هذه اللغات، وهي أفضل ما يكون في إبراز حقائق الآداب التي تعقد بينها المقارنات. فنحن إذا عقدنا المقارنة بين فنون الشعر التركي والغربي فإنّما نعقد المقارنة بين شعبين. ومن هنا كان لابدّ من استغلال إلمامي بثماني لغات لعقد المقارنات بين آداب هذه الشعوب، وتبيّن لي من خلالها أنّ تراثنا الإسلامي ليس في العربية وحدها، بل في لغات الشعوب الإسلامية الأُخرى التي تعتبر كنوزاً متخفّية آن لها أن ترى النور، بل يمكن أن أقول: إنّ من يعتمد على دراسة التراث الإسلامي عند العرب وحدهم فإنّها تكون دراسة مبتورة، ولا بدّ من استكمالها بالنظر في آداب الشعوب الإسلامية الأُخرى».

ساعده الالتحاق بجامعة فؤاد الأوّل (جامعة القاهرة) بكلّية الآداب قسم اللغة العربية واللغات الشرقية على تعلّم اللغات الشرقية، وتخرّج فيها عام ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م. كما تعلّم اللغة الألمانية، وترجم منها العديد من البحوث والنصوص. وهو يرى أنّ دراسة اللغات الأوروبّية لازمة لمن يدرس الآداب الشرقية من عربية وفارسية وتركية، وذلك لضرورة الاطّلاع على دراسات المستشرقين في تلك اللغات، وخاصّة لمن يدرس الأدب الإسلامي المقارن.

وفي عام ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨م تعرّف حسين على صحفي إيراني مقيم في مصر يصدر مجلّة إيرانية، فكان يحرص على قراءتها، ما أكسبه لغة الصحافة في الفارسية.

وعندما افتتحت جامعة القاهرة معهد الدراسات الشرقية التحق بقسم «لغات الشعوب الإسلامية» الذي يختصّ بدراسة الأدب الفارسي والتركي والأوردي. وكان من المقرّر أن يدرس الألمانية، فرأى أن يتزوّد باللغة الإيطالية بدلاً منها، فأثار ذلك زوبعة بين أساتذة المعهد الذين كانوا يحسدونه على غزارة علمه، وتقرّر أن يدرس الإيطالية على أن يمتحن الألمانية في نهاية العام، ونال دبلوم الدراسات الشرقية عام ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢م، كما درس الروسية في مدرسة اللغات. وبهذا اكتملت له العديد من اللغات، فتيسّر له الاطّلاع على ثقافاتها.

انتخب منتدباً لتدريس الفارسية وآدابها والتركية في المعهد العالي الذي تخرّج فيه، وبعد عام انتدب لتدريس الفارسية في معهد الآثار الإسلامية. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها شحذ همّته للسفر إلى تركيا عام ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١م؛ ليبحث عن صديقه الشاعر المفقود «فضولي البغدادي» موضوع رسالة الدكتوراه؛ ليجمع مادّة رسالته التي يئس من تحصيلها في مصر.

وهناك سخّر الله له مَن يساعده من علماء الأتراك، وأرشدوه إلى ما ينفعه في دراسته، وكثير منهم تعجبّوا من قدرته على فهم أشعار هذا الشاعر التي لا يفهمونها لصعوبة لغتها القديمة، واطّلع مجيب على مخطوطات نادرة تميّزت بخطّها الذي يصعب قراءته، ما أرهق عينيه وأضعفها، حتّى إذا فرغ من جمع ما يطلب من مادّة بحثه أُصيب فجأة بالانفصال الشبكي في عينيه. وعندما عاد إلى مصر امتنع الأطبّاء عن إجراء عملية له لصعوبتها، وأرشدوه إلى طبيب في سويسرا، فسافر وأُجريت له العملية. ومع أنّه اعتلّ بعدها فإنّه عاد ليداوم عمله منتدباً في المعهدين العاليين، وواصل كتابة رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه عام ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م، وهي الأُولى التي قدّمت إلى جامعة القاهرة في الأدب التركي، وقد ترجمت رسالته إلى اللغة الروسية، وترجم جزء منها إلى التركية والآذرية، وبعد نيل الدكتوراه عيّن عضواً في هيئة التدريس بالجامعة.

وانتدب للتدريس في كلّية البنات بجامعة عين شمس لمدّة ثماني سنوات، ثمّ كلّية

اللغات والترجمة بجامعة الأزهر سبعة وعشرين عاماً، وفي كلّية البنات جامعة الأزهر أربع سنوات أُخرى، وفي كلّية الفنون جامعة حلوان عاماً واحداً، ثمّ وقع عليه الاختيار عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعمل لفترة أُستاذاً زائراً بجامعة بغداد، وعيّن في وظيفة أُستاذ كرسي غير متفرّغ بكلّية الآداب جامعة عين شمس.

لم يتوقّف عطاء الدكتور حسين المصري عند أسوار الجامعة، بل شغل نفسه بالصحافة قبل الدكتوراه وبعدها بنشر المقالات والقصائد في كثير من الصحف والمجلّات المصرية والعربية، مثل «اللواء الجديد» و«منبر الشرق» و«قافلة الزيت» السعودية و«الأديب» اللبنانية و«الورود» السورية، إضافة إلى خمسة وعشرين جريدة ومجلّة أُخرى. وكان شغله الشاغل هو الدراسات الفارسية والتركية وعقد المقارنات بينها، وقد أتاحت له الصحف نشر هذا الاتّجاه على نطاق أوسع على القارئ العربي غير المتخصّص، وكان ذلك بمثابة تمهيد لإيقاظ الوعي بوجود تراث إسلامي لم يكن للناس إلف به من قبل، فأصبح لمجيب المصري في ذلك الريادة؛ إذ صحّح المفاهيم السائدة لدى المثقّفين؛ فكثير منهم كان يهوّن من قيمة الأدب التركي وينكره في بعض الأحيان، فأوضح أنّ هذا وهم، وأنّ الأدب التركي القديم هو الأدب الإسلامي الحقّ؛ لأنّه تأثّر في أعماقه بالأدب الفارسي الذي تأثّر من قبل بالأدب العربي والتراث الإسلامي في أُصوله وفروعه، كما أنّ الأدب التركي الحديث يقف على قدم المساواة مع الأدب الأُوروبّي في روائعه؛ لأنّه متأثّر به مستمدّ منه، وهذا ما يقال عن أدب اللغة الأوردية، وهي لغة شبه القارّة الهندية عموماً وباكستان خصوصاً.

رشّح الدكتور حسين مجيب المصري للتدريس في جامعة بغداد، وكرّمه الأساتذة الأتراك بدعوته إلى إسطنبول، وأصرّ البروفيسور جتين رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة إسطنبول على تقبيل يده، ودرّس أيضاً في جامعة أنقرة وقونية، ودعي إلى باكستان ثلاث مرّات: الأُولى عام ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م، وبعد ذلك بعامين دُعي للاشتراك في مؤتمر عقد عن الشاعر الباكستاني محمّد إقبال في مدينة لاهور، وألقى بحثاً عن إقبال والقرآن، ثمّ دعي

في سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م مع زوجته، وكرّمه وزير الإعلام. كما أقام له نجل إقبال (جاويد) ـ والذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا حينئذٍ ـ وليمة في داره. أمّا الرئيس الباكستاني ضياء الحقّ فقلّده وساماً، وعانقه أمام عدسات التلفزيون حتّى ترقرق الدمع في عينيه تأثّراً بالموقف. لقد قلّد الرئيس غيره في هذا الحفل أوسمة واكتفى بمصافحتهم واختصّ الدكتور حسين بالعناق.

كما دُعي مجيب إلى مدينة قرطبة بإسبانيا للاشتراك في مؤتمر أُقيم عن إقبال، وكان الأوحد الذي ألقى بحثه عن «إقبال والتصوّف» بالإنجليزية مرتجلاً دون قراءة في الورق.

يضاف إلى ما سبق من تكريمه في الخارج أن منحته جامعة مرمرة الدكتوراه الفخرية عام ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م، ودعته لتقدّمها إليه في الجامعة، لكنّه اعتذر عن عدم السفر؛ لأنّه كان قد فقد نعمة البصر، فسلّمت إليه في السفارة التركية بمصر في حفل ألقى فيه قصيدة نظّمها بالتركية مع ترجمتها بالعربية.

يقول عنه الدكتور القاعود: «عرفت الرجل قبل ثلاثين عاماً أو يزيد، ولعلّ الذي عرّفني به صديقي الأديب الكبير الأُستاذ وديع فلسطين، وفي شارع الملك الأفضل بالزمالك التقيت بالرجل، وكان لما يزل فيه بعض حيوية، ولكنّه شكا إليّ ضعفاً في بصره الذي فقده فيما بعد، ممّا اضطرّه إلى استئجار مَن يقرأ له ويكتب.

كان ﷺ يتحرّك في غرفته نشطاً، يطلعني على بعض الكتب، ويحدّثني في بعض القضايا. ومع أنّي لم أمكث طويلاً فقد خرجت ببعض كتبه القيّمة ودواوينه الشعرية، وانطباع بتواضع الرجل وإخلاصه للعلم والبحث والأدب دون أن يهتمّ بعرض الدنيا ومتاعها الزائل. فقد كان يقدّم إنتاجه العلمي والأدبي لبعض الناشرين ولا يتقاضىٰ مقابلاً، اللهمّ إلّا بعض نسخ الهدايا التي يدفعها إلى الصحفيّين والكتّاب، لعلّ بعضهم يتفضّل بكتابة خبر في سطرين أو ثلاثة عن إصداره الجديد. كان يهمّه أن ينشر الكتاب بدلاً من البقاء حبيس أدراج مكتبه، في الوقت الذي تقوم المؤسّسات الرسمية بنشر كتب سطحية إنشائية مليئة بأخطاء النحو والصرف والتركيب، وقد تكون معادية لدين الأُمّة وأخلاق المجتمع، وتكافئ

أصحابها بمكافآت سخية!

لم يكن الرجل يتقن فنّ العلاقات العامّة الذي صار يتقنه أشباه الأُدباء والكتّاب، فتناساه من بيدهم الشهرة والتلميع. وهو في حقيقة الأمر لم يكن باحثاً عن هذا أو تلك.. فقد كان يريد أن يصل إلى الناس بكتاباته وبحوثه وأشعاره، مثلما يفعل أيّ شخص من المنتسبين إلى المؤسّسة الرسمية للثقافة أو الذين ترضى عنهم هذه المؤسّسة. لذا لم يرشّح لأيّة جائزة ثقافية في بلده لا تشجيعية ولا تقديرية، مع أنّه بمنطق العلم والأدب يستحقّ أن ينال أعلى جائزة يمنحها الوطن. ومن المفارقات فإنّ دولاً إسلامية عديدة منحته جوائزها الكبرى ودرجة الدكتوراه الفخرية كما فعلت جامعة مرمرة في تركيا، والحكومة الباكستانية، ودولة قازاخستان وغيرها.. إنّ الاحتفاء بالرجل خارج بلاده وإهماله في وطنه أمر شديد المرارة بالنسبة لرجل أخلص للعلم والأدب، ولم يبحث عن مكاسب مادّية أو منافع شخصية، بل كان ينفق من دخله المحدود على متطلّبات العلم والبحث والنشر والترجمة.

وفي الوقت الذي نرى فيه أُدباءَ وكتّاباً محدودي القيمة الأدبية والثقافية على خريطة الأبحاث في الدراسات العليا بالكلّيات المختلفة، فإنّ حسين مجيب المصري لم يُطرح موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، والأمر نفسه فيما يتعلّق بالحياة الثقافية، فلم يتناوله أحد من الكتّاب أو النقّاد، باستثناء بعض المقابلات القليلة القصيرة والمقالات، وكتاب وحيد أصدره صلاح حسن رشيد بعنوان: «حسين مجيب المصري.. تجربة فريدة في الشعر العربي الحديث»، أصدرته مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠٠٤ م.

لقد تعرّض لظلم كبير في عمله بالجامعة أيضاً. ويبدو أنّ هذا قدر الذين يعكفون على العلم والبحث، فيظلمهم أهل «الفهلوة» والباحثون عن الدنيا والوجاهة والمناصب، ولا ريب أنّ ذلك كلّه قد أصابه بالإحباط، وخلّف في نفسه كثيراً من الأسى نراه عبر مقطوعات شعرية تقطر ألماً، ومنها:

أنا من خبت في سعيي   أنا من حرت في أمري

غـــثاء ضـــاع فـــي ســـيل — وطـــير ضـــلّ عـــن وكـــر
هـــبـاء بـــين أرواح — ودمـــع ســـال فـــي البـــحر
كـــلا مـــن رجـــع أوتـــار — ولكـــن أيـــن مـــن يـــدري
وشـــعري نـــفح أزهـــار — ولكـــن مـــن يـــرى شـــعري؟!».

لقد أنتج الرجل عشرات الكتب التي زادت عن السبعين كتاباً، منها: صلات بين العرب والفرس والترك، رمضان في الشعر العربي والتركي والفارسي، إقبال والقرآن، إقبال بين المصلحين الإسلاميّين، المولد النبوي في الأدب التركي، القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية.. فضلاً عن الكتب التي حقّقها وراجعها، ومئات الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه) التي أشرف على أصحابها. وله أيضاً ستّة دواوين شعرية، هي: شمعة وفراشة، وردة وبلبل، همسة ونسمة، موجة وصخرة، شوق وذكرى، حسن وعشق.

لقد ظلّ حتّى آخر أيّام حياته يعمل بجدّ ودأب، وكان آخر كتاب ينوي نشره هو «بدائع إقبال في الأوردي»، وآخر كتاب كان ينوي أو يعمل في تأليفه كان حول المقارنة بين المدائح النبوية في الآداب الثلاثة: العربية والتركية والفارسية.

وكان يقول: «لا أستطيع أن أتخلّى عن القراءة والكتابة؛ فهما بالنسبة لي كالماء والهواء».

توفّي حسين مجيب يوم السبت الثامن والعشرين من شوّال ١٤٢٥ هـ الموافق للحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠٤ م.

(انظر ترجمته في: وجوه عربية وإسلامية: ٣٦ ـ ٤١).

❊ ❊ ❊

﴿حرف الخاء﴾

خالد زهري

الدكتور خالد زهري: باحث إسلامي مغربي، وداعية تقريب.

ولد في الرباط، وحصل على الإجازة في الآداب (شعبة الدراسات الإسلامية) ـ الرباط، سنة ١٩٩١ م، وعلى شهادة استكمال الدروس في تخصّص «الفكر والحضارة» ـ الرباط، سنة ١٩٩٣ م، وعلى دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) في الآداب (شعبة الدراسات الإسلامية) ـ الرباط، سنة ١٩٩٥ م، وعلى الدكتوراه في الآداب (وحدة المناظرات الدينية في الفكر الإسلامي) ـ الرباط، سنة ٢٠٠١ م.

شارك في الدورة التدريبية للعدول بالمحكمة الشرعية بالرباط من ١٠ / ١٠ / ١٩٩٤ م إلى ١٠ / ١٢ / ١٩٩٤ م، وتقرّر تعيينه عدلاً في دائرة المحكمة الابتدائية بالخميسات في المكتب المحدث لمركز تيداس في ٦ / ربيع الأوّل / ١٤١٥ هـ المصادف ١٥ / أغسطس / ١٩٩٤ م، وعمل متصرّفاً بوزارة الداخلية من سنة ١٩٩٦ م إلى سنة ١٩٩٩ م، كما عمل مفهرساً للمخطوطات بالخزانة العامّة للكتب والوثائق بالرباط من سنة ١٩٩٩ م إلى سنة ٢٠٠٢ م، وهو يعمل مفهرساً للمخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط، منذ يونيو ٢٠٠٢ م.

وهو عضو المنتدىٰ العالمي للوسطية ـ عمّان، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ الرياض، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران، ومدير تحرير مجلّة «قطر الندىٰ» ـ المغرب، وهي مجلّة محكمة تصدر من دبلن (إيرلندا) وتعنى بنشر التراث العربي والإسلامي، كما أنّه مدرج في قائمة «موسوعة الأعلام»، وعمل أُستاذاً متعاوناً في السنة الثانية من السلك الثالث في وحدة «الخطاب الصوفي في الإسلام وأبعاده

التواصلية » / شعبة الفلسفة، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، في الموسم الدراسي ٢٠٠٢م ـ ٢٠٠٣م.

وقد شارك في عدّة ملتقيات وندوات ومؤتمرات دولية، في المغرب وتونس والجزائر ولبنان وإيران وليبيا وقطر.

من مؤلّفاته: تعليل الشريعة بين السنّة والشيعة، الردّ على عصمة التوراة والإنجيل، الصليبيّون الجدد والمسلمون: أيّة علاقة وأيّ رهان، تجلّيات البرهان وحقائق العرفان: مقاربة للكشف عن علاقة اللغة بالقلب والعقل عند الحكيم الترمذي، فهارس الخزانة الحسنية / فهرس مخطوطات اللغة (بالاشتراك مع الدكتور مصطفىٰ الطوبي)، فهارس الخزانة الحسنية / فهرس مخطوطات النحو والصرف (بالاشتراك مع الدكتور مصطفىٰ الطوبي أيضاً).

وقد كتب عدّة مقالات وبحوث، تمّ نشرها في عدد من المجلّات، منها: «المحجّة» و«الكلمة» البيروتيتان، و«المرصد الدولي» البغدادية.

كما قام بتحقيق عدّة كتب ورسائل، منها: إثبات العلل للحكيم الترمذي، منازل القربة للحكيم الترمذي، رسالة في الطبّ لأبي عبد الله محمّد بن يوسف السنوسي، ثلاث رسائل في التوحيد والهيللة لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله الهبطي المعروف بالهبطي الصغير، رسائل التوحيد والهيللة لأبي محمّد عبد الله بن محمّد الهبطي المعروف بالهبطي الكبير، رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن لأبي الحسن علي بن ميمون الغماري، رسالة الإخوان إلى سائر البلدان لأبي الحسن علي بن ميمون الغماري، شرح أُمّ البراهين لأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الملالي التلمساني (ومعها أُمّ البراهين لأبي عبد الله محمّد بن يوسف السنوسي)، رسالة في أدب العلم لتاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمّد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري، ترتيب السلوك المنسوب لابن عطاء الله السكندري، عنوان التوفيق في آداب الطريق لابن عطاء الله السكندري، أُنس الوحيد ونزهة المريد لأبي مدين شعيب ابن الحسين الغوث، دور الكتب في ماضي المغرب لمحمّد بن عبد الهادي المنوتي، المجاز

إلى معرفة المجاز لأبي إسحاق التادلي الرباطي، مسألة في وصف المفردين للحكيم الترمذي.

هذا، وفي إطار المشروع الحضاري المتمثّل في التقريب بين أهل السنّة والشيعة الإمامية كتب الأُستاذ خالد الزهري بحثاً أكّد فيه على ضرورة أن يكون التقريب قائماً على أُسس علمية، لا على خطاب وعظي وكلام مفرّغ من محتواه الحقيقي وبعيد عن الواقع العملي، حيث تناول فيه موضوع تعليل الشريعة بين الطائفتين المذكورتين، وسلّط الضوء على رجلين من كبار علماء المسلمين وأساطين الفكر الإسلامي، إيماناً منه أنّ من سبل التقريب أن يتناول الإمامي شخصية إسلامية سنّية بالدليل والتحليل، ويتناول السنّي شخصية إمامية كذلك بالدليل والتحليل؛ للكشف عن المعالم التي تشكّل عناصر مشتركة بين علماء المسلمين بقصد اتّخاذها ركيزة علمية وموضوعية في التقريب.

ويؤكّد الكاتب في مقدّمة الكتاب بأنّه قبل أن يهتمّ بالتقريب بين الطائفتين المذكورتين قد اطّلع كثيراً على الكتب التي تجرح الشيعة وترجف بهم. ويتابع بقوله: «وكانت لي جولات في كثير من الصحف والمجلّات التي لا تألو جهداً في نعت القوم بأبشع الصفات وأخسّ النعوت! لكنّني فكّرت وقدّرت ونظرت، فعنّ لي أنّ الأليق بي أن اتّصل بكتب الشيعة أنفسهم لا بكتب خصومهم عنهم؛ لأنّ مذهب القوم يؤخذ من قولهم لا من قول غيرهم، ولأنّ أصحاب المقالة أدرى بمقاصد أسلافهم، فانكشف لي أنّ الكتب التشهيرية التي كنت اطّلع عليها مشحونة بالأغاليط، وتحرّكها خلفيات سياسية وانتهازية تأجّجت تحت وطأة الصراع العراقي ـ الإيراني والتنافس الإقليمي، فتحرّكت الأقلام المسمومة لتعمّق هوّة الشقاق وتزيد في عمق القطيعة».

ويقول: «إنّ التقريب الناجح هو القائم على أُسس علمية، ولا جرم أنّ أفضل مدخل علمي للتقريب هو علم أُصول الفقه؛ لكونه يمثّل الأساس النظري لكلّ فكر إسلامي أصيل، فقهاً كان أو كلاماً أو تصوّفاً أو فلسفةً. وإذا ما ضاقت شقّة الخلاف على صعيد الأساس فلا جرم أنّ ما ينبني على هذا الأساس لن يكون الخلاف فيه ذا خطر مهما تنوّع وكثر، بل سيغدو

ظاهرة صحّية تعرب عن تراث إسلامي غني وخصب، ومن هنا كان اختياري لموضوع « تعليل الشريعة »؛ لاعتباره من أشرف مواضيع أُصول الفقه وأهمّها».

خالد محمّد خالد

خالد محمّد خالد: مفكّر مصري معروف.

ولد عام ١٩٢٠ م بإحدىٰ قرى محافظة الشرقية بمصر، وبدأ بحفظ القرآن الكريم عند كتّاب القرية، ودرس في الأزهر الشريف، وتخرّج منه، ثمّ عمل في التدريس بوزارة المعارف المصرية عام ١٩٤٧ م.

ويعدّ من كبار الكتّاب ورجال الفكر، يتميّز بروح الإنصاف والموضوعية، وكان يقترح تدوين موسوعة عامّة تستوعب عقائد الإمامية وتحدّد تأريخهم وفقههم وثقافتهم تسهيلاً للأخذ بها والاطّلاع عليها.

وقد أسهم في تقديم خطاب سياسي ثوري لمصر والعرب والمسلمين، غير أنّه حوكم على غرار علي عبد الرزّاق بسبب كتابه «من هنا نبدأ»، وبُرّئ سنة ١٩٥٠ م، وقبل وفاته بثلاث سنوات وضع ابنه أُسامة كتاباً عنوانه: «محاكمة خالد محمّد خالد».

توفّي سنة ١٩٩٧ م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: موطنون لا رعايا، كي لا تحرقوا البحر، الله والحرّية، الله والطوفان، الديمقراطية أبداً، الدين في خدمة المجتمع، إنّه الإنسان، ثمن البشر، الدين والدولة، دفاع عن الديمقراطية، أفكار في القمّة، أزمة الحرّية في عالمنا، الدولة في الإسلام، قصّتي مع الحياة، محمّد والمسيح، رجال حول الرسول، أبناء الرسول في كربلاء، عشرة أيّام في حياة الرسول، الوصايا العشرة، في رحاب علي.

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٣١٣ ـ ٣١٤، ملحق موسوعة السياسة: ٣٥٤ ـ ٣٥٥، محمّد الغزالي.. رائد الإصلاح: ٩٤ ـ ٩٥).

خالد المذكور

خالد المذكور عبدالله المذكور: مفكّر إسلامي كويتي، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

حاصل على إجازة العالمية (الدكتوراه) في الفقه المقارن من جامعة الأزهر عام ١٩٧٨م. وهو رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالكويت، وعضو هيئة التدريس في كلّية الشريعة بالكويت، وعضو اللجنة العلمية للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعضو هيئة الفتوى والرقابة، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلّة «الأُصول والنوازل.

له نشاط علمي بارز في مجال التدريس والمحاضرات والخطابة والإفتاء والبرامج الإعلامية.

من مؤلّفاته: الاجتهاد الجماعي ومؤسّساته في دولة الكويت، حماية المستهلك في الشريعة الإسلامية، رعاية المسنّين في الشريعة الإسلامية، الوقاية الصحّية في الفقه.

يترأس الدكتور خالد المذكور اللجنة الاستشارية العليا على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية التابعة للديوان الأميري في دولة الكويت، وهو عضو في الهيئة الشرعية للشركة منذ التأسيس. ويتقلّد الدكتور المذكور مناصب أكاديمية ومهنية عليا في كلّ من جامعة الكويت ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. وهو مشارك منتظم في المؤتمرات الإسلامية العالمية، ومعدّ ومقدّم لبرنامجه التلفزيوني الشهير «مع الإسلام» والذي يتناول القضايا الشرعية والإسلامية المعاصرة.

يقول ضمن دراسة في سبل إيجاد نظام قوي للإعلام الإسلامي عن طريق الاستفادة من التقنية المتقدّمة للاتّصالات ومواجهة الإعلام السلبي المضادّ واقتراحات على العالم الإسلامي لتوحيد جهوده في سبيل الحفاظ على الهوية ومواجهة الغزو الثقافي في الفضائيات، يقول ما نصّه: «الإعلام اليوم هو عصب الحياة، وهو وجه من أوجه الحضارة، فهو الوجه المعبّر عن العقيدة الدينية والمذاهب السياسية والاتّجاهات الفكرية والظروف الاجتماعية والنظم الاقتصادية، فهو يتأثّر بهذه العوامل مجتمعة، كما يؤثّر فيها أيضاً.

فالإعلام يعبّر عن النظام العامّ في الأُمّة، وممّا لا شكّ فيه أنّ التطورّات العقدية والقيم والمبادئ المنبثقة عنها تمثّل لحمة الإعلام وسداه.

فالإعلام وإن اختلف باختلاف الزمان أو المكان ونظم الحكم وظروف كلّ مجتمع من المجتمعات لا يستطيع أيّ مجتمع إنساني أن يحيا بدونه، فلا يوجد عصر من العصور خلا من الإعلام، فالإعلام ظاهرة اجتماعية شقّت طريقها إلى كلّ البيئات وكلّ العصور منذ كان الإنسان يحيا حياة بدائية حتّى العصر الحديث.

ومن الطبيعي أن يتأثّر الإعلام والعمل الإعلامي بحقائق المجتمعات التي يعمل بها ويعكس ظروفها وواقعها، الأمر الذي أدّى إلى تعدّد أهدافه ونظمه في كلّ مجتمع من هذه المجتمعات، فلا نستطيع أن نفصل الإعلام عن الواقع الاعتقادي والاجتماعي والسياسي السائد في مجتمعٍ ما.

فالنظام الإعلامي في أيّ مجتمع ما هو إلّا وليد البيئة، وهو وليد النظام السياسي القائم فيه، يعكس ظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وعلى الرغم من أنّ الإعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة لم يكن معروفاً وقت نزول الوحي على نبيّنا محمّدﷺ، إلّا أنّه ـ وبتطبيق المقاييس العملية الحديثة الحالية على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية ـ يمكننا القول: إنّ الإعلام كان ولا يزال أداة هذا الدين ودعامته الرئيسية في كلّ المجتمعات.

فالدين الإسلامي دين دعوة، والدعوة عمل إعلامي بكلّ ما تحمل هذه العبارة من معنى، فالدعوة عمل إعلامي يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان ويعمل على الكشف عن الحقيقة.

وقد ميّز الله (جلّت قدرته) أُمّة الإسلام على سائر الأُمم الأُخرى بالمهمّة الإعلامية والحثّ على الدعوة إليه عزّ وجلّ والتذكير والعظة والإنذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرسل مبشّرين ومنذرين، فلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسول، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يتأتّى إلّا عندما يقوم كلّ مسلم بأداء المهمّة

الإعلامية التي كلّفه بها ربّه، والتي تتمثّل في الدعوة إلى الله، حيث فضّل الله الذين يتصدّون لها وميّزهم وقرّبهم إليه عمّن سواهم، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (سورة فصّلت: ٣٣ ـ ٣٥).

فالله عزّ وجلّ خصّ أُمّة الإسلام بالدعوة إليه وجعلها بذلك تفوق جميع الأُمم الأُخرى، وأصبح لزاماً على المسلمين ألّا يتقاعسوا عن تحمّل هذه المسؤولية الإعلامية، ووجب عليهم الاهتمام بالعمل الإعلامي وتعميمه وتربية أولادهم على هذا المنهج. وبذلك يصبح كلّ مسلم ملزماً بتقويم كلّ خطأ يقابله وتصحيح أيّ اعوجاج في بيته أو عمله أو دائرة نشاطه وتحرّكه، ففي ذلك صلاح وانتصار لأُمّة المسلمين عن سائر الأُمم».

خليل أحمد الحامدي

خليل أحمد الحامدي (سفير الإسلام المتجوّل): داعية ومفكّر إسلامي.

ولد في ٢٣ / ٦ / ١٩٢٩م بقرية «حامد» الواقعة في محافظة «فيروزبور» الهندية، وحفظ القرآن الكريم في طفولته، ثمّ التحق بالمدرسة الأعظمية في مدينة «كرنال»، وتخرّج فيها سنة ١٩٤٥م، وكان من مشايخه والده فتح محمّد، والمحدّث الشيخ أنور شاه كشميري.

توفّي والده وعمره ثماني سنوات، وكان التحاقه بالجماعة الإسلامية بالهند مبكّراً جدّاً، حيث كان طالباً لم يتجاوز الرابعة عشرة، ومع هذا كانت له إسهاماته في أنشطتها المختلفة من سنة ١٩٤٣م، ثمّ ازداد نشاطه وكثرت مشاركاته لاجتماعات الجماعة الإسلامية سنة ١٩٤٥م، وبعد أربع سنوات أصبح عضواً عاملاً في الجماعة، ولازم منذ ذلك الحين الشيخ أمين أحسن إصلاحي، أحد رموز الجماعة الإسلامية، ومن قبله الشيخ محمّد علي، أمير الجماعة الإسلامية بمدينة «فيروزبور»، وفي سنة ١٩٥٥م أُختير الحامدي مساعداً لمدير دار العروبة للدعوة الإسلامية، ثمّ صار مديراً لها بعد ثمانية أعوام.

وكان يخطب الجمعة بالمساجد، ومعظم خُطبه مقتبسة من كتاب المودودي «خطب الجمعة»، حيث كان يحفظ الكثير منها عن ظهر قلب في شبابه، كما أنّه عمل واعظاً بالسجن المركزي بمدينة لاهور لمدّة عام، وهدى الله على يديه كثيراً من السجناء، وكان يصلّي بهم صلاة الجماعة ومعهم مدير السجن الذي كان يحبّ تلاوة القرآن الكريم.

إنّ العلماء والمشايخ الذين أخذ منهم العلوم كثيرون، منهم: مولانا فتح محمّد، الشيخ أمين الدين، الشيخ مظهر الدين، الشيخ ظريف أحمد، الشيخ محمّد علي، الشيخ عبد العليم القاسمي، الشيخ عبد الحليم القاسمي، السيّد أبو الأعلى المودودي، الشيخ محمّد أمين المصري، الشيخ محمّد عاصم الحدّاد، وغيرهم.

سافر إلى أوروبّا وأمريكا وإيران والفلبّين وغيرها، كما زار الكويت أكثر من مرّة وحضر الندوة الأُسبوعية مساء الجمعة، وشارك في موضوعاتها، وألقى العديد من المحاضرات والكلمات في جمعية الإصلاح الاجتماعي والتجمّعات الإخوانية في الكويت.

وقد تحدّث عن ضرورة العمل على وحدة المسلمين، والبعد عن النزاع والشقاق ومواجهة أعداء الإسلام كأُمّة واحدة تحت راية واحدة، لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، ونبذ التعصّب المذهبي والطائفي، ووقف التسلّط الذي تمارسه بعض الحكومات على المسلمين والدعاة والحركات الإسلامية المعاصرة.

لقد كان الحامدي همزة الوصل بين الجماعة الإسلامية بباكستان والحركات الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية، وسافر إلى السعودية برفقة الإمام المودودي، وقابل الملك سعود سنة ١٩٦٠م بناءً على طلبه لتقديم مشروع الجماعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وقد رحب الملك بالمودودي ترحيباً كبيراً جدّاً، وكان مع المودودي بالإضافة للشيخ الحامدي السيّد غلام محمّد، فقدّم المودودي خطّته المقترحة للجامعة إلى الملك الذي شكّل لجنة لمناقشتها مؤلّفة من الإمام المودودي والشيخ محمّد بن إبراهيم والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وأبي الحسن الندوي، ومحمّد علي الحركان، فوافقوا على الخطّة بعد

إدخال تعديلات بسيطة عليها.

وفي سنة ١٩٦٢م سافر الحامدي مع المودودي للحجّ وكان مدعوّاً لمؤتمر إسلامي في موسم الحجّ لمواجهة فتنة الإلحاد والفساد في صورة الشيوعية والاشتراكية التي كان يتبنّاها بعض الحكّام العسكريّين العرب. وقد تمّ عقد هذا المؤتمر، وانبثق عنه تأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، وكان من أبرز مؤسّسيها: أبو الأعلى المودودي، أبو الحسن علي الندوي، محمّد أمين الحسيني، مكّي الكتّاني، عبد الله القلقيلي، عبد الرحمان الأرياني، البشير الإبراهيمي، حسنين مخلوف، علّال الفاسي، عبد الله كنّون، محمّد الطاهر ابن عاشور، محمّد ناصر، مفتي محمود، الشيخ إبراهيم السنغالي، محمّد فال الموريتاني، أبو بكر جومي، محمّد بن إبراهيم، عبد الله بن حميد، وغيرهم.

كما أنّ الحامدي كان المترجم لكلمات ومحاضرات ودروس وكتب الإمام المودودي مؤسّس الجماعة وأميرها الأوّل، وقد أسهم الحامدي في ترجمة مؤلّفات الإمام المودودي مقتفياً أثر الأخوين قبله: مسعود عالم الندوي، ومحمّد عاصم الحدّاد.

كما قام بترجمة الكثير من مؤلّفات الإمام الشهيد حسن البنّا والشهيد سيّد قطب والسيّدة زينب الغزالي وغيرهم، بالإضافة إلى بعض الكتب الأُخرى مثل: البوّابة السوداء، دور الدول الاشتراكية في بناء إسرائيل، الوابل الصيّب من الكلم الطيّب، معالم في الطريق، أيّام من حياتي... إلخ.

وقد تولّى الحامدي مهمّة الإشراف على معهد الإمام المودودي لطلبة البعوث الإسلامية بباكستان، والإشراف على دار العروبة للدعوة الإسلامية، والمجلس التعليمي الإسلامي، ومجمع المعارف الإسلامية.. كما كان عضواً في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

والأُستاذ خليل الحامدي متمكّن من اللغة العربية، يملك ناصية بيانها، متحدّثاً وكاتباً، كما أنّه صاحب قلم سلس، وأُسلوب مشرق الديباجة، وتعبير عذب أنيق كأنّه عربي الجذور.

وبالإضافة إلى الكمّ الكبير من الكتب التي ترجمها من العربية إلى الأوردية، ومن الأوردية إلى العربية، فإنّ له مؤلّفات كثيرة، منها: الإمام أبو الأعلى المودودي، الإسلام في مواجهة التحدّيات المعاصرة، برّ الأمان، حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر، ختم النبوّة في ضوء القرآن والسنّة، المبادئ الأساسية لفهم القرآن.

يقول الشيخ ميان طفيل محمّد أمير الجماعة الإسلامية خلفاً لأبي الأعلى المودودي: «إنّ الشيخ خليل أحمد الحامدي كان من الذين قام الإمام المودودي بتربيتهم بنفسه وجعلهم شخصيات لا تموت بسبب أعمالهم، وكان نموذجاً تركه المودودي بعد وفاته للناس.. كان مخلصاً ونشيطاً في أداء واجباته نحو الأُمّة الإسلامية، وكان يعمل كخلية النحل من الصباح إلى الليل، وإنّ وفاته خسارة للجماعة الإسلامية والمسلمين جميعاً».

ويقول الشيخ قاضي حسين أحمد الأمير الحالي للجماعة الإسلامية: «من أوصاف الشيخ الحامدي أنّه لا ييأس مهما كانت الظروف، وكان يرشد الشباب بأنّ المستقبل للإسلام.. وكان لجولاته في الدول العربية والإسلامية طيلة ثلاثين عاماً الأثر الكبير لمعرفة أحوال الشعوب الإسلامية والدعاة العاملين للإسلام».

ويقول الدكتور عبد الغفّار عزيز: «إنّ الشيخ خليل أحمد الحامدي كان اليد اليمنى للإمام الراحل السيّد أبي الأعلى المودودي، كما كان الحامدي درّة في تاج الحركات الإسلامية في العالم كلّه، وليس الجماعة الإسلامية بباكستان وحدها...».

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي: «... لقد كان الأخ الكريم العالم الجليل والداعية الصادق الشيخ خليل أحمد الحامدي عزيزاً على نفوسنا وحبيباً إلى قلوبنا، وكان خير سفير للجماعة الإسلامية في المجامع والمجتمعات العربية والإسلامية؛ لما يتحلّى به من علم نافع، وعقل ناضج، وخلق فاضل، وإخلاص نادر، وبصيرة نيّرة، ونشاط دائب، ومعرفة في الدعوة الإسلامية في العالم ورجالاتها، وإجادة اللغة العربية كأنّه أحد أبنائها الخُلّص...».

ولقد وافته المنية يوم ٢١ / ٥ / ١٤١٥ هـ الموافق ٢٥ / ١١ / ١٩٩٤ م، إثر حادث مروري بباكستان، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، حيث انتشر الخبر بسرعة مذهلة، ومن ثمّ

بدأت وفود التعزية ورسائل المواساة تتقاطر، وحضر الجنازة آلاف المشيّعين، ومنهم عدد كبير من رجالات الفكر وزعماء السياسة وممثّلي الحركات الإسلامية في العالم، كالدكتور الطيّب زين العابدين من السودان، والأُستاذ عنصر علي من بنجلاديش، وغيرهما كثيرون.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٣٨، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٨١٠).

خليل الكمرئي

الميرزا خليل الكمرئي: من دعاة الوحدة الإسلامية البارزين في إيران. كانت تربطه برجال التقريب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي علاقات المودّة والاحترام المتبادل، وأقام جسور التواصل لذلك مع بعض علماء السعودية والمسؤولين هناك، حتّى مع الملك فيصل، حيث كان يحاول أن ينقل أفكاره إلى هؤلاء ويصحّح نظرتهم بالنسبة إلى مذهب الشيعة.

شارك سنة ١٩٥١ م في المؤتمر الإسلامي العظيم الذي عقد في بيت المقدس، والذي كان افتتاحه بيد السلطان محمّد الخامس ملك المغرب آنذاك، وكان بصحبته في ذلك المؤتمر السيّد محمود الطالقاني. وبعد اختتام المؤتمر سافرا معاً إلى مصر ليلتقيا كلّاً من الميرزا محمّد تقي القمّي والشيخ محمود شلتوت في دار التبليغ في القاهرة. كما شارك الميرزا خليل في المؤتمر الذي عقد في الباكستان سنة ١٩٥٢ م، وشارك أيضاً في المؤتمر الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي سنة ١٣٨٤ هـ.

توفّي سنة ١٤٠٥ تاركاً بعض المؤلّفات، منها: صحيفة سخن زهراء (الصحيفة الفاطمية)، ملكة إسلام فاطمة زهرا أوّلين محكمة قضائي بعد أز بيغمبر (ملكة الإسلام فاطمة الزهراء أوّل محكمة قضائية بعد النبي)، دائرة المعارف علوي (دائرة المعارف العلوية)، عنصر شجاعة (عنصر الشجاعة)، يك شب وروز عاشورا (ليلة ويوم عاشوراء)، معجزة تاريخ إمام عظيم حسين بن علي عليه السلام وعنصر إمامت (معجزة التاريخ الإمام العظيم الحسين بن علي عليه السلام وعنصر الإمامة)، فتاوى صحابي كبير سلمان فارسي (فتاوى الصحابي الكبير سلمان الفارسي)، بيام إيران به نجد وحجاز ومصر (رسالة إيران إلى نجد

والحجاز ومصر). قبله إسلام كعبة يا مسجد الحرام (قبلة الإسلام الكعبة أو المسجد الحرام)، بيت المقدس وتحوّل قبلة (بيت المقدس وتحوّل القبلة)، آفاق كعبة (آفاق الكعبة)، كليد أمن جهان (مفتاح أمن العالم)، ندايي أز سرزمين بيت المقدس (نداء من أرض بيت المقدس)، أسرار حجّ (أسرار الحجّ)، بيام أمير المؤمنين به سلاطين أهل قبلة (رسالة أمير المؤمنين إلى سلاطين أهل القبلة)، رسالة مناسك ومسائل حجّ وعمره (رسالة مناسك الحجّ والعمرة)، أرض النبوّة جسر عظيم (بالعربية). وله أيضاً: شرح خطبة اللمّة، وتفسير سورة النور (وكلاهما بالعربية).

(انظر ترجمته في الذريعة ١٣: ٢٢٤ و٢٦: ٢١٩).

خير الدين التونسي

خير الدين باشا التونسي: المفكّر، والسياسي، والمصلح، ورجل الدولة.

ولد سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) في إحدى القرى الصغيرة بجبال القوقاز بقبيلة «أباظة» الشركسية، واختطفه تجّار الرقيق صغيراً، وجاءت به قافلتهم إلى الأستانة عاصمة السلطنة العثمانية، حيث بيع كما يباع الرقيق في سوق النخاسة! ثمّ تناقلته الأيدي بالبيع والشراء رقيقاً، إلى أن وصل إلى قصر حاكم تونس الباي أحمد باشا (١٢٥٢ ـ ١٢٧٢ هـ / ١٨٣٦ ـ ١٨٥٦ م)، فتعلّم هناك القراءة والكتابة، وفرائض الدين الإسلامي، وفنون العسكرية والسياسة والتاريخ، وأجاد اللغة الفرنسية، إلى جانب العربية والتركية، وتدرّج مترقّياً ـ وذلك لألمعيته ونجابته ومثابرته وذكائه ـ في المناصب حتّى أصبح «الوزير الأكبر» في البلاد!

وبفضل إصلاحاته في تونس أعلن دستور المملكة التونسية سنة ١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٧ م.. فلمّا أُبعد عن الوزارة سنة ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م ذهب إلى عاصمة السلطنة (الأستانة)، وتولّى الصدارة العظمى للسلطان عبد الحميد (١٢٥٨ ـ ١٣٣٦ هـ / ١٨٤٢ ـ ١٩١٨ م).. فلمّا أعياه الإصلاح استقال في العام التالي، وأصبح عضواً في مجلس الأعيان، حتّى وافته المنية هناك سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م.

وفي تونس وأثناء أزمة من أزماته مع الباي محمّد الصادق (١٢٧٥ ـ ١٢٩٩ هـ/ ١٨٥٩ ـ ١٨٨٢ م) اعتزل خير الدين جميع مناصبه الحكومية لعدّة سنوات (١٢٧٨ ـ ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٩ م)، واعتكف في بستان له، كما اعتزل ابن خلدون من قبل في إحدى قلاع تونس فكتب المقدّمة والتاريخ، اعتزل خير الدين واعتكف في بستانه، فكتب على غرار ابن خلدون كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» الذي طبع بتونس للمرّة الأُولى (١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٨ م)، والذي أودع مقدّمته خلاصة آرائه في التمدّن والإصلاح.

ولقد كان خير الدين بحكم عصره وموقعه بعد رفاعة الطهطاوي (١٢١٦ ـ ١٢٩٠ هـ ـ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م) أبرز من أطلّ على الحضارة الغربية، وجاء مشروعه للإصلاح في ضوء علاقة العالم الإسلامي يومئذٍ بها. فلقد كان تجاهل التأثير الأوربّي في ذلك التاريخ وتلك الملابسات ضرباً من المحال، ففرنسا كانت قد شرعت في احتلال الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠ م، وشرعت في مدّ نفوذها الاقتصادي إلى تونس بتقديم القروض، وأخذت تتدخّل في شؤونها المالية تمهيداً للسيطرة، فالاحتلال.

وكان الباي أحمد صاحب محاولات في الإصلاح، يترسّم فيها خطى محمّد علي باشا الكبير (١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ/ ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م) بمصر، فأنشأ في «باردوا» بفرنسا سنة ١٢٥٦ »هـ ـ ١٨٤٠ م «مكتب العلوم الحربية؛ ليتعلّم فيه الجنود التونسيّون علوم الهندسة والمساحة والحساب وغيرها، وعهد إلى خير الدين بالإشراف على هذا المكتب (المدرسة) الذي رأسه المستشرق الإيطالي «كاليفاريس»، وهناك عايش خير الدين الحضارة الأوروبّية ولمس تأثيراتها، ولقد اكتملت معرفته بها في سفارته للباي لدى عديد من ممالك أُوربّا، مثل فرنسا والسويد وبروسيا وبلجيكا والدانمارك وهولندا.

ولقد تبلورت دعوة خير الدين إلى إصلاح أحوال المسلمين في ضرورة الأخذ عن الحضارة الغربية التنظيمات والتجارب والتراتيب الإدارية، وضرورة التجديد والاجتهاد في الشريعة الإسلامية كي تواكب المصالح المتجدّدة للمسلمين، فتحدّث عن العلاقة بأوروبّا قائلاً: «إنّه لن يتهيّأ لنا أن نميّز ما يليق بنا إلّا بمعرفة أحوال من ليس من حزبنا!

فالدنيا بصورة بلدة متّحدة، تسكنها أُمم متعدّدة. حاجة بعضهم لبعض متأكّدة!».

أمّا هذا الرأي الذي رآه لائقاً بالمسلمين لينهضوا به من ثمرات الحضارة الغربية.. فإنّ في مقدّمته:

١ ـ التنظيمات السياسية: والتي هي في الحقيقة السبب في تقدّم الأوربيّين في المعارف، وهذه التنظيمات لا بدّ أن تكون مؤسّسة على العدل والحرّية. ولذلك أدان التونسي الاستبداد بالسلطة وحكم الفرد، ودعا إلى إحياء هيئة «أهل الحلّ والعقد» الإسلامية، وزكّى في مذكّراته تكوين المجالس النيابية بالانتخاب العامّ، وألحّ على ضرورة تقييد جهاز الدولة بالقوانين، سواء منها تلك التي تنظّم علاقة الرعية بالدولة، أو العلاقة بين المواطنين، وطالب بأن تكون مباشرة الحكم التنفيذي من اختصاص الوزراء لا الحاكم الأعلى، وأن يكون الوزراء مسؤولين أمام وكلاء الأُمّة ونوّابها المنتخبين، وقال: «إنّ أوروبّا إذا كانت قد صنعت وأقامت هذه التنظيمات السياسية انطلاقاً من القوانين العقلية الطبيعية غير الإلهية، فإنّ المسلمين أولى من الأوربيّين بذلك؛ لأنّ هذه التنظيمات ممّا يحقّق غاية الشريعة الإسلامية ومقاصدها».

٢ ـ الحرّية السياسية: والغاية من التنظيمات السياسية عند خير الدين التونسي هي تحقيق العمران للبلاد، وأساس هذا العمران هو العدل، أي: الحرّية السياسية للمواطنين. كما أنّ اتّساع نطاق المعارف في المجتمع إنّما يرجع كذلك إلى اتّساع نطاق الحرّية. وإذا كانت الحرّية الشخصية ضرورة ليتصرّف الإنسان في ذاته وكسبه وهو آمن على نفسه وعرضه وماله مطمئن إلى تساويه مع أبناء جنسه، فإنّ الحرّية السياسية أدخل في الضرورة واللزوم؛ لأنّها هي التي تحقّق اشتراك الرعية في توجيه سياسة الدولة كي تأتي على وفق المصلحة العامّة للمجموع. وتدخل في الحرّية السياسية حرّية نشر الأفكار التي يسمّيها التونسي: «حرّية المطبعة!»، حيث لا يمنع الإنسان من أن يكتب ويذيع ما يعتقده صواباً ومصلحة، أو يعرض ذلك على أجهزة الدولة ومجالسها حتّى ولو تضمّن ذلك الاعتراض على مناهجها.

٣ ـ الحرّية الاقتصادية: فلقد ارتبطت في فكر خير الدين الحرّية السياسية بالحرّية

الاقتصادية، كما ارتبط نمو المعارف بنمو الصنائع، الأمر الذي يثمر زيادة الأنشطة الحرّة في الميادين الاقتصادية، فالرخاء لا يتحقّق بالخصوبة وتوافر الإمكانات المادّية وحدها، وإنّما بالحرّية الاقتصادية التي تجعل أرباب النشاط الاقتصادي والاستثمار المالي آمنين على ثرواتهم وأموالهم.

٤ ـ التقدّم في المعارف والعلوم: فلقد أراد خير الدين التونسي لدعوة الحرّية التي بشّر بها أن تكون متكاملة، فأكّد على أنّ نمو المعارف والعلوم إنّما هو ثمرة طبيعية للحرّية السياسية التي تنمّي حرّية الفكر، وللحرّية الاقتصادية التي تفتق طاقات الإبداع بإبرازها الضرورات والاحتياجات، وأنّ جميع ألوان الحرّية هذه مؤسّسة على وجود التنظيمات..

وإذا كان هذا هو موقفه من الثمرات الحضارية لأوروبّا الناهضة، فلقد اختلف موقفه من «أوروبّا الاستعمار»، فكان داعية إلى اليقظة لأطماع الدول الأوربّية في أقاليم البلاد الإسلامية، وإلى الحذر من الشراك التي ينصبونها كي نقع فيها، فدعا إلى رفض الاقتراض من الأجانب، وإلى أن تتّجه الحكومة إلى الاقتراض الداخلي، حتّى ولو زاد سعر «الفائدة»؛ لأنّ المموّلين الوطنيّين لن يمثّلوا خطراً استعمارياً خارجياً، كما أنّ أرباحهم لن تغادر السوق الوطني الداخلي. ومن كلماته في هذا الموضوع: «إنّ من الأفضل أن ندفع غالياً ثمن اقتراض نقترضه في بلدنا ونحافظ بذلك على حرّيتنا، من أن نربح بعض الفوائد المادّية على حساب استقلالنا».

٥ ـ التصدّي للجمود: وكان طموح خير الدين التونسي أن ينهض فقهاء الإسلام بالاجتهاد والتجديد؛ حتّى تستطيع الشريعة الإسلامية أن تقدّم الحلول للمشكلات الجديدة، فلا يضطرّ المصلحون إلى الأخذ عن أوروبّا غير التنظيمات. كان يريد «المحتوى الإسلامي» لهذه الأوعية الأوربّية، ولذلك كان له جهاد على هذه الجبهة كبير..

لقد ساءه أن يكون على الأُمّة جهلاء بأمراضها وبأدوية هذه الأمراض، وأن يضيّق الكثيرون منهم نطاق السياسة الشرعية، فلا يرونها شرعية إلّا إذا كانت لها نصوص في الكتاب والسنّة، فكتب ليذكّرهم بمناهج العلماء السابقين الذين وسّعوا هذا النطاق لتصبح

السياسة الشرعية هي كلّ ما لا يخالف الكتاب والسنّة، وليس فقط ما له نصّ في الكتاب والسنّة.

لقد كانت عينه في النهضة الأوربّية على الأوعية والأدوات، وفي مقدّمتها التنظيمات السياسية، وعينه على التراث الإسلامي ليستجيب بالاجتهاد والتجديد إلى احتياجات العصر ومتطلّبات مشكلاته، فيقدّم المضامين والحلول التي تتّخذ من التنظيمات أدوات للحركة والنهضة والإحياء. وفي ذلك يقول: «إنّ الأُمّة الإسلامية تقتدر أن تكتسب بما بقي لها من تمدّنها الأصلي وبعاداتها التي لم تزل مأثورة عن أسلافها، ما يستقيم به حالها، ويتّسع به في التمدّن مجالها، ويكون سيرها في ذلك المجال أسرع من غيرها كائناً من كان، إذا أُزكيت حرّيتها الكامنة بتنظيمات مضبوطة تسهّل لها التدخّل في أُمور السياسة».

فالعناصر الأصلية في التمدّن الأصلي والحرّية الكامنة التي أقرّتها وقرّرتها الشريعة الإسلامية مع التنظيمات التي لا بدّ من أخذها عن أوروبّا كفيلة بجعل هذه الأُمّة تخطو على درب النهضة بأسرع ممّا صنع ويصنع الآخرون.

توفّي خير الدين سنة ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م.

(انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ١١٢ ـ ١٣٩، موسوعة السياسة ٢: ٦٣٧، الموسوعة العربية العالمية ١٠: ٢٠٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٣٤١ ـ ٣٤٤، نثر الجواهر والدرر ١: ٤١٧، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٦٣ ـ ١٧٠، موسوعة الأعلام ٢: ٤٥).

* * *

﴿حرف الراء﴾

راشد الغنّوشي

راشد الغنّوشي: سياسي، ومفكّر إسلامي تونسي، زعيم حركة النهضة التونسية، وعضو مكتب الإرشاد العالمي لجماعة الإخوان المسلمين.

ولد الشيخ راشد الغنّوشي عام ١٩٤١ م بقرية الحامة بالجنوب التونسي، وتلقّى تعليمه الابتدائي بالقرية، ثمّ انتقل إلى مدينة قابس، ثمّ إلى تونس العاصمة، حيث أتمّ تعليمه في جامع الزيتونة. انتقل بعد ذلك إلى مصر لمواصلة دراسته، خصوصاً وأنّه كان من المعجبين بتجربة عبد الناصر القومية، لكنّه لم يستقرّ بها طويلاً. وانتقل إلى دمشق في سوريا، حيث درس بالجامعة، وحصل على الإجازة في الفلسفة، وهناك بدأت تتبلور المعالم الأُولى لفكره الإسلامي.

انتقل الشيخ راشد الغنّوشي إلى فرنسا لمواصلة الدراسة بجامعة السوربون، وبموازة الدراسة بدأ نشاطه الإسلامي وسط الطلبة العرب والمسلمين، كما تعرّف على جماعة الدعوة والتبليغ، ونشط معها في أوساط العمّال المغاربة.

في نهاية الستّينات من القرن الماضي عاد الشيخ الغنّوشي إلى تونس، وبدأ نشاطه الدعوي وسط الطلّاب وتلاميذ المعاهد الثانوية الذين تشكّلت منهم حركة الاتّجاه الإسلامي المعروفة بالنهضة.

حوكم الشيخ الغنّوشي بسبب نشاطه الدعوي والسياسي عدّة مرّات، وكان أهمّها: محاكمته عام ١٩٨١ م، وقد حكم عليه بالسجن ١١ عاماً، ومحاكمته عام ١٩٨٧ م، وقد حكم عليه بالسجن مدى الحياة، ومحاكمته غيابياً عام ١٩٩١ م مرّة أُخرى بالسجن مدى الحياة، ومحاكمته غيابياً عام ١٩٩٨ م بنفس الحكم السابق. وفي المرّة الأُولى التي حوكم

فيها أُخلي سبيله عام ١٩٨٧ م مع وصول الرئيس زين العابدين بن علي لسدّة الحكم، وفي المرّة الثالثة فرّ إلى الجزائر ومنها إلى السودان ليبقى في ضيافة حسن الترابي. وهو الآن مقيم في منفاه بلندن، وقد أُعيد انتخابه عام ٢٠٠٧ م رئيساً لحركة النهضة.

من مؤلّفاته: طريقنا إلى الحضارة، نحن والغرب، حقّ الاختلاف وواجب وحدة الصفّ، القضية الفلسطينية في مفترق الطرق، المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، حقوق المواطنة في الدولة الإسلامية، الحرّيات العامّة في الدولة الإسلامية، القدر عند ابن تيمية، مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، من الفكر الإسلامي في تونس.

وقد ترجم بعض من كتبه إلى لغات أجنبية، كالإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والإسبانية، والفارسية.

وله العديد من المشاركات الصحفية، أهمّها في مجلّة «المعرفة» التونسية، ومجلّة «الجسور» و«المجتمع» الكويتية، وغيرها.

يعتبر الشيخ راشد الغنّوشي من مؤسّسي الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٩٧١ م، وأحد مؤسّسي المؤتمر القومي الإسلامي الذي يجمع بين التيّار القومي العربي والتيّار الإسلامي، وأحد مؤسّسي حلقة الأصالة والتقدّم التي تعنى بالحوار الإسلامي ـ المسيحي، والتي تضمّ عدداً من كبار المفكّرين الإسلاميّين والأوروبيّين والأميركيّين.

يتميّز الغنّوشي بقراءته التجديدية للإسلام السياسي، حيث ينادي بحقوق المواطنة، أي: تساوي جميع المواطنين في الحقوق والواجبات بغض النظر عن المذاهب والديانة.

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٥٤٣، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٩٩ ـ ٤٠٧).

رجب البنّا

رجب البنّا: كتاب صحفي مصري، وداعية وحدة.

من مواليد مدينة دمنهور مركز محافظة البحيرة بمصر، في ١٧ / سبتمبر / ١٩٣٦ م.

حصل على ليسانس آداب ـ قسم فلسفة وعلم الاجتماع في جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٠ م، وعلى دبلوم الدراسات العليا في الصحافة والإعلام من جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م (كلّية الإعلام فيما بعد) بترتيب الأوّل وتقدير ممتاز.

وهو صحفي بالأهرام، ومندوب في وزارة العدل ومجلس الدولة والنيابة الإدارية والنيابة العامّة وهيئة قضايا الدولة، ثمّ محرّر في دسك المحلّيات، ثمّ نائب رئيس التحقيقات، ثمّ رئيس قسم التحقيقات الصحفية.

عيّن مساعداً لرئيس تحرير «الأهرام» في عام ١٩٨٠ م، وعيّن نائباً لرئيس تحرير «الأهرام» عام ١٩٨٧ م، وعيّن مسؤولاً عن صفحات الرأي في «الأهرام»، ومحرّراً لباب (مع القانون) لمدّة ١٤ عاماً، من عام ١٩٨٠ م حتّى ١٩٩٤ م.

عيّن رئيساً لمجلس إدارة دار المعارف (أكبر دار نشر في مصر عمرها ١١٦ عاماً)، ورئيساً لتحرير مجلّة «أُكتوبر» التي تصدر عن دار المعارف من يناير ١٩٩٤ م حتّى يوليو ٢٠٠٥ م.

يعمل حالياً كاتباً صحفياً له مقال أُسبوعي في كلّ من جريدة «الأهرام» (الأحد) ومجلّة «أُكتوبر» (السبت)، بالإضافة إلى كتابة مقالات غير منتظمة في صحف ومجلّات مصرية وعربية.

وهو عضو المجلس الأعلى للصحافة، وعضو لجنة الشكاوى ولجنة شؤون الصحافة والصحفيّين ولجنة الشؤون المالية بالمجلس، وعضو المجالس القومية المتخصّصة، وعضو لجنة الإعلام ولجنة التعليم العالي بالمجلس، وعضو الجمعية المصرية للاقتصاد والعلوم السياسية، وعضو اتّحاد الكتّاب العرب.

انتدب للتدريس بقسم الصحافة بكلّية الإعلام بجامعة القاهرة عدّة سنوات. كما أنّه عضو مجلس إدارة مركز تطوير التعليم قبل الجامعي، وعضو المجلس الأعلى للأُدباء والمعلّمين بوزارة التعليم.

من مؤلّفاته: البحث عن المستقبل، تاريخ ليس للبيع، الأُمّية الدينية والحرب ضدّ

الإسلام، ابتسامة صغيرة (مجموعة قصص)، الغرب والإسلام، معجزات الخلق والخالق، المصريّون في المرآة، الأقباط في مصر والمهجر، رحلة إلى الصين، صناعة العداء للإسلام، أمريكا: رؤية من الداخل، هيكل بين الصحافة والسياسة، الشيعة والسنّة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ، المنصفون للإسلام في الغرب.

يقول: «الاستعمار هو الاستعمار في كلّ زمان وفي كلّ مكان يسعى إلى تطبيق مبدأ (فرّق تسد).

وقد حاول الاستعمار البريطاني أن يطبّق هذا المبدأ في مصر بإثارة الفتنة بين المسلمين والأقباط وفشل.. ومازال يحاول ويفشل؛ لأنّ وحدة شعب مصر أقوى من المؤامرة.

وحاول في العراق إثارة الفتنة بين الشيعة والسنّة وفشل، ومازال يحاول ويفشل؛ لأنّ شعب العراق الحرّ يرفض الاحتلال، كما يرفض الانشغال بالخلافات الطائفية، ويترك الاحتلال ليوطّد قواعده ويستقرّ آمناً لعشرات السنين، ويتساقط العراقيّون ضحايا في الحرب الأهلية.

والاحتلال الأجنبي لم يفهم ـ ولن يفهم ـ أنّ الاختلافات بين المذاهب موجودة منذ مئات السنين بين طوائف السنّة وبين طوائف الشيعة، وهذه الاختلافات تدور داخل اتّفاق يجمع المسلمين جميعاً على أركان ومبادئ لا يختلف أحد عليها، فالإسلام مظلّة تنطوي تحتها الفرق والمذاهب الإسلامية.

وبعض الكتّاب مع الأسف يستغلّون جهل كثير من المسلمين بحقيقة الاختلاف والاتّفاق بين السنّة والشيعة، فيعملون على زيادة الفجوة بين الطائفتين، ويردّدون أفكار وكتابات غلاة الشيعة من جانب والمتشدّدين القدامى والمحدثين على الجانب الآخر لغرس بذور الفتنة.. وعلى امتداد التاريخ هناك كتابات مدسوسة، وكتابات مسمومة، وكتابات نابعة من سوء الفهم أو سوء القصد أو المصالح الشخصية أو الدوافع السياسية.

وكان من حسن حظّي أن تعرّفت في السبعينات على واحد من أئمّة الشيعة هو الإمام

محمّد القمّي، وهو إيراني يجيد اللغة العربية وعاش في مصر سنوات طويلة، وكان المؤسّس لجماعة التقريب بين المذاهب، ومقرّها في الزمالك في القاهرة، وعندما استقرّ في إيران كان يزور القاهرة كلّ سنة لقضاء عدّة أسابيع، يلتقي فيها بشيخ الأزهر ووزير الأوقاف، ويدلي بأحاديث صحفية عن ضرورة تقريب الفجوة المصطنعة بين السنّة والشيعة. ولأنّي كنت قريباً من وزير الأوقاف في ذلك الوقت الدكتور عبد العزيز كامل (يرحمه الله)، وكان أُستاذاً كبيراً ومفكّراً عظيماً ووطنياً مخلصاً شديد الإخلاص لدينه ووطنه، فقد عرّفني على الإمام القمّي، وأجريت معه عدّة أحاديث صحفية للأهرام، كما حضرت لقاءاته مع شيوخ الأزهر ووزراء الأوقاف المتعاقبين بعد ذلك، وكان من بينهم الإمام الشيخ متولّي الشعراوي حين كان وزيراً للأوقاف والشيخ عبد العزيز عيسى حين كان أيضاً وزيراً للأوقاف، وكان لجماعة التقريب بين المذاهب نشاط ملحوظ في مصر وإيران، وقد أسّس الإمام القمّي فرعاً لها في طهران جذب عدداً من القيادات الدينية الشيعية هناك.

كان الإمام القمّي يؤمن بدعوته وبأنّه يقوم بمهمّة مقدّسة تلبية لدعوة ذوو النفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصّة، هؤلاء وأُولئك ممّن يؤجّرون أقلامهم لسياسات تدعو إلى التفرقة بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، وتحارب كلّ حركة إصلاحية، وتقف ضدّ كلّ عمل يجمع شمل المسلمين ويوحّد كلمتهم!

ويقول الشيخ شتلوت: «إنّ دار التقريب ظلّت تصدر بانتظام مجلّة باسم «رسالة الإسلام» تنشر أبحاثاً لأئمّة السنّة والشيعة حول أوجه الاتّفاق في الأُصول والخلاف في الفروع».

وأخيراً يقول الشيخ شلتوت: «أصبحت فكرة التقريب نقطة تحوّل في تاريخ الفكر الإصلاحي الإسلامي القديم والحديث، ويحقّ للمسلمين أن يفخروا بأنّهم كانوا أسبق من غيرهم تفكيراً وعملاً في تقريب مذاهبهم وجمع كلمتهم، وقد نجحوا في ذلك بفضل إخلاص القائمين على أمر هذه الدعوة وسلامة تفكير المسلمين: ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا

إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ (سورة يوسف: ١٠٨)، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠).

نستخلص من ذلك أنّ السنّة والشيعة يجمعها الإسلام، وما يجمعه الله لا يفرّقه إنسان.. والخلافات بين المذاهب ترجع إلى طبيعة التفكير الإنساني، وليس مرجعها الدين الإسلامي ذاته.. ولذلك فهي خلافات في التفسير، وليست خلافات حول النصّ المقدّس في القرآن، أو حول أركان الإسلام، أو حول الإيمان بالله وبالرسول.

ولكنّ المشكلة أنّ هناك متشدّدين من أهل السنّة، وهناك غلاة بين الشيعة، هم السبب في اشتداد الخلاف، وتبادل الاتّهامات بالحقّ وبالباطل. وقد عمل كلّ جانب من المتشدّدين والمتزمتين على تشويه الجانب الآخر وإلصاق التهم به واختلاق الأكاذيب والأساطير حوله.

هناك اختلافات.. نعم، ولكن هل في الجانبين من ينكر مَن هو معلوم من الدين بالضرورة؟.. لا، إذاً فهل يرضى الله أن يكون المسلمون متفرّقين؟! هذا هو السؤال.

وجيش الاحتلال الأميركي في العراق يتمنّى أن تكون الإجابة (نعم)؛ لكي يستقرّ له المقام في العراق لسنوات وسنوات، وتمضي إسرائيل في مخطّطها، وينتقل الجيش الأمريكي إلى المحطّة التالية بعد العراق وهو آمن. وجيوش الغزو جاهزة ومستعدّة.. ورئيس الحرب جاهز ومصمّم ومزهو بقوّة الجيوش والسلاح.. والثغرة في صفوف المسلمين تسهّل له المهمّة.

ورحم الله الإمام العظيم الشيخ شلتوت والأئمّة العظام الذين أفسدوا المؤامرة في وقتهم.. أمّا نحن فإنّ واجبنا الآن أن نفسد المؤامرة في هذا الوقت.

والموضوع يحتاج إلى بحث وتفكير؛ لأنّه يتعلّق بالمستقبل.. مستقبل الأوطان الإسلامية، ومستقبل الإسلام ذاته!».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣١٨ـ٣١٩).

رضا الصدر

رضا بن صدر الدين بن إسماعيل الموسوي الصدر: عالم إمامي معروف، وداعية وحدة.

وهو مفسّر بارع، وفقيه ذو منزلة عالية، وحكيم ومتكلّم قلّ نظيره. وهو من عـائلة علمية عريقة ورثت العلم خلفاً عن سلف، وقد اشتهر بالعلم والتقوى والفقاهة.

ولد في مدينة مشهد المقدّسة في شهر رمضان سنة ١٣٠٠ هـ، ودرس المقدّمات في حوزتها، وبعد أن أنهى دراسة المقدّمات هاجر إلى مدينة قم المقدّسة برفقة والده آيـة الله العظمى السيّد صدر الدين الصدر، والذي يعتبر من المراجع الكبار في ذلك الوقت.

لقد درس دروس السطح والخارج في الفقه والأُصول والفلسفة والعرفان على يد كبار أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة؛ من أمـثال: والده، والسـيّد مـحمّد حـجّت الكوهكمري، والسيّد الإمام الخميني، والسيّد حسين الطباطبائي البـروجردي، والسـيّد محمّد تقي الخوانساري.

وفي خلال مدّة قصيرة عدّ من البارزين في الحـوزة العـلمية؛ وذلك بسـبب جـهوده الكبيرة، ونبوغه البارع، ولاتّصافه بصفات خاصّة عدّ من الشخصيّات العلمية المشار إليها بالبنان.

وإنّ هذا العالم الجليل الذي حصل على أعلى المراتب العلمية في الاجتهاد كان فـي نفس الوقت في مستوى المرجعية، ومدرّساً للعلوم الحوزوية، وكاتباً مؤثّراً في النـفوس، وصاحب بيان جميل.

ولباعه الطويل في جميع ميادين العلوم استطاع أن يترك خلفه ثروة علمية كبيرة، من جملتها: الآثار التي تركها في حقل العلوم القرآنية وغيرها، والتي تشـمل: تـفسير سـورة الحجرات، تفسير سورة يوسف «حسن يوسف»، محمّد صلى الله عليه وآله في القرآن، المسيح عليه السلام فـي القرآن، راه قرآن (طريق القرآن)، راه علي (طريق علي)، قرآن شناسي (معرفة القـرآن)، فلسفة آزاد (فلسفة الحرّية)، راه محمّد (طريق محمّد)، يوم الإنسانية يوم الغدير الأغـرّ، إرث الزوجة عند الإمامية، الاجتهاد والتقليد، الفلسفة العليا، رسالة في العدالة.

وأخيراً كان في صدد تأليف كتاب «الكليم في القرآن»، وقد حرّر بـعض صـفحاته، ولكنّ الأجل حال بينه وبين إتمامه.

إنّ اجتماع إتقان الموضوعات والمطالب، ومراعاة الأمانة في نقلها، مع تقوى الكاتب، بالإضافة للتفكير العميق والبحث الدقيق، قادر على أن يروي عطش طلّاب الحقيقة من معين المعرفة الصافي. ونحن نرى بوضوح هذه الميزات في الآثار العلمية القيّمة التي خلّفها المرحوم آية الله الصدر.

توفّي السيّد الصدر سنة ١٣٧٣ هـ، ودفن في صحن حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بمدينة قم المقدّسة.

روح الله الخميني

السيّد روح الله بن مصطفىٰ بن أحمد الموسوي الخميني: مفجّر الثورة الإسلامية في إيران، ومن أبرز رجال العلم والفكر والسياسة في العصر الحديث.

ولد الإمام الخميني عام ١٣٢١ هـ(١٩٠٠ م) في عائلة علمية نضالية، وصادف يوم مولده يوم ذكرى ميلاد سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان والده المغفور له الشهيد آية الله السيّد مصطفىٰ الموسوي قد أنهى دراسته الدينية في مدينتي النجف وسامرّاء بالعراق، ورجع إلى بلدته «خمين» في إيران ـ وهي مسقط رأس الإمام الخميني ـ فتولّى هناك القيادة الدينية، إلى أن استشهد في السابعة والأربعين من عمره بعدّة رصاصات غادرة، وذلك عقب اشتباك مسلّح مع الجناة، غير أنّه قد بقي ذكره عامراً بثلاثة أبناء وثلاث بنات خلفاً بعده.

يتمتّع الإمام الخميني بذكاء وكفاءات كبيرة، حيث إنّه بدأ الدراسة منذ السنوات الأُولى من طفولته، وكان الميرزا محمود هو أوّل من قام بتعليمه القراءة والكتابة في دار سماحته، ثمّ واصل دراسته عند أُستاذ آخر يدعى (ملّا قاسم)، كما تتلمذ بعد ذلك عند الشيخ جعفر والأُستاذ حمزة محلّاتي الذي تعلّم الخطّ عنده وتدرّب على أنواعه، بل إنّ سماحته فيما يذكر قد أنهى دراساته الفارسية قبل أن يكمل سنّ الخامسة عشرة.

ثمّ بعد ذلك شرع في تلقّي العلوم الإسلامية. إذ درس في البدء عند أخيه الأكبر آية الله «بسنديده»، حيث تعلّم لديه الصرف والنحو وأنهى المقدّمات، وتوجّه بعد ذلك إلى مدينة

«آراك» للدراسة على أساتذتها الأجلّاء، «آراك» التي كانت فيها يومذاك حوزة علمية متألّقة جدّاً بزعامة آية الله الحاجّ الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، والتي كانت تحتضن مجموعة من الأساتذة الكبار.

وحينما نقل آية الله الحائري اليزدي الحوزة العلمية من هذه المدينة إلى مدينة قم المقدّسة غادر الإمام الخميني بدوره مدينة «آراك» متوجّهاً إلى قم المعصومة، وأقام في مدرستها (الفيضية) الدينية.

واستطاع بيُسر أن يواصل دراساته الفقهية والعلمية حتّى بلغ المستويات العالية. وأن يشترك في المحاضرات العلمية التي كان يلقيها آية الله الحائري، كما استطاع أن يُنمّي بجدّ قدراته الفقهية والعلمية لينال درجة الاجتهاد، الأمر الذي ـ وبعد وفاة آية الله الحائري ـ مكّن الإمام الخميني لأن يعدّ في زمرة المجتهدين والعبقريات العلمية المعاصرة له. فهو بالإضافة إلى ما يمتاز به من مستوى فقهي رفيع، فإنّ له إلماماً وخبرة تامّة بعلوم العرفان والحكمة والفلسفة والفلك وغيرها.

وفي الوقت الذي كان يقوم فيه بالدرس والبحث والتفقّه في العلوم الإسلامية، في الوقت نفسه ومنذ أوائل شبابه كان يسعى إلى تهذيب النفس، باحثاً عن المثل الكريمة والفضائل النبيلة والأخلاق السامية. حتّى إنّه كان منذ باكورة شبابه يقف في صفوف التقاة والصالحين، ويحظىٰ بسمعة ومكانة مرموقة بين شخصياتهم الحوزوية وبقية رجالات المجتمع في مدينة قم.

نعم. كان الإمام الخميني يهتمّ وبشكل مدروس منذ سنوات شبابه بأداء الواجبات الدينية والتمسّك بالتعاليم والأحكام الإسلامية، حيث عُرِف عن سماحته أنّه كان كثيراً ما يبقىٰ ساهراً حتّى منتصف الليل من أجل القيام بعبادة الله تعالى.

إنّه كان يفرض على كلّ تصرّفاته وأعماله وحركاته انضباطاً خاصّاً، ولعلّه قليلاً ما يوجد شخص يستطيع مثل الإمام الخميني أن يؤطّر كلّ شؤون حياته من عبادية واجتماعية وسياسية بإطار نظام ملتزم وأُسلوب خاصّ، طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار ثقل البيئة التي

تربّىٰ وتعلّم فيها الإمام الخميني ﷺ، فسماحته قد ولد في عائلة علمية، وكلّ واحد من أبويه تربّى وترعرع في عائلة علمية، وعليه فقد تمكّن بما يتحلّىٰ به من ذكاء وفطنة أن يستفيد استفادة حسنة من بيئته العائلية النقية ومن علوم أساتذته الإسلامية.

ورحلته الجهادية والسياسية معروفة للجميع..

في سنة ١٩٦٢ م انتقل السيّد الخميني من نضاله السرّي إلى جهاده العلني، فوقف ضدّ «لائحة مجالس الأقاليم والمدن» التي شطبت شرط الإسلام للترشيح، وألغت القَسَم الدستورية بالقرآن، ونتيجة لتحرّكه اضطرّ الشاه لإلغاء هذه اللائحة، فسجّل السيّد الخميني انتصاره السياسي الأوّل على نظام الشاه الذي كان يسعى لإسقاطه، إلّا أنّ نظام الشاه قام في ٢١ / ٣ / ١٩٦٣ م بمهاجمة المدرسة الفيضية في مدينة قم، فما كان من السيّد الخميني إلّا أن تصدّى لتلك «الفاجعة»، فألقى في ٣ / ٦ / ١٩٦٣ م خطاباً سياسياً غاضباً، فضح فيه العلاقات السرّية القائمة بين نظام الشاه و«إسرائيل»، وندّد بمصالحهم المشتركة المعادية للعرب وللمسلمين كافّة، لكن سلطات النظام أقدمت مساء ٤ / ٦ / ١٩٦٣ م على تطويق منزله واعتقاله ونقله إلى السجن في طهران، فكانت ردود الفعل الجماهيرية سريعة جدّاً صباح ٥ / ٦ / ١٩٦٣ م، إذ سارعت إلى التظاهر والتحشّد في الشوارع دفاعاً عن السيّد الذي صار إماماً، أي: قائداً.

وكان أبرز التظاهرات الشعبية تظاهرة قم المقدّسة، حيث سقط عدد من المتظاهرين بين شهيد وجريح.

على الأثر أعلن النظام الأحكام العرفية في طهران، وتصاعدت وتيرة القمع للحركات الجماهيرية المعارضة، حيث سقط الأُلوف من القتلى والجرحى (مذابح الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٣ التي أخرجت الرأي العامّ العالمي من سباته حول ما يجري في إيران).

تحت الضغط الشعبي ووقوف المراجع الدينية إلى جانب الإمام الخميني اضطرّ النظام لإطلاقه بعد عشرة أشهر من اعتقاله.

بعد ذلك صادقت الحكومة الإيرانية على « لائحة الحصانة القضائية » الممنوحة للمستشارين السياسيّين والعسكريّين الأميركيّين، ممّا أثار الإمام الخميني بشدّة، وجعله يصف ما يحدث بأنّه « خيانة »، فأخذ يعبّئ الجمهور المليوني، ويعدّ العدّة لإلقاء خطاب سياسي وشيك.

في تاريخ ٣ / ١١ / ١٩٦٤ م قامت قوّات النظام بمحاصرة منزل الإمام الخميني واعتقلته، ثمّ اقتادته مباشرة إلى مطار مهر آباد (طهران)، حيث جرى نفيه إلى أنقرة، ومنها إلى مدينة بروساي (تركيا)، وهناك تعاونت الأجهزة الأمنية التركية والإيرانية لمنع الإمام الخميني من القيام بأيّ نشاط سياسي.

أقام الإمام الخميني في تركيا أحد عشر شهراً فيما كان نظام الشاه يقضي على « بقايا المقاومة » في إيران. هناك في منفاه التركي وضع الإمام الخميني كتاب: « تحرير الوسيلة »، حيث تناول للمرّة الأُولى مسائل الأحكام المتعلّقة بالجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء القضايا المعاصرة وبشكل فتاوى مرجعية.

في ٥ / ١٠ / ١٩٦٥ م نُقل الإمام مع ولده السيّد مصطفى من منفاه التركي إلى منفاه العراقي، حيث أقام في مدينة النجف الأشرف.

في حوزة النجف انكبّ الإمام على الخميني على التدريس الفقهي لمرحلة التخرّج (البحث الخارج)، وتناول الأُسس الفلسفية لنظام « الحكومة الإسلامية » المشهورة بمحاضراته عن « ولاية الفقيه »، وفي الوقت نفسه كان يتابع أحداث إيران والعالم الإسلامي، ويقيم قنوات اتّصال مع الداخل الإيراني، وأفتى بضرورة « تقديم الدعم العسكري والاقتصادي لثورة الشعب الفلسطيني والبلدان التي تتعرّض للاعتداءات الصهيونية » واعتبار ذلك واجباً شرعياً.

في تاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٧ م جرى اغتيال الابن البكر للإمام السيّد مصطفى الخميني، فأُقيمت له مراسم العزاء في إيران، وشكّلت « نقطة الانطلاق لانتفاضة الحوزات الدينية ثانية ».

وفي تاريخ ٩ /١ / ١٩٧٨ م اندلعت انتفاضة إيرانية ردّاً على موقف النظام من الإمام وفكره، فقُتل في مدينة قم بعض طلّاب العلوم الدينية الثائرين، ومن هناك انتشرت الانتفاضات في مختلف أنحاء إيران، ولذكراهم أُقيمت مجالس العزاء، فزادت من تعبئة الجماهير.

وهكذا أخذت دورات العنف الرسمي تؤجّج دورات التمرّد الشعبي على النظام، وكان الإمام يعتبر ما يحدث: «من الألطاف الإلهية الخفيّة».

انتشرت الانتفاضات الشعبية في مدن تبريز ويزد وجهرم وشيراز وإصفهان وطهران إلخ.. ومعها انتشرت نداءات الإمام وخطبه المسجّلة على أشرطة.

في المقابل أعلن نظام الشاه الأحكام العرفية في إحدى عشرة مدينة، وبدّل رئيس الحكومة ؛ للحؤول دون انتشار الانتفاضة وتحوّلها إلى ثورة.

في تاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٧٨ م أقدم نظام بغداد على محاصرة منزل الإمام الخميني في النجف، وجرى إبلاغه بضرورة وقف نشاطه السياسي ضدّ النظام الإيراني، وإلّا تعرّض للنفي.

وحين أصرّ الإمام على مواصلة نضاله جرى نفيه إلى الكويت في ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٨م، غير أنّ الحكومة الكويتية منعته من دخول أراضيها، فقرّر الهجرة إلى باريس مع ابنه السيّد أحمد الخميني.

في تاريخ ٦ / ١٠ / ١٩٧٨ م وصل الإمام إلى باريس، وأقام لدىٰ أحد المهاجرين الإيرانيّين في «نيفل لشاتو» من ضواحي باريس. هناك أقام الإمام الخميني أربعة أشهر، وجعل من مقامه مركزاً للإعلام العالمي نظراً لما كان يحدث في إيران.

من منفاه أعلن الإمام «تشكيل مجلس قيادة الثورة».

في ١٦ /١/ ١٩٧٩ م غادر الشاه البلاد بداعي العلاج، ممّا أعطى إشارة البدء بإسقاط النظام.

وفي ١ / ٢ / ١٩٧٩ م عاد الإمام منتصراً إلى طهران.

في طهران أعلن الإمام الخميني تعيين رئيس حكومة مؤقّتة لإجراء استفتاء عامّ وانتخابات برلمانية عامّة.

وفي ١١ / ٢ / ١٩٧٩ م سقطت المؤسّسات العسكرية والسياسية الموالية للنظام الإمبراطوري السابق.

وافق الشعب الإيراني رسمياً على قيام الجمهورية الإسلامية بنسبة ٩٨٫٢٪، ثمّ تلا الاستفتاء على النظام إجراء انتخابات نيابية (مجلس الشورى الإسلامي) وفقاً للدستور الجمهوري المصادق عليه.

شهدت إيران موجة اغتيالات أصابت «مجلس قيادة الثورة: العلّامة مرتضى مطهّري، والفريق قرني (رئيس هيئة الأركان)، والدكتور محمّد مفتّح، والحاجّ مهدي عراقي، وآية الله القاضي الطباطبائي.

إثر ذلك جرى اقتحام السفارة الأمريكية في طهران، وإغلاق سفارة «إسرائيل»، واستبدالها بسفارة فلسطين.

وفي المقابل فرضت واشنطن الحصار على النظام الجديد اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، ومصادرة الأموال الإيرانية في الخارج، وعملية صحراء طبس، وصولاً إلى الحرب.

في ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠ م قام الجيش العراقي بهجوم واسع على امتداد ١٢٨٠ كم من الحدود العراقية ـ الإيرانية، وجرى قصف مطار طهران وعدّة مدن أُخرى.

أصدر الإمام الخميني أمر المقاومة، واعتبر أميركا المسبّب الأساس لهذه الحرب والمحرّك للرئيس العراقي صدّام حسين والداعم له.

في ٢٠ / ٧ / ١٩٨٨ م قبل الإمام الخميني قرار مجلس الأمن (رقم ٥٩٨) القاضي بوقف الحرب العراقية ـ الإيرانية.

وفي ٣ / ١٠ / ١٩٨٨ م استتبّ السلام نسبياً بين البلدين.

وفي ١ / ١ / ١٩٨٩ م بعث الإمام برسالة إلى غورباتشوف، طالباً منه «أن يؤمن بالله

وبالدين، بدلاً من عقد الآمال على التوجّهات المادّية للغرب».

في ١٤/٢/١٩٨٩م أفتى الإمام الخميني بارتداد الكاتب البريطاني المسلم (سلمان رشدي) صاحب «الآيات الشيطانية»، وحكم عليه بالموت وعلى ناشري الكتاب كذلك.

إلى ذلك تميّزت مرحلة الإمام الخميني كمرشد للثورة وللجمهورية الإيرانية بظهور المؤسّسات «الثورية» والمراكز الحيوية:

- جهاد البناء.
- لجنة الإمام الخميني للإغاثة.
- مؤسّسة ١٥ خرداد (حزيران).
- مؤسّسة الإسكان.
- مؤسّسة شهداء الثورة الإسلامية.
- مؤسّسة المستضعفين.
- نهضة محو الأُميّة.
- لجان الثورة الإسلامية.
- قوّات حرس الثورة الإسلامية.
- إعادة تنظيم الجيش بقيادته.
- تحوّلات الحوزات الدينية.
- إعادة النظر في مناهج المدارس والجامعات... إلخ.

في عهده، وعلى مدى عشر سنوات، تعاقب على رئاسة الجمهورية: الدكتور أبو الحسن بني صدر (١٩٨٠م - ١٩٨١م)، والسيّد علي خامنئي.

ختم حياته السياسية بـ«الوصية السياسية الإلهية»، وأُقيم له مقام ضخم قرب طهران، صار من المزارات المعتمدة رسمياً.

إنّ بيانات وخطابات الإمام الخميني خلال السنوات الأخيرة من عمره تختلف عمّا كانت عليه في السابق، الأمر الذي يعبّر عن سعة أُفقه وعمق إحساسه بالمسؤولية عن الفترة

التي ستلي فترة وجوده، فخلافاً لبياناته وأحاديثه في المراحل السابقة ـ والتي كانت تركّز أساساً على توجيه الجماهير والمسؤولين فيما يتعلّق بالأحداث الجارية والمواقف المناسبة أمام الابتلاءات التي تتعرّض لها البلاد والعالم الإسلامي ـ فإنّ بياناته في السنوات الأخيرة من عمره كانت عبارة عن تلخيص وجمع للأحداث السابقة والحالية، وترسيم أبعاد المستقبل، وبيان تكاليف عموم المسلمين في قبال المسؤوليّات المستقبلية وبنحوٍ أشدٌ وضوحاً من السابق.

وبعبارة أُخرى: فإنّ الإمام الخميني كان يشعر بقرب رحيله، فإنّه سعى في السنوات الأخيرة من عمره الشريف إلى التذكير بمجموعة القيم والأهداف التي شكّلت الأساس لانطلاق الثورة، وترسيم وتوضيح الأولويّات للنظام الجمهوري الإسلامي والثورة الإسلامية العالمية على أساس هذه القيم والأهداف.

لقد سعى الإمام الخميني من خلال هذه البيانات ـ وبطرح تقييمه عن مجمل العناصر الموجودة في المجتمع الإيراني والعالم الإسلامي وكذلك تحليلاته عن الأنظمة الحاكمة للعالم المعاصر ـ لتوضيح الطريق أمام انتخاب واختيار اللاحقين، وتبيين تكليف كلّ شريحة إزاء الظروف المستقبلية وفي حال عدم وجوده.

وقبل عدّة سنوات من رحيله وبتاريخ ١٥/ شباط /١٩٨٣م كتب الإمام الخميني وصيّته السياسية الإلهية مستنداً إلى هذا المبنى ومعتمداً على هذا الدافع، وهذه الوصية التي طبعت ونشرت إلى الآن بمختلف اللغات تعدُّ بمثابة بيان الإمام الخالد المتضمّن أُصول فكره وأهدافه وإرشاداته الخالدة لأنصاره ومحبّيه، وكتابة وصيته على هذا المستوى وبهذه الأبعاد عملٌ لم يسبق له مثيل بين فقهاء الشيعة ومراجع التقليد، ودليل على عمق اطّلاع الإمام على الحاجات الحالية والآتية للمجتمعات الإسلامية وعلى شدّة احساسه بالمسؤولية في هذا الإطار.

إنّ بيانات الإمام الخميني الأخيرة هي في الحقيقة شرح وتفسير منه للقيم التي دافع عنها في وصيّته والأُمور السياسية التي طرحها فيها.

من جملة الخصائص التي تميّزت بها بيانات الإمام في أواخر عمره: تأكيده على ضرورة التفات المسلمين إلى نوعين متضاربين من الفكر الديني والإسلامي، فهو ـ واستناداً للشواهد التاريخيّة العديدة ـ يعتقد بأنّ الإسلام وسائر الأديان الإلهية ومنذ سحيق الزمان وحتّى اليوم عرضت بصورتين متضادّتين تماماً، فمن جانبٍ كان الدين والإسلام المحرّف الذي استغلّه الظالمون والمستعمرون والذي ابتدعه المتحجّرون والقشريّون من رجال الدين الكاذبين، ومن جانب آخر كان الدين والإسلام الحقيقي الذي حفظ وانتشل من أحضان الخرافات والشعبذات بدماء المجاهدين والمساعي الحثيثة لعلماء الدين الملتزمين طوال التاريخ، وبذا فإنّ أحد أسرار موفّقية الإمام الخميني في قدرته على تحريك الأُمّة الإسلامية إنّما يتمثّل في قدرته على بيان هذا التضادّ المستمرّ بين هذيين النوعين وخصائص كلّ واحدٍ منهما.

والإمام الخميني يعتقد بأنّ عدم الالتفات والاطّلاع على هذه الحقيقة التاريخية هو الذي أدّى إلى نزول الاستعمار واستقراره في البلدان الإسلامية وابتعاد المسلمين عن عصور التحضّر والثقافة اللامعة التي كانوا عليها، وبالنتيجة إلى ظهور هذه الوضعية الحالية، حيث نرى ـ وللأسف ـ أنّ الحكومات الإسلامية التي رفع أسلافها شعار: «الإسلام يعلو، ولا يُعلى عليه»، ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (سورة النساء: ١٤١)، تستجدي من أجل مواصلة حياتها والحفاظ على حدودها أعداء الإسلام من الكفّار والمشركين.

وقد عبّر سماحته عن تيّاري الفكر الديني والإسلامي المتضادّين بعبارتي «الإسلام الأصيل» و«الإسلام الأمريكي»، فهو يرى بأنّ الإسلام الذي تُهمل أحكامه القرآنية المسلّمة وسنّة نبيّه الأكرمﷺ فيما يتعلّق بالمسؤوليات الاجتماعية، الإسلام الذي تترك منه أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدالة الإسلامية والأحكام المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الإسلامي، الإسلام الذي يبعد المسلمين عن المشاركة في السياسة وفي تقرير مصيرهم ويرى أنّ الدين يتلخّص في

مجموعة من الأذكار والعبادات الفردية الخالية من الفلسفة والروح الحقيقية، هو إسلام من صنع وإبداع أمريكا ومن يدور في فلكها.

سماحة الإمام يستند في تحليله هذا على ظواهر تاريخية وشواهد دامغة مستلهمة من الوضع الذي كانت عليه البلدان الإسلامية، فهو يعتقد بأنّ الاستعمار الحديث هو نتاج لمساعي المستعمرين السابقين، فأُولئك سعوا لتغيير دين الجماهير المسلمة عن طريق المبشّرين المسيحيّين، ولمّا فشلوا في ذلك حوّلوا مساعيهم منذ ذلك الزمان وحتّى الآن لتنصبّ على إبطال مفعول الأحكام الإسلامية السامية وإفقاد الدين أثره من الداخل. ونتيجة ذلك جلية للغاية، فأغلب البلدان الإسلامية اليوم تعتمد في أنظمتها وقوانينها الموضوعية وأساليبها في القضاء وفي هيكل النظام الحكومي والقوانين على الأساليب الملحدة للغرب، والتي تتعارض في ماهيّتها مع القوانين المستندة إلى الوحي.

إنّ الإسلام الأمريكي هو الذي يتيح للثقافة الغربية ومفاسدها وتحلّلها أن تنفذ إلى عمق المجتمعات الإسلامية ويهلك الحرث والنسل.. الإسلام الأمريكي هو الذي فسح المجال للحكومات العملية للأجانب أن تمارس سلطانها على المسلمين وتقف وباسم الإسلام في مواجهة المسلمين الحقيقيّين، وتمدّ في الوقت ذاته يد الصلح والسلام والصداقة إلى اسرائيل وأمريكا أعداء الإسلام.

لقد أكّد الإمام الخميني من خلال بياناته الأخيرة على حقيقة أنّ الطريق الوحيد لإنقاذ البشر من مشكلاته الحالية هو العودة إلى عنصر الدين والاعتقاد الديني، وأنّ السبيل الأوحد لتحرير البلدان الإسلامية من وضعها الحالي المخزي هو عودتهم إلى الإسلام وإلى هويّتهم الإسلامية المستقلّة.

وبعد أن وصلنا في مقامنا هذا إلى الأيّام الأخيرة من عمر سماحة الإمام الخميني، لا يفوتنا أن نلقي نظرة عابرة على أهمّ جوانب فكره وأهدافه.

بديهي أنّ من اللازم ـ وذلك لتكوين صورة واضحة وكاملة عن مبادئ الإمام الخميني الاعتقادية وأهدافه ـ مطالعة جميع الآثار الخطّية وغير الخطّية التي أُثرت عن هذا الرجل

الكبير ودراسة سيرته العملية بدقّة، الأمر الذي لا يتيسّر في هذه العجالة.

الإمام الخميني شيعي المذهب، يعتقد بشدّة بوحدة الأُمّة الإسلامية (بغض النظر عن توجّهاتهم المذهبية) في مقابل المستعمرين وأعداء الإسلام، فالدعوة إلى الوحدة تمثّل جانباً مهمّاً من بياناته وخطاباته. وهو لا يجوّز أيّة حركة تؤدّي إلى زرع الفرقة في صفوف المسلمين وتمهّد الطريق أمام المستعمرين المستغلّين لتحقيق هيمنتهم. لقد وضّح ومن خلال دعمه لإعلان أُسبوع الوحدة بين المسلمين ـ وذلك في ذكرى ولادة النبي ﷺ ـ وإصدار البيانات المتواصلة الطرق العملية لتحقيق الوحدة بين الشيعة والسنّة، ومنها لزوم صلاة الجماعة في مواسم الحجّ حول الكعبة، فهي نقطة أساسية للوحدة. وقد أصرّ على مواجهة كلّ ما يؤدّي إلى التفرقة والجدال بين الشيعة والسنّة طوال مدّة زعامته.

كان سماحته يعتقد بأنّ الإيمان بالله الواحد، والاعتقاد برسالة خاتم الأنبياء ﷺ، وإيمان بالقرآن المجيد على أنّه صحيفة الهداية الأبدية، والاعتقاد بالضروريات والشعائر والأحكام الدينية كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد، تعتبر كلّها محاور عملية ثابتة تلتفّ حولها جميع المذاهب الإسلامية في مقابل المشركين وأعداء الدين.

إنّ النهضة الإصلاحية للإمام الخميني وبياناته لم تتحدّد بالمجتمع الإيراني وسائر المجتمعات الإسلامية، فهو يعتقد بأنّ الفطرة البشرية لجميع الناس إنّما خلقت على أساس الدوران حول محور التوحيد والخير والبحث عن الحقيقة والعدالة، ولو أنّ المعرفة البشرية العامّة تنامت وتمّت السيطرة على شيطان النفس الأمّارة وتمّ تضعيف شياطين الخارج فإنّ آحاد المجتمع البشري سيتوجّهون نحو الله والحياة في محيط مليء بالعدالة والسلام.

على هذا الأساس فإنّ الإمام الخميني دعا وفي أغلب بياناته المستضعفين والشعوب الأسيرة في بلدان العالم الثالث إلى القيام بوجه المستكبرين. وقد دعا في الأيّام الأُولى من انتصار الثورة الإسلامية وبصراحة إلى فكرة إقامة حزب عالمي للمستضعفين، ودافع عن هذه الفكرة. كما أنّ أوّل المؤتمرات العالمية التي ضمّت الحركات التحريرية أُقيم لأوّل مرّة خلال عهد زعامة الإمام الخميني في إيران.

لقد أكّد الإمام الخميني مراراً على أنّ الثورة الإسلامية إنّما تعادي الأهداف التسلّطية لقادة وحكومات أمريكا والغرب والاتّحاد السوفيتي (السابق)، لا شعوب تلك البلدان التي وقعت هي بذاتها ضحية للاستعمار الجديد.

إنّ شعار الإمام الخميني هو مواجهة الظالم والدفاع عن المظلوم.. يقول سماحته: «لا نظلم، ولا نرضخ لظلم الآخرين».

ولعلّ من الأفضل أن ننقل هنا أهمّ المباني الاعتقادية للإمام الخميني بالنصّ من خلال نقل جواب سماحته على سؤال ممثّل صحيفة «التايمز» البريطانية، يقول سماحته: «إنّ اعتقادي إنّا وجميع المسلمين إنّما يدور حول نفس تلك المسائل التي أوردها القرآن الكريم أو التي أوضحها نبي الإسلامﷺ وأئمّة الحقّ من بعده، وأنّ أساس وأصل جميع تلك العقائد ـ والذي يعتبر أهمّ وأسمىٰ اعتقاداتنا ـ هو أصل التوحيد. واستناداً لهذا الأصل فإنّنا نعتقد بأنّ خالق العالم وجميع عوالم الوجود والإنسان هو الله تبارك وتعالى المطّلع على جميع الحقائق والقادر على كلّ شيء ومالك كلّ شيء. وهذا الأصل يعلّمنا بأنّ على الإنسان أن يسلّم أمره فقط أمام ذات الله المقدّسة، وأن لا يبدي الطاعة لأيّ إنسان آخر، إلّا إذا كانت طاعته استمراراً لطاعة الله. على هذا الأساس فلا يحقّ لأيّ إنسان أن يفرض على الآخرين التسليم له. ومن هذا الأصل الاعتقادي نتعلّم أصل حرّية البشر، وأن لا حقّ لأيّ إنسان أن يسلب إنساناً آخر أو مجتمعاً أو شعباً حقّهم بالحرّية، أو أن يضع لهم قانوناً يقوم بتنظيم سلوكهم وعلاقاتهم استناداً إلى رغباته وميوله. استناداً لهذا الأصل فإنّنا نعتقد أيضاً بأنّ وضع القوانين لتطوير الحياة هو من اختصاص الباري جلّ وعلا، كما أنّ قوانين الوجود والخلق من اختصاصه هو تعالى، وأنّ سعادة الإنسان والمجتمعات وكمالها يكمن فقط في طاعة القوانين الإلهية التي تمّ إيصالها إلى البشر عن طريق الأنبياء، وأنّ الانحطاط والسقوط اللذين يعاني منهما البشر إنّما هو بسبب مصادرة الحرّيات والاستسلام أمام بعض الأفراد. وعليه فإنّ على الإنسان أن يثور على هذه القيود والسلاسل المقيّدة وعلى الآخرين الذين يدعونه للاستسلام للأسر، وأن يسعى لتحرير نفسه ومجتمعه ليكون الجميع عبيداً لله.

ومن هذا المبدأ تنشأ مقرّراتنا الاجتماعية ضدّ القوى المستبدّة والاستعمارية ، ومن هذا الأصل الاعتقادي (التوحيد) فإنّنا نستلهم المساواة بين جميع بني البشر أمام الله ، فهو خالق الجميع ، والجميع مخلوقون له وعبيده ، الأصل تساوي البشر ، وما يميّز فرداً عن فرد كقاعدة ومعيار إنّما هي التقوى والابتعاد عن الانحراف والخطأ ، وعليه ينبغي الوقف بوجه كلّ ما يُراد به تخريب المساواة الاجتماعية وتحكيم الامتيازات المزيّفة والفارغة على المجتمع ».

يقول الإمام الخميني : « المعيار في الإسلام رضا الله ، لا رضا الأشخاص ، ونحن إنّما نقيس الأشخاص على الحقّ ، لا الحقّ على الأشخاص ، المعيار هو الحقّ والحقيقة ».

إنّ الإمام الخميني يعتقد بأنّ الفطرة الإنسانية مخمّرة في عشق الكمال المطلق المنحصر بالحقّ تعالى ، وهو تعالى منشأ جميع الكمالات والقدرات.

كان الإمام الخميني يذكّر أنصاره دوماً بأنّ « العالم محضر الله ، فلا تعصوا الله في محضره » ، « لا تخشوا أيّ أحد إلّا الله ، ولا تعقدوا الآمال على أيّ أحد سوى الله ».

إنّ الإمام الخميني يرى بأنّ الهدف من بعثة الأنبياء يتمثّل في هداية البشر نحو معرفة الله ، وتحويل طلب الكمال من القوّة إلى الفعل ، وإزاحة الظلمات ، واصلاح المجتمعات ، وإيجاد القسط والعدالة .. يقول سماحته : « إنّ بعثة الأنبياء إنّما تهدف إلى إنقاذ أخلاق الناس نفوسهم وأرواحهم وأجسامهم من الظلمات ، وإزاحة الظلمات ، واستبدالها بالنور ». ويقول : « لا نور سوى الحقّ تعالى ، الجميع ظلمات ».

الإمام الخميني يرى بأنّ الإسلام خاتم الأديان الإلهية ، وأنّه يمثّل أسمى وأشمل العقائد الهادية .. يقول سماحته مؤكّداً : « إنّ الإسلام على قمّة هرم الحضارة » ، و« إنّ النظام الحقوقي في الإسلام أرقى وأكمل وأشمل الأنظمة الحقوقية » ، « في الإسلام قانون واحد ، وهو القانون الإلهي ».

إنّه يرى بأنّ الإسلام دين العبادة والسياسة .. يقول سماحته : « كان الإسلام من مؤسّسي الحضارة الكبرى في العالم ».

كان سماحته يوصي أتباعه بالقول: «إيّاكم والخلط بين القرآن المقدّس وعقيدة الإسلام المنجية بالعقائد الخاطئة المنحرفة التي ابتدعها الفكر البشري». ويقول: «إنّ مشكلة المسلمين الكبرىٰ تكمن في تركهم القرآن الكريم وسعيهم للانطواء تحت مظلّة عقائد الآخرين»، ويقول: «إنّ التشيّع ـ وهو العقيدة الثورية والامتداد للإسلام المحمّدي الأصيل ـ كان كما هو الحال مع الشيعة هدفاً لحملات المستبدّين والمستعمرين الغادرة.

لقد أكّد سماحته مراراً حينما تحدّث عن هدفه من نهضته وعن الباعث عليها بالقول: «إنّ أقصى ما نهدف إليه هو الإسلام».

فالإمام الخميني يرى بأنّ الثورة الإسلامية شعاع من الثورة الحسينية الخالدة التي انطلقت في عاشوراء لإنقاذ الدين من قبضة المجرمين الظالمين، فهو يعتقد «أنّ الإسلام لم ينزل من أجل قوم خاصّين، وليس لديه فرق بين الترك أو الفرس أو العرب أو العجم.. الإسلام للجميع، ولا قيمة أو امتياز في نظامه للجنس أو اللون أو القبيلة أو اللغة»، «الجميع إخوة متكافئون، فالكرامة فقط وفقط في إطار التقوى، والتمايز إنّما يتمّ على أساس الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة».

الإمام الخميني يسمّي الشهادة في سبيل الله عزّاً أبدياً، وفخر الأولياء، ومفاتيح السعادة، ورمز النصر.. ويرى أنّ الاندفاع نحو الشهادة إنّما ينتج عن عشق الله.

لقد ألّف الإمام الخميني ﷺ كتباً عدّة في مختلف العلوم، علاوة على ما كان يحظى به من مرتبة رفيعة وفريدة أيضاً في ميادين التأليف العلمية والفقهية والفلسفية والشعرية، فقد ألّف كتاب «مصباح الهداية» عندما كان عمره لم يتجاوز السابعة والعشرين عامّاً فقط، ويعتبر هذا الكتاب فريداً من نوعه في مجال المعارف الإلهية، كما كتب شرحاً ـ وهو في التاسعة والعشرين من عمره ـ لواحد من الأدعية المهمّة من أدعية شهر رمضان المبارك (دعاء السحر)، الأمر الذي يدلّ على مدىٰ تضلّعه بالأُمور العبادية واللغوية وبقية المعارف الإسلامية.

وألّف بعد ذلك كتاب «الأربعون حديثاً»، يحوي ٣٣ حديثاً أخلاقياً وسبعة أحاديث

أُخرى تتعلّق بالقضايا العقلية.

ومن مؤلّفاته الأُخرى ما يلي: هامش على فصوص الحكم للقيصري، هامش على مفتاح الغيب، أسرار الصلاة أو معراج السالكين، رسالة في الطلب والإرادة، هامش على رسالة حديث ابن الجالوت قاضي سعيد. وشرح مستقلّ لهذا الحديث، كشف الإسراء، شرح لحديث جنود العقل والجهل، آداب الصلاة، رسائل في مجلّدين، وتضمّ: قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) و(الاستصحاب) و(التعادل والتراجيح) و(الاجتهاد والتقليد) و(التقية)، تحرير الوسيلة (رسالة عربية) لسماحته، وهي تمثّل رسالته العملية في مختلف الفروع الفقهية، كتاب الطهارات، تهذيب الأُصول، وتمثّل تقريرات في دروس أُصول الفقه التي كتبها آية الله الحاجّ الشيخ جعفر السبحاني عند حضوره بحث الخارج للإمام الخميني، وقد طبعت في ثلاثة مجلّدات، نيل الأوطار في بيان قاعدة لا ضرر ولا ضرار (تقرير لدرس البحث الخارج)، توضيح المسائل (فارسية) لسماحته، وهي تمثّل رسالته العملية في مختلف الفروع الفقهية، الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه، وهي مجموعة خطب الإمام الخميني حول طبيعة الحكم الإسلامي التي كان يرسلها من منفاه في العراق إلى الشعب الإيراني، كفاح النفس أو الجهاد الأكبر، وهي مجموعة خطب الإمام حول الأخلاق، المكاسب المحرّمة، رسالة تشتمل على فوائد لبعض القضايا المعقّدة، ديوان شعر (فارسي)، وكثير من الخطب والبيانات التي طبعت على شكل دورة شاملة باسم (صحيفة نور) (فارسية).

توفّي عام ١٩٨٩ م، فكان لوفاته صدىً كبير في العالم الإسلامي.

وله في مجال التقريب والوحدة أبحاث ومحاضرات هادفة، نذكر سطوراً منها:

ـ «على جميع الأُخوة الشيعة والسنّة أن يتجنّبوا أيّ خلاف بينهم».

ـ «يجب أن نعي الحقيقة التالية: إنّنا مسلمون جميعاً، وإنّنا أتباع القرآن والتوحيد».

ـ «إنّ اختلافنا اليوم يعود بالفائدة على أُولئك الذين لا يعتقدون بمذهب الشيعة ولا بمذهب السنّة ولا بأيّ مذهب آخر، بل يعملون على محو هؤلاء وأُولئك معاً».

ـ «نحن جميعاً أتباع القرآن والرسول الأكرم، إننّا جميعاً أُخوة، لنا وجهة واحدة واتّجاه واحد، دين واحد وقرآن واحد».

ـ «إنّي لآمل أن تتجاوزوا عوامل التفرقة بقوّتكم وبالمدد الإلهي».

ـ «إنّي لأرجو أن يتآخىٰ المسلمون وكلّ الشعوب الإسلامية اتّباعاً لأوامر الإسلام والقرآن المجيد، وأن يتعاملوا مع أعداء الإنسانية بالشدّة ومع الأقطار الإسلامية بمبدأ الأُخوّة، وهذا لا يتحقّق إلّا برفع اليد عن الخلافات الجزئية القائمة بين الحكومات، ويعيشوا كما يعيش الأُخوة».

ـ «لا يعرف الإسلام شيئاً اسمه (العنصر)، وليس فيه عربي وعجمي وغير ذلك».

ـ «يجب أن ينضوي المسلمون والحكومات الإسلامية ويجتمعوا تحت لواء الإسلام والقرآن».

ومن رسالة الإمام الخميني ﷺ إلى الحجيج:

ـ «ليست الأيدي الملوّثة التي توجد الخلاف بين الشيعة والسنّة في الأقطار الإسلامية بأيد شيعية أو سنّية، وإنّما هي أيدي استعمارية تعمل على أن تسلبنا أقطارنا الإسلامية هذه».

ـ «لقد صببت جلّ اهتمامي ليكون المسلمون جميعاً يداً واحدة على الأعداء اتّباعاً لما يأمر به الإسلام وجماعة واحدة تحقّق ما يرمي إليه الإسلام».

ـ «إننّا نمدّ يد الأُخوّة إلى جميع الشعوب الإسلامية، ونطلب منها العون والتعاضد لتحقيق الأهداف الإسلامية».

ـ «آمل أن تنهض الشعوب الإسلامية وتتّحد بعد أن مزّقتها دعايات الأجانب، فإذا البعض منها يقف في قبال البعض الآخر»! فإذا اتّحدت عملت على تشكيل الدولة الإسلامية العظمى تحت لواء (لا إله إلّا الله)، وانتصرت هذه الدولة على جميع قوى الأرض».

ـ «إنّني أمدّ يد الأُخوّة إلى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن

ينظروا إلى الشيعة باعتبارهم إخوة أعزّاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخطّطات المشؤومة».

(انظر ترجمته في: موسوعة السياسة ٢: ٦٣١، ملحق موسوعة السياسة: ٣٦٢ ـ ٣٦٥، موسوعة المورد ٦: ٥١، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٢٩ ـ ٥٣٠، تتمّة الأعلام ٣: ١٦٦، إتمام الأعلام: ١٥٣ ـ ١٥٤، كفاح علماء الإسلام: ٣٨٧ـ٥٠٢، شخصيات من التاريخ: ١٢٠ـ١٢٥، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٢٢ ـ ٣٢٩، موسوعة الأعلام ٢: ١٦٧ ـ ١٦٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٦٦ ـ ٢٧٠).

* * *

﴿حرف الزاي﴾

زكي علي

طبيب، وداعية إسلامي قدير، ومؤسّس رابطة الثقافة الإسلامية بالعاصمة النمساوية.

ولد الدكتور زكي علي ببلدة إنشاص البصل بمديرية الشرقية في أوائل سنة ١٩٠٥م، ونشأ نشأة دينية، إذ تلقّى دراسته الأوّلية والابتدائية والثانوية بالزقازيق والقاهرة، ولمّا قامت الحركة الوطنية المصرية في مارس سنة ١٩١٩م ـ وهو بالمدرسة الخديوية ـ انضمّ إلى الشباب العامل في صفوفها، ونُشرت له أوّل مقالة وطنية في جريدة «النظام» تحت عنوان «في سبيل الاستقلال»، ثمّ التحق بمدرسة الطبّ المصرية، ونال منها إجازة الطبّ في يناير سنة ١٩٢٧م، وعُيّن بعد ذلك طبيباً بمستشفى القصر العيني، وكان معروفاً في محيطه؛ لأنّه دأب على نشر مقالاته في الصحف وهو في سنّ الخامسة عشرة حتّى التحق بالقصر دون أن ينقطع عن تدبيج مقالاته.

وفي سنة ١٩٢٨م انتقل طبيباً لشرطة الزيوت الإنجليزية (شل) بالغردقة على البحر الأحمر، وهناك ساءته حالة الظلم الصارخ الذي يعانيه العمّال المصريّون من تسلّط الشركة، فعمل على ردّ حقوقهم، وكتب المذكّرات المطالبة بإنصافهم، حتّى ضاق به القائمون بالأمر، فقرّروا استبعاده إلى وظيفته بالقصر العيني، فافتتح عيادةً له بالقاهرة، وحنّ إلى موطنه بالشرقية، ففتح عيادةً أُخرى ببردين قرب مسقط رأسه، وكان يحدّد لها أيّاماً من الأُسبوع.

ومع جهده الموزّع بين العيادتين لم يترك البحث العلمي، فألّف رسالة في سنة ١٩٣١م تحت عنوان «الطبّ العربي وتأثيره في أوروبّا»، ونشرها بمصر، ثمّ سافر إلى فرنسا في نوفمبر سنة ١٩٣١م للتخصّص في فرع دقيق من فروع الطبّ، فانتخب عضواً في جمعية

تاريخ الطبّ الفرنسية، ونشر عدّة رسائل باللغات الأجنبية في باريس وفينّا وبرلين عن الطبّ العربي، ورأى من الأولى والأهمّ أن يتحدّث عن الإسلام في قوم ينكرون له كلّ فضل، فأخذ يتنقّل في عواصم أوروبّا ليجتمع بالمسلمين النازحين والمقيمين متحدّثاً عن وجوب العمل الدائب لإيضاح رسالة الإسلام، ومُلقياً عدّة محاضرات عن ماضي الدين وحاضره.. وأمام ما يتطلّبه الجهاد الشاق من عمل ترك مهنة الطبّ حين ضحّى بوظيفته التي بُعث لتثبيتها علمياً بدرجة علمية أرقى من باريس، وعكف على الجهاد، فبدأ بتأسيس الرابطة في فينّا، ودعا إلى عرض قضايا الأُمّة العربية في مصر والشام والعراق والمغرب عاملاً على التحرّر النهائي من الاستعمار الأوربّي.

ومن ثمّ انتقل إلى سويسرا ليستقرّ بها مناضلاً مكافحاً؛ إذ رأى ضوء الحرّية بهذا البلد المحايد أشدّ سطوعاً وأهدأ مراقبةً وسؤالاً، فآثره واجتباه. أمّا انتقاله إلى سويسرا فقد كان باقتراح الأمير شكيب أرسلان زعيم المجاهدين في أوروبّا؛ إذ لمس من نشاطه الإسلامي ما دعاه إلى مجاورته في جنيف، وحسناً فعل، فإنّ نشاط الدكتور العلمي بهذا الوطن قد واكب نشاطه العملي، حيث نظر فوجد هجمات التبشير تغزو المسلمين في ديارهم، حتّى في مصر موطن الأزهر والعروبة والإسلام، كما قرأ أنّ المسلمين في تناقص مستمرّ، قرأ ذلك لمبشّر كاذب نشر إحصائية مخطئة، فدعاه ذلك إلى البحث عن أحوال المسلمين في شتّى ربوع البسيطة، وأن يثبت بالدليل العلمي والإحصاء الرسمي أنّ المسلمين في ازدياد، لا في نقصان؛ لذلك عمل على تأليف كتاب «الإسلام في العالم» ليُثبت بالإحصاء الدقيق كذب هذا الافتراء، وكان للكتاب صدىً مجلجل في العالم كلّه، وبخاصّة في مصر والهند، حيث أُفردت المقالات الوافية لتحليله والإشادة به.

وقد تحدّث المؤلّف في صدر الكتاب عن شيء من سيرته، حيث أعلن أنّه حين ابتعث إلى أُوروبّا لم يكن له مقصد غير دراسة الطبّ، لكنّه اكتشف جهلاً مطبقاً عن الإسلام في كلّ مكان قصده بالغرب، وتشويهاً متعمّداً لكلّ حقائقه التي ينطق بها القرآن صريحاً دون لبس، ثمّ تهجّماً فاحشاً على الرسول الأكرم محمّد ﷺ! لذلك وجد من الضروري أوّلاً الإلمام

الموجز الدقيق بحياة النبي الكريم، كما فعل السير أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، حيث مهّد لكتابه ببحث في سيرة الرسول، لا يتمّ الحديث عن الإسلام إلّا به. وفائدة ذلك أن يربط القارئ المحايد بين سيرة نبي الإسلام وما جاء به من تعاليم، ليراه صادقاً كلّ الصدق في اتّباع ما جاء بالقرآن؛ لأنّ بعض الداعين إلى الفضائل ينادون بها في إلحاح، وهم في أعمالهم يخالفونها كلّ المخالفة، ومثل هؤلاء يخفقون في نشاطهم القولي لأنّهم مراؤون، فإذا أشبع الحديث عن نبي الإسلام تعرّض للإسلام من حيث هو نظام اجتماعي يربط بين الطبقات ويوحّد بينها، ومعتمده في ذلك القرآن الكريم؛ لأنّه الأساس الأوّل للبناء الإسلامي الوطيد، من حيث إنّه قانون راسخ لدين اجتماعي مدني متحضّر خُلقي تشريعي سياسي، وهو المسيطر على المسلم الحقيقي في كلّ اتّجاهاته، يراه قبلته التي لا يحيد عنها.

وهكذا كان توضيح الإسلام عن طريق الإسلام صدمةً للذين افتروا على الدين الكاذب في أُوروبّا، فجعلوه دين نزق وشهوات، بل جعلوه دين تثليث في بعض كتاباتهم، ليقولوا: إنّه نقل التثليث عن المسيحية، ولا أدلّ على البهتان من هذا الافتراء.

وقد أشبع الكلام عن الجزية والخراج ليردّ على من قالوا: بأنّ الدين الإسلامي يستبيح أموال الناس؛ لأنّ الجزية في قدرها المحدود فرضت نظير ما يقوم به المسلمون من الدفاع عمّن يلوذون بهم، فإذا دافعوا مع المسلمين في معركةٍ ما سقطت عنهم، وتاريخ الإسلام في صدر الفتوح شاهدٌ على ذلك! ولهذا اتّسعت صحف الكتاب لمواقف خالدة من سير القادة في اطّراد النمو الإسلامي، حتّى جاءت عصور الضعف، وتعرّض الإسلام لإعصار رهيب من ناحية المشرق، حيث هجم التتار والمغول على الحضارة الإسلامية، يُريدونها بربريّة متوحّشةً، وحين هجم الصليبيّون من الغرب لينقلوا عن الإسلام حضارته التي أعوزتهم في حياتهم القاسية، ثمّ انتبه الغرب على صوت الإسلام بالأندلس والاختلاط بالمسلمين في الحرب الصليبية، فبدأت دورة نهضته حين بدأ النهوض الإسلامي في الانتكاس.

ويلي ذلك حديث عن الإسلام في أوروبّا، ومن يتحدّث عن ذلك غير خبير ذكي كالدكتور زكي علي؟! إذ لمس وشاهد عن عيان لا عن قراءة وإخبار، محلّلاً ما رآه من

دواعي التهجّم، ومقرّراً قواعد الإسلام الأصيلة في ضرورة الارتباط بين السياسة والدين ليتعاونا معاً في ميادين الحياة؛ وأهمّها ميدانا الاستقلال السياسي، والاستقلال الاقتصادي، ولعمري كيف استطاع الدكتور أن ينهض بهذه البحوث الدقيقة، وقراءاته الإسلامية لم تتجاوز سنوات تُعدّ على الأصابع على حدّ تعبير الدكتور البيّومي!

إنّ الحافز المستفزّ قد جعل أيّامه الأُولى في فينّا وجنيف عملاً متواصلاً بالنهار وقراءةً دائبة بالليل، حتّى اهتدى إلى صخرة صلبة من يقينه الإيماني وإدراكه العلمي، ولم يكن المؤلّف مهاجماً منفّراً في كتابه، بل كان داعية وفاقٍ ووئام، حين تساءل في ختام بحثه قائلاً: هل يمكن إيجاد التعاون بين الإسلام والغرب؟ وقد أجاب على السؤال بالإيجاب متفائلاً!

كما كتب الكاتب الأُستاذ محمّد لطفي جمعة عن هذا الكتاب القيّم بحثاً ضافياً في مجلّة «الرابطة العربية» (مايو سنة ١٩٣٨ م) في فصلين متعاقبين، لخّصهما الأُستاذ أنور الجندي في كتابه «مفكّرون وأُدباء» تلخيصاً دقيقاً، وقد قال فيه: «إنّه لم يضع كاتبٌ حديث ولا قديم بلغةٍ غير لغته كتاباً على النمط العالي كما صنع الدكتور زكي علي، نزيل جنيف وخادم العلم والوطن والملّة، وإذا كان هذا الرجل الفذّ لا يزال في منتصف العقد الرابع كما علمنا من بعض عارفيه الثقات، فلا يعلم إلّا الله ما يصل إليه بعد عشرين عاماً من الدرس والتنقيب والتأليف، فهو يمتاز قبل كلّ شيء بالصدق والأمانة في النقل، كما يظهر ذلك في الفصلين اللذين عقدهما لحضارة الإسلام ولتوسّع الإسلام وامتداده ونفوذه، ويمتاز بخلّة ثانية نفيسة، هي قدرته على سرعة الإلمام بحقائق العلم ووقائع التاريخ، وسهولة هضمها وصياغتها في أفضل قالب وأبلغه وأوضحه، وقد دلّ بكتابته في الإسلام على قدرة في التأليف بالإنجليزية بدرجة أُسلوبه العربي الرائع».

ويقول الدكتور محمّد رجب البيومي: «وممّا يؤسف حقّاً أنّ الدكتور زكي علي كان يراسل الجرائد المصرية ببعض الأنباء التي تخصّ المحيط الإسلامي، راجياً أن تكون موضع الدراسة من المهتمّين بقضايا العالم الإسلامي، فلا تنشر الجرائد ما يبعثه إلّا في

النادر، وهي تغصّ بأخبار المطربين، ومن تسمّيهم النجوم في كلّ بقاع الأرض! وقد كانت جريدتا «اللواء، والمؤيّد» في أوائل هذا القرن تفسحان صفحة يومية تحمل أخبار العالم الإسلامي، ولها قرّاؤها الذين يتهافتون على مطالعتها مستزيدين، ثمّ في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأُولى أخذ الحديث عن بلاد الإسلام في هذه الجرائد يتضاءل وينكمش، بل رأينا الأُستاذ سلامة موسى يكتب متعجّباً من عقلية مصطفى كامل الذي كان يُعنى بهموم المسلمين في الهند واليابان ويستنكر أن يُشغل القارئ المصري نفسه بتتبّع أنباء أخيه في العقيدة والدين!

في هذا الجو العابس ضاعت مقالات الدكتور زكي علي ومن ينهج نهجه، ولكنّ أفراداً يعدّون على الأصابع قد احتفلوا بنشاطه، وتحدّثوا عنه مكبرين، وفي طليعة هؤلاء الأُستاذ الدكتور مختار الوكيل؛ إذ كانت له بالدكتور صحبة في سويسرا، وشهد نشاطه الجمّ، فأُعجب به ووالى الحديث عنه، وتحت يدي مقالٌ نشره بجريدة الأخبار، قال فيه تعليقاً على كلمة للأُستاذ (أحمد أبو الفتح) بشأن المجاهد المهاجر زكي علي، قال فيها أبو الفتح: «أرى من الواجب أن أذكر ما يقوم به العالم الجليل الدكتور زكي علي الذي يُقيم في جنيف منذ أكثر من أربعين سنة، وقد آثر هيئة التقشّف، فهجر مزاولة الطبّ ليكرّس نفسه للردّ على كلّ سؤال حول الإسلام، وللتصدّي لكلّ تشويه، وذلك بنشر الحقائق في الصحف المختلفة».

قال ذلك الأُستاذ أحمد أبو الفتح، فكان مدعاة للدكتور الوكيل أن يقول من مقال رائع، بعد أن عرض لذكرياته معه في سويسرا: «لا شكّ أنّ للدكتور زكي علي فضلاً على الحركة العربية والإسلامية في ربوع سويسرا والنمسا وألمانيا وفرنسا وغيرها من البلاد الأوروبّية، فهو كما قال الأُستاذ أبو الفتح ينشر المقالات والأبحاث الطوال شارحاً حقيقة الفكر الإسلامي، وكان يدرِّس الآداب واللغة العربية في جامعة جنيف، وأفادت منه أجيال من رجالات سويسرا في هذا المجال، وكثير منهم تبحّر في دراسة الفكر الإسلامي، واهتدى على يديه إلى الطريق المستقيم. ولعلّ كثيراً من الناس لا يعرفون الكثير عنه، ولهم العذر؛

لأنّه لا يسعى للشهرة، بل هو من أحرص الناس على الكتمان وعيش الخشوع والاعتكاف والصوم، ومثل ذلك نادرٌ في هذا الزمان، ومع ذلك فإنّ آراءه قد انتشرت بين الشباب في سويسرا وغيرها من بلدان أوروبّا، ومؤلّفاته كذلك، وأشهرها كتاب من أعظم ما أصدرته المطابع في أوروبّا في العهد الأخير، كتب باللغة الفرنسية سنة ١٩٧٣م، تحت عنوان «هذه هي الشعوب البيضاء»...».

أمّا عشية التقشّف فتظهر بوضوح في مسكنه الذي يتكوّن من حجرة استقبال للزائرين، وغرفة مطبخ هي أيضاً مكتبته التي تجمع كلّ ما يقتنيه، كما أخبرني في بعض رسائله، وقد عرضت عليه أن يأذن لي بأن أتحدّث مع الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر حينئذٍ، كي يقوم بطبع مؤلّفاته في سلسلة مجمع البحوث الإسلامية فيصله بعض ما يُساعده، ولكنّه أبى وحذّرني قائلاً: إنّه يأخذ معاشاً متواضعاً من الدولة السويسرية تبلّغه حاجته ببعض التدبير، وهو به قنوع.

وقد قال: إنّ ممّا يكاد يتبرّم به أنّ القسس الذي يحضرون لمناقشته في أفكاره الإسلامية لا ينتقلون من فكرة إلى فكرة، بل يشغلهم أمر واحد يظلّون يطيلون الحديث عنه مُكرّراً في السؤال، فاضطرّ إلى التكرار في الجواب على ضجر، وكنتُ أُفهمهم ضيقي بذلك فيتضاحكون، وكأنّهم يصرّون على الحديث في غير ما يجدي، ويتساءل الدكتور: «ولماذا إذن يأتون»؟ وقد قال له بعض القسس: إنّه جعل من أفكار الدكتور بعض عظاته في يوم الأحد، فقلتُ: خيراً، ولكن لم أر ما يدلّ».

ويقول الأُستاذ إحسان سامي حقّي في مجلّة «فتى العرب» الدمشقية بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٣٤م: «لقد رفض الدكتور زكي علي الرجوع إلى مصر مؤثراً الخدمة الدينية لعقيدته ومثابراً على توضيح تعاليم الإسلام، فدخل في هذا الدين الحنيف على يده كثير من الخلق، ولجمعيّته مكتب وبهو للمحاضرات مرّة في كلّ أُسبوع، حيث يجتمع له لديه كثير من مختلف الطبقات والشعوب. ورغم ما يقاسيه الدكتور من شظف العيش وخشونته في تلك الأصقاع؛ إذ ليس له فيها من معين، ولا يُساعده أحد من الخارج، فإنّه لا يزال مثابراً على

جدّه ونشاطه، ولا أُغالي إذا قلتُ: إنّني لم أجد رجلاً يتحمّل ما يتحمّله هذا الشاب في سبيل الخدمة العامّة، وليس الخبر كالعيان، وقد علمتُ أنّه قضّى يوم عيد الفطر ولم يتناول فيه سوى الخبز الجاف، ومع ذلك فقد كان في هذا اليوم يستقبل المهنّئين برابطة الثقافة، ويظهر البشاشة والسرور!».

وقد كان زكي علي على وعي تامّ بما ينسجه الاستشراق من أوهام التفرقة بين الشعوب الإسلامية تحت ستار البحث العلمي المستوعب، فقد حلا لبعض الدكاترة الفارسيّين أن يُلقي محاضرات عن تاريخ الطبّ والحكمة في الإسلام بإحدى المدرّجات العلمية في جامعة سويسرا، فسارع الدكتور إلى استماع ما يقول مستبشراً؛ لأنّ المتحدّث مسلم، والموضوع عن الطبّ في الإسلام، ولكنّه صُدم حين وجد المحاضر ينسب كلّ تقدّم علمي في الطبّ والهندسة والفلك إلى المسلمين الفارسيّين وحدهم، ويذكر أسماء الخوارزمي والرازي والفارابي وابن سينا وسواهم! فقام الدكتور زكي ليردّ على المحاضر، وقال في بدء حديثه: «أنا مسلم أوّلاً، وأحبّ كلّ فارسي يدين بالإسلام في القديم والحديث، ولكنّ محاولة قصر العلم على وطن دون وطن يرفضها الواقع الصريح لتاريخ العلم، وأنا حين كتبتُ كتابي عن الطبّ العربي لم يجُل بذهني أنّ ابن سينا والرازي غريبان عنّي، والغزّالي عندي مثلاً كالشافعي؛ لأنّ الإسلام هو القلادة العظمى لكلّ من ينتمي إليه»، ثمّ أسهب في هذا المنحى إسهاباً حفز الدكتور المحاضر إلى تهنئة المعقّب بروحه السامية، ووعده أن يسير في نهجه العلمي فيما يأتي من بحوثه سير من لا يفرّق بين فارسي وعربي.

أمّا الشجاعة كلّ الشجاعة ـ وذلك على حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيومي ـ فهي مهاجمة الليث المتحفّز في عرينه دون مبالاة، وهذا ما فعله الدكتور زكي علي حين كتب مؤلّفه الرائع «الشعوب البيضاء»؛ لأنّه أعلن بوضوح أنّ التديّن في أوروبّا المسيحية كاذبٌ، وأنّ الفرد منهم يذهب إلى الكنيسة كلّ أحد، ولكنّه لا ينفّذ شيئاً من تعاليم المسيح، وقد قامت مذابح الحربين العالميتين في أوروبّا وفقاً لضراوة متوحّشة، جعلت الأوربّي المسيحي مفترساً ضارياً يأكل لحم أخيه!

يقول الدكتور زكي ما ترجمته: «لقد بدأتُ منذ إقامتي في جنيف أراقب تطوّر العالم جميعه، وبخاصّة العالم الغربي، فشهدت وأنا في فينّا مولد النازية في ألمانيا، كما راقبتُ نشاط الفاشية في إيطاليا، ودرست الحركة الشيوعية في روسيا، وعلاقة أوروبّا بغيرها من الدول خارج هذه القارّة، فرأيت الشعوب البيضاء تكنّ العداء الخالص للشعوب الملوّنة، وما احتربت فيما بينها إلّا ليبتلع المنتصر في حربه هذه الشعوب المظلومة، بعد أن يكون قد نحّا الشعوب المنهزمة عمّا يُريده من الغنائم والأسلاب، وهذا ما قصدته البلاد الرأسمالية في أوروبّا حين خافت نفوذ ألمانيا وأشياعها، واعتبرته مهدّداً مناطق نفوذها.

أمّا ادّعاء هذه الشعوب تمسّكها بالمسيحية فباطل لا ينهض له دليل صحيح؛ لأنّ الإيمان الحقيقي بالله يجب أن يبقى راسخاً في النفس، ولكنّ المسيحي الأوربّي يذهب إلى الكنيسة يوم الأحد، فيؤدّي صلاةً رسميةً لا تتصّل بمشاعره؛ لأنّها لا تنهاه عن المنكر حين يقترف المظالم في حقّ الشعوب المجاورة، فضلاً عن الشعوب النائية، وإذاً فالعاطفة الدينية التي يدعو إليها المسيح لا وجود لها عند المنتسبين إلى المسيحية في أوروبّا جميعها.

وإذا كان التقدّم الصناعي قد اكتمل عند الغرب وتطوّر تطوّراً هائلاً، فإنّ الذي يرقب هذا التطوّر يجده في مدّه الاستثماري قد أصبح إلهاً يُعبد، يُضحّي في سبيله بكلّ تعاليم الأديان، فالعلم الصناعي هو الإله المعبود اليوم هناك؛ إذ تحوّل المسيح لديهم إلى عقل ألكتروني، فأصبح المصنع هو الكنيسة! نعم، إنّ الكنيسة مفتوحة الأبواب، ولرجالها احترامهم الخالص بين الأفراد، ولكن أين تعاليم المسيح!».

كما أوضح الدكتور زكي بما لا يدع أدنى خفاءٍ أنّه يقصد بالشعوب البيضاء بلاد أوروبّا وأمريكا جميعها؛ لأنّ رأسمالية إنجلترا وفرنسا وأمريكا لا تختلف في ابتزازها عن النازية والشيوعية والفاشية، ويزداد الخطر في العالم الشيوعي ضراوة؛ لأنّه يجاهر بالكفر الصريح!.

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٩٤ـ١٠٦).

زكي الميلاد

الدكتور زكي عبد الله أحمد الميلاد: من الأساتذة المرموقين في مجال الفكر الإسلامي، وكذلك في مجال التقريب بين المذاهب الإسلامية والدعوة للوحدة، وله مؤلّفات في هذا الشأن، من أبرزها: «خطاب الوحدة الإسلامية.. مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي»، كما له مؤلّفات في موضوع التجديد في الفكر الإسلامي، ككتاب «محمّد إقبال وتجديد الفكر الديني»، وغيره من الكتب.

ولد سنة ١٣٨٥ هـ(١٩٦٥ م) في محافظة القطيف بشرق المملكة العربية السعودية، وهو متخصّص في الدراسات الإسلامية، وباحث في الفكر الإسلامي والإسلاميّات المعاصرة، ورئيس تحرير مجلّة «الكلمة» (فصلية فكرية تصدر من بيروت). وقد منحه الاتّحاد العالمي للمؤلّفين باللغة العربية لقب دكتوراه إبداع على مجموع المؤلّفات والأبحاث والكتابات والأعمال الفكرية الأُخرى، بموجب خطاب ٢٥ / ١ / ٢٠٠٣ م الموافق ٢٣ / ١١ / ١٤٢٣ هـ.

وهو مستشار أكاديمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتّحدة الأمريكية، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وعضو المنتدى العالمي للوسطية في الأردن، وعضو اتّحاد الكتّاب العرب في سوريا، وعضو الجمعية التركية ـ العربية للعلوم والثقافة والفنون في أنقرة، وعضو المنتدى العربي للحوار والمواطنة في بيروت. كما أنّه عضو الهيئة الاستشارية لعدد من المجلّات الفكرية العربية، منها: «الحياة الطيّبة، وتفكّر، والمعارج، ونصوص معاصرة، وإسلامية المعرفة».

وقد شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية والفكرية والأكاديمية، العربية والإسلامية والدولية، يفوق عددها (٦٠) ندوةً ومؤتمراً، عقدت في العديد من العواصم والمدن العربية والإسلامية والغربية، منها: بيروت، القاهرة، الإسكندرية، دمشق، عمّان، المفرق، إربد، الكرك، الكويت، الرياض، جدّة، مكّة المكرّمة، القطيف، الإحساء، المنامة، الدوحة، طهران، إسطنبول، كوالالمبور، لندن، واشنطن، شيكاغو.

كما تولّى إدارة دورة علمية حول المنهجية الإسلامية ، كلّفه بإدارتها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عقدت لمدّة أُسبوع في العاصمة الأردنية عمّان ، وحضرها مجموعة من أصحاب الدراسات العليا من العالم العربي وتركيا وإيران ، وحاضر فيها أساتذة كبار من مصر والأردن والسعودية والولايات المتّحدة الأمريكية .

له العديد من الكتابات ـ دراسات ومقالات ـ منشورة في أكثر من (٦٠) بين دورية ومجلّة وصحيفة ، يومية وأُسبوعية وشهرية وفصلية ، تصدر في : السعودية ، الكويت ، قطر ، البحرين ، سلطنة عمان ، اليمن ، لبنان ، سوريا ، الأردن ، العراق ، المغرب ، إيران ، أفغانستان ، بريطانيا ، أمريكا . وله مقالة أُسبوعية ينشرها في صحيفة « عكاظ » السعودية (زاوية الرأي) ، منذ بداية عام ٢٠٠٣ م .

حصل على العديد من الشهادات الدروع التقديرية ، منها :

١ ـ شهادة شكر وتقدير من مركز الدراسات الثقافية الإيرانية ـ العربية ، على المشاركة وتقديم ورقة بحث في المؤتمر الدولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات) ، المنعقد بدمشق في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢١ / يناير / ٢٠٠٣ م .

٢ ـ درع شكر وتقدير من مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ، على المشاركة في ندوة (الصالونات الثقافية وتجربتها في نشر ثقافة الحوار) ، المنعقدة بمكّة المكرّمة في الفترة ما بين ٢٠ ـ ٢١ / مايو / ٢٠٠٦ م .

٣ ـ درع شكر وتقدير من مركز القرآن الكريم بجمعية الصفا الخيرية ، عن المشاركة وتقديم بحث في الملتقى القرآني السادس المنعقد في محافظة القطيف بتاريخ ١٤ / سبتمبر / ٢٠٠٦ م .

٤ ـ شهادة تقدير من المعهد العالمي لوحدة الأُمّة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، على المشاركة وتقديم بحث في المؤتمر العالمي عن (وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة : حقائق وآفاق) ، المنعقد تحت رعاية حرم ملك ماليزيا في الفترة ما بين ١٤ ـ ١٦ / أغسطس / ٢٠٠٧ م .

٥ ـ درع من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، عن المشاركة في حلقة الجمعة الدراسية في الجامعة والقاء محاضرة بتاريخ ١٧ /أغسطس / ٢٠٠٧ م.

٦ ـ درع من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، على اختيار مجلّة «الكلمة» كأفضل مجلّة هادفة في وسائل الإعلام ونشر الفكر الوحدوي لعام ٢٠٠٨ م، وذلك خلال انعقاد المؤتمر الدولي الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية المنعقد في طهران في الفترة ما بين ٤ ـ ٦ / مايو / ٢٠٠٨ م.

٧ ـ درع شكر وتقدير من ديوانية الملتقىٰ الثقافي بالقطيف، عن المشاركة بمحاضرة بتاريخ الأربعاء ٢٥ / يونيو / ٢٠٠٨ م.

٨ ـ درع شكر وتقدير من منتدى الوسطية في لبنان، على مشاركته في مؤتمر (دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة الوسطية)، عقد في مدينة طرابلس ما بين ٢٠ ـ ٢١ / فبراير / ٢٠٠٩ م.

٩ ـ شهادة تقدير من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، على مشاركته في أعمال المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للوحدة الإسلامية الذي عقد في طهران ما بين ١٣ ـ ١٥ / مايس / ٢٠٠٩ م.

١٠ ـ شهادة تقديرية من المهرجان الوطني للتراث والثقافة الدورة الخامسة والعشرين، بعد المشاركة في لجنة المشورة الثقافية التي وضعت البرنامج الثقافي للمهرجان المنعقد في الفترة ما بين ١ ـ ١٧ / ١٤٣١ هـ في الرياض.

١١ ـ شهادة شكر وتقدير من مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، على المشاركة في ندوة (الهوية والعولمة في الخطاب الثقافي السعودي) المنعقدة في الرياض في الفترة ما بين ١٨ ـ ١٩ / جمادى الآخرة / ١٤٣١ هـ الموافق ١ ـ ٢ / يونيو / ٢٠١٠ م.

يشتغل الأُستاذ زكي الميلاد على مشروع ثقافي له ملامحه ومكوّناته وأبعاده المحدّدة والواضحة والمميّزة. وقد تشكّل هذا المشروع وتبلور من خلال رفده بالعديد من المؤلّفات والكتابات والدراسات والمقالات، إلى جانب العديد من المشاركات والنشاطات في

نــدوات ومـؤتمرات وحـلقات دراسـية وفكـرية وأكـاديمية، بـالإضافة الى حـوارات وتواصلات.

ومن مكوّنات هذا المشروع وملامحه وأبعاده:

أوّلاً: التأكيد على قيمة الثقافة والإعلاء من شأنها وإعطائها درجة عالية من الأولوية والاستلهام منها والتخلّق بها واعتمادها كمنظور في التحليل والنقد والاستشراق. فالثقافة هي تلك الطاقة والقوّة والروح التي تبعث على التجدّد والتقدّم والنهوض، مع التركيز على الجوهر الإسلامي للثقافة، والاهتمام بأبعادها الإنسانية والأخلاقية والحضارية.

ثانياً: دراسة الفكر الإسلامي، قضاياه ومسائله ومقولاته، وهكذا تطوّراته وتحوّلاته، مساراته ومسلكياته، والتأكيد على ضرورة التواصل مع العصر، ومواكبة العلوم والمعارف، والانخراط في حركة العالم، والعناية بقضايا التجديد والتحديث والتنوير المنضبط بالقواعد والأُصول العامّة، والذي يتأطّر بالمرجعية الإسلامية.

ثالثاً: العناية بالمسألة الحضارية التي تعني: النظر إلى القضايا والظواهر والمشكلات على أساس منهج التحليل الحضاري الذي يأخذ بعين الاعتبار مشكلات التخلّف من جهة وضرورات التقدّم من جهة أُخرى. فالتخلّف من جهة والنهوض باتّجاه التحضّر مـن جـهة أُخرى، وهذا يتطلّب التأكيد على طلب العلم، وحبّ المعرفة، وتطوير مؤسّسات التعليم، والنهوض بالبحث العلمي، وتقدير العلماء.. كـما تـعني المسـألة الحـضارية: اسـتشراق مستقبلنا الحضاري في هذا العالم.

رابعاً: الاهتمام بقضايا الوحدة الإسلامية والحوار الإسلامي والتقريب بين المـذاهب الإسلامية، واعتبار وحدة الأُمّة من الضرورات المقدّسة والواجبات العليا، وأنّ مصير الأُمّة ومستقبلها الحضاري يرتبط بوحدتها وتكاملها. فالوحدة هي مصير ومستقبل، والحوار هو فضيلة وتواصل، والتقريب هو انفتاح وتكامل، والعمل على إحياء كلّ ما هـو جـامع فـي الأُمّة، ورفض خطوط الانقسام بكافّة صورها وأنماطها.

يقول عن دوره في مجال التقريب: «كنت ملتزماً بهذا النهج التقريبي والوحدوي منذ

انخراطي في هذا المسلك الفكري والديني قبل ما يزيد على ربع قرن من الزمان، وما زلت على هذا النهج ولم يتغيّر أو يتراجع، ولم أحيد عنه أو أخرج عليه، وذلك لقناعتي الراسخة والثابتة بهذا النهج، ولأنّني أرى في هذا النهج انسجاماً مع نفسي، وظلّت هذه القناعة تتنامى وتتراكم وتتجدّد مع مرور الوقت.

وفي هذا السياق نشرت العديد من الكتابات والمقالات، ولعلّ أسبق هذه المقالات مقالة بعنوان «أزمة الحوار بين الحركة الإسلامية السنّية والشيعية .. إلى متى؟»، نشرتها في مجلّة «العالم» الصادرة آنذاك في لندن سنة ١٩٩١ م.

كما نشرت بعض المؤلّفات أيضاً، مثل كتاب «خطاب الوحدة الإسلامية .. مساهمات الفكر الإصلاحي»، صدر سنة ١٩٩٦ م، وقبله كتاب «الوحدة والتعدّدية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر»، صدر سنة ١٩٩٤ م، ويتّصل بهذا السياق كذلك كتاب عن مالك بن نبي بعنوان «مالك بن نبي ومشكلات الحضارة»، صدر سنة ١٩٩٢ م.

وتجلّى هذا الاهتمام بصورة واضحة وثرية في مجلّة «الكلمة» التي صدرت سنة ١٩٩٣ م، والتي تعدّ بشهادة الكثيرين أنّها واحدة من أبرز المجلّات الفكرية الإسلامية التزاماً بنهج التقريب والوحدة، ونشرت على صفحاتها العديد من المقالات والدراسات في تدعيم هذا النهج.

إلى جانب المشاركة في العديد من الندوات والمؤتمرات المتّصلة بهذا النهج، ومنها المشاركة في اجتماع الخبراء لمناقشة مشروع استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي دعت إليه المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، وعقد في العاصمة الأردنية عمّان سنة ٢٠٠١ م، وهي الاستراتيجية التي اعتمدها المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في طهران سنة ٢٠٠٣ م.

بالإضافة إلى التعاون مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، إلى جانب نشاطات أُخرى».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

زينب الغزالي

زينب محمّد الغزالي الجبيلي : داعية إسلامية مصرية معروفة .

ولدت عام ١٩١٧ م بميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر ، وكان أبوها من علماء الأزهر الشريف. درست في المدارس ، ثمّ تلقّت علوم الدين على يد مشايخ من رجال الأزهر الكبار في علوم الحديث والتفسير والفقه .

كانت أصغر عضو في الاتّحاد النسائي المصري الذي كانت ترأسه هدى شعراوي، وتركته عندما أدركت أنّه لا يتبنّى المنهج الإسلامي الصحيح ، وأنشأت المركز العامّ للسيّدات المسلمات عام ١٩٣٦ م بالقاهرة ، وكان عمرها آنذاك ١٩ عاماً. وكان من أهمّ أهدافه : المطالبة بتحكيم شريعة الله (الكتاب والسنّة) ، وإقامة الخلافة الإسلامية . وكان لهذا المركز فروع نشيطة في أنحاء مصر كلّها ، وكان يقوم سنوياً بإرسال بعثة حجّ ، وكانت هي رئيسة هذه البعثة ، والتي كانت تتكوّن من ٣٥٠ ـ ٤٠٠ حاجّة ومحارمهنّ ، وكانت في بعثة الحجّ تتّصل بجميع الوفود الإسلامية ، وتتباحث معهم في شؤون الدعوة الإسلامية وما يجب عمله لإصلاح الأُمّة الإسلامية وإعادة الخلافة والقيادة والريادة مرّة أُخرى للإسلام .

التقت بالإمام الشهيد حسن البنّا عام ١٩٤١ م ، وبايعته على العمل معه عام ١٩٤٨ م تحت لواء الإخوان المسلمين ؛ لأنّ المبادئ كانت واحدة ، والغايات واحدة ، والفكرة واحدة .

أصدرت مجلّة « السيّدات المسلمات » سنة ١٩٥٠ م ، وصودرت هذه المجلّة عام ١٩٥٨ م .

رأست قسم الأخوات المسلمات والذي أسّسه الشهيد حسن البنّا ، وقامت بمساعدة أُسر الإخوان المسلمين ورعايتهم أثناء محنة الجماعة عام ١٩٥٤ م .

وفي عام ١٩٦٥ م ألقت الحكومة القبض عليها بتهمة العمل على قلب نظام الحكم في قضية الإخوان المسلمين ، وطالبت النيابة بإعدامها ، وصدر الحكم بسجنها لمدّة ٢٥ عاماً مع الأشغال الشاقّة المؤبّدة ، وتعرّضت لفترة تعذيب رهيبة قبل صدور الحكم في السجن

الحربي، سطّرت بعض فصولها المأساوية في كتابها الشهير «أيّام من حياتي». وبوساطة من الملك فيصل ملك السعودية في السبعينات صدر قرار من الرئيس المصري محمّد أنور السادات بالإفراج عنها بعفو شامل، وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٧١ م، أي: بعد ستّ سنوات من السجن.

عُرض عليها إصدار مجلّة «السيّدات المسلمات» باسمها كرئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهرياً على ألّا يكون لها شأن بما يكتب في المجلّة، فكان جوابها: «مستحيل أن تستأنف مجلّة السيّدات المسلمات صدورها من مكتب المخابرات لتنشر الفكر العلماني»، وقالت: «إن شاء الله لن يكون عملنا إلّا للإسلام، ولن نموّه ولن نضلّل».

خرجت من السجن لتمارس دورها في الدعوة إلى الله بإلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات والندوات في داخل مصر وخارجها. ومن بين الدول التي زارتها داعية إلى الله: السعودية، باكستان، الكويت، الإمارات العربية المتّحدة، الأُردن، الجزائر، تركيا، السودان، الهند، ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، أمريكا، كندا، النمسا، أسبانيا.. وغيرها.

توفّي زوجها الاقتصادي الكبير الحاجّ محمّد سالم سالم أثناء وجودها في السجن عام ١٩٦٦ م، ولم يرزقها الله بذرّية، وهي تعتبر كلّ أبناء المسلمين أبناءها.

تقول عن نفسها: «تأثّرت بشخصيات كثيرة، وحسن البنّا هو الأكثر تأثيراً في نفسي وضميري، وحسن الهضيبي، وعمر التلمساني، وحامد أبو النصر».

من مؤلّفاتها: أيّام من حياتي، نحو بعث جديد، مع كتاب الله، مشكلات الشباب والفتيات.

وكانت تقول: «إنّني أرى أنّ الشيعة الجعفرية والزيدية مذاهب إسلامية مثل المذاهب الأربعة لدى السنّة، وعلى عقلاء السنّة والشيعة وعلى قيادات السنّة والشيعة أن يجتمعوا في صعيد واحد وأن يتفاهموا وأن يتعاونوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضهم ببعض».

وقد سئلت في إحدىٰ المرّات عن رأيها في مشكلة الفرقة بين المذاهب الإسـلامية، فأجابت قائلة: «لا شكّ أنّ هذه مؤامرة صهيونية.. وإنّني أدعو إلى اجتماع علماء الإسلام من كلّ المذاهب للتصدّي لتلك المؤامرة الصهيونية. ولي أنا شخصياً تجربة في هذه المسألة، فقبل عام ١٩٥٢ م كان هناك جماعة التقريب بين المذاهب والتي كان يشرف عليها الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمّي، وقد شاركت في عمل هذه الجماعة وبمباركة الإمام حسن البنّا الذي كان يرىٰ أنّ المسلمين سنّة وشيعة أُمّة واحدة، وأنّ الخلاف المـذهبي لا يـفرّق وحدة الأُمّة. وكان الإخوان المسلمون متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أنّ الإسلام يد واحدة، إله واحد، كتاب واحد، رسول واحد، حلال واحد، حرام واحـد، نـظام سـياسي واحد، اقتصاد واحد، نظام اجتماعي واحد، دولة واحدة.. من أجل تطهير العالم من الظلم والزور والخديعة التي تمارسها القوّتان الكبريان. ويجب أن يكون الشيعة والسنّة على قلب واحد».

(انظر ترجمتها في: عظماء الإسلام: ٤٩١ ـ ٤٩٢، وركـبت السـفينة: ٣٨٧، المـتحوّلون ٧: ٤٥، الشيعة في مصر لصالح الورداني: ١٥٧).

❊ ❊ ❊

﴿حرف السين﴾

ساجد علي النقوي

السيّد ساجد علي بن محمّد بن علي بن سبط علي النقوي البخاري: عالم باكستاني معروف، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٩٤٠ م في قرية «ملهو والي» التابعة لمحافظة أتك الباكستانية، ودرس في المدارس الحديثة في مدينة مُلتَان، ودرس المقدّمات في مدرسة مخزن العلوم الجعفرية، وبعد إكمال دراسته فيها أصبح أُستاذاً في المدرسة نفسها، وكان من أساتذته يومئذٍ: عمّه السيّد گلاب علي شاه النقوي، والشيخ محمّد حسين الفيصل آبادي.

وفي سنة ١٩٧٧ م هاجر إلى النجف الأشرف، فدرس العلوم الأدبية العربية عند الشيخ محمّد علي المدرّس الأفغاني، واللمعة عند الشهيد السيّد أسد الله المدني.. كما حضر دروس السطوح عند: الشيخ مجتبىٰ اللنكراني، والشيخ ملّا صدرا البادكوبي، والميرزا جواد التبريزي. وبعدها حضر بحث السيّد الخوئي فقهاً، وفي أوّل سنة ١٩٧٥ م حضر بحوث المرجع الشهيد السيّد الصدر، وبقي ملازماً لهذه الدروس حتّى غادر مدينة النجف الأشرف في أواخر عام ١٩٧٦ م نتيجة لضغوط الجهاز الحاكم، متوجّهاً إلى قم المشرّفة، وحضر درس: السيّد محمّد رضا الكلبايكاني، والميرزا جواد التبريزي.

وفي سنة ١٩٧٨ م غادر مدينة قم متوجّهاً إلى باكستان، وسكن في راولبندي، وأصبح عميداً لمدرسة آية الله الحكيم، وهو مسؤول عن مؤسّسة الشهيد الصدر التي افتتحت في باكستان، وللمشار إليه علاقة حميمة مع السيّد الشهيد الصدر، كما ترجم كتاب «لمحة فقهية عن الدستور الإسلامي» للشهيد الصدر إلى اللغة الأوردية.

ويتميّز السيّد النقوي بروح تقريبية عالية، وقد حضر وشارك في عدّة مؤتمرات

وندوات بهذا الشأن.

(انظر ترجمته في: تلامذة الشهيد الصدر: ١٠١ ـ ١٠٢).

سالم بو حاجب

سالم بن عمر بو حاجب البنيلي: شخصية تونسية معروفة، ومصلح إسلامي مشارك في العلوم.

ولد سنة ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ) في قرية بنيل الساحلية قرب (المنستير) في تونس، وطوى المراحل الدراسية، وتولّى التدريس في جامع الزيتونة ثمّ الفتيا سنة ١٣٢٣هـ، ثمّ عيّن كبيراً لأهل الشورى المالكية.

يقول في كتابه «الخطب المنبرية» حول تربية الأبناء: «الحمد لله الذي أسّس مصالح العباد على وسائل التواصل، وربط عمران الأرض بسلاسل التناسل، فركّب في الطبيعة ما يحمل على اتّصال الذكر بالأُنثى، وميّز ما يُثني عليه من طُرقه وما يُنثى؛ إذ مِن حِكَم حفظ الأنساب تحقيقُ الوصلة بين الأجنّة والأصلاب، وخلوص المعادن الإنسانية وإن كان أصلها من تراب، والمعدن إذا اتّحد سهل الالتحام، كما يُشاهد من تراحم ذوي الأرحام؛ إذ الفرع الحقيقي ينجذب بالطبع إلى أصله، فيقوّم به كما يتقوّم الجنس بفصله، وكما يتدعّم ذباب السيف بنصله، فسبحانه من قادر حكيم، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأرشده أن يسلم فيما يجب لأصله وفرعه النهج القويم».

وقضت الخطبة تُحدِّث في مثل هذا الأُسلوب عن حقوق الأبناء على الآباء، وحقوق الآباء على الأبناء، ومن آرائه في هذا الصدد:

«ويجب أن يُمنع الولد في أوّل الأمر من خلطة الناس؛ لأنّها مجلبةٌ لكلّ شرّ وبأس، ثمّ إذا عرف الخير والشرّ، وصار بحيث لا يشتبه عليه الفاجر بالبرّ، ولا تروج عليه الخدائع والمكر، يؤذن له في مخالطة ذوي الرشد والحياء، ويتباعد عمّن فوقه من الأغنياء، ومن تحته من الأغبياء، ولا بأس أن يُدرّب على تنمية المال، والتوصّل لاكتسابه من طرق الحلال، ويذمّ التداين؛ إذ يجلب بين الأجنّة العداوات والتضاغن، ولأن تصبر عليك نفسك

التي بين جنبيك أهون وأحقّ من صبر الناس عليك.. وممّا يذمّ للصبي صرف الهمّة لتحسين اللباس والطعام، والتقدّم على من هو أسنّ منه في الكلام. وكان من تربية لقمان لابنه: يا بني، إن كنت تشكّ أن تموت فاجتهد ألّا تنام، وإن كنت تشكّ أن تستيقظ فاجتهد ألّا تستيقظ بعد المنام. يعني: كما أنّك تنام فلا بدّ أن تموت، وكما أنّك تستيقظ من نومك فلا بدّ أن تُبعث، ومثل هذا وإن كان من قياس التمثيل الذي لا يُفيد القطع بالدليل، لكنّه يغرس في النفوس عقيدة فطرية، تجري مَجرى الجِبِلّيّات الجبرية».

يقول الدكتور البيّومي معلّقاً: «هذا بعض ما كتبه سالم في كتابه الوحيد الذي نشره مطبوعاً، ولعلّه لم يطبعه إلّا ليؤدّي رسالة المنبر في عصر لم يكن فيه خطيب منبري يجري على سَنَنٍ صحيح؛ إذ كانت موضوعات الخطب كلّها تحذير من النار ووصف لهول القبر وعذاب جهنّم، وتصوير للأساطير الإسرائيلية، ودعوة للزهد والانصراف عن الحياة، وهي غفلةٌ لا أدري كيف وقع فيها هؤلاء الخطباء! ولم يكن الأمر كذلك في تونس وحدها بل في كلّ بقاع العالم العربي حين فُهم الدين على غير وجهه الصحيح، فاضطرّ سالم إلى أن يُنبّه الناس إلى العمل الصالح في الحياة، وإلى أنّ الإسلام دين الكرامة والفخر والنهوض، وله من الفضائل ما يجب أن يتردّد دون انقطاع، وله من رعاية الإنسان ابناً وأباً وجدّاً ما يضمن تعاون الأُسرة التي هي بارتفاعها أداةٌ لرفعة الأُمّة! في هذه المعاني جالت خطب سالم، وقد أسلفنا أنموذجاً منها يتحدّث عن رعاية الآباء للأبناء.

وفي المصلحين قومٌ لم يجعلوا القلم أداة إصلاحهم، بل انطلقوا إلى الإصلاح العلمي في الدروس وفي المجتمعات الخاصّة والعامّة، نعرف منهم نماذج لم تكتُبْ كثيراً، ولكنّها فعلت كثيراً، نعرف منهم في هذا العصر جمال الدين الأفغاني الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، ونعرف منهم حسن البنّا الذي سيقول التاريخ ـ أو قاله ـ: إنّه أبعد أثراً في نضاله الفسيح الممتدّ من جمال الأفغاني، ونعرف منهم أخيراً سالم أبا حاجب الذي ترك ذكره في قومه وعلمه في صدور تلاميذه، فدأبوا يذكرونه بالفضل، ويُكرّرون مواقفه، ويتحدّثون عن جهاده السياسي جوار الحديث عن مجده العلمي.

لقد كان الأُستاذ محمّد الخضر حسين في مصر كثير الحديث عن أُستاذه سالم، فهو يعطّر مجالسه بذكره، كما يشير إلى مواقفه في مقالاته.. ومن حديث الخضر وحديث السيّد محمّد رشيد رضا عنه في «المنار» عرفت مصر سالم أبا حاجب معرفة أنزلته منزلة الاعتزاز.. أذكر أنّ الخضر كتب مقالاً عن الحركة العلمية في تونس، مقالاً مستفيضاً، ختمه بالحديث عن ثلاثة من علماء الزيتونة تلقّى عليهم العلم في الجامع الأعظم، هم: سالم أبو حاجب، وعمر بن الشيخ، ومحمّد النجار.. فقال عن الأوّل: وأُستاذنا أبو حاجب حضرت دروسه عندما أخذت في قراءة الكتب العالية، فشعرت بأنّي دخلت في مجال أفسح للنظر وأدعى للفكر؛ إذ لم يكن الأُستاذ ممّا يقتصر في مناقشته على عبارات المؤلّفين، بل كان يتجاوزها إلى نقد الآراء نفسها، ويتجاوز النقد إلى الوقوف على أسرار المباحث دينية كانت أم عربية، ولا يترك في درس الكتب الشرعية أن يعقد الصلة بين أُصول الإسلام والمدنية الحاضرة...».

وأقوى ما ساعد على امتداد فضل الشيخ أنّه اتّصل بحركة الإصلاح الديني في العالم العربي؛ إذ صادق الشيخ محمّد عبده واحتفل به احتفالاً رائعاً حين زار تونس مرّتين، وكانا في مجلسهما الخاصّ يتذاكران فضل جمال الدين الأفغاني ويُعلنان ما يعرفان عن جهاده الموقظ الباعث، وفي المجلس العامّ بين العلماء كان الشيخ عبده يعرض حالة مصر العلمية وما قام به من الاقتراحات الإصلاحية في التعليم الأزهري، فيرى الشيخ سالم يُعلن أنّ الزيتونة في حاجةٍ إلى تنفيذ هذه الاقتراحات؛ لأنّ التعليم الديني في العالم الإسلامي في حاجة إلى وثبة طافرة.. وقد مات الشيخ محمّد عبده دون أن يشهد ثمار غرسه، أمّا الشيخ سالم فقد امتدّ به الزمن حتّى رأى الخطوات المتتابعة في إصلاح التعليم الزيتوني، وحتّى رأى نفراً من تلاميذه أُشربوا روح الإصلاح، وعملوا على تحقيق تعاليمه، ومنهم من وصل إلى مشيخة الإسلام، فصار أداة تنفيذ عملي مستنير.

وكان من أبرز صفاته العلمية أن يُحاول بالتي هي أحسن، وأن يغضّ النظر عن تطاول الكبار ممّن يزعمون لأنفسهم المعرفة في كلّ شيء، فقد كان العلّامة اللغوي الشهير محمّد

ابن محمود بن التلاميذ الشنقيطي وقع في جدل حادّ حول صحّة عبارة الإمام مالك القائلة : « وعليه هدي بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلّا هي » مع بعض علماء المدينة ، ورأى هؤلاء أن يستأنسوا برأي الشيخ سالم أبي حاجب عالم تونس الأشهر ، فوقف إلى جانبهم ، حين قرر أنّ الحقّ في جانبهم وأنّ الإمام مالك وإن كان إماماً في الفقه فليس من أرباب السليقة العربية .

يقول الدكتور البيّومي معلّقاً : « وكلام أبي حاجب حقٌ ؛ لأنّ علماء اللغة قد أجمعوا على أنّ عهد السليقة العربية قد انتهى بانتهاء الدولة الأُموية ، وأصبح بشّار بن برد ومن جاء بعده لا يحتجّ بشعرهم ، ومالك ﷺ قد عاش إلى عهد الرشيد ، فليس إذن ممّن يُحتجّ بقوله اللغوي ، ولكن الشنقيطي حمل حملةً شعواء على الشيخ ، فبعد أن وصفه بالشيخ الجليل والأُستاذ النبيل تورّط في وصفه بالجهالة والغفلة إلى ما ينحو هذا النحو .. وإعراب (هي) مفعولاً به هو موضع الخطأ ؛ لأنّ ضمير المفعول به ضمير نصب لا رفع ، ولكن الشنقيطي يُفسّر فعل (يجد) بمعنى يغني ، فتكون فاعلاً ! وإذاً فلكلّ وجهه ، وليس من شأن المخالف أن يُسفّه مخالفه إذا اعتمد على سندٍ نحوي ، ولكن هكذا فعل ابن التلاميذ ! » .

ومن الجدير بالذكر أنّ المترجم انتقل وهو في الثامنة من عمره إلى تونس ، وكان بها عمّه إبراهيم ، وهو أُستاذ فاضل يقوم بتعليم أولاد الوزير القائم لهذا المعهد ، فرعاه بعنايته ، ودَفع به إلى طلب العلم في كُتّاب (باب منارة) بتونس ، فكان ذلك تمهيداً لالتحاقه بالزيتونة حين كانت تسعدُ بعلماء أعلام مثل شيخي الإسلام محمّد بن الخوجة ، وإبراهيم الرياحي ، ومحمّد بن معاوية ، ومصطفى بيرم ، وغيرهم .. ومع ابتعاد الزيتونة نسبياً عن علوم اللغة فإنّ الطالب الناشئ وجد من نفسه كَلَفاً بمعرفة الألفاظ الغريبة ، ولم تكن في « القاموس المحيط » إذ ذاك غير نسخة في قصر الوزير ، وكانت من الرعاية الخاصّة بحيث لا يسمح لأحد باستعارتها ، ولكن سالم بوساطة عمّه قد اهتدى إليها وأكبّ عليها حفظاً واستظهاراً ، فكان تضلّعه في معرفة الغريب ميزة تُحسب له بين الشيوخ والتلاميذ معاً ، وكذلك أخذ تدريس كتاب « المطوّل » للسعد التفتازاني في علوم البلاغة ، وهو كتابٌ لا يشرئبّ له غير

تلاميذ المرحلة العالية ؛ لأنّه من العمق والغوص والاستطراد والتعقيد أحياناً بحيث لا يصبر عليه غير الشيوخ ! أمّا الذي أذكى في نفسه حبّ الأدب الخالص إذكاءً ترتفع حرارته كثيراً فهو أديب العصر محمود قابادو ، حيث وثّق صلته به ، وكان محمود قابادو مؤسّس نهضة أدبية رائعة في البلاد ، وقد دعا إلى تعلّم اللغات الأوروبّية ، ودراسة العلوم الحديثة ، فأُعجب الأُستاذ بتلميذه ، وتطارحا الشعر على صفحات الجرائد ، وعظمت ثقة الشيخ سالم بنفسه ، فكان يحضر مجالس الشيوخ بالزيتونة ، ويسمع ويعارض ، ومنهم من ضاق به ذرعاً ، ومن لمح فيه بوادر اليقظة الفكرية فاستدناه وقرّبه ، ومنهم الشيخ محمّد بيرم الذي قدّمه إلى رجال الدولة وكبار الساسة ، فعقد صلته بالجنرالات خير الدين وحسين ورستم ، وهم ذوو الأمر في البلاد والقائمون على الإصلاح الإداري .

كان خير الدين التونسي أبرز مصلح تونسي ظهر في القرن التاسع عشر ، وحين وضع قواعد الإصلاح الإداري والسياسي وانتقل بها من حيّز الاقتراح إلى حيّز التنفيذ ، خاف أن يجد من شيوخ الزيتونة معارضة قوية ، ولهؤلاء صوت مسموع في الأُمّة ، ولا بدّ أن يَحوز رضاهم التامّ كي تمتنع الثوائر في الداخل ، وَحسبُه ما يلقى في الخارج من اعتراضات ، ولا بدّ لإقناع الشيوخ من منطقٍ ديني يؤمنون بنصوصه ويعتقدون قواعده ، وتلك مهمّة سالم أبي حاجب ، حيث انبرى يكتب في الصحف عن سعة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان بما تتضمّن من قواعد عامّة تندرج تحتها جزئيات كثيرة ، كما أوضح أبواب الأُصول ، مثل : سدّ الذرائع ، والعرف ، والمصالح المرسلة ، والاستحسان . وضَربَ لكلّ من هذه الأُمور أمثلة من الواقع العلمي ، متحدّثاً عن الشورى وتطوّر نظامها بحيث لا تُخالف الجوهر المراد عن مشروعيتها ، كما أمدّه التاريخ الإسلامي بأمثلة تتّفق مع ما يُراد من الإصلاح الداخلي من التنظيمات الإدارية والتشريعات الضرائبية .

وقد فُوجئ بعض العلماء بهذه الآراء ، فعكفوا على كُتبهم يحاولون الردّ عليها ، ولكنّهم لم يجدوا القدرة الأُسلوبية على بسط ما يريدون ؛ لأنّ البيان لا قيمة له إذا لم يؤيّده منطق صائب ، أو دليل ملزم من كتاب أو سنّة ، لذلك سكت من سكت عن ألم ، وأحسّ الشيخ أنّ

شبيبة الزيتونة من الطلّاب هم معقد الرجاء، فجعل يعقد المجالس العلمية معهم ليخرج بهم عن دائرة المقرّرات العلمية إلى فضاء الإصلاح الإداري الذي يسير فيه خير الدين على هدى وبصيرة، كما أخذ يقرأ عليهم فصولاً من كتاب «أقوم المسالك» الذي نشره خير الدين ليعلن رأيه العلمي في إنهاض الشعوب الإسلامية بعامّة، والشعب التونسي بخاصّة.. وبعض الناس يقول: إنّ الشيخ سالم هو الذي كتب فصوله، وهذا بعيد بعيد على حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيّومي؛ لأنّ عون الشيخ قد وقف عند تهيئة النصوص الشرعية الدالّة على الإصلاح والآمرة به، وليس هذا بالشيء اليسير، فكتب الفقه حينئذٍ كانت بعيدة كلّ البعد عمّا يتّجه إليه المصلحون؛ لأنّها اختيرت من المؤلّفات المتأخّرة التي اكتفت بشرح المتن وكتابة الحاشية، وحَرفت الهمم إلى فَهْم عبارات المؤلّف والتعبّد بما قال، حتّى إذا وُجد خطأٌ واضحٌ فلا بدّ من احتيال تصحيح له، وقد كثر الطرق على وجوب الإصلاح حتّى أصبح من المقرّر أنّ الشريعة لا تتعارض مع الإصلاح، وأنّ التنظيمات ضرورية للوطن التونسي ليلحق بدول أوروبّا المتحضّرة.

كما اتّسع مجال سالم في الكتابة، حتّى شهد له أحمد فارس الشدياق حين قرأ فصولاً من بيانه النقدي، إذ كان حكماً بين الشدياق وخصومه، فأبان عن مقدرة لغوية فائقة، ساعده عليها استظهاره للقاموس في عهد الصبا الأوّل، وقد بلغ من إعجاب أحمد فارس بالشيخ أنّه قال لخير الدين: «إنّ سالم أبا حاجب ليس في المنزلة التي يستأهلها، وإنّ النهضة لن تبلغ مرتقاها دون أن يكون من أكبر دعاتها البارزين»، وهذا ما قاله أُستاذه الشاعر المصلح محمود قابادو، وما أكّده محمّد بيرم وأحمد كريم، وكان خير الدين يرى ذلك، ويخشى أن يثب بصاحبه إلى ما فوق مستوى أساتذته، فتثور عليه الثوائر، ولكنّه أمام إجماع هؤلاء الكبار دفع به إلى رياسة المجلس البلدي، ثمّ اختاره عضواً بارزاً في لجانٍ عدّة، وجدّ من الملابسات ما أوجب عزل خير الدين، فانقطعت حركة الإصلاح إلى حين، وحاول الشيخ سالم أن يُسالم من خلفوه من الجنرالات، ولكنّه كان يحفظ أمامهم مقام خير الدين ويردّ غيبته، وتلك شجاعة خلقية كريمة؛ لأنّ أكثر الوصوليّين قد أخذوا ينبزون

المصلح الكبير تقرّباً لغرمائه من ذوي النفوذ، وهو ما تحاشاه عالم فاضل له مثل أخلاق الشيخ سالم.

ومن أظهر المؤثّرات القوية في حياة الشيخ سالم وفي اتّجاهه الإصلاحي ما قام به من الرحلات إلى أوروبّا، حيث مكثَ ستّ سنوات في إيطاليا، ولم يعتزل الناس في مدينة الفنون الراقية، ولكنّه بادر فتعلّم اللغة الإيطالية، وتنقّل في العواصم الأوروبّية، ومن بينها باريس التي قابل فيها أعظم دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي، وتجاوبت الألسنة معلنةً ما تكنّ الضمائر من شوقٍ للنهوض العاجل بالأُمّة الإسلامية، ولعلّ من آثار الشيخ النافعة في رحلاته ردوده المتتابعة على ما يثيره أعداء الأُمّة الإسلامية من أراجيف حول جمود الإسلام وتقهقره وأنّه السبب الأوّل في تأخّر المسلمين، وهي شبهات قاومها جمال الدين ومحمّد عبده في باريس، وردّد محتواها سالم أبو حاجب في روما.. ومن أظهر ما أفاض فيه الشيخ دفاعه عن الإسلام فيما يعتبره الأوروبّيون مأخذاً جوهرياً مثل الطلاق، والرقّ، واهتضام حقوق المرأة في زعمهم، وهي شبهات تتكرّر بمناسبة ودون مناسبة، ويقوم أمثال سالم أبي حاجب بالردّ عليها في قوّة وإقناع، ولكنّها بعد أن تجد هذا الدفاع الصامد تُذاع من جديد على أيدي أشباه المبشّرين من المستشرقين؛ لأنّ الهدف ليس هو تجلية الحقائق، ولكنّه الافتراء على الإسلام بتكرار ما بان بطلانه واتّضح عواره، وما زلنا إلى اليوم بعد قرابة قرنٍ ونصف نجد شبهات الأمس تتردّد في كتب اليوم، وكأنّها حقّ قام عليه الدليل!

وقد عاد الشيخ سالم بعد ستّة أعوام إلى عرينه بتونس ليتولّى مناصب علمية بارزة، وأهمّها رتبة التدريس، وهي أعظم درجةٍ تربوية في المعهد الديني العريق، وصاحبها يصير من أكبر العلماء دون منازع، وقد أثبت الشيخ أصالته العلمية في دروسه المتتابعة، تلك التي لم تقتصر على طلّاب الزيتونة، بل حضرها رجال السياسة والصحافة والقضاء، وكأنّه بهذه الدروس يحذو حذو الإمام محمّد عبده في دروس التفسير التي كان يلقيها بالرواق العبّاسي بالجامع الأزهر مرّتين كلّ أُسبوع، حيث كان الحضور من غير الأزهريّين أكثر وأوفى، وبهذا الصيال الفكريّ المشافه كوّن الرجلان العظيمان صفوة من خيرة التلاميذ في مصر وفي

تونس، ومنهم من وصل إلى المناصب العليا في الإدارة والسياسة والقضاء، ولذلك من الآثار القوية في نهضة البلاد ما لا ينكره إلّا جحود عنيد.

وكان من حظّ الزيتونة أنّ الشيخ قضىٰ في رحابها خمسة وستّين عاماً مدرّساً وأُستاذاً، وهي مدّة لم تتح لغيره، وقد ساعدت على إعداد أفواج كثيرة من الطلّاب صاروا علماء من بعده، منهم من سار على نهجه، ومنهم من جاوزه في تلقّي علوم إدارية وقانونية أهّلته ليكون رجل إدارة وولاية ينتفع به في شتّىٰ مرافق الحياة العالية.

وقد شرح الشيخ لطلّابه كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي، كما شرح كتاب «المزهر» للسيوطي لأوّل مرّة بالزيتونة، وحين أرجف قوم بأنّه يتجافى كتب العلم الأصلية لصعوبتها عمد إلى «المطوّل في البلاغة» للسعد التفتازاني فشرحه في سنوات عدّة، كما شرح كتاب «المغني»، وهما عمدة البلاغة والنحو، فبرز في شرحهما أتمّ تبريز.. وقد نافس الشيخ عمر ابن الشيخ في شرح كتاب عضد الدين الإيجي فلم يقصّر عنه، على أنّه رأى أن يتّجه بالتعليم إلى مدى أفسح من الزيتونة، فساعد خير الدين في إنشاء «الصادقية» على نمط «دار العلوم» بمصر، فمع اهتمام الصادقية بعلوم اللغة والتشريع أضافت العلوم الحديثة إلى مقرّراتها، فكانت خطوة تالية للزيتونة، وطبيعيٌّ أن يغضب بعض الجامدين لإنشاء الصادقية ويعدّونها مزاحمة للزيتونة لا مكمّلة لها، وهذا ما نبّه إلى خطره الشيخ سالم، فدعا شيوخ الزيتونة النابهين للتدريس بالصادقية ليروا كيف يحتفل المعهد الجديد بتراث الإسلام الخالد كما تحتفل الزيتونة.

وقد نجحت الصادقية في تكوين جيل علمي ناهض، فأدّى ذلك إلى تطوير الزيتونة في مناهجها وطرق تدريسها، فاشتملت بها المناهج لأوّل مرّة على الرياضيات والطبيعيات، كما نظّمت أعمال الامتحان، ومراقبة الحضور والانصراف بالنسبة للأساتذة والطلّاب، وتلك إحدى ميزات التنافس العلمي بين المعاهد المختلفة، حيث يأخذ كلّ معهد من غيره أحسن ما لديه!

وتابع الشيخ إصلاحه التعليمي، فسعى إلى إنشاء «الخلدونية» مع جماعةٍ من محبّي

التقدّم الفكري، فافتتح هذا المعهد الجليل في حفلٍ مشهود حضره النابهون من رجال الثقافة والسياسة، وكان أوّل درس به هو درس الشيخ سالم أبي حاجب، حيث ألقى محاضرة ضافية بدأها بالآية الكريمة: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ (سورة البقرة: ٣١)، مبيّناً فضل التعليم وسبق أوروبّا إلى النشاط الفكري حتّى سادت الكون، وموضّحاً أنّ العلوم الحديثة سلسلة في حلقات متّصلة بدأها العرب في عصورهم الزاهرة، فليست وافدة من الغرب، ولكنّها ملك الإنسانية جميعاً في المشرق والمغرب.

ولم تكن الريح رخاء بالنسبة لإنشاء «الخلدونية»، بل وجدت المعارض، وهذه سنّة الحياة في تطوّرها البطيء والسريع، ولكنّ الأُمور استقرّت من بعد، حين خلصت النفوس، وابتعدت الأهواء. وأكبر ما وُجّه إلى الشيخ سالم من نقد أنّه أقرب إلى علوم الغرب منه إلى كتب التراث، وهي فرية تدحضها دروسه العلمية المشار إليها من قبل، والحقّ أن يقال: إنّه عمل على أن يصل الشرق بالغرب، إذ لا يستطيع الشرق أن يُواجه الاحتلال الاستعماري إلّا بسلاح العلم، وإذا كانت هذه المسألة من البدهيات اليوم فقد كانت في عهد الشيخ من الغرائب العويصة التي يُلتمس لها أدقّ الحلول على حدّ تعبير الدكتور البيّومي.

وفي سنة ١٩٢٤م لقي الأُستاذ سالم ربّه بعد كفاح دائب وجهد جاهد، وكان معتزلاً لعدّة سنوات يزوره طلّابه من الأساتذة الكبار بعيداً عن حلقات الدرس التي لم يستطع النهوض بها في شيخوخته المباركة، وقد تردّد منعاه في العالم الإسلامي جميعه، ففاضت الصحف مؤبّنة راثية، وأُقيمت حفلات التقدير في أكثر من مكان، وهكذا تكون عقبى العاملين.

(انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: ٤٢٦ ـ ٤٢٨، الأعلام الشرقية ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، الأعلام للزركلي ٣: ٧١، معجم المؤلّفين ٤: ٢٠٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ١٤٤ ـ ١٥٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٢٦٦ ـ ٢٦٧، نثر الجواهر والدرر ١: ٤٥٨ ـ ٤٦٠).

سالم السيابي

سالم بن حمود بن شامس بن سليم بن خميس السيابي السمائلي: من أبرز علماء

الإباضية بسلطنة عمان.

ولد سنة ١٩٠٨ م في بلدة غلا إحدى ضواحي مسقط، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وتعلّم مبادئ علوم العربية، وأخذ علومه الفقهية عن الفقيه خلفان بن جميل السيابي والشيخ أبي عبيد حمد بن عبيد السليمي والفقيه محمّد بن عبدالله الخليلي.

كان في بادئ أمره مدرّساً في مدينة بوشر من البلاد العمانية، ثمّ صار قاضياً فيها، وقضى تسع سنين في وظيفته هذه، ثمّ ولّاه الإمام الخليلي بلدة نخل لمشاغبات واضطرابات حلّت بها، فعاش فيها تسع سنين أيضاً والياً وقاضياً ومرشداً ومدرّساً، ثمّ نقله الخليلي إلى ولاية جعلان، ثمّ ولّاه السلطان سعيد بن تيمور بلدة السيب. ومن بعد ذلك نقله إلى محكمة الأجانب وجعله شريكاً في القضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى العمانية، ثمّ نقله السلطان قابوس بن سعيد إلى لجنة تحقيق الكتب بوزارة التراث القومي والثقافة.

أمضى جلّ حياته مكبّاً على العلم والأدب والتاريخ بحيث زادت مؤلّفاته على السبعين، والتي منها: إيضاح المعاني، تاريخ القواسم، أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، العقود المفصّلة في المسائل الموصلة، مطالع الأقمار في مقاصد الأقمار، إرشاد الأنام في الأديان والأحكام، العنوان في تاريخ أهل عمان، كتاب في السلوك، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، مقاصد الأبرار على مطالع الأنوار، معالم الإسلام في الأديان والأحكام، طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، عمان عبر التاريخ، القول المعتبر في أحكام صلاة المسافر، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، العرى الوثيقة في شرح كشف الحقيقة، جوهر التاريخ المحمّدي، أغلى التحف في أُصول الشرف، العقود المنظمة في الخيل المسوّمة، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز.

كان موصوفاً بالسماحة والكرم وحسن الأخلاق وشرف النفس ونقاء السيرة والسريرة وشدّة الذكاء.

توفّي سنة ١٩٩٣ م.

(انظر ترجمته في: شخصيات من الخليج: ١٩٧ ـ ٢٠٢، إتمام الأعلام: ١٦٢، معجم الشعراء للجبوري ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

سالم مفتيج

سالم مفتيج البوسنوي: رئيس مجلس العلماء بيوغسلافيا السابقة.

ولد سنة ١٨٧٧ م في سراي البوسنة، وتخرّج من مدرسة القضاء الشرعي (مكتب النوّاب) في بلاده، ثمّ سافر إلى تركيا طلباً للعلم، ولمّا عاد إلى بلاده عيّن مفتياً، ثمّ انتخب رئيساً لمجلس العلماء وعضواً في مجلس الشيوخ اليوغسلافي. وفي أيّامه أصلح حال الأوقاف والمدارس الدينية وأنشأ مدارس جديدة للمسلمين. وهو أوّل مَن فكّر في إيفاد البعثات العلمية إلى الأزهر الشريف على حساب الأوقاف.

كان عضواً في المؤتمر الإسلامي العام في فلسطين سنة ١٩٣١ م، وانتخب وكيلاً في مؤتمر مسلمي أُوربّا المنعقد في جنيف سنة ١٩٣٥ م.

يقول عنه زكي محمّد مجاهد: «كان من العلماء العاملين المحبّين للعلم والعمل».

توفّي سنة ١٩٣٨ م.

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ١: ٣٠١).

سعيد رمضان

سعيد رمضان: خطيب وداعية مصري.

ولد في مصر سنة ١٩٢٦ م، ونشأ بطنطا، ودرس الحقوق بجامعة القاهرة، ونال الدكتوراه من جامعة كولون.

يعدّ من مؤسّسي حركة الدعوة الإسلامية في قارة أوروبّا، وتولّى خلال حياته العديد من المناصب المهمّة، وكان الأمين العامّ للمؤتمر الإسلامي العامّ لبيت المقدس سنة ١٩٥٣ م، وأصدر مجلّة «المسلمون»، ورحل إلى أوروبّا، فأنشأ المركز الإسلامي في جنيف، وبها توفّي سنة ١٩٩٥ م، فنقل جثمانه إلى مسقط رأسه في مصر.

له عدد من الكتب في القانون الإسلامي.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٦٨ ـ ١٦٩، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٣٢ ـ ١٣٦).

سعيد شعبان

سعيد شعبان: عالم لبناني، وداعية تقريب.

ولد في البترون، وهي مدينة تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسّط جنوب مدينة طرابلس شمال لبنان، في صيف سنة ١٩٣٠م، وتلقّى فيها الدراسة الابتدائية في مدارس المقاصد الإسلامية، ثمّ انتقل سنة ١٩٤٦م مع عائلته إلى طرابلس، حيث كان يعمل والده، فتابع دراسته فيها في مدرسة الفرير.

درس بعد ذلك في دار التربية الإسلامية ـ القسم الشرعي مدّة أربع سنوات، وحصل على شهادة الثانوية الشرعية، ثمّ درس الميكانيك وعمل في مصنع للميكانيك، وكان مسؤولاً عن قسم الخراطة.

وفي عام ١٩٥٣م سافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، وأتمّ دراسته سنة ١٩٥٨م حاصلاً على إجازة في الشريعة واللغة العربية، ودبلوم في علوم التربية.. وكان من زملائه في الدراسة: الأُستاذ عمر مسقاوي، والشيخ ناصر الصالح، والشيخ مفيد شلق، والشيخ أحمد بشير الرفاعي.. وفي تلك الفترة اندلعت في لبنان حرب أهلية عرفت بما يسمّى بثورة شمعون أو ثورة ١٩٥٨م.

كان له شرف الدفاع عن مصر زمن العدوان الثلاثي، فكان من ضمن التعبئة العامّة التي استنفرت لذلك، وكان في وحدة حماية الجسور، عايش نهضة الإخوان المسلمين في مصر، وحزن عندما نكّل بهم، وكتب في ذلك شعراً وجدنياً مؤثّراً.

بعد تخرّجه سافر إلى المغرب، وتعرّف على المفكّر الإسلامي الكبير مالك بن نبي، ثمّ استقرّ في مدينة تطوان، حيث درّس مادّة التاريخ، وعرّب مع مجموعة من زملائه الأساتذة تاريخ المغرب العربي من العصر الحجري إلى فترة محمّد الخامس من الإسبانية، كما درّس

تاريخ الحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي السياسي، وتاريخ الثورة الفرنسية، وتاريخ المغرب، ووضع ٤ كتيّبات لطلّاب المغرب في هذا الإطار.

بعد ذلك درّس التربية وعلم النفس وأُصول التدريس في دار المعلّمين، إلى جانب تدريس اللغة العربية وآدابها.

انتقل عام ١٩٦٠م إلى العراق، فدرّس في دار المعلّمين لغاية العام ١٩٦٤م، وكان ذلك في عهد عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد الرحمان عارف.

عاد سنة ١٩٦٤م إلى لبنان، حيث درّس اللغة العربية وآدابها ما بين سنوات ١٩٦٤م إلى سنة ١٩٧٥م، ثمّ درّس في الجامعة اللبنانية فرع الشمال مادّة النحو للمتخصّصين خلال سنوات أربع.

أنشأ في طرابلس مع مجموعة من إخوانه مدرسة الإيمان الإسلامية الأُولى، وكان عضواً في جمعية التربية الإسلامية المشرفة على مدارس الإيمان.

ثمّ أسّس مدرسة الرسالة الإسلامية عام ١٩٨١م، وقد أصبحت بعد ذلك ثانوية لها حتّى الآن في مدينة طرابلس فروع ثلاثة في مناطق (أبي سمراء ـ القبّة ـ الميناء).

ساهم في تأسيس الكثير من المساجد والمؤسّسات الدعوية، وكان آخرها مسجد الخلفاء الراشدين، لكنّه توفّي قبل أن يستكمل بنائه، ودفن هناك إلى جانبه كما أوصى بذلك.

أدرك أنّه لا بدّ من تطوير العمل الدعوي، فأشار على إخوانه بضرورة إصدار نشرة أُسبوعية توجيهية، فكانت جريدة «التوحيد» الناطقة باسم الحركة تحدّد موقفها من المستجدّات السياسية وتوثّق أنشطة الحركة كلّها.

ثمّ أسّس محطّة إذاعية كانت من المحطّات الأُولى في لبنان من حيث التأسيس، وهي صوت الحقّ إذاعة التوحيد الإسلامي التي تبثّ لتغطّي الساحل الشرقي لبحر المتوسّط من جبال إسكندرون التركية مروراً بكلّ الساحل السوري واللبناني إلى منطقة الجليل الأعلى في فلسطين المحتلّة، تبثّ ٢٤ / ٢٤ ساعة منذ ١٩٨٣م إلى هذه الأثناء، ولها شعبية واسعة

وسط الملتزمين وخاصّة في شمال لبنان والساحل السوري.

وأمّا على صعيد نشاطه وعلاقاته السياسية فقد كانت تربطه بمختلف الحركات والدعاة على الساحة الإسلامية علاقات الأُخوّة والمحبّة الوثيقة..

فقد ساهم الشيخ سعيد شعبان في تأسيس جماعة عباد الرحمان بين عامي ١٩٥٠م و١٩٥١م، وأصبح بعد ذلك عضواً في الجماعة الإسلامية التي كانت تشكّل فرع الإخوان المسلمين في لبنان.

كما قام بأنشطة دعوية مع الشيخ الأمير سالم الشهّال مؤسّس التيّار الإسلامي في لبنان، الذي كان قد أسّس يومها جماعة دعوية إسلامية كانت تسمّى: «مسلمون».

كما كان يخرج مع جماعة الدعوة والتبليغ في أنشطة الخروج الدعوي، وسافر معهم في رحلة دعوية شملت إيران ثمّ الباكستان ثمّ الهند عام ١٩٧٢م، في رحلة دعوية عبر البرّ استمرّت ثلاثة أشهر.

كما كان يشارك حزب التحرير في الكثير من لقاءاته السياسية.

أمّا على صعيد الجماعة الإسلامية فقد تدرّج الشيخ سعيد في مواقع العمل فيها، وتولّى فيها مسؤولية طرابلس والشمال عام ١٩٧٦م، وأصبح بعد ذلك عضواً في مجلس الشورى في الجماعة، وهذا المجلس له مهمّة استشارية وانتخابية في الجماعة، وليس مهمّة تقريرية أو قيادية.

وفي العام ١٩٨٠م ترك الشيخ الجماعة بسبب الاختلاف في منهجية العمل الإسلامي، ويشير الشيخ إلى أنّه لم يقدّم استقالته التنظيمية، بل توقّف عن المشاركة في الأعمال التنظيمية، واحتفظ بعلاقات طيّبة مع قيادات وأعضاء الجماعة، كما أنّه كان يدعم الجماعة في العديد من معاركها السياسية.. وحول الخلاف مع الجماعة على الصعيد التنظيمي يقول الشيخ شعبان في حوار نشر في كتاب «الحركات الإسلامية»: «كنت أرى أنّ نظرة القرآن أعمّ وأشمل»، دون أن يمنعه ذلك من تبادل النصح معهم وحتّى الانتقاد والتصويب الذي هو حقّ المسلم على المسلم.

ورغم إيمانه العميق بالعمل الجماعي والتنظيمي، إلّا أنّه كان يعتبر الإسلام هو إطار الأُخوّة الجامع لكلّ المسلمين في الحركات الإسلامية وخارجها، وليس التنظيم. فكان يعتبر العصبية الحزبية من العصبيات التي نهى الشرع الإسلامي عنها، وكان يعتبر كلّ من شهد الشهادتين ولم ينقضهما بترك معلوم من الدين بالضرورة أخاً لكلّ المسلمين.

آمن بأنّ قوّة المسلمين في وحدتهم، فانتهج نهج الوحدة والتوحيد بشكل عملي مع مجموعة من إخوانه، كالدكتورعصمت مراد، والأخ خليل عكّاوي «أبو عربي»، والشيخ علي عبد الله مرعب «أبو عمارة»، وآخرين، إثر جلسات نقاش طويلة كانت تستمرّ لساعات وساعات، إلى أن نضجت الظروف في تأسيس حركة جمعوا من خلالها طاقات وجهود عدّة منظّمات وشخصيات إسلامية، فكانت تجربة مليئة بالإنجازات المباركة، فأثمرت التزاماً وإقداماً وعزيمةً وحميةً وذوداً عن الدين، صبغت طرابلس وشمال لبنان بصبغة الالتزام وميّزتها عن غيرها من المدن اللبنانية.

الحدث الأبرز الذي حصل عام ١٩٨٢م في لبنان وكلّ المنطقة العربية كان الاجتياح الصهيوني للبنان حتّى بلغ عاصمته، وكان ينوي احتلال كلّ لبنان، وقد ضعفت يومها وتراجعت الكثير من الإيدولوجيات في حربها مع العدوّ الصهيوني، فكان لا بدّ من البحث عن حركة جذرية في صراعها مع العدوّ الصهيوني تواجه المحتلّ وإفرازاته السياسية، فكان إطلاق «حركة التوحيد الإسلامي» بعد أن بويع لإمارتها بيعة خاصّة من أصحاب الفكرة وبيعة عامّة في مسجد التوبة عقب صلاة الجمعة.

وكانت «حركة التوحيد الإسلامي» تمدّ المقاومة الصامدة في بيروت المحاصرة يومها بالسلاح، وتشارك في الدفاع عن بيروت عبر طليعة مجموعاتها يومذاك بقيادة الشيخ سمير الشيخ وآخرين.

كان الشيخ سعيد يدرك أنّ القطرية والتجزئة وكلّ العصبيات والقوميات الضيّقة مقتل للعمل الإسلامي، فكان ينزع إلى العالمية والتلاقي مع كلّ القوى المخلصة عبر الحدود، وشارك في عشرات المؤتمرات، ومنها في باكستان في كراتشي وراولبندي وإسلام آباد،

والتقى قيادات الجهاد الأفغاني والدكتور عبد الله عزّام في مؤتمر عام ١٩٨٥م في بيشاور.

كما زار الولايات المتّحدة الأمريكية عام ١٩٨٩م، وزار العديد من الولايات، وشارك في أربعة مؤتمرات في سانت لويس وشيكاغو وسان فرانسيسكو وواشنطن.

كما حضر العديد من المؤتمرات، وخاصّة في إيران، حيث كان يجول أيضاً على مختلف المحافظات على اختلاف مذاهبها، وكان لعلاقته بالثورة الإسلامية في إيران طيّب الأثر، حيث قام ما بين عامي ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠م بوساطة لإطلاق الأسرى المصريّين بسبب الحرب العراقية ـ الإيرانية من إيران بمرافقة الشيخ محمّد الغزالي، والمهندس إبراهيم شكري، رئيس حزب العمل المصري على دفعتين، فأطلق ٦٤ أسيراً مصرياً.

كما حضر الكثير من المؤتمرات في السعودية وسوريا والسودان.

وكان عضواً مؤسّساً في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وعضواً مؤسّساً لتجمّع العلماء المسلمين في لبنان.

كان خطيباً مفوّهاً اتّسم خطابه بالجرأة وتسمية الأشياء بمسمّياتها، وكان المسجد الذي يلقي فيه خطبة الجمعة محطّ أعين المؤمنين من مختلف مناطق طرابلس وقرى وأقضية الشمال اللبناني.

تولّى الخطابة لعشرات السنوات في مختلف مساجد طرابلس والشمال بل لبنان، ولكنّه استقرّ في سنواته العشر الأخيرة في مسجد التوبة، ثمّ المسجد المنصوري الكبير، وأخيراً مسجد محمّد الأمين ﷺ الذي كان يخطب فيه لحين وفاته.

إضافة لذلك كان يقوم بأنشطة متعدّدة عبر إعطاء الدروس الدينية، واستقبال أصحاب الحاجات والمراجعين له، وكانت لديه علاقات جيّدة مع مختلف الاتّجاهات الإسلامية في لبنان والخارج.

كان من آخر إنجازاته قبل وفاته بفترة قليلة أن ساهم في تشكيل لائحة الإصلاح للانتخابات البلدية عام ١٩٩٨م بالتعاون مع القوى الإسلامية في طرابلس، ونجح جميع أعضاء هذه اللائحة في الانتخابات البلدية، وكان العمل والتنسيق يومها بالنسبة إليه مرهقاً،

فتوفّي قبل صدور النتائج النهائية، ولكنّه عرف النتائج غير الرسمية لتلك النتائج، وكان فرحاً مسروراً، ولم ينم ليلتها.

ساعة إعلان خبر وفاته مساء الاثنين الأوّل من حزيران سنة ١٩٩٨م تقاطر آلاف الشبّان إلى المقرّ الرئيسي للحركة، حيث سجّي جثمان الشيخ الراحل في مكتبه، فكان يستقبل محبّيه، فبكاه الجميع، وبقوا مع جسده طوال الليل حتّى الظهيرة ساعة جنازته التي شارك فيها عشرات الآلاف بحيث يقول الكثيرون: ربّما لم تشهد طرابلس مسيرة تشييع بهذا الحجم من قبل.

سلمان العودة

سلمان بن فهد بن عبد الله العودة الدخيل: مفكّر إسلامي سعودي، وداعية تقريب.

ولد في شهر جمادى الأُولى عام ١٣٧٦هـ في بلدة البصر في منطقة القصيم، وحصل على ماجستير في السنّة في موضوع «الغربة وأحكامها» سنة ١٤٠٨هـ، ودكتوراه في «السنّة في شرح بلوغ المرام / كتاب الطهارة. كان من أبرز ما كان يطلق عليهم مشائخ الصحوة في الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم.

نشأ في البصر، وهي إحدىٰ القرىٰ الهادئة في الضواحي الغربية لمدينة بريدة بمنطقة القصيم، وانتقل إلى الدراسة في بريدة، ثمّ التحق بالمعهد العلمي في بريدة، وقضىٰ فيه ستّ سنوات دراسية، وتتلمذ على بعض العلماء، كمحمّد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن جبرين، والشيخ صالح البليهي، وعلي الضالع.

حفظ القرآن الكريم، ثمّ الأُصول الثلاثة، القواعد الأربع، كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية، متن الأجرومية، متن الرحبية، وقرأ شرحه على عدد من المشايخ، منهم: الشيخ صالح البليهي، الشيخ محمّد المنصور. كما حفظ نخبة الفكر للحافظ ابن حجر وشرحه نزهة النظر، وحفظ بلوغ المرام في أدلّة الأحكام، ومختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري. وحفظ في صباه مئات القصائد الشعرية المطوّلة من شعر الجاهلية والإسلام وشعراء العصر الحديث.

تخرّج من كلّية الشريعة وأُصول الدين بالقصيم، ثمّ عاد مدرّساً في المعهد العلمي في بريدة لفترة من الزمن، ثمّ معيداً إلى الكلّية، ثمّ محاضراً. وعمل أُستاذاً في كلّية الشريعة وأُصول الدين بالقصيم لبضع سنوات قبل أن يُعفى من مهامه التدريسية في جامعة الإمام محمّد بن سعود، وذلك في ١٥ / ٤ / ١٤١٤ هـ بعد أن تمّ إيقافه عن العمل الجامعي بعد أن صرّح أكثر من مرّة من خلال محاضراته سواء بالجامعة أو خارج الجامعة بأُمور سياسية بحتة تمّ إيقافه على أثرها وحبسه فترة من الزمن بأحد السجون السياسية بمدينة الرياض قبل أن يتمّ الإفراج عنه والسماح له بإقامة المحاضرات الدعوية الهادفة والمليئة بالوسطية والبعيدة عن التطرّف.

يعتبر الشيخ من أهمّ الأمثلة الناجحة من الدعاة الجدد الذي نجح مزج الدعوة إلى الله بالبساطة والسلاسة وتقريبها أكثر للناس وللعوام سواء للمسلمين أو حتّى لغير المسلمين في أحيان كثيرة. ولعلّ هذا تجلّى بإعلان عدد كثير من غير المسلمين باعتناق الإسلام بعد استماعهم لحديثه وتوجيهاته من خلال برامجه الكثيرة بالقنوات الفضائية.

من مؤلّفاته: العزلة والخلطة: أحكام وأحوال، صفة الغرباء، من وسائل دفع الغربة، من أخلاق الداعية، أدب الحوار، من يملك حقّ الاجتهاد، رسالة إلى الأب، بناء الفرد، دلّوني على سوق المدينة، نداء الفطرة، عشرون طريقة للرياء، جلسة على الرصيف، هكذا علم الأنبياء، جزيرة الإسلام، رسائل إلى الحجيج، إمام أهل السنّة، آخر لحظات الفاروق، دعاة في البيوت، ضوابط للدراسات الفقهية، مزالق في طريق الطلب، مقولات في فقه الموقف، المعركة الفاصلة مع اليهود، الصحوة في نظر الغربيّين، معركة الإسلام والعلمانية، لماذا يخافون من الإسلام، رسالة الشباب المسلم في الحياة، مقالات في المنهج، الإغراق في الجزئيات، المزاح، وقفات مع السبع المثاني، نهاية التاريخ، ولكن كونوا ربّانيّين، تحية للشعب المقاوم، مجالس رمضانية، افعل ولا حرج، نحو ثقافة شرعية، مع المصطفى، مع العلم، الأُمّة الواحدة، أطفال في حجر الرسول، لماذا نخاف من النقد، الفيلسوف الربّاني، التفسير النبوي للقرآن الكريم، سلطان العلماء، الغرباء الأوّلون، هموم فتاة ملتزمة، مع الله،

بناتي، شكراً أيّها الأعداء، الأئمّة الأربعة، ولا يزالون مختلفين.

تمّت استضافته في أكثر من قناة فضائية مختلفة النطاق، منها: قناة الجزيرة الأخبارية، وقناة الأقصى الفضائية، وقناة العربية الأخبارية، وقناة اقرأ، وقناة mbc، وقناة المجد، وقناة دليل، والعديد من القنوات العربية. بالإضافة إلى مشاركاته المختلفة في قنوات تلفزيونية متنوّعة والبرامج المسجّلة المتعدّدة، ومشاركاته في العديد من المؤتمرات الدولية والمهرجانات.

وهو المشرف العامّ على مجموعة مؤسّسات الإسلام اليوم (Islam today Group Est)، وعضو الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو مجلس أُمنائه، والأمين العامّ للهيئة العالمية لنصرة المصطفى ﷺ، وعضو مجلس الإفتاء الأوربّي.

يقول: «إنّ بناء الوحدة الأخوية الإيمانية بين المسلمين بعامّة والدعاة وطلبة العلم بخاصّة على هذه العصم الكبار من أُصول الشريعة ومحكمات الدين ضمان لديمومتها واستمرارها وحماية لها من التصدّع والانشقاق والانهيار، فلا يمكن بعد أن تمضي علينا سنوات ونقطع جزءاً من الطريق أن نعود أدراجنا لنجادل في هذه المحكمات مثلاً أو في هذه الثوابت أو في هذه القواعد المستقرّة، فينشقّ منها مجموعة تخالف في أصل أو ثابت، فهذا يعدّ نوعاً من الضلال. ولذلك إذا كانت الوحدة مبنية على هذه الأُصول الكبار العظيمة ووفق الفهم الشرعي السليم البعيد عن الانحياز فإنّها تكون وحدة راسخة ثابتة مستقرّة لا تتغيّر بالمتغيّرات، والمتّفقون عليها بمأمن من الخلاف الذي يحدث الفرقة والانشقاق، بينما بناء الوحدة على غير هذه الأُسس أو عليها ولكن مضافاً إليها شروط وفروع وتفاصيل واجتهادات ومفردات أُخرى يجعل هذه الوحدة عرضة للخلاف، كلّما مرّ جزء من الوقت، وكلّما تنوّعت الاجتهادات، وكلّما كثر الناس وكبرت عقولهم واتّسع علمهم وبحثوا وحقّقوا.

ولذلك تجد الطلبة مثلاً حينما يتلقّون عن شيخهم أوّل الأمر فإنّهم يأخذون اجتهاداته وترجيحاته مأخذ التسليم؛ لأنّه ليس عندهم تأهّل علمي للبحث والتحرّي والمراجعة

والتصحيح والتحقيق، لكن عندما يكبرون وتتّسع علومهم ومداركهم ويتحوّلون إلى نوع من الاجتهاد والبحث في الكتب والنظر في أقوال أهل العلم يبدأون بمخالفة شيوخهم في الاجتهادات أحياناً، وقد يختارون من الأقوال غير ما اختار شيوخهم، وقد يوافقونهم على بعض الأُمور، وقد يوافقونهم على جزء من القول ويخالفونهم على جزء آخر منه، فهنا لم تكن الوحدة، ولم يكن الولاء مبنياً على هذه المفردات، أو على هذه الفروع، أو على هذه الاجتهادات القابلة للمراجعة وللنظر وللتصحيح. فلو كانت الوحدة مبنية على قواعد راسخة وصلبة من البناء القوي المتين المحكم فإنّه يكونون بمنجاة من التعرّض للخلل أو الاهتزاز يوماً من الأيّام.

فإذا كانت الوحدة وكان الولاء مبنياً على اختيار قول فقهي خلافي ومنابذة من خالف هذا القول سواء كان في مسائل العبادات أو المعاملات أو غيرها، أو بنيت الوحدة على فرع ينتج من تطبيق مبدأ على محلّه، فقد يكون المبدأ متّفقاً عليه، لكن تطبيقه على المحلّ موضع اختلاف بين النظّار والفقهاء، كذلك إذا بنيت على رأي خاصّ في بعض النوازل وبعض المسائل الاجتهادية الطارئة.

فمثلاً: قوم اجتمعوا وتحالفوا على التزام جلسة الاستراحة في الصلاة واعتبار أنّ من الشروط الإيمان بأنّ هذه الجلسة مطلوبة، بل يبالغ بعضهم ويقول: إنّ هذه الجلسة وإن كانت مستحبّة إلّا أنّها أصبحت شعاراً لنا يميّزنا عن غيرنا من الناس من المسلمين، مع أنّ التميّز عن عامّة المسلمين ليس مطلوباً في الأصل إلّا أن يكون تميّزاً بحقّ لا بدّ للإنسان منه من غير أن يتقصّد أو يتعمّد التميّز أو الشهرة عن جماعة المسلمين. وإذا كان الاتّفاق والولاء والوحدة مبنية على الجهر بالبسملة في الصلاة، أو الإسرار بها، أو على وضع اليدين على الصدر أو أسفل من ذلك، أو على القنوت في الصلاة، أو ترك القنوت، أو على القول بإبطال الحجامة للصيام، أو على الحكم بتكفير شخص أو جماعة أو فئة أو طائفة أو بدعية هؤلاء، ممّا ليس أمراً قطعياً ولا ظاهراً، وإنّما قد يكون على أحسن الأحوال محلّ نظر وتردّد واجتهاد، وقد يكون خطأ من قائله، فإذا كان الاجتماع مبنياً على مثل هذه المعاني فإنّ

معنى ذلك أنّ الوحدة عرضة للتغيّر بعد حين، وهو اجتماع لا محالة آيل إلى الفراق؛ لأنّ هذه الأُمور مع تقدّم الوقت وسماع الإنسان أدلّة أُخرى ووجهات نظر أُخرى تتغيّر قناعته، ويبدأ التحرير والبحث والتحقيق، خصوصاً إذا كان عنده قدر من الولاء للحقّ والرغبة في الوصول إليه، فيؤول الأمر إلى انشقاق طويل عريض.

والاجتماع لا يكون إلّا على قبول الاختلاف، فقد اختلف الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في حالات متعدّدة والوحي يتنزّل عليهم صباح مساء. ومن ذلك قصّة موسى (عليه الصلاة والسلام) لما ذهب إلى ربّه وترك أخاه هارون مع قومه وقال له: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٢)، ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٨)، فنهاهم هارون (عليه الصلاة والسلام) عن ذلك وقال: «إنّما هذا من الشيطان وإنّما فتنتم به»، وأمرهم باتّباع موسى (عليه الصلاة والسلام)، ولكنّه بقي معهم، فلمّا جاء موسى (عليه الصلاة والسلام) ورأى ما رأى غضب ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٠)، وعاتبه موسى على ذلك: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (سورة طه: ٩٢ ـ ٩٣)، فكان موسى يعتب على هارون ويطالبه بموقف آخر مختلف غير الذي فعل، فيقول له هارون: ﴿ قَالَ يَا بْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (سورة طه: ٩٤)، أي: أنا نظرت إلى الموضوع من زاوية ثانية، رأيت ألّا أُفرّق هؤلاء، وأن أبقى معهم حتّى تعود وترى فيهم رأيك وأمرك. ولهذا قال قتادة عند هذه الآية: «قد كره الصالحون الفرقة قبلكم». فهارون (عليه الصلاة والسلام) كان مأخذه الحرص على بقائهم واجتماعهم حتّى يأتي موسى (عليه الصلاة والسلام) فيعالج الأمر بما يراه، مع أنّه بذل لهم النصيحة والوسع. فهذا نموذج للاختلاف في معالجة بعض المواقف الطارئة أو المستجدّة، أو ما يسمّى لدى الفقهاء بالنوازل، حتّى بين الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

وذلك أنّه اختلاف اجتهادي إجرائي مبناه على تحصيل مصلحة الإسلام العليا، وليس

توحيد الله تعالى محلّ خلاف، بل هو دعوة الأنبياء جميعاً، ولا رفض الشرك وأهله محلّ خلاف، بل هو جزء من شهادة أن لا إله إلّا الله، وإنّما الاختلاف جرى في طريقة تحصيل أعلى المصلحتين، ودفع أعلى المفسدتين، ونعوذ بالله أن يبلغ الجهل بأحد أن يصنّف هذا التفاوت على أنّه خلاف في الأُصول والثوابت، فهذا تنقيص من مقام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

ومن هذا الباب قصّة موسى والخضر التي حكاها الله تعالى في كتابه في سورة الكهف، وقد اعترض موسى على الخضر ثلاثاً، فقال: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ (سورة الكهف: ٧١)، ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ (سورة الكهف: ٧٤)، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ (سورة الكهف: ٧٧)، وبيّن له الخضر بعدُ سرّ ما رآه محتجّاً بالوحي: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ (سورة الكهف: ٨٢)، وهذا درس عظيم رفيع في فقه الصحبة والتعامل مع الخلاف والتراجع، ودرس رديف في الصبر وطول النفس؛ لأنّ كثيراً من الناس لا يصبر على ما لم يحط به خبراً.

والخلاف يكون في الفروع وليس في الأُصول، فالسلف متّفقون مثلاً على أنّ الصلاة ركن من أركان الإسلام وأنّ مَن جحد وجوبها فهو كافر، لكنّهم مختلفون في صفة الصلاة، وتفاصيلها، وفي بعض شروطها، وفي بعض واجباتها، وفي حكم تاركها.

وكذلك نجد أنّ السلف متّفقون على ربّانية القرآن الكريم، وأنّه من عند الله سبحانه وتعالى، وأنّه منزّل غير مخلوق، ومتّفقون على مرجعية القرآن، ولكنّهم قد يختلفون في تفسير آية من القرآن الكريم، هل الآية محكمة أو منسوخة؟ وقد يختلفون في بعض الحروف والقراءات الواردة في القرآن الكريم.

وكذلك هم متّفقون على مرجعية السنّة النبوية: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (سورة الحشر: ٧)، ولكنّهم قد يختلفون في فهم بعض النصوص. ولهذا جرى الخُلْف بينهم (رضي الله عنهم) حتّى في بعض الأشياء الظاهرة التي قد يستغرب البعض كيف اختلفوا فيها؟! فقد اختلفوا في الأذان، وهو يردّد كلّ يوم وليلة خمس مرّات منذ عهد

النبي ﷺ، ومع ذلك اختلف النقل في صفة الأذان، وفي صفة الإقامة، وفي القنوت، وفي الجهر بالبسملة، وفي مواقيت الصلاة، وفي حروف القراءات، وفي أنواع التشهّد، وفي صفة الحجّ، وغيرها من أحكام الأنساك، وفي مقادير الزكاة، والأموال الزكوية وغير الزكوية، واختلفوا من ذلك في شيء عظيم، كما هو معروف في مظانه من كتب الفقه. ووجود هذا الاختلاف لا يعني أنّ الإنسان ينتقي حسب ما يشتهي، بل يدع هذا لطلبة العلم الذين يرجّحون وفق ضوابط وقواعد مقرّرة معتبرة.

ويكون الخلاف في الوسائل وليس في المقاصد، فالمقاصد شرع متّفق عليه كما ذكرنا، ممّا هو في حفظ الضروريات الخمس، والدعوة إلى الله تعالى كمثال هي من المقاصد الشرعية المتّفق عليها، وأجمع المسلمون على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وأنّها فرض إمّا عيناً أو كفاية: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، لكنّ وسائل الدعوة تختلف من زمان إلى زمان ومن بلد إلى بلد؛ لأنّ الأصل في هذه الوسائل الإباحة، وقد يَجد للناس وسائل جديدة، وتنتقل بعض وسائل الإعلام اليوم أو وسائل الاتّصال من الاختلاف السائغ الذي لا يوجب الاجتهاد فيه نوعاً من المغاضبة ولا التفرّق، بل يجب أن ندرك أنّ الهدف والمقصد هو نشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإيصالها إلى الناس وإلى المحتاجين وإلى مَن يجهلونها، ومخاطبة شرائح عريضة بمثل هذا الأمر دون حجر أو تثريب أو تشغيب.

ويكون الاختلاف في أُمور ممّا يسمّيه العلماء «اختلاف التنوّع»، فهناك مثلاً فروض الكفايات، هناك من يقوم بأمر الدعوة إلى الله وتبليغ الدين، وهناك من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤)، أي: أُمّة من مجموعكم، فينبري لهذا العمل طائفة من الناس، وهناك فروض يقوم بها أقوام آخرون، والجهاد أيضاً هو من الفروض التي ينبري لها أقوام سخّرهم الله سبحانه وتعالى واستعملهم في ذلك ممّن يجودون بأرواحهم إذا ظنّ الناس وأحجموا،

وهناك العلم والتعلّم تقوم به طوائف من العلماء والمتفقّهين والمعلّمين الشرعيّين وغيرهم، وهكذا جميع متطلّبات الحياة، بل إنّ الذين يقومون على معاش الناس وعلى مصالحهم وصحّتهم وعلاجهم وسفرهم وإقامتهم وحمايتهم، كلّ هؤلاء يقومون بفروض كفايات تحتاجها الأُمّة، ولا بدّ لها منها، سواء عرفوا هذا أم لم يعرفوه، احتسبوا فيه أم لم يحتسبوا، إلّا أنّهم في الجملة يقومون بأشياء من فروض الكفايات. ولا يلزم لمن فتح الله تعالى له باب خير أن يزدري ما لدى الآخرين؛ لأنّ هذا يدخل في قول الله تعالى: ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (سورة المائدة: ١٣)، فالشريعة والملّة لا يستطيع أن يحيط بها فرد واحد، وإنّما لا بدّ فيها للأُمّة كلّها، فيقوم أقوام بجانب، ويقوم آخرون بجانب، ونسيان حظّ ممّا ذكّرنا به هو من أسباب العداوة والبغضاء».

سلمان الندوي

سلمان الندوي: صحفي داعية من أهل الهند.

كان هندوكياً فأسلم، وشارك في كثير من النشاطات، فكان عضواً بمجلس الشورى في الجماعة الإسلامية بالهند، وترأس تحرير مجلّتها «الدعوة» الصادرة باللغتين العربية والأُوردية، كما كان عضواً باللجنة التنفيذية لجامعة الفلاح، وفي عدد آخر من المدارس والجمعيات الإسلامية.

له كتابات دافع بها عن حقوق المسلمين الهنود، وصرف غالب وقته لمناصرتهم وللدعوة، حتّى وافاه الأجل سنة ١٩٩٠ م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٧٤، نثر الدرر والجواهر ٢: ١٨٣٣).

سليم البشري

سليم بن أبي فرّاج بن سليم بن أبي فرّاج البشري المالكي: شيخ الجامع الأزهر في وقته.

ولد سنة ١٨٣٢ م في محلّة «بشر» من قرىٰ مديرية «البحيرة» بمصر، وتعلّم وعلّم بالأزهر، وكان من جملة أساتذته: إبراهيم بن محمّد الباجوري، ومحمّد بن أحمد عليش..

ومن جملة تلاميذه: محمّد عرفة، ومحمّد راشد، والبسيوني البيباني، وتولّى نقابة المالكيّين سنة ١٣٠٥ هـ، وشيخية الجامع الزينبي بالقاهرة، ثمّ مشيخة الأزهر مرّتين، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٩١٧ م، ودفن في مقبرة السادة المالكية بقرافة السيّدة نفيسة.

له من المؤلّفات: عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان، المقامات السنية في الردّ على القادح في البعثة النبويّة، حاشية تحفة الطلّاب بشرح رسالة الآداب، وضع المنهج، شرح قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي، الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس، حاشية على رسالة الشيخ عليش في التوحيد، تقرير على جمع الجوامع.

كان حازماً سخياً ذا عقل واسع وخلق وادع وفؤاد حي، على حدّ تعبير السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

وقد وضع السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي كتابه «المراجعات» نتيجة المراجعات التي جرت بينه وبين الشيخ المذكور بشكل مباشر في مصر وبشكل مراسلات حول قضايا الإمامة والخلافة وبعض المسائل التاريخية والأُصولية. وقد كانت المراجعات بأُسلوب موضوعي مشفوع بالإحساس بالمسؤولية الشرعية والروح الأخوية البعيدة عن التعصّب الطائفي أو الانحياز الشخصي من كلا الطرفين، فخدما بذلك الأُمّة الإسلامية في توحيد كلمتها ورصّ صفوفها وسدّ فجوات كان العدوّ ينفذ منها.

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ١: ٣١٣ ـ ٣١٤، الأعلام للزركلي ٣: ١١٩، معجم المؤلّفين ٤: ٢٤٦، الأزهر في ألف عام ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٢٩٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٤٥٦ ـ ٤٥٨، نثر الجواهر والدرر ١: ٤٨١ ـ ٤٨٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٢٦٩ ـ ٢٧١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

سليمان الباروني

سليمان بن عبدالله بن يحيىٰ الباروني الطرابلسي: زعيم سياسي ليبي مجاهد.

ولد سنة ١٨٧٠ م في «كاباو» من بلاد طرابلس الغرب، وتعلّم في تونس والجزائر ومصر (الأزهر)، وعاد إلى وطنه، فانتقد سياسة الدولة العثمانية، فنفي عن ليبيا، وقصد

مصر، وأقام فيها مؤسّساً جريدة «الأسد الإسلامي» سنة ١٩٠٧ م، إلى أن أُعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م، فاختير نائباً عن طرابلس في مجلس «المبعوثين» بالآستانة، واستمرّ في وظيفته إلى زمن احتلال إيطاليا لبلده سنة ١٩١١ م، فعاد إلىٰ وطنه مجاهداً، وظلّ إلى أن أُبرم الصلح فيما بين إيطاليا وتركيا المسمّى بصلح أوشي، فأبىٰ الاعتراف به وواصل مقاومته، ثمّ انصرف إلى تونس، ومنها ركب باخرة إلى الآستانة، فجُعل فيها من أعضاء مجلس الأعيان من قبل السلطان محمّد الخامس، ونشبت الحرب العامّة الأُولى سنة ١٩١٤م، فوجّهته الحكومة العثمانية قائداً لمنطقة طرابلس، فقصدها في غوّاصة ألمانية، وباشر القتال إلى أن حدثت هدنة ١٩١٨ م وصلح إيطاليا مع طرابلس سنة ١٩١٩ م، فرحل إلى القارّة الخضراء، وحجّ سنة ١٩٢٤ م، وذهب إلى العراق ومسقط، وكان إباضي المذهب، فجعله سلطان مسقط مستشاراً لحكومته سنة ١٩٣٥ م، فأقام عامين، ثمّ مرض، فذهب إلى بومباي مستشفياً، وتوفّي بها سنة ١٩٤٠ م.

من كتبه: عناية أُولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجدّ، رسالة في الغناء، رسالة في السماء، الأزهار الرياضية في أئمّة وملوك الإباضية، ديوان شعر.

ويعدّ هذا الرجل المجاهد ممّن تبنّىٰ مشروع «الجامعة الإسلامية»، وقد طرح هذا المشروع في جريدة «الأسد الإسلامي» التي كان يصدرها، وخاطب في هذا الشأن الإسلامي الهامّ كلّاً من عالمي المذهب الإباضي محمّد بن يوسف أطفيش في الجزائر ونور الدين السالمي في عُمان، وانصبّ خطابه حول بيان سبب اختلاف المسلمين وفرقتهم، ودور المذاهب في ذلك، وكيفية تحقيق الوحدة الإسلامية.

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٥١٥، الأعلام الشرقية ١: ١٤٨ ـ ١٤٩، الأعلام للزركلي ٣: ١٢٩ ـ ١٣٠، معجم المؤلّفين ٤: ٢٦٨ ـ ٢٦٩، أعلام ليبيا: ١٧٣ ـ ١٧٤، معجم الشعراء للجبوري ٢: ٣٦٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٩٤).

سليمان دنيا

سليمان سيّد أحمد دنيا: مفكّر مصري معروف، وداعية وحدة.

ولد في قرية «سدود» التابعة لمركز منوف بمحافظة المنوفية بمصر في ١٨ / ٢ / ١٩١٠ م، وتخرّج في كلّية أُصول الدين بالأزهر، وحصل على الشهادة العالية عام ١٩٣٨ م، ثمّ واصل دراساته العليا وحصل على الشهادة العالية من درجة أُستاذ عام ١٩٤٥ م.

وفي عام ١٩٥٠ م سافر إلى إنجلترا مبعوثاً من الأزهر لدراسة الفلسفة. وبعد سنوات قليلة أمضاها هناك عاد إلى مصر وعمل مدرّساً بكلّية أُصول الدين، وانتدب للعمل بالمؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وتدرّج في سلك التدريس إلى أن صار أُستاذاً ورئيساً لقسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٦٦ م ووكيلاً لكلّية أُصول الدين عام ١٩٦٧ م.

وقد أُعير في الستّينيات للتدريس في جامعتي القرويّين بالمغرب، وأُمّ درمان بالسودان. وفي السبعينيات عمل مديراً للمركز الإسلامي في نيويورك بضع سنوات، وبعد ذلك عمل أُستاذاً في جامعة أُمّ القرىٰ بمكّة المكرّمة، ثمّ عاد إلى مصر.

توفّي في القاهرة حوالي عام ١٩٨٨ م دون أن يشعر بوفاته أحد، اللهمّ إلّا من خلال بضعة أسطر كتبها أحد القرّاء في بريد القرّاء بإحدىٰ الصحف اليومية في مصر!

يذكر الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري: أنّه ينقسم الإنتاج العلمي للدكتور سليمان دنيا إلى قسمين: كتب قام بتحقيقها، وكتب قام بتأليفها..

وشهرته في مجال التحقيق أكثر من شهرته في مجال التأليف؛ فقد قام بتحقيق مجموعة من مؤلّفات الغزالي، هي: مقاصد الفلاسفة، معيار العلم، تهافت الفلاسفة، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ميزان العمل. كما حقّق تهافت التهافت لابن رشد، والإشارات والتنبيهات لابن سينا، وحاشية الشيخ محمّد عبده على العقائد العضدية، واشترك أيضاً في تحقيق الشفاء لابن سينا والمغني للقاضي عبد الجبّار.

أمّا الكتب التي ألّفها فهي قليلة نسبياً، وأهمّها: الحقيقة في نظر الغزالي، التفكير الفلسفي الإسلامي. ولم ينجز من هذا الكتاب الأخير إلّا الجزء الأوّل. أمّا الجزء الثاني ـ والذي كان من المفروض أن يتناول فيه بالبحث أهمّ قضايا الفلسفة الإسلامية ـ فلم يخرج إلى الوجود. وبالإضافة إلى هذين الكتابين له بعض البحوث الأُخرى حول موضوعات:

الدين والعقل، مفهوم التصوّف، الشيخ محمّد عبده بين الفلاسفة والكلاميّين. وهناك أيضاً مقدّماته المستفيضة للكتب التي حقّقها، حيث تشتمل هذه المقدّمات على دراسات لأفكار وشخصيات المؤلّفين المعنيّين.

لقد اتّبع الدكتور سليمان دنيا في تحقيقه للنصوص الفلسفية الكثيرة التي قام بتحقيقها طريقة غير معتادة.. فبدلاً من إثبات الفوارق بين النسخ في الهوامش يلجأ في كثير من تحقيقاته إلى ذكر الفروق الهامّة في داخل المتن مشيراً إلى ذلك بعبارة: «وفي نسخة أُخرى...» دون أيّ إشارة إلى طبيعة هذه النسخة الأُخرى، وبعض تحقيقاته تخلو من ذكر أيّ فروق في داخل المتن أو في الهوامش. فالذي يهمّه في المقام الأوّل هو إخراج نصّ صحيح للقارئ ولا يهمّه أن يكثر من الهوامش.

وقد كان ذلك من المآخذ التي أُخذت عليه، حيث خالف الطريق المعتادة في التحقيق، وهي طريقة المستشرقين الذين يعمدون إلى إثبات كلّ الفروق بين النسخ المختلفة في الهوامش.

ولكن سليمان دنيا كان يعيب طريقة المستشرقين، ويرى أنّ الدعوة إلى التأنّق والتفنّن في حشد أخطاء النسّاخ وأضاليلهم في كتب هي دعوة إلى التراخي والاستنامة، ويدافع عن طريقته في التحقيق قائلاً: «لم أشأ أن احتفظ في الهامش بكلّ الفوارق وأدع القارئ يختار». فهذه الطريقة في نظره لا تزيد على أن تكون جمعاً للنسخ المتعدّدة في مجلّد واحد، وفيها إرهاق للقارئ، وفضلاً عن ذلك فإنّه ليس فيها كبير نفع للعلم سوى حفظ الأُصول.

وفي هذا الصدد يعبّر عن وجهة نظره في الاستشراق بصفة عامّة مشيراً إلى أنّ الأساس الذي قام عليه الاستشراق لم يكن أساساً علمياً خالصاً، بل كان مرتبطاً بالسياسة أو ما يشبه السياسة. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الاستشراق قد خالطه كبرياء لا يليق بالعلم والعلماء.

ومن هنا يدعو سليمان دنيا علماء المسلمين إلى تطهير ساحتهم الفكرية من الاستعمار الغربي، كما طهّر الساسة البلاد من الاستعمار المادّي.

وفي مقدّمته لحاشية الشيخ محمّد عبده على العقائد العضدية ينتقد سليمان دنيا المنهج العقلي البحت للشيخ محمّد عبده، ويرى أنّه منهج يتّسم بالخطورة، فالشرع يرشد إلى خلافه، والأحاديث النبوية الصحيحة صريحة. وذلك كما يقول في وجوب الأخذ بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، لا في وجوب أن يركب كلّ واحد رأسه ويؤمن بما يتأدّى إليه بحثه دون مرشد أو معين. ويرى سليمان دنيا أنّ المنهج الديني السليم هو منهج الاتّباع، وليس ترك الأمر للعقل يسير على حسب ما يتأدّى إليه بحثه إنكاراً أو إثباتاً.

وفي دراسته للغزالي «الحقيقة في نظر الغزالي» ـ والتي تعدّ أهمّ مؤلّفاته ـ يرى أنّ شكّ الغزالي قد مرّ بمرحلتين: مرحلة كان الشكّ فيها شكّاً خفيفاً من النوع الذي يعتري الكثير من الباحثين، ومرحلة كان الشكّ فيها عنيفاً هدّاماً، أي: أنّه في هذه المرحلة الثانية كان شكّاً حقيقياً مطلقاً، وليس شكّاً منهجياً، كما هو الحال لدى ديكارت. فالشكّ في المرحلة الأُولى كان يتمثّل في أيّ الفِرَق التي وجدها على حقّ؟ أمّا في المرحلة الثانية فقد كان شكّاً في ميزان الحقيقة. وقد خرج منه عن طريق النور الذي قذفه الله في صدره وأعاد إليه الثقة في الضروريات العقلية.

ويذهب سليمان دنيا في هذه الدراسة أيضاً إلى القول: بأنّ مَن يريد دراسة الغزالي على أنّه مصلح ديني يعني بإرشاد الناس وتعليمهم فليدرسه في كتبه التي قدّمها للجمهور، ويدخل كتاب «التهافت» في عداد هذه الكتب. أمّا من يريد دراسة الغزالي ليعرف الحقيقة في نظره كما يعتقدها فليدرسه في كتبه التي ظنّ بها على الجمهور مثل كتاب «المضنون به على غير أهله» وكتاب «معارج القدس».

وقد استنتج سليمان دنيا من آراء الغزالي في هذين الكتابين أنّه كان ـ مثل غيره من الفلاسفة المسلمين ـ يقول بقدم العالم وأبديته، وبعدم علم الله بالجزئيات والبعث الروحاني.. وهي تلك الآراء التي أخذها الغزالي على الفلاسفة في كتابه «التهافت»، واعتبر القول بها خروجاً على الإسلام.

ولكن سليمان دنيا يرى أنّ لهذه القضايا تخريجات تبعد بها عن التخوّفات التي أبداها

علماء الكلام.

وقد كان سليمان دنيا يريد أن يشتمل كتابه «التفكير الفلسفي الإسلامي» على إيضاح الحلول الإسلامية للمسائل الفلسفية المتمثّلة في قضية الأُلوهية، ومسألة قدم العالم أو حدوثه، ومسألة البعث، ومسألة تجرّد النفس الإنسانية. ولكن الجزء الذي كان من المفروض أن يشتمل على بحث هذه القضايا لم يخرج إلى الوجود، واكتفى في الجزء الأوّل بمناقشة المادّيّين وأصحاب المذهب الوضعي منتصراً للفلسفة الإلهية. ويعبّر عن ذلك بقوله: «رأيت قبل الشروع في الفلسفة الإسلامية أن أُصفّي الحساب مع الفلسفة المادّية حتّى إذا ما تبيّن زيفها وبطلانها رفعنا أنقاضها من طريق الفلسفة الإسلامية لتسير بخطى فسيحة نحو غايتها التي تحقّق للإنسانية سعادتها».

ولمعرفة وحدوياته من المهمّ ملاحظة ماكتبه تقديماً لكتاب «الشيعة وفنون الإسلام» لمؤلّفه السيّد حسن الصدر، حيث يقول: «... أمّا بعد: فمنذ بضعة أعوام خلت كتبت رسالة صغيرة بعنوان: «بين الشيعة وأهل السنّة»، ضمّنتها أملاً كبيراً ورغبة ملحّة في أن يتلاقى الشيعة وأهل السنّة عند مبادئ الأُخوّة والمحبّة والمودّة والمصافاة ونبذ ما غرسه أعداء الفريقين في النفوس من عوامل الفرقة والشقاق.

ودعوت إلى أن ينظر كلّ فريق إلى جهة نظر الفريق الآخر، نظرة العالم الذي يبحث عن الحق، ويدرك أنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع.

وقلت: إنّه إذا كان الأثر الذي كنّا توارثناه عن سلفنا الصالح قد أكّد ضرورة الحرص على الحقّ أين وجد، وأعلن أنّ «الحكمة ضالّة المؤمن، أنّى وجدها التقطها ولو من فم كافر»، وأوضح أنّ العاقل لا يعرف الحقّ بالرجال، وإنّما يعرف الحقّ بالدلائل والبراهين، فإذا عرفه عرف به أهله، فقد أصبح لزاماً علينا ـ نحن الجيل ـ أن نحرص على الحقّ، وأن نأخذ أنفسنا به، وأن نجنّد أنفسنا للدعوة إليه، وأن نجتمع حوله غير ناظرين إلى ما دعانا إليه وعرّفنا به، اللهمّ إلّا نظرة إكبار وإعظام وإجلال.

ومن المسلّم به لدى العقلاء أنّ الأُمور التي لم يبلغ العلم بها مبلغ اليقين تكون ملتقى

لوجهات نظر مختلفة.

ومن المسلّم به لديهم أيضاً ضرورة احترام كلّ واحد من الباحثين لوجهة نظر الآخرين في المسائل المتحمّلة لضروب من العراك الفكري، حتّى أنّهم ليختلفوا ويكونون في ذات الوقت أصدقاء وأحبّاء وأصفياء. ورحم الله مَن يقول: «اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية».

ولقد رفع الإسلام راية السماحة عالية، فقال في كتابه الكريم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

وإذا كان الإنسان يحبّ لنفسه أن يستمتع بالحرّية فيقول ويعلن ما يهديه إليه بحثه وتفكيره، فلا يليق به أن ينكر على إنسان مثله حقّه في أن يقول ويعلن ما يهديه إليه بحثه وتفكيره كذلك.

وحسب المسلمين فخاراً أنّهم اجتمعوا على أُصول دينهم لم يختلفوا فيها، فالأُلوهية في أسمىٰ مكان من التقديس في نفوس المسلمين، وعقيدة البعث، والإقرار بالنبوّة، وحاجة البشر إليها، وختامها بسيّد ولد آدم (محمّد بن عبد الله ﷺ)، وصدق القرآن الكريم، وما صحّ منه حديث رسول الله ﷺ، كلّ أُولئك يحتلّ من نفوس جميع المسلمين مكانة لا تطاولها قداسة أيّ دين آخر في نفوس أتباعه.

قلت ذلك وأكثر من ذلك في رسالتي «بين الشيعة وأهل السنّة» رغم أنّي لم أقل في هذه الرسالة كلّ ما أُحبّ أن أقوله؛ نظراً لظروف الطبع وقت ذاك.

والآن يسعدني أن تتاح لي فرصة التقديم لكتاب «الشيعة وفنون الإسلام» الذي نحا فيه مؤلّفه السيّد الشريف (الحسن أبو محمّد) منحى ربّما يبدو غريباً لدى أهل السنّة. وكتب: «أُريد أن تدرس الكتاب دراسة موضوعية، وتبيّن بالدلائل والشواهد مبلغ صدق القضية التي يعالجها الكتاب».. ولكنّي رأيت الأمر فوق طاقتي؛ لأنّ المؤلّف ﷺ واسع الباع غزير الاطّلاع، يعرض لسائر العلوم الإسلامية والعربية، ويحكم عليها حكم المحيط بها الواقف في أسرارها العارف بعوامل نشأتها ومراحل نموّها، ومتابعة هذه العوامل وتلكم

المراحل تتطلّب حشد المتخصّصين في هذه العلوم ، لاتّباع كلّ متخصّص ، ويوافق المؤلّف عن بيّنة ، أو يخالفه عن بيّنة .

وإذا فاتني أن أخوض في هذا المجال وأن أعرض لموضوع الكتاب عرضاً تحليلياً اتّكالاً على همّة المتخصّصين الذين أطمع في أن يتناولوا الكتاب بكلّ ما هو جدير به من عناية واهتمام ، فما أُحبّ أن يفوتني أن أقول كلمة ما أراها إلّا متابعة لما جاء في رسالتي : « بين الشيعة وأهل السنّة » ، تلكم هي : أنّ المؤلّف ﷺ يدّعي سبق الشيعة في تأسيس العلوم الدينية والعربية ، ويقدّم بين يدي دعواه أدلّة تبرّرها ، ويدور كتابه حول بسط هذه الدعوى وإيضاح أدلّتها .

والناس أمام هذه الدعوى فريقان : فريق المتعلّمين ، وهؤلاء لا يهتمّون بواضع العلوم ومؤسّسيها ، وإنّما الشيعة وحدهم ، أو هم أهل السنّة وحدهم ، أو هؤلاء وهؤلاء . وفريق العلماء ، وهؤلاء كما يهتمّون بالعلوم ذاتها ، يهتمّون بنشأتها ومنشئها والأطوار التي تواردت عليها ؛ إذ أنّ العلوم لها نشأة كنشأة عظماء الرجال ، لهذا كان لها تاريخ عظماء الرجال كذلك .

ولهؤلاء أقول : إنّ كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» جهد مشكور قام به صاحبه ﷺ مساهمة منه في المهمّة المنوطة بأعناق علماء الإسلام ، تلكم هي التاريخ لعلوم الإسلام ، وما تستتبعه من علوم أُخرى ، فلا ينبغي أن يقابل هذا الجهد الجبّار بنظرة سطحية تعتمد على عدم المبالاة وعدم الاكتراث . لا ينبغي أن يقال مثلاً : (هذه عصبية) أو (هذا تحدّ) أو نحو ذلك من أساليب القول التي يحتمي بها من لا يريد أن يجشّم نفسه مشقّة البحث والنظر .

نعم ، لا ينبغي أن يقال هذا ولا شيء منه ؛ لأنّه لا داعي للعصبية ، ولا داعي للتحدّث ؛ لأنّ الشيعة كأهل السنّة مسلمون . واختلافهم مع أهل السنّة إنّما هو في مسائل لا ترتقي إلى مستوى الأُصول . وإذاً فهم أُخوة مسلمون ، وسبقهم في بعض العلوم إنّما هو كسبق الأخ لأخيه ، إن أثار تنافساً وحماساً فإنّه لا يثير خصومة ولا عداء .

وإذاً فلا مناص من إحدى اثنين : إمّا أن نطأطئ الرأس إجلالاً واحتراماً لما بذل المؤلّف من جهد ولما انتهى إليه من نتائج ، وإمّا أن نقابل الجهد بجهد مثله ونتقدّم بما نظفر به من

نتائج مؤيّدة بأدلّة سليمة مقبولة.

وإنّي أتوجّه إلى الله (جلّت قدرته) راجياً أن يطهّر النفوس ممّا علق بها من شوائب، وأن يملأها بمعاني الحبّ والتعاطف والتآخي، وأن يعيد للمسلمين وحدتهم، وأن يفقّههم في دينهم، ويبصّرهم بعاقبة أمرهم، ويوفّقهم للاهتداء بهدى الإسلام في سلوكهم ومعاملاتهم، ولتبليغ دعوة دينهم إلى خلق الله كافّة، مبرهنين على جمالها وكمالها بالتزامهم لها ووقوفهم عند حدودها.

وفي هذا المقام يحلو لي أن أُشير إلى مفخرة من مفاخر المسلمين، بحقّ أن نعتزّ بها ونفاخر، تلكم هي كتب السيّد محمّد باقر الصدر التي ما أظنّ أنّ الزمن قد جاء بمثلها في مثل الظروف التي وجدت فيها.. لقد أنتجت عبقريته الفذّة الكتب الآتية: «فلسفتنا»، و«اقتصادنا».

تلكم الكتب التي تعرض عقيدة الإسلام ونظم معاملاته عرضاً تبدو إلى جانبها الآراء التي تشمخ بها أُنوف الكفرة والملاحدة من الغربيّين وأذنابهم ممّن ينتسبون إلى الإسلام ـ وهم منهم براء ـ وكأنّها فقاقيع قد طفت على سطح الماء ثمّ لم تلبث أن اختفت وكأنّها لم توجد!

ألا فليقرأ هذه الكتب أُولئكم الذين حشوا رؤوسهم بهراء من القول وزيف من الخيال؛ ليتطهّروا بطهور الحقّ من رجس الباطل، وليبصروا نور الوجود، بعدما ضلّوا في بيداء العدم، وليجدوا أنفسهم بعد أن فقدوها.

ألا فليقرأ هذه الكتب شباب الإسلام المخدوع ببريق المدنية الكاذبة، وكيف يتيسّر لهم قراءتها وقد شغلوا بالهزل عن الجدّ، وبالباطل عن الحقّ؟! لأنّ الهزل والباطل قد اقتحما عليهم عقولهم، وقلوبهم في غفلة من الجدّ والحقّ.

ألا فليتعرّف على هذه الكتب؛ ليقوّموا بها نفوساً قد أعوجّت، وقلوباً قد أظلمت، وعقولاً قد أقفرت وأجدبت، حتّى هانت الدنيا على أصحابها، فسخروا منها؛ لأنّهم لم يحسّوا لها طعماً ولم يعرفوا لها قدراً، فساءت أحوالهم، وانحرف بهم سلوكهم، وضلّت عنهم

آمالهم، وأصبحوا بحالة تستوجب أن يخلقوا خلقاً جديداً».

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٣٦١ ـ ٣٦٢، آراء المعاصرين حول آثار الإمامية: ٨٣ ـ ٨٤، المتحوّلون ٨: ٧٨ ـ ٨٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٤٦١ ـ ٤٦٤).

سليمان يوسف

سليمان بن داود بن باسعيد بن يوسف: من علماء الإباضية بالجزائر، ومصلح إسلامي.

ولد سنة ١٩٠٥ م، ونشأ في منطقة العطف بميزاب يتيم الأُمّ في رعاية والده، وتوجّه إلى القرارة، فحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ثمّ انتقل إلى قسنطينة، فاشتغل بالتجارة وواصل دراسته.

انتسب إلى جمعية العلماء الجزائريّين، ونال حظوة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، وشارك هناك بتأسيس «جمعية الهدىٰ» التي عملت على نشر الثقافة الإسلامية وتكوين جيل وطني مثقّف.

ومن بعد ذلك عاد إلى ميزاب ليواصل جهاده الإصلاحي، فكان عضواً لنواة الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري، وأسهم بتأسيس «جمعية النهضة» فيها سنة ١٩٤٥ م. وما لبث أن انخرط بالحركة الثورية ضدّ الاحتلال الفرنسي، واشتهرت خطبه الرنّانة ضدّ الاحتلال، فألقىٰ الفرنسيّون القبض عليه أكثر من مرّة.

كما وقف مع المعارضين لمشروع فصل الصحراء عن الشمال الجزائري. ولمّا استقلّت واصل نشاطه ضمن «جمعية القيم» بالبحث عن المخطوطات الجزائرية بتكليف من الرئيس الجزائري بومدين.

توفّي في عام ١٩٩٢ م تاركاً بعض المصنّفات، كثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، والخوارج أنصار الإمام علي ﷺ، ومساهمة علماء الإباضية في العلم والفقه والحديث، وحلقات من تاريخ المغرب الإسلامي.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٧٦).

سيّد حامد علي

سيّد حامد علي: أحد أشهر العلماء المسلمين في الهند.

اشتهر بمقدرته السديدة في مجال تفسير القرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف ومقارنة الأديان، كما كان خطيباً وصحفياً بارزاً.

له أكثر من مائة كتاب ورسالة في مجالات العلوم الإسلامية والتاريخية المختلفة. أشهرها ترجمة كتاب المفكّر الشهيد سيّد قطب «في ظلال القرآن» إلى اللغة الأُوردية.

كان من أكثر الشخصيات نشاطاً في مجال الحركة الإسلامية في الهند، علاوة على عضويته في لجنة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند.

توفّي في شهر رمضان المبارك سنة ١٩٩٣م عن عمز ناهز السبعين عاماً.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢١٨).

سيّد زين العابدين

سيّد زين العابدين: عالم إسلامي بارز، متخصّص في قضايا وشؤون الأقلّيات المسلمة.

ولد في شمال الهند سنة ١٩٢٨م، وحصل على درجة البكالوريوس في آداب اللغة الإنجليزية بجامعة عليكرة الإسلامية بمدينة عليكرة في شمال الهند، وحصّل بعدها على منحة دراسية إلى الولايات المتّحدة الأمريكية لتحضير رسالة الدكتوراه.

وفي أوائل سبعينات القرن العشرين قدم إلى السعودية لقضاء سنة أُستاذاً زائراً، ووجد في رحاب جامعة الملك عبد العزيز الإمكانات التي توفّرت له لإرساء منهج علمي لدراسة أوضاع الأقلّيات المسلمة، حيث رأى الدكتور عبد الله عمر نصيّف مدير جامعة الملك عبد العزيز آنذاك تكوين وحدة أكاديمية عرفت باسم «معهد شؤون الأقلّيات المسلمة» تحت إدارة الدكتور أحمد باحفظ الله، والذي كان حينذاك الأمين العامّ للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وقد عمل البروفيسور سيّد زين العابدين مشمولاً بالرعاية التي شجّعته على الاهتمام

بشؤون المسلمين ، وحقّقت آماله في إجراء الدراسات والبحوث التي تتناول كافّة جوانب الأقلّيات المسلمة وظروفهم ، وترأس إصدار أوّل نشرة متخصّصة باسم «نشرة معهد شؤون الأقلّيات المسلمة» باللغتين العربية والإنجليزية ، وكانت تتضمّن نشاط المعهد وأخبار الأقلّيات المسلمة ، وما لبث أن تطوّر إلى مجلّة علمية متخصّصة ، صدر العدد الأوّل منها في صيف عام ١٩٧٩ م ، وكان سيّد زين العابدين مدير تحريرها . وبالرغم من إحالته إلى التقاعد مع انتهاء عمله أصرّ على الاستمرار في إصدار المجلّة إلى آخر يوم في حياته .

وكان يمثّل هيئة تحرير كاملة لإصدارها : من إعداد المواد ، ومراجعتها ، وتدقيقها ، ثمّ تبويبها وإخراجها ، إلى أن يتمّ نشرها ، ولم يكن كبر سنّه ومعاناته من آلام الكلى يثنيه عن الاهتمام بدراسة مشكلات الأقلّيات المسلمة ، وكان يتحمّل صعوبات مالية جمّة يستعين على حلّها من مدّخراته ومكافآته في سبيل مواصلة صدور مجلّة معهد شؤون الأقلّيات المسلمة من لندن في بريطانيا .

وبالإضافة إلى هذا النشاط الفعّال في نشر الدراسات والبحوث فقد كان يقف خلف كلّ المؤتمرات الدولية التي عقدت لمناقشة أوضاع الأقلّيات المسلمة في العالم .

والدراسات والبحوث التي نشرها في مختلف المجلّات العلمية والصحف الإسلامية عديدة ، وأكثرها باللغة الإنجليزية ، وكان بعض زملائه وطلّابه ينشرون له مترجماً باللغة العربية .

وقد تميّزت دراساته بالجدّية والتحليل ، وهو في ذلك يرمي إلى أهداف ، منها :

١ ـ إبراز معالم الأقلّيات المسلمة وتحديد مشكلاتها وقضاياها وجوانب تكوينها ومناطق انتشارها وتوزّعها وإعدادها حتّى تكون الدراسات الجادّة عنهم في وضع تصوّر دقيق وصادق عنها .

٢ ـ توعية الأقلّيات المسلمة بمشاكلها وظروف ظهورها لاختلاف البيئة التي يعيشون فيها ، ودعوتها إلى معالجة قضاياها بالحكمة والتعقّل ، واحترام نظم المجتمعات التي يعيشون فيها ، وأن يكون المسلمون رسل خير وسلام يعملون على نشر دينهم بصلاح

سلوكهم وتعاونهم مع الآخرين.

٣ ـ دعوة الأقلّيات المسلمة للاهتمام بشخصيتها الإسلامية من خلال التعليم والانضباط والوعي الإسلامي والالتحام والتعاضد ونبذ النعرات الطائفية والمذهبية والقبلية والقومية، والتفكير فيما يساعدهم على تعزيز مكانتهم.

٤ ـ دعوة الأقلّيات المسلمة إلى المشاركة الفعّالة في المجتمعات التي يعيشون فيها حتّى يقوم المسلمون بدور حضاري مؤثّر في البلدان التي يقيمون فيها.

٥ ـ دعوة بلدان العالم الإسلامي لمساعدة الأقلّيات المسلمة بما يعينها على حفظ شخصيتها الإسلامية وأداء واجباتها الدينية، بدون أن تنقل إليها مشاكلها السياسية ونزاعاتها الإقليمية ونعراتها القومية، حتّى لا تكون سبباً في اختلاف كلمتهم وعزلتهم في غربتهم.

٦ ـ توعية غير المسلمين بمظاهر الحضارة والتمدّن الإسلامي، وإبراز الصفات والأخلاق التي كانت تتناول أهل الذمّة وغير المسلمين في الدول الإسلامية بدون إكراه أو ظلم لهم، ودعوتهم إلى ترك التعصّب وإعمال العقل، والنظرة الصادقة العادلة إلى الإسلام ومبادئه وأحكامه.

والدراسات العلمية عن ظروف الأقلّيات المسلمة وأوضاعها كانت عديدة، واشتغل بها الغربيّون أكثر من المسلمين، ولكن البروفيسور سيّد زين العابدين شجّع المسلمين وغيرهم على الدراسات الهادفة التي تعالج قضايا الأقلّيات المسلمة وتعينها على تحسين ظروفها وتقوّي شخصيتها الإسلامية وتوحّد صفوفها وتعزّز مكانتها، وما عدا اهتماماته الأدبية والحضارية فقد كان رئيس لجنة محاربة العنف الجماعي الموجّه ضدّ مسلمي الهند. وكان مرشحاً لنيل جائزة الملك فيصل العالمية.

توفّي في سنة ١٩٩٣ م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢١٨ ـ ٢١٩، إتمام الأعلام: ١٨١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٨٣٧ ـ ١٨٣٨).

سيّد سابق

سيّد سابق: فقيه وداعية ومربٍّ من أهالي مصر.

تخرّج في كلّيّة الشريعة من جامعة الأزهر، واتّصل بالشيخ حسن البنّا، وانتسب لصفوف الإخوان المسلمين. ولمّا قُتل محمود فهمي النقراشي قدّم إلى المحاكمة بتهمة الإفتاء بجواز قتله، وبرّأته المحكمة. غير أنّه اعتقل ثانية، فلمّا خرج عمل في وزارة الأوقاف مديراً لإدارة الثقافة. ورحل إلى مكّة في أُخريات حياته أُستاذاً في جامعة أُمّ القرىٰ.

له عدد من المؤلّفات، منها: العقائد الإسلامية، إسلامنا، فقه السنّة.

توفّي في القاهرة عن عمر ناهز ٨٥ عاماً.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٨١).

سيّد قطب

سيّد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي: مفكّر إسلامي مصري معروف، ورائد من روّاد حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد سنة ١٩٠٦ م في قرية «موشا» في محافظة أسيوط، وحفظ القرآن وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، وتخرّج بكلّيّة دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م، وعمل في جريدة «الأهرام»، وكتب في مجلّتي «الرسالة» و«الثقافة»، وعيّن مدرّساً للّغة العربية، فموظّفاً في ديوان وزارة المعارف، ثمّ مراقباً فنّياً للوزارة، وأُوفد سنة ١٩٤٨ م في بعثة لدراسة برامج التعليم إلىٰ أميركا، ولمّا عاد منها سنة ١٩٥١ م انتقد البرامج التعليمية، حيث كان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشّىٰ والفكر الإسلامي الأصيل، وبنىٰ على هذا استقالته في العام الثاني للثورة سنة ١٩٥٣ م.

وانضمّ إلى حركة «الأُخوان المسلمين»، فترأس قسم نشر الدعوة، وتولّى تحرير جريدتهم لمدّة سنتين ابتداءً من عام ١٩٥٣ م، فزجّ في السجن معهم، وعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في السجن، فصدر الحكم بسجنه ١٥ عاماً، غير أنّه خرج بعد ١٠

سنوات بعفو صحّي وبعد تدخّل عبد السلام عارف لدىٰ عبد الناصر ، واتّهم سنة ١٩٦٥ م بمحاولة قلب نظام الحكم ، فصدر الأمر بإعدامه ، فأُعدم سنة ١٩٦٦ م.

من تصانيفه : في ظلال القرآن ، النقد الأدبي .. أُصوله ومناهجه ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، التصوير الفنّي في القرآن ، كتب وشخصيات ، المستقبل لهذا الدين ، معالم في الطريق ، مشاهد القيامة في القرآن.

وبعد انتكاسة عام ١٩٦٧ م قال المفكّر الإسلامي علّال الفاسي رئيس حزب الاستقلال في المغرب : « ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيّد قطب ».

وقد كُتبت عدّة كتب حوله ، آخرها في إيران ما نشره المجمع العالمي للتقريب سنة ٢٠٠٧ م حول حياته وجهوده الوحدوية ، كان لكاتب السطور شرف تحقيقه واستدراكه.

وقد كان سيّد قطب يرىٰ أنّه ما لم تتحقّق الوحدة بين المسلمين فإنّ الإمبريالية الغربية ستستمرّ في نهب ثروات وخيرات وموارد الأُمّة الإسلامية ، وقاوم سيّد الحواجز والحدود الجغرافية بين البلاد الإسلامية ، حيث كان يعتقد أنّ كلّ مكان يتواجد فيه المسلم وسط مسلمي ذلك المكان فهو جزء من الوطن الإسلامي ، وأنّ الهجوم على إحدىٰ البلدان الإسلامية هو هجوم على الإسلام. ورسالته إلى السيّد أبي القاسم الكاشاني التي أعلن فيها عن دعمه لحركة تأميم النفط الإيراني تعرب وتفصح عمّا كان يدور في خلده من أفكار حول الوحدة والتقريب ، ومقامنا ليس مقام إيرادها ، ومن أراد الاطّلاع على فقراتها فليراجع الكتاب الذي نشره المجمع العالمي للتقريب حول هذا المفكّر تحت عنوان « سيّد قطب .. آية الجهاد ».

ومن يقرأ مؤلّفات سيّد قطب ـ وعلى رأسها كتاب « الظلال » ـ فإنّه يلاحظ أنّ منهج هذا المفكّر في تحقيق الوحدة الإسلامية والتقارب بين المذاهب الفقهية والفرق الكلامية يقوم على عدّة دعائم ، من أهمّها :

أوّلاً : أنّ العقيدة الإسلامية ـ عقيدة التوحيد والوحدة والأُخوّة والتكافل والمودّة ـ هي الأساس الراسخ الذي ينهض عليه كيان الأُمّة ، وتتحقّق به عزّتها وكرامتها ، ومن ثمّ كان

وقاية هذه العقيدة من كلّ عوامل الزيغ والضعف هو السبيل لأن تظلّ العقيدة الإسلامية القوّة التي تجمع تحت لوائها كلّ المؤمنين بها.

ومن هنا كان سيّد قطب يرفض كلّ ما أخذ به الفلاسفة والمتكلّمون من مناهج عقيمة في دراسة العقيدة، كان يرى ـ وهو على حقّ في هذا على ما قيل ـ أنّ تلك المناهج فرّقت الأُمّة ولم تحم العقيدة من أسباب الانحراف والفساد، وكان لذلك يؤكّد دائماً على وجوب الأخذ بالأُسلوب القرآني في دراسة العقيدة. فهذا الأُسلوب مزاج من الفكر والوجدان، والعقل والشعور. والإنسان ليس عقلاً صرفاً ولا وجداناً صرفاً، فمخاطبته وفق فطرته التي فطرها الله عليها هو أقصر طريق لصحّة الإيمان وسلامة اليقين.

لقد دعا سيّد قطب إلى نبذ مناهج الفلاسفة، وبيّن أنّها مناهج دخيلة على الفكر الإسلامي، وأنّ المحافظة على أصالة هذا الفكر وصفائه ونقائه تقتضي الرجوع إلى المنهج القرآني في دراسة العقيدة، حتّى تظلّ العقيدة حيّة نقية من كلّ الشوائب، تقود الأُمّة إلى حياة العبودية الخالصة لله ربّ العالمين، وحياة الاعتصام الصحيح بحبل الله، وحياة الأُخوّة الإسلامية بمفهومها الشامل، وبهذا تكون الأُمّة بنياناً مرصوصاً أو جسداً واحداً يشدّ بعضه بعضاً.

ثانياً: مع دعوة سيّد قطب إلى دراسة العقيدة الإسلامية وفق المنهج القرآني وبعيداً عن تعقيدات علماء الكلام والفلاسفة كان يحرص أبلغ الحرص على أن تسترشد الأُمّة بالعصور الزاهرة في تاريخها، وألّا تجتاز ما انتهت إليه عصور الضعف والتخلّف من المفاهيم والأحكام الباطلة. فهذه العصور ينبغي على الأُمّة ألّا تقف عندها إلّا لأخذ العظة فيها، بمعنى: أن تدرسها لتعرف الأسباب والعوامل التي دفعت بالأُمّة إلى أن تتخلّى عن الصدارة والقيادة، وترضى بحياة الوهن والتقليد، حتّى لا تتعرّض مرّة أُخرى لهذه العوامل لتنهض من جديد تعيد تاريخها المشرق بالقوّة والفضيلة والحضارة.

ثالثاً: كان من منهج قطب في جمع كلمة الأُمّة العناية الخاصّة ببيان ما تميّزت به الأُمّة الإسلامية من وحدة العقيدة، ووحدة الغاية، ووحدة المنهج، ووحدة التصوّر لمهمّة الإنسان

في الحياة، ففي هذا البيان مقاومة لكلّ أسباب التمزّق والتفرّق والصراع والتنازع الذي لا يرتدّ على الأُمّة إلّا بالبوار. فضلاً عن أنّه يحصّن الأُمّة وينبّهها إلى أن تفيء إلى قيمها الخالدة وخصائصها الربّانية السامية، فلا تعتصم بغيرها، ولا تضيّع وقتها في هذا النظر إلى هنا وهناك، ولا تغتر بما يموّه به عليها شياطين الإنس والجنّ من وسائل الضلال والانحلال، وبذلك تبقى لها أصالتها وقوّتها وكرامتها وعزّتها.

وكان سيّد قطب يوضّح عواقب التنازع والاختلاف، ويؤكّد أنّ الأُمّة التي يسود فيها الجدل بغير التي هي أحسن، والتي ينزغ الشيطان بين أبنائها، والتي تستبدّ بها نوازع العصبية والإقليمية، والتي يتصارع أفرادها لأتفه الأسباب ويتقاتلون باللسان والسنان، تصبح لقمة سائغة لعدوّها، ولهذا كان من منهجه أن يثبت بالدليل العلمي أنّ كلّ الأفكار البشرية التي يغترّ بها من لا فقه لهم بالإسلام مآلها البوار، وأنّ المستقبل وحده للإسلام.

وكان يرى أنّ الفكر المادّي الإلحادي الشيوعي سينهار أوّلاً، ثمّ يليه الفكر الرأسمالي.

وقد حدث ما ذهب إليه الرجل بعد وفاته بنحو ربع قرن، وسيحدث أيضاً الانهيار بالنسبة إلى الفكر الرأسمالي الغربي مهما طال به الأمر. وهذا يعني: إفلاس كلّ النظم البشرية، ولن ينقذ الناس من فوضى المناهج والنظريات الوضعية إلّا الإسلام، وحتّى يتحقّق ذلك يجب على المؤمنين بهذا الدين أن يكونوا في حياتهم وفي علاقاتهم صورة حيّة واقعية لهذا الدين، حتّى يقودوا غيرهم إليه، ويكونوا دائماً روّاداً على طريق الحقّ والخير للناس كافّة.

على أنّ سيّد قطب كان في جهاده من أجل دينه وأُمّته لا يهادن الباطل، ولا يخشى في الحقّ لومة لائم، وقد ذهب شهيداً بسبب شجاعته وصلابة يقينه، وقد حاول الذين آذوه وقتلوه أن يمنعوا فكره وآراءه من الذيوع والانتشار، ولكن (الزبد يذهب جفاءاً وما ينفع الناس فإنّه يمكث في الأرض)، وقد ذاعت أفكار سيّد قطب على مستوى العالم الإسلامي، بل على مستوى العالم كلّه، وترجمت مؤلّفاته، وبخاصّة «الظلال» إلى أكثر من لغة غير عربية، والأمل وطيد أن تجد هذه الأفكار طريقها للتطبيق ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (سورة الأنفال: ٣٩)، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٢١).

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨، موسوعة السياسة ٣: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، موسوعة المورد ٨: ٢١٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ١٤٦ ـ ١٦٨، معجم الروائيّين العرب: ١٩٣ ـ ١٩٤، نثر الجواهر والدرر ١: ٤٩٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٠٣ ـ ٣٠٤، الموسوعة العربية العالمية ١٣: ٣٧٠، المفسّرون للأيازي: ٥١٢ ـ ٥١٧، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ١: ٥٢١ ـ ٥٢٢، عظماء الإسلام: ٢٥١ ـ ٢٥٤، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢٣١ ـ ٢٣٦، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٤٣ ـ ١٤٤، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٤٨ ـ ٣٥٥، موسوعة الأعلام ٢: ٤٠٧ ـ ٤٠٨، رجالات التقريب: ٣٠٦ ـ ٣١٦ و ٤١٠ ـ ٤١٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

* * *

﴿حرف الشين﴾

الشريف المرتضى

أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمّد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي الموسوي البغدادي، الملقّب بالشريف المرتضىٰ، وبعلم الهدى: من أشهر أعلام المسلمين في التاريخ.

ولد ببغداد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة للهجرة، وتـلمّذ هـو وأخـوه الشـريف الرضي على الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، وروى عـن: هـارون بـن مـوسى التلعكبري، وأبي الحسن علي بن محمّد الكاتب، وأبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيىٰ، وأحمد بن سهل الديباجي، وغيرهم.

وكان كثير السماع والرواية، وتفقّه به وحمل عنه العلم والرواية جمعٌ من المشـايخ، منهم: أبو جعفر الطوسي، وأبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي، وجعفر بن محمّد الدورْيَستي، وأبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي، وأبو يعلى محمّد بن الحسن الجعفري، وأبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسني، وأحمد بن الحسين الخزاعي، وأبو الحسن محمّد بن محمّد البُصروي، وكتب عنه الخطيب البغدادي.

وكان ثاقب الرأي، حاضر الجواب، غزير العلم، قديراً في المناظرة والحجاج، ذا هيبة وجلالة، وجاه عريض، تولّى نقابة الطالبيّين وإمارة الحاجّ والنظر في المظالم لأكـثر مـن ثلاثين سنة.

درس كثيراً، وأفتىٰ، وناظر، وصنّف الكثير، وكانت داره منتجعاً لروّاد العـلم، وكـان يجري على تلامذته رزقاً.

قال أبو العبّاس النجاشي: «حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من

الحديث فأكثر، وكان متكلّماً، شاعراً، أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا».

وقال ابن خلّكان: «كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر».

وقال الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين: «كان من سابقيهم ـ يعني: الشيعة ـ دعوة إلى فتح باب الاجتهاد في الفقه، وأسبقهم تأليفاً في الفقه المقارن، وإنّه كان واضع الأُسس لأُصول الفقه لديهم، ومجلي الفروق بينها وبين أُصول العقائد لدى الشيعة وسواهم، وإنّه في علم الكلام كان قرن القاضي عبد الجبّار رأس المعتزلة، وإنّه في جماع ذلك كان يعتبر مجدّد المذهب الشيعي الإمامي».

صنّف الشريف المرتضى كتباً كثيرة بلغت ـ وذلك كما في «أعيان الشيعة» ـ تسعة وثمانين كتاباً، منها: الانتصار في الفقه، الخلاف في أُصول الفقه، جمل العلم والعمل في الفقه والعقائد، المسائل الطرابلسية، المسائل التبّانيات، المسائل المحمّديات، المسائل الجرجانية، المسائل الطوسية، المسائل السلّارية، المسائل الدمشقية، المسائل المصرية، الفقه المكّي، تنزيه الأنبياء والأئمّة، تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة، تفسير سورة ﴿ هَلْ أتىٰ ﴾، الشافي في الإمامة، الطيف والخيال، تتبّع ابن جنّي، غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي السيّد المرتضى.. قال فيه ابن خلّكان: «وهو كتاب ممتع يدلّ على فضل كثير وتوسّع في الاطّلاع على العلوم»، وديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت.

ومن شعره قوله من قصيدة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام:

يا يوم عاشور كم طأطأتَ من بصرٍ	بعد السموّ وكم أذللتَ من جيدِ
يا يوم عاشور كم أطردتَ لي أملاً	قد كان قبلك عندي غير مطرود
أنت المُرَنِّق عيشي بعد صفوته	ومولج البيض من شيبي على السود
جُز بالطفوف فكم فيهنّ من جبل	خرّ القضاء به بين الجلاميد
وكم جريح بلا آسٍ تمزّقه	إمّا النسور وإمّا أضبع البيد
يا آل أحمد كم تُلوى حقوقكم	ليّ الغرائب عن نبت القراديد
وكم أراكم بأجواز الفلا جُزراً	مبدّدين ولكن أيّ تبديد

حُسـدتم الفـضل لم يـحرزه غـيركم والناس مـا بـين مـحروم ومـحسود

توفّي سنة ستّ وثلاثين وأربع مائة للهجرة، ودفن في داره ببغداد، ثمّ نقل إلى جوار مشهد الإمام الحسين عليه السلام.

(انظر ترجمته في: رجال النجاشي: ٢٧٠ ـ ٢٧١، المنتظم ١٥: ٢٩٤ ـ ٣٠٠، الكامل في التاريخ ٨: ٤٠، معجم الأُدباء ١٣: ١٤٦ ـ ١٥٧، رجال ابن داود: ١٣٦ ـ ١٣٧، سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٨٨ ـ ٥٩٠، بغية الوعاة ٢: ١٨٢ ـ ١٨٣، الدرجات الرفيعة: ٤٥٨ ـ ٤٦٦، أبجد العلوم ٣: ٥٤، أعيان الشيعة ٨: ٢١٣ ـ ٢١٩، الكنى والألقاب ٢: ٤٨٠ ـ ٤٨٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٤٩٧ ـ ٥٠١، موسوعة طبقات الفقهاء ٥: ٢٣٤ ـ ٢٣٦، أُدباء وشعراء العرب ١: ١٧٦، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٤٣١ ـ ٤٣٢، مشاهير فلاسفة المسلمين: ٣٤٣ ـ ٣٥١، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٩١ ـ ٩٢، موسوعة الأعلام ٢: ٤٤٤ و٤: ١٥٩).

شكيب أرسلان

الأمير شكيب حمّود حسن يونس أرسلان: مفكّر إسلامي مرموق ومشهور، وداعية إصلاح، وأحد أعلام اليقظة الإسلامية.

ولد في بلدة الشويفات بلبنان سنة ١٨٦٩م، وتعلّم القراءة والكتابة على يد الشيخ مرعي شاهين سليمان، ثمّ حفظ بعض القرآن، ودخل المدرسة الأمريكية بقرية الشويفات، حيث تعلّم الجغرافيا والحساب والإنجليزية، ثمّ تعلّم في مدرسة دار الحكمة ببيروت على يد الشيخ عبد الله البستاني، وتعرّف على الشيخ محمّد عبده من خلالها، فأخذ عنه.

عيّن مديراً للشويفات سنتين، فقائم مقام في قضاء الشوف ثلاث سنوات، ثمّ أقام بمصر مدّة.

انتخب نائباً عن حوران في مجلس (المبعوثان) العثماني.

زار كثيراً من دول أوروبّا وبلاد العرب، وزار أمريكا والأندلس بهدف الدفاع عن الإسلام والمطالبة بعودة البلاد المستعمرة إلى أصحابها.

كان يدافع عن الخلافة والدولة العثمانية، وكان من أنصارها ومن أشدّ المتحمّسين لها.

أُعجب به جمال الدين الأفغاني، وقال: «أنا أُهنّئ أرض الإسلام التي أنبتتك»، ووصفه الشيخ محمّد رشيد رضا بأنّه أمير البيان وحامل لواء الصناعتين.

كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، ثمّ أصبح رئيساً له ردحاً من الزمن.

عني بالقضايا العربية والإسلامية، وأصدر من أجل ذلك مجلّة شهرية باللغة الفرنسية في جنيف سنة ١٩٣٠ م مع إحسان الجابري تسمّى «Lanation Arabe» أو الأُمّة العربية، وكان في حلّه وترحاله لا يدع فرصة إلّا كتب بها مقالاً أو بحثاً عن واقع المسلمين، وحثّهم على الجهاد، وتوعيتهم.

أنشأ مدرسة في المدينة المنوّرة، وأسّس جمعية «هيئة الشعائر الإسلامية» في ألمانيا.

وكان يتقن العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية.

كان غيوراً على الإسلام والمسلمين، وكثيراً ما كان يندّد بالمستعمرين وأعداء الدين، ومنهم كمال أتاتورك وأتباعه دعاة القومية الطورانية، حيث هاجمهم كثيراً وفضحهم في مجلّة «الفتح» التي كان يكتب بها في مصر.

حارب الإيطاليّين في ليبيا مع المجاهدين، وقاد المتطوّعين في الحرب العالمية الأُولىٰ ضدّ الحلفاء.

كان شاعراً كبيراً وأديباً نابهاً، حضري المعنى، بدوي اللفظ، ومن أشعاره قوله:

يا يوم حطّين كم حططت من ... الإفرنج شأناً ما كان ينكسر
هبّوا من الغرب كالجراد ... فلم يكن لشرق بردهم قدر

ومنها قوله:

إذا الحقّ لم يصبح على الكلّ سائد ... فليس لحرّ في البرية مأرب

ولمّا شاهد مسجد قرطبة بكاه قائلاً:

تخيّلته والذكر يتلى خلاله ... نظير دوي النحل من كلّ مصدر
تأمّل خليلي كم هنا من مهلّل ... إلى ربّه صلّى وكم من مكبّر
وكم أزهرت فيه أُلوف مصابيح ... وكم أوقدت أرطال عود وعنبر

وكم قارئ بالسبع في وسط حلقه وكم خاطب بالسجع من فوق منبر
وكم عالم يلقي على الجمع درسه وكم واعظ يجري مدامع محجر
وكم ملك ضخم وكم من خليفة هنا كان يجثو عن جبين معفّر

من مؤلّفاته: لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم، غزوات العرب في فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرا، حاضر العالم الإسلامي، الباكورة، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، السيّد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، خلاصة تاريخ الأندلس، شوقي أو صداقة أربعين سنة، النهضة العربية في العصر الحديث.. إلى جانب ديوانه الشعري ومذكّراته. وتبلغ صفحات مؤلّفاته ٢٥ ألف صفحة من الحجم الكبير.

يقال: كتب قبيل وفاته ويده ترتجف: «أوصيكم بفلسطين».

توفّي عام ١٩٤٦ م في بيروت، ودفن بالشويفات.

وحين يلتمس الدارس مفتاحاً صائباً لشخصية الأمير شكيب أرسلان لن يبعد بعيداً عن إسلاميته الخالصة، فإسلاميته قد خطّت في الحياة طريقاً يقنع ذوي الخبرة ممّن يحرصون على كرامة الإسلام. وعلى حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيّومي فكلّ عمل قام به الرجل، وكلّ كلمة خطّها بقلمه، إنّما يسيران به في محيط الإسلامية الطاهرة، فعن قوسها ينزع وفي فلكها يدور.

وقبل انهيار الدولة العثمانية كان من أشدّ المخلصين لها؛ لأنّ الخلافة في رأيه حصن واقٍ للأُمّة الإسلامية، وهو يقول: «أُحبّ الترك والعرب معاً، ولو تخاصما ما تمنّيت لأحدهما الانتصار، إذ باجتماعهما يلتئم شمل الإسلام».

وكان يراسل كلّ زعماء الإسلام في أفريقيا وآسيا، حتّى بلغت رسائله في عام واحد ـ وهو عام ١٩٣٥ م ـ (١٧٨١) رسالة، وبلغت مقالاته (١٧٦) مقالة في شتّىٰ الصحف، وعدد صفحات كتبه ١١٠٠ صفحة، ويقول بعد ذلك: «هذا محصول قلمي في عام واحد!».

استمع إلى دروس الإمام محمّد عبده بالمسجد الجامع حين كان منفياً بعد الثورة العراقية، وأُعجب به إعجاباً شديداً، دفعه إلى مدحه وإهدائه باكورة شعره، وكان أثر الإمام

فيها شبيهاً بأثر جمال الدين الأفغاني، حيث قرأ مقالاته في «العروة الوثقىٰ» وافتتن به افتتاناً شديداً، وعلى هديه سار في المطالبة بالوحدة الإسلامية، وكان من أعلام الكتّاب في أوائل شبابه، فلم يعرف له أُستاذ غير هذين، وعلى هديهما سار.

أمّا تلاميذه فقُرّاء مقالاته وكتبه في العالم العربي والإسلامي، حيث لم يكن مدرّساً في جامعة، ولكن انتسب إلى كلّ من تأثّر بفكره، وفيهم زعماء كبار بلغوا رئاسة الوزراء في بلادهم، ومن أصدقائه الكبار: محمّد رشيد رضا، وأحمد شوقي، ومحمّد علي الطاهر، وهاشم الأتاسي، ومحبّ الدين الخطيب، ومحمّد كرد علي، وسليمان الباروني، ومحمّد علّال الفاسي، وغيرهم من كبار المجاهدين.

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٩٣٢، المعاصرون: ٢٤٨ ـ ٢٦٧، الأعلام للزركلي ٣: ١٧٣ ـ ١٧٥، معجم المؤلّفين ٤: ٣٠٤ ـ ٣٠٦ و١٣: ٣٩٣، موسوعة السياسة ٣: ٤٨٨ ـ ٤٨٩، موسوعة المورد ١: ١٦٦، عظماء الإسلام: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، أعلام التراث: ٧١ ـ ٧٣، الموسوعة العربية العالمية ١: ٥٠٨، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٣٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ١٨٧ ـ ٢٠٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٥٠٥ ـ ٥٠٨، معجم الشعراء للجبوري ٢: ٤٠٤ ـ ٤٠٥، أُدباء وشعراء العرب ٢: ١٥٦، الشعراء العرب في القرن العشرين: ٢٧٢، مشاهير الشعراء والأُدباء: ١٢٤ ـ ١٢٥، معجم تراجم الشعراء الكبير: ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

شهاب الدين المرعشي النجفي

السيّد محمّد حسين بن محمود بن علي الحسيني المرعشي النجفي المعروف بالسيّد شهاب الدين المرعشي: أحد مراجع الدين المعروفين، وهو فقيه جليل القدر، وعالم نحرير متضلّع في الأنساب والرجال.

ولد سنة ١٣١٨ هـ في النجف الأشرف، وأخذ بها المقدّمات والسطوح على والده وغيره من الفضلاء، وتتلمذ في الفقه والأُصول على: الشيخ ضياء الدين العراقي، والسيّد حسن الصدر، والشيخ مهدي الخالصي، والشيخ محمّد جواد البلاغي، وغيرهم.

وفي عام ١٣٤٢ هـ توجّه نحو طهران، فأخذ الكلام والحكمة والمنطق والرجال

والرياضيات والأدب والطبّ من علمائها، ثمّ انتقل إلى قم وتتلمذ على الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، وبعد وفاة الأخير تصدّى للمرجعية والتدريس وإمامة الجماعة ورعاية شؤون الحوزة.

وكان مهتمّاً بالكتب الخطّية القديمة واقتنائها منذ السنوات الأُولى من حياته، فأسّس مكتبة عامرة شهيرة سنة ١٣٨٥ هـ.

توفّي ليلة الخميس ٨ / صفر / ١٤١١ هـ، ودفن في داخل مكتبته العامّة بمدينة قم الإيرانية.

من مصنّفاته: أجوبة المسائل الرازية، أعيان المرعشيّين، روض الرياحين، طبقات النسّابين، المسلسلات إلى مشايخ الإجازات، مشجّرات آل الرسول، الهداية في شرح الكفاية، القبلة، مقدّمة التفسير، ملحقات الإحقاق، منهاج المؤمنين، تقريرات القصاص، المشاهد والمزارات، المعوّل في أمر المطوّل، علماء السادات، مسارح الأفكار، تعليقة على عمدة الطالب، كشف الارتياب.

وقد قطع السيّد المرعشي أشواطاً عملية على طريق التقريب، فقد كان لحضوره في جلسات دروس كبار علماء أهل السنّة الدور العملي في إحلال التفاهم والترابط محلّ التفرّق والتشرذم، ومنذ باكورة دراسته في العراق كان من الملتزمين بحضور دروس بعض العلماء كالشيخ عبدالسلام الكردستاني الشافعي والشيخ نور الدين الشافعي والسيّد عبدالوهاب الأفندي الحنفي وآخرين، وله من دروسهم تقريرات فريدة.

كما ولج السيّد صعيداً آخر لتوفيق عرىٰ التعاضد بين علماء المسلمين، وهو صعيد إجازة الرواية، حيث كانت له إجازة رواية من عدد كبير من علماء أهل السنّة، ولهم منه إجازات، وبلغت إجازاته ٥٦ إجازة رواية من فقهاء أهل السنّة و١٧ إجازة من علماء الزيدية.

وكانت له أسفار وسياحة واسعة التقىٰ فيها ببعض العلماء من الفريق الآخر وتبادل معهم المسائل العلمية وقضايا المسلمين وشؤونهم، منهم: السيّد محمود شكري الآلوسي،

والشيخ طنطاوي جوهري، والسيّد ياسين الحنفي البغدادي، والأُستاذ رشيد بيضون، والسيّد محمّد رشيد رضا، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمّد بهجة البيطار.

كما كانت له مراسلات عديدة مع الشيخ طنطاوي جوهري رئيس «جمعية الأُخوّة الإسلامية» بمصر، والشيخ محمّد بهجة البيطار الدمشقي، والسيّد حسين محمّد الرفاعي المصري رئيس «رابطة عموم السادة الأشراف الكبرىٰ العالمية، وغيرهم. وكان هدفه ينصبّ بالدرجة الأُولى من هذه المرسلات على التفاهم بشأن المسائل المذهبية وإزالة ما علق في الأذهان من شبهات، وبالتالي توحيد كلمة المسلمين.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٣٩٦ (الهامش الأوّل)، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١١٨٩ ـ ١١٩٠، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٦١ ـ ٥٦٢، تتمّة الأعلام ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ و٣: ٢٤١ ـ ٢٤٢، إتمام الأعلام: ١٩٠ ـ ١٩١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣١٢ ـ ٣١٣).

الشهيد الأوّل

أبو عبدالله محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد المطّلبي الجزيني العاملي المعروف بالشهيد الأوّل: من أشهر فقهاء الإمامية، وداعية وحدة.

ولد في جزّين (من قرى جبل عامل بلبنان) سنة أربع وثلاثين وسبع مائة للهجرة على المشهور، وورّخ شمس الدين الجزري مولده بعد العشرين وسبع مائة.

ونشأ وتعلّم ببلدته، وارتحل إلى العراق، فكان في مدينة الحلّة ـ وهي من مراكز العلم المشهورة يومذاك ـ سنة ٧٥١ هـ، وأخذ الفقه والأُصول والحديث عن كبار المشائخ، كان من أجلّهم: فخر المحقّقين محمّد بن العلّامة الحسن ابن المطهّر الحلّي، ولازمه وانتفع به كثيراً، وعميد الدين عبد المطّلب بن محمّد ابن الأعرج الحسيني، وأخوه ضياء الدين عبد الله ابن الأعرج، وتاج الدين محمّد بن القاسم ابن مُعيّة الحسني.

كما أخذ وروى عن طائفة، منهم: جلال الدين أبو محمّد الحسن بن أحمد بن نجيب الدين محمّد ابن نما الحلّي، وشمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي المعالي

الموسوي، وأبو الحسن علي بن أحمد بن طراد المطارآبادي، ورضي الدين أبو الحسن علي ابن أحمد المزيدي، وأحمد بن محمّد بن إبراهيم ابن زُهرة الحلبي، وعلي بن محمّد بن الحسن ابن زُهرة الحلبي، ومهنّأ بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدني.

ويظهر أنّه أقام بالحلّة إلى سنة ٧٥٧ هـ، وأتقن الفقه وغيره، وأقرأ وصنّف فيها بعض تصانيفه، وسمع ببغداد سنة ٧٥٨هـ، وقد زار خلال تواجده بالحلّة كربلاء والمدينة المنوّرة.

وعاد إلى بلدته جزّين، وأسّس بها مدرسة، ونشر علمه بها.

واستفاد بدمشق من قطب الدين محمّد بن محمّد الرازي المتكلّم تلميذ العلّامة الحلّي، وحصل منه على إجازة في سنة ٧٦٦هـ.

وجاب عدّة بلدان مثل مكّة والمدينة وبغداد ودمشق وفلسطين، وأخذ بها عن نحو أربعين شيخاً من علماء السنّة، وروى عنهم صحاحهم وكثيراً من مصنّفاتهم، ومن هؤلاء: شمس الدين محمّد بن يوسف القرشي الكرماني البغدادي الشافعي، وشهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي، وشرف الدين محمّد بن بكتاش التستري البغدادي الشافعي، وقاضي القضاة عزّ الدين عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم ابن جماعة الدمشقي المصري، وشمس الدين محمّد بن عبد الله البغدادي الحنبلي القارئ الحافظ، والقاضي إبراهيم بن عبد الرحيم ابن جماعة الشافعي، وشمس الدين أبو عبد الرحمان محمّد بن عبد الرحمان البغدادي المالكي، وعبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل شيخ دار الحديث ببغداد.

وكان الشهيد علّامة في الفقه، محيطاً بدقائقه، عالماً بالأُصول، محدّثاً، أديباً، شاعراً، ذا ذهن سيّال، وعقلية متفتّحة، ونظر ثاقب، وهو ممّن ترك آثاراً واضحة على الفقه الشيعي تجديداً وتطويراً وتنقيحاً.

قال فخر المحقّقين في حقّ تلميذه المترجم: «الإمام العلّامة الأعظم، أفضل علماء العالَم».

وقال شمس الدين الكرماني الشافعي في إجازته له: «إمام الأئمّة، صاحب الفضلين،

مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة».

وقال شمس الدين أبو الخير الجَزري الشافعي في وصفه: «شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم، وهو إمام في الفقه والنحو والقراءة، صحبني مدّة مديدة، فلم أسمع منه ما يخالف السنّة».

وقال عنه نور الدين الكركي: «شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، علّامة المتقدّمين، ورئيس المتأخّرين، حلّال المشكلات، وكشّاف المعضلات، صاحب التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة، حبر العلماء، وعلم الفقهاء».

وكان الشهيد يقيم مدداً غير قصيرة في دمشق، فاتّسعت شهرته، وعظُمت مكانته في النفوس، فالتفّوا حوله، وأخذوا عنه وتفقّهوا به، وحضر مجلسه العلماء من مختلف المذاهب، وسعى في نشر التشيّع في جو من التآلف ونبذ الخلافات، وجدّ في التحريض والردّ على أهل البدع (أمثال محمّد اليالوش وأتباعه).

وكانت له علاقات وثيقة ومراسلات مع ملك خراسان علي بن المؤيّد، يرجع تاريخها إلى أيّام إقامته في العراق. وفي السنوات الأخيرة من عمر الشهيد كتب إليه الملك المذكور رسالة التمس فيها منه التوجّه إلى بلاده ليكون مرجعاً للخرسانيّين، فأبى واعتذر له، ثمّ صنّف له في مدّة سبعة أيّام كتاب «اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية»، وبعث بها إليه.

وثقُل أمر الشهيد على خصومه (من المتعصّبين والمبتدعين والنفعيّين)، فتقرّر حبسه في قلعة دمشق. فلبث فيها سنة كاملة، ثمّ عُمل محضر نُسبت فيه إليه أقاويل منكرة، ورفع إلى القاضي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم ابن جماعة ـ وكان ممّن يضمر العداوة له ـ فأنفذه إلى القاضي المالكي، فعقد مجلساً حضره القضاة وغيرهم، وأنكر الشهيد التهم الموجّهة إليه، لكن القاضي أفتىٰ بإباحة دمه!

وقد تفقّه بالشهيد وروى عنه جماعة، منهم: أولاده جمال الدين أبو منصور الحسن، وضياء الدين أبو القاسم علي، ورضي الدين أبو طالب محمّد، وابنته الفقيهة أُمّ الحسن فاطمة المعروفة بستّ المشائخ، وزوجته الفقيهة أُمّ علي، والسيّد بدر الدين الحسن بن

أيّوب الشهير بابن الأعرج الأطراوي العاملي، وعبد الرحمان العتائقي، وأبو عبد الله المقداد ابن عبد الله السيوري الحلّي، وأبو جعفر محمّد بن تاج الدين عبد العلي بن نجدة الكركي، وشمس الدين محمّد بن علي بن موسى بن الضحّاك الشامي، وشمس الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي، وعزّ الدين الحسن بن سليمان بن محمّد الحلّي، وزين الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن محمّد الخازن الحائري، وعزّ الدين الحسين بن محمّد بن هلال الكركي، وآخرون.

وصنّف كتباً كثيرة، معظمها في الفقه، منها: اللمعة الدمشقية، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، البيان في الفقه، الرسالة الألفية في فقه الصلاة، الرسالة النفلية، غاية المراد في شرح «الإرشاد» للعلّامة الحلّي، القواعد والفوائد في الفقه، تفسير الباقيات الصالحات، جامع البين من فوائد الشرحين في أُصول الفقه، الأربعون حديثاً، أجوبة مسائل الفاضل المقداد، أجوبة مسائل الأطراوي، والمزار.

وقد اعتنى العلماء بكثير من كتبه الفقهية شرحاً وتعليقاً وتدريساً.

قُتل شهيداً بدمشق في تاسع جمادى الأُولى سنة ستّ وثمانين وسبع مائة، ثمّ صُلب، ثمّ أُحرق، وذلك في عهد السلطان برقوق ونائبه بالشام بيدَمر.

ومن شعر الشهيد:

عظُمت مصيبة عبدِكَ المسكينِ ... في نومه عن مهر حورِ العينِ
الأولياء تمتّعوا بك في الدجى ... بتهجّد وتخشّع وحنينِ
فطردتني عن قرع بابك دونهم ... أتُرىٰ لعُظم جرائمي سبقوني
أوَجَدتهم لم يُذنبوا فرحمتَهم ... أم أذنبوا فعفوتَ عنهم دوني
إنّ لم يكن للعفو عندك موضعٌ ... للمذنبين فأين حسنُ ظنوني

لقد نشأ الشهيد الأوّل في بيت عرف بالعلم والتقوى، فوالده الشيخ مكّي بن محمّد بن حامد الجزئيني قال عنه الحرّ العاملي: «بأنّه من فضلاء المشايخ في زمانه»، وأيضاً عبّر عن جدّه: «بأنّه عالم ثقة»، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا المناخ على شخصية الشهيد ونمط

تفكيره وهو يشاهد ملّة الكفر تستبيح أرضه وتقهر شعبه، ممّا فرض على قسم من الناس أن يدينوا بغير دينهم. من هنا كانت ذهنية الشهيد تتجاوز حدود القرية لتلامس حدود الأُمّة الإسلامية في جميع مذاهبها وألوانها، فالخطر المحدق بها يتجاوز حدود كلّ مذهب منهم.

عمل الشهيد على أن يصبح رمزاً دينياً ورقماً صعباً في المعادلة العلمية والفكرية، وجبل عامل في ذلك الوقت لا يستطيع أن يحقّق له طموحه، حيث لم يكن مستقلّاً علمياً بسبب الظروف الأمنية التي كانت تعيشها المنطقة، ولذلك بمجرّد أن استنفذ الطاقات العلمية في جبل عامل غادرها إلى الحوزة الأُمّ، الحلّة آنذاك، وقال هذا كلّ من ترجم عنه في الأعيان وأمل الآمل والروضات، فالاحتلال الصليبي للمنطقة جعل أوضاع أهل هذا الجبل قاسية للغاية، فكما ينقل السيّد حسن الأمين عن تاريخ جبل عامل: كان الناس يعيشون الغربة في أوطانهم، ويدفعون الجزية إلى الأفرنج، ويشاطرونهم الغلّات، ومع ذلك لم ينقطع وجود علماء فضلاء كانوا يقومون بدورهم التبليغي الديني.

حيث كانت مدينته الحلّة، فما أن وصل إليها حتّى فوجئ بموت ورحيل العلّامة الحلّي، وعاد أهل العلم إلى نجله فخر المحقّقين، فبقي ما يزيد على عقد من الزمن تلميذاً وباحثاً منكبّاً على العلم بلا ملل ولا ضجر حتّى استبانت مكانته العلمية، ممّا جعل فخر المحقّقين يقول عنه: «إنّني استفدت منه أكثر ممّا استفاد منّي»، وإن كان هذا الكلام محمولاً على المبالغة، لكن أن يصدر عن موقع بهذا الحجم له دلالته الواضحة على المقصود.

كما درس أيضاً على الأخوين العالمين: السيّد عميد الدين الحلّي الحسيني، والسيّد ضياء الدين الحلّي الحسيني، وهما شارحا كتاب التهذيب لخالهما العلّامة الحلّي، وأجازا الشهيد بالاجتهاد والرواية.

وخلال هذه المدّة حاز شهيدنا الأوّل على العديد من الإجازات، وقد دوّنت بعدّة مصادر، كما جاء في كتب التراجم وغيرها: أمل الآمل، تكملة أمل الآمل، أعيان الشيعة، لؤلؤة البحرين، الكنى والألقاب، بحار الأنوار.

وغادر الشهيد الحلّة، وهو أحد فضلائها المشهود له بالمكانة العلمية والفكر المتنوّر

المتطلّع إلى مشروع بدأت آثاره تظهر في طريق العودة إلى جزّين.

لم يعد الشهيد مباشرة إلى جزّين مكتفياً بهذا القدر من العلم الذي حصل عليه رغم الحنين والشوق إلى الوطن والأهل، بل عمد إلى التوجّه إلى المراكز العلمية عند علماء السنّة، ليطّلع أوّلاً على المخزون العلمي والفكري لدى فقهائهم، وثانياً كيما تنشأ علاقة تمهّد لطرح مشروع يفتح باباً كبيراً للحوار مع الفكر السنّي، ويؤسّس لأنماط من العلاقات المختلفة، ويقطع الطريق على من سيلحق الضرر بالمصالح الكبرى لهذه الأُمّة مستغلاً تفكّكها.

ففي سنة ٧٥٨ هـ اتّجه الشهيد الأوّل إلى بغداد، وأقام فيها مدّة من الزمن، كما ينقل ابن الجزري في طبقات القرّاء، حيث درس على فقهاء أهل السنّة، ومنهم شمس الأئمّة الكرماني محمّد بن سعيد الفرشي الفقيه الشافعي، بعد ذلك غادر بغداد باتّجاه عواصم ذات طابع سنّي، مثل دمشق والقاهرة ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ومقام الخليل إبراهيم، وبتعبير منه ﵀: «إنّه درس على أربعين شيخاً من علماء أهل السنّة»، وأحصاهم في إجازته لابن الخازن الحائري في دمشق ٧٨٤ هـ والموجودة في «بحار الأنوار».

بعد كلّ هذه الرحلة الطويلة والتنقّل في مدارس العلم عند الشيعة والسنّة استطاع الشهيد أن يتحوّل إلى رمز كبير في العالم الإسلامي، وهنا يظهر من جميع ما تقدّم أنّ الشهيد الأوّل كان يحضّر لمنهجية جديدة تخدم المسلمين عامّة، مستفيداً من أوضاع مختلفة:

منها: مرحلة دولة المماليك التي لم تلتفت إلى الاختلاف المذهبي، ولم تحرّض عليه، وكلّ همّها التمسّك بالسلطة، خصوصاً أنّ الحكّام كانوا من الأُمّيّين.

ومنها: بقاء جزّين خارج الاحتلال الصليبي، واعتبار جبل عامل وجزّين بالذات قاعدة لهذا المشروع، وكون دمشق عاصمة للسلطة السياسية من جهة، والأقرب للمعاهد السنّية من جهة أُخرىٰ، ممّا استوجب لحضوره هناك رادعاً من أيّ تأثير خارجي على مشروعه الوحدوي النهضوي.

من هنا جاء رفضه لطلب حاكم خراسان علي بن المؤيّد، حينما دعاه إليها ليكون

مرجع الشيعة هناك، وذلك ليقينه بأنّ الأعباء في هذه المنطقة وما سيحصل من تداعيات لن يتمكّن أحد من تحمّلها غيره.

وملخّص القول: إنّ الشهيد الأوّل الذي ذهب إلى ولاية الفقيه العامّة هو بطل من أبطال الوحدة الإسلامية، ومؤسّس للحوار بين المذاهب، ورافض لفكرة رفض الآخر لمجرّد الاختلاف.

ويعدّ الشهيد من روّاد الحركة الإصلاحية في وقته، فقد كان يحتلّ مكانة علمية مرموقة بين علماء أهل السنّة، فكانوا يحضرون مجلسه في بيته للاستفادة وللمناقشة وحلّ مشكلات الفقه والكلام في كثير من الأحيان، وكان راوياً مجازاً لعلماء السنّة في صحاحهم، ويقول عن نفسه في إجازته لابن خاتون: «وأمّا مصنّفات العامّة ومروياتهم فإنّي أرويها عن نحو أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة والمدينة ودار السلام وبغداد ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم» عليه السلام.. وقد رويت صحيح البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذلك صحيح مسلم، ومسند أبي داود، وجامع الترمذي، ومسند أحمد، وموطّأ مالك، ومسند الدارقطني، ومسند ابن ماجة، والمستدرك على الصحيحين للحاكم....

لذلك فقد أصبح الشهيد الأوّل في عصره مرجعاً في الأحكام الشرعية حتّىٰ نال لقب: «فقيه جميع الآفاق»، وهذا ما مكّنه من إلقاء المحاضرات في مناهج الاستنباط والفقه وأُصوله والحديث والكلام في حلقات التدريس المختلفة، وذلك على المذاهب الفقهية الخمسة، سواء في لبنان أو دمشق أو مصر أو العراق أو فلسطين، وأن يتبوّأ مكانة عالية في مختلف البلاد الإسلامية، ولا سيّما في سوريا.

وقد كان شديد الحرص على توحيد كلمة المسلمين عن طريق محاولة التقريب بين المذاهب الفقهية، وتجنّب الخوض في المسائل الخلافية التي تثير الجدل.

(انظر ترجمته في: جامع الرواة ٢: ٢٠٣، نقد الرجال ٤: ٣٢٩، شذرات الذهب ٦: ٢٩٤، أمل الآمل ١: ١٨١ ـ ١٨٣، لؤلؤة البحرين: ١٤٣ ـ ١٤٨، رياض العلماء ٥: ١٨٠ ـ ١٩١، الفوائد الرضوية: ٦٤٥ ـ ٦٥٣، هدية الأحباب: ١٦٥، أعيان الشيعة ١٠: ٥٩ ـ ٦٤، الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٩١ ـ ٢٩٢، رجالات التقريب: ٢٩٨ ـ ٣٠١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣١٣ ـ ٣١٤).

الشهيد الثاني

زين الدين بن علي بن أحمد بن محمّد بن علي بن جمال الدين بن تقي بن صالح الجبعي العاملي الطلوسي المعروف بالشهيد الثاني: أحد أعيان الإمامية وكبار مجتهديهم، وداعية إصلاح.

ولد في جبع (بلبنان) في شهر شوّال سنة إحدى عشرة وتسع مائة للهجرة، وقرأ في الفقه والعربية على والده نور الدين علي إلى أن توفّي والده سنة ٩٢٥ هـ، فانتقل إلى ميس، ولازم زوج خالته علي بن عبد العالي الميسي ما يربو على سبع سنوات، وقرأ عليه في الفقه وانتفع به كثيراً، ثمّ ارتحل إلى كرك نوح، فقرأ على السيّد بدر الدين الحسن بن جعفر الأعرجي الكركي في الأُصولين والنحو.

زار دمشق مرّتين، وقرأ بها على الفيلسوف محمّد بن مكّي الدمشقي في الطبّ والهيئة والفلسفة، وعلى شمس الدين محمّد بن علي بن محمّد بن طولون الحنفي جملةً من الصحيحين.

وورد مصر سنة ٩٤٢ هـ وقرأ بها على كثير من شيوخ أهل السنّة، منهم: شهاب الدين أحمد الرملي المنوفي الشافعي (المتوفّى سنة ٩٥٧ هـ)، وناصر الدين محمّد بن سالم الطبلاوي الشافعي (المتوفّى سنة ٩٦٦ هـ)، وأبو الحسن محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان البكري الشافعي (المتوفّى سنة ٩٥٢ هـ)، وزين الدين الجرمي المالكي، وشمس الدين محمّد بن أبي النحّاس، وشمس الدين الديروطي، وغيرهم.

وأحاط إحاطة واسعة بمختلفة المذاهب الإسلامية في الفقه والحديث والتفسير.

وحجّ (بعد أن أقام بمصر ثمانية عشر شهراً)، ورجع إلى بلدته جبع سنة ٩٤٤ هـ، فازدحم عليه أُولو العلم والفضل، وظهر من فوائده ما لم يطرق الأسماع، وفي هذه السنة آنس من نفسه الاجتهاد، والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية، إلّا أنّه لم يظهر ذلك حتّى عام ٩٤٨ هـ.

وسافر إلى بلاد الروم، ودخل إسطنبول سنة ٩٥٢ هـ، وأقام بها ثلاثة أشهر ونصفاً،

وجُعل مدرّساً للمدرسة النورية ببعلبك، وقد صنّف هناك رسالة في عشرة فنون، وجال في البلاد الرومية، واجتمع بالعلماء.

ومن بعد ذلك توجّه إلى العراق لزيارة المراقد الشريفة، وعاد إلى بلاده سنة ٩٥٣ ﻫ، فأقام ببعلبك، ودرّس فيها مدّة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون، وأفتى كلّ فرقة بما يوافق مذهبها، وأظهر براعة؛ لِما كان يتمتّع به من علم غزير، ونظر دقيق، وعقلية منفتحة، فانثال عليه العلماء، وانقادت له النفوس.

وعاد الشهيد الثاني إلى جبع، وعكف على التدريس والتأليف، والحكم بين المتخاصمين، واشتهرت فتاواه وآراؤه الفقهية.

قال ابن العودي الجزّيني في حقّ شيخه المترجَم: «بلغ من كلّ فنّ منتهاه.. وأمّا الفقه فكان قطبَ مداره وفلك شموسه وأقماره، وكأنّه هوى نجم سعوده في داره.. وأمّا الحديث فقد مدّ فيه باعاً طويلاً، وذلّل صعاب معانيه تذليلاً، أدأب نفسه في تصحيحه وإبرازه للناس حتّى فشا... وأمّا علوم القرآن العزيز وتفاسيره من البسط والوجيز فقد حصل على فوائدها وحازها وعرف حقائقها ومجازها، وعلم إطالتها وإيجازها».

وقال السيّد مصطفى التفريشي: «وجه من وجوه هذه الطائفة وثقاتها، كثير الحفظ، نقي الكلام، له تلاميذ أجلّاء، وله كتب نفيسة جيّدة».

تلمّذ عليه جماعة، وقرأوا عليه في الفقه والأُصول والحديث والمنطق والأدب، منهم: السيّد نور الدين علي بن الحسين الجزّيني الشهير بالصائغ (المتوفّى سنة ٩٨٠ ﻫ)، ونور الدين علي بن الحسين بن محمّد بن أبي الحسن الموسوي الجبعي، وعزّ الدين الحسين بن عبد الصمد بن محمّد الحارثي الجبعي (المتوفّى سنة ٩٨٤ ﻫ)، ومحمّد بن الحسن المشغري العاملي، ونور الدين علي بن عبد الصمد بن محمّد الحارثي الجبعي، وبهاء الدين محمّد بن علي بن الحسن العودي الجزّيني.

وأجاز لـ: نصير الدين إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي، والحسن بن نور محمّد ابن علي الحسيني الشقطي، وتاج الدين بن هلال الجزائري، ومحمود بن محمّد بن علي

اللاهيجي، وعزّ الدين الحسين بن زمعة المدني.

وصنّف كتباً ورسائل كثيرة، وشرح بعض الكتب شرحاً مزجياً (ولم يسبقه إلى ذلك أحد من علماء الإمامية)، وتفرّد بالتأليف في مواضيع لم يطرقها غيره أو طرقها ولم يستوف الكلام فيها، وقد عدّ له السيّد الأمين العاملي (٧٩) مؤلّفاً، منها: الروضة البهية في شرح «اللمعة الدمشقية» الذي عكف العلماء على شرحه والتعليق عليه وتدريسه من حين تأليفه إلى هذا الوقت، روض الجنان في شرح «إرشاد الأذهان»، المقاصد العلّية في شرح «الرسالة الألفية» في فقه الصلاة، مسالك الأفهام إلى «شرائع الإسلام»، تمهيد القواعد الأُصولية والعربية الذي وصفه مؤلّفه بأنّه كتاب واحد في فنّه، البداية في علم الدراية وشرحه، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، كفاية المحتاج في مناسك الحاجّ، مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، غنية القاصدين في اصطلاحات المحدّثين، رسالة في ميراث الزوجة، رسالة في عدم جواز تقليد الأموات من المجتهدين، رسالة في حكم صلاة الجمعة حال الغيبة، حاشية على «قواعد الأحكام» في الفقه للعلّامة الحلّي، رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، رسالة في شرح البسملة، منظومة في النحو وشرحها، جوابات المسائل الهندية، جوابات المسائل الشامية، وله شعر أيضاً.

قُتل المترجم شهيداً سنة ستّ وستّين وتسع مائة للهجرة، وكان قد أمضى السنوات العشر الأخيرة من عمره في خوف وترقّب، فقد نشط أعداؤه وحسّاده في مراقبته ورصد تحرّكاته، وذلك بسبب المكانة المرموقة التي كان يحتلّها الشهيد في أوساط الأُمّة ودوره المتميّز في توعيتها وتعريفها بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

قالوا: كتب قاضي صيدا إلى سلطان الروم أنّه وُجد ببلاد الشام مبدع خارج عن المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان رجلاً يطلبه، فوجده في طريق الحجّ، وبعد أداء الحجّ أخذه إلى الروم، ولكنّه بعد الوصول إلى ساحل البحر قتله، وأخذ برأسه إلى السلطان، فأُنكر عليه ذلك، وقتل القاتل.

عند مطالعة سيرة هذا الرجل العظيم تجدها مليئة بأحداث هامّة على مستوى الأُمّة،

وفيها استكمال لنهج أسّسه الشهيد الأوّل، ألا وهو تقوية المذهب على أساس الحوار مع الآخر.

وتجد الشهيد الثاني يحمل مواصفات قلّ نظيرها، فهو قائد مضحّي وشجاع حكيم يتلمّس خطواته بعين ثاقبة، الميزان فيها رضا الله تعالى ومصلحة الناس.

لم يكن الشهيد همّه طلب العلم لذاته، حتّى إذا ما حصل على الحظّ الوافر منه انطوى على نفسه، وأحاطها بكمّية هائلة من الممنوعات تحت عنوان: أنّها لا تتناسب والمقام!

لقد أدرك الشهيد الثاني خطورة تلك المرحلة التي سوف تكون أشدّ إيلاماً من الاحتلال الصليبي للمنطقة، حيث كانت تواجه فيه عموم المسلمين، في حين أنّ الخطر في الإمبراطورية العثمانية داخلي بين المسلمين أنفسهم، حيث تترّس العثمانيّون خلف المذهب السنّي، وجعلوه غطاءً لكلّ جرائمهم، فكان لا بدّ من وضع حدّ لهذا التترّس من خلال مشروع يضمن وحدة المسلمين، ويجمعهم على قواسم مشتركة.

على هذا الأساس نمت شخصية الشيخ الجبعي مواكبة لكلّ هذه التطوّرات، ومتطلّعة إلى نهضة علمية واجتماعية تكون مانعاً من هذه الذهنية الخطيرة.

بالتأكيد هناك بيئة وبيت وظروف ساهمت في صنع شخصية الشهيد الجبعي، وكما يذكر تلميذه محمّد بن علي بن الحسن العودي (الجزّيني): أنّه وجد في خطّ أُستاذه الشهيد الثاني سيرة حياته، ثمّ ألحقها بالرسالة التي كتبها عن أُستاذه الشيخ الجبعي سمّاها: «بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد»، كما جاء في الدرّ المنثور: ولد الشهيد الثاني في بلدة جبع سنة ٩١١ هـ، وهي قرية جميلة من قرى جبل عامل ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من تسع مائة متر، وتعتبر من أهمّ المصائف في لبنان، يقصدها كبار العلماء والأُدباء والشعراء للاصطياف والنقاهة. فجمالها الطبيعي وهواؤها النقي وماؤها العذب وكلّ ما فيها يدلّ على عظمة الخالق. وليس مستغرباً أو صدفة أن تنتج هذه البقعة أحد كبار فقهاء الإمامية، ومن أصحاب العقول النيّرة التي تدرك حقائق الأشياء والمصالح الكبرى لهذه الأُمّة، مضافاً إلى كونه من سلالة فقهاء، كما ذكر الحرّ العاملي: أنّ جدّه الشيخ

صالح الطلوسي هو من تلاميذ العلّامة الحلّي، وهذا يساعد على الاتّجاه المبكّر لطلب العلم، وستكون الأسباب مهيّئة له أكثر من غيره.

يقول الشهيد عن نفسه كما في جاء في الدرّ المنثور: «ولا أحفظ مبدأ انشغالي بالعلم، ولكن كان ختمي لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسع مائة، وسنّي آنذاك تسع سنين، ثمّ اشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوالد ﷺ، إلى أن توفّي سنة ٩٢٥ هـ، وكان جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه: المختصر النافع، والشرائع، واللمعة الدمشقية للشهيد الأوّل، ثمّ ارتحلت إلى بلدة «ميس» في جبل عامل، واشتغلت في تحصيل العلم على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي الميسي إلى سنة ثلاث وثلاثين، ومن جملة ما قرأت عليه: شرائع الإسلام، والإرشاد، وأكثر القواعد، ثمّ ارتحلت إلى بلدة كرك نوح التي تقع في منطقة البقاع على الطريق العامّ، فقرأت على المرحوم المقدّس السيّد حسن ابن السيّد جعفر ابن الأعرج الكركي جملة من الفنون، كقواعد ميثم البحراني في الكلام، والتهذيب في أُصول الفقه، والعمدة الجلّية في الأُصول الفقهية من مصنّفات السيّد المذكور، والكافية في النحو، وغيره من الفنون، ثمّ انتقلت إلى بلدي (جبع) سنة أربع وثلاثين حتّى سنة ٩٣٧ هـ».

وعلى ذلك فإنّ الشهيد الثاني حصل على درجة كبيرة من العلم، وأصبح من المجتهدين الكبار، وتظهر عظمة هذا الفقيه من أنّه لم يكتف بهذا القدر بما عند فقهاء الإمامية، حيث كان يعتقد أنّ الاجتهاد في الفقه الجعفري لا يكتمل إلّا بالاطّلاع على الفقه السنّي.

ومن هنا صمّم سنة ٩٣٧ هـ على مغادرة البلاد متّجهاً إلى العواصم التي يتواجد فيها فقهاء ومعاهد أهل السنّة، وفي هذه المرحلة من حياته رسم مشروعاً واضحاً لخدمة هذه الأُمّة، ولتجنيبها مذابح إضافية وتفكيك مذهبي سوف لا يبقي ولا يذرّ، فكان لا بدّ من الوصول إلى السلطة السياسية، وبالتالي إلى المجتمع السنّي، وهذا متوقّف على نشوء علاقة وطيدة مع فقهاء السنّة الذين يشكّلون همزة الوصل مع السلطة السياسية، وهي بدورها

ستتيح فرصة العلاقة المباشرة مع المجتمعات السنّية.

دمشق كانت المحطّة الأُولى، يقول هو ﷺ كما جاء في الدرّ المنثور: «ثمّ ارتحلت إلى دمشق، واشتغلت فيها عند الشيخ الفاضل والمحقّق الفيلسوف شمس الدين محمّد بن مكّي، فقرأت عليه: كتب الطبّ، وشرح الموجز النفيسي، وغاية القصد في معرفة القصد، ومصنّفات الشيخ المبرور المذكور، وبعض حكمة الإشراق للسهروردي، وقرأت في تلك المدّة أيضاً على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات، وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وعاصم».

ثمّ عاد الشهيد الثاني إلى بلدته جبع وإلى عائلته حتّى تمام سنة ٩٤١ هـ، ويستطرد الشهيد الثاني قائلاً: «رحلت إلى مصر في أوّل سنة ٩٤٢ هـ لتحصيل ما أمكن من العلوم، واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل، فأوّل اجتماعي بالشيخ شمس الدين ابن طولون الدمشقي الحنفي، وقرأت عليه جملة من الصحيحين، وأجازني في روايتهما مع ما يجوز له روايته، واشتغلت في مصر أيضاً على جماعة، منهم الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي، قرأت عليه: منهاج النووي في الفقه، ومختصر الأُصول لابن الحاجب، وشرح العضدي، مع مطالعة حواشيه، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما.. فمنها: شرح التلخيص، المختصر في المعاني والبيان لملّا سعد الدين، ومنها شرح تصريف العربي، ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات إمام الحرمين الجويني في أُصول الفقه، ومنها أذكار النووي، وبعض شرح جمع الجوامع المحلّي في أُصول الفقه، وتوضيح ابن هشام في النحو، وغير ذلك ممّا يطول ذكره، وأجازني إجازة عامّة بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣ هـ.

وممّن قرأت عليه في مصر: الملّا حسين الجرجاني، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملّا علي القوشجي، مع حاشية ملّا جلال الدين الدواني، وشرح أشكال التأسيس في الهندسة لقاضي زاده الرومي، وشرح الجغميني في الهيئة له.

ومنهم الملّا محمّد الأسترآبادي، قرأنا عليه جملة من المطوّل مع حاشية السيّد شريف

والجامي.

ومنهم الملّا محمّد الكيلاني، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق.

ومنهم الشيخ شهاب الدين ابن النجّار الحنبلي، قرأت عليه جميع شرح الشافية للجاربردي، وجميع شرح الخزرجية في العروض والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون والحديث، منها الصحيحان، وأجازني جميع ما قرآت وسمعت، وما يجوز له روايته.

ومنهم الشيخ أبو الحسن البكري، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير وبعض شرحه على منهاج الأحكام.

ومنهم الشيخ المحقّق ناصر الدين اللقايي المالكي محقّق الوقت وفاضل تلك البلدة، لم أرَ في الديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية، سمعت عليه البيضاوي في التفسير، وغيره من الفنون.

ومنهم الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعي، قرأت عليه القرآن بقراءة ابن عمرو، ورسالة في القراءات من تأليفاته.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمّد بن أبي النحّاس، قرأت عليه الشاطبية في القراءات، والقرآن العزيز للأئمّة السبعة.

ومنهم الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودي، قرأت عليه جملة صالحة من الفنون، وأجازني إجازة عامّة.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمّد بن عبد القادر الفرضي الشافعي، قرأت عليه كتباً كثيرة في: الحساب، والمرشدة في حساب الهند الغباري، والياسمينة وشرحها في علم الجبر والمقابلة، وشرح المقنع في علم الجبر والمقابلة، وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة، وأجازني إجازة عامّة.

ومنهم أيضاً عن كثير من علماء مصر يطول ذكرهم هنا، ولكن منهم: الشيخ عميرة الشيخ شهاب الدين بن عبد الحقّ، والشيخ شهاب الدين البلقيني، والشيخ شمس الدين

الديروطي، وغيرهم».

وفي سنة ٩٤٨ هـ ـ يقول الشهيد الثاني ـ : «سافرت لزيارة بيت المقدس، واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي، وقرأت عليه بعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم، وأجازني إجازة عامّة، ثمّ رجعت إلى الوطن الأوّل».

من هنا نجد في المطالعة السريعة لحياة الشهيد الثاني العلمية أنّ هناك قناعة حقيقة لديه ﵀ كان قد ألزم نفسه بها، وهي ضرورة الاطّلاع على فكر الآخر، وأنّ الطريقة والأُسلوب التي درس فيها على علماء الشيعة هي نفسها التزمها مع علماء السنّة، ولو كانت مجرّد مجاملة لاكتفى الشهيد بقدر يسير منها، تمكّنه من تحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية من خلال جلسات تعارف قصيرة، بينما نراه قد أمضى سنوات من الدرس مع علمائهم، ثمّ استجازهم في رواية كلّ ما أخذه عنهم، ثمّ امتدحهم إن على الصعيد العلمي أو الخلقي، وهذا له دلالة واضحة أنّ الشهيد الثاني يرى إلزامية الاطّلاع على العلوم والفنون عند أهل السنّة؛ ليتمكّن فيما بعد أن يطلق على نفسه لقب «الفقيه الشيعي».

ورحلة الشهيد الثاني إلى القسطنطينية لم تكن صدفة أو نزهة، فهي محفوفة بكثير من المخاطر، وكما قال الشهيد عن هذه الرحلة فيما أدلاه في الدرّ المنثور: «ثمّ برزت إليّ الأوامر الإلهية والإشارات الربّانية السفر إلى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من أهل الفضائل والعلوم والتعلّق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان بن عثمان، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع ومساق الفهم، لكن ما قدّر لا تصل إليه الفكرة الكلّية والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق وأحوال العواقب ...». وهنا استطاع الشهيد أن يحقّق بعض أهدافه من خلال علاقة وطيدة بناها في القسطنطينية بعدما وصلها في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ٩٥٢ هـ، كما جاء في أعيان الشيعة.

وكان الشهيد الثاني يصبو أن تنتج هذه العلاقة مع السلطة السياسية إتاحة فرصة لعلاقة مميّزة مع الشارع السنّي، وهذا ما تحقّق من خلال الوظيفة التي حصل عليها، وهي الإشراف على المدرسة النورية في مدينة بعلبك، وأراد الشهيد من خلال هذا الإشراف أن يستكمل

فصول مشروعه بالاتّجاه الاجتماعي ، وخصوصاً أنّ معظم أهالي بعلبك في ذلك التاريخ كانوا من أهل السنّة .

وهنا يقول تلميذه ابن العودي كما جاء في الدرّ المنثور : «كنت في خدمته في تلك الأيّام ، ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع الأنام وملاذ الخاصّ والعامّ ، يُفتي كلّ فرقة بما يوافق مذهبها ، ويدرّس في المذاهب كلّها ، وصار أهل البلد كلّهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصة في الوداد ، وحسن الإقبال والاعتقاد ، وقام سوق العلم فيها على طبق المراد ، ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد ، ورقى ناموس السادة والأصحاب في الازدياد ، وكانت عليهم تلك الأيّام من الأعياد» .

وقد عمل الشهيد الثاني على ضرورة إحياء الحوار بين المسلمين بدلاً عن القطيعة والانغلاق ، بأن جعل نفسه ميداناً ونموذجاً لحالة حوار داخلي ؛ إذ مضىٰ يجوب مراكز العلم في الجوار ، من دمشق إلى القدس ثمّ مصر ، التقىٰ كبار شيوخها متعرّفاً قارئاً متحمّلاً ، حتّىٰ غدا حجّة في فقه المذاهب ، ثمّ خطا خطوة مدهشة باتّجاه تعميم تجربته الشخصية ونقل الحوار الداخلي إلى ميدانه الأجدر به ، فإذا هو يجلس في جامع بعلبك الأعظم (المدرسة النورية) ، يدرّس ويفتي على المذاهب الخمسة ، ويستعرض رأي كلّ مذهب منها ، ويشفعه بما يستدلّ له ، ثمّ يقارن فيما بينها .

وثقافة الشهيد الثاني الفقهية كانت نتيجة تلاقح المدارس الفقهية الإسلامية في ذهنه الخلّاق ، وهذه ظاهرة فذّة في ثقافة الشهيد الفقهية ، تجتمع فيه سعة الذهنية الفقهية التي تتّسع إلى أكثر من مذهب ومدرسة .

وقد كان ؛ واعياً بضرورة أن يعرف الشيعة فقه المذاهب السنّية ، وأن يعرف السنّة فقه المذهب الشيعي ؛ لأنّ المعرفة والعلم هما قاعدة التفاهم والتقارب ، ولتعزيز الحوار ، وتجاوز إشكاليات الانغلاق والجهل المتبادل .

ومن جملة أساتذة أهل السنّة الذين درس الشهيد الثاني على أيديهم : شمس الدين ابن طولون الدمشقي الحنفي ، وشهاب الدين أحمد الرملي الشافعي ، وشهاب الدين ابن النجّار

الحنبلي، وناصر الدين اللقايي المالكي، وناصر الدين الطلاوي الشافعي، وشمس الدين محمّد بن عبدالقادر الفرضي الشافعي، وغيرهم.

(انظر ترجمته في: أمل الآمل ١: ٨٥ـ ٩١، تنقيح المقال ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، الكنىٰ والألقاب ٢: ٣٨١ـ ٣٨٦، أعيان الشيعة ٧: ١٤٣ ـ ١٥٨، الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٣٥٨ ـ ٣٦٠، معجم مؤلّفي الشيعة: ٢٧٥ ـ ٢٧٦، معجم المؤلّفين ٤: ١٩٣، رجالات التقريب: ٣٠١ ـ ٣٠٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣١٤ـ٣١٦).

شيخ الشريعة الأصفهاني

الشيخ فتح الله بن محمّد جواد المشتهر بشيخ الشريعة الشيرازي الأصفهاني النجفي النمازي: أحد أعلام الإمامية، ومن المهتمّين بشؤون التقريب. كان عالماً فاضلاً واسع الاطّلاع كثير الحفظ حسن المحاضرة، وله اليد الطولى في الرجال والحديث والتاريخ، وكان من المدرّسين وأهل المنابر.

ولد سنة ١٢٦٦ هـ في أصفهان، وتتلمذ على: محمّد صادق التنكابني، وحيدر علي الأصفهاني، وعبد الجواد الخراساني، وأحمد السبزاوي الأصفهاني. وحضر على محمّد باقر بن محمّد تقي الأصفهاني في كثير من المباحث الفكرية والأُصولية، وسافر إلى المشهد الرضوي، فجرت بينه وبين علمائه مناظرات، ظهرت فيها مواهبه، ورجع إلى أصفهان، فشرع في التدريس بطريقة أعجبت الطلبة الحاضرين عنده.

هاجر إلى النجف الأشرف، وتصدّى للبحث والتدريس، وحضر في أثناء ذلك على العلمين: الشيخ محمّد حسين بن هاشم الكاظمي، والميرزا حبيب الله الرشتي، ثمّ انقطع للتدريس، وتخرّج عليه كثير من الأفاضل، منهم: السيّد عبد الهادي الشيرازي، وأغا بزرك الطهراني، ومحمّد حسن المظفّر، والسيّد علي مدد النجفي، والسيّد محمّد باقر الكشميري.

يروي بالإجازة عن جماعة، منهم: السيّد مهدي القزويني، وشيخه الكاظمي، وأغا بزرك الطهراني، والسيّد محمّد باقر الكشميري.

وهو ممّن جاهد بسنانه ولسانه، حيث شارك في حركة الجهاد عام ١٩١٤ م بعد

احتلال البصرة من قبل القوّات البريطانية، ورابط مع العلماء والمجاهدين في محور القرنة (من توابع البصرة)، ثمّ برز اسمه في ثورة العراق الكبرى (ثورة العشرين) عام ١٩٢٠ م، وتناقل الناس ما أصدره من الفتاوىٰ فيها، وكان في بدئها عوناً لمرجع الطائفة الميرزا محمّد تقي الشيرازي، وبوفاة الميرزا الشيرازي سنة ١٣٣٨ ﻫ انتقلت إليه قيادة الثورة والزعامة الدينية، وأصبح المرجع الشهير للشيعة في غالب الأقطار، واستمرّ في جهاده ضدّ الاحتلال البريطاني حتّى وفاته.

من مصنّفاته: إفاضة القدير في أحكام العصير، رسالة في قاعدة لا ضرر، القول الصراح حول الصحاح، حاشية على الفصول، رسالة في اللباس المشكوك، رسالة في صفات الذات وصفات الفعل، إبانة المختار في إرث الزوجة من ثمن العقار، رسالة في الغُسالة، رسالة في الكعب، رسالة في تعريف البيع، رسالة في قاعدة الطهارة، المناظرات مع ابن الآلوسي في إثبات وجود الحجّة وإمامته.

توفّي ليلة الأحد ثامن ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ ﻫ، ودفن في الحجرة الثالثة من الجهة الشرقية قريباً من الجهة القبلية في الصحن الشريف، ورثته الشعراء بمراثي كثيرة، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً.

وقد سافر في إحدىٰ المرّات إلى مكّة المكرّمة سنة ١٣١٣ ﻫ، وانشغل طول مدّة إقامته بالمباحثة والمحاورة مع بعض علماء أهل السنّة حول بعض القضايا، وكان على اطّلاع تامّ بكتب أهل السنّة ممّا أثار تعجّب أُولئك. كما طرح مشروع «اتّحاد العالم الإسلامي» عدّة مرّات، وكانت له نشاطات تقريبية.

(انظر ترجمته في: الفوائد الرضوية: ٣٤٥، معارف الرجال ٢: ١٥٤ ـ ١٥٦، أعيان الشيعة ٨: ٣٩١ ـ ٣٩٢، ريحانة الأدب ٣: ٢٠٦، الأعلام للزركلي ٥: ١٣٥، معجم المؤلّفين ٨: ٥٢ ـ ٥٣، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٦٧، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٢٥، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٨٣ ـ ٤٨٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٦١).

❊ ❊ ❊

﴿حرف الصاد﴾

الصادق المهدي

الصادق الصدّيق عبد الرحمان المهدي: رئيس حكومة السودان فترتي (١٩٦٧ م و١٩٨٦م)، وسياسي ومفكّر سوداني، وإمام الأنصار، ورئيس حزب الأُمّة.

ولد بالعبّاسية بأُمّ درمان سنة ١٩٣٥ م، وجدّه الأكبر هو محمّد أحمد المهدي القائد السوداني الذي فجّر الدعوة والثورة المهدية في السودان، وجدّه المباشر عبد الرحمان المهدي، ووالده السيّد الصدّيق المهدي، ووالدته هي السيّدة رحمة عبد الله جاد الله.

درس في الخلوة بالعبّاسية بأُمّ درمان في الطفولة الباكرة على يد الفقّي أحمد العجب، ثمّ في الجزيرة أبا على يد الفقّي علي السيوري، وحضر الكتّاب في الجزيرة أبا، ودرس الابتدائية في مدرسة الأحفاد في أُمّ درمان، والثانوية بدأها في مدرسة كمبوني (الخرطوم)، وواصلها في كلّية فكتوريا (الإسكندرية ١٩٤٨ م ـ ١٩٥٠م)، حيث ترك الكلّية هاجراً التعليم النظامي رافضاً لعدّة مظاهر بالكلّية تسلخ الطلّاب عن هوياتهم العربية والإسلامية، ورجع لبلاده ملازماً للشيخ الطيّب السرّاج لينهل من علوم الفصحى وآدابها.

في سنة ١٩٥٢ م اقتنع بالرجوع للتعليم النظامي بتشجيع من أُستاذ مصري قابله في جامعة الخرطوم اسمه ثابت جرجس، وجلس لامتحانات شهادة أُكسفورد الثانوية من المنزل، والتحق بكلّية العلوم في جامعة الخرطوم كمستمع على وعد بأن يواصل معهم لو نجح في امتحان آخر السنة. لاحقاً أخبره المستر ساندون (العميد) باستحالة ذلك وساعده في إيجاد قبول للالتحاق بكلّية سانت جون (القدّيس يوحنّا) بأُكسفورد ليدرس الزراعة، وكان القبول مصحوباً بشرط واحد هو أن ينجح في امتحان الدخول للجامعة.

التحق الصادق بطلبة السنة الأُولى لكلّية العلوم بجامعة الخرطوم في الفصل الأخير من

العام، حيث دخل الجامعة في يوليو سنة ١٩٥٢ م، وكان العام الدراسي ينتهي في ديسمبر، وكان يحضر المحاضرات صباحاً، ويواصل تلقّي دروس العربية من الشيخ الطيّب السرّاج عصراً، ثمّ يدرس مساءً للحاق ما فاته والتحضير لامتحان السنة النهائية.

امتحن الصادق المهدي بكلّية القدّيس يوحنّا عام ١٩٥٣ م وقبل لدراسة الزراعة، ولكنّه لم يدرسها، بل ذهب لأُكسفورد في عام ١٩٥٤ م وقرّر دراسة الاقتصاد والسياسة والفلسفة في جامعتها على أن يدرس الزراعة بعد ذلك في كاليفورنيا، ووفّق في نيل شهادة جامعية بدرجة الشرف في الاقتصاد والسياسة والفلسفة، ونال تلقائياً درجة الماجستير بعد عامين من تاريخ تخرّجه حسب النظام المعمول به في جامعة أُكسفورد.

عمل موظّفاً بوزارة المالية في عام ١٩٥٧ م، وفي نوفمبر عام ١٩٥٨ م استقال من الوظيفة؛ لأنّ انقلاب ١٧ نوفمبر كان بداية لعهد يرفضه، وعمل بعد ذلك مديراً للقسم الزراعي بدائرة المهدي، وعضواً بمجلس الإدارة، كما كان رئيساً لاتّحاد منتجي القطن بالسودان، وانخرط في صفوف المعارضة، وبعد ذلك دخل المعترك السياسي الذي جعل همّه لخدمة قضية الديمقراطية والتنمية والتأصيل الإسلامي في السودان.

أصبح رئيس الجبهة القومية المتّحدة في الفترة من ١٩٦١ م ـ ١٩٦٤ م، وانتخب رئيساً لحزب الأُمّة في نوفمبر ١٩٦٤ م، وانتخب رئيساً لوزراء السودان في الفترة من ٢٥ / يوليو / ١٩٦٦ م ـ مايو / ١٩٦٧ م، وأصبح رئيساً للجبهة الوطنية في الفترة من ١٩٧٢ م ـ ١٩٧٧ م، وانتخب رئيساً لحزب الأُمّة القومي في مارس ١٩٨٦ م، وانتخب رئيساً لوزراء السودان في الفترة من سنة ١٩٨٦ م ـ ١٩٨٩ م.

أمّا المناصب التي يتقلّدها حالياً: رئيس مجلس إدارة شركة الصدّيقية، ورئيس حزب الأُمّة القومي المنتخب في أبريل سنة ٢٠٠٣ م، وإمام الأنصار المنتخب في ديسمبر سنة ٢٠٠٢ م.

وهو عضو في المجلس العربي للمياه، وعضو في نادي مدريد، وعضو في المؤتمر القومي الإسلامي ببيروت، وعضو سابق في المجلس الأسلامي الأوربّي بلندن، وعضو

سابق في مجلس إدارة دار المال الإسلامي بجنيف، وعضو سابق في جماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم، وعضو مجلس أُمناء المؤسّسة العربية للديمقراطية.

كان أوّل بروز للصادق المهدي في ساحات العمل السياسي السوداني في معارضة نظام عبّود، وفي أُكتوبر عام ١٩٦١ م توفّي والده الصدّيق الذي كان رئيساً للجبهة القومية المتّحدة لمعارضة نظام إبراهيم عبّود. وقد شارك بفعّالية في معارضة نظام عبّود واتّصل بنشاط الطلبة المعارض، كما كان من أوائل المنادين بضرورة الحلّ السياسي لمسألة الجنوب، حيث أصدر كتابه «مسألة جنوب السودان» في أبريل ١٩٦٤ م، ونادى فيه بالأفكار التي كانت أساس الإجماع الوطني لاحقاً من أنّ مشكلة الجنوب لا يمكن أن تحلّ عسكرياً. وحينما قامت أحداث ٢١ / أُكتوبر / ١٩٦٤ م اتّجه منذ البداية لاعتبارها نقطة انطلاق لتغيير الأوضاع وسار في الموضوع على النحو الذي أوضحه في البيان الذي نشره بعنوان «رسالة إلى المواطن السوداني». وقد نجحت مساعيه في توحيد جميع الاتّجاهات السياسية في السودان وفي جمعها خلف قيادة الأنصار في بيت المهدي وفي جعل بيت المهدي (أي: القبّة والمسجد الرابع الشهير بمسجد الخليفة) مركز قيادة التحوّل الجديد. حدث هذا رغم وجود اتّجاهات عديدة في بيت المهدي وبعض الأنصار كانت ترى التريّث والابتعاد عن الثورة، ولكن اتّجاه المشاركة كان غالباً فجرّ الجميع في اتّجاهه حتّى انتصر وقضى على الحكم العسكري وقامت الحكومة الانتقالية القومية، وقد قاد موكب التشييع وأمّ المصلّين في جنازة القرشي، وكان ذلك هو الموكب الذي فجّر الشرارة التي أطاحت بالنظام، كما كتب مسودّة ميثاق أُكتوبر ١٩٦٤ م الذي أجمعت عليه القوى السياسية.

انتخب رئيساً لحزب الأُمّة في نوفمبر ١٩٦٤ م، وقاد حملة لتطوير العمل السياسي والشعار الإسلامي وإصلاح الحزب في اتّجاه الشورى والديمقراطية وتوسيع القاعدة، استغلّها البعض لإذكاء الخلاف بينه وبين الهادي المهدي، ممّا أدّى لانشقاق في حزب الأُمّة، وصار رئيساً للوزراء عن حزب الأُمّة في حكومة ائتلافية مع الحزب الوطني الاتّحادي في ٢٥ / يوليو / ١٩٦٦ م خلفاً للسيّد محمّد أحمد محجوب الذي كان رئيساً

للوزراء عن حزب الأُمّة والذي قاد جزءاً من عضوية حزب الأُمّة بالبرلمان للمعارضة.
قامت الحكومة الجديدة بإجراءات فاعلة في محاصرة الفساد وتحقيق العديد من الإنجازات، ولكن تكوّن ضدّها ائتلاف ثلاثي بين الجناح المنشقّ من حزب الأُمّة والحزب الوطني الاتّحادي وحزب الشعب الديمقراطي، فأسقطها في مايو ١٩٦٧ م. خاض حزب الأُمّة انتخابات ١٩٦٨ م منشقّاً، ثمّ التأم مرّة أُخرى في ١٩٦٩م، ولكنّه لم يستفد من قوّته الجديدة بسبب انقلاب ٢٥ /مايو / ١٩٦٩ م الذي قوّض الشرعية الدستورية.

حينما وقع الانقلاب توجّه الصادق المهدي للجزيرة أبا حيث كان إمام الأنصار عمّه الهادي المهدي. أرسل قادة الانقلاب بطلبه للتفاوض وأعطوا الإمام الهادي عهداً بألّا يمسّ بسوء، ثمّ غدروا بالعهد حيث لم يجر تفاوض بل اعتقل ثمّ تعرّض لمحاولة اغتيال. أُبعد السيّد الصادق عن الكيان، واعتقل في ٥ / يونيو / ١٩٦٩ م في مدينة جبيت بشرق السودان، ثمّ حوّل لسجن بورتسودان، ثمّ اعتقل بمدينة شندي، ثمّ نفي إلى مصر ووضع تحت الإقامة الجبرية، ثمّ أُرجع لسجن بورتسودان معتقلاً حتّى مايو ١٩٧٣ م. وفي أثناء ذلك قام النظام الجديد الذي حمل رايات اليسار الشيوعي بالتنكيل بالأنصار، ممّا أدى لمجزرة الجزيرة أبا وحوداث ودنوباوي، قصفت الجزيرة أبا بالطائرات عصر الجمعة ٢٧ / مارس / ١٩٧٠ م، واستمرّ القصف حتّى الثلاثاء، وحوادث ودنوباوي يوم الأحد ٢٩ / مارس / ١٩٧٠، ثمّ حوادث الكرمك التي قُتل فيها إمام الإنصار.

أُطلق سراحه لعدّة أشهر، ثمّ اعتقل بعدها في سجن بورتسودان (من ديسمبر ١٩٧٣ م حتّى مايو ١٩٧٤م، وكتب خلال هذه الفترة: «يسألونك عن المهدية».

في ١٩٧٤ م سافر إلى خارج البلاد، حيث بدأ جولة في العواصم العربية والغربية والأفريقية، كتب خلالها «أحاديث الغربة»، وألقى العديد من المحاضرات في جامعات درهام ومانشستر وأُكسفورد ببريطانيا وجامعة كادونا بنيجيريا، داعياً للحلّ الإسلامي ومبشّراً بالصحوة الإسلامية وعطائها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

تكوّنت الجبهة الوطنية الديمقراطية المعارضة لمايو بقيادته في المهجر (شملت حزب

الأُمّة والحزب الاتّحادي والأُخوان المسلمين). قامت الجبهة بمحاولة تحرير السودان من الاستعمار الداخلي عبر الانتفاضة المسلّحة في يوليو ١٩٧٦ م التي فشلت في إسقاط نظام مايو، ولكنّها أقنعت النظام بجدوى وقوّة المعارضة، وأدّى ذلك متضافراً مع عوامل أُخرى للمصالحة الوطنية ـ الاتّفاق السياسي بين مايو والجبهة الوطنية في ١٩٩٧م، والذي تعيّن وفقاً له على النظام إجراء إصلاحات ديمقراطية أساسية.

عاد السيّد الصادق المهدي للسودان في ١٩٧٧ م، وولكن ما لبث أن تبيّن له الخداع المايوي في ضمان الديمقراطية والإصلاح السياسي، فاعتبر أنّ المصالحة قد فشلت، ولكنّه آثر البقاء في السودان لمعارضة النظام المايوي من الداخل.

وفي ٨ / سبتمبر / ١٩٨٣ م أعلن النظام المايوي ما أسماه «الثورة التشريعية» التي اعتبرها الصادق المهدي أكبر تشويه للشرع الإسلامي، وعقبة في سبيل البعث الإسلامي في العصر الحديث، وجاهر بمعارضتها في خطبة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٠٣ هـ الموافق ١٨ /سبتمبر / ١٩٨٣م، فاعتقله النظام المايوي (في ٢٥ /سبتمبر / ١٩٨٣م)، في تلك الفترة من الاعتقال كتب «العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي»، وأُطلق سراحه في ديسمبر ١٩٨٤ م، فخرج يقود المعارضة للنظام من الداخل ويتناغم مع الغضبة الشعبية التي أثمرت ثورة رجب ١٩٨٥ م.

قامت سنة انتقالية جرت بعدها انتخابات عامّة (أبريل ١٩٨٦ م)، حصل حزب الأُمّة فيها على الأكثرية، وانتخب السيّد الصادق رئيساً للوزراء. تعاقبت عدّة حكومات أو ائتلافات حتّى قام انقلاب ٣٠ / يونيو / ١٩٨٩م. وكان من أهمّ ما قام به الصادق في تلك الفترة السعي للتجميع الوطني لحلّ القضايا الأساسية قومياً، والسعي للتأصيل الإسلامي عبر الإجماع الشعبي وبالوسائل الدستورية.

اعتقل الصادق المهدي في ٧ / يوليو / ١٩٨٩ م، وقد كان بصدد تقديم مذكّرة لقادة الانقلاب وجدت معه، وحبس في سجن كوبر حتّى ديسمبر ١٩٩٠ م، في ١ / أُكتوبر / ١٩٨٩ م تعرّض للتصفية الصورية والتهديد، فكتب شهادته عن فترة حكمه كتابه عن

«الديمقراطية في السودان عائدة وراجحة».

في أُكتوبر ١٩٨٩ م وقّع مع قادة القوى السياسية الموجودين داخل السجن «الميثاق الوطني».

في ديسمبر ١٩٩٠ م حوّل للاعتقال التحفّظي في منزل زوج عمّته بالرياض البروفيسور الشيخ محجوب جعفر، حيث سمح لأفراد أُسرته بمرافقته، وكتب خلال هذه الفترة «تحدّيات التسعينات» متعرّضاً فيه للوضع العالمي وتحدّيات العالم العربي والإسلامي وإفريقيا، و«ضحكنا في ظروف حزينة».

التحق السيّد الصادق ـ وذلك بعد هجرته إلى أرتيريا ـ بالمعارضة السودانية بالخارج، وبدأ أكبر حملة دبلوماسية وسياسية شهدتها تلك المعارضة منذ تكوينها، وفي أوّل مايو ١٩٩٩م استجاب لوساطة السيّد كامل الطيّب إدريس للتفاوض مع النظام، فتمّ لقاء جنيف بينه وبين الدكتور حسن الترابي زوج شقيقته، وفي ٢٦ / نوفمبر / ١٩٩٩م تمّ لقاء جيبوتي بينه وبين الرئيس عمر البشير وعقد حزب الأُمّة اتّفاق نداء الوطن مع النظام في الخرطوم، وذلك تحت رعاية الرئيس الجيبوتي إسماعيل عمر قيلي، وفي ٢٣ / نوفمبر / ٢٠٠ م عاد للبلاد في عملية أُطلق عليها اسم «تفلحون»، وذلك للقيام بالتعبئة الشعبية والتنظيم الحزبي والتفاوض مع النظام الحاكم والاستمرار في الاتّصالات الدبلوماسية.

وفي الفترة ما بين ١٥ ـ ١٧ / أبريل / ٢٠٠٣ م انعقد المؤتمر العامّ السادس لحزب الأُمّة حيث تمّت إعادة انتخابه رئيساً للحزب، يقود الحملة الآن بتحويل اتّفاقية السلام السوداني الثنائية بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان، والتي تمّ توقيعها في ٩ / يناير / ٢٠٠٥ م إلى اتّفاقية قومية تحلّ كافّة وجهات الاحتراب في دارفور والشرق وغيرها، وتشرك جميع الفاعلين في المجتمع السوداني عبر منبر قومي جامع.

من مؤلّفاته: مسألة جنوب السودان، جهاد من أجل الاستقلال، يسألونك عن المهدية، العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الإسلامي، تحدّيات التسعينات، الديمقراطية في السودان عائدة وراجحة.

في مجال الوحدة الإسلامية يقول: «الوحدة المتجسّدة في دولة واحدة لم تعد ممكنة في المستقبل المنظور، إنّها اختفت من الواقع الإسلامي منذ نهاية العهد الأُموي في عام ١٥٠»هـ. إنّ مفهوم القيادة العليا الواحدة كما كان متاحاً للخيفة لم يعد وارداً؛ لأنّ ضوابط العدالة صارت تقتضي أن يكون رئيس الدولة مختصّاً بالسلطة التنفيذية ضمن إطار يحدّد مؤسّسات السلطة التشريعية والقضائية، وآليات تبسط الشورى المشاركة على نطاق واسع عبر مؤسّسات المجتمع المدني والصحافة وآليات البحث العلمي والاجتهاد الفكري والتطوّر الثقافي، وهي آليات لها دورها ووزنها ووظيفتها القانونية، حتّى في إطار دولة قطرية واحدة لم تعد توجد مؤسّسة قيادة شاملة مطلقة إلّا في الدولة الاستبدادية.

إنّ وجود دول مختلفة محكومة بنظم دستورية لا يمنع التعامل مع مفهوم السيادة الوطنية بمرونة وتحقيق وحدة في مجالات عديدة:

١ ـ في المجال الروحي والعبادي؛ إذ يمكن للمسلمين الاتّفاق على ما يجمع بينهم والتعايش فيما يفرّق بينهم على أن يقيموا تنظيماً موحّداً يقرّر بشأن المسائل العقدية والعبادية ويتّخذ تكويناً جماعياً شورياً.

٢ ـ تكوين محكمة استئناف عليا ذات صلاحيات متّفق عليها للحكم في قضايا معيّنة.

٣ ـ برنامج موحّد للتعليم الديني وتعاون في كافّة المجالات التعليمية.. برنامج يحقّق التعاون في مجالات معيّنة ويفسح مجال التنوّع.

٤ ـ تعاون ثقافي وإعلامي.

٥ ـ تنسيق تنموي وتجاري في المجال الاقتصادي والتجاري.

٦ ـ تحديد آليات للحار الداخلي بين المسلمين وأُخرى للحوار مع غيرهم.

إنّ الإبقاء على تعدّد الدول لا يتنافى مع تحقيق درجة عالية من التنسيق والتوحّد في المجالات الدينية والثقافية والاقتصادية والحضارية لبلوغ درجة من الوحدة الإسلامية وترك المجال مفتوحاً للتطوير المستقبلي.

هنالك نظرة سلبية جدّاً لدينا نحو التعدّدية في المسائل الاجتهادية.. ينبغي أن تكون

نظرتنا لكلّ أنواع التعدّدية المذهبية والفكرية الإسلامية إيجابية ؛ لأنّها إحدى نتائج الحرّية اللازمة، على أن نلتزم في هذا الصدد بأمرين هما :

الأوّل: التسليم بالقطعي وروداً والقطعي دلالةً من نصوص الإسلام.

الثاني : تجنّب التعصّب لاجتهادنا الخاصّ، والتعامل معه بقاعدة اجتهادنا صواب يحتمل الخطأ، واجتهادكم خطأ يحتمل الصواب. هذه النظرية المرنة للتعامل المذهبي مع التراث المنقول ومع العطاء الإنساني ومع الاجتهاد الآخر هو المطلوب لإخراج أنفسنا من الانفكاء ومن التعصّب الذميم.

التعدّدية فيما عدا وحدانية الذات الإلهية جزء لا يتجزّأ من نظام الكون، وينبغي التخلّص من النظر إلى فرقة واحدة ناجية، فمن كفّر مسلماً فقد باء بالكفر أحدهما، ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، وليس من طلب الباطل فأصابه كمن طلب الحق فأخطأه.

إنّ الإنسان هو محور رسالة الإسلام لإسعاده في الدنيا والآخرة، وكلّ هداية للإنسان ينبغي أن تراعى عوامل الزمان والمكان. الشريعة الإسلامية تفوّقت على الملل والنحل الأُخرى لاعترافها بالإنسان كإنسان، وتكريمها للإنسان كإنسان، ومراعاتها لظروف المكان والزمان.. إنّ إهدار هذه المعاني إهدار لمقاصد الشريعة.

وللإنسان عشرة مطالب أساسية تفتقر إلى إشباع متوازن، هي المطالب : الروحية ـ الخلقية ـ العاطفية ـ المعرفية ـ المادّية ـ الاجتماعية ـ البيئية ـ الجمالية ـ الرياضية ـ والترفيهية.

إنّ الإسلام دين الفطرة.. ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (سورة الروم: ٣٠) مستبين لتلك المطالب، ولضرورة إشباعها موزوناً ينبغي على المسلمين السعي لتحقيقه اجتهادياً في ظروف الزمان والمكان المختلفة.

الإسلام عقيدة وشريعة.. الشريعة الإسلامية فيها عبادات ثابتة ومفصّلة ومعاملات مرنة، منذ عهد الخوارج هنالك من جعل أمر السلطة السياسية (الإمرة) كالعبادات، وهذا

عين الخطأ الذي وقع فيها الخوارج ومن خلفهم بعد ذلك.

علينا أن ندرك بوضوح أنّ العبادات مفصّلة وثابتة، لكنّ المعاملات معمّمة ومتحرّكة.. الثابت من أحكام الشريعة لا تؤثّر، لكن المعاملات معمّمة ومتحرّكة، الثابت من أحكام الشريعة لا تؤثّر فيه عوامل الزمان والمكان. أمّا المعادلات ـ أي: المتحرّك من مقاصد الشريعة ـ فإنّ الثابت يفسده ويؤدّي إلى عكس مقاصده.. الأُمّة باجتهادها المستمرّ مكلّفة بتطوير فقه المعاملات على أساس مقولة الإمام المهدي الشهيرة: «لكلّ وقت ومقام حال، ولكلّ زمان وأوان رجال». وفي ظروف معيّنة وأمام زحف التتار على ديار المسلمين اجتهد بعض الفقهاء ورأوا أنّ حماية بيضة الإسلام توجب تقديس المسؤولية السياسية، وعلى نفس النمط اجتهد الشيخ أبو الأعلى المودودي وصاغ مفهوم الحاكمية لله على نحو مشابه لمقولة الإمرة لله.

إنّ الذين رأوا باجتهاد معاصر أن يعطوا الإمرة أو القيادة السياسية قدسية تناهز قدسية العقائد والعبادات مهّدوا للتطرّف الإسلامي المعاصر الي يجعل اجتهاد أصحابه السياسي هو موقف الأُمّة كلّ الأمّة، ونفي رأى الآخرين باعتباره كفراً وخروجاً عن ملّة الإسلام. هذا الاعتقاد هو الذي مهّد للتيّارات الاحتجاجية المتطرّفة المعاصرة عبر تكريسه للاستبداد وفتح باب المظالم السياسية والاجتماعية.

نعم، إنّ المسلمين في محنة، ويواجهون اضطهاداً عظيماً وإذلالاً على يد الهيمنة الدولية وإسرائيل. إنّ أصحاب هذا الاتّجاه اعتبروا أنفسهم مبعوثي العناية الإلهية، واستحلّوا لأنفسهم العمل لاستلام السلطة بالقوّة والانفراد بها، واستحلّوا لأنفسهم استخدام أساليب العنف العشوائي الذي يزهق الأرواح البريئة ويدمّر الأملاك في سبيل تحقيق أهدافهم.

الإمرة لا تكون في شريعة الإسلام إلّا عن طريق: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الشورى: ٣٩)، والعمل من أجل الأهداف ـ مهما عظمت ـ لا يكون إلّا بموجب: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، والقتال في الإسلام له

ضوابطه، وهي: الدفاع عن النفس وعن حرّية الدعوة.

إنّ ربط الإسلام بالسلطة السياسية المستبدّة وربط العمل الإسلامي بأساليب العنف العشوائي جلب للإسلام ضرراً كبيراً، وأعطى أعداءه حجّة قوية للنيل من ديباجته الوضّاءة.

إنّ علينا ـ معشر أهل القبلة ـ أن نفرض أيّة عملية استيلاء على السلطة بالقوّة الغاشمة، وأن نفرض أيّة دولة تقوم على أساس بوليسي يقهر الناس، وأن نرفض أيّة صلة بين الدعوة للإسلام والعنف العشوائي، وأن نعتبر الاستيلاء على السلطة باسم الإسلام ترهيباً بعيداً عن مقاصد الشريعة، كما نعتبر أيّة دولة بوليسية قاهرة خارجة على مقاصد الشريعة».

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٤٧٧، الموسوعة العربية العالمية ٢٤: ٣٠٣).

صافي ناز كاظم

صافي ناز محمّد كاظم أصفهاني: كاتبة إسلامية وناقدة مصرية متميّزة.

ولدت بالإسكندرية بتاريخ ١٧ /أغسطس / ١٩٣٧م، وحصلت على ليسانس آداب قسم الصحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٨م، ثمّ سافرت إلى أمريكا عام ١٩٦٠م، حيث حصلت على الماجستير في النقد المسرحي من جامعة نيويورك في يونيو ١٩٦٦م، وعلى دبلوم الدراسات العليا في الصحافة من جامعة كانساس، وعادت إلى مصر في العام ذاته.

دخلت أخبار اليوم صحفية تحت التمرين في نوفمبر ١٩٥٥م وهي طالبة في كلّية الآداب قسم الصحافة بجامعة القاهرة، وعملت بقسم الأبحاث، ومجلّة «آخر ساعة»، ومجلّة «الجيل الجديد»، ثمّ انتقلت إلى دار الهلال ناقدة مسرحية وكاتبة بمجلّة «المصوّر»، ومجلّة «الهلال» و«الكواكب».

أمّا حالياً فهي تمارس الكتابة الصحفية الحرّة في مؤسّسات صحفية عدّة، مثل جريدة «المصري اليوم» وجريدة «الشرق الأوسط».

بدأت في صيف ١٩٥٩م بعد التخرّج من الجامعة مباشرة في شهر مايو بإجراء مغامرة صحفية، حيث قامت بجولة في سبع دول أجنبية مع شقيقتها بطريقة الأوتوستوب ولم يكن معها إلّا عشرون جنيهاً فقط، واستغرقت تجربتها سبعين يوماً زارت خلالها لبنان واليونان

وإيطاليا وألمانيا وفرنسا، وكتبت تجربتها المثيرة في حلقات نشرت في مجلّة «الجيل»، وقدّمها الكاتب الراحل موسى صبري بأنّها «أجرأ مغامرة صحفية عام ١٩٥٩م».

تزوّجت من شاعر العامّية أحمد فؤاد نجم في ٢٤ /أغسطس / ١٩٧٢م، وأنجبا ابنتها الوحيدة التي ولدت إبّان حرب أُكتوبر ١٩٧٣م، فسمّتها نوارة الانتصار أحمد فؤاد نجم، ثمّ تطلّقا في يوليو ١٩٧٦م.

سافرت صافي ناز كاظم للعمل في العراق (هرباً من التضييق عليها في مصر لانتقادها النظام السياسي)، فقامت بتدريس مادّة الدراما بكلّية الآداب ـ جامعة المستنصرية (١٩٧٥ ـ ١٩٨٠م)، وعادت لتحكي تجربتها في كتاب «يوميّات بغداد»، وثّقت فيه شهادتها عن ممارسات النظام الحاكم آنذاك، وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢م عن دار أوبن برس في لندن، وأثار الكتاب جدلاً كبيراً في الأوساط الثقافية المصرية والعراقية.

منعت من النشر في مصر في أغسطس ١٩٧١م، وفصلتها رئيسة مجلس إدارة دار الهلال آنذاك أمينة السعيد من العمل في ١١ /نوفمبر / ١٩٧٩م بسبب معارضتها لاتّفاقية كامب ديفيد، واستمرّ منعها من النشر وفصلها من العمل حتّى ٢٥ /مارس / ١٩٨٣م.

اعتقلت صافي ناز كاظم عدّة مرّات، الأُولى كانت عام ١٩٧٣م، والثانية عام ١٩٧٥م، أمّا المرّة الثالثة فكانت عام ١٩٨١م في اعتقالات سبتمبر الشهيرة.

لها كتب عدّة، منها: رومانتيكيات (وهو أوّل كتاب صدر لها عن دار الهلال ١٩٧٠م بمقدّمة لأحمد بهاء الدين)، يوميّات بغداد، تلابيب الكتابة، الخديعة الناصرية، في مسألة السفور والحجاب، رؤى وذات، الحقيقة وغسيل المخّ، من ملفّ مسرح الستينيّات والسبعينيّات، مسرح المسرحيّين، من دفتر الملاحظات، عن الحبّ والحرّية، تاكسي الكلام، صنعة لطافة، صورة صدّام، رساليّات في البيت النبوي.

صالح بابكر

صالح بن قاسم بن عيسىٰ بابكر: أحمد زعماء الإصلاح بوادي ميزاب الجزائري.

ولد سنة ١٩٠٤م في مدينة غرداية بميزاب، وتعلّم بها، ثمّ رحل إلى تونس في بعثة

علمية، ومن بعد ذلك عاد إلى بلده لنشر العلم، واستصدر مع رفاقه رخصة لإنشاء «جمعية الإصلاح الخيرية»، وكان هو أوّل رؤسائها، وأنشأت الجمعية مدرسةً، فتولّى إدارتها خمسين عاماً حتّى وفاته، ثمّ تمكّنت الجمعية من تأسيس مدرسة للبنات.

شارك في الحركة الثورية قبل تكوين المجالس النيابية لجبهة التحرير الوطني، وأُلقي القبض عليه، ولكنّه واصل جهاده حتّى خروج المستعمر من بلاده.

توفّي سنة ١٩٧٦ م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ١٩٥).

صالح سليمان الوهيبي

الدكتور صالح بن سليمان بن عبد الرحمان الوهيبي: الأمين العامّ للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد سنة ١٩٥٠ م في المملكة العربية السعودية، وحصل على البكالوريوس في آداب اللغة العربية من جامعة الرياض سنة ١٩٧٢ م، وعلى الماجستير من جامعة إنديانا في بلومنجتن بأمريكا سنة ١٩٧٦م، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٧٧ م من نفس الجامعة سالفة الذكر، وكذلك حصل عليها أيضاً سنة ١٩٨٢ م.

كان يعمل أُستاذاً مشاركاً في قسم اللغة العربية بكلّية الآداب بجامعة الملك سعود.

وهو وكيل كلّية الآداب ـ جامعة الملك سعود (من ٢١ / ١٢ / ١٤٠٥ هإلى ٢١ / ١٢ / ١٤٠٧ هـ، ووكيل لقسم اللغة العربية في كلّية التربية ـ جامعة الملك سعود (من ٦ / ١٠ / ١٤٠٢ هـ إلى ١٥ / ١٠ / ١٤٠٥ هـ)، وعضو في مجلس الأُمناء في الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض (من ١٤٠٦ هـ وحتّى الآن ١٤٣١ هـ)، ومستشار غير متفرّغ في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض (من ١٤٠٧ هـ ـ ١٤٢٠ هـ)، وعضو سابق في مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض، وعضو سابق في الجمعية العامّة لمؤسّسة الملك فيصل الخيرية ـ الرياض، وعضو في (لجنة

الاختيار للدراسات الإسلامية)، و(لجنة الاختيار للّغة العربية والأدب) لجائزة الملك فيصل العالمية منذ عدّة سنوات، وأمين عامّ مساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض (من ٦ / ١٠ / ١٤١٩ هـ حتّى شهر جمادى الثانية ١٤٢٣ هـ)، وأمين عامّ للندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض (منذ شهر رجب ١٤٢٣ هـ ـ حتّى الآن ١٤٣١ هـ)، وعضو مجلس أُمناء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ـ الكويت، وعضو مجلس أُمناء دار مصحف أفريقيا ـ السودان، وعضو مجلس أُمناء منظّمة الدعوة الإسلامية ـ السودان، وعضو مجلس أُمناء جامعة أفريقيا العالمية ـ السودان، وعضو مجلس أُمناء الجامعة الإسلامية العالمية في شيتاجونج ـ بنغلاديش، وعضو مجلس أُمناء جامعة جلال آباد الإسلامية العالمية ـ بنغلاديش، وعضو في مجمع الفقه الإسلامي في الهند، وعضو مجلس أُمناء المعهد العربي للمهارات اللغوية ـ القصيم.

أمّا ما يتعلّق بنشاطه العلمي فقد: نشر مجموعة من البحوث المتخصّصة في النحو والصرف واللغة، وأشرف على عدّة رسائل علمية في جامعة الملك سعود، وناقش عدّة رسائل علمية في جامعة الملك سعود وجامعة الإمام وجامعة أُمّ القرى وجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، وشارك في تأليف المقرّرات الحالية في اللغة العربية (١٢ كتاباً) للمرحلة المتوسّطة بتكليف من وزارة التربية والتعليم، وكان عضواً في الأُسرة الوطنية للّغة العربية في وزارة التربية عدّة سنوات، وشارك في وضع «أهداف تدريس مقرّرات اللغة العربية ومفرداتها» لكلّ مراحل التعليم العامّ بالمشاركة مع أعضاء الأُسرة الوطنية للّغة العربية في وزارة التربية خلال الأعوام الدراسية الأربعة: (١٤١٧ هـ /١٤١٨ هـ / ١٤١٩ هـ/ ١٤٢٠ هـ)، وكان عضواً في لجنة الحكم على مقرّرات الإملاء للمرحلة الابتدائية في وزارة المعارف، وذلك في عام ١٤١٩ هـ، وكان عضواً أيضاً في لجنة الحكم على مقرّر الإملاء المعدّ لمعلّمات المرحلة الابتدائية ـ الرئاسة العامّة لتعليم البنات (سابقاً) ـ الرياض ،كما حكّم بحوثاً علمية مقدّمة إلى دوريات متعدّدة في داخل المملكة وخارجها، ولا يزال يفعل ذلك، وشارك في تحكيم جوائز عالمية كجائزة الملك فيصل العالمية وجائزة القدس.

يقول: «من الواجب السعي لرسم الإطار الفكري الإسلامي الصحيح للوحدة الإسلامية، ومن ذلك ما قام به الاتّحاد الإسلامي العالمي للمنظّمات الطلّابية (IIFSO)، فقد تبنّى طرح إطار فكري للوحدة الإسلامية، وتقوية الروابط الأخوية، وتبنّي قضايا العالم الإسلامي، ودعم جميع الحركات الإسلامية، متّخذاً من قول الحقّ تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣) شعاراً له، وعمل على بثّ الوعي الإسلامي من خلال اختيار عدد من الكتب في مختلف الموضوعات الإسلامية وترجمتها إلى قرابة ١٠٠ لغة».

صالح عشماوي

صالح عشماوي: رائد الصحافة الإسلامية، وأحد الدعاة.

ولد عام ١٩١١ م في مصر، وتخرّج بكلّية التجارة، والتحق بجماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٠ م، ورافق زعيمها الشيخ حسن البنّا، وتولّى القيادة للجماعة بعد وفاته وقبل اختيار حسن الهضيبي مرشداً عامّاً لها. كان عضواً في مكتب الإرشاد العامّ، واختير وكيلاً له سنة ١٩٣٦ م، ثمّ أصبح وكيلاً عامّاً للجماعة خلفاً لأحمد السكري.

ترأس تحرير مجلّات: «النذير»، «الإخوان المسلمون»، «الجريدة اليومية»، «المباحث القضائية»، «الدعوة».

قاد مظاهرة كبرى، فأسقط بها قانون نظام الجمعيات الذي كان يكبّل حركة جماعته. واعتقل عام ١٩٤٨ م أيّام حكم محمود فهمي النقراشي، ثمّ حاولت الحكومة احتواءه هو ومجلّة «الدعوة» أيّام جمال عبد الناصر، فصمد أمام المغريات، وبعد عام ١٩٧٤ م حين أُفرجع عن الجماعة وضع عشماوي نفسه ومجلّته تحت تصرّف المرشد العامّ الثالث لحركة الإخوان المسلمين عمر التلمساني، فأعادوا إصدارها سنة ١٩٧٦ م، وبقيت لسان حال الجماعة حتّى عطّلت سنة ١٩٨١ م بعد الصدام مع محمّد أنور السادات، واعتقل عشماوي، حتّى وفاته عام ١٩٨٣ م.

لقد كان صاحب قلم جيّد، تمرّس بالكتابة الصحفية، فتولّىٰ تحرير صحافة الجماعة

منذ صدورها حتّى توقّفها. وقد طوّر الصحافة الإسلامية ما وسعه جهده، فحوّلها إلى صحافة حديثة استفادت من الفنّ الصحفي المعاصر.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٩٥).

صبحي الصالح

صبحي إبراهيم الصالح: مفكّر، عالم، باحث، كاتب، داعية.

ولد سنة ١٩٢٦ م في طرابلس لأُسرة تركية الأصل نبغ فيها عدد من العلماء، منهم الشيخ محمّد رشيد رضا صاحب «المنار».

تلقّى دراسته في بلدته في الثانوية المدنية والشرعية في دار التربية والتعليم، ثمّ تعلّم في الأزهر وكلّية الآداب بجامعة القاهرة، حيث حصل عام ١٩٤٧ على الشهادة العالية (الإجازة) من كلّية أُصول الدين، كما نال الشهادة العالمية عام ١٩٤٩ م.

وفي عام ١٩٥٠ م سافر إلى فرنسا للدراسة، ونال شهادة دكتوراه الدولة في الآداب عام ١٩٥٤ م من جامعة السوربون. وكان أثناء وجوده في باريس يحاضر في مسجدها، وأسّس أوّل مركز ثقافي إسلامي فيها.

عمل أُستاذاً لفقه اللغة والإسلاميات في الجامعة اللبنانية وسوريا والعراق والأردن، وحاضر في عدد من الجامعات الأُخرى.

تولّى عدداً من المناصب، منها: الأمانة العامّة لرابطة علماء لبنان، ورئاسة اللجنة العليا للقرن الخامس عشر الهجري في لبنان، ونيابة رئاسة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في لبنان.

كما كان عضواً في: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، وأكاديمية المملكة المغربية، ولجنة الإشراف العليا على «الموسوعة العربية الكبرىٰ».

منحته المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جائزة قيّمة على كتابه «التفكير الاجتهادي في الإسلام».

اغتيل أثناء الحرب الأهلية اللبنانية في بيروت سنة ١٩٨٦ م.

من جملة مؤلّفاته: أثر الدراسات التأريخية في علوم القرآن الكريم، مقاييس النقد عند المحدّثين، تجربة التعريب في المشرق العربي، الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية، علوم الحديث ومصطلحه، معالم الشريعة الإسلامية، مباحث في علوم القرآن، دراسات في فقه اللغة، الإسلام والمجتمع العصري، النظم الإسلامية.. نشأتها وتطوّرها، المرأة في الإسلام، الإسلام ومستقبل الحضارة، منهل الواردين شرح رياض الصالحين. كما قام بترجمة كتاب «فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية» للويس غردية وجورج قنواتي (بالاشتراك مع فريد جبر)، وحقّق كتابي: «أحكام أهل الذمّة»، و«شرح الشروط العمرية»، وكلاهما من تأليف ابن القيم الجوزية، وقام بضبط نصّ وابتكار فهارس كتاب «نهج البلاغة»، وأخيراً ألّف باللغة الفرنسية كتاب «ردّ الإسلام على تحدّيات عصرنا».

(انظر ترجمته في: شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ١٥٧، تتمّة الأعلام ١: ٢٤١، إتمام الأعلام: ١٩٧ ـ ١٩٨، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٨٥٥ ـ ١٨٥٧).

الصدوق

أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق: رئيس المحدّثين الشيعة وشيخ مشايخهم في زمانه.

ولد حوالي سنة ٣٠٦ هـ في مدينة قم، وأحبّ العلم من الصبا، وطلب الحديث، فنشأ برعاية والده وتتلمذ عليه وعلى شيوخ بلدته، ثمّ انتقل إلى الري وأقام بها، ثمّ قام برحلة واسعة في سبيل خدمة الدين، فذاع صيته وعظم شأنه، وقد سمع من جمع عظيم من المحدّثين يربو عددهم على (٢٥٢) شيخاً.

حدّث عنه: أخوه الحسين، وعلي بن أحمد والد النجاشي، وعلي بن محمّد الخزّاز، والحسين بن عبيدالله الغضائري، والشيخ المفيد، وهارون بن موسى التلعكبري، ومحمّد بن طلحة النعالي، وآخرون.

كان فقيهاً محدّثاً متكلّماً مؤرّخاً رجالياً. وقد وصفه الذهبي برأس الإمامية، وقال: «يضرب بحفظه المثل».

وكان مكرّماً مبجّلاً عند ركن الدولة البويهي ، وقد جرت له مجالس ومناظرات بحضوره. وقد رجع إليه الكثير من أهل البلدان في أخذ الأحكام ، كأهل الكوفة والبصرة وبغداد وواسط ومصر وقم ونيسابور وقزوين .

صنّف كثيراً من المؤلّفات ، منها : الفقيه ، المقنع ، مدينة العلم ، علل الشرائع ، تفسير القرآن ، الناسخ والمنسوخ ، التاريخ ، معاني الأخبار ، الأمالي ، التوحيد ، عيون أخبار الرضا ، الخصال ، الاعتقادات ، جامع الحجّ ، فضل المساجد ، الجمعة والجماعة ، صفات الشيعة ، إكمال الدين ، الهداية في الأُصول والفقه .

توفّي في الري سنة ٣٨١ هـ ، ودفن بالقرب من مرقد السيّد عبدالعظيم الحسني .

وهناك أبعاد تقريبية في منهج الشيخ الصدوق ، يمكن ملاحظتها فيما يلي :

١ ـ العلاقات الواسعة مع مختلف الأوساط العلمية والاجتماعية في العالم الإسلامي ، وهذا أمر يؤكّده جميع مترجميه ، كما تؤكّده كثرة أسفاره وطول المكث في بعضها .

٢ ـ الأخذ والعطاء ، حيث أخذ وسمع الصدوق من شيوخ كثيرين من مختلف الأقطار والمذاهب الإسلامية ، كما أخذ منه منذ حداثة سنّه شيوخ طائفته وعدد آخر من شيوخ بقية المذاهب .

٣ ـ الحرّية والاستقلال في التفكير العلمي بعيداً عن التعصّب ، ويلاحظ ذلك بوضوح من خلال بعض آرائه التي يخالف بها جمهور الإمامية ، وكذلك من خلال الموقف المتشدّد ضدّ الغلوّ والغلاة .

٤ ـ قبول فكرة الحوار العلمي ، سواء على مستوىٰ العقائد أم الفقه ، والممارسة له عملياً .

(انظر ترجمته في : رجال النجاشي : ٣٨٩ ـ ٣٩٢ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣٠٣ ، الخلاصة : ٢٤٨ ، رجال ابن داود : ١٧٩ ، جامع الرواة ٢ : ٥٢ ـ ٥٣ ، مجمع الرجال ٥ : ٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، رياض العلماء ٥ : ١١٩ ـ ١٢٢ ، إيضاح المكنون ٢ : ١٢ ، هدية العارفين ٢ : ٥٢ ـ ٥٣ ، تنقيح المقال ٣ : ١٥٤ ـ ١٥٥ ، الفوائد الرضوية : ٥٦٠ ـ ٥٦٤ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٢٤ ـ ٢٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء ٤ : ٤٣٢ ـ ٤٣٥ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

صلاح أبو إسماعيل

صلاح أبو إسماعيل : داعية إسلامي كبير ، ومن ألمع قادة الصحوة الإسلامية .

ولد في مصر سنة ١٩٢٧ م ، وعن نشأته يتحدّث ابن عمّته الحمزة دعبس قائلاً : « قد بادر ؛ في سنّ مبكّرة بالاختلاط بالناس ، فلم يكن يتجاوز الخامسة عشرة عندما وقف بينهم خطيباً ، فأخذت فصاحته بالألباب ، وكشفت كلماته عن عقل راجح وذكاء متوقّد . وإذا بالشيخ صلاح في باكورة عمره محطّ احترام وتوقير من حوله ، يلجأون إليه للإصلاح بين المتخاصمين ، وحلّ مشكلات المحيطين به ،وقد نمت هذه الخاصية معه ، فكان نجم فضّ المنازعات واستئصال نوازع الشرّ من قلوب العائلات ، ليس في بلدته بهرمس فقط ، ولكن في بلاد كثيرة من جمهورية مصر العربية» .

تلقّى علومه في الكتاتيب والمعاهد الأزهرية ، ثمّ تخرّج من الأزهر عالماً ، ومارس التعليم في المدارس الحكومية المصرية ، وانخرط في سلك الدعوة الإسلامية منذ وقت مبكّر .

عايش تجربة الاعتقال مرّتين : الأُولى عام ١٩٥٤ م ، والثانية عام ١٩٦٥ م ، وذلك ضمن جماعة الإخوان المسلمين ، وخاض الحياة النيابية مناضلاً في سبيل مبادئه .. ولم يثنه حظر العمل الإسلامي رسمياً عن التماس السبل للصدع بكلمة الحقّ .. فانخرط في حزب مصر ، ثمّ حزب الوفد ، حيث نجح نائباً في مجلس الشعب ، ثمّ ترك حزب الوفد لينضمّ لحزب الأحرار ويصبح نائب رئيس الحزب .

رفع شعار : «أعطني صوتك لنصلح الدنيا بالدين» ، وكان قد دخل البرلمان المصري نائباً في مجلس الشعب منذ عام ١٩٧٦ م وحتّى وفاته .

أقام العديد من المبارزات الفكرية والدينية ، وضرب المثل لإنفاق المال في خدمة الدين ، فأنشأ في بلدته مجمعاً ضخماً للمعاهد الأزهرية يضمّ مختلف مراحل التعليم ، وشيّد مسجداً كبيراً ، وساهم بالمال وبالجهود في إنشاء حوالي خمسين معهداً دينياً .

وقد عرفته الجماهير المسلمة وهو يدعو للإسلام من منابر المساجد ، وفي الندوات ،

والمحاضرات، وفي المؤتمرات الإسلامية، وعبر صفحات الجرائد، وفي البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وله كتابات كثيرة، ومقالات عديدة، ومواقف شهيرة.

وكانت بداية نشاطه عن طريق خطبة الجمعة في زاوية صغيرة في حي الدقّي بالقاهرة، وسرعان ما اجتذب إليها مئات المصلّين، وتزايدات أعدادهم..

كان من ألمع قادة الصحوة الإسلامية ـ كما يقول الشيخ محمّد الغزالي ـ ومن أنصعهم بياناً وأعمقهم إيماناً، وكان يعتمد في دعوته إلى الإسلام على تفسير القرآن الكريم.

واحتلّت مقاومة العلمانيّين والشيوعيّين جانباً بارزاً في حياته. وقد جاهد مع زملائه في البرلمان لإصدار قوانين الشريعة الإسلامية، وقد جمع هذه القوانين وأعدّها لتكون تحت مسؤولية المجلس.. ولم يترك فرصة إلّا وتكلّم في المجلس منادياً بتطبيق الشريعة الإسلامية، ومنتقداً للقوانين التي تتعارض معها، ومطالباً بتعديلها.

أدركه الأجل يوم الاثنين الرابع من ذي القعدة سنة ١٤١٠ هـ المصادف لـ ٢٨ أيار (مايو) سنة ١٩٩٠ في مطار «أبو ظبي» وهو يستعدّ للعودة إلى مصر بعد جولة له علمية، ونقل جثمانه إلى القاهرة.

قال صاحب «تتمّة الأعلام»: «وقد سمعت الشيخ علي الطنطاوي يثني عليه كثيراً ويعدّه من عباقرة المسلمين في هذا العصر؛ لما كان له من أثر في السياسة الإسلامية، وما أحدثه من تغييرات».

وقد جمعت جمعية عبد الله النوري الخيرية مجموعة أحاديث له عن «اليهود في القرآن»، وأخرجتها في كتاب بهذا العنوان، طبع أكثر من مرّة، ووزّع مجّاناً، منها طبعة لدار الصحوة بالقاهرة.

وصدر كتاب بعنوان: «شهادة الشيخ صلاح أبو إسماعيل في قضية تنظيم الجهاد» عن دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٤٠٤ هـ، وفي ٣٢٨ صفحة (شهادة حقّ في قضية العصر).

وله حلقات إذاعية في تفسير القرآن العظيم لتلفاز «أبو ظبي»، وصلت إلى ٥٠٠ حلقة في عام ١٤٠٥ هـ أو بعده، وتفسير سورة يوسف في ثلاثين حلقة لتلفاز دولة البحرين،

ومئات الحلقات لتلفاز قطر في إطار البرامج الدينية، وعشرات المشاركات في الحلقات الدينية لتلفاز سلطة عُمان، وثلاثون حلقة في التفسير لتلفاز السعودية، وموضوعات متعدّدة سجّلها لإذاعة الكويت، انتظم كلّ منها ثلاثين حلقة، منها: أُسلوب الإسلام في بناء الإنسان، العدل في الإسلام، الإسلام والقتال.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، إتمام الأعلام: ٢٠١، نثر الجواهر والدرر: ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨).

صلاح الدين كفتارو

صلاح الدين أحمد كفتارو: باحث إسلامي معروف، وداعية تقريب.

ولد في دمشق عام ١٩٥٧ م، وحصل على إجازة من كلّية الدعوة الإسلامية، وعلى دكتوراه فخرية في الدعوة الإسلامية من جامعة أُمّ درمان الإسلامية في السودان.

وهو رئيس مجمع الشيخ أحمد كفتارو ﷺ، وخطيب ومدرّس ديني في جامع أبي النور بدمشق، ومدير المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد، وعضو المجلس العالمي لقادة الأديان المنبثق عن الأُمم المتّحدة في قمّة رجال الأديان من أجل السلام التي انعقدت في الولايات المتّحدة الأمريكية عام ٢٠٠٠ م، وعضو مجلس أُمناء القدس ـ لبنان، وعضو مجلس إدارة مؤسّسة القدس الدولية ـ سورية، وعضو المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ـ مصر، وعضو منظّمة الدعوة الإسلامية العالمية ـ ليبيا، وعضو الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين ـ بريطانيا، وعضو مجلس صناعة الجودة العرب لتنمية الأعمال ـ سورية، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ إيران، وعضو الهيئة الإسلامية الخيرية العالمية ـ الكويت.

وقد شارك في عدّة مؤتمرات محلّية وإقليمية وعالمية.

* * *

﴿حرف الطاء﴾

طارق رمضان

طارق سعيد رمضان: دكتور وأُستاذ محاضر سويسري مصري الأصل في علوم الإسلام بأُكسفورد ببريطانيا وجامعة فرايبورغ بسويسرا.

ولد في سويسرا في السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩٦٢م، وهو سبط مؤسّس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنّا ونجل الدكتور سعيد رمضان سكرتير البنّا والذي توفّي في سنة ١٩٩٥م، وهو أحد القيادات الإسلامية في أوروبّا، وداعية إسلامي شهير.

إنّ تأثير صورة الجدّ التي كانت حاضرة في منزل طارق، والتأثير المباشر لذلك الجدّ في الأبوين، ومن ثمّ في طارق بشكل غير مباشر، يبدو أنّه كان حاضراً بقوّة في تكوينه النفسي قبل أيّ شيء آخر.. يقول طارق عن ذلك في حواره مع فرانسواز جرمان روبان: «لقد عشت كلّ طفولتي تلازمني صورة جدّي المقتول (الإمام الشهيد حسن البنّا)، وجميع من قابلتهم كانوا يحدّثونني عنه باحترام. وغالباً ما كان يقال لي: إنّ هذا الرجل كان خارقاً للعادة تماماً، وكان والدي ـ وهو زوج ابنته ـ يتحدّث عنه باعتباره المصلح الإسلامي الأهمّ في عصرنا، وكان تأثيره على المحيطين به وبخاصّة على والدي مذهلاً، وكان فكره حاضراً يومياً في المنزل، كما أنّ والدتي قد حملت بشكل بالغ العمق هذا التراث، لقد كانت أكبر أبناء حسن البنّا، لكنّها علاوة على ذلك كانت حتّى الخامسة عشرة والنصف من عمرها جدّ قريبة منه، وكانت بالغة التأثير بإشعاعه الروحي، ومن خلالها تسنّى لي الاقتراب من الخصال الخاصّة لجدّي كإنسان وكأب».

ويقول عن والده وعلاقته بجدّه: «كلّ الناس كانوا يسمّون أبي في مصر حسن البنّا الأصغر؛ فقد كان جدّي يرسله للتحدّث في أبعد أقاليم مصر مع أنّه لم يكن يجاوز آنذاك

السادسة عشرة من عمره. ومن ثمّ فقد كان أمامي كائن إنساني يمكنني أن أقول: إنّ قوّته الفكرية كانت كاسحة بشكل خاصّ».

تلقّى طارق تعليمه الأوّل في مدارس جنيف الفرنسية وجامعتها، حتّى حصل على الماجستير والدكتوراه في الفلسفة والأدب الفرنسي، وخلال مراحل دراساته العليا بدأ العمل في تدريس الأدب الفرنسي بمدارس جنيف لعدّة سنوات. وخلال تلك الفترة عمل عميداً لمؤسّسة ثانوية عليا وهو في الخامسة والعشرين من عمره! ولأنّه كان ذا اهتمام خاصّ بالدراسات الإسلامية فقد سافر عام ١٩٩٢م إلى مصر لمتابعة دراساته الإسلامية لمدّة عام.

وإضافة للدراسة الأكاديمية والترقّي فيها انخرط طارق خلال تلك الفترة من حياته في النشاط الإجتماعي الإنساني المنفتح على البشر من كافّة الملل والنحل. فقد كان آنذاك مشتركاً فيما يعرف بنشاط الروابط، وكان له اهتمام خاصّ بالعالم الثالث، وهو ما ترجمه في الثمانينيات بإنشاء رابطة مدرسية تعليمية للتضامن ضدّ التهميش والاستبعاد في مجتمع جنيف، وكذا في بلدان العالم الثالث. وقد قامت الرابطة بتنظيم رحلات وإعداد مشاريع إنسانية، ومن خلال الرابطة أُتيح له العمل مع العديد من الروابط وجمعيات التضامن الأُخرى، كجمعية «quart - monde»، وجمعية «أطبّاء بلا حدود»، وجمعية «أرض البشر»، وقد سافر في إطار تلك الرحلات والمشاريع إلى أمريكا الجنوبية للعمل مع جمعية «القساوسة الشغيلة»، كما سافر للعمل الإنساني في كلّ من أفريقيا والهند.

وفي بيانه الشهير الذي وجّهه لعلماء المسلمين عام ٢٠٠٥م يربط تنفيذ الحدود بتوافر الظروف الموضوعية ـ شروط تطبيق الحدود ـ لإقامتها، وهو ما يجادل طارق رمضان في عدم توافرها اليوم في أغلب دول العالم الإسلامي، حيث يندر القضاء العادل والحدّ الأدنى من المعيشة الكريمة للمسلم، وهو بحسب ذلك لا يعارض الحدود ابتداءً.

وقد وضع العديد من المؤلّفات، وهي بالفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

وقد احتلّ طارق رمضان المرتبة الخامسة ضمن أبرز المفكّرين على مستوى العالم

في قائمة عشرين شخصية أكثر تأثيراً على مستوى العالم الإسلامي لعام ٢٠٠٨م، في استطلاع دولي أجرته مجلّتا «فورين بولسي» و«بروسبكت» الأمريكية والبريطانية على التوالي.

امتزاج المكوّن الإسلامي والمكوّن الإنساني والغربي في شخصية طارق رمضان أثمر عن مفكّر إسلامي شاب من الجيل الثاني للمسلمين في أوروبّا، يطرح نفسه من خلال كتاباته وأحاديثه كامتداد أوروبّي لمدرسة الإصلاح والتجديد التي كان جدّه أحد حلقاتها. على أنّه كما يقول: «يضع حسن البنّا في عصره ومجتمعه وسياقه. فقد تعلّمت منذ وقت مبكّر قرب والدي أن اتّخذ موقفاً نقدياً، وأن أُدرج الإخلاص للإصلاح في عين اللحظة التي يتعيّن عليّ فيها تطوير ونقد وتشجيع فكر أصيل والابتكار في مسألة العلاقة بالسياق، وهذا ما لم أتوقّف عن فعله مع فكر حسن البنّا، كما هو مع فكر أيّ مفكّر آخر: الدراسة، الفهم، تحديد السياق، الانتقاء، والمواءمة».

وفي إطار هذا الفكر التجديدي أصدر طارق رمضان عدّة كتب، لعلّ أشهرها: أن تكون مسلماً أوروبياً، مسلمو الغرب ومستقبل الإسلام، الإسلام والغرب وتحدّي الحداثة، المسلمون في فرنسا، الطريق إلى التعايش.

إنّ المقولات التي يطرحها طارق رمضان في كتاباته وأحاديثه تدور حول عدّة نقاط وردت في حديثه المنشور على موقع NFB أخبار من بنغلاديش: «إنّ الأولوية الأُولى ـ إذا كنّا نفكّر في الإصلاح والتجديد على أرضية إسلامية ـ هي إصلاح الطريق التي نقرأ بها النصوص ونفهمها بها حتّى نستطيع قراءة تلك النصوص في إطار السياق والبيئة التي نعيش فيها، والتي توضّح لنا عالمية وديمومة بعض القواعد الإسلامية، وضرورة فهم بعض التعاليم الأُخرى في سياقها الخاصّ. نحن نحتاج لفهم النصّ بهذا الشكل، ونحتاج لفهم الواقع حتّى نستطيع إصلاح العالم. نحن بحاجة لفهم عالمية قيمنا، وأنّ بإمكاننا أن نتشارك فيها مع الآخرين من مواطنينا الذين نعيش فيما بينهم».

«نحن نخلط في إطار مفهومنا للهوية بين ثقافاتنا الأصلية وتعاليم الإسلام، ولعلّ

إقامتنا في الغرب تساعدنا على جلاء الأمر وفصل ما هو من ثقافتنا عمّا هو من ديننا، مدركين أنّ علينا مواجهة ثقافة جديدة نعيش فيها ونأخذ منها ما لا يتعارض مع أساسيّات ديننا حتّى نستطيع مواجهة التحدّيات الجديدة».

«إعادة النظر في النظرة القديمة التي تقسّم العالم إلى «نحن» التي نعبّر عنها بـ«دار الإسلام، في مقابل «هم» التي نعبّر عنها بـ«دار الحرب» أو «دار العهد»، في ضوء مراجعة كلّ مفهوم من تلك المفاهيم وما كان يعنيه في سياقه، ومدى تحقّق ذلك المعنى أو عدم تحقّقه في الواقع الحالي». ويطرح طارق رمضان بدلاً من تلك المفاهيم مفهوماً جديداً هو «دار الشهادة»، ويعني الشهادة للرسالة الإسلامية أمام الناس.

«إنّ ما يتضمّنه ديننا من قيم غير مبني على «الغيرية»، نحن مسلمون طبقاً لقواعدنا الروحية وقيمنا العالمية، وليس ذلك نابعاً من مضادّتنا للغرب أو لليهود أو المسيحيّين أو العلمانيّين.. إنّ عيشي في مجتمع علماني في الغرب جعلني أكثر قدرة على فهم عالمية رسالتي والقيم المشتركة بيني وبين مواطني».

«إنّ ما آخذه من حسن البنّا أو من غيره من المصلحين ليس هو النتائج التي وصلوا إليها، بل الطريقة والمنهجية التي وصلوا بها لتلك النتائج، إنّهم يقولون: إنّ لدينا القرآن والسنّة، وعلينا أن نفهمهما فهماً سياقياً.. لقد فعلوا ذلك، لقد فهموا النصوص في ضوء البيئة، والآن أنا في أوروبّا عليّ اتّباع نفس المنهج في النظر والفهم».

والخلاصة: أنّ طارق رمضان يدعو إلى اندماج المسلمين في مجتمعاتهم الأوروبّية، واستقلاليتهم مادّياً وفكرياً عن مسلمي الشرق، وبناء مجتمع إنساني مشترك مع مواطنيهم في الغرب، وذلك على أرضية ما يحملونه كمسلمين من قيم إنسانية عامّة، وفي إطار نفي فكر المضادّة والغيرية، وفي إطار فهم جديد للنصوص في ضوء متغيّرات العصر وفي ضوء الواقع الأوروبّي، واختصاراً: إنّه يدعو لإسلام أوروبّي كما قيل!

وعلى قدر ما تلاقي هذه المقولات من ترحيب بقدر ما تثيره من جدل، بل واعتراض، سواء من المسلمين أم من غيرهم؛ فقد وصف أحدهم ـ وهو إقبال صدّيقي ـ مقولات طارق

رمضان، خاصّة في كتابه «أن تكون مسلماً أوروبّياً»، وصفها بأنّها نظرية، وبأنّه فشل في أن يضمّن كتابه تقييماً موضوعياً للواقع غير الموات الذي يواجهه المسلمون في أوروبّا، وأنّه ليس هناك حرّية دينية بالقدر الذي يتحدّث عنه في أوروبّا، وأنّه بذلك وقع فيما حذّر منه غيره من عدم قراءة الواقع بشكل جيّد.

طاهر الجزائري

طاهر بن محمّد صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري: بحّاثة، لغوي، أديب، مصلح كبير.

ولد في دمشق سنة ١٨٥٢ م، والتي هاجر والده إليها سنة ١٨٤٧ م، وكان من قضاة المالكية في الجزائر، وعندما استقرّ في دمشق أصبح مفتياً للمالكية فيها.

درس الشيخ طاهر في مدارس دمشق، حيث دخل إلى المدرسة الجقمقية، وتخرّج على يد الشيخ عبد الرحمان البوشناقي، فأتقن مبادئ العلوم المختلفة.

اتّصل بالشيخ عبد الغني الميداني الذي كان له تأثير كبير على شخصية الشيخ طاهر، وقد أنشأه على الأُصول العلمية الصحيحة، ومحاربة الخرافات، والتسامح الديني. ويذكر أنّ الشيخ عبد الغني الميداني قد حال سنة ١٨٦٠ م بدمشق دون تعدّي فتيان المسلمين على جيرانهم المسيحيّين، فأنقذ أُلوفاً من القتل في تلك الفتنة المشؤومة، وقد تأثّر الشيخ طاهر به، فكان يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاصّ، ولا يعادي أئمّة المذاهب المعروفة، وكان من عادته أن يصحب أصحاب الفِرق المختلفة مهما كانت طريقتهم.

تعلّم الشيخ طاهر الفرنسية والسريانية والعبرانية والحبشية والبربرية، بالإضافة إلى إتقانه العربية والفارسية والتركية. وتولّى التعليم لأوّل أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية، وألّف: «توجيه النظر إلى علوم الأثر»، و«التبيان»، وكان عضواً في «الجمعية الخيرية» التي أُسّست سنة ١٨٧٧ م، والتي استحالت إلى (ديوان معارف) في عهد والي الشام مدحت باشا.

عيّن الشيخ طاهر مفتشاً عامّاً على المدارس الابتدائية في عام ١٨٧٧ م، فألّف كتب

التدريس للصفوف الابتدائية في جميع الفروع، منها: مدخل الطلّاب إلى علم الحساب، ورسالة في النحو، ومنية الأذكياء في قصص الأنبياء، والفوائد الجسام في معرفة خواصّ الأجسام، وإرشاد الألبّاء إلى تعليم ألف باء، وغيرها. وعمل على افتتاح كثير من المدارس الابتدائية، حيث تمّ افتتاح تسع مدارس في مدينة دمشق، فجعله الوالي مفتشاً عامّاً للمعارف في ولاية سوريا آنذاك، فكان يعمل على توعية الناس، ونشر العلم، ومحاربة الخرافات، والاعتزاز بالإسلام.

أنشأ «المكتبة الظاهرية» و«المكتبة الخالدية» في القدس، وتحمّل في سبيل ذلك عداوة الكثيرين ممّن استحلّوا أكل الكتب والأوقاف.

وفي سنة ١٨٩٨ م» عُيّن مفتشاً على دور الكتب العامّة، وظلّ في وظيفته تلك أربع سنوات، ولكنّه أثار حفيظة الأمن بسبب نشاطه وأفكاره التي كان يسعى لبثّها في عقول طلّابه ومريديه، حتّى هاجم الأمن بيته وعاثوا فيه فساداً، فاضطرّ إلى التواري عن الأنظار، وأخيراً قرّر الهجرة إلى مصر، فوصلها سنة ١٩٠٧ م، وسكن في بيت صغير متواضع، واجتنب الناس إلّا بعض العلماء الذين اتّصلوا به بغية الإفادة من علمه.

أُولع الشيخ طاهر باقتناء المخطوطات، وحافظ على هذه العادة الجيّدة، إلى أن ألجأته الظروف إلى بيع بعضها للإنفاق على نفسه رافضاً مبادرات ودّية قام بها بعض أصدقائه وطلّابه لمساعدته، حيث منعته من ذلك عزّة نفسه وعفّته.. يذكر محبّ الدين الخطيب ـ وهو أحد تلاميذ الشيخ طاهر البارزين ـ أنّه حاول مساعدة الشيخ طاهر عندما ألجأت الحاجة هذا الشيخ إلى بيع مخطوطاته ليعيش بثمنها، فتوسّط له مع بعض معارفه لدى الخديوي لإجراء راتب للشيخ من الخزينة الخاصّة، فرفض هذا بإباء.. وقال السيّد محبّ الدين معلّقاً على هذه الحادثة: «فظهر لي أنّني لا أزال أجهل تلك النفس الكبيرة رغم معرفتي بصاحبها منذ طفولتي، فقد غضب الشيخ طاهر من هذه الحادثة غضباً لم أعهده فيه من قبل».

وقد ذكرت وحوادث أُخرى عن زهد الشيخ، وهي تظهر لنا جانباً مهمّاً من شخصية

هذا العالم الفذّ. فبالإضافة لزهده فهي تدلّ على حرّيته وإبائه، فقد منعته عزّته وصدقه ورغبته بعدم مصانعة الحكّام عن قبول مثل هذه العطايا.

أمضىٰ أيّامه في القاهرة في التأليف والبحث العلمي، وكان له مراسلات مع المستشرقين من مختلف الجنسيات، وشارك في تحرير بعض الصحف.

وظلّ في القاهرة إلى سنة ١٩١٨ م، حيث قرّر العودة إلى دمشق بعد قيام الدولة العربية، ولكن المرض أخّره، فعاد إلى دمشق سنة ١٩١٩ م، وعُيّن مديراً لدار الكتب الظاهرية التي أسّسها، وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

وبعد أربعة أشهر من عودته توفّي في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م، ودفن في سفح قاسيون تنفيذاً لوصيّته.

تمتّع الشيخ طاهر بصفات مميّزة وغريبة، جعلت منه شخصية مختلفة ملفتة للنظر، وقد ذكر معاصروه كثيراً منها، وهي تدلّ على علوّ مكانته وطرافته.

كان الشيخ طاهر واحداً من الإصلاحيّين الإسلاميّين، وقد شعر بمدى الانحطاط الذي تعاني منه الأُمّة، وأرجع سبب ذلك للاستبداد والفساد وسوء الإدارة العثمانية التي كان يديرها حزب «الاتّحاد والترقّي» الذي نشأ في حضن الماسونية في سالونيك وتربّى على أعين قادتها.

وكان يسعى للعمل على نهضة الأُمّة، وذلك بالأخذ بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة وأسباب الحضارة، دون التخلّي عن الدين الإسلامي، بل إنّه كان يؤمن بعظمة هذا الدين وصلاحه لكلّ زمان ومكان.

ومن سيرة حياته نجد أنّ الشيخ الجزائري كانت من أُولى اهتماماته:

١ ـ الاهتمام بالعلم والتسلّح به.

كان الشيخ يمضي وقته كلّه في العلم والبحث، عاش حياته وحيداً ولم يتزوّج متفرّغاً لتحصيل العلوم وتعليمها. وكان يهتمّ بالناشئة ويشجّعهم على طلب العلم والبروز فيه، ويحاول التيسير عليهم وعدم تنفيرهم من طلب العلوم.

وممّا نُقل عنه أنّه كان يرشد تلاميذه قائلاً: «إن جاءكم من يريد تعلّم النحو في ثلاثة أيّام فلا تقولوا له: إنّ هذا مستحيل، بل علّموه، فلعلّ اشتغاله هذه الثلاثة الأيّام بالنحو تحبّبه إليه». ولا يخفىٰ ما لهذا الإرشاد من فائدة عظيمة في بثّ الثقة في النفوس وتشجيعها على طلب العلم.

كما أنّه اهتمّ بإصلاح التعليم، وافتتاح المدارس المتنوّعة، وخصوصاً الابتدائية منها رغبةً منه في نهضة الأُمّة ورقيها، حيث كان يؤمن إيماناً راسخاً بأنّ نهضة الأُمّة هي في العلم.

٢ ـ الاهتمام باللغة العربية والتاريخ الإسلامي.

يصف أحد تلاميذ الشيخ طاهر المقرّبين ـ وهو محبّ الدين الخطيب ـ أنّه أحبّ اللغة العربية والعرب من أُستاذه الشيخ طاهر.. يقول محبّ الدين: «من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي وإسلامي، منه عرفت أنّ المعدن الصدأ الآن الذي برّأ الله منه في الدهر الأوّل أُصول العروبة ثمّ تخيّرها ظئراً للإسلام إنّما هو معدن كريم، لم يبرّأ الله أُمّة في الأرض تدانيه في أصالته».

وقد استطاع الشيخ طاهر إقناع والي دمشق بضرورة تعليم العلوم باللغة العربية.. واهتمام الشيخ طاهر باللغة العربية والتاريخ الإسلامي هو اهتمام بالإسلام نفسه، وقناعة منه أنّ النهضة المرجوّة لا تعني بأيّ حال من الأحوال نبذ الهوية العربية والإسلامية.

٣ ـ الاهتمام بتعلّم العلوم العصرية واللغات الحيّة.

لأنّ ذلك أحد أدوات النهضة، فالتعرّف على تلك العلوم واللغات مهمّ جدّاً لمواكبة ركب الحضارة.

يقول محمّد كرد علي: «اتّسع صدر الشيخ لجماع علوم المدنية الحديثة إلّا الموسيقى والتمثيل، فلم يكن له حظّ فيهما، وكانت سياسة الشيخ في التعليم محصورة في تلقّف المسلمين أُصول دينهم، والاحتفاظ بمقدّساتهم وعاداتهم الطيّبة وأخلاقهم القديمة القويمة، وأن يفتحوا قلوبهم لعامّة علوم الأوائل والأواخر، من فلسفة وطبيعي واجتماعي

على اختلاف ضروبها »، كما اهتمّ بالصحافة والأدب ونشر الكتب والمؤلّفات المفيدة.

٤ ـ الدعوة إلى إصلاح العادات ومحاربة الخرافات والخزعبلات.

كان يقف بشجاعة في وجه الجمود والتحجّر، ويدعو إلى بذل الجهد لنهضة الأُمّة قدر المستطاع، كما أنّه دعا إلى استخدام وسائل الاتّصال المتاحة في عصره لتوعية لناس وردّهم إلى جادّة الصواب.

وفي رسالة بعثها لتلميذه محمّد كرد علي تظهر نظرته لخطّة الإصلاح، حيث يقول: « وممّا يهمّ الأمر فيه إصلاح العادات، فإنّ في الشرق كثيراً من العادات التي ينبغي إبطالها، كما أنّ فيه كثيراً من العادات التي ينبغي المحافظة عليها. غير أنّه لا ينبغي أن يستعمل التنكيت في ذلك، بل يستعمل مجرّد البيان الدالّ على حسن الشيء أو قبحه ».

٥ ـ مقاومة الحكم الاستبدادي ومعارضته.

عادى الشيخ الحكم الاستبدادي، ودعا الحكومة العثمانية التي كان يقودها رجال « تركيا الفتاة » إلى الإصلاح والعدل والشورى وحرّية التعليم وحرّية الصحافة، ممّا جعل الحكومة التركية تلاحقه وتضيّق عليه، حتّى اضطرّ إلى التوجّه صوب مصر.

وعندما تمّ الانقلاب على السلطان سنة ١٩٠٨ م فرح به الناس وهلّلوا له، ولكن الشيخ لم يفرح به ولم يثق بمن قاموا به، وكان يقول: « وما هذا الانقلاب الخلّاب إلّا انتقال من نير استبداد الفرد إلى نير استبداد الجماعات ». وبالفعل فقد صدقت رؤية الشيخ طاهر، وكان الانقلابيّون أكثر استبداداً من السلطان نفسه، وهذا كان من الأسباب القويّة لقيام الثورة العربية الكبرى، والتي فرح بها الشيخ وشجّعها كثيراً؛ لأنّه كان يعتبرها خطوة ضرورية لنهضة الأُمّة، وساند الحكم في دمشق، وكان يدعو الناس إلى الدفاع عن هذا الاستقلال.

عاش الشيخ طاهر في فترة مظلمة من تاريخ بلاد الشام خاصّة والعالم الإسلامي عامّة، وكان يعرف الفرق الشائع بين موات الأُمّة الإسلامية وبين الحضارة الغربية. لذلك فقد سعى إلى العمل قدر استطاعته من أجل نهضة هذه الأُمّة التي كان يؤمن بعزّتها وبخصائصها العظيمة.

وقد وصفه محبّ الدين الخطيب بأنّه: «كان يعرف مواطن الداء في الدولة العثمانية وفي الأُمّة التي أوقعها سوء الحظّ تحت سلطانها، فكان بسبب ذلك يقدّر صعوبة موقفه وما يمكن أن يتهدّد حياته من خطر لو جاهر بكلّ ما يعرف، لذلك نصّب نفسه ميزاناً للحقّ».

ورغم كلّ ما كان يلمسه الشيخ طاهر من تدهور في حال الأُمّة، إلّا أنّه لم يكن قانطاً من التحرّر أو يائساً من الإصلاح، وإنّما كانت ثقته قويّة بمستقبل الأُمّة واستعدادها للنهوض من عثرتها متى أخذت بأسباب العلم وعوامل الحضارة.

كان الشيخ طاهر يرى أنّ الدولة العثمانية موشكة على الانهيار، فيدعو العرب إلى التأهّب بالعلم والأخلاق والتجدّد والتحفّز لنيل استقلالهم وصون بلادهم من أن تبتلعها حيتان الاستعمار، حتّى تقوّضت دعائمها، وتداعت عليها الأُمم لاكتسابها واقتسام بلادها، وراح يبثّ هذه الأفكار بين طلّابه ومريديه، وكان إخلاصه وثقافته العالية قد جعلا كلّ من يميل إلى الثقافة والعلم والتحرّر يتقرّب منه وينهل من علمه. ولم يكن الشيخ طاهر يفرّق بين أحد من هؤلاء، لا بسبب الدين ولا المذهب ولا غير ذلك، ممّا جعل له شهرة كبيرة في بلاد الشام.

هذا، وقد كتب في سيرته محمّد سعيد الباني الدمشقي كتابه «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٦٨٨ ـ ٦٩١، هدية العارفين ١: ٤٣٢، المعاصرون: ٢٦٨ ـ ٢٧٨، اكتفاء القنوع: ٢٦١ و ٤٦٤، الأعلام للزركلي ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٢، معجم المؤلّفين ٥: ٣٥ ـ ٣٧، معجم المفسّرين ١: ٢٤١، أعلام التراث: ٣٥ ـ ٣٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٥٤٥، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ١٨٤ ـ ١٩٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧، موسوعة الأعلام ٢: ٨٢).

طلال عتريسي

أُستاذ علم الاجتماع التربوي وعلم النفس الاجتماعي في الجامعة اللبنانية، ومدير معهد العلوم الاجتماعية في هذه الجامعة، ومدير عامّ الدراسات الاستراتيجية والبحوث

والتوثيق، ومحلّل سياسي، وداعية تقريب.

تدور كتاباته حول القضايا التي تهمّ الإسلام والمسلمين وحول قضايا التقريب، وله عدّة مؤلّفات حول التعليم الجامعي وغيره، وحالياً له كتابان، أحدهما عن أزمة السيادة في الدولة في مواجهة العولمة، والآخر حول إيران وحربي أفغانستان والعراق، وله أيضاً كتاب بعنوان «في التربية وعلم النفس.. اختلاف المفاهيم. كما له عدّة ترجمات، منها: أزمة التحليل النفسي، أوروبّا والإسلام، فرويد والتراث الصوفي اليهودي، مهمّة فرويد.

وقد أُجرت معه مجلّة «رسالة التقريب» في عددها السادس والأربعين حواراً تحت عنوان «الوحدة والتقريب في إطار ممكن»، يقول فيه: «التقريب بين المذاهب شأن مهمّ وضروري، وينزع كلّ الاحتمالات لإثارة العصبيات بين أوساط المسلمين، وأعتقد أنّ الوحدة الإسلامية يجب أن تبنىٰ على أساس البحث في مشاكل المسلمين، في أسباب بعض ظواهر التخلّف في حياة المسلمين، وفي التهديدات المشتركة. التقريب حتّى على المستوىٰ الفقهي أن نعرف ما هي المساحة المشتركة المتّفق عليها لكي نزيل الشوائب. يصطاد بعض الأفراد وبعض الدول وبعض الجهات الخارجية في الماء العكر لهذا الغموض الموجود بين المذاهب... إنّ التقريب يفيد في إزالة هذا الجانب المظلم المتبادل عند المذاهب الإسلامية».

ويقول كذلك: «هناك مشتركات بين المذاهب الإسلامية على مستوىٰ فقهي، مستوىٰ اجتماعي، مستوى سياسي، المستوىٰ الخارجي، كلّ المؤشّرات تشير إلى أنّ مساحة اللقاء مساحة كبيرة، ليست مساحة صغيرة، ويجب أن يكون الانطلاق من هذه المساحة لتشعر الأجيال أنّ هناك فقهاً مشتركاً».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

طه جابر العلواني

طه جابر العلواني: مفكّر إسلامي عراقي مرموق، وأحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد عام ١٩٣٥م في العراق، وهو رئيس المجلس الفقهي بأمريكا منذ عام ١٩٨٨م، ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية (siss) بهرندن (فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكية)، ورئيس جامعة قرطبة الإسلامية في أمريكا أيضاً.

حصل على الدكتوراه في أُصول الفقه من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر في القاهرة عام ١٩٧٣م، وكان أُستاذاً في أُصول الفقه بجامعة محمّد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ عام ١٩٧٥م حتّى عام ١٩٨٥م.

وفي عام ١٩٨١م شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتّحدة، كما كان عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرّمة، وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي في جدّة.

هاجر إلى الولايات المتّحدة في عام ١٩٨٣م، ويسكن حالياً مع عائلته في القاهرة.

من مؤلّفاته: الاجتهاد والتقليد في الإسلام، أدب الاختلاف في الإسلام، أُصول الفقه الإسلامي.. منهج بحث ومعرفة، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، التعدّدية، أُصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع، حاكمية القرآن، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، الجمع بين القراءتين.

يقول: «إنّ الجمعية العمومية للأديان المتّحدة لو قامت ـ لا سمح الله ـ فإنّها تستطيع غداً أن تلزم الأديان الأعضاء أو ممثّليها بما تتوصّل إليه من قرارات، فتصف بالشرعية ما تشاء وتسحب الشرعية عن سواها، بل يمكنها أن تقول على سبيل المثال: إنّ الركن الفلاني من أركان هذا الدين أو ذاك مرفوض؛ لأنّه يؤدّي إلى الكراهية أو الصراع، أو يعزّز اتّجاهاً ضدّ السلم وما شابه ذلك.

لا بدّ أن يدرك العلماء المتخصّصون والرأي العامّ الإسلامي خطورة مشروع هذه المنظّمة عبر توعية إعلامية مكثّفة؛ لأنّ هذه المنظّمة بشكلها المطروح حالياً من وجهة نظري هي محاولة للهيمنة على الإسلام وأخذ نوع من السلطة الدولية تتيح النظر في الأحكام الإسلامية وأركان الإسلام واقتراح التعديلات التي تراها القوى العظمى مقبولة في

أديانها ومصالحها أو سياستها، ولذلك فقد توقّفت عن المشاركة في هذه الحوارات؛ لأنّ أهدافها غير مقبولة لي بوصفي إنساناً مسلماً مؤمناً بالله واليوم الآخر وملتزماً بمرجعية القرآن وسنّة محمّد ﷺ، وأرى أنّه على المسلمين أن يبادروا للقيام بحوار داخلي فيما بينهم يتعالون فيه على التوجّهات الطائفية والمذهبية في الداخل الإسلامي ليخرجوا بمواقف موحّدة قبل أن يجدوا أنفسهم مكبّلين تفرض عليهم من الخارج القضايا التي يبكون عليها من دينهم أو القضايا التي ينبغي أن يتنازلوا عنها.

جميع الأساتذة والمشايخ وكبار العلماء يمارسون الفتوى في كثير من الشؤون المعاصرة، ولم تتوقّف الاجتهادات الفردية والجماعية التي تقوم بها المجامع الفقهية، والفقه أوّلاً وأخيراً هو فهم بشر غير معصوم لمدلولات النصّ القرآني ومدلولات السنّة النبوية وتطبيقاتها الفعلية والتقريرية الثابتة في الأحاديث القولية، والحاجة إلى التجديد في الفقه لا تتمّ بأن نجدّد في باب معيّن من أبواب الفقه، وإنّما التجديد يجب أن يتم بردّ التراث الفقهي إلى الكتاب والسنّة في واقع عاشته الأُمّة عبر ثلاثة وعشرين عاماً في عهد الرسول ﷺ في جيل التلقّي، وإذا تمّ ذلك سنجد قدرة وإمكانية لمواجهة أيّة مستجدّات بهدي القرآن الكريم وهدي المنهج النبوي في الاستجابة للتحدّيات والمشكلات المعاصرة، وذلك هو التجديد المطلوب، أمّا رفض الفقه كلّية والاستهانة أمر لا يقول به عاقل؛ لأنّ الحاضر متّصل بالماضي، والفقه في مرحلة التأسيس يمثّل ثروة غنية جدّاً وخصبة، وكون ثقافة المسلمين ما زال الكثيرون منّا يعيشون جوانب مختلفة منها وما تزال تؤثّر في حياتنا.

كما أنّ الإسلام يختلف عن النصرانية، فإذا كانت أوروبّا قد استطاعت أن تحدث قطيعة معرفية مع التراث الكنسي لتنطلق نحو بناء فكرها الحديث، فإنّ المسلمين لم يشكّل القرآن والسنّة ولا أيّ جانب تراثي عائقاً يحول دون انطلاقاتهم ليقلّدوا أوروبّا في إحداث القطيعة المعرفية، لكنّنا مطالبون بمراجعة تراثنا ونقده والاحتكام في ذلك إلى كتاب الله وسنّة رسوله».

طوبىٰ الكرماني

الدكتورة طوبىٰ كرماني: أُستاذة جامعية إيرانية مرموقة، وداعية تقريب.

وهي مسؤولة المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية باليونان، والمديرة العامّة السابقة لمنظّمة الثقافة والعلاقات الإسلامية، والمديرة العامّة للأُمور الاجتماعية في المنظّمة سالفة الذكر، ومستشارة الفرع النسائي في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعضوة الجمعية العمومية لمجمع التقريب، وعضوة الهيئة العلمية لجامعة طهران. كما أنّها المديرة المسؤولة عن مجلّتي «مطالعات راهبردي زنان» و«كتاب زنان».

من مؤلّفاتها: الشهيد والشهادة، السياسة والحكومة في منظومة صدر المتألّهين الفكرية.

تقول عن نفسها: «لقد بدأت بالفعّاليات العلمية قبل ٢٧ عاماً، فتخرّجت ابتداء ذلك من كلّية الإلهيات بجامعة طهران في تخصّص الفلسفة والكلام الإسلامي، ثمّ سافرت إلى أمريكا ـ وكنت أوّل امرأة بل أوّل شخص يسافر إليها لإكمال رسالة الماجستير ـ فقمت هناك بالتطبيق بين فلسفة الشرق وفلسفة الغرب. وفي الحال الحاضر أعمل أُستاذة في كلّية الإلهيات بجامعة طهران، وإلى جانب التدريس قمت بأداء بعض المهام، فمثلاً عملت مديرة عامّة ولمدّة سبع سنوات ونصف ـ لشؤون الإيرانيّين خارج القطر سواء كانوا مسلمين أم لا».

تقول في مقالةٍ لها نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية تحت عنوان «المرأة والسياسة»: «إنّ موضوع مشاركة المرأة في المسائل السياسية قد شغل جزءاً مهمّاً من الكلام على حقوقها، وذلك لأنّ المرأة قد سلبت حقوقها السياسية مثلما سلبت حقوقها الأُخرى، على الرغم من وجود الحركات السياسية النسوية التي تدلّ على وجود الشعور السياسي لديهنّ.

إنّ مجرّد ذكر حقوقها المساوية لحقوق الرجل في قوانين الدول المختلفة لم يكن يغني

من الحقّ شيئاً، لذا أخذنا نرى تداول الحديث حول ضرورة المشاركة الفعّالة والواقعية للمرأة، والطرق الكفيلة بجعلها تتمتّع فعلاً بتلك الحقوق.

إنّ حضور أفراد المجتمع واشتراكهم في الساحة السياسية لتعيين مصيرهم يسمّى بالمشاركة السياسية، وهي سلوك يترك أثره ويستهدف التأثير في القرارات الحكومية. ومن حيث الأساس يمكننا أن نقول: إنّ مشاركة المرأة السياسية بصورة عامّة تابعة للنظام العامّ لمشاركة المجتمع في السياسة، وهي تتأثّر بمجموعة عوامل، خاصّة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أنّ النظام العامّ للمشاركة السياسية تابع لمجموعة من المقاييس على المستويات المختلفة، بحيث تترك أثرها على حدوث المشاركة وماهيتها وتوسّعها وكيفيتها ونتائجها.

منذ بداية القرن الثامن عشر حصل تقدّم ملحوظ في أفكار عصر النهضة، أدّى إلى ظهور أفكار جديدة ومبتكرة في الفلسفة والتاريخ والحكومة والحقوق الطبيعية، ولكنّ كثيراًمن المفكّرين في ذلك الوقت الذي سُمّي بالعصر الثقافي ـ ومنهم: مونتسكيو وروس وبلاكيستون ـ أبدوا نظرات جديدة حول موضوع الحكومة والسياسة وإرادة الشعوب والقانون، فأكّدوا ضرورة المساهمة بشكل أكبر في الانتخابات العامّة ومجلس النوّاب.

وفي بداية القرن التاسع عشر وبعد جهود وتظاهرات وإضرابات عن العمل استطاعت المرأة أن تحصل على حقّ المشاركة في إعطاء الرأي في الانتخابات، وفي الوقت نفسه كان الاعتقاد سائداً بأن لا تناسب بين المرأة والسياسة وأنّ السياسة للرجل.

وفي النهاية، في سنة ١٩٨٧ م، وصل عدد الدول التي منحت المرأة حقّ المشاركة في الانتخابات إلى ١١٥ دولة، ولكن عدول الدول التي منحت المرأة حقّ العضوية في مجلس النوّاب والمساهمة في إدارة شؤون الحكم لا زال معدوداً.

على أيّ حال، إذا افترضنا أنّنا متّفقون مع أرسطو في قوله: «إنّ الإنسان حيوان سياسي»، فإنّنا سنلاحظ أنّ المرأة الشرقية المتأخّرة، كالمرأة الغربية المتحضّرة، تطالب بالقضاء على القيم القديمة وبتحقيق الحرّية والمساواة للمرأة، وكلتاهما تنظران إلى التاريخ

كأنّه مذكّر، وتعترضان على النظام الاجتماعي التقليدي الذي يعطي الشرعية للذكور فقط.

هذه المرأة تنتهز الفرص للحصول على حقوقها المساوية لحقوق الرجل، والمشاركة في إدارة شؤون الدولة بصورة عامّة، وتطالب بإعادة النظر في دور المرأة التقليدي في كيان العائلة.

ولكن في هذا الاعتراض على النظام تبدو هنالك ثلاثة خطوط فكرية رئيسة: أوّلاً: التمحور حول الإنسان. ثانياً: الثقافة التقليدية. ثالثاً: الثقافة الإيمانية...».

الطوسي

أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة، مصنّف «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار»، وهما من الكتب الأربعة عند الإمامية التي عليها مدار استنباط الأحكام، وهو أحد أشهر علماء الإمامية، وداعية إصلاح.

ولد في طوس سنة خمس وثمانين وثلاث مائة للهجرة، وارتحل إلى بغداد سنة ثمان وأربع مائة للهجرة، واستوطنها، وأخذ عن الشيخ المفيد، ولازمه، واستفاد منه كثيراً، ثمّ لازم ـ وذلك بعد وفاة الشيخ المفيد سنة ٤١٣ هـ ـ الشريف المرتضى، وحظي بعنايته وتوجيهه لما ظهر عليه من النبوغ والتفوّق، وعيّن له أُستاذه المرتضى اثني عشر ديناراً في كلّ شهر، ولمّا توفّي السيّد المرتضى سنة ٤٣٦ هـ استقلّ الشيخ الطوسي بالزعامة الدينية، فارتفع شأنه، وذاع صيته.

روى المترجم عن طائفة من المشايخ، منهم: أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، وأبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد البزّار المعروف بابن عبدون، وأحمد بن محمّد بن موسى المعروف بابن الصلت الأهوازي، وأبو الحسين علي بن أحمد بن محمّد بن أبي جيد القمّي، وأبو القاسم علي بن شبل بن أسد الوكيل، وأبو الفتح هلال بن محمّد الحفّار، وأبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى الفحّام السامرّائي، وجعفر بن الحسين بن حسكة القمّي.

روى عنه: آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسفي، وأحمد بن الحسين الخزاعي

النيسابوري، وابنه عبد الرحمان بن أحمد الخزاعي، وأبو الخير بركة بن محمّد بن بركة الأسدي، وعبد الجبّار بن عبد الله المقرئ الرازي، وأبو عبد الله الحسين بن المظفّر بن علي الحمداني، والقاضي ابن البرّاج الطرابلسي، وطائفة.

وكان الطوسي من بحور العلم، متوقّد الذكاء، عالي الهمّة، واسع الرواية، كثير التصنيف، ازدحم عليه العلماء والفضلاء، وحصل له من التلامذة ما لا يحصى كثرة.

قال فيه العلّامة الحلّي المتوفّى سنة ٧٢٦ هـ: «شيخ الإمامية ووجههم ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صنّف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول والفروع».

وقال الشيخ محمّد أبو زهرة المصري أحد كبار علماء السنّة في العهد المعاصر: «كان شيخ الطائفة في عصره غير منازع، وكتبه موسوعات فقهية وعلمية، وكان مع علمه بفقه الإمامية وكونه أكبر رواته على علم بفقه السنّة، وله في هذا دراسات مقارنة، وكان عالماً في الأُصول على المنهاجين الإمامي والسنّي».. وقال: «لا بدّ أن نذكر تقديرنا العلمي لذلك العالم العظيم، ولا يحول بيننا وبين تقديره نزعته الطائفية أو المذهبية، فإنّ العالم يقدّر لمزاياه العلمية لا لآرائه ونحلته».

أقول: شتّان بين قول محمّد أبي زهرة هذا في الطوسي وبين قول الذهبي فيه ـ والذي أساء به إلى نفسه ـ: «كان يعدّ من الأذكياء، لا الأزكياء»! (وكلّ إناء بالذي فيه ينضح).

وكان الشيخ الطوسي مقيماً ببغداد، وكانت داره منتجعاً لروّاد العلم، وبلغ الأمر من الإكبار له أن جعل له القائم بأمر الله العبّاسي كرسي الكلام والإفادة.

ولما أورى السلجوقيّون نار الفتنة المذهبية وأغروا العوام بالشرّ أُحرقت في سنة ٤٤٧ هـ مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي، ثمّ توسّعت الفتنة، فشملت الطوسي نفسه، فاضطرّ إلى مغادرة بغداد والهجرة إلى النجف الأشرف.

قال ابن الأثير (في حوادث سنة ٤٤٩ هـ): «فيها نُهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ ـوهو فقيه الإمامية ـ وأُخذ ما فيها، وكان قد فارقها إلى المشهد الغروي».

وفي النجف الأشرف اشتغل شيخ الطائفة بالتدريس والتأليف والهداية والإرشاد، ونشر علمه بها، فصارت النجف منذ ذلك الوقت وحتّى هذا اليوم مركزاً للعلم وجامعة كبرى للإمامية، وقد تخرّج منها خلال هذه السنين المتطاولة الآلاف من العلماء المتمرّسين في الفقه والتفسير والفلسفة واللغة وغير ذلك.

وللطوسي تصانيف كثيرة، منها: المبسوط في فروع الفقه، النهاية في الفقه، العدّة في أُصول الفقه، الإيجاز في الفرائض، مسائل ابن البرّاج، المسائل الجلية، المسائل الرازية، مصباح المتهجّد، المسائل الدمشقية، المسائل الحائرية، تلخيص الشافي للمرتضى، الرجال، فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنّفين، المفصح في الإمامة، الخلاف في الأحكام، ويسمّى «مسائل الخلاف».

وله «التبيان في تفسير القرآن»، وهو لا يزال مفخرة علماء الإمامية.

توفّي في مدينة النجف الأشرف في الثاني والعشرين من محرّم سنة ستّين وأربع مائة للهجرة، ودفن في داره، ثمّ تحوّلت الدار بعده مسجداً في موضعه اليوم حسب وصيته، وهو مزار يتبرّك به الناس، ومن أشهر مساجد النجف.

هذا، وقد طرق الشيخ الطوسي باب التقريب الفقهي في كتاب «الخلاف»، ومن الظاهر أنَ التقريب الفقهي أرجح من بقية الطرق للتقريب بين المذاهب الإسلامية، كالدراسات الكلامية وغيرها. وهذا في الواقع مردّه إلى عدّة أسباب وعوامل:

الأوّل: أنّ المذاهب المعروفة بين المسلمين هي مذاهب فقهية، والفارق بينها هو الاختلاف في المسائل الفقهية، كالمذاهب الأربعة لأهل السنّة، فإنّها معنونة بأسامي أئمّتها الفقهاء الأربعة، وكذلك المذاهب الإمامية والزيدية والإباضية، فإنّها وإن اختلفت مع بعضها البعض وكذا مع المذاهب الأربعة في بعض المسائل الاعتقادية، إلّا أنّ الفروق المهمّة بينها هي فقهية، فالأحسن التركيز على على تقريب وجهات النظر بين أئمّة هذه المذاهب في

صعيد الفقه والشريعة، وعدم الاهتمام بما عندهم من الخلاف في شيء من العقيدة، وأن لا تخرج في جملتها عن الأُصول القطعية التي يتمحور حولها الإيمان والكفر.

الثاني: أنّ الفقه أوسع العلوم الشرعية وأعمّها شمولاً لما احتاجت إليه الأُمّة في حياتها اليومية من: العبادة، والسياسة، والاقتصاد، وأحكام الأُسرة، والمكاسب، والمناكح، والمواريث، والمنازعات، والقصاص والديات، وسائر الأحكام المتعلّقة بالحياة الفردية والاجتماعية. وهذا أمر لا يُنكر. وانطلاقاً من تلك السعة والشمولية في المسائل الفقهية فالحاجة إليها أشدّ، كما أنّ دائرة الخلاف فيها أوسع، فالسعي لتقريب وجهات النظر فيها حاجة مُلحّة للأُمّة الإسلامية لا تجوز الغفلة عنها.

الثالث: وتبعاً لهذا التوسيع وشدّة الابتلاء فلسنا مبالغين لو ادّعينا أنّ للفقه دخلاً كبيراً في بناء الحضارة الإسلامية بل الإنسانية، فإنّ الحضارة هي مظهر الأعمال لكلّ أُمّة، والحضارة الإسلامية حصيلة عمل الإنسان المسلم طول حياته، وعمل المكلّف من المسلمين كما نعلم هو موضوع علم الفقه، فإذا كنّا نريد أن نحدّد حضارتنا الإسلامية ونقيمها على أُسس قويمة تساير أحوال المستقبل الحافل بأحداث أكثر وأكبر من الماضي، فيجب علينا أخذ طريق أقوم للوصول إلى المسائل الفقهية هو أشدّ واقعية وسدّاً للحاجات المقبلة.

الرابع: أنّ البحث الفقهي أخفّ حسّاسية من الأبحاث الكلامية والمحاورات الاعتقادية، فإنّ العقيدة نابعة من باطن الإنسان، وهي ماسّة بفكره ووجدانه وعواطفه وبواطنه، أمّا الأعمال فهي وإن مسّت الروح والفكر، غير أنّ مجاريها هي الأعضاء في الشؤون الفردية، والجماعات في الشؤون الاجتماعية. فنحن حينما ندخل في مسألة فقهية لا نواجه الأرواح ولا نصادم العواطف ولا نخاطب القلوب لكي نثير الحسّاسيات، ومعلوم أنّ التصادم بين القلوب يدعو إلى التخاصم بينها وإلىٰ التنازع والعداء بين الأحباب.

الخامس: أنّ إشعاع المباحث الفقهية ووضوحها يدعو إلى انعزالها عن الفلسفات المعمّقة، وهذا بخلاف المباحث الكلامية، فإنّها شكّلت في أوج اشتعالها وشيوعها طائفة

من المسائل العقلية التي خاضها المتكلّمون من كلّ مذهب، وخصوصاً ما طرحه المعتزلة، فإنّ فهمها وتقريرها للآخرين بدون الخوض في مسائل فلسفية مستحيل، ومن أجل ذلك انحصرت في حلقات المدارس، ولم تكن تبرز إلى الناس منها سوى العداء والخصومة من دون أن ينالوا حقيقتها. والمتكلّمون في الإسلام هم الذين اعتنقوا المذاهب الفلسفية قبل غيرها، والخوض في المسائل الكلامية أخرج العقيدة الصافية القرآنية عن إشعاعها وبساطتها إلى ظلمات من التفكير الديني، لا تفارق الفلسفة بما لها من شدّة الغموض وصعوبة الفهم. أمّا الفقه فيبحث عن الحاجات الماسّة بالحياة، وأدلّتها أيضاً واضحة لو قيست بالمسائل الكلامية، ومن أجل ذلك عمّت فائدته بين الأنام وشاعت مدارسته بين الناس.

(انظر ترجمته في: المنتظم ١٦: ١٦ و ١١٠، الخلاصة: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، سير أعلام النبلاء ١٨: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، طبقات الشافعية الكبرى ٤: ١٢٦ ـ ١٢٧، البداية والنهاية ١٢: ٩٧، لسان الميزان ٥: ١٣٥، نقد الرجال ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠، مجمع الرجال ٥: ١٩١ ـ ١٩٣، بهجة الآمال ٦: ٣٦٠ ـ ٣٦٩، تنقيح المقال ٣: ١٠٤ ـ ١٠٥، الكنى والألقاب ٢: ٣٩٤ ـ ٣٩٦، أعيان الشيعة ٩: ١٥٩ ـ ١٦٧، معجم المؤلّفين ٩: ٢٠٢، المفسّرون للأيازي: ٢٣٢ ـ ٢٣٩، موسوعة طبقات الفقهاء ٥: ٢٧٩ ـ ٢٨٣، موسوعة الأعلام ٣: ٤١).

❊ ❊ ❊

﴿حرف العين﴾

عائشة المناعي

الدكتورة عائشة المناعي: عميدة كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة قطر، وعضوة البرلمان العربي، وعضوة الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وداعية وحدة.

وهي واحدة من النساء القطريات اللاتي أثبتن حضوراً فاعلاً في سماء الدعوة الإسلامية. خاضت رحلة طويلة مع الدراسات الإسلامية، بدأتها برسالتين للماجستير والدكتوراه في العقيدة الإسلامية، كما أثرت المكتبة العربية بمجموعة من الكتب التي ناقشت شروط النهوض بالمرأة المسلمة، وعقلانية الثقافة الإسلامية، وتوّج مشوارها العلمي والدعوي بتولّيها عمادة كلّية الشريعة الإسلامية بدولة قطر.

تقول عن نفسها في إحدى اللقاءات الصحفية: «صعوبات كثيرة تواجه المرأة الخليجية مردّها إلى العادات والتقاليد، وأوّل عقبة قابلتني كانت حين أنهيت المدرسة الابتدائية، حيث تعرّضت للتوقّف عن التعليم؛ لأنّني كنت أقطن في قرية صغيرة تسمّى «الخريطيات»، وهي تبعد حوالي ١٨ كيلومتراً عن الدوحة، ولا توجد بها مدرسة إعدادية للبنات، ولذا رفض جدّي لأُمّي أن أُواصل الدراسة لبعد المدرسة عن المنزل. وتوقّفت بالفعل عاماً كاملاً، وعدت ثانية للمدرسة بعد أن وافته المنية ﷺ، وواصلت تعليمي.

كما واجهتني عقبة أُخرى حين أردت إكمال دراستي العليا التي كان يلزمها السفر للخارج. الأمر الذي لقي معارضة شديدة من العائلة، إلى أن غلبت مشيئة اللّه تعالى، فناصرتني والدتي ووافقت على سفري، ثمّ سارت الأُمور بين مدّ وجزر، إلى أن تولّيت كلّية الشريعة وكيلةً، ثمّ بعد ذلك عميدة، ووجدت عند أهلي المباركة الشديدة والتشجيع، بل

والفرح الذي لم يخفه رجل منهم أو امرأة، وكذلك وجدت كلّ ترحاب من مجتمعي القطري، ولم أسمع في حضوري ولا في غيبتي من يعارض أو يستنكر توليتي».

وتقول: «الدعوة الإسلامية مسؤولية كبيرة ومهمّة، والقيام بهذه المسؤولية يعدّ تحدّياً كبيراً، يحتاج إلى توافر قدرات معيّنة وعلم غزير في المرأة التي تدخل مجالها، وأرى أنّ هناك نوعين من الدعوة يمكن للمرأة أن تعمل فيهما:

دعوة عامّة، لا تحتاج منها إلى كثير من الجهد والعناء، وكلّ ما تحتاجه فيها معرفتها معرفة صحيحة لما يسمّى: ما علم من الدين بالضرورة، فتدعو المرأة في إطاره قولاً وسلوكاً والتزاماً بأوامر الشرع فيه، وفي هذا النوع لا تحتاج إلى الاجتهاد في فتواها، بل سلوكها هو خير فتوى ودعوة.

ودعوة خاصّة، وهي قد تنبري فيها المرأة المسلمة للفتوى، وقد يصل الأمر أحياناً للاجتهاد في فتواها، وهذا الأمر يحتاج منها إلى توفّر شروط عدّة، تماماً كما هو مطلوب من الرجل المفتي، ومن هذه الشروط: التصوّر الصحيح للعقيدة وما يتعلّق بها، وفهم آيات القرآن الكريم فهماً صحيحاً واعياً من خلال تلاوته، ومعرفة أُصول التفاسير، ومعرفة مناسبات السور والأحداث المرافقة للتنزيل، مع دراسة الحديث الشريف وسيرة الرسول ﷺ ومعاملته للناس بصفة عامّة، ومعاملته للنساء بصفة خاصّة، والتثبّت من الأحاديث الصحيحة ومن الحسنة والضعيفة والموضوعة.. وهكذا، وكذلك الإلمام بقواعد اللغة العربية، فضلاً عن دراسة شيء من الفقه، ومعرفة مسائل الحلال والحرام والمندوب والمكروه والمستحبّ وما إلى ذلك، كلّ ذلك تحتاجه المرأة المسلمة لكي تفتي وتصحّ فتواها، وتجتهد ويصحّ اجتهادها».

وفي مجال الوحدة تقول: «دعانا القرآن الكريم إلى الوحدة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل

عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣)، وقال جلّ وعلا: ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦).

ورسولنا الذي نؤمن به جميعاً ونتأسّى به، والذي نتّبع ما يأتينا به وما ينهانا عنه ننتهي، دعانا إلى المحبّة والمودّة والتعاطف فيما بيننا بقوله: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».

هذا الجسد ليس جسداً ماديّاً، وإنّما هو جسد المحبّة والأُخوّة، وهو جسد واحد بأدمغة كثيرة ونفوس متعدّدة وبأشكال مختلفة، متّحدين في إنسانيتهم وأُصول دينهم، لا يناقض تلك الوحدة اختلافهم وتمذهبهم، بل يؤكّد الخالق عزّ وجلّ سنّته ومشيئته في كونه وفي خلقه بأن يجعل الوحدة مقترنة بالاختلاف، ولذلك لم يأمر الخلق أن يكونوا صيغة واحدة تتحرّك في اتّجاه واحد، فقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩).

والمسلمون كغيرهم من مخلوقات الله يتحقّق فيهم الاختلاف والتنوّع والتعدّد، فاختلفوا في مذاهبهم العقائدية والفقهية بعد انقضاء عهد الرسالة، وباد الكثير من تلك المذاهب، وبقيت واستمرّت إلى زمننا هذا مذاهب أُخرى: حنبلي وشافعي ومالكي وحنفي من أهل السنّة، وبقي المذهب الإمامي الاثنا عشري، وبقي المذهب الزيدي وأيضاً المذهب الإباضي، وهذا الاختلاف يعتبره العلماء ثروة فكرية غنية للحضارة الإسلامية، تمنح المسلم فرصاً واسعة لعملية تطبيق الشريعة واختيار الأصلح والأرجح، بما لا يمسّ ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا يمسّ الأُصول الثابتة المتّفق عليها بين أطياف المذاهب.. كلّ ذلك والأمر متّسق مع البشرية ومع الدين ومع العقل والمنطق، إلّا أن ـ وما أشدّ تلك (الأن)! ـ يتحوّل ذلك الاختلاف وتلك الرحمة إلى تشدّد طائفي ومذهبي، فهذا ما لا يقرّه الدين ولا يفهمه العقل، ذلك التشدّد الذي من خلاله تتبادل عبارت التكفير والتفسيق والتبديع وتزهق من خلاله روح الجوار، تلك خطورة ما بعدها خطورة نقضي بها على

أنفسنا ودِيننا بيدنا قبل أن تكون بيد عمرو!

هذه المرحلة تعدّ من أخطر مراحل التاريخ الإسلامي المعاصر، وبقدر تلك الخطورة يزداد احتياجنا إلى إعمال العقل وبشدّة.. نحتاج فيها إلى الحوار والمصارحة الهادئة.. لا تجريح ولا تكفير ولا إساءة.. نحتاج إلى وأد الفتنة وكلّ ما يؤدّي إليها، ولن يكون ذلك إلّا عن طريق الدعوة إلى الوحدة والتقريب.. وحين نقول: التقريب، لا نقصد به انصهار أو ذوبان أو دمج مذهب في آخر، فهذه فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع، وإنّما نقصد به كما ذكرنا سابقاً الوحدة + الاختلاف مع دفع الخصومة والعداء بين الأُخوة والأحبّة».

عبّاس محمود العقّاد

عبّاس محمود إبراهيم مصطفى العقّاد: عملاق الأدب العربي الحديث، وداعية وحدة.

ولد في أسوان بمصر سنة ١٨٨٩ م، وتخرّج من الابتدائية عام ١٩٠٣ م، ثمّ التحق بالثانوية وتلقّى دروساً في الكهرباء والكيمياء والتلغراف بمدرسة الصناعة القاهرية.

أظهر منذ حداثته شخصية قويّة وذكاءً حادّاً وشغفاً بالمطالعة وطموحاً إلى منزلة عالية من العلم والمعرفة، وقد تنبّأ له الإمام محمّد عبده بمستقبل مرموق، وهكذا كان.

أجاد الإنجليزية وألمّ بالفرنسية والألمانية، واشتغل بالصحافة، وانضمّ إلى بعض الأحزاب السياسية، فاضطهد.

اشتهر بريادته لمدرسة «الديوان» مع إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمان شكري، وعرف بنقده اللاذع لأحمد شوقي، ورشّحه الدكتور طه حسين لإمارة الشعر. وكان من روّاد ندوته في بيته: علي أدهم، وزكي نجيب محمود، وإبراهيم خورشيد، وأنيس منصور، والعوضي الوكيل.

ولم يتزوّج، وازدرى كثيراً من متع الحياة معلّياً عليها متاع الضمير ومتاع الخلق الكريم ومتاع الفكر والذوق والشعور.

وفي سنة ١٩٣٤ م أُقيم له حفل تكريم بمسرح الأزبكية، شارك فيه جمهور من العلماء والأُدباء ورجال الصحافة والسياسة، وانتخب عام ١٩٣٨ م عضواً في مجمع اللغة العربية

في القاهرة، وكذلك في مجمعي دمشق وبغداد، وعيّن عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٤٤ م، وعضواً ورئيساً للجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب عام ١٩٥٦ م، وفي سنة ١٩٦٠ م تسلّم جائزة الدولة التقديرية.

توفّي عام ١٩٦٤ م في القاهرة، ودفن في أسوان، وقد ترك العديد من المؤلّفات القيّمة، منها: المرأة، الشذور، ساعات بين الكتب، تذكار جيتي، سعد زغلول، سارة، هتلر في الميزان، عبقرية علي، أبو الشهداء، الله، الفلسفة القرآنية، الديمقراطية في الإسلام، ابن رشد، عبقرية المسيح، الشيوعية والإنسانية، إبليس، عبد الرحمان الكواكبي، أنا. ومن دواوينه الشعرية: يقظة الصباح، وهج الظهيرة، أشباح الأصيل، هدية الكروان، عابر سبيل، أعاصير مغرب.

لقد كانت كتابات العقّاد الإسلامية كتابات مستنيرة تتّسم بالإقناع والموضوعية، وتخاطب العقل، وتقضي على الخرافة. وقد شدّد العقّاد على ذلك مبيّناً أنّ استخدام العقل وتحكيمه يعدّ فريضة إسلامية لا تقلّ أهمّية عن أيّ فريضة أُخرى في الدين، وخصّص لذلك كتاباً جعل عنوانه: «التفكير فريضة إسلامية»؛ ليزيل غشاوة التقليد الأعمى عن العقول، ويشقّ للعقل طريقه لإثراء الحياة بالعلم، فالدين عقل فاعل يخدم الحياة، وليس مجرّد شعائر تؤدّى دون فهم وإدراك لمراميها البعيدة.

كان العقّاد يؤمن بفكرة الوحدة الإسلامية، وله مقالة نشرت في مجلّة «رسالة الإسلام» تعرب عن عظيم تقديره للإمام الشيخ محمود شلتوت لمسيره في طريق التقريب قدماً تحت عنوان «الموفّق الموفّق الإمام المصلح محمود شلتوت». كما كان يتعرّض للمواضيع المرتبطة بآل البيت عليهم السلام بأمانة وإنصاف منقطع النظير مبدياً في ذلك نظره مع التمحيص والتحليل الفنّي والنفسي الرائع للأحداث وللشخصيات المبحوث عنها.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦، موسوعة السياسة ٣: ٨٠٧ـ٨٠٨، موسوعة المورد ١: ١٣١، أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ٣ ـ ٢٧٦ و٢: ٥٧٧ ـ ١٠٨٩، مشاهير شعراء العصر: ٢٢٤ ـ ٢٤٨، مشاهير الشعراء والأُدباء: ١٤٠ ـ ١٤١، معجم الروائيين العرب: ٢٣٩ ـ ٢٤٤، معجم الشعراء منذ

بدء عصر النهضة ٢: ٦١٤ ـ ٦١٩، الموسوعة العربية العالمية ١٦: ٣٢٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٥٤٣ ـ ٥٧٠، موسوعة مشاهير وعظماء: ٩٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٥٩٦ ـ ٥٩٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٥٦، عمالقة وروّاد: ٢١٧ ـ ٢٢٥، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٢٩٠ ـ ٣٠٤، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٤: ٣٧٥ ـ ٣٩٤، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٥٤ ـ ٥٥، موسوعة الأعلام ٣: ١٠٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

عبد الأمير الجمري

أبو جميل عبد الأمير منصور محمّد عبد الرسول محمّد الجمري البحراني: عالم معروف، وداعية وحدة.

ولد في قرية «بني جمرة» إحدى قرى البحرين ليلة الجمعة قبل الفجر بساعة تقريباً في ٢٨ / ذي الحجّة / ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م)، ونشأ وتربّى في كنف والده، وكانت دراسته الأوّلية الرسمية في البحرين، وقد تاقت نفسه لأن ينخرط في سلك الخدمة الحسينية، مستفيداً ما يتعلّق بالفنّ المنبري من ابن عمّه شيخ خطباء البحرين المرحوم ملّا عطية بن علي الجمري، وابنه الخطيب ملّا يوسف الجمري، وكذلك الخطيب الفاضل ملّا جاسم محمّد حسن نجم الجمري. وقد قرأ كخطيب مستقلّ وهو في سنّ مبكّرة، حيث لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وقد حظي بموفّقية وتجاوب اجتماعي شجّعه على الاستمرار.

أمّا الدراسة العلمية فقد بدأها المترجم على يد الشيخ عبد الله بن محمّد صالح آل طعّان البحراني في سنة ١٩٥٩ م، وكانت وفاة هذا الشيخ المبرور في سنة ١٩٦١م في شيراز بإيران وقبره هناك. وكان هذا الشيخ هو السبب المباشر لانخراط المترجم في السلك العلمي، حيث رغّبه أشدّ الترغيب في ذلك متوسّماً فيه القابلية لذلك. وقد درس المترجم عنده بعض المقدّمات في العربية والفقه والعقائد لمدّة سنتين، وفي خلال هاتين السنتين حضر فترة قصيرة عند الشيخ باقر أحمد العصفور، فقرأ عليه أوائل الجزء الأوّل من تتابع «جامع الدروس العربية» للشيخ مصطفى الغلاييني. كما قرأ كتاب الطهارة من «شرائع الإسلام» وأوائل «قطر الندى» حتّى نواصب الفعل المضارع على السيّد علوي أحمد

الغريفي، وقد دفع الشيخ عبد الله الآنف الذكر المترجم إلى الهجرة إلى النجف الأشرف، وبعد وفاته هاجر المترجم الى النجف الأشرف لمواصلة دراسته، وذلك في بداية ربيع الأوّل سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦١م).

قرأ المترجم في النجف الأشرف معظم السطوح على أساتذة فضلاء وعلماء أعلام، حيث قرأ «قطر الندى» على الشيخ عبد الله الأحسائي، والألفية «شرح ابن عقيل» على الشيخ حسين الظالمي النجفي والسيّد عبد الله العلي الأحسائي، و«معالم الدين» في الأُصول على الشيخ محسن الغرّاوي النجفي، و«شرائع الإسلام» عدا أوائلها، فقد كان على أكثر من واحد من العلماء الأفاضل كالسيّد حامد السويج البصري، وأوائل «شرح اللمعة» على الشيخ محمّد علي الخمايسي، وما بقي منها مع «المكاسب» على السيّد محيي الدين الغريفي النجفي، و«مختصر المعاني والبيان» على الشيخ إبراهيم أبي خليل من أهالي سوق الشيوخ، والشيخ حسن طرّاد العاملي، والشيخ علي الجزائري، و«منطق المظفّر» على الشيخ عبد الرسول الكرمي، و«حاشية ملّا عبد الله» في المنطق على الشيخ صالح الصالحي، و«أُصول المظفّر» و«كفاية الأُصول» وقسم من «الرسائل» على السيّد علاء الدين آل بحر العلوم، و«شرح الباب الحادي عشر» على السيّد حسين آل حسين آل بحر العلوم، و«شرح التجريد» ـ ولم يكمله ـ على السيّد مسلم الحسيني الحلّي النجفي.

في البحث الخارج تشرّف مدّة سنتين أو أقلّ بحضور بحث سماحة آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الخوئي في الأُصول، وبحث سماحة آية الله العظمى الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر في الفقه الاستدلالي على ضوء «العروة الوثقى».

وللمترجم إجازة رواية من آية الله العظمى السيّد علي الفاني الأصفهاني مؤرّخة في ٢٥ / شعبان / ١٣٩١هـ. كما أنّه وكيل على قبض الحقوق الشرعية وغيرها من الأموال الشرعية وتولّي الأُمور الحسبية من قِبَل عدد من الحجج والمراجع، وهم: السيّد علي الخامنئي، والسيّد علي الحسيني السيستاني، والشيخ جواد التبريزي، والشيخ محمّد فاضل اللنكراني، والشيخ محمّد علي الآراكي، والشيخ محمّد أمين زين الدين، والسيّد

محمّد رضا الكلبايكاني، والميرزا علي الغروي التبريزي، والسيّد حسين بحر العلوم.

نشر للمترجم عدد من المقالات الأدبية والدينية والقصائد في بعض الصحف والمجلّات العراقية، كـ«الأضواء»، و«التضامن الإسلامي» حينما كان في النجف الأشرف، وفي عدد من الصحف والمجلّات البحرانية بعد عودته إلى البحرين.

بعد اثنتي عشرة سنة قضاها المترجم في تحصيل العلم بجامعة النجف الأشرف عاد إلى البحرين بعد استقلالها ووضع دستور الدولة من قبل المجلس التأسيسي، وكانت عودته بناءً على طلب مؤكّد من منطقته من أجل أن يرشِّح نفسه لعضوية المجلس الوطني. وحيث كان طلب المنطقة أكيداً فقد استفتى في الموافقة على الطلب كلّاً من المرجعين الدينيين: سماحة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، وسماحة الشيخ محمّد أمين زين الدين، فأفتاه الأوّل بوجوب الموافقة، والثاني بالجواز، وبناءً على ذلك قفل عائداً الى البحرين بأهله وعياله، ولم يكن ذلك موافقاً لرغبته الحقيقية؛ إذ كان راغباً جدّاً في مواصلة الدراسة لعلّه يحصل على شيء يعتدّ به من العلم. وكيف كان، فقد رجع ورشّح نفسه لعضوية المجلس الوطني مجتنباً ما يمارس في هذه الأُمور من الدعاية وتوزيع الصور ووضع الملصقات التي تبيّن أهداف المرشّح وتدعو الناس إلى انتخابه. وتمّ انتخابه عضواً في المجلس عن الدائرة الانتخابية السادسة عشرة مع الشيخ عيسى أحمد قاسم، وكان رصيدهما بالنسبة لأصوات الناخبين على مستوى عموم الدوائر الانتخابية أعلى الأرصدة، وكان لهما مع كتلتهما الإسلامية في المجلس الوجود الفاعل والمواقف الواضحة والجريئة.

وتمّ اختيار المترجم نائباً للرئيس في «جمعية التوعية الإسلامية» في البحرين لمدّة ستّ سنوات تقريباً حينما كان رئيسها سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم، وكان له فيها وجود فاعل ونشاط معروف.

بعد حلّ المجلس الوطني بسنتين وفي ٢٣ /محرّم /١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) عُيِّن المترجم قاضياً في المحكمة الكبرى الشرعية ـ الدائرة الجعفرية، وذلك بعد طلب مؤكّد ومتكرّر من المسؤولين في البلاد، وبعد أن أعلن موافقته على القضاء بناءً على إجازة كلّ من

المرجعيين الدينيين : سماحة السيّد أبي القاسم الخوئي ، وسماحة الشيخ محمّد أمين زين الدين ، وفي سنة ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨م) عُزِلَ عن القضاء بسبب خلافات حصلت بينه وبين المسؤولين في عدّة أُمور وبسبب مؤاخذات حادّة من قِبلِهم عليه على أساس مواقف إسلامية كانت له وتصريحات من قِبَله تشجب عدّة قضايا تُمارس في البلد ، وذلك من منطلق النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبعد عزله اعتُقِل واستُدعيَ للتحقيق عدّة مرّات وأُلقي عليه أكثر من اتّهام ، إلّا أنّه وبسبب اطمئنانه بصوابية مواقفه لم يتراجع وواصل نشاطاته المختلفة وارتباطه الوثيق بعموم الناس .

مارس المترجم منذ سنة ١٩٧٣م حتّى سنة ١٩٨١م تقديم الأحاديث الدينية في إذاعة وتلفزيون البحرين ، إلّا أنّ التقديم في التلفزيون كان أحياناً . وكانت الأحاديث التي يقدّمها بمناسبة عاشوراء وشهر رمضان ووفيات أهل البيت عليهم السلام ومواليدهم ، بالإضافة إلى أيّام الجمعة ، وقد كان ثمّة إقبال كبير على أحاديثه ، وقد تلقّى عدداً من رسائل الشكر من البحرين وخارجها ، لا سيّما من بلدان الخليج .

وحرّر المترجم ولمدّة أربع سنوات ـ وذلك في السبعينات من القرن الماضي ـ زاوية دينية في مجلّة « المواقف » تحت اسم : « استفسارات دينية » ، وكان على هذه الزاوية إقبال كبير من القرّاء .

وللمترجم عدّة مؤلّفات إسلامية ، طبع منها : « من واجبات الإسلام » طبع مرّة واحدة ، و« من تعاليم الإسلام » طبع مرّتين ، إلّا أنّه طبع في المرّة الثانية تحت اسم : « تعاليم إسلامية » ، وقد أُضيفت إليه في الطبعة الثانية بحوث أُخرى ، وهي عبارة عن تلخيص لبعض محاضرات المترجم ، و« المرأة في ظلّ الاسلام » طبع ثلاث مرّات ، و« مقدّمة دعاء كميل » طبع مع دعاء كميل مرّة واحدة ، وديوان شعر اسمه « عصارة قلب » الجزء الأوّل طبع مرّة واحدة ، و« من شموع العترة الطاهرة » كُتِبَ عن السيّد محمّد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام ، وقد طبع مرّة واحدة ، وهناك عدد من المؤلّفات لا زال مخطوطاً ، منها كتاب سيطبع قريباً اسمه « الإسلام وشؤون الإنسان » ، وهو عبارة عن أجوبة على الأسئلة التي نشرت في

مجلّة «المواقف» في الزاوية المذكورة آنفاً، بالإضافة إلى أجوبة على أسئلة نشرت في صحف أُخرى، بالإضافة كذلك إلى ديوان شعري، هو «أنغام الولاء».

وفي سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) أسّس المترجم الحوزة العلمية المعروفة بـ«حوزة الإمام زين العابدين عليه السلام» في جامع الإمام زين العابدين عليه السلام الكائن في قرية بني جمرة قرب بيت المترجم، وهي حوزة تضمّ إلى حدّ الآن سبعين فرداً بين أُستاذ وطالب، ويُدرِّس فيها مدرّسون أكفّاء، ولها نظام، ويطبّق فيها الامتحان وإعطاء الدرجات، ويُدرَّس فيها جميع الدروس الحوزوية، وإضافة إلى ذلك قُرّر في منهجها دروس إضافية، وهي: التجويد، والفلسفة، وعلوم القرآن، وعلم الرجال، وثلاثة دروس تكميلية أُسبوعية: الأخلاق، والتفسير، والسيرة.

وخطّه السياسي هو الخطّ الإسلامي الأصيل، ويتمثّل في كونه يعيش آلام وهموم الآخرين، ويسعى قدر جهده لإصلاح الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو إلى الوحدة الوطنية ونبذ التفرقة ومحاربة الطائفية. وقد تجلّى موقفه الإسلامي في موقفه من الأزمة التي عصفت بالبلاد في التسعينات والدور الريادي المميّز له مع زملائه في العريضة النخبوية والعريضة الشعبية، وما تحمّل مع زملائه أصحاب المبادرة، هذه المبادرة التي تضمّنت الطموحات التي يريدها الشعب، وفي طليعتها البرلمان، وقد جاء في خطابه للجماهير التي قُدِّرت بخمسين ألفاً والتي احتشدت لاستقباله يوم خروجه من السجن: «وإنّني ـ أيّها الشعب العظيم ـ لأُعاهد الله عزّ وجلّ وأُعاهدكم بأنّي سأبقى وفياً لكم، وسأعيش هموم هذا الشعب وآلامه وآماله، وسأخدمه بكلّ ما لديّ من طاقات، علّي أتمكّن من أداء بعض الدين الكبير الذي لكم في عنقي»، إلّا أنّ الحوار المأمول مع السلطة قد تعثّر رغم الثمار الواضحة لخطوات أصحاب المبادرة، وهكذا مع عودة التأزّم للوضع تمّ اعتقال الجمري مرّة أُخرى ليمضي ثلاث سنوات ونصف، وقد أمضى كثيراً من هذه المدّة في سجن انفرادي.

توفّي الشيخ الجمري بتاريخ ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٦م.

كان الجمري يهتمّ بأُمور المسلمين سنّة وشيعة على المستوى الخارجي بنفس المستوى من باب «من لم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم»، فنجده في خطبة العيد بداية التسعينات من القرن الماضي يتكلّم عن أحداث الجزائر، وينتصر للإسلاميّين، ويشجب ظلمهم، ويتابع قضية عبّاسي مدني، ويدعو له بحرارة، كما يتابع الشأن الفلسطيني ويعمل ما بيده حتّى أنّه استدعي مراراً للأمن سنة ١٩٨٨م بسبب الاحتفال المركزي الكبير الذي أقامه عن نصرة القضية الفلسطينية. وعندما سنحت له فرصة السفر لأوّل مرّة بعد سحب جوازه لمدّة عشرين سنة سافر للأردن، وقضى جلّ وقته مع قيادات حماس كما يقضيه مع أعزّ أحبّائه، واحتفوا به كثيراً، وتداولوا في الشأن السياسي الفلسطيني، بالرغم من كلّ المحاذير الأمنية الأردنية والتي سبق وأن أُوقف في مطارها قبل عشرين سنة وطرد منها.

إنّ زيارة الشيخ الجمري التاريخية لجمعية «الإصلاح» في مدينة المحرّق بالبحرين لهي خطوة واضحة وجريئة على لمّ الشمل ورصّ الصفّ، ولكي يبعث الطمأنينة للإخوة السنّة في البلد بعد فترة من التضليل الإعلامي، فكانت هذه الزيارة رسالة حبّ وإخاء.

قال عنه السيّد حيدر الستري: «الشيخ الجمري القائد الوحدوي الفذّ.. لقد قدّم القائد كلّ ما يملك، وكان أثمن ما قدّم هو مشروع المنهج السياسي المشترك بدل الاستفراد بالرأي، ومشروع المنهج السياسي الوحدوي بدل الفئوية أو الطائفية، فهل يمسك الشعب بالمنهج، ويتحقّق مشروع القائد؟!».

ويقول الشيخ المحامي عيسى آل خليفة: «قد أثبت ربّي في قرآنه العزيز الصفة التي يرضاها لعباده الصالحين، فذكر لنا عن إبراهيم أنّه كان أُمّة، وبذلك وجد لنا المثل للعبد الصالح لكي نقترب منه كلّما أخلصنا النية لله وخلّصنا أنفسنا من العبودية لغير الله، وألوان العبودية لغير الله كثيرة، للمال والجاه والسلطة ونعيم الدنيا الزائل، وحسبي أن أقول: إنّ شيخي عبد الأمير الجمري كان أُمّة قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين. ولا أُزكّي على الله أحداً، ولكن هكذا عرفت الرجل في أعزّ المواقف عضواً في المجالس التشريعية، وعضواً على منصّة القضاء، وأسيراً مكبّلاً بالأصفاد. كلّه لله شاكراً لأنعمه، اجتباه وهداه إلى صراط

مستقيم. وترك لنا الشيخ عبد الأمير الجمري رسالة يجب أن تؤدّى، وهي توثيق عرى الأُخوّة الوطنية بين السنّة والشيعة، بل السعي لإيجاد المرجعية الفقهية المشتركة بين الطائفتين، وهي لعمري رسالة الحاضر والمستقبل من علماء هذه الدولة المخلصين لجعل هذا الحلم حقيقة تجمع المؤمنين في هذه المملكة المنصورة في رؤية اجتهادية واحدة».

وممّا قاله وكتبه الصحفي فهيم عبد الله عن الشيخ الجمري: «عندما طلبت منه المشاركة في ندوة حول تفعيل الوحدة الإسلامية في البحرين استجاب للفكرة وشجّعها، إلّا أنّه فضّل أن تتمّ بعض فصولها عملياً، وهذا ما جسّده على أرض الواقع بزيارته التاريخية لجمعية الإصلاح».

وقد أكّد العلّامة السيّد محمّد حسين فضل الله في رسالته الى عائلة المرحوم الشيخ الجمري ولشعب البحرين على مكانة أبي جميل (الجمري) وضرورة تقدير خدماته وعطاءاته للفكر الوحدوي والتقريبي بين المسلمين وما قام به من دور نهضوي أصيل في بلده البحرين والعالم الإسلامي وفق الحكمة ومنطق العقل والحوار الجادّ من أجل الصالح العامّ والمصالح العليا للإسلام والمسلمين. كان فضل الله يدرك واقع التحدّيات ويعرف من يخاطبه من أبناء الأُمّة الإسلامية في البحرين وغيرها من البلدان.

وقد كتب السيّد محمّد حسين فضل الله عن صديقه المرحوم الشيخ الجمري في رسالة تعزية بعثها بمناسبة رحيله وفقدان الساحة الثقافية والحركية له كرمز وحدوي إسلامي أخلص للمنهج فكراً وعملاً قائلاً في خاتمتها: «إنّنا نشارككم العزاء بهذا المصاب الجلل، ونقدّم لكم كلّ مشاعر التعزية، سائلين الله أن يتغمّده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّته جزاءً لجهاده وإخلاصه، ويعوّض الأُمّة الإسلامية عن فقده، ويلهمكم الصبر وعظيم الأجر، مع محبّتي ودعائي».

وقد كانت بداية الرسالة بعد السلام قوله فيها المعبّر عن امتيازات شرف وسام الوحدة الإسلامية الذي يستحقّه دون أدنى شكّ المرحوم الجمري قائلاً عنه: «فقد تلقّينا بالمزيد من الحزن والتسليم لقضاء الله وفاة أخينا العلّامة المجاهد الشيخ الجمري ﵀ الذي كان

عالماً مخلصاً تقياً مجاهداً عاش للإسلام كلّه وللأُمّة كلّها، وبذل حياته في سبيل ذلك، وتحمّل الأذى في جنب الله، وأخلص للخطّ الإسلامي الأصيل في خطّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في انفتاحه على الوحدة الإسلامية في بعدها الفكري والعملي والسياسي».

(انظر ترجمته في: الجمري .. كلمات وفاء: ٤٠ وما بعدها).

عبد الأمير قبلان

عبد الأمير بن محمّد علي بن موسى قبلان العاملي: عالم، فاضل، محقّق، داعية تقريب.

ولد في جبل عامل بلبنان سنة ١٣٥٧هـ، ونشأ بها على والده، وقرأ المقدّمات العلمية والأدبية على والده وعلى غيره من الفضلاء حتّى أتقنها، ثمّ هاجر إلى النجف، وحضر على السيّد إسماعيل الصدر، والأبحاث العالية على السيّد أبي القاسم الخوئي، حتّى علت منزلته العلمية، فرجع إلى بلد داعياً ومرشداً لأحكام الدين ومجاهداً إسلامياً كبيراً.

وهو عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ويشغل أيضاً منصب نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.

من مؤلّفاته: على ضفاف الغدير، عقيدة المؤمن، المنافقون في القرآن، أشعّة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله، شرح دعاء مكارم الأخلاق، خلق المؤمن.

يقول في مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ١٤٢٨هـ بعنوان «رسالة النبي» ما نصّه: «لقد مثّل الرسول صلى الله عليه وآله العربي الكريم في علمه وخلقه وفي قدوته الحسنة، وقد ترك للناس كافّة رسالة متكاملة العناصر، فهي رسالة الدين الحنيف والإيمان، قدّمها الرسول صلى الله عليه وآله للبشرية جمعاء رغم ما اعترضه، وبقيت وستبقى على مرّ الأزمان رسالة العدل والمحبّة والتسامح والمساواة والتربية والعلم والقول الحسن والسلوك السليم، وهي دعوة للمشتغلين بأُمور التربية لاستلهامها والعمل بها ومراجعتها المراجعة الصادقة الشاملة لما تضمّنته من مناهج تعليمية غنية بأهدافها ومحتوياتها وأساليبها، وهي المدد السماوي الذي يسعفنا من التيه والضياع. ويجب أن نعمل على صيرورتها مناهج معبّرة واضحة

وعملية تعبّر عن هوية الأُمّة وأهدافها وغاياتها في الحياة ؛ لتظلّ قـادرة عـلى إنـتاج ذلك الجيل المؤمن المسلم الذي تعقد عليه آمال التمكين والشهود الحضاري ، وذلك في ضوء الواقع الذي تعيش فيه الأُمّة ، فإذا غابت عناصر هذه الرسالة السماوية عن عالمنا أو غاب عنصر منها فإنّ المحن والإملاءات ستباعد بيننا وبينها ، بل علينا أن نعتصم نحن عموم الأُمّة الإسلامية بها ، ونتمثّلها التمثيل الصحيح من خلال مناهجنا التعليمية ومن خلال منتدياتنا وأفكارنا ودعواتنا ، وأن نعيش معها حالة تبليغ دائم ، وأن نبقى على مراجعة أمينة للوسائل التعليمية التي يتمّ استخدامها في تعليم النشء ، حتّى لا تتسلّل إلينا أنماط التفكير والتعليم المستوردة من الغير ، والتي لا تنسجم مع مبادئ ديننا الحنيف ، وأن نبقى نسير على منهج الحبّ لسيرة النبي العطرة التي أعلت شأن الإنسان ودوره في الحياة ورفعت من قيمته .

إنّ المنهج التعليمي الذي ننشده هو ذلك النظام المتكامل الذي يراد منه تـعزيز القـيم والخبرات ومعارف الإنسان بقصد تقديمها إلى المتعلّم حتّى الوصول به إلى مرتبة الكمال لإداء مهمّته في الحياة ، فالأهداف التعليمية مناط بها ترسيخ القيم والمبادئ التي نصّ عليها الشرع في القرآن والسنّة ، وهي ثوابت الدين وكلّياته ، لا تتأثّر بالأحوال والظروف .

وعليه فإنّ على مناهجنا التعليمية في عـالمنا الإسـلامي أن تـتّخذ مـن هـذه القـيم والمبادئ أهدافاً ثابتةً واضحةً ، تسعى إلى غرسها وتعميقها فـي نـفوس النـاشئة ، وتـبذل قصارى جهدها في تمكينها من تمثّلها والعمل بها في حياتهم العملية بـحيث يـتمّ ربـطها بالواقع العملي الذي يعيش فيه الناس .

إنّ نهوض الأُمم وارتقاء المجتمعات هو رهن بقدر ما تملكه من قيم تربوية وتعليمية ، ويبقى الإسلام بعقيدته السمحاء هو مصدر هذا النهوض والارتقاء ؛ إذ أنّ هوية الأُمّة وإرثها العقائدي والحضاري والثقافي يبقى منبثقاً عن الثوابت التي تنبع من هذه العقيدة ، وعـلينا التمسّك بها واعتمادها منهجاً يومياً في حياتنا ؛ لأنّ الابتعاد عنها يعرّضها للضياع والغلبة ، والأُمّة التي تتنكّر لدينها ولدستورها تهزم في عقر دارها ، وتفقد قرارها وقوّتها ، وتستباح

أراضيها ودولها».

(انظر ترجمته في: المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٢٠٦).

عبد البديع صقر

عبد البديع السيّد صقر: العالم، الداعية، المربّي.. من الروّاد الأوائل في التعليم بمنطقة الخليج قبل أن تقوم فيه وزارات للتربية والتعليم.

ولد أواخر الحرب العالمية الأُولى في بلدة كفر صقر التابعة لمركز «أبو كبير» في محافظة الشرقية بمصر من عائلة عربية معروفة، وكان متأثّراً بوالده ورجال قريته من الفلّاحين الذين عركتهم التجارب.

انتقل إلى القاهرة والتحق بكلّية الآداب، وكان يقول بأنّه لم يستفد منها سوى ورقة الشهادة الرسمية، وأفاد من كتب السيّد محمّد رشيد رضا، إضافة إلى التزامه الإمام حسن البنّا الذي عمل معه مدّة طويلة في المركز العامّ وفي إعداد الدعاة.

كان مجيؤه إلى قطر مديراً لمعارفها أوّل تنظيم للتعليم فيها، حيث أُلّفت لجنة للمعارف برئاسة الشيخ قاسم الدرويش ضمّت عدداً من أفاضل أهل البلاد.

ولمّا انتقل إلى دولة الإمارات العربية المتّحدة بدعوة من حاكم دبي الشيخ راشد المكتوم وحاكم الشارقة، أنشأ مدارس الإيمان ليسد ثغرة غفل عنها الكثيرون بعد أن استغل هذا الفراغ المنصّرون، فقامت هذه المدارس بواجبها الإسلامي، وعلى الأخصّ أقسام الحضانة والإناث.

وقد حرص على أن يؤدّي واجب الدعوة في بلده مصر بعد أن جال الأقطار والأمصار، وخلّف آثاراً طيّبة في الشرق والغرب، وأدركه القدر وهو عائد من محاضرة ألقاها في منطقة نائية في شهر كانون الأوّل سنة ١٩٨٦م.

يقول فيه زهير الشاويش الذي ذكر صلته به قبل أربعين عاماً من وفاته: «لقد كان الأخ عبد البديع عنوان الصفاء في مظهره ومخبره، وسريع التأثّر بالخير، مبادراً إلى فعل المكرمات، والوفاء بالوعد، والصدق في القول، والبذل لما في يده، مع الزهد والورع،

وحسن العبادة، ونداوة التلاوة للقرآن الكريم، وكان رجّاعاً للحقّ بمجرّد أن يتبيّن له من غير مكابر ولا محاجة، وما وجدته ـ والله ـ إلّا أميناً تقياً ناصحاً لنفسه كما لغيره، في زمن قلّ فيه الناصحون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم».

وقد بدأ التأليف أيّام نشأته الأُولى، فكتب عدداً من الرسائل ثمّ أتلفها، ولم يخرج منها سوى رسالة «كيف ندعو الناس؟» التي جمع فيها خلاصة الدروس التي ألقاها في قسم إعداد الدعاة. كما شارك في كتب المعارف القطرية، وله «الخطب والمواعظ»، وفي مناسك الحج رسالة سمّاها «رحلة الحجّ وما يلزمها»، وألّف نقداً لبردة البوصيري، وعمل دليلاً لجغرافية قطر، ورسم لها أوّل خارطة عربية بيّن فيها المواضع والأبعاد، ولم يكن لقطر قبلها سوى خرائط وضعها المستعمر لأغراضه الخاصّة، وشارك في الإشراف على طباعة عدد من الكتب التي كان يأمر بطباعتها الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني وابنه الشيخ أحمد، والكتب التي تطبع لمعارف قطر.

وله أيضاً: كيف ندعو الناس، شاعرات العرب (جمع وتحقيق)، التجويد وعلوم القرآن، نساء فاضلات: صدّيقات وصحابيات ـ عابدات وصابرات ـ مصلحات وكريمات، الوصايا الخالدة (جمع وتحقيق بالاشتراك مع مصطفى جبر)، التربية الأساسية للفرد المسلم، مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف (اختيار وتعليق)، مختصر مشكاة المصابيح ومختارات من سواه (اختيار وتعليق)، ١٢ عاماً مع الأُستاذ البنّا.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

عبد الجليل حسن

عبد الجليل حسن: داعية إسلامي، مفتٍ، أُستاذ، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في ماليزيا، ومدير مكتب الرابطة في كوالالمبور سابقاً، وافاه الأجل بعد حياة حافلة بتحصيل العلم والعمل في خدمة الدعوة الإسلامية سنة ١٩٩٠م، وهو من مواليد موار بولاية جوهر بماليزيا سنة ١٩١٤م، وحصل على الشهادة العالمية من كلّية أُصول الدين بالأزهر عام ١٣٥٨هـ، كما حصل في عام ١٣٦٤هـ على الشهادة العالمية مع

الإجازة في تخصّص الوعظ والإرشاد من كلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر .

وقد تقلّد عدّة مناصب ، منها : مساعد مفتي جوهر عام ١٩٤٧م ، ثمّ مفتي حكومة جوهر عام ١٩٦٢م ، ثمّ رئيساً للكلّية الإسلامية بكلنج سلانجور عام ١٩٦٤ م ، ثمّ رئيساً للكلّية الإسلامية بفتالينج جاي عام ١٩٦٦م ، ثمّ عميداً لكلّية الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية بماليزيا ، فرئيساً لقسم أُصول الدين والفلسفة بالجامعة نفسها ، كما عمل رئيساً للجنة الفتوى الوطنية للشؤون الإسلامية بماليزيا . وكان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

له عدّة مؤلّفات ، منها : كتاب عن خطبة الجمعة ، ورسالة عن الفلسفة والثقافة الإسلامية ،كما ترجم إلى الميلاوية كتاباً عن المسلمين في تركستان الشرقية .

(انظر ترجمته في : تتمّة الأعلام ١ : ٢٦٧ ، إتمام الأعلام : ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٩٠٧ـ١٩٠٨).

عبد الجليل شلبي

عبد الجليل عبده شلبي : العالم ، الباحث ، الداعية .

في الثانية عشرة من عمره أتمّ حفظ القرآن الكريم وتجويده في بلدته غرب الوقف البحري بمركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ ، والتحق بالمعهد الأزهري بالإسكندرية ، وواصل دراسته حتّى حصل على الشهادة العالمية وإجازة التدريس من كلّية اللغة العربية الأزهر ، ونظراً لتوقّف العمل في الدراسات العليا بالأزهر لفترة من الأربعينات فقد لجأ للمدارس المدنية ، حيث حصل على الابتدائية والثقافة (وهو مدرّس) ، والتحق بجامعة الإسكندرية (قسم اللغة العربية بكلّية الآداب) ، ثمّ فرع الخرطوم جامعة القاهرة ، حيث كان يعمل في السودان ، ثمّ عاد للعمل في مصر ، وأكمل تعليمه الجامعي ، وحصل على الليسانس ثمّ الماجستير .

وعندما اختير إماماً للمركز الإسلامي في لندن حصل على رسالة الدكتوراه وهو هناك ، بعدها عاد إلى القاهرة ليعيّن أميناً عامّاً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وبعد إحالته

للمعاش عيّن عضواً في لجنة الفتوى . وكان عميد معهد إعداد الدعاة في مصر .

ظلّ طوال ١٣ عاماً يكتب مقالاً يومياً بجريدة «الجمهورية» القاهرية بعنوان «قرآن وسنّة»، يناقش من خلاله قضايا الإسلام والمسلمين.

توفّي في شهر رمضان المبارك عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وذلك سنة ١٩٩٥م.

وتركّزت معظم مؤلّفاته ـ والبالغة ٢٢ كتاباً ـ على التصدّي للمفتريات على الإسلام وقضايا الاستشراق والتنصير، منها: الخطابة وإعداد الخطيب، ردّ مفتريات المبشّرين على الإسلام، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (شرح وتحقيق)، ردّ مفتريات على الإسلام، الإرساليات التبشيرية: كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوّره وأشهر الإرساليات، الشيوعية والشيوعيّون في ميزان الإسلام، عظماء قادة الأديان، معركة التبشير والإسلام: حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبّا.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٨، إتمام الأعلام: ٢٢٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٠٨).

عبد الجليل عيسى

عبد الجليل عيسى حرب: الشيخ الأزهري الجليل، العالم، المفسّر.

ولد في محافظة كفر الشيخ بمصر سنة ١٨٨٨ م، حيث تلقّى علومه الأُولى بالجامع الأحمدي في طنطا، ثمّ حصل على عالمية الأزهر عام ١٩١٤م، وعيّن مدرّساً بمعهد طنطا، وبعدها عاش أيّام ثورة ١٩١٩م ضدّ الوجود الانجليزي في مصر، وشارك فيها مع علماء الأزهر الأجلّاء، وفي منتصف الثلاثينيات تمّ تعيينه شيخاً لمعهد دسوق الديني، ثمّ شيخاً لمعهد شبين الكوم عام ١٩٣٧م، وإلى جانب تلك المهام الرسمية حصل على عضوية كلّ من مجمع البحوث الإسلامية في مطلع السبعينات، ومن قبلها عضوية لجنة الفتوى بالأزهر. وكان أيضاً عضواً بالمجلس الأعلى للثقافة.

وعيّن عميداً لكلّية أُصول الدين في منتصف الأربعينات الميلادية، كما عيّن عميداً لكلّية اللغة العربية في نهايتها مدّة خمس سنوات، قبل تقاعده من الجامعة الأزهرية في

منتصف الخمسينات من القرن المنصرم.

وكان في مقدّمة تلك القائمة الشهرية من الأزهريّين الأحرار الذين فصلهم الملك فؤاد مطلع الثلاثينات من القرن الماضي في أعقاب احتجاجهم على الممارسات الوحشية للاستعمار الإيطالي في ليبيا على أثر إعدام المجاهد عمر المختار.

وإلى جانب بحوثه المكثّفة في علوم الدين قدّم للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلّفات القيّمة، ويأتي في مقدّمتها كتابه «صفوة صحيح البخاري» في أربعة أجزاء، وكتابه «تيسير التفسير» ذلك المؤلّف الضخم الذي احتوى على تفسير كامل للقرآن الكريم، وقد صدر عام ١٣٧٧ هـ، وعنوانه الكامل: «تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم».

ومن كتبه أيضاً: المصحف الميسّر، اجتهاد الرسول ﷺ.

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٣: ٤٥٧ ـ ٤٥٩، تتمّة الأعلام ١: ٢٦٨، إتمام الأعلام: ٢٢٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩).

عبد الحسين الرشتي

عبد الحسين بن عيسى بن يوسف بن علي بن عبد الغني البجاربندي الرشتي النجفي: كان فقيهاً أُصولياً، عالماً كبيراً، ذا باع مديد في الفلسفة والكلام، وأحد دعاة التقريب.

ولد في كربلاء سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف للهجرة، وانتقل به أبوه الفقيه عيسى (المتوفّى سنة ١٣١٧ هـ) إلى النجف، ثمّ عاد به إلى رشت (مركز محافظة جيلان بإيران)، فنشأ عليه، وأخذ المبادئ والعربية وجانباً من الفقه والأُصول والتفسير.

وتوجّه إلى طهران، فتتلمذ في الفقه على: السيّد عبد الكريم اللاهيجي، ومسيح الطالقاني، وفي الأُصول على محمّد حسن الآشتياني، وفي الحكمة والفلسفة على: السيّد أبي الحسن جلوة، وعلي النوري، والسيّد شهاب الدين النيريزي الشيرازي.

ودرّس في أثناء ذلك في مدرسة الصدر بطهران.

ومن بعد ذلك استوطن النجف سنة ١٣٢٣هـ، ولازم بها أبحاث كبار المجتهدين، مثل: الشيخ محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والشيخ فتح الله

الشهير بشيخ الشريعة الأصفهاني .

ونبغ في الفنون الإسلامية والشرعية ، وتصدّى لتدريس الفقه والأُصول والفلسفة ، والتفّ حوله الطلبة ، وعرف في الأوساط العلمية بعمق الفكر ودقّة النظر وسعة الاطّلاع والبراعة في التحقيق .

وكان من ذوي النزعة الإصلاحية ، داعياً إلى تنظيم وتطوير الدراسة الدينية في النجف ، وإلى تأسيس مكتبة كبرى ودار تأليف .

تتلمذ عليه ثلّة من أهل العلم ، منهم : ولده الشيخ محمّد الرشتي (المتوفّى سنة ١٣٩٤ هـ) ، والسيّد محمّد مجتبى بن محمّد حسين الهندي ، ومرتضى بن شعبان بن مهدي الجيلاني ، والسيّد شهاب الدين المرعشي النجفي .

وألّف كتباً ورسائل عديدة ، منها : رسالة في الرهن ، رسالة في الوقف ، رسالة في الرضاع ، رسالة في الغيبة ، رسالة في اللباس المشكوك ، حاشية على « كتاب الطهارة » للشيخ مرتضى الأنصاري ، تعليقات على « المكاسب » للأنصاري أيضاً ، شرح « الكفاية » في أُصول الفقه لأُستاذه الخراساني ، تعليقات على « الرسائل » في أُصول الفقه للأنصاري ، الثمرات في تحديد موضوع العلوم وخصوص موضوع الأُصول ، الأطوار في المباحث المتفرّقة من تفسير الآيات الكريمة وغيرها ، رسالة في المنطق ، رسالة في البداء ، حاشية على « الأسفار » في الفلسفة لصدر المتألّهين الشيرازي ، كشف الاشتباه في الردّ على موسى جار الله ، رسالة في الصرف ، رسالة في النحو ، وغير ذلك .

توفّي في النجف سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة وألف للهجرة .

كتبت مجلّة « رسالة الإسلام » القاهرية الناطقة باسم جماعة التقريب بين المذاهب في مصر تقول : في كتاب ورد إلينا من النجف بالعراق يقول فضيلة العالم الجليل الحاجّ الشيخ عبد الحسين الرشتي ، ما نصّه :

« تسلّمت من ساعي البريد العدد الأوّل من مجلّة عنوانها من أسمى العناوين وأشرفها ، ألا وهي رسالة الإسلام التي تبحث عمّا يمكن التقريب به بين طوائف المسلمين ، والتي

تمثّل آراء وأفكار جماعة التقريب الموقّرة (نسأله تعالى أن يسدّد خطواتها، وينفع الأُمّـة الإسلامية بها، ويكلّل مساعيها الشريفة بالنجاح، إنّه سميع الدعاء).

وتلوح بفاكرتي أُمور أُحبّ أن أُبديها لهذه الجماعة المحترمة لكي أُنوّرها بأجوبتهم، وازداد خبرةً واطّلاعاً، وهي أنّ هذا الهدف الشريف الذي ترمي إليه هذه الجماعة صعب جدّاً نيله، ووعر إلى الغاية تحصيله، حيث إنّ الاختلاف الواقع بين طوائف المسلمين هو في الأُصول أيضاً لا في الفروع فقط، يرشدكم إلى ذلك أنّ الفرقة الإمامية الاثني عشرية قائلون بأنّ الله ليس بجسم ولا جسماني، ويبلغنا أنّ جمّاً غفيراً من سائر طوائف المسلمين قائلون بالتجسيم، ويثبتون لله لوازم الجسم، والفرقة الإمامية الاثنا عشرية قائلون بأنّ صفاته الكمالية عين ذاته وجوداً وغير ذاته مفهوماً، ونسمع أنّ طائفة أُخرى قائلون بتعدّد القدماء التسعة الذات وصفاته الكمالية الثمانية وثامنها صفة البقاء، والفرقة الإمامية الاثنا عشرية قائلون بعدالة الواجب تعالى، ويبلغنا أنّ طائفة أُخرى من المسلمين قائلون بصدور الظلم منه تعالى شأنه، فيا إخواني، هل يمكن مع هذا التقريب؟ وكيف يمكن؟!.

وكان يقول: «إنّا لو نظرنا إلى فرق الإسلام وطوائفه علمنا بوجود خلافات وآراء أساسية، بها تمتاز كلّ فرقة عن فرقة وطائفة عن طائفة، وهذا الخلاف متى وجد وكيف ظهر ليس هنا محلّ بيانه. والخلافات الموجودة بين المسلمين لا تخلو عن أحد ثلاثة:

الأوّل: في الأُصول.

الثاني: في الفروع.

الثالث: الناشئ عن أقلام مستأجرة ونزغات قومية جاهلية، ومن بعض الكتبة المباهتين لفرق الإسلام وطوائفه إيقاداً للفتنة وتفريقاً بين المسلمين وابتغاءً لعرض الدنيا، وربّما كان من الأجانب الذي يهمّهم أن تبتلّ عوامل الائتلاف وأسباب المودّة، يكتبون من تلقاء أنفسهم أشياء ثمّ ينسبونها إلى أُصول طائفة أو فروع طائفة حتّى تتكوّن بينهم العداوة والبغضاء؛ ليسوّدوا عليهم في ديارهم وأوطانهم (خذلهم الله)».

(انظر ترجمته في: مجلّة «رسالة الإسلام» / السنة: ١/صفحة: ٣٢٠ والسنة: ٢ / صفحة: ١٠٦،

الذريعة ٦: ١٨٧ و١٠: ٢٣٠ و٢٤: ٢٥٣، معارف الرجال ٢: ٤٨ ـ ٥٠، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣١٢ـ ٣١٤).

عبد الحسين شرف الدين العاملي

عالم إمامي معروف، ورائد من روّاد التقريب والوحدة الإسلامية.

ولد السيّد عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين الموسوي العاملي في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ، وأُمّه هي السيّدة زهراء هادي الصدر. درس مبادئ العلوم على فضلاء الكاظمية، وذهب إلى النجف، فحضر على: الشيخ حسن علي الكربلائي، وباقر علي آل حيدر، وعلي باقر محمّد حسن الجواهري، والسيّد محمّد صادق الأصفهاني، والميرزا حسين النوري. كما حضر الأبحاث العالية عند: الشيخ محمّد كاظم الخراساني، وعبد الله المازندراني، والشيخ محمّد طٰه نجف، والشيخ رضا الهمداني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، ولازم حلقات دروسهم في الفقه والأُصول حتّىٰ سطع نجمه في الأوساط العلمية، ورمق بعين الإعجاب والتقدير من قبل مشائخه الأجلّاء.

وفي سنة ١٣٢٢ هـ عاد إلى جبل عامل مزوّداً بإجازات الاجتهاد، فكان إمام أهل الجبل ومرجعهم الجليل ومرشدهم.

ولم تقتصر جهوده على مجال العمل في نشر الأحكام وهداية الأنام، بل كان من دعاة الوحدة والتقريب المخلصين ومن مبرّزيهم، كما كان قائداً موجّهاً، ومصلحاً اجتماعياً، وزعيماً وطنياً، ورجلاً مجاهداً ضدّ الأجانب في عهدي الأتراك والاحتلال الفرنسي، وعرّض نفسه للمخاطر حتّىٰ صدر الحكم باغتياله، وهوجمت داره، وأُحرقت مكتبته في قصّة معروفة.

ورحل السيّد إلى دمشق، فساهم بشكل فاعل في المداولات السياسية والحفلات الوطنية، وله في ذلك مواقف خطابية متميّزة، ثمّ غادرها بعد معركة ميسلون إلى فلسطين، ومنها إلى مصر، فأمضىٰ فيها قرابة الشهرين، تقاطر عليه خلالها رجال الفكر والسياسة، ثمّ

عاد إلى بلاده سنة ١٣٣٩ هـ.

أسّس جمعية البرّ والإحسان لمساعدة الفقراء، والكلّية الجعفرية لتربية الشباب على العلم والإيمان، ومدرسة الزهراء عليها السلام، ونادي الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقضىٰ حياته حافلة بجلائل الأعمال وعظيم المواقف وخدمة الدين، حتّىٰ وافاه الأجل في يوم الثلاثاء العاشر من شهر جمادىٰ الثاني سنة ١٣٧٧ هـ، ونقل إلى النجف، ودفن في الصحن الحيدري الشريف.

من مؤلّفاته: أبو هريرة، أجوبة مسائل جار الله، الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة، فلسفة الميثاق والولاية، النصّ والاجتهاد، المراجعات، مسائل فقهية، مسائل خلافية، بغية الراغبين في سلسلة شرف الدين، زكاة الأخلاق، سبيل المؤمنين، شرح التبصرة، تعليقات على صحيح البخاري وصحيح مسلم، الذريعة، النصوص الجلية، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، رسالة في المواريث، تحفة الأصحاب في طهارة أهل الكتاب.

وقد كان رجل الحوار والإصلاح والنهضة، ولا يزال فكره نابضاً في أدبيات الحوار الإسلامي، وحواراته مع الشيخ سليم البشري معروفة للجميع، كما هو الحال في كتبه الوحدوية، فهي معروفة وأشهر من نار على علم.

ويمكن تلخيص منهجية السيّد شرف الدين في الوحدة الإسلامية في النقاط التالية:

١ ـ إنّ السنّة والشيعة فرّقتهما السياسة، وتجمعهما السياسة، أمّا الإسلام فلم يفرّق ولم يمزّق.

٢ ـ لا حياة لهذه الأُمّة إلّا بإجماع آرائها، وتوحيد أهدافها بشتّىٰ مذاهبها نحو إعلاء كلمتها بإعلان وحدتها في بيان مرصوص وشعور واحد، وبذلك يكون المسلمون أُمّة واحدة.

٣ ـ فتح باب الحوار المستند إلى البرهان العلمي والدليل المنطقي والبحث الموضوعي بين المذاهب الإسلامية؛ لمعرفة نقاط الاختلاف بالدليل ونقاط الاتّفاق بالدليل، وإزالة كلّ ما هو معارض للعلم والعقل.

٤ ـ وجود وحدات تربط الأُمّة الإسلامية، كوحدة القيم والأخلاق والتربية والكثير من العقائد الدينية.

٥ ـ الحوار الذي يرتكز على أُسس مشتركة بين المتحاورين والذي يؤدّي غالباً إلى الوفاق والتفهّم هو الحوار الهادف إلى إقناع الآخر بوجهة النظر المخالفة، أو حلّ النزاع بالكشف عن معيار ثالث للموقف في محلّ النزاع أعلىٰ من معيار الطرفين المتحاورين، فإنّ المنهج العلمي الصحيح الذي يتوفّر على شروط البحث العلمي ويتّسم بالجدّية لا بدّ من ارتكازه على الأدلّة التي يعتمدها الطرف الآخر.

وكان السيّد يؤكّد على أنّ النهضة الإسلامية، وتنمية العالم الإسلامي، وتقدّمه حتّى في المجال المدني، وخلاصه من نير العبودية، وإقامة نظام العدالة، لا يتمّ إلّا من خلال الوحدة.

وبدونها تعود الأُمّة أذلّ الأُمم داراً وأجدبها قراراً، نزهةً للطامع وهدفاً للسهام وقبسة العجلان وحلقة ضيق وعرصة موت وحومة بلاء، لا تأوي إلى جناح دعوة، ولا تعتصم بظلّ منعة.

وكان يذكر نبذة ممّا جاء في الكتاب العزيز والسنّة الشريفة من الترغيب في الوحدة والتآلف وتحقيق الأُخوّة الإسلامية والولاية المشتركة والرحمة المتبادلة والاعتصام بحبل الله والبعد عن التخلّق بأخلاق الأُمم المتفرّقة الغارقة في العذاب الأليم.. وإنّ ممّا تؤكّده النصوص الشريفة الأُمور التالية: الإيمان رهن بالتحابّ، والحبّ للأخ المسلم ما يحبّ لنفسه، وذمّة المسلمين واحدة، ولزوم نفي كلّ ما يؤدّي للتباعد، ولزوم تعميم الالتزام بحقوق المسلم، وضرورة التواصل بشتّى الأساليب، والتآلف من صفات المؤمنين، وأولياء الله هم المتحابّون وهم جيران الله في داره.

وقد أكّد إجماع أهل السنّة على أنّ الإسلام والإيمان عبارة عن: الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس إلى القبلة، وحجّ البيت، وصيام رمضان، والزكاة والخمس المفروضين. وأيّد ذلك بروايات من صحيح البخاري وصحيح مسلم ومصادر الشيعة.

وكان يشير إلى أنّ الشيعة يضيفون عنصر الولاء لأهل البيت عليهم‌السلام بمقتضى النصوص الكثيرة لديهم، ولكن عدم الولاء لا يخرج الإنسان من دائرة الإيمان، إلّا إذا كان بمنطق العناد، فإنّ العناد لله ورسوله هو معيار التكفير. أمّا من لم تقنعه الأدلّة بالولاء على المستوى الذي يفهمه الشيعة فإنّه باق في دائرة الإيمان وله نفس الحقوق التي قال بها الإسلام للمسلم، وهذا الرأي هو الرأي السائد لدى العلماء، وما تثبته النصوص عن أهل البيت عليهم‌السلام بلا ريب. أمّا على مستوى الحبّ والاحترام فهو من أوضح الواضحات بحيث لا ينكره إلّا معاند.

لذا يهتزّ المرحوم شرف الدين عندما يواجه كلاماً غريباً مجافياً للحقّ وكاشفاً عن العناد من أمثال قول ابن خلدون، حيث ذكر في مقدّمته المشهورة أنّه «وشذّ أهل البيت في مذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح!» وهو يعلّق عليه بقوله: «ولا غرو أن قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد، بل لا عجب إن مات أسفاً على الإسلام وأهله إذ بلغ الأمر هذه الغاية!».

وقد عمل السيّد على إعادة الثقة وتبادلها والتآلف بين السنّة والشيعة عن طريق: الابتعاد عن لغة التجريح والنقد اللاذع والاحترام للرأي الآخر بشكل لافت للنظر، فهو إذا ذكر أهل السنّة ذكرهم بلفظ (إخواننا)، وإذا نقل حديثاً عن البخاري أعظمه، وإذا ذكر الصحابة ترضّى عنهم وأجلّهم، وكذلك عن طريق التحدّث عن معايير الإيمان والنجاة وتطبيقاتها على السنّة والشيعة معاً، والتحدّث عن عن إنصاف السنّة للشيعة وبشاراتهم لهم تأكيداً على عرى المحبّة وبعثاً للثقة المتبادلة، حيث ينقل بعض الروايات التي أوردها بعض الحفّاظ من أهل السنّة، وهي تؤكّد على علي عليه‌السلام وشيعته واصفةً إيّاهم بالراضين والمرضيّين والغرّ المحجّلين والشهداء، ويعلّق على ذلك بقوله: «فعسى أن يعرف الشيعي بعد هذا أنّ أهل السنّة قد أنصفوا واعترفوا، وعسى أن يعرف السنّي أن لا وجه بعد هذه المبشّرات لشيء من الضغائن أو الهنات، والسلام على من اتّبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته». كما أكّد على فتح باب التأوّل لمنع الكثير من الأحكام الجارحة، وهذا باب

مهمّ يركّز عليه كثيراً ليفسّر الكثير من المبهمات في أذهان الطرفين على أساس أنّ تلك التصرّفات إنّما تعبّر عن اجتهادات أو تصوّرات قد تكون صحيحة أو خاطئة، ولكنّها لا تفتح باب الاتّهام بالانحراف والكفر والفسق، وهو يؤكّد أنّ فتح هذا الباب يهدف إلى إعذار المتأوّلين.

وقد بذل السيّد شرف الدين جهداً مشكوراً في دفع الشبه المثارة بين الطرفين، كقضية السبّ والمتعة والغلو وبعض المنقولات التاريخية.

وقام أيضاً بالتركيز على العناصر الممزّقة ومناقشتها، ويتجلّى ذلك في قيامه بالبحث عن أسباب الفرقة والتباعد بهدف تشخيص الداء لوصف الدواء الناجع.

يقول الشيخ آغا بزرك الطهراني حول السيّد: «فماذا يقول الواصف فيه: أهو مجتهد فاضل، أم متكلّم بارع، أم فيلسوف محقّق، أم أُصولي ضليع، أم مفسّر كبير، أم محدّث صدوق، أم مؤرّخ ثبت، أم خطيب مصقع، أم باحث ناقد، أم أديب كبير؟!

نعم، هو كلّ ذلك، أضف إليه أنّه ذلك المجاهد الدائب على المناضلة دون الدين، والمكافح المتواصل دفاعه عن المذهب الحقّ، تشهد له بذلك كلّه المحابر والمزابر، والكتب والدفاتر، والخطب والمنابر، وأعماله الناجعة، ومحاضراته البديعة، وحجاجه الدامغ».

وبسعة المعلومات هذه، وبهذا العشق الرامي إلى توسيع حدود العلوم الإسلامية على أساس الخلفيّات الذهنية للمسلمين، وخاصّة علماء الإسلام، وضع السيّد شرف الدين قدمه في هذا الطريق، ومع أنّه كان يحارب الفئات والقوى المناهضة للإسلام في جميع المجالات، غير أنّ أكبر جهوده وأهمّ مساعيه كانت منصبّة على هذا المجال، حيث كان يسعى بكلّ ما أُوتي من قوّة إلى تسليح العالم الإسلامي بسلاح العلم والوعي، ومن هنا اشتغل منذ البداية بالنشاطات الاجتماعية في مدينة صور، كما بدأ إلى جانبها نشاطاته الإسلامية القيّمة واستمرّ فيها.

كان السيّد يعتقد أنّ أعداء الإسلام، وخاصّة الاستعمار الشرقي والغربي، كان ينفث

سمومه عبر أجهزة الإعلام العظيمة، والتي هي تحت سيطرته، سواء الإذاعية منها أم الكتب والمنشورات، ويصدّرها إلى الدول الإسلامية قبل أيّ زمان آخر من أجل تلويث أذهان الشباب الخالية البسيطة، خاصّة وأنّ هذه القوى الشيطانية كانت تسعى من خلال عملائها وأذنابها في الداخل إلى استبدال المدارس الإسلامية بمدارس مخزية ساقطة، وضعوا لها البرامج المضلّة التي تفقد الإنسان هويّته، فيكون الشباب المسلم، بل وحتّى الكهول، غرباء عن الحضارة الإسلامية المجيدة البنّاءة.

كان يعتقد أنّ هذا أمضى سلاح بيد أعداء الإسلام، ولا سبيل لنا إلّا أن نذهب للقاء العدوّ بنفس هذه الأسلحة، وبعبارة أُخرى: يجب علينا أن نغذّي الشباب بحضارتهم الإنسانية السامية من خلال إيجاد المدارس الإسلامية والحفاظ عليها وتوسيعها وتقويتها، وطرح الآفاق الواسعة للعلوم والمفاهيم الإسلامية، وأن نسلّحهم بدينهم وحضارتهم، حتّى لا يتأثّروا بالإعلام المعادي والمفاهيم الإلحادية المضلّة، بل ويقفون أمامها ويفنّدوها أيضاً.

لهذا فقد بدأ نشاطاته على أوسع الأنطقة، وبهذا المنظار بدأ ـ وذلك بحماس ملتهب وتضحية عظيمة ـ بتأسيس المدارس الإسلامية ومراكز تعليم العلوم الدينية للأحداث المسلمين، ووضع بهمّته العالية أُسس الإنارة والإيقاظ على نطاقه الواسع؛ لكي يغمر نورها أقصى نقاط الدول الإسلامية في العالم، وشمّر عن ساعد الجدّ في سبيل تقويتها.

أمّا كتبه ومؤلّفاته النفيسة فإنّ أحد أهمّ الأُسس الفكرية في القرن الأخير من التاريخ الإسلامي قام على أساسها وما تحتويه.

وكتاب «المراجعات» أحد هذه الكتب النفيسة المنيرة، فهو مجموعة رسائل بلغت (١١٢) رسالة، وهي رسائل تبادلها السيّد وشيخ الإسلام سليم البشري المفتي والرئيس الأسبق لجامع الأزهر. ويعكس الكتاب مدى سعة اطّلاعه وحبّه الشديد لاتّحاد العالم الإسلامي، ونال في العالم الإسلامي ـ سواء عالم الشيعة أم السنّة ـ قيمةً واعتباراً، بحيث سجّل اسم شرف الدين بحقّ كأحد أبرز أبطال العلم والبيان والوحدة، وإنّ أفكاره الصائبة

السامية المرشدة إلى الصواب ـ والتي أودعها هذا الكتاب ـ تبيّن مدى الجهود التي بذلها في سبيل إيجاد التفاهم بين الفرق الإسلامية، وسعيه المتواصل من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية بين جميع الشعوب الإسلامية.

ويمكن الوقوف على حماسه وإيمانه بمسألة الوحدة الإسلامية حتّى من خلال عدّة عبارات مذكورة في «المراجعات»، فهو يقول في هذه العبارات الموجزة الغنية المحتوى: «بوحدة الكلمة وحدها يمكن التنسيق في العمران وتوفير مستلزمات التطوّر، وتتجلّى روح الحضارة، ويشعّ ضوء الهدوء والاطمئنان في آفاق الحياة، وترفع قيود الرقّ والعبودية عن رقاب الجميع.. عندما توجد وحدة الكلمة وتتّحد الإرادات وتأتلف القلوب وتتوحّد القرارات يمكن الثورة من أجل رفع شأن الأُمّة الإسلامية، وإيصال المسلمين في العالم إلى المقام الذي يجب أن يبلغوه».

ويقول: «إنّ الوضع إن لم يكن كذلك، وبقي المسلمون يغطّون في نومهم وغفلتهم، فإنّ كلّ ناهب ومستغلّ سيجعل منهم لقمةً سائغة وهدفاً لسهمه، وكلّما ظهرت قوّة جديدة فإنّها تحتاج إلى قوم يسكنون في أوطان الذلّة والمهانة والفقر، ويكون في قبضة الشقاء والموت والمصائب، فلا لهم منظّمات إعلامية وقيادية، ولا لهم قوّة مركزية مهابة تكون لهم رداءً وسنداً. فأيّ مصير سينتظرهم؟ وأيّة عزّة سيفقدونها؟ فاحذروا الفرقة أيّها المسلمون».

وإذا كان السيّد قد خطا خطوة واحدة في سبيل وحدة المسلمين عبر جهوده العلمية فسوف لن يكون أجره في تاريخ الإسلام منسياً وسيحفظ له، فكيف وقد خطا خطوات بلغ بها القمّة في هذا المضمار؟!

(انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ٢٥٦ ـ ٢٥٨، معارف الرجال ٢: ٥١ ـ ٥٣، أعيان الشيعة ٧: ٤٥٧، ريحانة الأدب ٣: ١٩٤، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧٩، معجم المؤلّفين ٥: ٨٧، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٣٦ ـ ٧٣٨، أُدباء وشعراء العرب ٢: ١٨١، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٢٤ ـ ٢٢٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣١٨ ـ ٣٢١، كفاح علماء الإسلام: ٢١٣ ـ ٢٢٣، رجالات التقريب: ٢٧١ ـ ٢٧٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

عبد الحسين اللاري

عبد الحسين بن عبد الله بن عبد الرحيم بن محمّد الموسوي الدزفولي النجفي اللاري: كان فقيهاً إمامياً، أُصولياً، عالماً كبيراً، مصلحاً.

ولد في النجف الأشرف سنة أربع وستّين ومائتين وألف للهجرة، واجتاز بعض المراحل الدراسية، ثمّ حضر الأبحاث العالية على أكابر المجتهدين، مثل: المجدّد السيّد محمّد حسن الشيرازي، ومحمّد حسين بن هاشم الكاظمي، وحسين قلي الهمداني، والفاضل محمّد الأيرواني.

وبرع في الفقه والأُصول، وحاز ملكة الاجتهاد واستنباط الأحكام، وبعثه أُستاذه السيّد الشيرازي إلى بلدة لار (بمحافظة فارس في بلاد إيران)، فمارس فيها دوره الإسلامي في التبليغ والإرشاد وحلّ الخصومات.

وتصدّى للتدريس، فقصده روّاد العلم من مدن شيراز وإصطهبانات وداراب وسيرجان وجهرم، وأصبح من العلماء البارزين.

وكان قد خاض المعترك السياسي، حيث وقف في سنة ١٣٠٩ هـ موقفاً حازماً تجاه حكومة ناصر الدين شاه القاجاري بسبب منحها امتياز التنباك للحكومة البريطانية، وأيّد في ذلك فتوى أُستاذه المجدّد في تحريم التدخين، كما لعب دوراً بارزاً في أحداث الحركة الدستورية، وقاد بنفسه جموعاً غفيرة من الناس ضدّ الحكومة الاستبدادية، ولمّا أخفقت حركته وشعر بأنّ حياته مهدّدة سار إلى فيروز آباد، فمكث فيها قائماً بمسؤولياته الدينية، إلى أن طلبه أهالي جهرم سنة ١٣٣٦ هـ، فأجابهم وحلّ بين ظهرانيهم مرشداً وموجّهاً، إلى أن توفّي سنة اثنين وأربعين وثلاث مائة وألف.

وقد ترك ثلاثين مؤلّفاً، منها: حاشية على مبحث الصوم من «مدارك الأحكام» للسيّد محمّد بن علي الموسوي العاملي، حاشية على مبحث القضاء من «جواهر الكلام» للشيخ محمّد حسن بن باقر النجفي، حاشية على «رياض المسائل» في الفقه للسيّد علي الطباطبائي الحائري، حاشية على «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري في مجلّدين،

حاشية على «الرسائل» في أُصول الفقه لمرتضى الأنصاري، حاشية على «القوانين المحكمة» في أُصول الفقه لأبي القاسم القمّي، التنزيل في بعض المتشابهات، قراءة أهل البيت عليهم السلام، آيات الظالمين، إكسير السعادة، رسالة معارف السلماني في علم النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، رسالة العرفان السلماني، وغير ذلك.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٣٧ ـ ٣٨، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١١١٨ ـ ١١١٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣٠٩ ـ ٣١٠).

عبد الحليم الكناني

عبد الحليم خلدون الكناني: كاتب ومفكّر إسلامي، ومدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس.

ولد في سوريا سنة ١٩١٤م، ونشأ وتعلّم في دمشق، وواصل دراسته بجامعة السوربون في باريس وجامعة لندن، وحصل على درجة الدكتوراه.

عمل في مجال التعليم، فكان أُستاذاً في دار المعلّمين العليا، وفي كلّية الآداب بجامعة دمشق. كما شغل عدداً من الوظائف بوزارة المعارف السورية.

رحل إلى باريس، فعمل في اليونسكو بدوائرها المختلفة أربعة وعشرين عاماً. ولمّا أنشأت رابطة العالم الإسلامي مكتباً لها في العاصمة الفرنسية عيّن مديراً له، وكانت له فيه نشاطاته الحميدة لخدمة الإسلام والمسلمين في فرنسا.

اختير أميناً عامّاً مساعداً للمجلس القارّي للمساجد في أوروبّا، وساهم في تنظيم حصّة الأحد الأُسبوعية للقناة الفرنسية عن الإسلام، وشارك بالحديث فيها على مدى سنوات.

كتب مقالات كثيرة بالعربية والفرنسية، وأشرف على مجموعة كتب أخرجها مكتب الرابطة في باريس، وترجم منها «تخريج المعلّمين حسب التربية الإسلامية»، وترجم إلى الفرنسية كتاب «الأربعين حديثاً النووية» (بالاشتراك)، وشارك في وضع «الموسوعة

الإسلامية »، وحضر العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية، وتوفّي سنة ١٩٩٨ م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٧٠، إتمام الأعلام: ٢٢١ ـ ٢٢٢).

عبد الحليم محمود

فقيه محقّق متصوّف، من شيوخ الأزهر، ومن دعاة التقريب.

ولد سنة ١٩١٠ في (أبي حمد) بلبيس إحدىٰ قرى « الشرقية » بمصر، ونشأ في أُسرة متديّنة، وحفظ القرآن الكريم، وتخرّج بالمعهد الديني بالزقازيق، والتحق بالأزهر ونال شهادة العالمية سنة ١٩٣٤ م، وسافر إلى باريس ونال درجة الدكتوراه بالتصوّف الإسلامي من جامعة السوربون عام ١٩٤٠ م، وكان يجيد الإنجليزية والفرنسية، وعاد إلى مصر، فعيّن مدرّساً في كلّية اللغة العربية بالأزهر، ثمّ أُستاذاً في كلّية أُصول الدين سنة ١٩٥١ م، فعميداً لها سنة ١٩٦٤ م، وعيّن وكيلاً للأزهر، وأصبح وزيراً للأوقاف، فشيخاً للجامع الأزهر سنة ١٩٧٣ م، وعمل أُستاذاً زائراً في جامعات ليبيا والسودان وماليزيا وأندونيسيا والفلبّين، ووضع القواعد لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة وغدا أميناً عامّاً له، وشكّل عدّة لجان تتّصل بشؤون نشاطات الأزهر العلمية، منها: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ولجنة المسجد الأقصى، ولجنة التعريف بالإسلام، ولجنة الحضارة والمجتمعات الإسلامية، ولجنة دائرة المعارف الإسلامية.

وكان رجلاً زاهداً عابداً جريئاً صريحاً.. ألّف لجنة لصياغة الشريعة الإسلامية في صورة قوانين، ولكن لم يقرّها مجلس الشعب المصري، وعارض قانون تطوير الأزهر، وهدّد بتقديم استقالته إذا تبع الأزهر وزير شؤون الأزهر، فاستجاب له السادات. كما عارض قانون الأحوال الشخصية ولم يصدر إلّا بعد وفاته.

توفّي سنة ١٩٧٨ تاركاً جملة من المؤلّفات، منها: التفكير الفلسفي، الفيلسوف المسلم، السنّة في تاريخها ومكانتها، التصوّف عند ابن سينا، التصوّف الإسلامي، الإسلام والعقل، زين العابدين، أوروبّا والإسلام، جهادنا المقدّس، الرسول ﷺ، الإيمان، القرآن والنبي، العبادة، الإسلام والشيوعية.

كما له عدّة تحقيقات باشرها بنفسه وبمشاركة آخرين، منها: «المنقذ من الضلال» للغزالي، «الفلسفة الهندية» للبيروني، «اللمع» للطوسي، «المغني» للقاضي عبدالجبّار، «الرسالة القشيرية» للقشيري.

وترجم عن الفرنسية: وازن الأرواح، الفلسفة اليونانية، محمّد رسول الله ﷺ، الأخلاق في الفلسفة الحديثة.

ووضع كتاباً بالفرنسية، وهو «الحارث بن أسد المحاسبي».

وقد كتب سيرته الذاتية في كتاب «الحمد لله.. هذه حياتي».

يقول الدكتور محمّد عبدالمنعم الخفّاجي واصفاً نشاطات الشيخ عبدالحليم: «دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وأنّ فيها النجاة من براثن الاستعمار والدواء من أمراض العصر.. وسعىٰ للصلح بين الدول العربية المتنازعة، ودعا إلى وحدة الصفّ، وناشد حكّام العالم العربي خاصّة والإسلامي عامّة أن يرأبوا الصدع، وأن ينبذوا الخلاف فيما بينهم؛ لتعود للأُمّة الإسلامية قوّتها وتستطيع أن تواجه الأخطار المحدقة بها».

وفي نظر الدكتور عبد الحليم يتمثّل المثل الأعلى لمن يطلب الحكمة في «الكشف عن الإله، ثمّ الاتّصال به» كما عبّر عن ذلك أفلوطين في دقّة وعمق بالغين.. وبناءً عليه يعرّف الدكتور عبد الحليم الفلسفة بأنّها: «المحاولات التي يبذلها الإنسان عن طريق العقل وعن طريق التصفية ليصل بها إلى معرفة الله». فهذه المحاولات هي الفلسفة، والنتيجة هي الحكمة.

وعندما يطبّق التعريف المشار إليه على محاولات الفلاسفة يرى أنّ الغزّالي ـ وذلك باعتبار أنّه استكمل شطري الطريق ـ آصل في الميدان الفلسفي من ابن سينا ومن أرسطو ومن ديكارت؛ نظراً لأنّ كلّاً من هؤلاء لم يقطع إلّا نصف الطريق، أي: المحاولات عن طريق العقل فقط. وكلّ الفلاسفة العقليّين في رأي الدكتور عبد الحليم محمود أنصاف فلاسفة، في حين يرى أنّ الفلسفة الهندية مثلاً تعدّ فلسفة كاملة؛ لأنّها حقّقت الكشف عن الإله ثمّ الاتّصال به. وقد صوّر ابن طفيل في رسالته «حي بن يقظان» الطريق الكامل

المشتمل على طريق العقل وطريق التصفية معاً. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ علماً مثل علم أُصول الفقه لا يُعدّ فلسفة؛ لأنّه ليس كشفاً عن الإله ولا اتّصالاً به.

ويذهب الدكتور عبد الحليم محمود إلى حدّ القول الجازم بأنّ «الفلسفة لا رأي لها في أيّ من المسائل الجزئية، وهي لا رأي لها في أيّ موضوع من الموضوعات الكلّية... فمادام كلّ رأي فلسفي يعارضه رأي فلسفي آخر ويعارض الرأيين رأي ثالث فلسفي وهكذا، فتكون النتيجة أنّه لا رأي للفلسفة».

والعقل في رأيه عاجز تماماً عن الوصول إلى يقين في المسائل الميتافيزيقية والأخلاقية. فكلّ ما ينتهي إليه البحث العقلي في هذا الصدد يعدّ من قبيل الأُمور الظنّية التي تختلف فيها آراء الباحثين وتتعارض مع بعضها، وليس للعقل دور إلّا في مجال الحضارة المادّية التي هي بأكملها من عمل العقل. والسبيل إلى الوصول إلى الحقّ في الميتافيزيقا والأخلاق هو سبيل الدين.

ويؤكّد الدكتور عبد الحليم محمود أنّ هذا هو منهجه الخاصّ في حياته الفكرية، وهو «منهج الاتّباع» يسير فيه تبعاً لتوجيهات القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. وقد خصّص لشرح وجهة نظره هذه كتابه «الإسلام والعقل» الذي يقول عنه: إنّه لم يفرح في يوم من الأيّام لظهور كتاب له بمقدار ما فرح حين ظهر هذا الكتاب في طبعته الأُولى.

ويقول في سيرته الذاتية: إنّ «كلّ ما كتبه عن التصوّف وعن الشخصيات الصوفية يسير في فلك هذا المنهج: منهج الاتّباع. وهذا المنهج يفترض مقاومة الغزو الفكري» الذي يتمثّل في العقائد وفي نظام المجتمع وفي مجال التشريع..

فالغزو الفكري في العقائد يتمثّل في التراث الفلسفي اليوناني الذي نقل إلى العربية في مجال ما بعد الطبيعة. فهذا التراث نتاج بشري متناقض يتّسم بكلّ ما يتّسم به النتاج البشري من خطأ وضلال.

أمّا الغزو الفكري في نظام المجتمع فإنّه يتمثّل في فرض نظام المجتمعات الأوروبّية علينا. وهذا يعني ـ إذا سرنا في تيّاره ـ أن نفقد ذاتيتنا ونصبح بلا شخصية، وبالتالي نفقد

رسالتنا التي هي رسالة الإسلام والتي من أجلها كانت الأُمّة الإسلامية، وبدونها تفقد الأُمّة الإسلامية مبرّرات وجودها.

وأمّا الغزو الفكري في مجال التشريع فإنّه يتمثّل في كلّيات الحقوق التي تعدّ دراستها كلّها ـ كما يقول ـ من قبيل الغزو الفكري والاستعمار الفكري. فالقوانين الأوروبّية يخصّص لها عشرون ساعة في الأُسبوع، في حين يخصّص للتشريع الإسلامي ساعتان فقط أُسبوعياً، وهذا يعني أنّ هذه الكلّيات تفرض على الطالب أن يستعمر الأوروبيّون فكره في مجال التشريع، وأن يلغي ذاتيته الإسلامية في هذا المجال. ومنهج الاتّباع يقتضينا أن ننظر في جدّ في أمر هذه الكلّيات حتّى تكون تمثيلاً حقيقياً للوطنية والإسلام والعروبة.

ويرفض الدكتور عبد الحليم محمود أن يكون هناك تعارض بين العلم والدين نظراً لاختلاف موضوع كلّ منهما. فموضوع العلم هو المادّة، وموضوع الدين هو العقائد والأخلاق والتشريع ونظام المجتمع والتقوى وصلاح الفرد وصلته بالله تعالى... الخ. فهذان مجالان مختلفان تماماً، فليست هناك إذاً مشكلة بالنسبة للإسلام. وهذه القضية ـ قضية النزاع بين الدين والعلم ـ قضية غريبة تماماً عن الجوّ الإسلامي، وقد كان لها في أوروبّا ظروفها الخاصّة التي أفرزتها هناك. ومن هنا لا يجوز إثارتها في الشرق دون فهم حقيقي لجذورها في تلك البلاد.

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٢: ٣٩٣ ـ ٣٩٧، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٦٠ ـ ٣٦١، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ١٧٢ ـ ١٧٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٢١٧ ـ ٢٣٤، أعلام التراث: ١٤٥ ـ ١٤٦، نثر الجواهر والدرر ١: ٦٣٩ ـ ٦٤٢، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٣٩ ـ ٦٤٢، عظماء الإسلام: ٤١٦ ـ ٤١٧، تتمّة الأعلام ١: ٢٧٠ ـ ٢٧٢، إتمام الأعلام: ٢٢٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٧).

عبد الحميد بن باديس

مفكّر ومصلح ورجل دين جزائري، يعدّ الأب الشرعي للنهضة الإسلامية والحركة الوطنية الجزائرية الحديثة، ويرجع نسبه إلى المعزّ بن باديس الصنهاجي مؤسّس الدولة

الصنهاجية في القيروان.

ولد عبد الحميد بن محمّد المصطفىٰ بن مكّي بن باديس القسنطيني سنة ١٨٨٧م في «القسنطينة» بالجزائر، وتربّىٰ في أُسرة عنيت بالعلم وتعلّمه وتعليمه، وحفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، وتلقّىٰ مبادئ العلوم على الشيخ أحمد حمدان الونيسي، ودرس في جامع الزيتونة بتونس ١٩٠٨م، حتّىٰ نال شهادة العالمية سنة ١٩١١م، ودرّس في الزيتونة، ثمّ رحل سنة ١٩١٣م إلى الحجاز ومكث هناك برهة من الزمن ألقى خلالها دروساً علمية، كما التقىٰ في المدينة المنوّرة بمجموعة من المشايخ والعلماء. وقد طلبوا منه أن يجاور مثلهم الحرمين الشريفين، ولكنّه رفض قائلاً: «نحن لا نهاجر.. نحن حرّاس الإسلام والعربية في هذا الوطن!».

وكان من جملة أساتذته: الشيخ محمّد المداسي، وأحمد الونيسي، ومحمّد النخلي القيرواني، ومحمّد الطاهر بن عاشور، وسعيد العيّاضي، والبشير صفر. فارتبط بمدرسة التجديد والإحياء الإسلامي عن طريق هؤلاء الأساتذة.

وفي الجزائر مارس الوعظ والتدريس ووضع نواة للتعليم الديني، وكان طريقه يعتمد على صنع الرجال أكثر من تأليف الكتب، فأمضىٰ نحواً من ثمانية عشر عاماً في هذا الطريق، حتّىٰ أقام «جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين» سنة ١٩٣١م التي كانت بمثابة الأب الروحي لثورة الجزائر ضدّ الفرنسيّين.

نجا من محاولة اغتيال سنة ١٩٢٧م. وكان يدّرس في مسجد سيدي حموش بالجزائر.

ولقد أصدر العديد من المجلّات والصحف، منها: «المنتقد»، و«الشهاب» و«الشريعة»، و«السنّة المحمّدية»، و«الصراط»، وأسهم في إصدار جريدة «النجاح»، وكانت صحفه ومجلّاته تتعرّض للمصادرة والإلغاء من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، كما تعرّض للقطيعة من قبل إخوته وأبيه، وبقي هو مستمرّ على جهاده، وفُرضت عليه الإقامة الجبرية في «قسنطينة» حتّىٰ وفاته سنة ١٩٤٠م، وقيل: إنّه مات مسموماً.

له «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»، اشتغل بتدريسه ١٤ عاماً، وقد نُشرت في الجزائر «آثار ابن باديس» في أربعة مجلّدات.

وقد كان ابن باديس منادياً بالوحدة الإسلامية، حاله حال رفيقه الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٩، معجم المؤلّفين ٥: ١٠٥، موسوعة السياسة ٣: ٨١٠، موسوعة المورد ٥: ١٥٦، تاريخ المغرب الكبير ٤: ٢١٧ ـ ٢٢٠، نثر الجواهر والدرر ١: ٦٥١ ـ ٦٥٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٨١ ـ ٩٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٢٨ ـ ١٢٩، عظماء الإسلام: ٣٠٠، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٩٧ ـ ١٩٩، موسوعة الأعلام ١: ٢٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

عبد الحميد الزهراوي

عبد الحميد بن محمّد شاكر بن إبراهيم الزهراوي: من زعماء النهضة السياسية في سوريا، ومن رجال العلم بالدين والسياسة، وأحد شهداء العرب في ديوان «عالية.

ولد سنة ١٨٥٥م بحمص، ونشأ وتعلّم فيها (بالمكتب الرشدي)، وأخذ علوم العربية عن حسن الخوجة، والحديث والتفسير على عبد الستّار الأتاسي، والأُصول والكلام والعلوم العقلية على عبد الغني الأفغاني. رحل إلى الآستانة ثمّ إلى مصر، وعاد إلى حمص، وقاوم السياسة الحميدية قبل الدستور العثماني، فأصدر جريدة «المنير»، وكان يطبعها على «الجلاتين» ويوزّعها سرّاً.

وسافر إلى الآستانة، فساعد في إنشاء جريدة «معلومات» التركية، فنفته السلطة الحميدية إلى دمشق، فأقام يكتب إلى جريدة «المقطّم» المصرية، فعلم به والي دمشق ناظم باشا، فأرسله مخفوراً الآستانة، وتوسّط في أمره أبو الهدى الصيّادي، فأُعيد إلى حمص.

ومن بعد ذلك فرّ إلى مصر، وعمل في الصحافة، إلى أن أُعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م، فعاد إلى سورية، وانتخب مبعوثاً عن حماة، فذهب إلى الآستانة، واشترك في

تأسيس حزب «الحرّية والاعتدال» وحزب «الائتلاف» المناوئين لحزب «الاتّحاد والترقّي» الحاكم، وأصدر جريدة «الحضارة»، وهي جريدة أُسبوعية.

ولمّا ظهرت الحركة الإصلاحية في سورية وانعقد المؤتمر العربي الأوّل في باريس سنة ١٩١٣م انتخب الزهراوي رئيساً له.

وقد حاول الاتّحاديّون استمالته وأقنعوه بعزمهم على الإصلاح وجعلوه من أعضاء مجلس الأعيان العثماني، غير أنّهم قبضوا عليه أثناء الحرب العالمية الأُولى، وجيء به إلى «ديوان عالية العرفي»، فحكم عليه بالموت، ونفّذ به الحكم شنقاً في دمشق مع بعض رفاقه الأحرار سنة ١٩١٦م.

له: رسالة «الفقه والتصوّف»، وكتاب «خديجة أُمّ المؤمنين».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٨، معجم المؤلّفين ٥: ١٠٤ـ١٠٥، موسوعة السياسة ٣: ٨١٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ١٥٦ـ١٦٩، معجم السياسيّين المغتالين: ٣٣٦).

عبد الحميد كشك

عبد الحميد بن عبد العزيز بن محمّد كشك: من مشاهير الدعاة المصريّين.

يقول عنه الدكتور حلمي القاعود: «قصّة الشيخ وكفاحه نموذج رائع ينبغي تقديمه للأجيال الجديدة التي سمعت عنه ولم تستمع إليه، فقد ولد عام ١٩٣٣م في مدينة شبراخيت بحيرة، لأُسرة متواضعة، وكان واحداً من ستّة إخوة (ترتيبه الثالث بينهم)، فقد والده وهو صبي بعد أن فقد بصره تماماً في حوالي الثالثة عشرة من عمره، ومع اليتم والفقر والعاهة واصل الطريق متخطّياً العقبات مؤمناً بقضاء الله وقدره، وظهرت علائم تفوّقه مبكّراً منذ المرحلة الابتدائية في الأزهر (الإعدادية الآن)، فألقى دروساً وخطباً حازت إعجاب الناس به وتقديرهم له، وفي المرحلة الجامعية كان يخطب في مساجد الجمعية الشرعية، وبعد تخرّجه شهد له كبار الدعاة من أمثال الشيخ عبد اللطيف مشتهري والشهيد الشيخ محمّد حسين الذهبي وزير الأوقاف الأسبق.

لقد عوّضه الله عن فقد البصر وذهاب والده نعمة البصيرة وحبّ الناس، ومنحه ذاكرة

واعية لاقطة وحسّاً مرهفاً، ويدلّ على ذلك هذا القدر الهائل من المحفوظات الإسلامية والأدبية، وخاصّة الشعر القديم والحديث الذي يتخلّل استشهاداته وأدلّته على ما يقول أو يعرض من قضايا ومواقف وآراء.. ثمّ إنّه إلى جانب ذلك أُوتي حظّاً عظيماً من ملكة التعبير وحسن الصياغة وجمال البيان، قرّب إليه رجل الشارع البسيط ورجل الثقافة العميق، ففهموا عنه وتأثّروا به. ومن المفارقات أنّ مثقفي المقاهي في القاهرة ـ وهم خليط من الشيوعيّين والعلمانيّين وغيرهم ـ شدّتهم ظاهرة الشيخ كشك في الستّينيات والسبعينيات، وكانوا في أوّل الأمر يسخرون منه ومن خطبه، ولكنّهم بعدئذٍ رأوا فيه نموذجاً فريداً للمقاومة الرائعة التي لا تخشى إرهاباً، ولا تخاف سجناً، ولا تعمل لحساب أحد غير الله.

في مسجد الملك ـ عين الحياة ـ أو مسجد الشيخ كشك كما صار يسمّى ـ وإلى الآن ـ قامت مؤسّسة تربوية وثقافية واقتصادية واجتماعية، ويعدّ الشيخ ﷺ من أوائل من فكّروا في دروس التقوية المجّانية داخل المساجد، فكان يدرّس للطلبة بنفسه علوم النحو والصرف والبلاغة والأدب، وأصدقاؤه يتولّون تدريس المواد الأُخرى مثل الإنجليزية والفرنسية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات، وكان مسجد الشيخ كشك ملاذاً للمأزومين وذوي الحاجات وأصحاب المشكلات والباحثين عن عمل، وكان هؤلاء جميعاً يجدون بفضل الله حلّاً لمعاناتهم؛ لأنّ الرجل كان مخلصاً، ويعمل لوجه الله، لا يريد من أحد جزاءً ولا شكوراً... لقد كان مسجده بحقّ فرعاً من فروع المدرسة المحمّدية بكلّ خصائصها الإنسانية الرائعة، وساعة كان يصعد المنبر يعلن: هنا مدرسة محمّد ﷺ، وكان العمل والقول متطابقين في المسجد الذي تحوّل بحقّ إلى مؤسّسة تحلّ مشكلات الجمهور دون أن تكلّف خزينة الدولة قرشاً واحداً.

ولكن هل رضيت السلطة بذلك؟ هل شكرت للرجل تعليمه للشباب وتربيتهم وحلّ معضلات حياتهم؟ كلّا.. بل كافأته على ذلك باستدعاءات كثيرة للتحقيق معه حولما يقوله على المنبر وفي دروسه، وأدخلته السجن أكثر من مرّة، وعذّبته، وضيّقت عليه، وهو صاحب البصيرة الذي يحتاج إلى من يعينه لا من يعنّيه، وسلّطت عليه موظّفي الأوقاف بدءاً من الوزير حتّى الخفير ترهيباً له وترغيباً؛ كي يكفّ عن مهاجمة الانحراف، والدفاع عن

دين الله، وأطلقت عليه الأقلام المأجورة؛ كي تنال منه وتنتقصه وتنسب إليه ما ليس فيه، ولكنّه كان مؤمناً أنّ الدعوة لها تبعات ودونها عقبات وعليها ضرائب يجب أن يدفعها الداعية في رضا وصبر، وكان يتمثّل دائماً بقول الشاعر:

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنّها لا تفرج

في مقابل ما تفعله السلطة، كان الشعب يعبّر عن حبّه العارم للرجل، حتّى بعد أن مات السادات وخرج من السجن ليحرم من مسجده وجمهوره، كان الناس يتداولون شرائط خطبه ودروسه في البيوت والسيّارات والمقاهي والنوادي والمجلّات العامّة.. سمعته في بنجلاديش وإستانبول فضلاً عن دول الخليج!

والفتنة الطائفية أبعد ما تكون عن خطبه، فقد تأثّر كثيرون من النصارى الذين يحيطون بالمسجد بما يقوله في خطبه، فأعلنوا إسلامهم اقتناعاً وإيماناً ويقيناً.

وكانت الفترة التي لزم فيها بيته وحيل بينه وبين منبره فرصة ليخاطب الناس من خلال الكلمة المطبوعة، فأنجز على مدى يقرب من عشرين عاماً قرابة الخمسين كتاباً، تبني النفوس وتهذّب الأفئدة على هدى من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ومن هذه الكتب: طريق النجاة، البطولة في ظلّ العقيدة، رياض الجنّة، بناء النفوس، صور من عظمة الإسلام، أصحاب النفوس المطمئنة، اليوم الحقّ، إرشاد العباد، أضواء من الشريعة الغرّاء، شفاء القلوب، حديث من القلب، الإسلام وأُصول التربية، ورثة الفردوس، مصارع الظالمين، الصلح مع الله، غذاء الروح، في رحاب السكينة، منطق الحقّ المبين.

وقد سجّل الشيخ ﷺ مذكّراته في كتاب يبلغ نحو ثلاث مائة صفحة بعنوان «قصّة أيّامي»، وتضمّن مسيرته الإنسانية والعلمية والاجتماعية منذ مولده حتّى عام ١٩٨٦م، أي: قبل وفاته بعشر سنوات تقريباً (توفّي سنة ١٩٩٦ م).. لقد ملأ الدنيا وشغل الناس، ولكنّه لم يسع إلى ذلك بقدر ما كان يحلم بإصلاح المجتمع على منهج الله».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٢٣، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٢٤، وجوه عربية وإسلامية: ٥٢ ـ ٥٦).

عبد الرحمان بدوي

عبد الرحمان بدوي: فيلسوف مصري شهير، وأحد المصلحين.

ولد في سنة ١٩١٧م في قرية (شرباص) من قرى دلتا مصر، وقضى الفترة الأخيرة من حياته في باريس، وتوفّي بالقاهرة سنة ٢٠٠٢م.

درس في بلدته، وحصل على الابتدائية سنة ١٩٢٩م، ثمّ حصل على الكفاءة سنة ١٩٣٢م، ثمّ شهادة البكالوريا سنة ١٩٣٤م، والتحق بكلّية الآداب قسم الفلسفة، وحصل على الليسانس الممتازة سنة ١٩٣٨م. وكان من أساتذته: الكسندر كواريه، أندريه لالاند، الشيخ مصطفى عبد الرازق، باول كراوس.

عمل معيداً في قسم الفلسفة سنة ١٩٣٨م، وقدّم رسالته للماجستير وعنوانها «مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية» سنة ١٩٤١م.

عمل بالتدريس، وتولّى تدريس مادّتي المنطق وتاريخ الفلسفة اليونانية، وناقش رسالته للدكتوراه سنة ١٩٤٤م، وكان عنوانها «الزمان الوجودي».

عيّن مدرّساً بقسم الفلسفة سنة ١٩٤٥م، ثمّ أُستاذاً مساعداً سنة ١٩٤٩م، وبعدها بعام انتقل إلى جامعة عين شمس، وبقي بها حتّى تركها سنة ١٩٧١م، وفي خلال هذا وصل إلى درجة الأُستاذية سنة ١٩٥٩م، وسافر للتدريس في كلّية الآداب العليا ببيروت، وعمل مستشاراً ثقافياً ومديراً للبعثة التعليمية في (برن) بسويسرا سنة ١٩٥٦ م، وفي سنة ١٩٦٧ م عمل أُستاذاً في معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة السوربون بباريس، ثمّ عمل بالجامعة الليبية ببنغازي سنة ١٩٦٧ م، والتحق بعدها للعمل بجامعة طهران، ثمّ انتقل إلى جامعة الكويت سنة ١٩٧٤ م.

كان من أبرز ممثّلي الفلسفة الوجودية في الوطن العربي، وأسهم في تكوين الوجودية بكتاب «الزمان الوجودي»، ويعدّ من أكثر المفكّرين غزارة فكرية، ترك العشرات من المؤلّفات ما بين تأليف وترجمة وتحقيق، وقد شغله في نهاية حياته الدفاع عن الإسلام ونبيّه ﷺ، فتصدّى للدفاع بكتابين: الأوّل: «دفاع عن الإسلام»، والثاني «دفاع عن

محمّد »، كتبهما بالفرنسية ونشرهما في أوروبّا.

ومن آرائه واتّجاهاته الفكرية:

١ـ الوجودية: عبّر د. عبد الرحمان عن الاتّجاه الوجودي، ويعدّ بكتابه « الزمان الوجودي » أحد مؤسّسي الفلسفة الوجودية، إذ ألّفه في فترة مبكّرة عن كثير من الفلاسفة الوجوديّين الذين سيظهرون بعده، فقد ألّفه سنة ١٩٤٣ م. وتمتاز وجوديته عن وجودية هيدجر وغيره من الوجوديّين بالنزعة الدينامية التي تجعل للفعل الأولوية على الفكر، وتستند في استخلاصها لمعاني الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة معاً، وإلى التجربة الحيّة، وهذه بدورها تعتمد على ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحي.

ويشير د. بدوي إلى أنّ غاية الموجود أن يجد ذاته وسط الوجود. والوجود له معنيان عنده: مطلق ومعيّن، والوجود الحقيقي هو وجود الفردية، والفردية هي الذاتية، والذاتية تقتضي الحرّية، والحرّية معناها وجود الإمكانية، ووجود ذاته ميزته الأُولى أنّه يعرف ذاته.

وفي الوجود وجودان: وجود الذات، ووجود الموضوع. ووجود الذات لا يمكن أن يُفهم مستقلّاً عن عالم الموضوعات الذي فيه تحقّق الذات إمكانياتها عن طريق الفعل، واستخدام الذوات الأُخرى كأدوات في سبيل هذا التحقيق.

وتعني الذات عنده بالأنا المريدة، فالذات تنشد الإرادة والفكر، وتزداد قيمة الذات بمقدار ازدياد الشعور بالحرّية، والذات الحقّة هي الذات الحرّة إلى أقصى درجات الحرّية الحاملة لمسؤوليتها بكلّ ما تتضمّنه.

والحرّية تتضمّن الاختيار، والاختيار يتمّ بين ممكنات، فالذات تقوم إذن في الإمكانية التي تختار منها، وهذه الإمكانية ليست مطلقة، بل تتمّ بين اختيارات محدّدة، وإذا تمّ الاختيار انتقلت الذات من حالة الحرّية إلى حالة الضرورة.

ولا يفهم الوجود أو الذات بدون زمان، فالزمان شرط أساسي في تكون الآنية، وهو العامل الأصلي في انتقال الوجود إلى حالة الآنية، والزمانية حالة جوهرية للوجود

المتحقّق. ولكي يفسّر د. بدوي حقيقة الوجود يلجأ إلى الزمان، والصحيح عنده أنّ الوجود زماني في جوهره وطبيعته، والزمان هو المقوّم الجوهري لماهية الوجود والعامل الفاعل في تحديد معناه.

ويشير د. بدوي إلى أنّ هذا التصوّر الجديد لمعنى الزمان يُعدّ ثورة لا تقلّ في عنفها وخطرها ونتائجها عن تلك الثورة التي قام بها كوبرنيقوس في علم الفلك، وهي ثورة تبدأ بهدم الأوضاع السابقة ونقد مذاهب الفلاسفة السابقين في الزمان، وتقديم تصوّره الوجودي لمعنى الزمان.

٢ ـ مشكلة الموت: تناول د. عبد الرحمان بدوي عرض هذه المشكلة من خلال رسالته للماجستير وعنوانها «مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية»، ورأى أنّ الموت من الناحية الوجودية فعل فيه قضاء على كلّ فعل، كما أنّه نهاية للحياة، والموت حادث كلّي كلّية مطلقة من ناحية، وجزئي شخصي من ناحية أُخرى، فالكلّ فانون، ولكن لكلّ منّا فناء خاصّ.

ويعدّ الموت من الناحية الوجودية أو الناحية المعرفية إشكالاً، ويكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان شعوراً قويّاً واضحاً بهذا الإشكال، وهناك ارتباط بين الموت والحرّية من جهة، وبين الحرّية والخطيئة من جهة أُخرى، فهناك إذاً ارتباط بين الخطيئة والموت. ويرى أنّ هذا التصوّر قد بلغ أوّل درجة عليا من درجات التعبير عنه في المسيحية. كما تناول الصلة بين الموت وبين مسائل الإلهيات خاصّةً فيما يتعلّق بوجود الله، ومسألة الخلق من العدم.

٣ ـ موقفه من التراث: كان للدكتور عبد الرحمان بدوي جهود عظيمة في إحياء التراث العربي الإسلامي، سواء بدراسته، أو بنشره نشراً علمياً محقّقاً طبقاً لأُصول النقد التاريخي، حيث رأى أنّ أسلافنا السابقين قد بلغوا في التحرّر الفكري في أُمور العقيدة مبلغاً عظيماً صرنا نتمنّى اليوم أن نصل إليه، وأن نتّخذ منه وسيلة إلى تجديد الفكر الإسلامي، فمن هذه المناهل الأصيلة المتدفّقة ينبغي أن يكون ورودنا واستلهامنا، ويجب علىٰ الفكر العربي

المعاصر أن يجعل نقطة انطلاقة من آخر مرحلة وصل إليها هذا الفكر التراثي المتعمّق المتحرّر الواسع الآفاق، بعد أن ران علينا خلال سبعة قرون جمود شديد، فإنّ محاولة التواصل بين الحاضر والماضي هو إحدى الغايات الأساسية من دراسة التراث، ولكن ليس التراث كلّه، بل تحديد مجال معيّن من مجالات التراث يكون هو محور اهتمام الباحث المتخصّص، فعلى الباحث في التراث الفلسفي الإسلامي أن يهتمّ بعلم الكلام، أو الفكر الديني، وفلسفة فلاسفة الإسلام، والتصوّف، وتاريخ العلوم عند العرب، وأن يكون على دراية على نحو ما بالعلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، من العلوم التراثية والتي تساعد على تفهّم حقيقة هذا الجانب الفلسفي، وأن ندرس أساليب هؤلاء المفكّرين في طرح المشكلات، وكيفة علاجها، ومن هنا يمكن للمفكّر العربي المعاصر أن يحصل على الدروس المستفادة التي بمقتضاها يستطيع مواجهة المشكلات المثارة في هذه الأيّام.

٤ ـ النزعة الإنسانية: يشير د. عبد الرحمان بدوي إلى أنّ النزعة الإنسانية في الحضارة الواحدة لا توجد مرّة واحدة على دفعة واحدة، بل توجد على صور متعدّدة في فترات مختلفة، فلا يمكن رصد حضارة معيّنة على أنّها تمتاز بالنزعة الإنسانية، ولا توجد مرحلة واحدة يمكن أن تحتكر مفهوم النزعة الإنسانية، كما لا يوجد حضارة يمكن أن تتوحّد بالنزعة الإنسانية، بل وجدت صوراً للنزعة الإنسانية في الحضارة اليونانية، مروراً بالحضارة العربية، ثمّ الحضارة المعاصرة، وتوجد صور متعدّدة من النزعة الإنسانية، ولذا كانت له كتابات متعدّدة في الفلسفات المختلفة ترصد هذه النزعة الإنسانية.

والنزعة الإنسانية في الحضارة اليونانية تجلّت في تقسيم د. بدوي للفكر اليوناني في مراحله المختلفة، حيث بدأها بربيع الفكر اليوناني انتهاءً بشتاء ذلك الفكر، كما كان للحضارة العربية صور للنزعة الإنسانية، وخاصّة عند المتصوّفة أمثال ابن عربي، ومن ملامح النزعة الإنسانية في الحضارة هي الجانب الحسّي الجمالي المتمثّل في الشعور بالطبيعة، ويركّز د. بدوي هنا على المتصوّفة باعتبارهم أكثر من شعروا وأحسّوا بهذا الجانب الحسّي الجمالي.. كما أنّه من أهمّ خصائص التصوّف: الترقّي الأخلاقي وسمو

النفس والروح، حيث ترتفع الروح إلى البحث عن وجودها الأصيل وتحقّقه من خلال اتّصالها بالذات الإلهية،ويمتاز التصوّف الإسلامي بنزعة إنسانية عالمية منفتحة على سائر الأديان والأجناس.

قدّم د. عبد الرحمان بدوي كثيراً من المؤلّفات، تراوحت بين التأليف والتحقيق والترجمة، من أهمّها في التأليف: نيتشه، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، إشبلنجر، شوبنهور، أفلاطون، أرسطو، ربيع الفكر اليوناني، خريف الفكر اليوناني، الزمان الوجودي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، أرسطو عند العرب، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مخطوطات أرسطو في العربية، دراسات في الفلسفة الوجودية، المنطق الصوري والرياضي، فلسفة العصور الوسطى، مؤلّفات الغزّالي، مؤلّفات ابن خلدون، مناهج البحث العلمي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربّي، مصادر وتيّارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، مذاهب الإسلاميّين، رابعة العدوية، مدخل جديد للفلسفة، الأخلاق النظرية، الأخلاق عند كانط، فلسفة القانون عن كانط، فلسفة الدين والتربية عند كانط، موسوعة الفلسفة.

أمّا في التحقيق فله كتب كثيرة، منها: المُثُل العقلية الأفلاطونية، منطق أرسطو، الإشارات الإلهية لأبي حيّان التوحيدي، الحكمة الخالدة لمسكويه، البرهان من الشفاء لابن سينا، عيون الحكمة لابن سينا، في النفس لأرسطو، الأُصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، الأفلاطونية المحدثة، أفلوطين عند العرب، مختار الحكم للمبشّر ابن فاتك، تلخيص الخطابة لابن رشد.

ومن ترجماته: شخصيات قلقة في الإسلام، روح الحضارة العربية، الإنسان الكامل في الإسلام، فنّ الشعر لأرسطو، الخوارج والشيعة، ابن عربي للاسين بلاسيوس.

وللدكتور بدوي إنتاج إبداعي متميّز، وقد نشر ديوان شعر بعنوان «مرآة نفس، كما نشر قصّة بعنوان «هموم الشباب، وترجم كثيراً من الأعمال الأدبيّة الأوروبيّة، ومن ترجماته المسرحية: «عرس العام»، «ديرما»، «الإسكافية العجيبة». وله كتاب في

سيرته أسماه: «سيرة حياتي».

(انظر ترجمته في: موسوعة الفلسفة ١: ٢٩٤ ـ ٣١٨، ملحق موسوعة السياسة: ٢٠٩، الموسوعة العربية العالمية ٤: ٢٤٦، وركبت السفينة: ٣٨٤، تجديد الخطاب الديني: ٢٨٠ ـ ٣٠٣، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٥٠ ـ ٦٥٤، روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة: ٢٠٥ ـ ٢٤٦).

عبد الرحمان الجودر

عبد الرحمان علي الجودر: داعية إسلامي من أعيان البحرين.

ولد بها، ورحل إلى مصر للدراسة في الكلّية الصناعية عام ١٩٤٦م، فتأثّر بالشيخ حسن البنّا ومنهجه، فانتسب إلى جماعة «الإخوان المسلمين»، فكان أوّل طالب بحريني بينهم، وعاد إلى بلده، فبدأ حياته العملية إماماً وخطيباً في مدينة المحرّق، وأخذ ينشر فكرة جماعته بنشاط ملموس وصبر واحتساب.

عيّن مديراً لإحدى المدارس ببلاده، وكان أحد الأعضاء المؤسّسين للهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت، ومدير جمعية «الإصلاح الاجتماعي» بالبحرين، كما اختير عضواً في المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.

توفّي سنة ١٩٩٠م تاركاً مكتبة كبيرة.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٢٧، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٧٩، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩١٦).

عبد الرحمان الخيّر

الشيخ عبد الرحمان ابن الشيخ محمّد المعروف بالدرويش ابن الشيخ ديب ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ علي الملقّب بالخيّر: أحد الأفاضل من روّاد التقريب.

ولد سنة ١٩٠٤ م في «حي علوش» في موضع «قرداحة» التابع لمحافظة اللاذقية شمال سورية، ودرس في صغره لدى الكتاتيب، ثمّ على والده مبادئ العربية ومقدّمات علوم القرآن وفقه أهل البيت، ودخل المدرسة الرشادية وبها تعلّم الحساب والتاريخ واللغة التركية، وتابع بقرية العنازة قرب بانياس، فلمّا أُغلقت مع الثورة السورية تابع دراسته

الدينية والأدبية على العلّامة الشيخ سليمان الأحمد ولازمه، ثمّ تعلّم الفرنسية وأتقنها، وقد عيّن لأوّل مرّة معلّماً في مدرسة قرية الشيخ يونس بـ«صافيتنا».

وفي عام ١٩٢٥ م أسّس وجماعة من أصدقائه جمعية «اللاطائفية» السرّية، وكانت جمعية إصلاحية لمكافحة التعصّب العشائري والعزلة الاجتماعية ومعالجة حالات الجهل والفقر والحرمان التي خلفتها العهود البائدة من ظلم المتسلّطين وتجاوزهم ووحشيتهم بحقّ أبناء الطائفة، وأنتجت الجمعية من عملها خلال سنين عدّة ثمار طيّبة فيما كانت تهدف إليه من طموحات النهوض والرفعة.

وفي عام ١٩٢٧ م عمل الخيّر في مدرسة الجامع الجديد باللاذقية، وبعد سنة عيّن مديراً لمدرسة (القرداحة)، وفي هذا الأثناء أسّس «المدرسة التهذيبية» في بلدة برمّانة، واستقبلها أبناء الجبل بالترحاب، ولما دأب عليه المستعمرون والمتآمرون على محاربة الفكر وهدم المعاهد فقد حاربوا الخيّر وأغلقوا مدرسته، وبقي طيلة حياته ينتقل من بلد لآخر ومن معهد لآخر، وقد توسّع نشاط الشيخ من خلال إشرافه على بناء المساجد والحسينيات ومحاضراته اليومية وتأسيسه للجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في اللاذقية سنة ١٩٥٠ م، والتي قامت ببناء عشرات المساجد في المدن والقرىٰ ونشطت في بثّ الثقافة الدينية.

وقد ضاقت السلطات به ذرعاً، فاعتقلته واضطرّته لمغادرة «الجبل العتيد» الذي احتضنه طفلاً ويافعاً وشابّاً مجاهداً مكافحاً لرفعة شأنه وعزّة أبنائه، فانتقل إلى دمشق بعدما صودرت أوراقه وكتبه. وقد وقف نفسه على بناء جامع وحسينية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حي الأمين بدمشق، وكان صوته إلى كلّ المسلمين ومن دعاة وحدتهم.

من آثاره وكتبه: العقد النظيم فى مدائح وتأبين الشيخ صالح ناصر الحكيم، ونقد «تاريخ العلويّين» لمحمّد أمين الطويل، وتحفة المؤمن في فضل يوم الجمعة وبعض الأشهر، وقصّة التقريب (أبحاث دينية)، و«قضاء أمير المؤمنين» للشيخ حسين الشفاني (شرح وتعليق)، والعلويّون شيعة أهل البيت، ومن نداء الإيمان (محاضرات دينية أُذيعت

من دمشق)، وللحقيقة والتاريخ، وموقف الدين الإسلامي من الإجهاض والتعقيم، ورسائل من أب إلى ابنته، وساعات مع الكتب والرجال، ومن الطلائع، والصلاة والصيام وفق المذهب الجعفري، والغلوّ في الأدب العربي، ويقظة المسلمين العلويّين (مقالات متسلسلة)، والتوجيه الديني، وكتب عديدة أُخرى.

توفّي بدمشق سنة ١٩٨٦ م، ولابنه الأُستاذ هاني الخيّر كتاب: «من تراث عبد الرحمان الخيّر».

ومن أقواله في التقريب: «إنّنا نجزم بأنّ مصلحة المسلمين جميع المسلمين دون استثناء تقضي بأن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه من روايات واجتهادات، وأن يشدّ بعضنا أزر بعض فيما اجتمعنا عليه من كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا، وبهذا وحده نستطيع الوقوف صفّاً واحداً كأنّنا بنيان مرصوص في وجه الهجمات الإلحادية الغازية لمجتمعاتنا، وفي وجه الإثارات الطائفية المبعثرة لقوّاتنا، وكلا النوعين من الهجمات يخطّط بخبث وغباء لتمكين الهجمات الاستعمارية من السيطرة على بلادنا، واستغلال اقتصادنا، وإضعاف دولنا عن النهوض، وإلهائها عن كلّ اتّحاد ووحدة صحيحين بالتطاحن الداخلي للمحافظة على المكاسب الآنية والمناصب الخادعة والحدود المصطنعة».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٢٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٥٩ـ ٣٦٠).

عبد الرحمان السميط

عبد الرحمان حمود السميط: طبيب كويتي، وداعية إسلامي، ورئيس مجلس إدارة جمعية «العون المباشر».

ولد عبد الرحمان السميط في مدينة الكويت سنة ١٩٤٧ م، والتحق بمدارسها التأهيلية حتّى أنهى تعليمه الثانوي، ثمّ التحق بجامعة بغداد لإتمام تعليمه الجامعي، وتخرّج من الجامعة، وحصل على بكالوريوس الطبّ والجراحة.

انتقل إلى ليفربول في المملكة المتّحدة، وانخرط في جامعتها، ونال دبلوم أمراض

المناطق الحارّة سنة ١٩٧٤م، وواصل دراسته العليا في كندا، وتخصّص في أمراض الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية.

بعد أن أتمّ الدكتور السميط تعليمه العالي في كندا رجع إلى بلاده وعمل كطبيب باطني في مستشفى الصباح، ثمّ أراد أن يتطوّع في سلك العمل الخيري، وبالتحديد التطوّع للعمل الخيري في قارّة أفريقيا، فالتجأ إلى وزارة الأوقاف في الكويت لوفرة الموارد المادّية وانسجام فكرة السميط مع الإطار العامّ للوزارة، فاصطدم الدكتور بالبيروقراطية الحكومية، ولم يحرز تقدّماً مع وزارة الأوقاف، إلّا أنّ أحد المتصدّقات الكويتيات أوكلت للدكتور مهمّة بناء مسجد على نفقتها في ملاوي الأفريقية، وهاله مقدار التخلّف والحالة المزرية والفاقة التي ألمّت بالأفارقة، وعزم على تغيير ذاك الوضع.

في سنة ١٩٨١م قام الدكتور عبد الرحمان السميط بتأسيس لجنة «مسلمي أفريقيا» بالتعاون مع ناشطين إسلاميّين آخرين في مجال العمل الخيري، وكانت تابعة لجمعية «النجاة الخيرية»، وظلّت كذلك حتّى تمّ تغيير مسمّاها من لجنة «مسلمي أفريقيا» إلى «جمعية العون المباشر الدولية» Direct Aid International، وقد تفرّغ الدكتور تماماً للعمل الخيري، وهجر مهنة الطبّ للعمل الميداني في أفريقيا.

يتمتّع الدكتور السميط بخبرة ميدانية ومعلومات موسوعية عن الحياة في أفريقيا، حيث كان يقضي شهوراً في المناطق المتضرّرة والمنكوبة في أفريقيا.

تعرّض الدكتور السميط في أوائل التسعينات إلى جلطة قلبية ناجمة عن الإجهاد أثناء عمله في المجاعة في القرن الأفريقي (كينيا والصومال)، حيث تمّ نقله بطائرة عسكرية إلى الرياض لتلقّي العلاج.

يحظى الدكتور السميط بسمعة طيّبة في الكويت وخارجها نظراً لجهوده الخيرية في أفريقيا، وللتطوّر الكبير في العمل الخيري الذي أحدثه أثناء تولّيه لزمام الإدارة في لجنة مسلمي أفريقيا. وقد نال الدكتور السميط جائزة الملك فيصل الخيرية عن خدمة الإسلام سنة ١٩٩٦م، وفي سنة ٢٠٠٦م نال جائزة حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبّية

العالمية ؛ لدوره في مجال الطبّ والعمل الخيري.

وقد أثمر هذا الكفاح الطويل عن نتائج عظيمة، فهناك آلاف الدعاة الذين يعملون في «جمعية العون المباشر»، وهم ممّن أسلم على يد الدكتور السميط، وأصبحوا دعاة للإسلام، ومنهم قساوسة ورجال دين نصارىٰ اعتنقوا الإسلام، وقد وصل عددهم إلى خمسة ملايين نسمة من أربعين دولة خلال ثلاثين عاماً قضاها الدكتور السميط في الدعوة إلى الإسلام في القارّة السوداء.

يقول الدكتور السميط: «خلال سنوات عملي لأكثر من ربع قرن في أفريقيا كان أكثر ما يدخل السرور في قلبي أن أرى شخصاً يرفع السبّابة إلى أعلى ويعلن شهادة التوحيد.. الله أكبر».

ومن بعض الإنجازات التي تحقّقت طوال السنين الماضية من الدعوة: بناء ١٢٠٠ مسجد، ورعاية ٩٥٠٠ يتيم، وحفر ٢٧٥٠ بئراً ارتوازية ومئات الآبار السطحية، وتوفير ١٦٠ ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس، ونشر ٥١ مليون نسخة من المصحف، وإنشاء ١٠٢ مركز إسلامي متكامل، و عقد ١٤٥٠ دورة للمعلّمين وأئمّة المساجد، ودفع رسوم الدراسة عن ٩٥ ألف طالب مسلم فقير، وبناء وتشغيل ٢٠٠ مركز لتدريب النساء.

يقول في مقالة نشرتها مجلّة «رسالة التقريب»: «... تشكّل الخصائص المشتركة التي تناولناها في البند السابق القاعدة العريضة للإسهامات التي تقدّمها مؤسّسات ومنظّمات المجتمع المدني / الأهلي في اتّجاه وحدة الأُمّة الإسلامية، سواء على مستوى المشاعر والمبادئ والقيم الحاكمة للسلوك الفردي والجماعي، أو على مستوى المواقف العملية والتجانس المؤسّسي والتنظيمي الذي يمهّد الطريق لتحقيق مبادئ التكافل والتعاون والتضامن على أرض الواقع.

والسؤال هنا هو: كيف تسهم مؤسّسات وتنظيمات المجتمع المدني / الأهلي في تحقيق وحدة الأُمّة الإسلامية ؟

إنّ الجواب على هذا السؤال يقتضي النظر في السجل التاريخي لخبرة مؤسّسات

المجتمع المدني / الأهلي في البلدان العربية والإسلامية، والنظر أيضاً إلى هذا السجل في الواقع المعاصر. وسيتّضح أنّ إسهام هذه المؤسّسات في دعم وحدة الأُمّة يتطلّب باستمرار وجود مناخ عامّ يساعد على تفعيل هذا الإسهام وزيادة جدواه، ويقلّل من العوائق والإشكاليات التي تحدّ من فعّالية هذا الإسهام.

ويمكن القول: إنّ الملامح العامّة لهذا المناخ تتمثّل في وجود إرادة الوحدة بين مختلف شعوب الأُمّة، وأن تكون هذه الإرادة هي الغالبة علىٰ كافّة المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وأن تكون مدعومة بأُطر تنظيمية ومؤسّسية تعمل في تناغم وتناسق من أجل تحقيق أمل الوحدة ولو في الأجل البعيد، وأن يكون هناك قدر كبير من التجانس والاتّفاق بين صفوف النخب الفكرية والسياسية التي تؤثّر في اتّجاهات الرأي العامّ، وتمسك بزمام عمليات صنع القرار، وتقود دفّة الحكم في البلدان العربية والإسلامية. فإذا ما توافر هذا المناخ كان بالإمكان لمؤسّسات المجتمع المدني /الأهلي أن تسهم بفاعلية في السير قدماً نحو تحقيق حلم الوحدة بين مختلف أقطار الأُمّة وشعوبها.

وفيما يلي بيان أهمّ الأدوار الفعلية التي تسهم بها في دعم التوجّه نحو وحدة الأُمّة في الواقع المعاصر:

١ ـ تجديد الشعور بالانتماء إلى الموحّدات الحضارية الكبرى.

المقصود هنا هو تلك العوامل التي وحّدت الأُمّة الإسلامية وشدّت أزرها في العصور السابقة، وفي مقدّمتها: العقيدة، والشريعة، واللغة، والقيم الأخلاقية، وقد نبعت من هذه الموحّدات منظومة القيم والأخلاقيات الإسلامية التي تندرج ضمنها القيم والمبادئ التي تحضّ على العمل الخيري والتطوّعي، وهي التي لا تعترف بالحدود السياسية المصطنعة، ولا بالحواجز العرقية أو الاختلافات المذهبية. وتستند إلى تلك المنظومة كما ذكرنا آنفاً مؤسّسات ومنظّمات العمل الأهلي والمدني في أغلبية البلدان العربية والإسلامية. إنّ عمل هذه المؤسّسات التي هي متنوّعة ومتعدّدة بالضرورة أيضاً يعني أنّ حصيلة العمل لا بدّ وأن تصبّ في اتّجاه تجديد عوامل الوحدة ودعمها، وتسهم بالقدر نفسه ـ ولكن في اتّجاه

عكسي ـ في إضعاف عوامل التفرقة القائمة على أُسس مذهبية أو عرقية أو جهوية.

٢ ـ تقوية نسيج البنية التحتية لوحدة الأُمّة.

تتمثّل هذه البنى في عديد من دوائر الانتماء الأوّلية التي تبدأ بالأُسرة، وتمرّ بالجماعات الحرفية والمهنية والمذهبية والثقافية والنقابية والاتّحادات النوعية، وتنتهي بالأُمّة في مجموعها. وفي رأينا أنّ مفهوم وحدة الأُمّة يظلّ غامضاً وهلامياً ما لم يتمّ التعبير عنه في كيانات فرعية قوية بحيث يغطّي كلّ كيان منها مساحةً أو مجالاً أو نشاطاً أو ميداناً من ميادين العمل المتعدّدة والمتنوّعة. ومن تكامل هذه التكوينات الفرعية يتشكّل الجسد العامّ للأُمّة داخل إطار نسق تحكمه منظومة واحدة من القيم والموجّهات النابعة من المقاصد العامّة للشريعة على نحو ما بيّناه آنفاً. وقد رأينا فيما سبق أنّ أغلبية مؤسّسات وتنظيمات المجتمع المدني /الأهلي في البلدان العربية والإسلامية ترتكز على تلك الدوائر الأوّلية للانتماء، ويكاد يتوقّف نجاحها في أداء مهمّاتها على مدى ارتباط كلّ منها بدائرة أو أكثر من تلك الدوائر. ولولا وجود المؤسّسات والتنظيمات المدنية /الأهلية لكان من الصعب جدّاً المحافظة على التماسك الداخلي بين عناصر الأُمّة وجماعاتها المختلفة، ومن هنا يبرز الدور الكبير الذي تسهم به مؤسّسات وتنظيمات المجتمع المدني في تقوية نسيج الوحدات الفرعية للكيان الجماعي للأُمّة جنباً إلى جنب الدور الذي تسهم به المؤسّسات والتنظيمات الحكومية.

إنّ أهمّية هذا التعدّد المؤسّسي والتنظيمي المدني /الأهلي في تحقيق وحدة الأُمّة تتجلّى في الوظائف التي تقوم بها تلك الكيانات المؤسّسية والتنظيمية على المستويات المحلّية والقاعدية التي تعمل في إطارها وتقدّم خدماتها للمنتمين إليها. ومن أهمّ هذه الوظائف التوحيدية أنّها تسهم في بلورة اتّجاهات متجانسة للرأي العامّ على أُسس وثيقة الارتباط بالواقع وبما يثيره من تحدّيات. فلو تخيّلنا مثلاً أنّ جميع المؤسّسات والتنظيمات المدنية/ الأهلية في كلّ البلدان العربية والإسلامية العاملة في مجال الرعاية التعليمية تنطلق من ذات المنظومة القيمية والأخلاقية الإسلامية وتحتكم إلى معاييرها في تقدير ما

تحقّقه من إنجازات، لو تخيّلنا هذا وكان بالإمكان تحقيقه على أرض الواقع إذن لأمكننا الحديث بقدر كبير من الثقة عن وجود لبنة قوية من لبنات وحدة الأُمّة في هذا المجال التعليمي، وكذلك الحال بالنسبة لبقية المجالات الأُخرى، سواء كانت خدمية أو إغاثية أو تنموية.

٣ ـ حفز التعاون في مختلف المجالات.

يتجلّى هذا الدور الذي تسهم به مؤسّسات ومنظّمات المجتمع المدني / الأهلي بشكل واضح من خلال ما تخلقه البرامج والنشاطات والمشروعات التي تنفّذها على المستوى عبر ـ الوطني، وذلك بهدف توسيع نطاق المستفيدين من تلك المشروعات والخدمات ليشمل عدّة دول عربية أو إسلامية أُخرى. وقد شهد العقدان الأخيران ظهور عدد لا بأس به من الجمعيات والهيئات والشبكات الأهلية التي تعمل داخل الوطن الأُمّ وخارجه في العديد من البلدان العربية والإسلامية، ومنها على سبيل المثال: جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي أفريقيا سابقاً)، وهي تعمل في أكثر من ثلاثين دولة أفريقية جنوب الصحراء الكبرى، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وهي تعمل في بلدان عربية وإسلامية كثيرة، ويغطّي نشاطها أيضاً الأقلّيات الإسلامية في الدول غير الإسلامية لدعم المشروعات التنموية للأُمم المتّحدة، وتغطّي مشروعاتها بلدان كثيرة أيضاً عربية وإسلامية، والمنظّمة العربية لحقوق الإنسان التي تهتمّ بقضايا الحرّيات العامّة واحترام حقوق الإنسان في الوطن العربي. وهناك أيضاً الشبكة العربية للمنظّمات الأهلية التي سبقت الإشارة إليها، وغير ذلك كثير من الجمعيات والشبكات والمنظّمات الأهلية والمدنية والاتّحادات المهنية والنقابية والحقوقية التي تصبّ كلّ مجموعة منها في مجال واحد عبر مختلف البلدان العربية والإسلامية، ولا يقتصر فقط على دولة المؤسّسة أو المنظّمة أو الجمعية.

وإذا ألقينا نظرة تحليلية شاملة على برامج ونشاطات مثل تلك الجمعيات والمنظّمات والشبكات يتّضح لنا أنّها تسهم في تغذية عوامل الوحدة بين شعوب وبلدان العالم العربي والإسلامي من أكثر من زاوية، أهمّها الآتي:

أ ـ إنّ كلّ مجموعة منها متماثلة الاهتمامات تسهم في الكشف عن تشابه المشكلات والتحدّيات التي تواجهها المجتمعات العربية والإسلامية، وكذلك التشابه الكبير في الحلول التي يمكن من خلالها التغلّب على تلك المشكلات والتحدّيات، سواء في مجال التنمية ومحاربة الفقر والبطالة، أو في مجال الرعاية الاجتماعية ومساعدة المحتاجين، أو في مجال الحريّات العامّة وحقوق الإنسان.

وكلّما زاد اعتماد هذه الجمعيات والمنظّمات على المرجعية الإسلامية في توجيه أعمالها ونشاطاتها كلّما زادت فعّالية الدور الذي تسهم به في التقريب بين شرائح الأُمّة وتكويناتها الاجتماعية المتعدّدة. وليس من الممكن اكتشاف هذه الأبعاد إلّا بالممارسة العملية وعبر التجربة والاحتكام المباشر بحقائق الواقع ومتطلّباته.

ب ـ إنّ المشروعات والبرامج المختلفة التي تقوم بها هذه الجمعيات والمنظّمات عابرة القطرية تتطلّب تعبئة قدر لا بأس به من الموارد البشرية والمادّية اللازمة لوضعها موضع التنفيذ، ولتوفير هذه الموارد تلجأ كلّ جمعية أو منظّمة إلى توظيف أعداد كبيرة من الكوادر والمتخصّصين من أبناء العرب والمسلمين للعمل لديها، الأمر الذي يتيح الفرصة أمامهم لتبادل الخبرات ولتوسيع مداركهم بأوضاع العالم العربي والإسلامي واكتشاف عناصر الوحدة بين مختلف شعوبه وأقطاره، وتكون الجمعية أو المنظّمة في هذه الحالة بمثابة جسر الوصل بينهم وبين البلدان التي تعمل فيها. كما أنّ الموارد المادّية اللازمة للمشروعات والبرامج تسهم في هذا الاتّجاه نفسه من خلال تشجيع بعض عمليات التبادل التجاري بين البلدان الإسلامية، وتفضيل منتجاتها على المنتجات الأجنبية، ونقل المساعدات والموارد من بلاد الوفرة إلى بلاد الندرة مثلاً.

ج ـ إنّ كلّ تقدّم أو نجاح تحقّقه مؤسّسات ومنظّمات المجتمع الأهلي / المدني في تقوية الشعور بأواصر الوحدة ودعمها بين البلدان العربية والإسلامية، من شأنه أن يحفّز التعاون والتنسيق في مجالات أُخرى اقتصادية وسياسية وثقافية تصبّ في هذا الاتّجاه التوحيدي نفسه، وذلك بفعل تأثير قوّة المثل ((Demonstration Effect)، وقد تقوم

شبكة من التعاون والتنسيق بين منظّمات أهلية من جهة ومؤسّسات وشركات اقتصادية ربحية من جهة أُخرى، وذلك من باب لزوم ما يلزم وأنّ ما لايتم الواجب إلّا به فهو واجب، وتكون المصلحة متحقّقة لجميع الأطراف في جميع الحالات.

د ـ إنّ التعاون الناجح بين مؤسّسات ومنظّمات المجتمع الأهلي / المدني من شأنه أن يعزّز التعاون القائم بين المؤسّسات الحكومية العربية والإسلامية وبين الحكومات نفسها، ومثل هذا التعاون بدوره يصبّ في دعم قوى الوحدة والترابط والتكامل بين شعوب الأُمّة من جهة وبين هذا الشعوب وحكوماتها من جهة أُخرى، ويتدعّم هذا الترابط مع اكتشاف حقوق العمل الميداني على كافّة الأصعدة بين مؤسّسات ومنظّمات أهلية وأُخرى حكومية في إطار تعاوني مشترك، وبعيداً عن الصراعات والانقسامات التي تعوق وحدة الأُمّة ولا تحقّق سوى مصلحة القوى المتربّصة بها».

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١٣: ١٢٦).

عبد الرحمان عزّام

عبد الرحمان عزّام: سياسي مصري، وأوّل أمين عامّ لجامعة الدول العربية.

ولد بقرية الشوبك بالجيزة سنة ١٨٩٣م لأُسرة معروفة بها، ودرس الطبّ في القاهرة، ثمّ بلندن سنة ١٩١٠م، ولكن صرفته السياسة عنه.

اتّصل بالحزب الوطني ورئيسه محمّد فريد، وتطوّع بالجيش التركي في حرب البلقان سنة ١٩١٣م، واشترك في عدّة معارك بالصحراء الغربية مع القبائل العربية خلال الحرب العالمية الأُولى (وفي الفترة من ١٩١٥م ـ ١٩١٧م)، واكتسب شهرة واسعة كمقاتل مع السنوسيّين بليبيا، وقد حكم عليه الطليان بالإعدام، وعاد إلى مصر بعد الحرب وانضمّ للوفد وشارك سعد زغلول في حركته سنة ١٩١٩م، وانتخب عن دائرة العيّاط بالجيزة سنة ١٩٢٣م.

مثّل الوفد في المؤتمر العربي سنة ١٩٣١م، وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر.

ابتعد عن حزب الوفد، وعيّن وزيراً مفوّضاً في العراق وإيران سنة ١٩٣٦م، والسعودية وأفغانستان سنة ١٩٣٧م، ونقل إلى تركيا سنة ١٩٣٩م.

واختير عضواً بالوفد المصري لمؤتمر فلسطين بلندن سنة ١٩٣٩م، واختير أيضاً وزيراً للأوقاف ثمّ للشؤون الاجتماعية في وزارة علي ماهر من آب ١٩٣٩ م إلى حزيران ١٩٤٠م، واستمرّ بعد خروجه قائداً للقوّات المرابطة، ثمّ سحبت منه وعاد لوزارة الخارجية، وعرف عنه اتّصاله الوثيق بعلي ماهر.

كان أوّل أمين عامّ لجامعة الدول العربية عند إنشائها من سنة ١٩٤٥م إلى سنة ١٩٥٢م. وبعد ثورة ٢٣ / يوليو / ١٩٥٢ م استقرّ بالسعودية مستشاراً سياسياً لها، وعاد إلى مصر سنة ١٩٧٤م، ومثّل بلده في كثير من المؤتمرات العربية والدولية.

كانت له مواقف متعدّدة في الدفاع عن قضية فلسطين بالأُمم المتّحدة، كما كان داعياً لدخول الجيوش العربية في حرب فلسطين.

توفّي عام ١٩٧٦ م.

وقد عدّه الدكتور محمّد عمارة من أعلام مدرسة الإحياء والتجديد.

ولعزّام كتاب ممتاز بعنوان «الرسالة الخالدة»، وهذا الكتاب يمكن اعتباره من كتب تاريخ الفكر التقريبي المعاصر، كُتب قبل حوالي سبعين عاماً، وطرح الكاتب في فصوله الأُسس العامّة للإسلام.. ابتدأ من العقيدة، ثمّ تحدّث عن الإصلاح الاجتماعي، وبعدها استعرض علاقة الدولة الإسلامية بالأُمم الأُخرى في حالتي الحرب والسلم، وتناول أسباب الاضطراب العالمي، ودرس الجانب الروحي في الحضارة الحقيقية، ثمّ وقف عند النظام الأساسي للدولة الإسلامية، وبيّن أسباب انتشار الدعوة الإسلامية بين الأُمم.

وصاحب الكتاب عاصر فترة حادّة من فترات الهجوم الثقافي الصليبي المعاصر على الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، فراح يدافع عن الإسلام، بل ويحمل على خصومه بلغة علمية موضوعية تجمع بين وضوح البيان وسلاسة الطرح وأصالة المبنى وعالمية النظرة.

هذا المسلم المصري كما يتبيّن من كتابه لم يكن محدوداً في فكره، بل إنّه نظر إلى الإسلام نظرة شمولية مستوعبة، كما أنّه لم يكن محدوداً في تحرّكه، فقد تجوّل في الشرق والغرب في مهمّات رسمية وجهادية، ولذلك وقف على مشكلة تمزّق العالم الإسلامي، ودعا إلى وحدته، وأحسّ بخطر النعرات القوميّة.

نقف فقط عند جانب دعوته إلى وحدة المسلمين ونبذ التنافر القومي والوطني والعنصري، فهي دعوة قائمة على أساس تجربة فكرية وعملية بين المسلمين قبل أكثر من نصف قرن من الزمان.

في معرض حديثه عن أسباب النزاعات العالمية يقف الأُستاذ عزّام عند النزعات العنصرية والوطنية، ويقول: «ولننظر الآن في سبب آخر من أسباب الاضطراب العالمي، وهو الإفراط في النزعة الوطنية والعنصرية، وما ترتّب عليها من الأثرة وحبّ الانفراد بالعزّة والسلطان وإنكار حقوق الآخرين، ثمّ النزاع والتسلّح والحرب.

كان الناس يتنافسون قبائل ويتحاسدون ملوكاً ويختلفون على الله أو في سبيل الله، ولم تكن نعرة الوطن ولا نعرة العنصر فاصلاً حاسماً بين المجموعات البشرية كما أرادتها المدنية الحديثة، وتاريخ العرب والترك والبربر وغيرهم من الأقوام الإسلامية حافل بالنزاع القبلي بعيد عن النزاع العنصري، وكذلك كان الشأن في أوروبّا، وكانت الأُسرة الملكية تضمّ تحت رايتها باسم الولاء للملك أو باسم الولاء للمذهب قبائل وشعوباً تتّحد مصالحها وإن اختلفت أُصولها أو لغاتها، وأحياناً عقائدها. وكثيراً ما تكون هذه الأُسرة غريبة، أو تكون من الأقلّية القومية في الدولة، فتتكوّن تحت رايتها مجموعة تربطها القوانين وتتّسع لأقلّيات شتّى تعيش تحت الراية، ينالها من الشقاء والسعادة مثل ما يصيب الجميع.

وكثيراً ما تكون هذه الأقلّيات أرغب في هذه الراية والولاء لها منها لأقرب الأقوام والعناصر من جنسها أو لغتها تحت رايةٍ أُخرى.

كان الأمر كذلك في كثير من الدول التي عاصرناها كالدولة العثمانية تحت لواء آل عثمان، والدولة النمساوية المجرية تحت لواء آل هبسبرج، وقد شاهدنا شعوباً من العرب

أشدّ ولاءً وإخلاصاً لدولة آل عثمان منهم لأُمرائهم وأشرافهم من العرب.

وكان الأمر كذلك في الدول القديمة، وفي دول القرون الوسطى، كـالدولة العـبّاسية والإمبراطورية الرومانية المقدّسة والإمبراطورية البيزنطية، وكذلك عرفنا من الصقالبة في دولة النمسا من كانوا أوفى لها منهم لأبناء عمومتهم من الروس.

كذلك كان يرقى سلّم المناصب كلّ من سمحت له مواهبه وظروفه في خدمة الملك أو السلطان، فتجد البرامكة وآل طاهر الإيرانيّين أعلى الناس مقاماً في خلافة الهاشميّين من العرب، وعائلة «كوبرلي زاده» من الأرنؤوط في خلافة العثمانيّين من الترك، بل لقد صعد هذا السلّم من العبيد في الدول الإسلامية عدد أكثر بكثير ممّا تأذن به نسبتهم العددية، وبلغ الذروة من المماليك ما بين مصر والهند في الدول الإسلامية عشرات السلاطين ممّن لاتزالُ آثارهم خالدةً في دلهي والقاهرة، وفي تلك الساحة الإسلامية العظيمة من الأطـلسي إلى الهادي.

ولم يكن الناس يتساءلون عن عنصر ولا أصل، وإنّما يساءلون عن عملٍ وخلقٍ ودينٍ. فمن المماليك الذين وصلوا إلى أعلى مناصب الدولة في مـصر والبـلاد الإسـلامية نـجد الأرمني والروسي والصقلي والكرجي والشركسي والتتري والتركي والفرنجي والسوداني والحبشي. ولو تعقّبنا أنسابهم لانكشفت لنا عن جميع ألوان البشر.

فلم تكن الوطنية بمعناها الحديث ولا القومية بعصبيتها الحاضرة حـدّاً فـاصلاً بـين الناس كما صارت في العصور الأخيرة».

ثمّ يتحدّث عن المشكلة التي خلقتها النزعات القومية والوطنية في أوروبّا وآثار هذه المشكلة في الشرق نتيجة لتقليده الغرب، ويقول: «فالوطنية والقومية بمعناهما الحالي لم تكونا مع الأسف خطوة في سبيل الاستقرار، بل كانتا عاملاً لزيادة الاضـطراب العـالمي، وسبباً جديداً لنزاع أوسع دائرةً وأعصى حلّاً.

فإنّ الوطن باعتباره مُقاماً جغرافياً لقومٍ من الأقوام لم يستطع أن يحدّد حدوداً لجنسه من غير أن يصطدم بقوم آخرين وبانتشارهم، ولم تساعد الطبيعة إلّا نـادراً عـلى تـحديد

ساحة خاصّة لعنصر خاصّ. ففي أوروبّا كلّها لا تجد إلّا الجزر البريطانية التي حدّدها البحر، ومع ذلك فلم تخل إيرلندا من نزاع مع بريطانيا على مقاطعة «ألستر» في شمال إيرلندا.

وقد مرّ قرنان على الأقلّ على أوروبّا وقد غرقت في دماء حروبها لتعديل الحدود وتحرير الأقلّيات بين الفرنسيّين والألمان، وبين هؤلاء والنمساويّين، وبين هؤلاء وهؤلاء والصقالبة، وبين النمسا وإيطاليا، وبين البلقانيّين جميعاً، وبينهم وبين الدولة العثمانية، وبين روسيا وجيرانها من الغرب أو الشرق أو الجنوب، وبين التشيك والبولنديّين والمجر والرومانيّين.

وهكذا نجد النزاع على ما يسمّى الوطن وحدوده قائماً لا يستقرّ، بل يتزايد على مدى الأيّام، وعلى قدر الحِدّة في العنصرية والوطنية. فما لم تكن الطبيعة بالمصادفة قد فصلت في الأمر ببحر أو جبل فلا بدّ من النزاع!

وهذه المشكلة الأوروبّية المستعصية وما يتبعها من نزاع على الحدود ونزاع على العنصرية وما تنطوي عليه من مشاكل الأقلّيات، أخذت تنتقل إلى الشرق نتيجةً لتأدّبه بأدب الغرب، واعتناقه نظرية الوطن والقومية، فأخذنا نسمع في السنين الأخيرة بقضايا شبيهة بالقضايا البلقانية على سنجق الإسكندرونة بين سوريا وتركيا، وعلى شطّ العرب والحدود بين العراق وإيران. ولم يكن المسلمون بتربيتهم المحمّدية يتنازعون على مثل هذه القضايا باعتبارها مشاكل عنصرية، وستكون هذه المشاكل سبباً لبلاء الشرق كما كانت سبباً للحروب الدامية في الغرب، فيتنازع العرب والترك والكرد والشركس والأذربيجانيّون والإيرانيّون والأفغان والهند والأزبك والصين والمغول.. إلى آخرهم على الحدود والأقلّيات، حتّى يدخل الشرق جحر الضبّ الذي دخله الغرب».

ومن بعد ذلك يقول: «ولا تزال هذه الأُخوّة التي دعا إليها محمّد ﷺ أحسن ما بقي في نفوس مسلمي اليوم، رغم ما هم عليه من بُعد عن روح الإسلام، فهي متجلّية فيهم لمن يرحلون في أطراف الأرض الإسلامية كما تجلّت لابن بطّوطة قبل سبعة قرون، ولمن قبله

ومن بعده.

وقد شعرت بها لأوّل مرّة في شبابي في جبال الأرنؤوط بألبانيا، فقد دخلت تلك البلاد ولا عهد لي بها ولا معرفة بأحد من أهلها، وكان طريقي إليها من بحر الأدرياتيك، فنزلت «بكاترو» وذهبت إلى «ستنجه» عاصمة الجبل الأسود وقتئذٍ، وكان أهل الجبل في حالة حرب مع الدولة العثمانية، وكنت متنكّراً بصفة مراسل لجريدة إنجليزية، أقصد التطوّع مع المدافعين عن «أشقودره» من الترك والألبان، فلمحت في المدينة اسماً إسلامياً على دكّان، فقدّمت نفسي إلى صاحبه، وكأنّما كنّا على موعد! رغم أنّ حديثنا كان بالإشارة، وما لبث أن جاء لي بفقيه يعرف قليلاً من العربية، فتفاهمنا، وتولّى الرجل بعد ذلك أمري كلّه حتّى وصلت إلى «أشقودره» وتنقّلت في بلاد الأرنؤوط من الشمال إلى الجنوب، يوصي بعضهم بعضاً بي، ولو كنت بين أهلي ما وجدت منهم حبّاً أكثر ممّا أوجدته لي الأُخوّة الإسلامية في تلك الأيّام العصيبة، أيّام حرب البلقان، بل إنّي لا أزال أذكر أنّهم أوجدوا في كلّ بلد من يعرف العربية ومن يلازمني لخدمتي ومعاونتي.

وهذه الروح ذاتها هي التي وجدتها في شمال إفريقية أثناء الحرب العالمية الأُولى، وهي التي لمستها في الهند حينما كان الناس يحفّون بي ويستبشرون، ولمّا علموا أنّ مصر صارت دولة مستقلّة وأنّني رسولها إلى الأفغان فرحوا كأنّما أيّام عزّهم قد أقبلت!

هذه الروح التي خلقتها الدعوة المحمّدية إلى الأُخوّة هي التي شهدتها كذلك في إيران والأفغان وتركيا والعراق والشام والحجاز وغيرها، وفي كلّ جولة من جولاتي في بلد لا تزال للإسلام أو بقي فيها مسلمون، وهي التي يخرج بها معتزّاً الأفغاني من المشرق أو الفلاتي من أقصى أفريقية الغربية، فيطوي آلاف الأميال سيراً إلى مكّة متوكّلاً؛ لأنّه يمشي من أهل إلى أهل، ومن إخوان إلى إخوان، حتّى يرد المكان الذي جهر فيه محمّد بالدعوة إلى هذه الأُخوّة العامّة.

كنت مرّة قاصداً من الرياض عاصمة نجد إلى مكّة، وكان بينهما سفر خمسة أيّام بالسيّارة في ذلك الوقت. وفي اليوم الثاني لاح لي رجلان يمشيان، فوجّهت السائق

ناحيتهما، وسألتهما أصلهما وقصدهما، فلم يفهما لعجمتهما، إذ أنّهما كانا من «قندهار» بالأفغان، وكان موسم الحجّ مقبلاً! فأدركت أنّهما يريدان الحجّ، فشقّ عليّ أن أتركهما وحملتهما معي إلى مكّة. وفي الليالي التي قضيناها بالطريق، رغم جهل بعضنا لغة بعض، كانت روح الأُخوّة ناطقة بكلّ حاسّة، ولو لا هذه الأُخوّة لما طوى هذا الرجلان الأرض، لا يملكان شيئاً من الدنيا إلّا أنّ الدعوة المحمّدية قد آخت بينهما وبين البلوش والفرس والعرب ممّن تنقّلوا في أوطانهم.

نعم، إنّ هذه الأُخوّة تضعف في أقطار المسلمين بضعف التديّن وقيام النعرات الجنسية، وأعظم من ذلك بسيطرة المادّة على النفوس، فهي تكاد تقضي على الأُخوة في البيت والأُسرة الواحدة».

ويظهر أنّ هذه الروح التي تحلّى بها الأُستاذ عزّام هي روح العالم الإسلامي بأجمعه، وأنّ هذه اللغة هي لغة كلّ المسلمين المتعطّشين لعزّتهم وكرامتهم وقوّتهم ووحدتهم، ولذلك انتشر الكتاب بسرعة في العالم الإسلامي، وتُرجم إلى اللغات الأندونيسية والتركية والفارسيّة ثمّ الإنجليزية.

(انظر ترجمته في: موسوعة السياسة ٣: ٨٢٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٧٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٢٣٠ ـ ٢٣٩، الموسوعة العربية العالمية ١٦: ٩٥، مجلّة «رسالة التقريب» /العدد: ١٢ /صفحة: ١٨٩، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩١٥، موسوعة الأعلام ٣: ٩٦).

عبد الرحمان الكواكبي

عبد الرحمان بن أحمد بن محمّد بن مسعود الكواكبي: من رجال الإصلاح الإسلامي.

ولد سنة ١٨٥٥ م في حلب، وتعلّم بها، وتتلمذ على أبيه وعلى خورشيد أفندي الذي علّمه التركية والفارسية، وتولّى نقابة الأشراف بحلب أيضاً، واشتغل بالإدارة والتجارة، وارتاد ميدان العمل الحقوقي والصحفي، وأنشأ جريدتي «الاعتدال»، و«الشهباء»، فعطّلتهما الحكومة، وتولّى عدّة مناصب، فحنق عليه إعداء الإصلاح وسعوا به، فسجن وخسر جميع أمواله، فرحل إلى مصر، وساح في بعض البلاد كالحبشة وسلطنة هرر

والصومال والحجاز والهند وجاوة ومسقط، واستقرّ في القاهرة إلى أن توفّي بها سنة ١٩٠٢م مسموماً من قبل أعوان السلطان عبدالحميد الثاني وبتدبير من أبي الهدىٰ الصيّادي.

وكان في صراع دائم مع ولاة الأتراك؛ لميوله العربية، ونزعاته الإسلامية، ونهجه الصريح في مقارعة الطغيان والاستبداد.

له مؤلّفان أشهر من نار على علم، هما: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، وأُمّ القرىٰ. كما له مؤلّفات أُخرىٰ سرقت من داره بعد وفاته بساعات، منها: صحائف قريش، العظمة لله، الأنساب، تجارة الرقيق وأحكامه في الإسلام، وغيرها.

وتعدّ أفكار الكواكبي من الأفكار الهامّة والمؤثّرة على الصعيد الوحدوي، وكان يعتصر ألماً لما تعانيه أُمّة الإسلام من أزمات، ويخاطب المسلمين: «تشتكون فقد الرابطة ولكم روابط من وجوه لا تفكّرون في إحكامها!». ويكفي كتابه «أُمّ القرىٰ» لبيان جهوده الوحدوية، وكان من المتأثّرين بأفكار السيّد جمال الدين الوحدوية، وله ميول إصلاحية واضحة ونزعة عارمة في ترميم البيت الإسلامي، من خلال دعوته إلى الوحدة الإسلامية، وتجاهله التمذهب، ورغبته في إيجاد الحدّ الممكن من الاتّحاد والتقريب بين أبناء الأُمّة الإسلامية.

كانت القضية الكبرى التي شغلت الكواكبي هي استقصاء أسباب تخلّف المسلمين، وبلورة دليل العمل لنهضتهم، وفي هذا الإطار جاءت الأفكار والقضايا التي عرض لها، والتي أودعها كتابيه الفريدين: «أُمّ القرى» و«طبائع الاستبداد».

ولقد احتلّت الحرّية كنقيض للاستبداد مكاناً محورياً في مشروعه الإصلاحي؛ لأنّه رأى في الاستبداد القيد الذي أعجز كلّ طاقات الأُمّة وملكاتها عن الحرّية والنهوض.

فالاستبداد مفسد للدين الذي هو الطاقة المحرّكة لجمهرة الأُمّة، وهو مفسد له في جانب الأخلاق الذي هو أخطر جوانبه حتّى ليكاد يحوّله إلى مجرّد عبادات وشعائر لا تقلق بال المستبدين.

والاستبداد مفسد للتربية باستبعاده السياسة وشؤون الاجتماع البشري من نطاق العلوم التي يربّى الناشئة عليها.

وهو مفسد للعلوم عندما يستبعد علوم الحياة التي تفتق ملكات الإبداع والنقد والمقاومة من إطار العلوم التي تسمح النظم المستبدّة بدراستها، ففرائص المستبدّ ترتعد من علوم الحياة، مثل: الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية، وحقوق الأُمم، والسياسة المدنية، والتاريخ المفصّل، والخطابة الأدبية.. إنّه يخاف من العلوم التي توسّع العقول، وتعرّف الإنسان ما هو الإنسان؟ وما هي حقوقه؟ وهل هو مغبون؟ وكيف الطلب؟ وكيف النوال؟ وكيف الحفظ؟

والاستبداد مفسد للاقتصاد؛ لأنّه يحوّل ثروة الأُمّة التي هي عطاء الله وفيضه في الطبيعة من دائرة «اشتراك الأُمّة فيها» إلى حيث تصبح احتكاراً لقلّة من الأغنياء، يصبحون أعواناً للمستبدّ؛ إذ الأغنياء ربائط المستبدّ، يذلّهم فيئنّون، ويستدرّهم فيحنّون، ولهذا يرسخ الذلّ في الأُمم التي يكثر أغنياؤها.

ولذلك جاءت دراسة الكواكبي عن الاستبداد فريدة في بابها، وأصبح كتابه «طبائع الاستبداد» وحيداً في موضوعه، وشغلت هذه القضية مكان المحور في مشروعه الإصلاحي.

ومن كلماته الجامعة في الحرّية والاستبداد: «إنّ الهرب من الموت موت، وطلب الموب حياة... وإنّ الخوف من التعب تعب، والإقدام على التعب راحة!... والحرّية هي شجرة الخلد، وسقياها قطرات من الدم المسفوح... والأسارة (العبودية) هي شجرة الزقّوم، وسقياها أنهر من دم المخاليق المخانيق... والاستبداد لو كان رجلاً وأراد أن ينتسب لقال: أنا الشرّ، وأبي الظلم، وأُمّي الإساءة، وأخي الغدر، وأُختي المسكنة، وعمّتي الضرّ، وخالي الذلّ، وابني الفقر، وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب. أمّا ديني وشرفي وحياتي فالمال، المال، المال!»، فالحرّية أمّ الفضائل جميعاً، والاستبداد رأس الرذائل بإطلاق.

وفي تشخيص الكواكبي لأسباب تخلّف المسلمين ـ والذي سمّاه «الفتور» الذي يحول بين الأُمّة وبين الحركة والنهضة ـ رصد ـ وخاصّة في كتابه «أُمّ القرى» ـ كلّ الأمراض التي أصابت الحضارة الإسلامية، الخطير منها والصغير، وسلّط الضوء على الأسباب الأساسية للتخلّف، مثل:

١ ـ عقيدة الجبر والزهد المفضية إلى لون من التصوّف المعطّل لطاقات الناس، فالطرق الصوفية ـ وليس التصوّف المهذّب للنفس والمزكّي لها ـ قد اجتذبت جماهير غفيرة، أدارت ظهرها لأسباب التقدّم وسننه وقوانينه، وأخلدت إلى التواكل واستنامت للبدع والخرافات.

٢ ـ انعدام التنظيمات والجمعيات التي تؤلّف بين طاقات الناس، وتضمن للأفكار بالشورى حصافة أكبر وحصانة تفوق الآراء المفردة، كما تضمن للمشاريع الكبرى الدوام الذي يتجاوز عمر الأفراد وهممهم. وبعبارة الكواكبي: «فإنّ الجمعيات القانونية المنتظمة يتسنّى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً، يفي بما لا يفي به عمر الواحد الفرد، وتأتي بأعمالها كلّها بعزائم صادقة لا يفسدها التردّد، وهذا هو سرّ ما ورد في الأثر من أنّ يد الله مع الجماعة!».

وهو بذلك قد نبّه على أهمّية وضرورة التنظيمات السياسية والأحزاب والجمعيات كأدوات للنهضة وأوعية لتجميع وترشيد طاقات الأُمّة الإسلامية.

٣ ـ الإغراق في الشهوات الحسّية على النحو الذي لا يميّز بين رسالة الإنسان وغرائز الحيوان في هذه الحياة!

٤ ـ اختلال التوازن بين شؤون الدنيا وشؤون الآخرة في حياة عامّة المسلمين، على النحو الذي جعل «من دأب الشرقيّين ألّا يفكّروا في مستقبل قريب، كأنّ أكبر همّهم منصرف إلى ما بعد الموت فقط»، على حين أنّ الإسلام قد جعل الدنيا عنواناً للآخرة، ونبّه على أنّ اختلال التوازن بينهما لا بدّ وأن يفضي إلى خسران الصفقتين معاً.

لقد نبّه الكواكبي إلى كثير من أمراض الفكر والسلوك المتوطّنة في حياة العامّة والخاصّة، وسلّط كلّ الأضواء على أمراض الإدارة العثمانية، أمراض الظلم الاجتماعي،

والاستبداد بالحكم، والتحلّل الإداري، والفقر الحضاري، وتقليد الأجنبي، والاحتقار للعرب. وجاهر بضرورة تحرير الأُمّة العربية من نير العثمانيّين، وإعادة الخلافة العربية، وتجديد حياة المسلمين بتجديد الفكر الإسلامي الحديث الذي لا بدّ وأن يستجيب لمشكلات العصر الذي يعيشون فيه.

ومن كلماته الجامعة في أسباب فتور الأُمّة الإسلامية تلك التي تقول: «من أسباب فتور المسلمين: تحوّل نوع السياسة الإسلامية، فلقد كانت نيابية اشتراكية، أي: ديمقراطية تماماً، فصارت بعد الراشدين ملكية مقيّدة، ثمّ صارت أشبه بالمطلقة. ولقد أثبت الحكماء أنّ المنشأ الأصلي لشقاء الإنسان هو وجود السلطة القانونية منحلّة، ولو قليلاً، لفسادها، أو لغلبة سلطة شخصية أو أشخاصية عليها.. ومن أعظم أسباب فقر أُمّتنا أنّ شريعتنا مبنية على أنّ في أموال الأغنياء حقّاً معلوماً للبائس والمحروم، لكنّ حكوماتنا قد قلبت الموضوع، فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء، وتحابي بها المسرفين والسفهاء!».

لقد دعا إلى حكومة شورية خاضعة لرقابة الأُمّة، «فالحكومة من أيّ نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها».

وحاول تأليف الجمعيات التي تعمل في سبيل تطبيق المشروع الإصلاحي الذي بشّر به؛ لأنّه لم يكن من أنصار الثورات العفوية والتمرّدات غير المدروسة، وإنّما أكّد على «أنّه يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ما يستبدل به الاستبداد».

(انظر ترجمته في: تاريخ آداب اللغة العربية (ضمن المؤلّفات الكاملة لجرجي زيدان) ١٥: ٤١٢ـ ٤١٣، مشاهير الشرق (ضمن المؤلّفات الكاملة لجرجي زيدان) ١: ٣٢٢ـ ٣٢٤، إيضاح المكنون ٢: ٧٧، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٥٧٤ـ ١٥٧٦، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧: ٤٧٣ـ ٤٨٧، المعاصرون: ٢٧٩ ـ ٢٨٤، روّاد النهضة الحديثة (ضمن المؤلّفات الكاملة لمارون عبّود) ٢: ٢٥٧ـ ٢٦٣، زعماء الإصلاح: ١٨٨ ـ ٢٠٩، الأعلام الشرقية ٣: ٩٠٨، الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٨، معجم المؤلّفين ٥:

١١٥ ـ ١١٦، الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام: ٧١ ـ ٧٢، موسوعة السياسة ٣: ٨٢٩ ـ ٨٣٠، موسوعة المورد ٦: ٤١، موسوعة أعلام العرب ١: ٣٠١ ـ ٣٠٢، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٦٣ ـ ٦٦٧، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٢٦، معجم الأُدباء للجبوري ٣: ٢٦٤، معجم الشعراء للجبوري ٣: ١٢٤ ـ ١٢٥، كفاح علماء الإسلام: ٢٠٢ ـ ٢٠٧، الموسوعة العربية العالمية ٢٠: ١٤٩، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٨٤ ـ ٨٩، موسوعة مشاهير وعظماء: ٩٤، تاريخ الحضارات العامّ ٦: ٥٨٠، رعاة الإصلاح: ١٦٢ ـ ٢٠٤، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٨٠ ـ ١٨٧، موسوعة الأعلام ٣: ٤٥٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٠ ـ ٣٦١).

عبد الرحمان النجّار

عبد الرحمان محمّد النجّار: من علماء الدعوة الإسلامية والإرشاد.

ولد بمدينة بيلة بكفر الشيخ في مسر سنة ١٩٢٣ م، وحفظ القرآن الكريم وله عشر سنوات، والتحق بالجامع الأحمدي بطنطا سنة ١٩٣٦ م، ثمّ بكلّية أُصول الدين بالأزهر سنة ١٩٤٥ م، وتخرّج منها سنة ١٩٤٩ م، كما كان مديراً للمركز الإسلامي بدار السلام عام ١٩٧٢ م، وكان قبلها قد عيّن رئيساً لبعثة الأزهر إلى السعودية والصومال، وشيخاً لمعهد الدراسات الإسلامية في مقاديشو سنة ١٩٥٧م إلى سنة ١٩٦٣م، وعاد وكيلاً لإدارة المساجد في وزارة الأوقاف المصرية، ثمّ مديراً لها سنة ١٩٦٣ م. له مقالات في الصحف والمجلّات الإسلامية في القاهرة والكويت ولبنان والسعودية.

وكان من دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وبدأ حياته العلمية بالتدريس في المعاهد الإسلامية سنة ١٩٥٩م، وحصل على الماجستير في الدعوة والإرشاد عام ١٩٧٠م، ثمّ عمل في حقل الدعوة بوزارة الأوقاف المصرية، واختير وكيلاً لها.

توفّي عام ١٩٨٧م تاركاً بعض المؤلّفات، كرحلة دينية إلى أفريقيا، والإسلام في الصومال، وكلمات على طريق الإيمان، والتفسير الميسّر لتعليم القرآن، وخواطر مؤمنة.

ومن مقال له نشرته مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية بعنوان «رأي في الدعوة

الإسلامية من منظور جديد» يقول: «الإسلام دين دعوة عن طريق الحوار وإعمال العقل والفكر المستنير: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ (سورة سبأ: ٤٦)، والقرآن الكريم يثني على الدعاة الذين يرشدون الجماهير إلى الطريق الصحيح إلى الله وإلى الخير والعدل والسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ (سورة فصّلت: ٣٣). إنّ هؤلاء الدعاة لا بدّ من أن يطبّقوا دعوتهم على أنفسهم أوّلاً، حتّى يكونوا مثلاً رائداً يحتذى بهم ويقتدي بهداهم، ولهذا قالت الآية المذكورة: ﴿ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾، ولا بدّ كذلك من أن يعلن الداعي منهجه بوضوح ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾. وحدّد الإسلام أُسلوب الدعوة إليه، فهو يرفض بشدّة الأخذ بأُسلوب القهر والإلزام؛ لأنّ ذلك يناقض طبيعة الإنسان، من أنّه صاحب عقل وإرادة يختار بهما ما يشاء عن طريق الاقتناع، فيقول القرآن الكريم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

ومادام أنّ الإسلام هو دين عامّ خالد، دين الإنسانية كلّها من غير تفرقة بين لون أو جنس، فيجب أن تتّسع آفاق الدعوة إليه لتصل إلى عقل كلّ إنسان، وهو بعد ذلك صاحب المشيئة والاختيار في قبول ما يراه مناسباً لعقله أو رفضه، فإذا ما قصّر المسلمون في إبلاغ الدعوة للناس جميعاً كانوا آثمين، والقرآن الكريم يبيّن وظيفة رسول الله ـ وهو الداعي للإسلام ـ بهذا الشمول، فيقول: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٩).

الأُمّة العربية فيها دعاتها، وتزخر بأساليب الدعوة المختلفة لها، والمسلمون فيها يعرفون دينهم وأهدافه على تفاوت في هذه المعرفة من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع، لكن هناك أُمماً شتّى في مختلف جهات الأرض، فيها إمّا مسلمون بالوراثة، ولا يعرفون بعد ذلك شيئاً عن الإسلام ومبادئه وأهدافه، ويتمنّون من قلوبهم أن يعرفون من أهدافه الكثير، وإذا رأيتهم وهم يسمعون ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع، وقلوبهم تكاد تنخلع من روعة ما تسمع، وإن كانت لا تفهم ما تسمعه، وإمّا أُناس لم تصل

إليهم دعوة الدين ، وهؤلاء في أشدّ الحاجة إلى من يبصّرهم بسماحة الإسلام وبسيرة رسول الله ، وبأنّه خاتم النبيّين والمرسلين الذي جاء بشريعة توائم الفطرة الإنسانية المستقيمة .

من هذا وجب وجوباً عينياً التعاون بين المسلمين من أجل إبلاغ الدعوة إلى هذين الفريقين من الناس ، بحيث يقدّم من لديه الخبرة الفنّية صفوة رجاله وخلاصة خبراته ، ويقدّم من لديه الاقتدار المادّي جزءاً من ثروته ليبسّر على الدعاة نشر دعوتهم ، ويسير هذا وفق تخطيط منظّم مدروس ، وتتحمّل كلّ دولة مسؤوليتها في ذلك .

وإنّني إذ أكتب هذا أكتبه من أرض واقع أعيشه في بقعة من أفريقيا ، أي : (تنزانيا) ، عزيزة علينا ، حبيبة إلى قلوبنا ، وهي بقعة تقرّر حرّية الأديان ، ولكنّ دعوة الإسلام فيها لا تجد التخطيط المدروس المنظّم ، ولا تجد الإمكانيات البشرية والمادّية التي تظهر أصالته وتؤكّد أنّه حقيقة دين الحياة .

وإذا كنت أُحمّل المسلمين جميعاً مسؤولية إبلاغ الدعوة لهذه البقاع ، فإنّني أبدأ بدول الاتّحاد الثلاثي ، وقد حمّلت مسؤولية قيام دولة العلم والإيمان ، ونشر مبادئ هذا الدين الحنيف الذي يؤكّد للإنسان حقّه في الحرّية والعزّة والكرامة ، في مجتمع مرفوض فيه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، إنّني أُهيب بها لتقوم بواجبها نحو دينها ونحو إخوتهم في الإنسانية ؛ ليقيموا الأُمّة الخيرية التي تشير إليها الآية الكريمة من كتاب ربّنا تبارك وتعالى في قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) » .

(انظر ترجمته في : مجلّة « رسالة الإسلام » / العدد : ١٥ / صفحة : ٨٧ ، مع رجال الفكر ٢ : ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، تتمّة الأعلام ١ : ٢٨٣ ، إتمام الأعلام : ٢٢٨ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٩١٧) .

عبد الرحيم علي

عبد الرحيم علي محمّد إبراهيم : مدير جامعة أفريقيا العالمية سابقاً ، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .

ولد بتاريخ ١٧ / ١١ / ١٩٤٥ م بالخندق في السودان وحصل عام ١٩٧٢م على

بكالوريوس الآداب مرتبة الشرف الأُولى من كلّية الآداب ـ جامعة الخرطوم، وسنة ١٩٧٧م على الدكتوراه من جامعة أدنبرة ـ قسم الدراسات الشرق أوسطية والإسلامية بعنوان «التركيب الأدبي للآية القرآنية».

وهو محاضر قسم الدراسات الشرق أوسطية والإسلامية في جامعة أدنبرة (١٩٧٧م ـ ١٩٨١م)، ونائب مدير المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم (١٩٨٥م ـ ١٩٨٩م)، وأُستاذ مشارك ورئيس قسم الدراسات الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (١٩٨٩م ـ ١٩٩٠م)، ومدير جامعة أفريقيا العالمية (١٩٩١م ـ ٢٠٠٠م)، ومدير معهد الخرطوم الدولي للّغة العربية (٢٠٠٠م إلى الآن ٢٠١٠ م).

عمل أُستاذاً مشرفاً على حوالي ٢٥ رسالة دكتوراه في جامعة الخرطوم وجامعة أُمّ درمان الإسلامية، وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وجامعة أفريقيا العالمية، وهي تشمل مجالات البلاغة والأساليب ومناهج التفسير والفكر الإسلامي. وشارك في تقويم حوالي(٥٠) رسالة عليا ماجستير ودكتوراه ممتحناً خارجياً لدى جامعات السودان المختلفة.

من مؤلّفاته وبحوثه: القرآن والحضارة (بالإنجليزية)، منهاج النبوّة في الإصلاح الاجتماعي، مؤتمر التعليم الإسلامي في أفريقيا عام ١٩٩٢م، وحدة المسلمين في مواجهة المادّية المعاصرة، الدراسات القرآنية في إسكتلندا، لغة البحث والرسائل.

وقد شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية.

وهو عضو مجلس أُمناء الشبكة الإسلامية للتعريف بالإسلام عبر الإنترنت (دولة قطر)، وعضو مجمع الفقه الإسلامي ـ الخرطوم، و عضو مجمع اللغة العربية ـ الخرطوم، ونائب رئيس المجلس القومي للدعوة والمساجد، وعضو المجلس القومي للتخطيط اللغوي، وعضو هيئة علماء السودان، وعضو مجلس أُمناء المركز العالمي لأبحاث الإيمان، وعضو مجلس أُمناء منظّمة الدعوة الإسلامية، ورئيس اللجنة الفنّية لجائزة الشهيد الزبير محمّد صالح للإبداع العلمي، وعضو جمعية حوار الأديان السودانية.

يقول ضمن كلمة له ألقاها في المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم عام ٢٠٠٣م: «إنّ ما تليت علينا من آيات لافتتاح الحفل الكريم يعتبر دستوراً للأُمّة الإسلامية لا يجوز لها أن تخالفه. وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

ثمّ إنّ هذا الدستور لن ترعه أُمّتنا حقّ رعايته، فتفرّقت واختلفت، وكان من نتائج التفرّق والاختلاف الذي نهى الله تعالى عنه أنّ الأُمّة ضعفت وتشتت، وطمع بها عدوّها أيّما طمع، فالذي نشاهده اليوم من تكالب الأُمم علينا لا يحسن تشبيهه إلّا بما شبّهه رسول الله ﷺ حينما قال: «كما تتداعى الأكلة على قصعتها». فكأنّ الأُمّة الإسلامية أصبحت وليمة شهية جاذبة وأصبحت الأُمم تتداعى إليها لتأكل منها، وهي غير قادرة على أن تذبّ عنها عدوان المعتدين ولا شهوة المشتهين، أموالها تنهب وأرضها توطأ، والعدوان عليها هو برنامج كلّ الدول الغابرة في هذا الزمان.

وصف أحوال الأُمّة الإسلامية قد يطول، ولكنّه بما أنّه واقع يعاش، حتّى أطفالنا أصبحوا يعلمون ما قد أصابنا، فإنّي لا أُفيض فيه، ولكن أقول: إنّ المصيبة الأكبر في كلّ المصائب والبلايا التي وقعت علينا هي من فعلنا نحن ومن تفرّقنا وضعفنا، بل إنّني أقول: إنّ الأُمّة الإسلامية عندما تفرّقت اختلفت وضعفت وأصبحت مسؤولة عن جزء كبير من طمع الطامعين؛ لأنّها لو كانت قوية لما تجرّأ الطامعون عليها، ولا كان لهم وازع عن أطماعهم وخطاياهم التي قدناهم إليها بهذه الأطماع.

الطريق إلى الوحدة الإسلامية يكمن في عدّة أُمور، أهمّها: أوّلاً: التفرّق من أهمّ أسباب الفرقة الطائفية ثمّ الفرقة الشعوبية.. الاستعمار عندما أراد أن يطأ أرض الأُمّة ويغتصب خيراتها لجأ إلى إثارة نعرات شعوبية قطرية قومية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهذا خلاف لما أمر به الرسول ﷺ، وكان خلافاً لما أمر به القرآن الكريم.. القرآن الكريم حلّ قضية الأُصول والشعوب في كلمة واحدة فقال: ﴿ ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾، ثمّ أردف ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ، وكان تفسير ذلك في قول النبي : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا أعجمي على عربي » ، فكان ذلك تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ، ولكنّ الأُمّة منذ زمن طويل دبّت فيها أنواع من العصبيات والقوميات والأحزاب القائمة على الاحتفال بالعرف والاحتفال باللون والاحتفال بالشعب والاحتفال بالقطر ، إلى أن أصبحت هذه العصبيات ديناً جديداً يفتّ في وحدة الأُمّة وفي عضدها ويفرّقها أيّما تفريق ، ولا سبيل إلى وحدة إسلامية جامعة حتّى يعلم المسلمون أنّه يجب أن يكون الدين أعلى من كلّ تلك العصبيات والقوميات ، وأن يكون الله سبحانه وتعالى فوق ذلك جميعاً ، وأن يكون ولاء المسلم لدينه ولأُمّته فوق الولاء للوطن وفوق الولاء للقطر وفوق الولاء للإقليم وفوق الولاء للقبيلة .

أمّا فيما يتعلّق بقضية الفرقة التي صارت بسبب المذهبيات فإنّ هذه المسألة إذا أردنا أن نفيض فيها وجدنا في تاريخنا عجباً! نسي الناس كثيراً من العصور الإسلامية أنّهم يجمعهم دين واحد وربّ واحد ، ويجمعهم كتاب واحد وقبلة واحدة ، تجمعهم عقيدة التوحيد والإيمان بالله عزّ وجلّ واليوم الآخر والبعث والحساب ، وتجمعهم شرائع كثيرة جامعة وأُصول متّفق عليها ، ومن بعد ذلك تفرّقوا على قضايا مذهبية ،كثير منها حقير ، ماكان يجب أن يفرّق الأُمّة ، حتّى أنّ بعض المذاهب كان بعضها لا يصلّي مع بعض ، ولا يجب أن تحسبوا إن كان هذا فقط بين السنّة والشيعة ، ولكن كان في إطار الشيعة اختلافات من هذا النوع ، وكان في إطار السنّة اختلافات من هذا النوع ، فرّقت الناس وتقاتلوا عليها ومزّقتهم أيّما تمزّق ، كلّ هذا التراث المتباين من اختلافات فقهية أو أُصولية لا يجب أن يعلى به فوق الأُصول الجامعة ، ولن نستطيع أن نجمع الناس وقد تفرّقوا على مذهب واحد أو على مذهب قانوني أو فقهي أو أُصولي واحد ، فهذا من سنن الكون ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (سورة هود : ١١٨) ، أي : أنّ الاختلاف يقع بين الناس ، فهو سنّة من السنن الكونية التي تحدث في كلّ شعب وفي كلّ أُمّة مع الزمن ، لكنّ الوحدة التي يجب أن نطلبها هي الوحدة التي لا تتحقّق مع كلّ هذه الاختلافات إلّا لسببين :

الأوّل : أن نعلم أنّ هذه الاختلافات مع كثرتها وتعدّدها هي اختلافات صغيرة ، فنلتقي

ونطلب الإبقاء على الأُمور الجامعة الموحّدة ؛ ليكون سبب ذلك أو هذا الاجتماع على ما ذكره بعض علمائنا [من] أن نجتمع فيما اجتمعنا عليه ويعذّر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه .

الثاني : أنّ هذه القضية ، قضية الاختلافات المذهبية والفقهية ، هو أن نجعل من القضايا التي اختلفنا عليها قضايا هامشية مؤجّلة ، نطرحها ولا نختلف عليها ، ولكنّنا نتحاور فيها تحاوراً لا يذهب بالودّ ولا يقضي على الوحدة ، ولكنّه يوحّد بقدر المستطاع ، ثمّ نبقي على ما لا نستطيع الاتّفاق عليه لا يؤثّر على وحدتنا .

في عصرنا هذا الذي ذكرت صفاته وخصائصه في أوّل كلامي لن تستطيع طائفة من الطوائف أن تعيش بمعزل عن الدنيا ، ولن تستطيع الأُمّة الإسلامية أن تكون بمعزل عن الأُمم الأُخرى ، ولذلك فإنّ من أهمّ ما يجب أن ندركه في فهم عصرنا وزماننا لا بدّ لنا ونحن نتحاور ونلتقي ونتفاعل ونختلف ونتّفق مع الشعوب الأُخرى والأُمم الأُخرى لا بدّ لنا من وحدة جامعة ، ولا بدّ لنا من قوّة تذهب عنّا طمع الطامعين وتستردّ لنا الهيبة في هذا العالم والمكانة التي كانت في الماضي .

إنّ الشعوب الأوروبّية التي اجتمعت الآن في وحدة ثقافية واقتصادية وعسكرية وبرلمان واحد كانت بينها حروب طاحنة في الأمد القريب المعاصر ، وفرّقتها أديان وصراعات بين أنواع من الكنائس كلّها معروفة في التاريخ ، وفرّقتها كذلك ألسنة واختلافات ثقافية عديدة ، ولا شكّ أنّكم لا تحتاجون إلى تذكير أنّ الحرب العالمية الأُولى والحرب الثانية لم تكن إلّا بين الشعوب الأوروبّية ، ومع ذلك فقد أدركت هذه الشعوب أنّ قوّتها في عالمنا المعاصر في وحدتها ، ولذلك جلست تدرس أسباب الوحدة الاقتصادية أوّلاً ثمّ الثقافية ثمّ السياسية ثمّ العسكرية ، فهي الآن تضرب عن قوس واحدة ، وتربّي أبناءها على وحدة ثقافية ، بحيث يستطيع الشاب أو الطالب أو الطالبة الجامعية أن تخرج من بيتها في أيّ قطر من أقطار أوروبّا وتسافر من غير جواز بأنحاء أوروبّا وبغير تأشيرة . .
وكان المسلمون أولى بذلك ؛ لأنّهم عاشوا به قبل قرون طويلة ، كانت العملة الإسلامية

تنتقل من اليمن جنوباً وحتّى أطراف أوروبّا الشرقية ، وحتّى أطراف الصين ، تسافر بها القوافل التجارية ، ولا يحتاج الواحد إلى تأشيرة ؛ لأنّه كان يسافر لأرض قد وحّدها الإسلام ، ونحن مع ذلك لا يجب أن نتفرّق في ذكرى التاريخ ، ولكن يجب أن ننظر إلى الأمام.

إنّ الوحدة الإسلامية ممكنة ، وأُصولها موجودة ، وجذورها لاتزال حيّة ، فقط تحتاج إلى الوعي والإدراك فقط ، ويجب أن نعلم إخوتنا أنّ الخطر كلّ الخطر والدواهي العظيمة تكمن في هذا الضعف الذي نواجهه وتواجهه شعوبنا اليوم .. فقد شبابنا الثقة في علمائنا ، وفقد أبناؤنا الثقة في قيادتنا السياسية ، ولذلك فإنّ ظاهرة ما يسمّى بالإرهاب الآن ما هي إلّا فقدان هذه الثقة ، أراد كثيرمن شباب العالم الإسلامي أن يأخذوا القوى بأيديهم ، وأن ينتصروا لكرامتهم بأنفسهم ، بأن يقتلوا أنفسهم في كلّ مكان ، ولكن يجب أن نعلم وأن يعلموا أنّ هذه الشعوب وهذه الأُمم تحت قيادات تثق فيها ، وأن نجعل من وحدتها قوّة تصدّ بها غزو الغزاة وهيمنة المهيمنين ، وتستردّ بها كرامتها وعزّتها ، وذلك إن شاء الله هو السبيل ، وهو ممكن بإذن الله سبحانه وتعالى ».

عبد الرزّاق السنهوري

عبد الرزّاق أحمد السنهوري : حقوقي شهير ، ومفكّر إسلامي كبير ، وداعية إصلاح .

ولد بالإسكندرية سنة ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٥م ، وتوفّي سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١م .

تعلّم في الإسكندرية بالمدرستين الابتدائية والثانوية حتّى نال شهادة الثانوية سنة ١٩١٣م ، وانتقل إلى القاهرة ، فنال درجة الليسانس في الحقوق سنة ١٩١٧م ، وعيّن عضواً بالنيابة العامّة ، ثمّ وكيلاً للنائب العامّ ، فمدرّساً للقانون بمدرسة القضاء الشرعي ، فمبعوثاً إلى فرنسا ، حيث حصل على درجتي دكتوراه ، واحدة في العلوم القانونية وأُخرى في العلوم الاقتصادية والسياسية ، وعيّن بعد عودته مدرّساً بكلّية الحقوق ، ثمّ رقّي أُستاذاً مساعداً ، فأُستاذاً ، فعميداً للكلّية سنة ١٩٣٦م ، وترك الجامعة إلى القضاء بالمحاكم المختلطة ، وإلى

وكالة وزارة المعارف، ثمّ اختير وزيراً للمعارف سنة ١٩٤٥م، فرئيساً لمجلس الدولة حتّى سنة ١٩٥٤م، واختير عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م، ومشتركاً في عـدّة لجـان مهمّة أدّى دوره القيادي بها أحسن الأداء.

كما سعدت الدولة العربية بمعونته القانونية، إذ إنّه بعد أن وضع القانون المدني المصري الجديد، اختير لوضع القوانين المدنية في العراق وسوريا وليبيا، أمّا الكويت فقد حـظيت بنصيب وافر من جهوده، حيث قام بوضع قوانين التجارة، والشركات، والقانون الجـنائي، وقوانين أُخرى في شتّى التشـريعات الإدارية والمـالية والدسـتورية، كـما أسّس مـعهد الدراسات العربية بمصر، وأُوفد لمؤتمرات علمية كثيرة بأوروبّا، فكان ذا صوت مسـموع بين كبار العلماء.

والدكتور عبد الرزّاق السنهوري علمٌ من أعلام الشريعة الإسلامية بما قدّمه من جهود علمية وعملية في نطاقها الواسع، فوق كونه علماً من أعـلام القـانون الوضـعي والتـربية والسياسة والاجتماع.

لقد كانت آثاره العلمية في حقل تقنين الشريعة الإسلامية متميّزة مرموقة في العـالم الأوربّي المناهض للفكرة الإسلامية، وكان سقوط الخلافة العثمانية مدعاة انتقاص هناك للشريعة وافتراء على قوانينها الإلهية، فصمّم على أن تكون رسالة الدكتوراه عن الخـلافة في الإسلام؛ لتبيّن الحقائق المجهولة عن الخلافة، وليفضح هؤلاء الذين يلوكون الأكاذيب عنها، وقد أشفق الأُستاذ لامبير على تلميذه الذي يواجه أوروبّا جميعها بما يكشـف عـن خطئها في تصوّر الحكم الإسلامي، فقال: «لقد راودني القلق عندما وجـدت السـنهوري ينقاد رغم مقاومتي واعتراضي نحو موضوع عميق الأثـر شـديد التـعقيد، هـو مـوضوع الخلافة، وتاريخها كما يراه أنّه المرآة الكبرى التي يتتبّع من خلالها المـراحـل التـاريخية لوحدة العالم الإسلامي، ثمّ تقويم الجهود المبذولة في العصر الحاضر استعداداً لإعادة بنائها الذي يقترح أن يكون في صورة أكثر مرونة لمتطلّبات القوميات الناشئة، وللمرّة الثانية بعد سبقه في الدكتوراه الأُولى كان عناء السنهوري وتمرّده خصباً مثمراً، فإنّ كتابه الذي قدّمه

(يريد كتاب الخلافة) ليس أقلّ امتيازاً من كتابه الأوّل ».

أمّا تلخيص أهمّ النقاط التي سجّلها الدكتور السنهوري في رسالته فقد قام به الأُستاذ توفيق الشاوي في الكلمة الحافلة التي كتبها لمقدّمة كتاب « فقه الخلافة وتطوّرها »، كما ترجم رسالة الدكتوراه إلى اللغة العربية ، فأدّى خدمة كبرى لمن يجهلون الفرنسية ، والتلخيص كما يلي بتصرّف يقتضيه المقام :

١ ـ إنّ الخلافة معناها إقامة نظام يحقّق وحدة الأُمّة الإسلامية في صورة من التنظيم السياسي ، ويضمن لها المكانة الدولية التي تتناسب مع رسالتها السامية ، تتضمّن سيادة الشريعة الإسلامية .

٢ ـ يتعذّر في الظروف الحاضرة إقامة خلافة كاملة ، فلا بدّ من إقامة خلافة ناقصة ليتمّ الكمال تدريجياً .

٣ ـ إنّ تعطيل الشورى وتوقّف الاجتهاد نتج عن سيطرة حكّام مستبدّين ، مع جمود اجتماعي ، فلا بدّ من علاج يضمن الشورى ويحمّي استقلال الأُمّة الإسلامية بما يضمن وحدتها ووقوفها أمام نزعات التجزئة والتفرّق .

٤ ـ يجب بدء حركة علمية تجديدية للفقه الإسلامي ، وتقنينه في صورة عصرية ، وتنظيم الاجتماع ، ليكون إلى جانب الاجتهاد تصوّراً حيّاً للفقه ، وليكون تجمّع المسلمين مبنياً على وحدة العقيدة والشريعة والتكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي .

٥ ـ سعي الشعوب الإسلامية للتحرّر والاستقلال يجب أن يستمرّ ، بشرط ألّا يتعارض مع تطلّعها إلى التقارب والوحدة ؛ لأنّ الاستقلال الوطني لا يمكن أن يكون الهدف النهائي للدول الصغيرة ؛ لكونه لا يحقّق أمنها ولا استقرارها ، وإنّما يكون قاعدة متينة لبناء وحدة شاملة على أساس التكامل ، يحمي الدول الصغيرة لتصبح قوّة لها مكانتها في العالم .

٦ ـ يجب أن يكون في كلّ قطر إسلامي حركات سياسية تدعو إلى إقامة منظّمة دولية إسلامية ، أو جامعة للدول الشرقية والإسلامية المستقلّة ؛ لتنظيم التعاون بينها ، ومساعدة الشعوب الأُخرى على الحرّية والاستقلال .

٧ـ عندما تنجح الحركة العلمية في تطبيق الفكر الإسلامي وتنجح الحركات في إنشاء منظّمة إسلامية للدول الإسلامية يمكن أن يختار المسلمون رئيساً للجامعة على أساس وحدة الأُمّة والشورى الحرّة وتطبيق الشريعة.

كما ألقى الدكتور السنهوري عدّة محاضرات سياسية تظهر عوار النظم السياسية المعاصرة من نازية وفاشية وشيوعية ورأسمالية؛ لينتهي إلى أنّ شريعة الإسلام هي المنقذ الوحيد للمسلمين. وقد حمل حملات كبيرة على القوميات الضيّقة التي ينادي بها من لايعرف أنّ الإسلام دين عالمي ينشد السعادة للجميع، كما دعا إلى إنشاء معهد للفقه الإسلامي يكوّن جمهرة من الباحثين في الشريعة على الأُسلوب العلمي، ويمهّد لإنشاء معهد للبحوث الفقهية الحالية، فيجمع أساتذة يضعون المؤلّفات الحديثة، ويزوّدون المكتبة الفقهية بنمط عصري من الدراسات النافعة، مع الاهتمام الكبير بالمخطوطات الفقهية التي لم تنشر بعد، والعمل على تحقيقها وطبعها في مظهر مناسب؛ لتفيد جمهرة الباحثين.

وعلى رغم ما أُصيب به السنهوري من المحنة السياسية وتعرّضه عام ١٩٥٤م للاغتيال بعد مظاهرة غوغائية، فإنّه لم يسلم القياد، إذ لجأ بعلمه إلى الدول العربية التي ألّحت في استقدامه ليضع لها قوانينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فأجاب عن طوع، وقدّم من المجلّدات القانونية في أكثر بلاد العرب ماكان موضع العجب لهذا الجهد الجبّار الذي واصله بعد البدء به من قبل، حتّى أصبح ذخيرة كبرى للأُمّة العربية، كما صارت رسالته عن الخلافة موضع إعزاز كامل لمن يعرفون وجه الحقيقة فيما أُذيع عن الشريعة الإسلامية بعامّة وعن الحكم في الإسلام بخاصّة من أراجيف سطعت عليها شمس الحقيقة فبدّدت الضياء.

من مؤلّفاته: القيود التعاقدية في حرّية العمل (رسالة الدكتوراه بالفرنسية) سنة ١٩٢٥م، الخلافة الإسلامية وتطوّرها لتصبح عصبة أُمم شرقية (رسالة الدكتوراه بالفرنسية سنة ١٩٢٦م)، عقد الإيجار، مصادر الحقّ في الفقه الإسلامي (ستّة أجزاء)، نظرية العقد، الموجز للنظرية العامّة للالتزامات، أُصول القانون، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد

(سبعة أجزاء)، الوجيز في شرح القانون المدني الجديد (ثلاثة أجزاء)، نظرية العقد الإسلامية في الفقه (ستّة أجزاء)، بالإضافة إلى بحوث قانونية شتّى يرجع لها في مجلّدات كلّية الحقوق بالجامعة المصرية .

(انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ٣: ٣٥٠، موسوعة المورد ٨: ٢٠٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ١٩٦ ـ ٢١٠، موسوعة ألف شخصية مصرية : ٣٦٨ ـ ٣٦٩، من أعلام الإحياء الإسلامي : ٢٣٣ ـ ٢٩٥، الإسلام والتحدّيات المعاصرة : ١٩٥ ـ ٢٣٨، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : ٦٦٨ ـ ٦٧١).

عبد الرزّاق نوفل

عبد الرزّاق نوفل : مفكّر إسلامي، وباحث معروف .

ولد سنة ١٩١٧م بالقاهرة، وتخرّج من مدرسة الزراعة العليا سنة ١٩٣٩م، وحصل على شهادة الدراسات الاستراتيجية القومية من الأكاديمية العسكرية العليا سنة ١٩٦٧م، ومنح وسام الجمهورية، وكانت له مساهمات دولية في الفكر الإسلامي، حيث اشترك في عدد من المؤتمرات الإسلامية الدولية، وترجمت كتبه إلى كثير من لغات العالم، كما طبعت أكثرها عدّة مرّات .

له العديد من محاولات تبسيط العقيدة الإسلامية للناشئة على هيئة سلسلة تحت عنوان « الإسلام في قصص »، ومن المعروف أنّه كان يقوم بإعداد التفسير العلمي الشامل المبسّط للقرآن الكريم، وقد كتب أوّل كتاب يتناول ربط الدين بالعلم الحديث على مستوى العالم (هكذا قيل).

توفّي عام ١٩٨٤م تاركاً مؤلّفات كثيرة، منها : الله والعلم الحديث، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، بين الدين والعلم، مسلمون بلا مشاكل، التاروت وسحر هاروت وماروت، فريضة الزكاة، السنّة والعلم الحديث، المسلمون والعلم الحديث، عالم الجنّ والملائكة، صلاة الفريضة، تلاوة القرآن الكريم، فريضة الحجّ، القرآن والعلم الحديث، السماء وأهل السماء، الدعوة إلى الإسلام، يوم القيامة، محمّد رسولاً ونبياً، من أسرار الروح، أسرار

وعجب، كانوا، آيات في آيات (وهو آخر كتبه)، الإسلام دنيا ودين، بين يدي الله، التصوّف والطريق إليه، القرآن والمجتمع الحديث، صوم رمضان.

وله مقالات عديدة منشورة في مجلّة «الرسالة الإسلامية».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٢٨٨، إتمام الأعلام: ٢٣٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٢١ ـ ١٩٢٢).

عبد الرشيد إبراهيم

عبد الرشيد إبراهيم: داعية إسلامي، ومصلح مجاهد.

كان عبد الرشيد في جميع أدوار حياته مثال الدأب المتواصل والكفاح النشيط، يجاهد روسيا القيصرية بسلاح الإيمان والعزيمة، ويرحل إلى الحجاز ليتعمّق في دروس الشريعة واللغة، ويصل إلى تركيا ليوجّه جهود الخلفاء إلى نصرة المستضعفين من أبناء الإسلام، ويسافر إلى الهند والصين واليابان ليعلن كلمة الله في ربوع نائية لا تكاد تعرف عن الإسلام غير النزر الضئيل، ثمّ يستطيع بعد ذلك أن يقنع الآلاف باعتناق الدين الإسلامي، لينهض بعد ذلك داعيةً غيوراً يشرح شعائر الوضوء والصلاة والزكاة، ويبني المساجد باذلاً الجهد في جمع التبرّعات من شتّى ربوع الإسلام، ليعلن كلمة الله في بيوت أذِنَ الله أن تُرفَع ويُذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال، ثمّ يزور مصر ليؤكّد صلاته بأقطاب الفكرة الإسلامية، ويشرح أحوال المسلمين في أقاصي آسيا من بلاد الصين واليابان ومنشوريا وكوريا، وكلّها قد كانت ميداناً لجولات الشيخ الدعوية ورحلاته الدينية!

فإذا ذهب مُصلٍّ إلى مسجد الإسلام بطوكيو عجب حين يرى الرجل الأُسطورة في الخامسة والتسعين من عمره ينهض قبل شروق الفجر فيقيم صلاة التهجّد، ثمّ يؤمّ الناس في صلاة الصبح، ولا يكاد يفرغ من تسبيحه حتّى يتحلّق عليه جماعة من حواريّيه ليشرح لهم سور القرآن وأحاديث الرسول، فإذا أشرقت الشمس انتقل إلى حجرة الدراسة الملحقة بالمسجد ليجد نفراً من صبيان المسلمين يستقبلونه، فيقوم لهم بدور المعلّم، يكتب لهذا لوحه، ويسمع من ذلك سورته! ثمّ لا يستنكف أن يكون في هذه السنّ المتقدّمة وبعد هذا

الجهاد المتواصل معلّم صبيان تقرأ على يديه مبادئ اللغة العربية، ويُحفّظ الناشئة قصار السور من جزء عمّ، وبعض المأثور من حديث الرسول ﷺ، وهو من كبار زعماء الإسلام في ثلاثة أجيال ناهزت القرن!

وقد التقى عبد الرشيد مع جمال الدين الأفغاني في جهة وافترقا في أُخرى، فقد التقيا في ناحية الشعور الحادّ بوجوب نهضة الإسلام ويقظة بلاده ثمّ التنقّل في شتّى الأصقاع الإسلامية لإيقاظ الغافلين وتنبيه النائمين، وافترقا في مسلك الدعوة ومنحاها، فقد كان جمال الدين ثائراً مضطرماً يريد أن يغيّر معالم الدنيا في لحظة عين، فهو لا يهدأ له قرار؛ إذ يرى أمثلة مؤلمة من الخضوع والاستكانة والاحتلال، فيُشعِل الثورات مختاراً جنودها من تلاميذ بررة أمدّهم بروحه ونفث فيهم من حميّته. أمّا عبد الرشيد فقد آثر أن يكون جندياً يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يؤلّف في صمت، ويعظ في هدوء، ويرحل في مثابرة، ويترك للأيّام أن تُنضج بذوره الطيّبة دون تعجّل، وقد أحسن الله عاقبته، فعُمّر في الإسلام حتّى شاهد نوره يمتدّ على يديه إلى مطارح نائية كانت تعمه في الظلمات، وما مات حتّى استطاع في سنة ١٩٣٩م أن يجبر البرلمان الياباني على الاعتراف بالإسلام واحداً من أديان الدولة الرسمية! وبهذا الاعتراف بنى الشيخ مسجدين لا مسجداً.

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «ولقد كنّا نصلّي الجمعة ذات يوم في مسجد الأُستاذ الدكتور عبد الوهاب عزّام ﷺ، فحدّث المصلّين عن دعاة الإسلام في العصر الحديث، وتطرّق إلى الشيخ عبد الرشيد، فكان ممّا قاله آنذاك: «إنّ من العجب العاجب أن يصدر الشيخ عبد الرشيد مؤلّفه: «عالم إسلام» فلا يذيع وينتشر ويترجم ويعمّ كلّ مكتبة إسلامية، مع أنّه يجمع مشاهداته للشخصية البصيرة في شتّى ربوع الإسلام: في آسيا وأوروبّا وأفريقيا! ويصف من أدواء المسلمين وعللهم ما لم يتيسّر الإلمام به لأحد إلّا أن يكون الأمير شكيب أرسلان! ونحن نرى الآن طبعات متكرّرة لرحلة ابن بطّوطة وأمثاله، فأيّ شيء تكون رحلة ابن بطّوطة إذا قيست برحلة أكبر داعية في العصر الحديث؟! لقد كان ابن بطّوطة يرحل ليتزوّج ويرى ويتمتّع دون أن يكون له هدف غير تسطير الخرافات

والكرامات وتدوين ما يسمع من الأعاجيب، أمّا عبد الرشيد فقد ركب البرّ والبحر والجوّ ليدعو إلى الله، وكم احتمل عنت ذوي الجهالة وسفاهة أُولي الضلالة، ثمّ أصدر الكتب النافعة ودوّن رحلاته الماتعة، فلم تجد من الذيوع ما وجدت رحلات الغرائب والخرافات!».

هذا بعض ما يحضرني من حديث الدكتور عزّام ﷺ، وقد كانت صلته وثيقة بالشيخ الكبير؛ إذ سارع إلى التعرّف عليه حين قدم إلى مصر، فأسعده بزيارة بيته بحلوان عدّة مرّات، ثمّ رثاه بكلمة متواضعة، نشرها بإمضاء مستعار بمجلّة «الثقافة» العدد (٣١٢)، جاء فيها بقلم عزّام: «وكان مجلسه يجمع المختلفين في المآرب والمذاهب على الإعجاب به والعجب منه، من مُصغٍ إلى شيخ رحّالة مسلم يتحدّث عن جماعات المسلمين ويصف أدواءهم وأدويتهم، ومن مُنصتٍ إلى عجائب الأسفار وغرائب الأوطان، ومن مُكبرٍ لهذا الشيخ الوقور لا تقعد به السنّ عن الأسفار البعيدة، بل رأيت الصبيان يتطلّعون إلى مجلسه ليروا الرحّالة التركي الهرم الذي جاب مشارق الأرض ومغاربها، ورأيتهم يسرعون إليه متعجّبين حين طلب ماءً ليشرب؛ إذ علموا أنّه لا يشرب الماء مجتزئاً عنه بالشاي، وكانت إحدى أمانيه أن يرى مسجداً في طوكيو، فاستجاب الله له، فأراه في اليابان مسجدين».

وإذا كان الدكتور عزّام أحد كتّاب العرب المعجبين بعبد الرشيد، فقد كان محمّد عاكف شاعر الإسلام في تركيا ـ وهو أيضاً صديق عزّام ـ يقاسمه الإعجاب بالرحّالة الداعية حتّى جعله بطلاً مثالياً لإحدى قصصه الأدبية الهادفة؛ إذ تخيّله واعظاً وقوراً يقوم بين المسلمين في مسجد سليمان القانوني، فيشرح للناس بالمسجد الجامع أدواء المسلمين وعللهم، ويدعوهم إلى الرشاد بعد الغي واليقظة بعد النوم، ثمّ قال عنه فيما نقله الدكتور عزّام من ترجمة منظومة عاكف: «وأسرعت الجماعة نحو الكرسي، فيا عجباً! من علا الكرسي؟ شيخ إلهي السيما، كأنّما ينبض قلبه في جبينه، تحيط لحيته الطاهرة الناصعة وعمامته البيضاء الشاهقة بجبهته الواسعة ووجهه الذي يرفّ عليه ضوء الصباح، كما تحيط الهالة بالبدر! ربّ، ما هذه الصباحة؟ وما هذه المهابة؟ وما هاتان العينان، بل الشهابان السماويان

اللذان يحرقان الإدراك بشعاع واحد منهما ؟ واهاً لهذه الحزمة النورانية الجائشة من عينيك ، ولهذه الأرواح المسكينة التي تهفو إليك ! لا تحسبوا أنّي ارتقيت هذا الكرسي لأعظ ، لست عالماً ، فلا يخدعكم هذا الزيّ ، حسبكم علماؤكم يفقّهونكم في دينكم ، ويفتونكم فيما يُشكِل من أُموركم ، ولكن سلوني عن العالم الإسلامي ، فما تركت به بقعة إلّا زرتها وطوّفت في أرجائها ، جبت ما بين أقصى الشرق والمغرب الأقصى ، ولم أدع موطناً للمسلمين في آسيا وأوروبّا وأفريقيا إلّا يمّمته وتعرّفت ماضيه وحاضره ! وقد حطّمتني الأسفار المتمادية ، وقتلتني الرحلات المتوالية ، ولم أصبر على المضي في طريقي ، لولا نداء لا ينقطع ، ينبجس من أعماق نفسي : ألّا تقف ، تقدّم ، امضِ في سبيلك ، نداء غيرتي على ديني ، والغيرة التي تضطرم كالبركان بين جوانحي ، فلا أُطيق وقوفاً ، ولا أثبت في مكان ، لا يقيّدني حبّ النفس والوطن والأهل والولد ، لا لا ، إنّها لا تُثنيني عن عزمي ، ولا تعدل بي عن مقصدي ، ولا أبغي غير هذا ، ذلكم كلّ أملي لا أبغي سواه».

ذلك إيجاز بليغ لحياة الداعية الكبير !

لقد أردت أن أكتب عنه فتأخّرت ؛ إذ تقدّم إلى ذلك عاكف العظيم ، ثمّ جاء عزّام الغيور ، فأصاب في ترجمته وأبدع ! وهما بعد أولى بالحديث عنه ، فقد جالساه وشافهاه ، وليس لي غير أن أستعيد !».

وها هي بطاقته الشخصية : وُلد الشيخ عبد الرشيد بمدينة تارا بسيبريا سنة ١٨٤٦م ، في أُسرة تعتزّ بإسلامها ، ولا يزيدها النكال العنصري من قبل سلطة روسيا القيصرية إلّا تمسّكاً بدينها القويم ، فأُتيح له أن يتلقّى دراسة بصيرة على أيدي أُناس يفهمون رسالة الإسلام حقّ الفهم ، ثمّ أُريد له أن يتزوّد من معين الثقافة الإسلامية بالحجاز ، فارتحل في الثانية عشرة إلى مكّة ، وأخذ في مدى عشرين عاماً يغذّي نفسه بمصادر العربية الصحيحة ، ويُجالس حملة هذا الدين في مهده الأوّل ، مستعيداً تاريخه الأزهر في مرابعه الوضيئة ، وكانت كلّ خطاه ما بين مكّة والمدينة تذكّره بتاريخ السلف ، فتوقد في صدره حمية مشتعلة وغيرة متيقّظة ، وكأنّه قد عزّ عليه في مغتربه النائي أن يترك أبناء وطنه في مجاهل سيبريا

يتعرّضون إلى من يزعزع عقائدهم بشبهات باطلة وأراجيف مختلفة، دون أن يجدوا من يميّز لهم الخبيث من الطيّب في منطق واضح وإيمان سديد، فكرّ راجعاً إلى بلده مزوّداً بحصيلة وافية من المعارف الدينية الصحيحة.

ولم تمضِ غير سنوات حتّى عبق أريجه وفاح عرفه، فانتخب قاضياً بالمحكمة الشرعية، ثمّ وكيلاً للإفتاء الديني. ولم يكن ممّن تخدّرهم عليا المناصب فيؤثرون الراحة على الجهاد، بل جعل منصبه أداة توجيه وإصلاح، فجاهر القيصرية بوجوب العمل على مساعدة المسلمين ومساواتهم بغيرهم؛ إذ هم سواء في الحقوق والواجبات، ولكن كلمة الحقّ تصمّ الآذان، وتثير الحفائظ لدى المغرضين، فدبّروا أمرهم للوقيعة به، ولكنّه لمح خيوط المكيدة تُحاك بليل، ففرّ إلى إستانبول مقرّ الخلافة العثمانية، وجهر بمآسي قومه في بلاد القيصرية، ونشر رسالات مدعمة بالوقائع والأسانيد.

حتّى إذا هدأت الحال بعض الشيء لم يرضَ المنصب في دولة الخلافة، وارتحل ثانية إلى مضمار الجهاد في وطنه، وكافح وجالد حتّى استطاع أن يستخرج رخصة بإصدار رسائل مؤقّتة تقوم مقام الصحافة، وأخذ يوالي رسائله باللغة التركية القازانية تحت عناوين: «المرآة، والصيحة، وأُلفت»، وضمّ إليه الطبقة المستنيرة من أبناء دينه، فكانوا يجمعون المسلمين من كلّ بلاد الروس ليقرؤوا عليهم نشرات عبد الرشيد، وهي دعوات جريئة إلى الإصلاح الديني، والتمسّك بمبادئ الإسلام، واليقظة المتنبّهة إلى ما يدبّره الصليبيّون من مكايد سافرة لا تلتثم بقناع.

ثمّ شاء أن يجعل للّغة العربية نصيباً من دعوته، لتصل رسالته إلى أبناء الإسلام في الشرق العربي، فأصدر بعض رسائله المتتابعة بالعربية تحت عنوان: «التلميذ»، وأسمع بها مأساة قومه في كلّ صقع عربي!

ثمّ شاءت الأقدار أن تندحر جيوش روسيا أمام اليابان، فاشتغلت القيصرية بنفسها عن التعصّب قليلاً، ونهض المسلمون بقيادة عبد الرشيد إلى كتابة المقالات الموقظة ونشر الدعوات التحرّرية.

ثمّ رأى الشيخ أن يقوم بجهاده التبشيري، فتعدّدت رحلاته منذ سنة ١٩٠٥م إلى: تركستان، ومنشوريا، وبلاد المغول، واليابان، وكوريا، والصين، وسنغافورة، وجزائر ما وراء الهند؛ ليعلّم الناس أنّ الإسلام دين المستقبل، وأنّه أوّل دين يهتف بالحرّية والإخاء والمساواة، فلاقى من الصعوبات الخطيرة ما يؤود العصبة أُولي القوّة، فكيف بفرد واحد يسافر بعيداً إلى مطارح مجهولة دون عضد من مال أو رفيق؟! ولكنّه حصر رسالته في التبشير الإسلامي، لا يبالي على أيّ جنب كان في الله مصرعه.

وإذاكان الله لا يضيع أجر العاملين فقد لمس المجاهد الكبير من بشائر التوفيق ما زاده إيماناً وحماسةً، حتّى ذعرت منه دوائر التبشير المسيحي بآسيا وعدّته ـ وهو الوحيد الفقير الأعزل ـ خطراً على جمعياتها التبشيرية ومؤسّساتها المالية ذات المورد الضخم والرعاية الكبرى، من أُمم غالبة تتحكّم بالمال والقوّة والبطش، في عصرٍ كانت أوروبّا فيه صاحبة الأمر وباعثة الحضار والمدنية والعلم، كما يحلو لأذنابها أن يذيعوا ذلك عنها في كلّ مكان!

ولعلّ جهاد عبد الرشيد وحده ممّا يعطي للعالم أجمع أكبر دليل لا يقبل الشكّ على أنّ الإسلام ينتشر بمبادئه وحدها، وأنّ عوامل بقائه كامنة في تعاليمه، وإلّا فبأيّ سلاح ضمّ هذا الداعية الغيور إلى الإسلام آلافاً من الناس غير سلاح المنطق والإقناع والدعوة إلى الله بالموعظة ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن؟!

لقد كان بعض القساوسة من مبشّري المسيحية في الصين يرى انتصارات عبد الرشيد الرائعة، فيكتب إلى وزارة الخارجية في بلاده ليسرّ إليها بأنّ المسيحية تعاني كثيراً من جهود عدوّ يزحف عليها بقوّته! وقد فهمت وزارة الخارجية الأمر على غير وجهه، فبعثت تتساءل عن قوّة هذا العدوّ ومدى نفوذه الحربي، فإذا الإجابة المخزية تعلن أنّ الشيخ واحد ذو منطق وإيمان!

ولم يضنّ الشيخ على أحد بتجريباته في الدعوة ومعلوماته الحيّة مستمدّة ممّا رأى وشاهد، فنشر رحلاته في مجلّدين كبيرين تحت عنوان «عالم إسلام».

اشتغل بالتحرير في أُمّهات الصحف الإسلامية بتركيا، وفي طليعتها مجلّتا:

«معلومات، والصراط المستقيم».

ولك أن تدهش حين تجد الرجل يترك مجال المنبر والقلم ليشترك في ساحة الحرب حين تدفعه الرغبة المُلحّة في نصر الإسلام، فقد أسهم في حرب طرابلس ضدّ العدوان الطلياني سنة ١٩١٢م، وحين قامت الحرب العالمية الأُولى أخذ مكانه في الجبهة الإسلامية، فنشط إلى القوقاز مع الجيش العثماني، ثمّ دلف إلى ألمانيا للاتّصال بأسرى المسلمين هناك، ومازال يجوب الأقطار من شرق لغرب حتّى انتهت الحرب على غير ما يودّ، فلم ييأس في شيء، بل ترك ميدان الحرب ليعود مُبَشّراً في اليابان!

ومازالت جهوده تتوالى حتّى أسلم على يديه المئات والآلاف، وحتّى أصبح الإسلام معترفاً به في بلاد الشمس المشرقة. وقد ارتفعت في طوكيو مئذنتان عاليتان في مسجدين كبيرين، تردّد كلتاهما في اليوم الواحد خمس مرّات هتاف الإسلام الخالد: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلّا الله!

التحق عبد الرشيد إبراهيم بالرفيق الأعلى بتاريخ ٣١ / أغسطس / ١٩٤٤م.

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٤١ـ ٤٩).

عبد السلام العبادي

الدكتور عبد السلام العبادي: أمين عامّ مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ورئيس الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وشخصية إسلامية شهيرة.

من مواليد عمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية في ١٠/ ٣/ ١٩٤٣م. أكمل دراسته الابتدائية والمتوسّطة والثانوية في المدرسة العلوية وكلّية الحسين بعمّان سنة ١٩٥٩م، وأكمل دراسته الجامعية الأُولى في كلّية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٦٣م، وحصل على الليسانس في الشريعة الإسلامية بتقدير جيّد جدّاً، كما حصل على الماجستير في الفقه المقارن بامتياز من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٧م، و حصل على الدبلوم التمهيدي للماجستير في التاريخ الإسلامي من كلّية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨م، وحصل على الدكتوراه في الفقه المقارن بمرتبة الشرف الأُولى مع التوجيه

بطباعة الرسالة «الملكية في الشريعة الإسلامية» وتبادلها مع الجامعات العالمية من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٢ م.

عمل معلّماً في المدارس الثانوية سنة ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م، وموجّهاً للوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف سنة ١٩٧٢م، وعضو هيئة التدريس في الجامعة الأردنية كلّية الشريعة سنة ١٩٧٢ م ـ ١٩٨٣ م، وقد تولّى فيها: رئاسة قسم الفقه والتشريع سنة ١٩٧٥م ـ ١٩٧٧م، وعمادة شؤون الطلبة سنة ١٩٧٨ م ـ ١٩٨٢ م.. وقد قام في الجامعة بتدريس مواد: نظام الإسلام، والاقتصاد الإسلامي، والفقه المقارن، وفقه العبادات، وفقه المعاملات، وتاريخ التشريع، والمدخل الفقهي، والنظريات الفقهية.

عيّن وكيلاً لوزارة الأوقاف (أميناً عامّاً) من سنة ١٩٨٢م ـ ١٩٨٨م، ومديراً عامّاً لمؤسّسة إدارة وتنمية أموال الأيتام من سنة ١٩٨٩م ـ ١٩٩٣م، ووزيراً للأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية من ١٩٩٣م ـ ٢٠٠١ م.

وعمل في المجال الخيري التطوّعي أميناً عامّاً للهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ورئيساً للجنتها التنفيذية متطوّعاً من سنة ١٩٩٠م حتّى سنة ٢٠٠٨م، وقبلها كان مقرّراً للّجنة الوطنية للتضامن مع السودان، ورئيساً للجنة التعاون والتنسيق مع الشعوب الإسلامية منذ سنة ١٩٨٧ م، حيث دمج نشاطهما في نشاطات الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية عندما أُسّست سنة ١٩٩٠ م.

وعيّن رئيساً لمجلس أُمناء جامعة آل البيت من ١/ ٩/ ٢٠٠١ إلى ٦/ ١٢/ ٢٠٠٤م، وحصل على درجة الأُستاذية بتعيينه أُستاذاً في الفقه المقارن في كلّية أُصول الدين ـ جامعة البلقاء التطبيقية الأردنية سنة ٢٠٠٣م، وصدرت الإرادة الملكية بتعيينه رئيساً لجامعة آل البيت في ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤ م حتّى تاريخ ٧ / ٤ / ٢٠٠٥ م، وعيّن وزيراً للأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠٥م، وأُعيد تعيينه رئيساً لجامعة آل البيت بتاريخ ٨/ ١/ ٢٠٠٦م، وصدرت الإرادة الملكية بتكليفه مستشاراً للشؤون الإسلامية والدينية بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠٠٦ م، كما تمّ تعيينه أميناً (مديراً عامّاً) لمجمع الفقه الإسلامي الدولي

التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلامي بداية من غرّة مارس ٢٠٠٨ م.

وهو عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي ممثّلاً للمملكة الأردنية الهاشمية من بداية تأسيسه سنة ١٩٨٣ م حتّى الآن ٢٠١٠ م، ونائباً للرئيس حتّى سنة ١٩٨٩ م، ثمّ أُعيد انتخابه في نفس المنصب خلال مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في ماليزيا خلال شهر يوليو ٢٠٠٧م، فأميناً للمجمع بداية من مارس ٢٠٠٨م، وعضو مجلس الإفتاء الأردني منذ تأسيسه سنة ١٩٨٦م حتّى الآن، وكان عضواً في لجنة الإفتاء قبل تأسيس المجلس منذ سنة ١٩٧٥م، وعضو المجلس الأعلى للإعلام منذ تأسيسه سنة ٢٠٠١ م، ونائباً لرئيسه منذ سنة ٢٠٠٣ م حتّى سنة ٢٠٠٥ م، وعضو مجلس التعليم العالي لعدّة مرّات بصفته الشخصية وحتّى سنة ٢٠٠٣ م وللفترة التي عيّن فيها رئيساً لجامعة آل البيت، وعضو مجلس التربية والتعليم لعدّة مرّات وحتّى سنة ٢٠٠١ م، وعضو في مؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي منذ سنة ١٩٨٦ م حتّى الآن ٢٠١٠ م، حيث كانت تسمّى «المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية».

شارك الدكتور العبادي في العديد من المؤتمرات العلمية والندوات الأكاديمية في مجالات: الفكر الإسلامي المعاصر، والدعوة، والتربية، والاقتصاد الإسلامي، والفقه، والحوار بين المذاهب، والحوار الإسلامي ـ المسيحي.

وشارك في مؤتمرات: مجمع البحوث الإسلامية، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية، ومؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي في المملكة الأردنية الهاشمية وخارجها، وفي عدد من مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرّمة، وفي مؤتمرات وندوات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ـ القاهرة. وشارك في العديد من اللقاءات والمؤتمرات بحكم عمله لسنوات عدّة في الوزارة جاوزت ثماني سنوات، مثل المشاركة في العديد من مؤتمرات القمّة ووزراء الخارجية ووزراء الأوقاف.

ترأس أو شارك بحكم عمله في العديد من المجالس، مثل: مجلس الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية، ومجلس إدارة صندوق الزكاة، ومجلس مركز تأهيل الوعّاظ

والأئمّة، ومجلس كلّية الدعوة وأُصول الدين وكلّية العلوم الإسلامية، ومجلس إدارة مركز التدريب للتعامل مع الكوارث في الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية، وللّجان المتعدّدة وبخاصّة في مجال اللجان القانونية والإعلامية والتربوية والإسلامية العامّة، وأهمّها لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبّة الصخرة المشرّفة والتي قامت بأعمال كبيرة في الإعمار هناك، وكذلك رئاسة اللجنة التنفيذية للهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية من يوم أُسّست سنة ١٩٩٠م حتّى ٢٠٠٨م.

وشارك في إعداد المناهج والكتب التدريسية والإشراف عليها في المملكة الأردنية الهاشمية وسلطنة عمان، وشارك في وضع العديد من القوانين المطبّقة في المملكة الأردنية الهاشمية وبخاصّة في المجالات الإسلامية، مثل قانون الأوقاف والزكاة وسندات المقارضة والأحوال الشخصية والبنوك، ودافع عن كثير منها أمام مجلس الأُمّة، وقد تميّزت هذه القوانين بتبنّي اجتهادت فقهية معاصرة أحدثت نقلة كبيرة في مجالاتها.

أشرف وناقش عدداً من الرسائل العلمية في الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه)، في: جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، وجامعة آل البيت، والأكادمية العربية للعلوم المالية والمصرفية.

ترأس تحرير مجلّة «هدى الإسلام» من سنة ١٩٨٢م ـ ١٩٨٨م، وتولّى الإشراف عليها من سنة ١٩٩٣م ـ ٢٠٠١م، وهي مجلّة إسلامية عامّة يصدر منها كلّ سنة هجرية عشرة أعداد.

وهو عضو مجلس أُمناء جامعة جرش سنة ١٩٨٨م ـ ٢٠٠٠م، وعضو هيئة المديرين للشركة التي تملكها منذ سنة ٢٠٠٣م حتّى تاريخ تعيينه رئيساً لجامعة آل البيت بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٠٤م، وقد تمّ تعيينه عضواً في مجلس التصنيف الشرعي للوكالة الإسلامية الدولية للتصنيف سنة ٢٠٠٤م (والذي سيشرف على تصنيف البنوك الإسلامية من حيث توافر الرقابة الشرعية والالتزام بها). واختير سنة ٢٠٠٤م عضواً في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرّمة، وعمل نائباً لرئيسة اللجنة العليا لحملة البرّ

والإحسان في الأردن، وشارك في الاجتماعات التأسيسية لصندوق تثمير الأوقاف التابع للبنك الإسلامي للتنمية سنة ٢٠٠٠م ،كما شارك في الفريق المتخصّص الذي شكّله المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب لإعداد مواد تدريبية لتأهيل حملة الماجستير والدكتوراه في الاقتصاد الوضعي في علوم الشريعة اللازمة لهم.

تمّ تعيينه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بموجب قرار من رئيس مجلس وزراء جمهورية مصر العربية صادر بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٠٨م، وتمّ اختياره نائباً لرئيس الهيئة الشرعية للرقابة والتصنيف التابع للمجلس العامّ للبنوك والمؤسّسات الإسلامية في ٢٥/ يونيو/ ٢٠٠٨م. كما تمّ اختياره رئيساً للمجلس الاستشاري الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية التابع للمنظّمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة خلال الاجتماع الثاني للمجلس الاستشاري الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية المتعدّدة بالرباط ١٤ ـ ١٥/ يوليو/ ٢٠٠٨م. وأيضاً تمّ اختياره رئيساً للجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية خلال المؤتمر الثاني والعشرين للوحدة الإسلامية المنعقد بطهران ١٣ ـ ١٥/ مارس/ ٢٠٠٩م.

حصل الدكتور العبادي على بعض الأوسمة والجوائز، منها: وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية سنة ١٩٨٧م، ووسام الكوكب الأردني من الدرجة الأُولى سنة ١٩٩٣م، ووسام الحسين بن طلال للعطاء المتميّز سنة ٢٠٠٠م، ووسام الثقافة والعلوم من الطبقة الأُولى من جمهورية مصر العربية سنة ١٩٩٢م، ووسام الجمهورية من الدرجة الثالثة من جمهورية السودان الديمقراطية سنة ١٩٩٢م، وجائزة غاندي وكنج وكير الدولية سنة ٢٠٠٣م، والميدالية الفضّية لمنظّمة الحماية الدولية سنة ٢٠٠٤م، كما حصل على شهادة بمنحه لقب فارس في مجال الحماية المدنية من المنظّمة الدولية للحماية المدنية والدفاع المدني سنة ٢٠٠٤م، وحصل على شهادة تقديرية بالدرجة الممتازة من منظّمة المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٩٦م لدوره في مجال العمل الإسلامي المشترك ودعمه لنشاطات المنظّمة وبرامجها، وعلى جائزة الدولة الأردنية التقديرية والتشجيعية لعام ٢٠٠٦م في

حقل العلوم الاجتماعية في مجال دراسات في الفكر الإسلامي، وعلى جائزة البنك الإسلامي للتنمية لسنة ١٤٢٨هـ في مجال الاقتصاد الإسلامي.

من مؤلّفاته: الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، دور الاقتصاد الإسلامي في إحداث نهضة معاصرة (بالاشترك)، الضمان الاجتماعي بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية، الرعاية الأردنية الهاشمية للقدس والمقدّسات الإسلامية فيها، فقه المعاملات.

كما كتب أكثر من خمسين بحثاً مقدّماً لعديد من المؤتمرات والندوات العلمية.

يقول: «أُطلق على الحوار عناوين عدّة كان من أهمّها التقريب بين المذاهب.. والواقع أنّ هذا العنوان قد يوحي بأنّ الهدف من هذا الحوار هو محاولة التغيير في المذاهب لافتعال التقريب بينها.. وهذا غير مقصود ولا مطلوب؛ لأنّه لا بدّ من احترام استقلالية المذاهب وطبيعتها ومواقفها.. لكنّ المطلوب أن لا تكون عملية الاتّباع للمذاهب قائمة على التعصّب تجاه المذاهب الأُخرى، أو الجهل بها، أو التهجّم عليها.. إنّما يظلّ الأمر في إطار تعدّد الآراء ووجهات النظر دون الإساءة لعلاقة الأُخوّة والوحدة بين المسلمين.

ويتطلّب ترسيخ هذا التصوّر والسلوك معرفة أسباب اختلاف الأئمّة ومنشأ قيام المذاهب الفقهية الإسلامية، وهو أمر طبيعي يعود إلى اختلافهم في فهم دلالات النصوص، وإلى اختلافهم في الحكم على صحّة النصّ، أو وصول النصّ إلى الفقيه أو عدمه (وهذا فيما يتعلّق بالأحاديث النبوية الشريفة ونقلها)، وكذلك إلى اختلافهم في الترجيح بين الأدلّة عند تعارضها. واختلافهم في الاجتهاد فيما لم يرد فيه نصّ صريح ممّا هو محلّ دراسة مستقلّة كتب فيها العديد من العلماء، وأسباب الاختلاف هذا تجعله خلافاً في الفروع والقضايا الجزئية، وهو غير الخلاف في العقائد والأُصول الأساسية.

وبذا يظهر أنّ الاختلاف في الفروع والقضايا الجزئية أمر غير مستغرب، وهو يثري المسيرة، وهو عنوان للسعة والرحمة.. ولكن المهمّ أن لا يؤدّي ذلك إلى التعصّب والتناحر والتنازع والفرقة.. وعليه يجب أن يكون الهدف من الحوار هو العمل على التقريب بين أتباع المذاهب؛ لأنّ الأصل أنّ المذاهب قريبة من بعضها بحكم التقائها على الأُصول

والقواعد، وأنّ الخلاف محصور في الفروع والجزئيات.. ولا يهدف التقريب المطلوب إلى إلغاء المذاهب، أو رفع الاختلافات، أو دمج المذاهب بعضها ببعض، أو إيجاد مذهب جديد.. إنّما يهدف إلى إبراز الجوامع المشتركة واحترام الفروق في إطار التأكيد على وحدة الأُمّة، ويؤكّد ذلك اشتراك المذاهب الإسلامية المتعدّدة في الرأي في العديد من المسائل الفرعية، فنجد القول الواحد قد أخذ أكثر من مذهب.

إنّ هذا الحوار يؤكّد على وحدة المسلمين في مواجهة ما يتعرّضون له من تحدّيات وأخطار، والواقع أنّنا في أمسّ الحاجة إلى تفعيل مفهوم الأُمّة الواحدة.. فلا يخفى أنّ ذلك هو هدف الإسلام، وأنّ هذا ما يدعو إليه ويؤكّد عليه باستمرار.. فالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي رسّخت مفهوم الأُمّة الواحدة عديدة، ولا بدّ من الالتزام بذلك إذا أردنا أن نحقّق الإسلام في أنفسنا وسلوكنا وواقعنا، فالدعوة إلى الحوار الإسلامي ـ الإسلامي والتقريب بين أهل هذه المذاهب قائم على مقاصد الشرع وغاياته في المجتمع الإنساني..

ثمّ إنّ الإسلام الذي أكمله الله تعالى وأتمّ به النعمة على المسلمين وارتضاه لهم ديناً لا يمكن أن يكون إلّا موحّداً للمؤمنين به، وموجّهاً لهم نحو معارج الخير والتقدّم، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (سورة المائدة: ٣)، كما أنّ كتاب هذا الدين الذي أنزله الله سبحانه مبيّناً لكلّ شيء وهدىً ورحمةً وبشرىً للمسلمين لا يمكن أن يجعله سبحانه سبباً للافتراق والاختلاف والتنازع، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل: ٨٩).

وقد أكّدت الآيات الكريمة على أنّه عندما يقع التنازع والاختلاف فلا بدّ لإزالتهما من العودة إلى الكتاب والسنّة، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٥٩).

ثمّ إنّ هذا ما تمليه علينا التحدّيات والأخطار التي تواجهنا كافّة، ممّا يتطلّب حشد الطاقات ورصّ الصفوف، بخاصّة أنّ العلاقات الدولية باتت تقوم على التكتّلات الكبيرة

والمواجهات الكبرى سياسياً واقتصادياً بل وعسكرياً... فهذا التقريب بين فئات الأُمّة يخدم مصالح الأُمّة العليا في ظروف بالغة الصعوبة.

إنّنا بحاجة ماسّة لتعميق المفاهيم المشتركة لتقوم علاقات التعاون بشكلّ أشمل وأعمق.. وإنّ البناء العقدي الراسخ والشامل لأبناء الأُمّة هو الدعامة الأساسية لوحدتها واجتماع كلمتها وتكاملها وتكافلها.. فهو متطلّب أساسي لتحقيق استقرارها وقوّتها وبناء ذاتها والانطلاق بها آفاق الرقي والتقدّم.

وفي إطار المفاهيم الأساسية بهذا الصدد لا بدّ من توضيح أنّ إطلاق لفظ (الإسلامية) على المذاهب يعني توافر الالتزام بأُصول الإسلام الأساسية وقواعده المقرّرة في إطار ما يجعل من هذا الإطلاق صحيحاً.. فأيّ مذهب يصادم أُصول الإسلام وأساسياته لا يصحّ أن يوصف بهذا الوصف، وهو يخرج من إطار اعتباره مذهباً إسلامياً إلى اعتبار أتباعه فرقة من الفرق التي خرجت عن سنن الإسلام وقواعده، فنحن نتحدّث عن المذاهب الملتزمة بالكتاب والسنّة دون الحركات الخارجة عن الإسلام، ولا بدّ من معالجة هذه الأُمور بكلّ صراحة وعلى أساس من الموضوعية والدقّة، ومعرفة المذاهب من مصادرها ومراجعها ليكون هناك وضوح تامّ بين مفهوم المذهب ومفهوم الفرقة وبين مفهوم الاختلاف الفقهي المقبول ومفهوم الطائفة القائمة على الافتراق والتباين في الأُصول والعقائد.

ومن الضروري أن تنعكس عملية التقريب بين المذاهب وفق ما سبق بيانه على مناهج التربية والتعليم، ليس في تنقيتها فحسب ممّا يسيء إلى العلاقة بين المذاهب، إنّما في ترسيخها لعلاقات الأُخوّة والمحبّة بين أتباعها ،كما يجب أن تتبنّى أجهزة الإعلام والتوجيه الخطط المدرسية للتقريب بين المذاهب، بهدف نقل هذه المفاهيم إلى القطّاعات العريضة من الناس، ممّا يؤدّي إلى تعميق ثقافة الحوار والالتقاء بين جميع المذاهب الإسلامية.. ولا بدّ من التركيز هنا على أنّ التعصّب الأعمى للرأي والانتصار للمذهب بانفعال وتشنّج هو من بقايا التخلّف الذي عانت الأُمّة منه في العصور المتأخّرة، والتخلّص من ذلك يتطلّب جهوداً كبيرة تبذل على مستوى القادة والموجّهين والعلماء والدعاة لترجمة هذه الأفكار إلى واقع عملي ملموس ومستقرّ».

عبد الصبور شاهين

عبد الصبور شاهين: مفكّر إسلامي مرموق، من أشهر الدعاة بمصر والعالم الإسلامي، وهو عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

يعمل أُستاذاً متفرّغاً لكلّية دار العلوم بجامعة القاهرة. وكان سابقاً خطيباً بمسجد عمرو ابن العاص أكبر وأقدم مساجد مصر.

عمل أُستاذاً بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن فترة من الزمن.

له ٦٥ كتاباً ما بين مؤلّفات وتراجم، أكبرها مفصّل لآيات القرآن في عشرة مجلّدات، وأحدثها «مجموعة نساء وراء الأحداث» ١٠ كتب. ويبقى مؤلّفه الأشهر «أبي آدم» والذي أثار ضجّة كبيرة ولا زال، وهو أوّل من اشترك مع زوجته في التأليف، إذ أخرجا معاً موسوعة «أُمّهات المؤمنين» و«صحابيات حول الرسول» في مجلّدين.

ينسب للدكتور توليده وتعريبه لمصطلح «حاسوب، وهو المقابل العربي لكلمة «الكمبيوتر»، والذي أُقرّ من قبل مجمع اللغة العربية.

من مؤلّفاته: أبي آدم، دستور الأخلاق في القرآن، مفصّل آيات القرآن (ترتيب معجمي)، تاريخ القرآن.

ومن أشهر من تتلمذوا على يديه الأديبة الشهيرة بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمان).

يقول في مقالة له حول «الأحرف السبعة»: «إنّ قضية الأحرف السبعة من أخطر قضايا الخلاف بين جناحي الأُمّة الإسلامية السنّة والشيعة، وإنّما تأتي خطورتها من اتّصالها بالنصّ القرآني الذي هو دستور الأُمّة الإسلامية، أعني: أنّها ذات اتّصال بمفهوم الأُمّة الواحدة التي نصّ القرآن على وحدتها في آيات كثيرة، ونبّه أيضاً إلى خطورة انقسامها إلى طوائف وأحزاب، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢ ـ ٩٣)،

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٢ ـ ٥٣)، وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنفال: ١٠٣)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٩)، إلى آيات كثيرة تأمر بالوحدة والتماسك، وتحذّر من الانقسام والتنازع.

وحسبنا أن نقرأ قول الله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٩)، وهي آية تحذّر من التنازع وتذكّر بعواقبه.. ولا شكّ أنّ الأُمّة الإسلامية تعيش الآن هذا الفشل، وهي تعاني من (ذهاب الريح)، وليس أمامها إلّا أن تعود إلى وحدتها، ولتستطيع أن تواجه الأخطار التي تتهدّدها، وقد صار واضحاً جلياً أنّ الأعداء ـ وما أكثرهم ـ يبنون خطّتهم في إذلال أُمّة الإسلام على أساس تفريقها، بل وتمزيقها، وإشعال النار بين طوائفها، فإذا استطعنا أن نجمّع الصفوف ونوحّدها فذلك في رأينا حجر الأساس واستعادة القوّة الذاتية لأُمّة الإسلام.

وقضية (الأحرف السبعة) من قضايا الخلاف بين السنّة والشيعة، وليس عسيراً أن يقضى على الخلاف في هذه القضية دون أدنى خلاف، والمسافة بين الفريقين يمكن تلافيها عند التأمّل، رغم بعد المسافة في ظاهر الأمر، (وهي المسافة بين القول بقراءة القرآن على سبعة أحرف، والقول بقراءته على حرف واحد)، وقد ثبت لدينا أنّ التوفيق بين الموقفين ليس عسيراً، بل هو يسير إذا أُخلصت النوايا وصفت القلوب».

وللدكتور شاهين كتاب وحدوي تحت عنوان: «السنّة والشيعة أُمّة واحدة»، نشرته دار نهضة مصر في القاهرة.

ويوجّه مؤلّف الكتاب دعوة إلى عقلاء الأُمّة للتريّث في رمي كلّ فريق بالكفر تحت وطأة السياسة التي تفرّق ولا توحّد، كما أكّد أنّ المسلمين جميعاً أُمّة واحدة، فإلٰههم واحد،

وقبلتهم واحدة، يبغون جميعاً وجه الله.

يقول الدكتور شاهين: «ها نحن أُولاء نعيش على هذه الأرض، تغطّي جماهيرنا مساحات ليست هيّنة من العالم، ونحن نشترك في صفة واحدة هي أنّنا مسلمون، ومع ذلك أنّ ما نحسبه يوحّد بيننا هو في نفس الوقت غائب عن واقعنا متفلّت من بين أصابعنا! بل إنّه الذي يغرقنا، أو بتعبير أدقّ: لقد حوّلنا سبيلنا إلى الوحدة سُبلاً متفرّقة ومساعي شتّىٰ!».

عبد الصبور مرزوق

عبد الصبور مرزوق: مفكّر إسلامي، والأمين العامّ للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وأحد دعاة التقريب.

ولد وفقاً لجريدة «الوطن» السعودية في مركز الباجور في محافظة المنوفية، وتخرّج في كلّية دار العلوم عام ١٩٤٨م، وعمل مذيعاً بالإذاعة المصرية، ثمّ حصل على درجة الماجستير عن رسالة في «الخطابة السياسية في مصر منذ بداية الاحتلال حتّى إعلان الحماية»، ثمّ الدكتوراه حول «أدب ثورة ١٩١٩م في مصر».

وشغل العديد من المناصب، بينها: مدير عامّ رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، ثمّ عمل مساعداً للأمين العامّ للرابطة، وعمل أُستاذاً لأدب الدعوة بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية لمدّة ستّ سنوات، وقبلها مديراً للمركز الإسلامي في الصومال، وعيّن نائباً لرئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وأميناً عامّاً للمجلس المذكور.

وله العديد من المؤلّفات التي ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، ومنها كتابه الشهير «الإسلام والقرآن ومقولات ظالمة». وشارك في إصدار «الموسوعة القرآنية» عام ١٩٦٨م في ستّة مجلّدات ضخام. وألّف كتاب «معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم» عام ١٩٩٠م في ثلاثة مجلّدات كبار، وأشرف على إصدار العديد من الموسوعات العلمية في مجال الفكر الإسلامي التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

توفّي عام ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٨٢ عاماً.

يقول في تصديره لكتاب «دعوة التقريب» المنشور في القاهرة لعام ١٤١٢ هـ : «أمل من آمال رجال الدعوة والفكر الإسلامي في مختلف أنحاء عالمنا أن تلتقي أُمّة الإسلام ـ كلّ أُمّة الإسلام ـ على كلمة سواء تتوحّد عندها الأهداف وإن اختلفت الوسائل.

وإذا كانت الدعوة إلى الوحدة الكبرى تحول دونها مصاعب وعقبات نترك لعامل الزمن أن يفعل فعله في التغلّب عليها.

فإنّ الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ممّا يمكن للعلماء أن يحقّقوه متى خلصت النيات وصحّت العزائم وآمن الجميع بأنّ وحدة الأُصول يجب أن تهذّب كلّ خلاف حول الفروع بما يمهّد الطريق أمام الوحدة المرجوّة.

وقد سبق للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أن أصدر كتابه الكبير عن «دعوة التقريب» من خلال «رسالة الإسلام» في عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م بأقلام لفيف من خيرة علماء الأُمّة ورجالها الداعين إلى «التقريب» والعاملين له.

وهذا الكتاب الذي يقدّمه المجلس اليوم إنّما هو تاريخ ووثائق لدعوة التقريب: كيف بدأت؟ ومن هم الرجال الكبار الذين أسهموا في الدعوة إليها؟ ونماذج من آرائهم وكتاباتهم، نضعه بين أيدي الباحثين والدارسين وبين أيدي رجال الفكر والدعوة خاصّة، عسى أن يسجّل التاريخ خطوة إيجابية جديدة على طريق «التقريب» تساعد على رأب ما تصدّع، وتجميع ما تفرّق، والخروج بأُمّة الإسلام ممّا هي فيه اليوم إلى حيث أُريد لها أن تكون خير أُمّة أُخرجت للناس».

(انظر ترجمته في: دعوة التقريب: ٥).

عبد العزيز البدري

عبد العزيز عبد اللطيف البدري: علم من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق، وأحد دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في بغداد في العام ١٩٣٠م، ونشأ على تربية إسلامية رصينة، وتتلمذ على يد علماء بغداد منذ صغره، وعلى رأسهم الشيخ: أمجد الزهّاوي، والشيخ محمّد فؤاد الآلوسي،

والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ شاكر البدري، الذين كانوا من أبرز وجوه بغداد العلمية الإسلامية آنذاك.

وبعد اكتشاف مواهبه الخطابية ونبوغه في الفكر واللغة والتاريخ رشّحه أُستاذه لاعتلاء المنبر الإسلامي كخطيب وإمام جامع وهو دون العشرين من العمر آنذاك في عام ١٩٤٩م عندما عيّن في مسجد السور في بغداد، واستمرّ على حمل أمانة المنبر حتّى عام ١٩٥٤م عندما أدركت السلطة في العهد الملكي نشاطه وتأثيره في الناس، فعمدت إلى إبعاده إلى قرية نائية من قرى محافظة ديالى تدعى قرية (حديد)، فأصبح فيها إماماً وخطيباً لجامع القرية، وترك فيها أثره، وخرّج منها أئمّة وخطباء ودعاة صار لهم شأن في المجتمع العراقي. وبعد سقوط الحكم الملكي في ١٤ تمّوز عام ١٩٥٨م أصبح إماماً وخطيباً في جامع الحاجّ أمين من منطقة الكرخ في العام ١٩٥٩م، وكان المدّ الشيوعي قد أخذه مأخذه، فتصدّى للشيوعية جهاراً على المنبر، فوضع تحت الإقامة الجبرية ولمدّة سنة كاملة وحتّى صدور العفو العامّ عن السياسيّين عام ١٩٦١م.

تصدّى بكلّ شجاعة لتوجّهات عبد السلام عارف ولسياسته آنذاك، فأُبعد من مدرسة التربية الإسلامية في منطقة الكرخ التي كان مدرّساً فيها بعد أن فصل أحد طلّابه بسبب تهجّمه على سياسات عبد السلام عارف! فنقل إلى جامع لم يكتمل بناءه، فطلب منه أن يكمل تشييده ليخطب فيه؛ لتعجيزه وتعطيل آلية جهاده ضدّ الظلم والطغيان. وبفترة قياسية وبجهود الخيّرين استطاع إنجاز بناء جامع (عادلة خاتون) قرب جسر الصرّافية في جانب الرصافة. وعند افتتاح الجامع ـ وهو على المنبر يلقي خطبته ـ فوجئ بدخول عبد السلام عارف رئيس الجمهورية آنذاك، ولم يكد يأخذ عارف مكانه حتّى بدأ الشيخ البدري بتوجيه كلماته المشهورة إلى عارف دون خوف أو تردّد: «يا عبد السلام، طبّق الإسلام، إنّ تقرّبت من الإسلام باعاً تقرّبنا إليك ذراعاً. يا عبد السلام، القومية لا تصلح لنا، وحده الإسلام ملاذنا، وعند الانتهاء من خطبته جلس جانباً ولم يلتفت إلى الرئيس العراقي، فقام الأخير وصافحه قائلاً: «أنا أشكرك على هذه الجرأة!»، لينقل بعد هذه المجابهة إلى مسجد

الخلفاء المغلق بين سنة ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م وذلك لشلّ نشاطه الإسلامي. وبعد ضغوط الشارع الإسلامي وتهديده بإقامة الصلاة وإقامة الخطبة في شارع الجمهورية أمام الجامع المغلق «جامع الخلفاء» اضطرّت السلطات أن تنقله إلى جامع إسكان غربي بغداد كـإمام فقط ومنعته من ممارسة دوره كخطيب.

وفي عهد الرئيس عبد الرحمان عارف الذي خلّف أخاه بعد مصرعه في تحطّم طائرته، قاد البدري مظاهرة جماهيرية للاحتجاج على محاضرة لنديم البيطار في إحدى قاعات منطقة المنصور في بغداد، والذي هرب من الباب الخلفي للقاعة ومعه من أتى به دون أن يكمل محاضرته، ليوقف البدري على أثر ذلك أيّام عدّة.

وبعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧م التحق الشيخ البدري بالمقاومة الفلسطينية دون أن يعلم عائلته، بل وضع وصيته عند زميله الدكتور وجيه زين العابدين، وأوصاه تسليمها إلى أهله عند استشهاده. ولكن المجاهدين في فلسطين طلبوا منعه العودة إلى العراق وحمّلوه أمانة القضية الفلسطينية لنشرها في بلده وفي بلدان ودول إسلامية وعربية. وخلال أيّام معدودة استطاع أن يؤلّف وفداً من علماء المسلمين يضمّ السنّة والشيعة وبعض الشخصيات الثقافية والشعبية للطواف حول العالم الإسلامي من أجل استنفار المسلمين ونقل القضية الفلسطينية إلى النطاق الإسلامي تحت عنوان: «من أجل فلسطين.. رحلة الوفد الإسلامي العراقي» من ٢٧ حزيران وحتّى ٨ آب عام ١٩٦٧م، ضمّ: الدكتور صالح السامرّائي، والمحامي داوود العطّار، والدكتور عدنان البكّاء من النجف الأشرف، والمهندس عبد الغني شندالة، والشيخ عبد العزيز البدري، والسيّد صالح سري، والمحامي محمّد الآلوسي، في رحلة إسلامية إعلامية شملت زيارة أندونيسيا وماليزيا والهند وباكستان وأفغانستان وإيران وتركيا، لإيصال القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني واحتلال الأرض قسراً وظلماً في سيناء وجولان والضفّة الغربية.

ظلّ الشيخ البدري يقارع الحكّام بالكلمة، وتضاعف بعد مجي نظام البكر ـ صدّام إلى الحكم في العراق العام ١٩٦٨م، وكان دائماً يبدأ خطبته بمقدّمة اشتهر بها: «أعوذ بالله من

شرور أنفسنا وسيّئات حكّامنا، ويختم خطبته بـ «اللهمّ، ارزقنا بدولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا من الدعاة إلى طاعتك والاقتداء إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة وشهادة في سبيلك»، ممّا حدا بالنظام الحاكم إلى اعتقاله وتعذيبه حتّى الموت، فانتقل إلى رحمة الله شهيداً عام ١٩٦٩م، وتمّ دفنه في الأعظمية ببغداد.

وكان الشيخ البدري من العلماء الوحدويّين والمقرّبين بين الطوائف الإسلامية، وتربطه بعلماء الشيعة علاقات وطيدة، في سعي منه لتقريب وجهات النظر بين الطائفتين.. ففي بغداد كانت تربطه صلات صداقة ومحبّة وجهاد بينه وبين الشيخ محمّد مهدي الخالصي، وكذلك الشيخ علي الصغير إمام جامع براثا في بغداد، وعلماء آخرين في المدن الأُخرى، كما كانت تربطه علاقة حبّ وتقدير بينه وبين المرجع الديني زعيم الحوزة السيّد محسن الحكيم، والشهيد السيّد مهدي الحكيم، والشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم، والسيّد الدكتور مصطفى جمال الدين، والدكتور عدنان البكّاء، وشخصيات شيعية أُخرى في النجف وكربلاء المقدّستين.

ويذكر بأنّه قد رأس وفداً من أهل السنّة وذهب إلى كربلاء والنجف وطلب من علمائها التدخّل لإيقاف تنفيذ حكم الإعدام في سيّد قطب، وعندما التقى بزعيم المرجعية الشيعية السيّد محسن الحكيم أبلغه بأنّه كان قد أبرق إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر ألّا يقدم على إعدام العلماء، وسيّد قطب من أكبر علماء ومفكّري العصر، وقبل أيّام من لقائه؛ لأنّ هذا من واجبه الشرعي.

ذكر الشيخ جلال الصغير إمام مسجد براثا في بغداد: أنّ النظام استهدف الشهيد البدري كونه شخصية إسلامية نزيهة وخطيباً مفوّهاً جريئاً في كلمة الحقّ ومتحمّساً لنصرة دين الله، تصدّى للحكم الدكتاتوري بكلّ شجاعة وكشف زيفهم وفضحهم متعرّضاً باليد واللسان لكلّ قوى الاستبداد والطغيان. وكان مسلماً صادقاً يحاور ويجاهد في سبيل التقريب بين أهل السنّة والشيعة، ولعلّه كان ضحية هذا التقريب من قبل النظام الذي حاول اللعب على

مبدأ (فرّق تسد)، وكان قد اقتيد إلى زنزانات التعذيب بعد أيّام من مشاركته في مؤتمر تقريب بين الشيعة والسنّة استجابة لدعوة السيّد محسن الحكيم ومراجع الشيعة في النجف الأشرف الذين استطاعوا أن يقطعوا شوطاً كبيراً لتعزيز التقارب الأخوي الإسلامي الصادق بين الطائفتين، بمعنى أنّ حضوره كان ملموساً لدى الأوساط الشيعية قبل السنّية. ولعلّ أصدق دليل على ذلك هو تأثّر الشيعة وحزنهم عليه عند استشهاده.

ترك البدري عدداً من الكتب والمؤلّفات منها: الإسلام بين العلماء والحكّام، حكم الإسلام في الاشتراكية، الإسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية، الإسلام ضامن للحاجات الأساسية لكلّ فرد، كتاب الله الخالد القرآن الكريم.. وكذلك ترك العشرات من الخطب والمواعظ الإسلامية من تلك التي كانت متداولة بين الناس قبل أن يصادر النظام مكتبته الصوتية.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ١٥).

عبد العزيز البشري

عبد العزيز سليم البشري: عالم وأديب ومصلح مصري.

ولد عام ١٨٨٦م في القاهرة، والتحق بكتّاب الحي الذي تلقّى فيه دراسته الأُولى، تلك التي أهلّته للالتحاق بالأزهر، ونال شهادة العالمية سنة ١٩١١م، وألمّ بألوان مختلفة من الثقافة الإسلامية والعربية، فضلاً عن العلوم المدنية الحديثة التي تقرّر أخيراً دراستها بعد أن أجازها الشيخ الإنبابي وصدّق على فتواه الشيخ محمّد البنّا.

وإذ كان البشري من أوائل الخرّيجين، فقد عيّن سكرتيراً بوزارة الأوقاف خلفاً للأُستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي الذي نقل إلى وزارة الحقّانية (العدل)، ثمّ انتقل إلى سكرتيرية وزارة المعارف، ولم يلبث بها إلّا قليلاً حتّى نقل إلى القضاء الشرعي، وظلّ يتنقّل بين المحاكم الشرعية، حتّى عيّن وكيلاً للمطبوعات، ثمّ مراقباً عامّاً لمجمع اللغة العربية، وهو المنصب المرموق الذي طالما تاقت نفسه إليه، وما ظفر به إلّا لشهرته الأدبية التي شرّقت وغرّبت، وبقي في منصبه حتّى اختاره الله تعالى لجواره سنة ١٩٤٣م.

اشتهر أُسلوبه الفكاهي الساخر الذي تأصّل على أُسلوب أبي عثمان الجاحظ في ملحه ونوادره وتهكّمه المرير.

كان البشري يقضي في مكتبة أبيه الشيخ سليم (شيخ الأزهر لمرّتين) الساعات الطوال بين أُمّهات الكتب ودواوين الشعراء، واتّجه بقراءته إلى كتب النقد التي كانت لا تشوّقه من قبل، فقرأ كتاب «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» للجرجاني، وكتاب «الموازنة» للآمدي، وكتاب «أخبار أبي تمّام» للصولي، وغير ذلك من كتب النقد التي تناولت آثار الشعراء بالنقد والتحليل والتجريح والتعديل، وبهذا صقل ذوقه الذوّاق، وتمّت له ملكة النقد، حتّى استطاع أن يشارك في هذا المجال.

وإذا كان البشري ناقداً أدبياً فهو كذلك ناقد اجتماعي، فقد كان يشهر قلمه في محاربة سلبيات المجتمع المصري محارباً مندّداً بما يرى أو يسمع.

وقد ترك آثاراً أدبية، من أهمّها: المختار في الأدب، في المرآة، قطوف في الأدب واللغة.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ١٨، معجم المؤلّفين ٥: ٢٤٧ ـ ٢٤٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٧٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ٣٢٩ ـ ٣٥٦، عمالقة وروّاد: ١٨٦ ـ ١٨٩، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٧٥ ـ ٦٧٦، معجم الشعراء للجبوري ٣: ١٧٩ ـ ١٨٠، موسوعة الأعلام ١: ٣٣١).

عبد العزيز الثعالبي

عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي: زعيم ومصلح تونسي جزائري الأصل، من الكتّاب الخطباء.

ولد في تونس سنة ١٨٧٣م في أُسرة عريقة في الفضل، ثمّ تعلّم بمدرسة باب سويقة الابتدائية، وانتقل إلى جامع الزيتونة فنال شهادته النهائية، وخرج إلى الحياة لينضمّ إلى حزب «تونس الفتاة» أوّل حزب تحريري قام في تونس لمكافحة الاستعمار، وقد أنشأ عدّة صحف وطنية تُقاوِم المحتلّ الغاصب، منها «سبيل الرشاد»، وقد صُودرت واحدةً بعد

الأُخرى، وضُيّق عليه في الاستمتاع بحرّيته، حين ألّف الحزب الوطني منادياً بتحرير العالم العربي كلّه، وإقامة الوحدة بين أقطاره، ثمّ عزم على السفر إلى الخارج لينشر دعوته تلك في ربوع العالم الإسلامي، ففهم الفرنسيّون قصده، وحالوا دون سفره حتّى استطاع أن يخرج مستخفياً، ويبدأ رحلاته المتتابعة.

وقد رأى الثعالبي أنّ تونس أضيق من أن تتّسع لآماله، وصمّم على الرحلة إلى شتّى الأماكن، فزار ليبيا ومصر والجزائر والمغرب الأقصى، وعقد صداقات قوية مع زعماء الفكر في هذه البلاد، ولا شكّ أنّ المخلصين من هؤلاء قد رحّبوا بمبادئه الممتازة، ولكنّهم أشفقوا على الأمل الطامح الممتدّ أن يعوق اتّساعه الفسيح دون تحقيق المأرب المتواضع، وهو استقلال كلّ قطر عربي وخلاصه من الاستعمار قبل أن يهتف بالوحدة الجامعة.

وقد جال الثعالبي جولته الأُولى، وزار عاصمة الخلافة؛ ليبلّغ المسؤولين أنّه يدعو إلى الوحدة العربية في نطاق الخلافة الإسلامية، وهي دعوةٌ لم تصادف هوى لدى القوم، ولكنّه جاهر بها، وكأنّهم رأوها خيالاً لا ينهض على ساقين، فتركوه يقول ما يشاء! ثمّ رأى أن يرجع إلى تونس ليُصدر صحيفته الوطنية شارحاً ما شاهده في رحلاته خارج البلاد وداعياً إلى إذكاء الحمية في النفوس على نحو يأبى صغار الاستعمار، وهُنا رأت الحكومة الفرنسية في باريس أنّها أمام خصم عنيد، فأوحت إلى عملائها في تونس أن يُسارعوا بإرهاب الزعيم المتحمّس، وقد أُلصقت به تُهمٌ لم تُحكم حبالها على وجه يُقنع قضاة الفرنسيّين أنفسهم، وأحدث اعتقاله ضجّة عامّة في أرجاء تونس، وخافت سلطة الاحتلال أن يمتدّ الغضب من أجله بحيث يصعب تلافيه، فأطلقته وأوقفت جريدته السياسية.

وكانت نعمة من الله لمثله؛ إذ منحته الهدوء ليؤلّف كتاباً سمّاه «روح القرآن»، كتبه بالعربية، ونقله إلى الفرنسية، وكان الهدف من ترجمته إلى لغة المحتلّ أن يُقنع الفرنسيّين في أوروبّا أنّ الإسلام دين حضاري، وأنّه بريء من افتراءات خصومه التي تُذاع في أوروبّا على نحو واسع، وكان للكتاب صداه، فدفعه نجاحه العلمي إلى أن يُصدر صحيفة باللغة الفرنسية تنطق بآمال التونسيّين خاصّة، والمسلمين عامّة، وتحمّل في نفقات ذيوعها ما

أرهقه وأثقل ديونه، ولكنّه كان يرى ذلك ضريبةً مفروضة على كلّ مكافح!

لقد ساءه أن تحتلّ إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١م، فعمل على جمع المعونات المالية، ونادى بضرورة الإسهام في القتال الدائر بطرابلس، وكأنّما رأى المستعمر الفرنسي أنّ هذا النشاط لا يحمل بغض المستعمر الإيطالي وحده في ليبيا، بل يدعو إلى الثورة داخل البلاد، فحاول إغراء الثعالبي بمنصب كبير في بلده، ولكنّه رفض العرض هازئاً، فقبض عليه الفرنسيّون، وطردوه من البلاد، وكان ذلك عودةً لنشاطه المعهود في الأُمم المجاورة في الشرق والدول المستعمرة في الغرب.

ثمّ أُعلنت الحرب العالمية الأُولى، فكان دمار أوروبّا الشامل بكوارثها أقوى دليل في يد الثعالبي على فساد الحضارة الأوروبّية، وكأنّ هذه المجزرة البشرية المريعة قد أمدّته بأقوى البراهين التي لا تُنقض؛ إذ جعلت من كانوا يتزعّمون قيادة الشعوب في ركب المدنية وحوشاً بين أدغالٍ! وهنا ركن المفكّر الحكيم إلى قلمه ليشرح مصائب الشرق والغرب معاً: مصائب الشرق في التفرّق والجمود، ومصائب الغرب في العدوان والانتهاب!

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «وإذا كنتُ أُعنى دائماً بعرض أفكار من أتحدّث عنه، فإنّي أجد فيما كتبه الثعالبي في هذا المجال نِدّاً عظيماً لأمثال جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده وعبد الرحمان الكواكبي؛ لأنّ هؤلاء المخلصين قد عرفوا مكامن الضعف في تخلّف الشرق، ودواعي الابتزاز في تسلّط الغرب، ووضعوا الأدوية الشافية لعلل الشرق المستعصية، وقد اتّفقت أفكارهم اتّفاق آمالهم الطامحة وهمومهم المشتركة، وليس اتّفاق النقل والاحتذاء، فلكلّ منهم خاطره المستقلّ ونظره السديد..

وبعض المجاهدين لا يتعمّقون في أحاديثهم الوطنية، بل يكتفون بالتعبير عن مشاعر الجماهير، فالسامع يُعجب بهم عاطفياً؛ لأنّهم يعبّرون عن مشاعره، فإن زادوا شيئاً فممّا يسهل تصوّره للنظرة الأُولى، ولكن الثعالبي ليس من هذا الطراز، فالرجل بحّاثة مشغوف بدراسات مختلفة من تاريخية وسياسية واجتماعية وتشريعية، وقد ظهر أثرها في نظراته التوجيهية، فهو في أكثر أحاديثه أُستاذ دقيق النظرة واسع المدى، وقد اقتنع اقتناعاً تامّاً بما

يهتف به ،فزاد هذا الاعتقاد أحاديثه توهّجاً وبريقاً .

ولعلّ أهمّ ما شغل ذهنه من الموضوعات السياسية ما بالشرق من مرض قعد به عن النهوض ، وكلّ سياسي مجاهد من زعماء الإصلاح قد أطال النظر في هذا المرض مُعلّلاً مستطبّاً، ولكن قلّ منهم من اهتدى إلى ما اهتدى إليه الثعالبي حين قرّر أنّ هذا الضعف قد تسلّل من عصور ماضية ، وكلّ عصر يزداد عن سابقه فتوراً وجموداً ، وعلّة العلل في ذلك هي جهل المسلم بثقافة دينه السياسية ، فكلّ ناشئ يعرف الكثير من أحكام العبادات والمعاملات ، ولكنّه لا يعرف شيئاً عن مركز الحاكم في الإسلام ، ومتى يكون أمره مطاعاً ، ومن الذين ينتخبونه ، وما الظروف والأسباب لعزله وتنحيته ، وتلك أُمور هامّة لو فُهمت على وجهها الصحيح ما استطاع المغتصبون للسلطة أن يظهروا بمظهر الشرعيّين الملتزمين .

هذا إلى ما جوّزه المأجورون من الفقهاء حين أباحوا إمامة المغتصب الذي يتولّى الأمر بالرهبة والعدوان ، فوُجِدت الحكومات الظالمة ، وتسلّطت على الرقاب ، وهي دخيلة زائفة ، فكان تسلّطها سبباً لاختلال الأمن ؛ إذ جمعت حولها الوصوليّين والهتّافين ، ممّن يؤيّدون كلّ حاكم ليبتزّوا الجاه والمنصب من لدنه » .

يقول الأُستاذ الثعالبي ببعض التصرّف : « ليس الدين قوّة مسلّحة ، تُرهن الناس وتستدعي الخلاف ، ولكنّه دين عقل وعمل وتسامح ، وقد وُجِد ضالّون مضلّلون في كلّ عصر يتنكّبون مصادر العلل ومناشئ الأدواء ، ويتهجّمون على الدين إذ يطعنونه في الصميم ، ثمّ يلحقون به ما أصابهم من جمود وانحطاط ، مع أنّ الدين في نشأته الأُولى قد قلب نظام العالم وأوجد إخاءً بشريّاً رحيماً وارف الظلال ، ودينٌ كهذا لا يُعقل أن يكون مصدر انحطاط ، ولكنّ الانحطاط جاء من إهمال تعاليمه .

كما أنّ فقد الرقابة على المؤلّفات العلمية والكتب المدرسية قد أوجد في هذه الكتب دسائس وأراجيف دُسَّت على الإسلام ، فكانت كالسوس الذي يأكل اللحم وينخر العظم ، وليس من وسيلة لتنبيه الناس غير مؤتمر جامع للمسلمين ينظر في شؤونهم العامّة » . ويقول الأُستاذ عبد العزيز الثعالبي : إنّه دعا إلى ذلك منذ ثلاثين عاماً في جريدة « المؤيّد » ، ولم

يستمع إليه أحد!

وحين رأى الثعالبي محاولة بعض المثقّفين الارتماء في أحضان الثقافة الغربية دون رجوع إلى أُصولنا الراسخة في مقرّراتنا الدينية التي لا خلاف عليها، استمع إلى ما يقال، ثمّ كتب عدّة مقالات تُبيّن الوجهة الصحيحة للرقي الحضاري، ومحو آثار التخلّف الإسلامي مُقارناً بالسبق الأوربّي، ولم تنقصه قوّة الحجّة حين أكّد أنّ المسلمين لا ينقصهم العلم بحياة الأُمم، ولا الإحاطة بأسباب ترقّيها، خصوصاً بعدما اشتهرت في العالم الإسلامي قواعد علمي الاجتماع والنفس، ودُوّنت أحداث الانقلابات الأوروبّية المعاصرة، وإنّما ينقصهم أن يعرفوا قابلية الأُمم واستعدادها لتلقّي ما يتناسب مع حالاتها وأوضاعها. فليس من الحكمة أن نترسّم في معالجة أدواء الأُمم الإسلامية اليوم كلّ الخطط التي جرت عليها أوروبّا في نهضتها؛ لأنّ ظروفنا غير ظروفها، والموانع التي تعوقنا غير الموانع التي تعترض تقدّمها، فقد كانت النهضة الأوروبّية التي بدأت في القرن الخامس عشر تسير في منهجها، وليس عليها رقيب من الأُمم التي تنافسها، ولم تطوّق بشرائع ظالمة يُمليها عليها أعداؤها وخصومها، كما هو حاصل في البلاد الإسلامية اليوم، وكانت أُمم أوروبّا سليمةً من كلّ تدخّل أجنبي، ومن دعايات ذيول المستعمرين، وهي أنكى فتكاً في نفوس الشبيبة من دعايات المستعمرين أنفسهم، وهذا هو السرّ في إخفاق النهضات الإصلاحية في البلاد الإسلامية؛ لأنّ محاولة احتذاء الغرب في كلّ وسائل نهضته لا تأتي هنا بالثمرة المرجوّة.

وهذا الكلام يؤكّده الثعالبي قبل أن تنقشع غيوم الاستعمار السياسي عن دول الإسلام، فهو يرى الخطر الجاثم في كلّ قطر إسلامي هادفاً إلى عرقلة حركات الإصلاح ذات المنزع الإسلامي.. وقد هتف الثعالبي بآرائه حين كان ركب متواصل السير في الصحف العربية يدعو إلى احتذاء كلّ شيء أوروبّي، ويقول: إنّ الحضارة الغربية هي العلاج بخيرها وشرّها، وأعجب شيء أن يعترف القائلون بوجود الشرّ في حضارة أوروبّا، ثمّ تدعو أقلامهم إلى احتذائه، فأيّ شطط يفوق هذا الشطط!

وإذا كان عبد الرحمان الكواكبي قد عقد مؤتمراً خيالياً في أُمّ القرى يجمع الشعوب

الإسلامية ويتحدّث ممثّل كلّ دولة عن همومها الموغلة في التعقيد. فإنّ الثعالبي نادى بسرعةٍ بقيام هذا المؤتمر الإسلامي عملياً لا خيالياً. فأعلن أنّ الإصلاح لا يتمّ بمقالات متفرّقة تُنشر في الصحف، فلا يقرؤها غير نفر قليل من قطر واحد وهو الذي تذيع فيه الجريدة. إنّما الإصلاح بدعوة ممثّلين مستنيرين من كلّ بلد إسلامي إلى مؤتمر عامّ، واقترح أن يكون المؤتمر في بلد محايد كسويسرا أو النرويج؛ ليأمن شرّ الهيمنة الاستعمارية ومحاولة توجيهه وجهة مخطئة إذ ذاك. وإنّما اختار قطراً أوروبّياً لا شرقياً؛ لما يتبع ذلك من انجذاب مراسلي الصحف وشركات الأنباء إليه. فتكون الدعاية العالمية له وسيلةً من وسائل النجاح، على أن يُحدِّد المؤتمر في ختام موعد انعقاده المؤتمر التالي ومكانه في مدى لا يقلّ عن عامين؛ ليرى المؤتمرون ما تمّ في هذه المدّة من تنفيذ لقرارات المؤتمر الأوّل.

هذه الدعوة الملحّة إلى عقد مؤتمر إسلامي لم تجد التنفيذ الذي رسم الثعالبي خطوطه بإحكام، بل عُقدت مؤتمراتٌ أُخرى، لا لتبحث مشكلات العالم الإسلامي بعامّة، بل لينحصر البحث في جزئيّة خاصّة، كقضية الخلافة وغيرها، ولم تأتِ هذه المؤتمرات بنتيجة حاسمة، بل كانت مصدراً من مصادر الخلاف، وهذا ما تخوّف منه الثعالبي حين دعا إلى عقد المؤتمر في دولة أوروبّية محايدة، وإلى أن يكون المؤتمرون مستقلّي النظر بعيدين عن تمثيل حكوماتهم الرسمية؛ لأنّ المبعوث الموفد من جهة رسمية إنّما جاء لينطق بلسانها الخاصّ دون نظر إلى الصالح العامّ.

وقد أكّد الثعالبي أنّ من الخير أن تكون أعمال المؤتمر تحت سمع أوروبّا وبصرها؛ لتعرف قوّة الأُمم الإسلامية مجتمعة، ثمّ لا تستطيع دولة استعمارية أن تحرّف القرارات أو تفسّرها وفق ما تشاء، وإذا تمّ ذلك فإنّ خطوات العلاج لكافّة أدواء المسلمين ستبدأ السير في الطريق الصحيح؛ إذ تُكشف الموانع وتُحدّد الوسائل وتتّضح الغايات.

وقد تنبّأ الثعالبي بعد الحرب العالمية الأُولى بانهيار المدنية الأوروبّية؛ لأنّها لا ترعى العدالة، ولا تنظر إلى العالم بالمقياس الخلقي، فالأُمم التي انتصرت في الحرب قد انقلبت

على حلفائها في الشرق بعد أن وعدتهم الوعود ومدّت لهم في الأماني، وقد اتّخذت من الحديد والنار سلاحاً في قهر الأُمم المغلوبة على أمرها، كما أنّ الدول المنهزمة في أوروبّا شعرت بالحقد والحسد، فعزمت على أن تثأر لنفسها، ولن يكون ذلك دون حرب جديدة تأتي على الأخضر واليابس.. هذا ما تنبّأ به الثعالبي عقب انتهاء الحرب العالمية الأُولى وتقسيم الدول بين المنتصرين تقسيم الأسلاب والغنائم. وقد نادى به حين كانت الجرائد اليومية في الشرق تتمدّح بارتقاء الحضارة الأوروبّية، وتراها أعظم نموذج يُحتذى، وقد اندفع هؤلاء يصمُون الثعالبي ومن تبعه في دربه المستقيم بالرجعية وقصر النظر، ناسين أنّ من مفكّري أوروبّا أنفسهم من نعى الحضارة الأوروبّية، وجعلها كالنار تأكل بعضها حتّى لا تبقي غير الرماد! وقد تُرجم ما قاله هؤلاء المفكّرون، وتبنّاه فريق من الفضلاء، غير أنّه لم يُعجب الهائمين بمدنية الغرب، لا لأنّهم يجهلون نقائصها الواضحة، بل لأنّهم مرتزقة منتفعون.

لقد تنقّل الثعالبي في ربوع الإسلام، فزار الهند وأندنوسيا والحجاز ونجد واليمن والعراق ومصر.. زار الثعالبي فلسطين في حقبتين متواليتين، فصلت بينهما زيارته للعراق، وإلماماتٌ متفرّقة بمصر والهند والحجاز.. ففي الحقبة الأُولى كان الانتداب الإنجليزي يمهّد لقيام دولة إسرائيل استجابة لوعد بلفور، وكان المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاجّ أمين الحسيني يستقطب كلّ مفكّر إسلامي؛ ليعاون بفكره وتدبيره في مطاردة الباغين، فما إن حضر الثعالبي إلى القدس، حتّى كان المستشار الأوّل للحاجّ محمّد أمين الحسيني، وقد ألقى محاضرات دينية وسياسية بين الشبيبة الفلسطينية تدعو إلى التحرّر القومي والعزّة الإسلامية، وتُصوّر الواقع السياسي كما هو حفزاً للهمم، وقد كان الأُستاذ عجّاج نويهض من أقرب خلصائه؛ نظراً لاتّصاله الدائم بالحاجّ أمين، فعرف أيّ مجاهد هو، وتحدّث عن تأثير خطابته الحماسية ومقالاته السياسية.

وقد استطاع الثعالبي أن يلفت الأنظار إلى تاريخ المغرب العربي في الحديث والقديم، فألقى عدّة محاضرات عن الفتح الإسلامي للمغرب بمعناه العامّ، وتحدّث عن أبطال

الفاتحين منذ عقبة بن نافع إلى أن أتمّ الله نوره في هذه البلاد، وهو في كلّ حديث يمزج روائع الماضي بأحلام الحاضر وأمانيه، وقد وصفته الصحف حينئذٍ بأنّه ابن خلدون الجديد.

أمّا الزيارة الثانية فكانت سنة ١٩٣١م حين انعقد مؤتمر إسلامي خاصّ بمأساة فلسطين، وقد شهده زعماء الإسلام في العالم كلّه، وقد هبّت على المؤتمر زعازع تعصف بمهمّته الأُولى؛ إذ اعتبرته بعض الدول مناهضاً لسياستها، وقد طار الحاجّ أمين إلى مصر ليبدّد هذا الوهم، وكان ترتيب المؤتمر من بدئه إلى نهايته وفق اقتراحات عبد العزيز الثعالبي، وطبيعيٌّ أن تحيطه المكايد الصهيونية بدواهيها الشرّيرة، وقد أخذ الثعالبي على عاتقه أن يفضح هذه المكايد، وكانت صلاته الشخصية بزعماء العالم الإسلامي ممّا جعلته موضع الثقة فيما يُبديه من ملاحظات، وقد اعترفت بذلك اللجنة التنفيذية للمؤتمر، ومن أعضائها: أمين الحسيني، وشكري القوتلي، ورياض الصلح، ومحمّد علي علّوبة، ومحمّد رشيد رضا، وغيرهم من كبار المجتمعين.

أمّا زيارة الثعالبي للعراق فكانت مصدر عطاء ثقافي ممتدّ؛ لأنّ الملك فيصل الأوّل كان على صلة به قبل أن يعتلي عرش العراق، وقد رأى فيه نصيراً قوياً لليقظة العربية والصحوة الإسلامية، فأرسل يستدعيه سنة ١٩٢٥م من الهند ليكون أُستاذاً بأحد المعاهد العالية ببغداد من الوجهة الرسمية، وليمدّ الأندية العلمية بنشاطه المتّصل، فتكون محاضراته مبعث يقظة فكرية تُنتظر من مثله.

وسرعان ما لبّى الثعالبي الدعوة، واتّجه إلى بغداد مارّاً بإمارات الخليج؛ إذ كان من همّه أن يزور كلّ إمارة (محميّة) ليعلم ما هي عليه من الوعي السياسي والتطلّع الحضاري، وفي القوم من يعرف مكانه القيادي، فكانوا يستقبلونه استقبال العالم المجاهد المصلح، حتّى قضى أرباً من حاجته المتطلّعة، فاتّجه إلى بغداد، وكان القوم على علم بمقدمه، فأعدّوا حفلة رائعة لاستقباله، وأُقيمت بدار سينما رويال أكرم حفلة استقبال حضرها الوزراء والأعيان والكتّاب، وفي مقدّمة المحتفلين شاعرا العراق الكبيران جميل صدقي الزهّاوي

ومعروف الرصافي ، وقد جلجلت قصيدة الرصافي في المحفل ؛ إذ تحدّث عن الصلات الحميمة بين بغداد وتونس ، وتذكّر الماضي الزاهر ، وحنّ إليه راجياً أن يعود ، وقال عن الثعالبي فيما قال :

تغرّب ضارباً في الأرض يبغي … مدىً من دونه خرط القتاد
وكان طوافه شرقاً وغرباً … لغير تكسّب أو لارتفاد
ولكن ساح لاستنهاض قوم … حكوا بجمودهم صفة الجماد
يغار على العروبة أن يراها … مهدّدة المصالح بالفساد

وليس من شأن الثعالبي أن يخلد إلى الراحة ، وأن يقعد دون عمل لأنّه ضيفٌ وافد ، فرأى أن يُسند إليه بالعراق ما يمكّنه من أداء نفع مؤكّد ، ورأى الملك تصميمه ، فبادر بتعيينه أُستاذاً للفلسفة الإسلامية في جامعة آل البيت التي أُنشئت منذ عام ، وقد جعل المحاضر من كلماته موضوعاتٍ حيويّة ، يتحدّث عن العلل والأمراض التي أوهنت المسلمين وجعلتهم شيعاً ومذاهب ، وامتدّ حديثه إلى ما سبق الفلسفة الإسلامية من فلسفات هندية وصينية وإغريقية ، ليربط ذلك كلّه بما جاء به الإسلام من حكمة متكاملة لا تنتمي إلى جهد سالف ، وامتدّ نشاطه الثقافي بجامعة آل البيت خمس سنوات كانت باعثة نشاط ثقافي لا مثيل له .

وقد اختيرت بعثة علمية من طلّاب العراق أُلّفت من ثمانية عشر طالباً للسفر إلى مصر لتلقّي العلم في جامعتها ، ورأى الملك أن يكون الثعالبي مراقباً للبعثة في القاهرة ، ولعلّه أراد أن يُريحه من جهده العلمي المتواصل ، فسافر الثعالبي مع الطلّاب ليستأنف بالقاهرة عهداً كان له بها من قبل ، وقد استقبل في القاهرة بمثل ما استقبل به في بغداد من قبل ، إذ أقامت له جمعية الشبّان المسلمين حفلة تكريم رائعة خطب فيها كبار القوم وفي مقدّمتهم رئيس الجمعية الدكتور عبد الحميد سعيد .

وقد كتب الثعالبي في أكثر صحف العالم العربي بالشام والعراق ومصر والمغرب وتونس ، غير مقالاته بالفرنسية في الصحف الباريسية .

وقد عاد الثعالبي إلى وطنه تونس سنة ١٩٣٧م ، فناوأه بعض رجال حزبه ، فابتعد عن

الشؤون العامّة، إلى أن توفّي عام ١٩٤٤م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: فلسفة التشريع الإسلامي، تاريخ التشريع الإسلامي، تاريخ شمال أفريقية، مذكّرات، معجز محمّد رسول الله ﷺ.

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ١: ١٤٨ـ١٤٩، الأعلام للزركلي ٤: ١٢ـ١٣، معجم المؤلّفين ٥: ٢٤٠، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ١٩٨ ـ ٢١١، نثر الجواهر والدرر ١: ٧٣٦ ـ ٧٤٢).

عبد العزيز جاويش

عبد العزيز جاويش: من روّاد التربية والصحافة والاجتماع في مصر.

ولد في الإسكندرية بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٨٧٦م، وأتمّ حفظ القرآن وهو في السادسة عشرة من عمره سنة ١٨٩٢م، وكان لمّاحاً ذكياً، له نفس مشرقة ووجه سمح.

في سنة ١٨٩٢م سافر إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر، وفي القاهرة وجد مجالاً لتطلّعاته الثقافية والوطنية، وجدها في جريدة «المؤيّد» عند الشيخ علي يوسف، وعند الشيخ محمّد عبده في الرواق العبّاسي بالأزهر وفي بيته.

لم يطل مكثه بالأزهر، بل سارع إلى الالتحاق بدار العلوم، وتخرّج فيها سنة ١٨٩٧م بدرجة عالية من التقدير أهلّته للبعثة إلى الخارج.

كان رائداً فكرياً بين أترابه يتصدّرهم في مجالات الأدب والشعر والقول في المحافل.

بعث إلى بريطانيا حيث بقي بها ثماني سنوات أفاد لأُمّته علماً وتجربة في حياته الفكرية والسياسية والتربوية. وأمضى ثلاث سنوات في جامعة برورود، انتهت سنة ١٩٠١م، كما أمضى خمس سنوات في جامعة أُكسفورد أُستاذاً للعربية بها بعد عودته إلى بريطانيا من سنة ١٩٠٢م إلى سنة ١٩٠٦ م.

وقد خاصم الإنجليز خصومة حادّة عنيفة ارتفعت ـ على ما قيل ـ إلى درجة خصومة موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني.

وقع عليه الاختيار في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م، وبهر

الحاضرين ببلاغته وقوّة حجّته. وفي سنة ١٩٠٦م عاد إلى مصر ليشغل منصب مفتش بوزارة المعارف لمدّة عام وبعض العام، وفي سنة ١٩٠٨م استقال ليرأس تحرير جريدة «اللواء» لسان حال الحزب الوطني.

اتّخذ من منبر جريدة «اللواء» حصناً يحمل منه على المستعمر ويحاربه بالكلمة الحرّة التي يقولها بكلّ حرارة وبكلّ قوّة، كما حاربه بالعمل الإيجابي في ميدان التعليم والتربية والإصلاح الاجتماعي، فحقّق معه أربع مرّات، وسجن مرّتين، وأُنذرت جريدة «اللواء» وأُغلق «العلم» بسبب حملاته القاسية على المستعمر والحاكم والموالي للاستعمار.

نادى في كتاباته المتلاحقة القوية داعياً لحقّ الأُمّة المصرية في الحرّية والدستور والجلاء، كما نادى بحقّ العالم الإسلامي في كلّ ذلك، ونادى بوحدة العالم الإسلامي؛ لأنّه يرى في الوحدة عزّة العرب والمسلمين وتجنّبهم التمزّق وسيطرة النفوذ الأجنبي.

كان في ذكرى حادث دنشواي (الذي وقع عام ١٩٠٦م وراح ضحيته مصريّون بسبب ظلم الاحتلال الإنجليزي وافتئاته) يلتهب ثورةً وعنفاً وحماساً، يهاجم الإنجليز ويندّد بهم وبخسّتهم وبمن أسهموا معهم في محاكمة المصريّين الفلّاحين وشنقهم ظلماً، كان يندّد بهؤلاء جميعاً. وقد تعرّض للمحاكمة والحبس، فاستقبل الرأي العامّ ذلك بالسخط والاستهجان. استقبل عبد العزيز جاويش عند خروجه من السجن استقبال بطل وطني كريم، كما استقبله في المرّات التي تعرّض فيها للسجن والاضطهاد استقبال المكافح المسلم الجريء.. لمّا أحسّ بتعقّب الاحتلال البريطاني له ومحاولة نفيه أو محاكمته محاكمة ظالمة هاجر إلى تركيا سنة ١٩١٢م، ومضى في حملته على الإنجليز والدعوة لمقاومة نفوذهم في العالم الإسلامي كلّه، وفي ٩ سبتمبر سنة ١٩١٧م أُعيد إلى مصر مقبوضاً عليه بتهمة توزيع منشورات للحضّ على ثورة دموية ضدّ حكومة مصر، ولمّا حفظ التحقيق عاد إلى تركيا يوم ١٨ من أُكتوبر سنة ١٩١٧م.

لمّا هزمت تركيا في الحرب العالمية الأُولى هاجر إلى ألمانيا خفيةً سنة ١٩١٨م، ثمّ

دعي سنة ١٩٢٢م إلى تركيا، وعرض عليه رئيس الوزراء منصباً ثقافياً كبيراً نظراً لخدماته الإسلامية العالمية، كدعوة أحد أغنياء الهنود لإنشاء أُسطول إسلامي، ومرافقته للجيش التركي لتخليص مصر من الاحتلال الإنجليزي، ومساهمته في إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.

ظلّ في تركيا من ٢٣ / ١٠ / ١٩٢٢ م إلى ٢٥ / ١١ / ١٩٢٣م، ثمّ عاد إلى مصر متخفّياً؛ لأنّ آراءه بشأن بقاء الخلافة الإسلامية لم ترق في نظر الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك.. وفي مصر اتّجه إلى مجال التعليم والتربية والإصلاح الاجتماعي، وكرّس له السنوات الباقية من حياته، وشغل منصب «مدير التعليم الأوّلي» منذ سنة ١٩٢٥م إلى يوم ٢٥ من يناير سنة ١٩٢٩م، حيث وافاه الأجل المحتوم بعد أن قدّم لبلاده ما يقدّمه المخلصون من جهاد وتضحية وبذل، وبعد أن ترك آثاراً خالدة في مجالات الأدب والسياسة والخطابة والإصلاح الاجتماعي، وفي مجال الخير والإحسان والبرّ بالمعوزين من أُسر المجاهدين. ومن جملة مؤلّفاته: أثر القرآن في تحرير الفكر البشري، خواطر في التربية والسياسة، أبحاث عن المرأة والشؤون العامّة.

وقد رثاه الشاعر أحمد شوقي بأبيات، يقول فيها:

لقد نسي القوم أمس القريب	فهل لأحاديثه من معيد
يقولون ما لأبي ناصر	وللتُرك ما شأنه والهنود
وفيم تَحمّل همّ القريب	من المسلمين وهمّ البعيد
فقلتُ وما ضرّكم أن يقوم	من المسلمين إمام رشيد
أتستكثرون لهم واحداً	وليّ القديم نصير الجديد
يشدّ عرا الدين في داره	ويدعو إلى الله أهل الجحود
وللقوم حتّى وراء القفار	دعاة تغني ورسل تشيد

(انظر ترجمته في: موسوعة السياسة ٣: ٨٣٧ـ٨٣٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٨٠، عمالقة وروّاد: ١٧٦ ـ ١٧٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٦٧ ـ ٨٠، موسوعة الأعلام ٢: ٧٥).

عبد العزيز الخيّاط

الدكتور عبد العزيز الخيّاط : أُستاذ الفقه المقارن ، وعميد كلّية الشريعة بالجامعة الأردنية ، ووزير الأوقاف السابق في الأردن ، ورئيس جامعة جرش ، وعضو مجمع الفقه الإسلامي بجدّة ، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران .

من مؤلّفاته : المجتمع المتكافل في الإسلامي ، المؤيّدات التشريعية ، نظرية العقوبات ، طرق الاستدلال بالسنّة ، مناهج الفقهاء ، شروط الاجتهاد ، شركة الناس في الأموال العامّة .

يقول في مقالة له نشرتها مجلّة « رسالة التقريب » الطهرانية : « ممارسة الحوار والدعوة له هو من الشأن الإيجابي ، فإذا صار بين فئتين ـ أي : بين جماعتين مختلفتين بالرأي أو بين المسلمين وغير المسلمين ـ فإنّه سيجدي بالنفع لخدمة الإسلام إذا كان مبنياً على أُصوله وقواعده ، وإذا كان مبتعداً عن التشنّج والذاتية المفرطة .

لقد أسعفنا الحظّ وحضرنا حوارات كثيرة بين المسلمين ، كان آخرها في المملكة العربية السعودية وبيروت ، وكانت حول الحوار وحقوق الإنسان في الإسلام . وقد تحقّق من هذه الحوارات الفعل الإيجابي الذي كان يمثّل خدمة الصالح العامّ للأُمّة الإسلامية في هذا الظرف الحرج الذي برز فيه الإسلام كقوّة فكرية وشرعية وجماهيرية أيضاً .

المشكلة في الحوار الإسلامي ـ الإسلامي هي التمسّك بموروثات الماضي ، وهذا ما يجعل من بعض الفئات تجنح نحو التزلّف والمخادعة ، إذ أنّ محاولة الاستفادة من التاريخ في بعده الذي يخدم طرفاً دون طرف أمر مرفوض شرعاً مطلقاً ، وإذا كان التمسّك بالموروث ناجز أساسي من ضمن الحوار فإنّ هذا الحوار سيبتعد عن إخلاصه ونزاهته ، فعلينا أوّلاً الابتعاد عن أغلال الماضي ، وأن لا نرزح في آلامها ، وأن ننطلق إلى أُفق جديد نصنعه لنا ، ننطلق من كلّ ما يجمعنا ، وندع السلبيات والسيّئات ؛ لأنّنا متّفقون على إنكارها ، وأن نفكّر بشكل جدّي بالقضايا التي تجمعنا ولا تفرّقنا .

وأمّا قيمة الحوار الإسلامي فهي ما بيّنا بدليل أنّنا تحاورنا مع المسيحيّين واليهود ،

أُولئك الذين عُرفوا مثلاً بأنّهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، وقد تسامحنا في بعض أبعاد الحوار، فلماذا لا نؤسّس لحوار متسامح فيما بيننا؟ إنّه سؤال يطرح نفسه بقوّة في واقعنا الثقافي وفي المشهد الذي نعيشه اليوم.

لقد جرت حوارات ـ مثلما أشرنا ـ كثيرة ما بين مسلمين ومسيح، ولكن يجب أن نفكّر مثلاً أن نجري حوارات للتفاهم المستقبلي ما بين السنّة والشيعة مثلاً، فهؤلاء تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة: التوحيد، النبوّة، القرآن، الواجبات، والأُصول... إلخ.

وأعتقد أنّ هناك محاولات تشويه عند السنّة عن الشيعة وبالعكس، وهذا ما عزّز من سوء التفاهم، وقوّاه أعداء الإسلام وبعض المتحاملين والمستشرقين وأمثالهم، وكانت أهدافهم توسعة شقّة الخلاف.

وقد جرت محاولات مباركة لجمع شمل المسلمين عبر الحوار، وخصوصاً ما جرى في عام ١٩٤٦م في محاولة التقارب الإسلامي والتي بدأها الأُستاذ شلتوت. لقد غيّر هذا التفاهم الكثير من الصور القاتمة التي كانت تحيط بالمسلمين سنّة وشيعة، وتكلّلت الجهود الخيّرة وقتذاك بإصدار مجلّة عن الدار، حملت عنوان «رسالة الإسلام».

لقد كان تقارباً جميلاً، والتقارب هو: إيجاد مقدار من الفهم المشترك، هذا المقدار الذي يلتقي عليه المسلمون في مواجهة التحدّيات، وهو مشروط بالصدق والمودّة والمحبّة.

عبد العزيز عثمان التويجري

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المغربي: الأمين العامّ للمنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وللأُستاذ الدكتور التويجري عدّة نشاطات علمية وتربوية وتقريبية واسعة، وقد نشرت له مجلّة «رسالة التقريب» مجموعة من المقالات المرموقة في مجال التقريب والوحدة، يقول في أحدها: «لقد أثبتت التجارب المتراكمة في مجال السياسة الدولية أنّ

الوحدة التي تجمع بين دولتين أو أكثر، هي وليدة عوامل تتضافر أسبابها وتترابط حلقاتها وتتكامل عناصرها.

كما أثبتت أنّ الوحدة، سواء أكانت فيدرالية أم كونفدرالية، لابدّ وأن تقوم على قواعد راسخة من الاختيارات المحدّدة والمتّفق عليها، ووفق إرادة سياسية، مصمّمة وقادرة وقوية، واستجابة لتطلّعات الشعوب وتلبية لرغباتها، على أن تعزّزها رؤية سياسية مستنيرة واعية، تحدّد الأهداف بدقّة، وترسم السبل إلى تحقيقها، وتستشرف آفاق المستقبل، وتراعي في الوقت نفسه متغيّرات العصر والمناخ الإقليمي والدولي... إنّ الدروس الصعبة التي خرجت بها الأُمّة العربية الإسلامية من التجارب الوحدوية الفاشلة في القرن العشرين تدعونا إلى أن نسلك المنهج العلمي في السياسات التي نعتمدها لتحقيق القدر المناسب من التضامن والتعاون والتنسيق والتكامل بين الأُسرة العربية الإسلامية، على صعيد جامعة الدول العربية، وفي إطار منظّمة المؤتمر الإسلامي. وهذا يقتضي العمل على تطوير المنظّمتين الإقليميتين وإصلاحهما، بحيث يُعاد النظر في آليات العمل العربي الإسلامي المشترك، ومراجعة النصوص القانونية التي يستند إليها، حتّى يكون المعادل الموضوعي للوحدة العربية وللوحدة الإسلامية في هذا العصر هو العمل العربي المشترك والعمل الإسلامي المشترك.

إنّنا لا نشكّ في أنّ تطوير جامعة الدول العربية ومنظّمة المؤتمر الإسلامي بمنهجية علمية وبرؤية سياسية متفتّحة وعلى نحو شامل يتناول الفلسفة والأهداف والوسائل والآليات، من شأنه أن يؤدّي في المستقبل إلى صيغة جديدة للوحدة، خاصّة في أبعادها ومجالاتها التي تتّصل بحياة الشعوب في واقعها المُعاش. ولا شكّ أنّ تعديل ميثاق منظّمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمر القمّة الإسلامي الحادي عشر الذي عقد في داكار في السنة الماضية، خطوة موفّقة في هذا الاتّجاه. ولكن هذا التعديل لا يكفي، ولا بدّ أن يتبعه تغيير شامل في فلسفة العمل الإسلامي المشترك ومنطلقاته وأساليبه، حتّى يكون الصيغة الجديدة الملائمة لوحدة الأُمّة الإسلامية».

ومن الجدير بالذكر أنّ للدكتور التويجري عدّة مؤلّفات نافعة، منها: كتاب «في البناء الحضاري للعالم الإسلامي»، قد طبع عام ٢٠٠٧ م في الرباط في أكثر من تسعة أجـزاء، وكتاب عن حياة الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور، وكتاب عن مـقاصد الشـريعة، وكـتاب «العالم الإسلامي في عصر العولمة»، وكتاب «المجلّة الثقافية»، وكـتاب «تـأمّلات فـي قضايا معاصرة»، وغيرها.

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦١ ـ ٣٦٣).

عبد العزيز كامل

عبد العزيز كامل: الكاتب، المفكّر، الداعية الوحدوي، وزير الأوقاف المصري.

ولد بحي راغب في مدينة الإسكندرية في نهاية يناير سنة ١٩١٩م، وحـصل عـلى ليسانس الآداب في الجغرافيا من جامعة القاهرة عام ١٩٤٠م، ثمّ حصل على الدكتوراه مع مرتبة الشرف من الجامعة نفسها عام ١٩٥٧م.

وعمل بالتدريس في الجامعة، حتّى حصل على درجة أُستاذ مساعد عـام ١٩٦٣ م. وفي النصف الثاني من عام ١٩٦٧م تولّى وزارة الأوقاف، وشارك في وزارة محمود فوزي وعزيز صدقي والسادات. وعُيّن نائباً لرئيس الوزراء عام ١٩٧٤م، ثمّ سافر إلى الكويت، وبقي فيها ستّة عشر عاماً مدرّساً ومديراً لجامعتها ومستشاراً لأميرها.

كان مشاركاً في حمل المسؤولية الرسمية عن الدعوة الإسلامية في مصر سنين غير قليلة. ويرى «ضرورة فضّ الاشـتباك بـين حـركات الشـباب المسـلم الغـاضب وبـين الحكومات.. مؤمناً بأنّ التزام الدعاة منهجاً علمياً صادقاً ومتكاملاً في تعليم الشباب مـن شأنه أن يضعهم على طريق خدمة الإسلام دون أن يعرّضهم للاصـطدام بسـلطان الحكـم والقانون» (من مقال له).

وكان مشاركاً نشطاً في الحوار الإسلامي ـ المسيحي، إيماناً بـإمكان إيـجاد قـاعدة مشتركة من التعاون يجري من خلالها إسهام المسلمين في بناء ثقافة عالمية مؤمنة. وكان أيضاً مشاركاً نشطاً في دار التقريب بين المذاهب بالقاهرة، وتربطه مع الشيخ محمّد تـقي

القمّي أواصر الصداقة.

كما تعاون مع اليونسكو وشارك في أنشطتها، وأسهم في الردّ على ما اشتملت عليه الطبعة الإنجليزية من المجلّد الثالث من كتاب «تاريخ البشرية» من أخطاء ومغالطات وتجنٍّ على الإسلام وتاريخ أهله وعلىٰ القرآن الكريم.

توفّي في السابع عشر من شهر رمضان سنة ١٤١١هـ(الأُسبوع الأوّل من شهر أبريل نيسان سنة ١٩٩١م).

من مؤلّفاته العديدة: الإسلام والمسلمون، دروس من سورة يوسف، الإسلام والعروبة في عالم متغيّر، الإسلام والمستقبل، الإسلام والعصر، خطوات نحو القدس، نحو تخطيط علمي لدراساتنا الأفريقية، أحاديث رمضان، دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان، من آداب الأُسرة والكتيبة، قضية كينيا، في أرض النيل، الدين والحياة، جغرافية الإسلام في أفريقيا، مواقف إسلامية، دروس من غزوة أُحد، مدخل جغرافي إلى قصص القرآن الكريم، دراسات في أفريقيا المعاصرة، وجه العالم الإسلامي، المقريزي وفيضان النيل، التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، جغرافية الإسلام في عهد النبوّة، دروس في الدين والحياة.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٣٠٢ـ٣٠٣، إتمام الأعلام: ٢٤٠ـ٢٤١، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٨٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٣٤ـ١٩٣٥).

عبد العزيز محمّد عيسىٰ

عبد العزيز بن محمّد عيسى: وزير من علماء الأزهر، وأحد مؤسّسي دار التقريب في القاهرة.

ولد سنة ١٩٠٩م بمصر لوالد من علماء القراءات، فحفظ عليه القرآن الكريم صغيراً، والتحق بالأزهر، فظهر نبوغه، ونال إجازة التدريس من كبار شيوخه ولمّا يتمّ العشرين، فدرّس الفقه في كلّية الشريعة بالأزهر، واختير عضواً في لجنة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان أوّل وزير لشؤون الأزهر.

له «رسالة في الحجّ والعمرة»، طبعت بالعربية والإنجليزية. ومن تلاميذه: الشيخ

متولّي الشعراوي، والشيخ جاد الحقّ علي جاد الحقّ.

توفّي بمصر سنة ١٩٩٤م.

وله مقالتان منشورتان في مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية، وكان هو مدير تحريرها أيضاً، يقول من جملة كلام له: «... يمكننا في سهولة ويسر أن نعرف أوجه الوفاق والخلاف على صورة محدودة، وأن نصلح ما أفسده الدهر، ونحقّق ما زوّره التاريخ، وننشر في ربوع كلّ دولة ما عند الأُخرى، فيتبادل المسلمون الثقافة الصحيحة، ويعرف بعضهم بعضاً على حقّ، وتزول من بينهم الجفوة والقطيعة، ويأخذون سبيلهم إلى الوحدة والأُلفة التي لا يصلح أمرهم إلّا عليها، ولا يستقيم شأنهم إلّا بها».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ١: ٣٠٣، إتمام الأعلام: ٢٤١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٣٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٣).

عبد العظيم المطعني

الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمّد المطعني: داعية إسلامي معاصر، قدّم إضافات ثمينة إلى المكتبة العربية في مجال تخصّصه الأصلي، وهو حقل البلاغة العربية.

من مواليد مايو ١٩٣١م بجزيرة المنصورية التابعة لمحافظة أسوان. حفظ القرآن الكريم في الكتّاب، ودرس محو الأُمّية، وفي أثناء الزيارات التي كان يقوم بها علماء الأزهر والأوقاف يجوبون فيها أرجاء القطر المصري للتعليم والوعظ والإرشاد وجد الشيخ عطا محمّد عطا في الطفل عبد العظيم نباهة وحبّاً للعلم قلّ أن يوجد لدى أقرانه، فنصحه بالالتحاق بالأزهر الشريف، وبالفعل سافر إلى القاهرة في الأربعينيات من القرن المنصرم، ولكن فاته امتحان القبول للتأخّر في الوقت، فصمّم على عدم العودة إلى القرية مرّة أُخرى. وبدأ الدراسة عن طريق جلسات الاستماع التي يقيمها العلماء، ولكنّهم لا يمتحنون من يستمع إليهم، فهي دراسة حرّة، ممّا هيّأ الطالب أكثر للدراسة والاستيعاب، فالتحق رسمياً في العام التالي، وبدأ المشوار العلمي ليحصل على الابتدائية، ثمّ الثانوية، ثمّ الالتحاق بكلّية اللغة العربية، وتبدأ رحلته العلمية.

بعد ذلك بدأ العمل في جريدة «الأهرام»، ثمّ الإعداد للدراسات العليا والحصول على الماجستير عام ١٩٦٨ م، ثمّ الدكتوراه عام ١٩٧٤م، والتي عنوانها « خصائص التعبير القرآني، ومنذ ذلك التاريخ قدّم استقالته بـ «الأهرام» وعمل بالتدريس بالجامعة ليؤدّي مهمّته العلمية.

من نشاطاته الدعوية: المشاركة في الندوات والمؤتمرات حول القضايا الإسلامية، والاشتباك مع أعداء الفكر الإسلامي من العلمانيّين وغيرهم، ومواجهة شبهات المشكّكين سواء من العرب أو من المستشرقين، وقد أثخنت كتاباته هؤلاء الطاعنين، وإصدار بعض الفتاوى، والتدريس الجامعي والإشراف العلمي، والتأليف المتخصّص في البلاغة.

من مؤلّفاته: الجامع في دفع الشبهات المثارة حول السنّة النبوية، الإسلام في مواجهة الآيديولوجيات المعاصرة.. إضافة إلى كتبه عن بلاغة القرآن والمجاز في القرآن.

وقدّم دفاعات مجيدة عن الثقافة العربية الأصيلة من خلال كتاباته المتنوّعة في صحف مصرية وعربية عديدة، منها: «الأهرام»، و«المساء»، و«النور»، و«الدعوة»، و«آفاق عربية»، و«اللواء الإسلامي»، و«عقيدتي».

توفّي في ٢٩/يوليو/٢٠٠٨م، وتمّ تشييع الجنازة عقب صلاة ظهر اليوم التالي لوفاته من مسجد النور بالعبّاسية ـ القاهرة.

يقول في لقاءٍ معه نشرته مجلّة «الشرق الأوسط» بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢١ م: «على المسلمين أن يطرقوا أبواب الوحدة بصدق وإخلاص وتصميم، فليست الوحدة بالتمنّي، ولكن بالسعي الدائب. وأزمتنا مع الوحدة ليست أزمة طريق، ولكنّها أزمة السير في الطريق. وإذا نظرنا إلى العالم وقواه الكبرىٰ حولنا نراهم يخطون خطوات ثابتة نحو القوّة والوحدة مثل الاتّحاد الأُوربّي، حيث لا يمرّ عام إلّا وتراهم قد أضافوا عناصر قوّة جديدة لدول الاتّحاد، ووحدة المسلمين نظرياً ممهّدة السبيل، لا ينقصنا شيء إلّا أن نخطو الخطوة الأُولى».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

عبد الفتّاح أبو غُدّة

عبد الفتّاح أبو غدّة: عالم حلبي كبير.

ولد سنة ١٣٣٦هـ، وتربّى على شيوخ حلب، ونال الدراسة الثانوية بمدارسها مع اتّصاله بعلماء دمشق، ثمّ سافر إلى القاهرة، والتحق بكلّية الشريعة الإسلامية، ونال شهادة العالمية، واتّصل بكبار رجال الدعوة الإسلامية في القاهرة، مثل: الأُستاذ محمّد الخضر حسين، والشيخ أحمد شاكر، والأُستاذ حسن البنّا.. ولكن صاحب الأثر الأكبر في اتّجاهه العلمي بالقاهرة هو الأُستاذ محمّد زاهد الكوثري، وكان منه بمنزلة السيّد محمّد رشيد رضا من الإمام محمّد عبده، إذ حفظ الكثير من علمه، ونشر آثاره، ودافع عنه ضدّ من حاربوه.

وحين أتمّ دراسته بالأزهر الشريف اشتغل بالتدريس بكلّية الشريعة بدمشق، ثمّ اضطرّ إلى الرحلة للسعودية، فعيّن في هيئة التدريس بكلّية الشريعة بجامعة محمّد بن سعود بالرياض.

كان له تلاميذ كثيرون ومرموقون يتبعون آراءه السديدة، وقد رحل إلى أكثر بلاد الإسلام، وشافه العلماء بها، ومنهم شيوخ كبار.. وقد أصدر الأُستاذ محمّد بن عبد الله آل رشيد عنه كتاباً قيّماً سمّاه «إمداد الفتّاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتّاح»، في قرابة ٦٩٠ من الصفحات، جمع فيه أسماء شيوخه بشتّى ربوع الإسلام، وعددهم ١٨٠ عالماً، وهو جمع تقديري؛ إذ أنّ منهم من لم يجلس من الشيخ غير جلسة واحدة، ولكنّها طريقة الأقدمين احتذاها الأُستاذ محمّد بن عبد الله آل رشيد.

وما زال أبو غدّة مجدّاً مثابراً على التأليف والتحقيق حتّى بلغت كتبه مائة كتاب، منها: لمحات من تاريخ السنّة وعلوم الحديث، صفحات من صبر العلماء، الإسناد من الدين، قيمة الزمن عند العلماء، الرسول المعلّم وأساليبه في التعليم، العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزواج.

توفّي بالرياض سنة ١٤١٧هـ، ودفن بالمدينة المنوّرة.

وقد كتبت عنه تراجم شتّى، نذكر منها بعض ما قاله العلّامة الشيخ محمّد الشاذلي النيفر

عميد كلّية الشريعة بتونس عن أبي غدّة، يقول: «رأيت له امتيازاً عن الكثير من العلماء الذين ملأوا الوطاب من ناحية واحدة من المعارف، حتّى أصبحوا فيها أهل الاختصاص، لكنّهم مع ذلك لا يعتنون بتصحيح إلقائهم، بل ينطقون بما يجري على لسانهم بدون تصحيح للغتهم، وهذا ممّا برّأ الله منه الشيخ أبا غدّة، فقد كان حريصاً على لغته في أدائها على الوجه الصحيح»، ثمّ استشهد الأُستاذ الشاذلي بمناقشات صرفية ونحوية تعقّب فيها الشيخ عبد الفتّاح شيخَ علماء الشام الشيخ طاهر الجزائري، وهو في كلّ تحقيقاته يرجع إلى الأُصول، ويذكرها أثناء التصويب.

ويقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «وقد أُتيح لي أن أسعد بلقاء الأُستاذ في فترات قصيرة حين كنت مبعوثاً للأزهر في كلّية اللغة العربية بجامعة الإمام محمّد بن سعود، وكانت تلاصق كلّية الشريعة التي يعمل بها الأُستاذ، فكنّا نتلاقى تلاقياً عابراً في ساحة الجامعة وفي مكتبتها، وقد لمست من فضله وعلمه ما بهرني حقّاً، وإذا كانت كتبه الشهيرة تنطق بعلمه فإنّ سلوكه العلمي واتّجاهه الخلقي في حاجة إلى تسجيل، حيث استطاع الرجل العلّامة أن يكون واسطة عقد لكوكبة من أُولي الفضل أساتذةً وطلّاباً، يردون مكتبه، ويسمعون توجيهاته، وينتسبون إليه في مجال البحث والتنقيب، وهي مسؤولية كبرى تلقى على عاتقه خارج الميدان الجامعي؛ إذ لا ينتسب إليه في هذا المجال إلّا الباحث الحقيقي لا الطالب الرسمي.

ومع هذا الحفاوة البالغة بعلم الأُستاذ وفضله، فأنا أعلم أنّه لاقى صعوبات جمّة من نفر لا يروقهم أن يتحدّث تلميذ عن أُستاذه، وإذاً فحديث أبي غدّة عن الكوثري وسعيه في نشر مؤلّفاته جريمة يجب أن تكون موضع الملامة لدى هؤلاء، وكنت قد عارضت بعض آراء شيخنا الكوثري في مقال لي، فجاءني من يمدح المقال، ويقول: إنّه صدمة للشيخ أبي غدّة، فصرخت في وجهه، وقلت: يا أُستاذ، أنت لا تعرف الإمام الكوثري ولا الأُستاذ عبد الفتّاح، فهما في مستوى لا أرقى إليه، ولا أحسبك تدركه! قال: ولم خالفت الكوثري؟! قلت: مخالفة التلميذ لأُستاذه في مجلس الدرس، وهو يعرف أنّه ينهل من حياضه ويقتبس من

نوره، فخرج الناقد المتعجّل غاضباً.

وهنا أدركت أنّ الشيخ أبا غدّة يلاقي بلاءً من أدعياء المعرفة، فحرصت على أن أُشيد به في كلّ مجلس، وهو لا يعلم بهذا لأنّي أنشد الحقّ دون اهتمام بعمرو أو زيد، ولأنّ «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، فقد أدرك الرجل بإلهامه البصير ما أكنّه له من حبّ، فكنت أتلقّى سلامه على البعد شاكراً، وأُبادله مثله صامتاً، وهو مذهب خاصّ بنفر من الناس تتعارف لديهم الأرواح، ولا تتلاقى الأشباح.

وقد كانت أنباؤه العلمية تفد إليّ، فكان أعجب ما أعجب من أمره هو صبره الملحّ الدائب على الرحلة الطويلة المستمرّة إلى شتّى بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، مع ما يتحمّله المسافر من وعثاء الطريق ووحشة العشير، ولكن حبّ المعرفة دفعه إلى تحمّل الصعاب رائحاً غادياً، وقد سهّل الله له العسير، فصادق من ذوي الفضل في هذه الربوع الشاسعة من لا يجتمعون لعالم واحد إلّا في الندرة النادرة، وقرأ من نفائس المخطوطات عربية ودينية ما عزّ على غيره أن يسمع باسمه، فضلاً عن أن يقرأ صحيفة منه.

وأذكر أنّه روى عن علماء الهند من التحف العلمية ما كنت غير متصوّر لوجوده، كما تحدّث عن أئمّة هناك لم تصل إليّ أسماؤهم فضلاً عن مؤلفّاتهم، وبسبب ما كتب عن هؤلاء أخذت أُحاول التعرّف إليهم، وأجمع ما أستطيع جمعه من أخبارهم، وهيهات أن أصل إلى ما يعلمه الرجل الكبير عن هؤلاء الكرام.

وما زلت أذكر قول صديقي الأُستاذ الدكتور عبد القدّوس أبو صالح منذ ثلاثين عاماً عن الشيخ أبي غدّة بأنّه من كبار شيوخ الحديث في هذا العصر، وقد كان هذا منذ زمن بعيد، فماذا يقول عنه الآن! وقد بلغت مؤلّفاته في الحديث وحده ثلاثين مؤلّفاً، وهي مؤلّفات لا تجمع ولا تحشد كيفما اتّفق، ولكنّها تهدف إلى جلاء الغامض تارةً، وإلى تصويب الخطأ تارةً، وإلى إضافة الجديد تارةً ثالثة، بحيث يسدّ كلّ كتاب مسدّاً ضرورياً لا مفرّ منه.

ولا أنسى في هذا المجال النقدي حديثه عن «سنن الدارقطني»، وما قاله كبار المحدّثين بشأنها، إذ جمعت هذه السنن أحاديث شتّى من ضعيفة وموضوعة، ومكانة

مؤلّفها لدى العامّة تَستُر هذه الموضوعات، فاحتاج إلى جلجة عالية تقرع الأسماع، وهذا ما قام به الأُستاذ مستنداً إلى أقوال صريحة لأمثال الحافظ ابن عبد الهادي، والحافظ الزيلعي، والبدر العيني، والحافظ الذهبي، ولسنا نقدح في نية الدارقطني، فهو من كبار الأئمّة في الإسلام، ولكنّنا نقول: إنّه أخطأ حين روى الضعيف والمنكر، والموضوع والمعلول والغريب، وكان له من النظر البصير ما يحول دون الجموح».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، أعلام التراث: ٢٠٩ ـ ٢١١، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٠٠، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٢١٢ ـ ٢٢٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٧٩ ـ ٦٨١، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ٨٨ ـ ٩٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢).

عبد الفتّاح عبد المقصود

عبد الفتّاح عبد المقصود: كاتب مصري مرموق، وأحد دعاة الوحدة الإسلامية.

ولد سنة ١٩١٢م بقرية كفر عشري الواقعة قرب راقوتة التي بنى عليها الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية، وحصل على ليسانس الآداب (قسم التاريخ) من جامعة الإسكندرية، وعيّن أخصّائياً للإعلام والنشر في المؤسّسة الاقتصادية بالقاهرة، كما عيّن مديراً لمكتب السيّد نائب رئيس الجمهورية لشؤون الاتّحاد، ومديراً لمكتب رئيس الوزراء للتحرير والنشر.

وهو من مشاهير الأساتذة والكتّاب في مصر، وينظم الشعر باللغة الفصحى واللهجة العامّية المصرية، ويتميّز بحرّية الرأي والأصالة الفكرية، وله دراسات في الرأي العامّ.

اشترك في تحرير مجلّة «الحديث» بالإسكندرية، وكتب موسوعة تحليلية في شخصية الإمام علي عليه السلام في ٢٥٠٠ صفحة، ناقش فيها أحداثاً تاريخية كشف عن واقعها بروح موضوعية مجرّدة.

من أهمّ آثاره: السقيفة والخلافة، أبناؤنا مع الرسول، لا يوم كيوم عثمان، في نور محمّد «فاطمة الزهراء».

له كلمة ذهبية حول الغدير، يقول فيها: «إنّ فضل الإمام معلوم مشهور، وسبقه على الأقران غير منكور».

ويقول: «إنّ في عقيدتي أنّ الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم.. والتاريخ خير شاهد على ما قدّمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية. وإنّ علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدواراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة، فكافحوا وناضلوا وقدّموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيّمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن».

(انظر ترجمته في: المتحوّلون ٧: ٤٠ و٨: ٩٥ـ٩٦).

عبد القادر عودة

عبد القادر علي عودة: من علماء القانون والشريعة بمصر، ووكيل جماعة الإخوان المسلمين سابقاً، وأحد دعاة الإصلاح.

تخرّج في كلّية الحقوق من جامعة القاهرة سنة ١٩٣٠م، وكان أوّل الناجحين، والتحق بوظائف النيابة ثمّ القضاء، واستقال من منصبه الكبير في القضاء، وانقطع للعمل مع الإخوان المسلمين ومشاطرة المرشد العامّ أعباء الدعوة، واستعاض عن ذلك بمكتب للمحاماة لم يلبث أن بلغ أرفع مكانة بين أقرانه المحامين.

عيّن عضواً في لجنة وضع الدستور المصري في عهد اللواء محمّد نجيب، وكان له فيها مواقف لامعة في الدفاع عن الحرّيات، ومحاولة إقامة الدستور على أُسس واضحة من أُصول الإسلام وتعاليم القرآن.

انتدبته الحكومة الليبية عام ١٩٥٣م لوضع الدستور الليبي ثقةً منها بما له من واسع المعرفة وصدق الفهم لرسالة الإسلام.

نصح جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤م بضرورة إلغاء قرار حلّ جماعة الإخوان، فقال عبد الناصر متسائلاً: «كم عدد الإخوان؟ مليون.. مليونان؟! ثلاثة ملايين؟! إنّني مستغن

عن ثلث الأُمّة ومستعدّ للتضحية بسبعة ملايين إذاكان الإخوان سبعة ملايين !»، وهنا غلب الذهول الشهيد عودة وقال في ثورة: «سبعة ملايين ثمناً لحياة فرد.. ما أغناك عن هذا يا جمال !»، فكان هذا الموقف سبباً لكيد عبد الناصر له.

أرغمت عودة الضبّاط والوزراء على إعادة اللواء محمّد نجيب رئيساً للجمهورية بعد عزلهم له، وذلك بتنظيمه مظاهرات اشترك فيها عشرات الآلاف من الجماهير في مشهد لم تشهده مصر من قبل.

وطلب منه مكتب الإرشاد أن يتناول اتّفاقية عبد الناصر مع الإنجليز تناولاً قانونياً بعيداً عن التحامل والتشهير، فجاءت الدراسة التي سلّمت إلى السلطات المصرية في ذلك الوقت دراسة قانونية تبرز للعيان ما تجرّه الاتّفاقية على البلاد من استبقاء الاحتلال البريطاني في مصر مقنعاً مع إعطائه صفة الاعتراف الشرعية، فضلاً عمّا يجرّه على مصر والبلاد العربية من ويلات الحروب دفاعاً عن مصالح الإنجليز.

في يوم ١٩٥٤/٢/٢٨م خرجت المظاهرات تطالب الرئيس محمّد نجيب برفع الظلم وإخراج المعتقلين ومحاكمة الظالمين، فاستعان الرئيس بالقاضي عبد القادر عودة لتهدئة الموقف متعهّداً بإجابة الأُمّة إلى مطالبها، وبالفعل خرج عبد القادر عودة ووقف في شرفة قصر عابدين يطلب من الجماهير الانصراف وستجاب مطالبهم، فانصرفوا جميعاً، فازداد حنق الحكّام عليه! وفي مساء يوم مظاهرة عابدين اعتقل الأُستاذ عبد القادر وعذّب في السجن الحربي.

اتّهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على عبد الناصر سنة ١٩٥٤م، وحكم عليه بالإعدام شنقاً، فتقدّم عودة إلى منصّة الإعدام وهو يقول: «ماذا يهمّني أن أموت، أكان ذلك على فراشي أو في ساحة القتال.. أسيراً أو حرّاً، إنّني ذاهب إلى لقاء ربّي»، ثمّ توجّه إلى الحاضرين وقال لهم: «أشكر الله الذي منحني الشهادة.. إنّ دمي سينفجر على الثورة وسيكون لعنة عليها».

وقد استجاب الله دعاءه، فكان دمه لعنة على الظالمين، فهذا جمال سالم رئيس

المحكمة يصاب بمرض عصبي، وأخوه صلاح سالم تتوقّف كليتاه ويحتبس بوله ويموت بالتسمّم، وشمس بدران يحكم عليه بالمؤبّد، والمشير عبد الحكيم عامر يموت منتحراً أو مسموماً، وحمزة البسيوني تصدمه شاحنة فيتناثر لحمه في العراء، والعسكري غنيم يعثر عليه قتيلاً بين الحقول، والصول ياسين هاجمه جمل له وقضم رقبته فقتله، وكثيرون غيرهم من الظلمة وأعوان الظلمة.

من مؤلّفاته: الإسلام وأوضاعنا السياسية، الإسلام وأوضاعنا القانونية، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، التشريع الجنائي في الإسلام.

وقد قام السيّد إسماعيل حيدر الصدر بتحشية الجزء الأوّل من كتاب عودة «التشريع الجنائي في الإسلام».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ٤٢، معجم المؤلّفين ٥: ٢٩٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ١٧١ـ ١٨٤، عظماء الإسلام: ٢٥٧ـ ٢٥٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٩٠ـ ٣٩١، نثر الجواهر والدرر ١: ٧٨٦ـ ٧٨٧).

عبد القادر المغربي

عبد القادر مصطفى المغربي الطرابلسي: عالم، أديب، صحفي.

ولد سنة ١٨٦٨م في اللاذقية، وقيل: سنة ١٨٦٧م في طرابلس الشام عن أصل تونسي من بيت «درغوت. وتلقّى العلم على والده وعلى حسين الجسر وغيرهما من علماء دمشق والقسطنطينية. واتّصل بالسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمّد عبده، ورغّبه الثاني بالسفر إلى مصر، فقصدها سنة ١٩٠٥م قبيل وفاة عبده، وانصرف إلى الصحافة، فكتب كثيراً في كبريات الجرائد، كجريدة «المؤيّد.

ولمّا أُعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م عاد إلى طرابلس الشام، وأصدر جريدة «البرهان»، وأقفلها عند ابتداء الحرب العامّة الأُولى سنة ١٩١٤م، واشترك مع عبد العزيز جاويش وشكيب أرسلان في تأسيس كلّية دار الفنون بالمدينة، وساهم في تأسيس الكلّية الصلاحية ببيت المقدس، ودرّس فيها، ثمّ استوطن دمشق، وتولّى التحرير في جريدة

«الشرق» إلى نهاية الحرب، ولمّا أُنشِئ المجمع العلمي العربي بدمشق كان من أعضائه، فنائباً لرئيسه، وعيّن أُستاذاً محاضراً للآداب العربية في الجامعة السورية، واختير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة، فعضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي، وألقى في ردهة المجمع بدمشق جملة كبيرة من المحاضرات العامّة في خلال عشرين عاماً، وكان على تقدّمه في السنّ دائب الحركة نشيطاً يتحرّى النكتة في حديثه ومحاضراته ومقالاته، وأُصيب بحادث سيّارة في القاهرة، فعولج في أحد مستشفياتها قريباً من ثلاثة أشهر، وسافر إلى دمشق، فلم يعش طويلاً، وتوفّي بها سنة ١٩٥٦ م، ودفن بمقبرة الفواخير بسفح قاسيون.

من آثاره: الاشتقاق والتعريب، البيّنات، الأخلاق والواجبات، مذكّرات جمال الدين الأفغاني، عثرات اللسان، محاضرات، تفسير جزء تبارك، على هامش التفسير.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» لسان حال جماعة التقريب بالقاهرة مقالةً له سنة ١٩٥٥ م.

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٢٩١ـ١٢٩٢، الأعلام للزركلي ٤: ٤٧، معجم المؤلّفين ٥: ٣٠٦ـ٣٠٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ١٩ـ٣٢، موسوعة الأعلام ٤: ١٩٢).

عبدالكريم بي آزار الشيرازي

الدكتور عبد الكريم بي آزار الشيرازي: أُستاذ جامعي، وداعية تقريب معروف.. يقول عن نفسه: «ولدت في شيراز سنة ١٣٦٤ هـ، ودرست مقدّمات العلوم في هذه المدينة، ثمّ رحلت إلى النجف الأشرف لمواصلة دراساتي العلمية، ودرست على كبار العلماء، منهم الإمام الخميني، وكتبت تقارير حول دروسه في المسائل المستحدثة.

وكان لي اهتمام شديد بالجمع بين الدراسات الحوزوية القديمة والدراسات الجامعية الحديثة، ممّا حداني لأن أُهاجر مع أُسرتي سنة ١٣٩٥ هـ إلى كندا، وانتميت هناك إلى جامعة «مك جيل»، حيث درست في معهد الدراسات الإسلامية. ومنذ سنة ١٤٠٢ هـ بدأت التدريس الجامعي، وأصبحت عضواً في الهيئة العلمية لجامعة الزهراء، وتولّيت بعد ذلك

مسؤوليات في هذه الجامعة.

دوّنت حتّى الآن أكثر من مائة وعشرين كتاباً باللغة الفارسية، منها: «ماضي العالم ومستقبله»، دورة «الرسالة الحديثة» في الفقه، ودورة «التفسير الكاشف»، و«ميثاق مع القرآن، و«القرآن الناطق»، و«القرآن في الأدب الفارسي»، وخصّصت رسالتي في الدكتوراه لتاريخ ترجمة معاني القرآن والأُسس العلمية للترجمة.

أمّا بالنسبة لنشاطاتي التقريبية فقد كانت البداية فيها التعرّف على أفكار التقريب من خلال قراءة مجلّة «رسالة الإسلام» التي كانت تصدر عن دار التقريب في القاهرة. وولعي بالفكر التقريبي دفعني لأن أُراسل مؤسّس الدار في مصر. ومن أجل تطبيق عملي لفكرة التقريب اتّجهت من النجف مع جمع من طلّاب الحوزة العلمية ـ ومنهم المرحوم اللنكراني ـ إلى مدينة سامرّاء، وهناك عقدنا جلسة حوار تقريب مع علماء أهل السنّة.

بعد أن انتشر كتاب «دعوة التقريب» ـ وهو مجموعة مقالات المرحوم محمّد محمّد المدني رئيس تحرير مجلّة «رسالة الإسلام» وعميد كلّية الشريعة بالأزهر الشريف ـ بادرت إلى ترجمته، وأرسلت نموذجاً من الترجمة إلى دار التقريب، فلقت ترحيباً، وأرسلوا الي خطاباً طلبوا فيه منّي ترجمة الكتاب وسائر مقالات مجلّة «رسالة الإسلام»، وفعلت ذلك، ثمّ عرضت ما ترجمت على مؤسّس دار التقريب في إحدى زياراته لطهران، وعقدنا معه جلسات ممتعة لمقابلة النصوص مع الترجمة، وجاء لي بصور عن رجال التقريب وجلساتهم في القاهرة ضممتها إلى الكتاب، ونُشر بالفارسية تحت عنوان «التضامن بين المذاهب الإسلامية»، ثمّ نشر لي مجلّد ثان من ترجمة هذه المقالات تحت عنوان «الإسلام دين التضامن»، ثمّ اخترت بعض مقالات المجلّة المذكورة ونشرتها مع صُوَر في لبنان تحت عنوان «الوحدة الإسلامية».

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران نشرت كتاباً آخر بالتعاون تحت عنوان «توحيد الكلمة، وهي مجموعة مقالات لرجالات التقريب، ومنهم الإمام الراحل الخميني وعلماء إسلاميّون آخرون.

كما أنّ سائر كتبي في الفقه والتفسير تنحو منحى تقريبياً بعيداً من كل إثارة طـائفية. لذلك فإنّ هذه المؤلّفات تجد طريقها بين كلّ قرّاء اللغة الفارسية سنّة وشيعة، كما أنّ بعضها ترجم إلى لغات مختلفة.

ولي مساهمات علمية في مؤتمرات التقريب عن طريق تقديم دراسة أو اشتراك فـي حوار.

ومنذ تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية عيّنني الإمام الخامنئي (حفظه الله) عضواً في المجلس الأعلى للمجمع».

(انظر ترجمته في: المفسّرون للأيازي: ٣٣٤ ـ ٣٤١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٤ ـ ٣٦٦).

عبد الكريم الحائري اليزدي

عبد الكريم بن محمّد جعفر المهرجردي اليزدي الحـائري القـمّي: المـؤسّس الأوّل لجامعة (حوزة) قم العلمية، وأحد رجالات الإصلاح.

كان فقيهاً جليلاً، عالماً شهيراً، أُستاذاً قديراً، من أكابر مراجع التقليد والإفتاء للإمامية في إيران.

ولد في مهرجرد (من قرى يزد) سنة ستّ وسبعين ومائتين وألف، وتعلّم بها، ودرس في يزد على السيّد يحيى بن كاظم اليزدي المتوفّى سنة ١٣٤٦هـ، وغيره.

وقصد العراق، فهبط سامرّاء، وتتلمذ بها على الشـهيد فـضل الله النـوري، والمـيرزا إبراهيم المحلّاتي الشيرازي، ثمّ حضر الأبحاث العالية فقهاً وأُصولاً على الأعلام: المجدّد محمّد حسن الشيرازي، والسـيّد مـحمّد الفشـاركي الأصـفهاني، والمـيرزا مـحمّد تـقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية (ثورة العشرين).

وتوجّه إلى النجف الأشرف بصحبة أُستاذه السيّد الفشاركي، فلازمه إلى أن توفّي سنة ١٣١٦هـ، فاختلف إلى حلقة الفقيه الشهير الشيخ محمّد كاظم الخراسـاني المـتوفّى سـنة ١٣٢٩هـ.

ثمّ سكن الحائر (كربلاء)، فأخذ يلقي الدروس هناك على جماعة من الطلبة، إلى أن رجع إلى إيران أوائل سنة ١٣٣٣هـ، فعرّج على سلطان آباد (آراك) فسكن بها، وتصدّى للتدريس والإفادة، فالتفّ حوله ثلّة من الطلّاب.

وانتقل إلى قم سنة ١٣٤٠ هـ، فنهض بأعباء البحث والتدريس، وتنظيم سير الدراسة، ورعاية الطلبة والاهتمام بشؤونهم، وأبدى كياسة وكفاءة ومقدرة عالية في ذلك، ولم يمض وقت طويل حتّى أصبحت قم مركزاً علمياً له شأنه، يستقطب روّاد العلم من كلّ صوب على الرغم من الضغوطات التي مارسها النظام البهلوي والعراقيل التي وضعها في طريق ذلك.

وكانت الأنظار قد اتّجهت إلى المترجم بعد وفاة المرجعين الكبيرين في النجف: الميرزا محمّد تقي الشيرازي (١٣٣٨هـ)، وشيخ الشريعة الأصفهاني (١٣٣٩هـ)، حيث رجع إليه في التقليد والإفتاء جماعة كبيرة في بلاد إيران، ومن أكبر الأسباب والدواعي إلى ذلك ما عمد إليه أُستاذه الميرزا الشيرازي من التنويه بفضله والشهادة بتأهّله لرجوع مقلّديه إليه في موارد الاحتياط في فتاواه.

ولم يزل اسم المترجم يشتهر، حتّى انتهت إليه الرئاسة العلمية في إيران، وألقت إليه الزعامة الروحية مقاليدها، إلى أن توفّي في ١٧ ذي القعدة سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وألف للهجرة.

وكان قد حضر أبحاثه طائفة كبيرة، منهم: السيّد الإمام الخميني، والسيّد محمّد رضا الكلبايكاني، والشيخ محمّد علي الآراكي، والسيّد كاظم شريعتمداري، والسيّد أحمد بن عناية الله الزنجاني، والسيّد محمّد الداماد، وملّا علي الهمداني، والسيّد أبو الحسن الرفيعي القزويني، والميرزا هاشم الآملي.

وصنّف كتباً، منها: كتاب الصلاة، كتاب الرضاع، كتاب النكاح، كتاب المواريث، درر الفوائد في أُصول الفقه. وله تقريرات بحث أُستاذه الفشاركي في أُصول الفقه.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٦٥ ـ ٦٧، أعيان الشيعة ٨: ٤٢، الأعلام للزركلي ٤: ٥٦، معجم المؤلّفين ٥: ٣٢٠، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣٦٤ ـ ٣٦٦).

عبد الكريم الزنجاني

أحد مشاهير علماء الإمامية، ومن كبار الدعاة إلى الوحدة الإسلامية.

ولد الشيخ عبد الكريم بن محمّد رضا بن محمّد حسن بن محمّد العلي الزنجاني النجفي سنة ١٣٠٤ هـ في «باروت» بمدينة زنجان الإيرانية، واهتمّ والده بتعليمه، وخصّص له أساتذة لتدريسه فنون العلوم، وسافر إلى طهران وواصل بها دراسته، ثمّ قصد النجف الأشرف سنة ١٣٢٦ هـ، فحضر الأبحاث العالية على السيّد محمّد كاظم اليزدي والسيّد محمّد محمّد باقر الفيروزآبادي، وحاز ملكة الاجتهاد، ومهر في الفلسفة والكلام، وتصدّىٰ للبحث والتدريس، وترشّح للمرجعية، وقام برحلات كثيرة، وعاد إلى النجف سنة ١٣٥٥ هـ، وواصل بها نشاطه، إلىٰ أن وافته المنية سنة ١٣٨٨ هـ بمرض سوء التغذية تاركاً مؤلّفات كثيرة، منها: نظرة في النظرية النسبية لأينشتاين، المنطق الحديث، وحي الإلهام، الوحدة الإسلامية، دروس الفلسفة، ذخيرة الصالحين، الفقه الأرقىٰ، السياسات الإسلامية، فلسفة الاجتهاد والتقليد، حقائق الأُصول، معضلات علم الرجال، طريق النجاة، أحكام الربا، مناسك الحجّ، الأُصول العملية، الكندي خالد بفلسفته.

وقد عُرف الزنجاني بميوله الإصلاحية وبدعوته إلى الوحدة، حتّى عُرف برسول الوحدة الإسلامية، ولتحقيق هذه الغاية الشريفة قام سنة ١٣٥٤ هـ برحلة واسعة شملت العديد من الأقطار الإسلامية، كالهند وإيران والقفقاز وسوريا ولبنان والأردن ومصر وفلسطين، وقد ظهرت مواهبه العلمية الفلسفية والخطابية من خلال المحاضرات والكلمات التي ألقاها في تلك البلدان، والتي نالت إعجاب كبار الباحثين وعلماء المذاهب والمفكّرين، كالشيخ محمّد مصطفىٰ المراغي، والشيخ عبدالمجيد سليم، ومصطفىٰ الغلاييني، ومحمّد فريد وجدي، ومحمّد كرد علي، وطٰه حسين الذي قبّل يد الزنجاني ـ وذلك بعد أن ألقىٰ الأخير محاضرة فلسفية ـ قائلاً: «هذه أوّل يد قبّلتها»، وقال في إحدىٰ المرّات: «كنت إذا سمعت محاضرة الإمام الزنجاني ظننت أنّ ابن سينا حيّ يخطب».

وقد كانت له مراسلات معروفة مع الشيخ المراغي والشيخ شلتوت.

ويمكن تلخيص منهجية الزنجاني في الوحدة الإسلامية بالنقاط الآتية:

١ ـ عدم الاكتفاء بمجرّد الكتابة والرسالة لتعزيز الوحدة، بل ينبغي جوب الأقطار لبيان هموم الوحدة ومشاريعها.

٢ ـ تعزيز حركة التقريب على الصعيد الأهلي والاجتماعي والمؤسّساتي وغيرها من الأصعدة.

٣ ـ إنّ السعي في قضية الوحدة لا يعطي ثماره بين ليلة وضحاها، بل يحتاج إلى وقت طويل وعمل لا ينقطع وعطاء لا ينضب.

٤ ـ إنّ مسألة الوحدة الإسلامية قد خرجت عن طور الدعوة والبرهان والمحجّة والبيان، وصارت ترىٰ بالعين وتلمس باليد، واللازم هو السعي والعمل الجدّي والصدق والإخلاص والتضحية، لا مجرّد الأقوال والادّعاءات.

٥ ـ للإعلام قيمة كبيرة في تقدّم ونجاح مشروع الوحدة، والدعاية له لا تزال ناقصة ومحدودة.

٦ ـ المجتمع الإسلامي بحاجة إلى تجديد في خططه ومشاريعه وأساليبه؛ لتكون أكثر فاعلية وعملية وقرباً للغاية المنشودة.

٧ ـ الوعي بالمخطّطات الأجنبية الرامية إلى إفشال وإجهاض مشروعات الوحدة والتقريب، والحذر منها.

٨ ـ إنّ لمسألة الوحدة أبعاداً فلسفية، وذلك بربط أنظمة الكون بنظام المجتمع، حيث إنّ الله تعالى خلق الكون مترابطاً، كلّ جزءٍ فيه يحتاج إلى الآخر ولا يستغني عنه، وكذا الحال في نظام الحياة والاجتماع.

(انظر ترجمته في: الذريعة ٨: ١٤٦، الأعلام للزركلي ٤: ٥٦ ـ ٥٧، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٦٤٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٦٣ و٣٦٦ ـ ٣٦٧).

عبد الله الأنصاري

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري: عالم وباحث وداعية قطري.

ولد سنة ١٩٢١ م بمدينة الحوز القطرية، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ مبادئ العلوم على والده، ثمّ رحل إلى الأحساء للعلم والاستزادة منه، ثمّ إلى مكّة المكرّمة للغرض نفسه، فبقي فيها سنوات تولّى خلالها بعض الأعمال. كما عمل في المنطقة الشرقية في مجال الخطابة والإمامة والقضاء والتدريس.

عاد إلى وطنه، فعهد إليه بإدارة الشؤون الدينية، وأُسندت إليه رئاستها، وعنيت الإدارة بنشر الكتب وتحقيقها، فسمّيت «إدارة إحياء التراث الإسلامي».

كما اهتمّ بتأسيس مراكز تحفيظ القرآن الكريم في بلده وخارجه، وزوّدها بالوسائل اللازمة، ورعاها على مدار عشرين عاماً. وكانت له خدمات مهمّة في مجال التربية والتعليم، واهتمّ بأوضاع العالم الإسلامي، وأُنشِئ مؤتمر السنّة النبوية والسيرة في الدوحة عام ١٤٠٠هـ نتيجة لمجهوداته، ونشط في مجال الدعوة من خلال عضويته بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

توفّي الأنصاري عام ١٩٨٩م بالدوحة، ودفن هناك.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٥٢، أعلام التراث: ١٨١ ـ ١٨٢، نثر الجواهر والدرر: ٢: ١٨٦٥ـ١٨٦٧).

عبد الله البهبهاني

عبد الله بن إسماعيل بن نصر الله بن محمّد شفيع بن يونس بن حسين بن عبد الله البهبهاني: عالم ومصلح إمامي.

كثيراً ما يقترن اسم هذا العالم المجاهد باسم رفيق دربه في الكفاح السيّد محمّد الطباطبائي، حيث وسّع هذان العالمان المجاهدان من نشاطاتهما، ودخلوا في مراحل أكثر جدّية وتأثيراً في تاريخ إيران وحركة الدستور، فقد حضرا اجتماعاً شعبياً عظيماً في مسجد

الشاه ليتحدّثا عن مضار الحكومة الدكتاتورية ومحاسن الحكومة الشعبية والدستورية ، غير أنّ جماعة من عملاء الشاه وخدم البلاط تغلغوا بين الناس ـ وذلك طبقاً لخطّة معدّة مسبقاً ـ من أجل تفريق هذا الاجتماع الهائل ، وبدأوا بإيذائهم وإهانتهم ، حتّى أنّهم أهانوا العالمين المجاهدين الجليلين ، وتفاقم الحال في مسجد الشاه ذلك اليوم حتى انتهى إلى المشاجرة والصِدام والجراح ، فاضطرّ الناس إلى التفرّق للخلاص من هذه الفتنة .

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر آذر ١٢٨٢ هـ. ش اعتصم العالمان المجاهدان بمعيّة جماعة من العلماء والتجّار كالحاجّ الشيخ مرتضى متولّي مدرسة خان مروي ، وصدر العلماء ، والسيّد جمال الدين الأفجئي ، والميرزا مصطفى ابن الحاجّ الميرزا محمّد حسن الآشتياني ، والشيخ محمّد صادق الكاشاني ، والشيخ محمّد رضا القمّي ، وجماعة من تجّار طهران ، في صحن السيّد عبد العظيم الحسني ليعلنوا بذلك احتجاجهم ومعارضتهم .

وفي أثناء الطريق وقف جماعة من أزلام النظام بوجههم ، وسعوا إلى صدّهم عن هذه الحركة ، وبلغ الأمر حدّ المصادمات وإطلاق النار ، ولكن نتيجة لإصرار التجّار وضغوطهم وإغلاقهم محالهم التجارية ، واحتمال ازدياد الاضطراب أمر عين الدولة ، الحاكم العسكري لطهران آنذاك ، أفراد الشرطة وعملاء الحكومة بالكفّ عنهم والسماح لهذه الجماعة أن تكمل مسيرها نحو صحن السيّد عبد العظيم ، لكنّه أمر من ناحية أُخرى بأنّه إذا ما استمرّ الذين أغلقوا محلّاتهم بهذه المناسبة في إغلاقها ولم يفتحوها فإنّها ستنهب من قبل أفراد الشرطة ، وفعلاً فإنّ بعضاً من التجّار لم يكترثوا لهذا الأمر الصادر ، فنهب أزلام النظام بضائع محلّاتهم وسيطروا عليها .

أمّا رجال الدولة الذين كانوا مرتبطين بالأجانب ، وكان كلّ منهم تحت حماية السفير الروسي أو الإنجليزي ، فإنّهم ـ ومن أجل الحفاظ على مصالح أسيادهم الأجانب ـ سعوا إلى فصم عروة الاتّحاد بين السيّدين العالمين المجاهدين محمّد الطباطبائي وعبد الله البهبهاني ، فاستخدموا التهديد تارةً ، والأطماع أُخرى ، فكانوا كلّ يوم يرسلون إليهما رسالة تهديد أو وعد بمال ومنصب ، وأنّهما يلقيان بأنفسهما إلى التهلكة عبر هذا الطريق الذي اختاراه . لكن

هؤلاء غفلوا عن أنّ رجال الحقّ لا يهابون في طريق إيمانهم وعقيدتهم التهديد والموت والشهادة، ولا ينحرفون عن الصراط المستقيم عبر ترغيبهم ووعدهم بالمال والمنصب والجاه، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «فإنّهم زهّاد الليل وليوث النهار».

وقد هزّت إقامة المجاهدين الشجاعين بالري معربين عن اعتراضهما ومخالفتهما للحكومة أعماق الجماهير؛ نظراً لامتلاكهما قلوب الناس ولمكانتهما الخاصّة فيها، ومنذ اليوم الأوّل الذي اتّجه فيه هذان العالمان نحو الري رافقهما جماعة من أنصارهما، أمّا بعد استقرارهما بالري فقد بدأت مجموعات جديدة من الجماهير تتّجه إلى الري كلّ يوم، وقاموا يلتحقون بالعالمين المجاهدين وأنصارهما، وبذلك كانت أعدادهم تزداد يوماً بعد يوم، واستمرّت بالازدياد لتكوّن سيلاً جارفاً يقوى على تحطيم جدران الخصم والمخالف في ساعة الصفر.

وقد بلغ الأمر أن خالف بعض شباب العوائل الفخمة المتّصلة بالبلاط، بل وحتّى جماعة من رجال الدولة وأولاد الأُمراء القاجار، النظام الحاكم آنذاك، ولذلك غضب عليهم الملك المستبدّ وأعوانه الانتهازيّون، ففارقته تلك الطائفة وقصدوا الري والتحقوا بذلك الجمع.

وأدّى تزايد أعداد هذه الجماهير يوماً بعد آخر ولحظة بعد أُخرى، والتفافها حول قائديها المحبوبين إلى رعب الجهاز الحاكم وقلقه شيئاً فشيئاً، حتّى أنّ عين الدولة رئيس الوزراء الدكتاتور المستبدّ، ورجل بلاط القاجار المستميت الذي لم يأتِ أحداً من باب السلام والصلح أبداً، عندما رأى أنّه لا يقوى على مواجهة هذه الجماهير عن أيّ طريق كان قد فكر جدّياً بتهديد الشعب وإرعابه، فأرسل أحد عسكرييه القساة الذين كان يعتمد عليهم مع مئات الفرسان المسلّحين إلى الري للقيام بهذا التهديد والإرهاب. غير أنّ المقاتلين المسلمين الشجعان لم يخافوا من مواجهة الفرسان المسلّحين وأفراد الجيش الذي يعملون تحت إمرة الأجانب، فهم ضعفاء أمام القوى الأجنبية، وشجعان جلّادون أمام شعبهم المحروم المضطهد الأعزل وأبناء وطنهم الحفاة! وثبتوا بكلّ جرأة وصلابة أمام هذا

الجحفل ، وبيّنوا بقول صريح بليغ مشاكل الشعب وحرمانه ، وعدّدوا مفاسد الحكومة الدكتاتورية واحدة فواحدة ، وانتقدوا بشدّة إجحاف الدولة بحقوق الجماهير وتعدّيها عليها .

وأخيراً نظّم هذا الجمع بياناً ذكروا فيه مطالبهم التي أشرف عليها وأيّدها العالمان المجاهدان ، وأوردوها في ثماني موادّ وأرسلوها إلى الشاه بواسطة السفير العثماني . وكانت هذه المواد التي ثبتت جزئيّاتها في التاريخ كأوّل مطالبة بالحقوق مدوّنة ، وأوّل طلب منظّم دقيق بقيام الحكومة الدستورية ، عبارة عن :

١ ـ إيجاد (دار العدالة) في أنحاء إيران ، سواء في المدن أم القرى .

٢ ـ عزل علاء الدولة من حكومة طهران .

٣ ـ إرجاع الحاجّ الميرزا محمّد رضا ـ وهو أحد العلماء المجاهدين في أوائل نهضة الدستور وقد نفي بسبب عقائده التحرّرية ـ من رفسنجان إلى كرمان .

٤ ـ إعادة سدانة مدرسة خان إلى سادنها الأصلي .

٥ ـ تطبيق القوانين الإسلامية وتوسعة نطاقها في أنحاء البلد الإيراني .

٦ ـ عزل المسيو (نوز) البلجيكي عن رئاسة الكمرك والمالية ، حيث لم يكن له همّة وهو في هذا المنصب المهمّ إلّا إيذاء الناس والتبذير بما في بيت المال وإتلافه .

٧ ـ تقليل الرواتب الحكومية بمقدار عشر شاهيات من كلّ تومان ، والذي سنّ قبل عام واحد .

٨ ـ وأخيراً عزل عسكر كاريجي عن إدارة العربات على طريق قم . وكان هذا الرجل قد حصل على امتياز إدارة عربات طريق قم من الدولة ، لكنّه كان يسيء معاملة المسافرين وخاصّة علماء قم وطلّابها ، فكان يشكونه ويتظلّمون منه إلى علماء طهران ، فأراد قادة نهضة الدستور أن يستميلوا علماء قم وطلّاب حوزتها وإشراكهم معهم في الثورة عبر إدراج مطلبهم ضمن هذه المطالب .

أخذ السفير العثماني مطاليب العلماء التي أصدرها ووافق عليها المئات من

المتحصّنين بالري، وذهب بها إلى البلاط وسلّمها بيد الشاه، غير أنّ الشاه ـ وكعادته ـ رماها جانباً ولم يعرها أدنى اهتمام! لكن مقاومة المعتصمين في صحن السيّد عبد العظيم وطول مكوث العلماء بينهم أثار القلق لدى الشاه؛ لأنّه أُبلغ بتأزّم أوضاع هذا الاعتصام، وبأنّ جماعات جديدة تلتحق كلّ يوم بالمعتصمين، حتّى أنّ الكثير منهم قد جاؤوا من مدن بعيدة للاشتراك في هذه النهضة، وليقفوا إلى جانب المجاهدين، فخاف الشاه من ذلك وفكّر بطريق خلاص، فأشار عليه مشاوروه ومن حوله بالموافقة على مطاليب الثائرين فوراً.

وهذا ما فعله الشاه، بل وأرسل عربته الخاصّة إلى الري لتأتي بالسيّدين المجاهدين ومرافقيهما إلى طهران بكلّ حفاوة وتكريم. بل وطلب مشاوروا الشاه منه أن يكتب رسالة يعد فيها بتأسيس دار العدل وتطبيق أحكام الإسلام.

وبهذا أنهى العلماء، وعلى رأسهم السيّد محمّد الطباطبائي والسيّد عبد الله البهبهاني، اعتصامهم واتّجهوا إلى طهران، وتبعهم على ذلك من كان معهم.

أمّا العلماء فإنّهم انتظروا كثيراً بعد رجوعهم إلى طهران أن يفي الشاه بوعوده، ولكن لم يتمّ ذلك.

وكان السيّد محمّد الطباطبائي يحثّ الطبقة المحرومة المضطهدة إلى الثورة على الظلم، ويشجّعهم على الصمود في مطالبتهم بتأسيس المجلس، بل كان يجمع الناس حوله عدّة مرّات في اليوم، في داره أو خارجها، في المحافل والمجالس، وحتّى في الأزقّة والشوارع، ثمّ يرتقي المنبر ويوضّح ببيانه القاطع وخطابه الملتهب سبيل النجاة من الظلم والجور والتحرّر من قيود الحكّام وأزلام النظام وأفراد الحكومة واستعمار الدول الأجنبية، وكان يطلب من الناس الصمود من أجل الوصول إلى الهدف وإن بُذلت النفوس، وأن لا يخافوا الموت والشهادة التي تبعث على الفخر، وأن لا يتراجعوا حتّى النفس الأخير.

وفي جميع هذه المجابهات كان السيّد عبد الله ـ رفيقه القريب والمجاهد إلى جانبه في مواضع الجهاد ـ ملازماً له، فلم يكتفِ باطّلاع الناس على مستوى واسع برسائل صديقه ورفيقه الكبير في الجهاد، بل كان هو أيضاً كالطباطبائي يخطو خطوات ثابتة في هذا

الطريق، وكان يدعو الشعب المحروم كلّ يوم إلى أن يكون أكثر ثباتاً وقدرةً في مطالبته الحقّة بحقوقه المشروعة.

ومع أنّ السيّد عبد الله البهبهاني كان أصغر من السيّد الطباطبائي بسنوات، لكنّه هو الآخر كان طاعناً في السن، مطّلعاً على العالَم، ذاق مرّ الحياة وحلوها، والأهمّ من ذلك أنّه كان أحد مراجع الشيعة الكبار، وقد تصدّى لقيادة فئة عظيمة من الشعب المسلم المجاهد في ثورة الدستور، ويُعدّ أحد قادة ثورة الدستور العظماء الذين ضحّوا بأرواحهم في سبيل الجهاد ضدّ الظلم والظالمين، والعمل ضدّ الاستبداد وعملاء الاستعمار، والسعي من أجل تثبيت حكومة الدستور.

وقد كتب العلّامة الأميني، العالم والمتتبّع الإسلامي الكبير، في كتابه الثمين «شهداء الفضيلة» حول هذا المجاهد الشهيد على طريق الحرّية والإنسانية:

«السيّد عبد الله البهبهاني: قائد حركة الدستور، وهو ابن السيّد إسماعيل، ومرجع الشيعة الجليل، والمصلح الكبير، وهو من سلالة أفاخم العوائل وأعراقها، تلك العائلة التي كان له صداها الواسع، وباعها الطويل، ومقامها الرفيع في العلم والثقافة وفي مجال خدمة العالم الإسلامي.

وهذه الشجرة الطيّبة أصلها ثابت في (غُريفة) من قرى البحرين، وفروعها نامية في النجف والبصرة والمحمّرة وميناء بوشهر وشيراز وطهران وبهبهان.

ولد المترجم في النجف سنة ١٢٦٢ هـ. ق، وبها شبّ ونما، وأخذ دروسه العالية عن الإمام المجدّد الشيرازي وآية الله الكوه كمري وشيخنا الفقيه راضي، وكان من أعاظم علماء طهران، وحاز رتبة عالية من العلوم الشرعية، [من مؤلّفاته: «مجموعة رسائل فقهية»].

كابد في دستورية إيران الكوارث الملمّة، ويمّم العراق بعد سيادة الاستبداد الصغير بإيران، ثمّ عرج عليها بعد أن كسحت العراقيل دونه، فهبط العاصمة بكلّ حفاوة من الأهلين، ثمّ حاول تطبيق القوانين الدستورية بالنواميس الإسلامية المقرّرة، ورفض ما أُلصق بها من البدع، فبهظ ذلك سماسرة الأهواء، حتّى باغتوه بإطلاق شواظ البندقية عليه

ليلاً في داره في شعبان سنة ١٣٢٨ هـ ، وقد نقل جثمانه إلى النجف الأشرف ، ودفن مع والده العلّامة في إحدى الحجر الشرقية من الصحن المقدّس».

وبذلك فقد أدّى هذا العالم المجاهد الواعي دوره البنّاء التغييري والتاريخي في إحدى أعظم حوادث تاريخ إيران ، وإحدى أكبر الحركات في الشرق ، وهي ثورة الدستور ، ثبّت بذلك أركان قيام الحكومة الدستورية ، ولم يتراجع أو يتقاعس ، حتّى تمّ التوقيع على الحكومة الدستورية .

(انظر ترجمته في : الذريعة ٦ : ٤٠٢ و١٥ : ٤٣ و٢٠ : ٩٢ ـ ٩٣ ، الأعلام للزركلي ٤ : ١٩٩ ، معجم المؤلّفين ٦ : ٣٥ ، مستدرك سفينة البحار : ٢٧١ ، كفاح علماء الإسلام : ٧٣ ـ ٨٧) .

عبد الله العلايلي

عبد الله العلايلي : أديب ، لغوي ، فقيه ، سياسي .. يعدّ أحد العلماء اللبنانيّين البارزين في النصف الثاني من القرن العشرين .

وهو من مواليد بيروت سنة ١٩١٤ م ، وتلقّى تعليمه الأكاديمي في جامعة الأزهر بمصر ، ثمّ في كلّية الحقوق بجامعة القاهرة ، ثمّ عاد إلى وطنه ومارس مهنة التعليم في بيروت ، وحمل لواء العربية منافحاً ، واختير عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومات سنة ١٩٩٦ م .

كان عبد الله العلايلي صاحب مواقف جذرية مختلفة واجتهادات فقهية كثيرة ، وشارك في تأسيس وإنشاء عدد من الأحزاب اللبنانية ، وعرف أيضاً بمواقفه المؤيّدة لحركة السلم العالمية التي كانت ناشطة في زمانه ، حتّى وصف بـ « الشيخ الأحمر » .

وساهم العلايلي في إشاعة ونشر العلم والعقلانية داعياً إلى تحرير الإسلام ، بوصفه دين النظر والعقل ، من الجمود والخرافة . وشدّد على حرية التديّن من منطلق أنّه لا إكراه في الدين ، وأنّ الدين ما يدين به الفرد لا ما يدين به المجتمع ، وكذلك فإنّ الدين أمر وجداني محض لا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة ، ولهذا اصطدم برجال الدين المتشدّدين الذين قصروا التعليم ـ وذلك كما أشار ـ على العلوم الدينية وبعض مبادئ

الحساب، وأغلقوا باب الاجتهاد، فأشاعوا بذلك مناخات الضعف والجبرية بين صفوف الأُمّة على حدّ تعبيره.

عبد الله العلايلي مجدّد فكري في عينيه نظرة نقدية، وقد وصفه الباحث علي سرور بأنّه صاحب مشروع معرفي تنويري، وهذا المشروع واحد من المشاريع التي تقدّم بها المتنوّرون في المشرق العربي وغربه، ولكن لم تجد لها أذاناً صاغية ولا اهتماماً تستحقّه من القابضين على مقاليد الحكم.

من أشهر المؤلّفات التي وضعها العلايلي: أين الخطأ، مقدّمة لدرس لغة العرب، سمو المعنى في سمو الذات، دستور العرب القومي، مدخل إلى التفسير، الكون والفساد الاجتماعيان، رحلة الخلد، المعرّي ذلك المجهول، المعجم الكبير، المرجع، العرب في المفترق الكبير، مقدّمات لفهم التاريخ العربي، مشاهد وقصص من أيّام النبوّة، تاريخ الحسين، وغير ذلك.

في كتابه «أين الخطأ» يسارع عبد الله العلايلي إلى إبراز إشكاليته الفلسفية الكبرى: أين الخطأ في الفكر العربي الإسلامي المعاصر؟ بل أين الخطأ في كلّ فكر؟ فيجيب: «ليس محافظة التقليد مع الخطأ خروجاً عن التصحيح الذي يحقّق المعرفة» في حين أنّ كتابه «المرجع» الذي صدر سنة ١٩٦٣م ترك حدثاً لغوياً وأثار اهتمام المثقّفين اللبنانيّين والعرب.

يقول عنه الشيخ عبد الأمير قبلان: «بفقدان العلّامة الشيخ عبد الله العلايلي فقد لبنان والعالمان العربي والإسلامي عالماً شامخاً ومبدعاً في الفكر والأدب والفقه، وخسر واحداً من عمالقة اللغة العربية الذين أغنوا الثقافة العربية والمكتبات العربية والإسلامية... إنّ غيابه خسارة لا تعوّض.. كتبه الخالدة وفكرة النيّر منارة حيّة لكلّ الباحثين عن العلم والمعرفة واللغة العربية الأصيلة.

يقول العلايلي في مقالة له: «نازعة الإسلام إلى التوحيد، وإلى كلمته الجوّابة «الأذان»، من «فم الدنيا» إلى حيث الآفاق ما اتّسعت الآفاق.. لا تقريب بل توحّد،

كالشيء المنظور في مرايا ذات أوضاع، فهو هو، وإن كان على أنحاء وأشكال.

وقد أحسن العرفانيّون من الهنود صنعاً حين أسموا مثل هذه البادية: «وحدة الكثرة»، وأزجوا لها مثل التينة حين جاءت متوحّد بزور لا تحصى، وهي هي الحبّة ذات النكهة والطعم.

وعبر بي الذهن إلى ما قبل المذاهب ونشوئها في الإسلام لأقع على معنى ما أجمله وأكرمه عند شاعرنا الكميت بن زيد الأسدي في البائية من هاشمياته يخاطب النبي:

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب

صاحبنا الكميت تهدّى إلى معنى عضوي جديد للجمهرة الإسلامية الكبرى، فليست هي عنده حشود تلفّها حشود، ولا بنود تتبعها بنود.. بل هي متجسّد ذوب كلّ العروق والأنساب ليكونوا بني أب واحد، قد يختلفون دونه، ولكن أبداً لا يختلفون عليه.

مفهوم عميق جميل أن يعيه الناس ويحيونه حياة إنتاج كما يشاء لهم الفلاح «حيَّ على الفلاح»، وحياة تبتّل كما يشاء خشوع الشهود في الصلاة «حيَّ على الصلاة».

فهذه الجمهرة الإسلامية الكبرى وفق عبارة الحديث النبوي: «كالجسد الواحد» حركة السكون فيه كسكون الحركة، بل قل معي: قوانين الإستاطيقا فيه ترفد قوانين الديناميقا، لشلّال تكامل يصبّ في المدى الدائم أو ديمومة المدى، وينبسط انبساطه في الكائن الإسلامي الكامل، أو كما دعوته قديماً «المسلم القرآني»، وذلك في كتاب: «سمو المعنى في سمو الذات»، الصادر سنة ١٩٣٩م بالقاهرة..

ولا أقول: التداخل التلفيقي، فللمذاهب شخصيتها، كما أوماً إليه بل صرّح به الإمام مالك لأبي جعفر المنصور.. وهي، وإن مختلفة، تتشكّل في المغزى الغائي «رحمة»، كما عبّر الحديث النبوي.

فما يرتَج دونك بابه في مذهب تجده مشرع الأقفال والأغلاق في مذهب آخر.. وعلى هذا النحو يطلّ المسلم المنفتح سيّد نفسه في مسعاه وسلوكه، وذلك في طمأنينة وراحة ضمير مصداقاً لحديث: «بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

بعد هذا كلّه لعلّك تسألني : كيف السبيل إلى هذا التوحّد ؟ بل ينبغي عليك أن تسألني ذلك ، لنجد المهيع ، أي : المحجّة ذات « الصُوى والمنار » بتعبير المصطفى المختار ، فلا تزلق بنا الخطا ولا تتيه بنا السبل . وهذا ما أجد لزاماً عليّ ، بل لا محيد ولا محيص عن الأخذ في بيانه .

سبق لي قبل سنوات أن أوضحته نوع إيضاح في كتاب : « أين الخطأ » وقبله في بحث مستفيض سألتني إيّاه في أوائل الأربعينات جمعية الشبّان المسلمين في القاهرة ، وأنا الآن أعاود إيضاحه على نحو أكثر يسراً وأوجز قولاً وأوضح بياناً وتطبيقاً . .

فقد لفت نظري في القديم الإمام ابن حزم في كتابه « مراتب الإجماع » إلى منهج العمل السوي القويم ، ولكن بتطوير هو أكثر منطقية .

فابن حزم حصر نفسه ودائرة سعيه في إطار مقولة هي بنفسها تحكّمية متعسّفة ، وهي مقولة : « من يعتدّ بخلافه » . . وأفسدها أكثر حين قصرها على نحو غير شامل ، بل كيفي ارتئيائي .

وبذلك هو لم يحلّ المشكلة ، بل نقلها من نحو إلى نحو ، وأبقى جوهرها على ما هو عليه من التعقيد! وكان الأشبه بالصواب أن تعمّ قاعدة « مراتب الإجماع » كلّ المدارس الفقهية بقطع النظر عن انتساباتها . . فما اتّفقت عليه المذاهب ووقع عليه « التوحّد » عُدّ من الأساس الإسلامي ، والمتنازع المختلف فيه مقبول بتفاريقه بدءاً ، ويرجّح منه رأي على رأي وفق المقتضيات والدواعي الزمانية والمكانية المتغيّرة دواليك ، أي : بتغيّرها وتبدّلها يتغيّر الترجيح ويتبدّل الاختيار .

مثال الترتيب والموالاة في الوضوء شرطان لا غنى عنهما عند الإمام مالك ، بينما هما عند غيره من السنن لا يبطل الإخلال بهما الوضوء ، ففي المعامل يرجّح الأخذ برأي هذا الإمام .

وكذا هو القول فيما تتقاضاه شركة التأمين من جُعالة ، استناداً إلى جعالة ما كان يعطى على « التلاء » ، وهو سهم موسوم بوسم قبيلة يحمي حامله من أخطار الطريق بل يوفّر له

الرعاية والحماية، وأقرّه القرآن ضمناً فيما عدّه «الإيلاف لرحلة الشتاء والصيف»، وكان أمان التنقّل لا يتمّ إلّا بمثله.

والأمر لا يعدو هذا الشأن فيما يتّصل بتنظيم النسل، تعلّقاً بقاعدة: «ارتكاب أخفّ الضررين»، بل أتجاوزه إلى القول بإباحة التعقيم لبلوى المجاعات واتّقاء جاثوم البأساء وكابوس الضرّاء.

ومن هذا السياق فرضية قدامى الفقهاء فيما أسموه «قناني النطفة، فقد حالوا بين حامل غاب عنها زوجها وبين إقامة الحدّ، لاحتمال أنّه أرسل إليها نطفته في قنّينة أو قارورة وتطبّنت ما فيها، عملاً بعموم حديث: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»، ولا يطالب الفقيه القديم أن يعلم علم أنّ الحُيّي المنوي مخطوف الحياة لهنيهات، وإنّما المهمّ واللافت عظمة الفرضية كفرضية، صدقت اليوم في أبناء الأنابيب شكلاً، ولا أستبعد الحكم.

والشأن نفسه في حلّية استبدال الأعضاء علاجياً، وذلك بدلالة التضمّن المستوحاة من الآية الكريمة: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ (سورة النساء: ٥٦)، من حيث إضافته إلى الربّ نفسه، وهو الشارع الأعظم، فتومئ إلى أنّه يدخل في باب ما يسوغ، تقبّلاً لحديث التأسّي: (وإنّ فيه مقالاً): «تخلّقوا بخلق الله، وخلق الله القرآن».

هذا من وجه، ومن وجه آخر إذا أخذنا بما مال إليه نفر كبير من علماء أُصول الفقه بأنّ كلّ ما يجد ويطرأ ممّا لا نص عليه يدخل ويندرج في شمولية البراءة الأصلية، ثمّ يتعيّن وصفه الحكمي شرعاً بما يفضي إليه من مرغوب به أو منهي.

وعملاً بهذه القاعدة نجد من أوّل الأمر أنّ موضوع استبدال الأعضاء هو من بابتها... وما أخال أو يداخلني الظنّ بأنّ هناك من يقول بإبقاء ذي العاهة معيّهاً، أي: ذا عاهة، إذا اتّفق له أن يضحى سليماً معافى، وهلمّ جرّاً.

ثمّ إذا أبى متزمّت إلّا أن يركب عنان خلافه وتعنُّته في غُلُواء أخذنا بقول المعتزلة من: وجوب فعل الصلاح والأصلح بالنسبة إلى الشارع مطلقاً عُلوياً كان أو بشرياً.

ولا أُوسع القول هنا في تعداد النظائر والأشباه.. فقد بسطت القول فيها وأشبعتها بحثاً

في كتابي المقبل بعنوان: «القول الحقّ» الذي رأيت إصداره ودفعه إلى أيدي الناس، بعد أن نشرت صنوه وكان شبه توطئة له باسم: «أين الخطأ».

وبعد، فهذه كلمة عجلى رغبت إليّ بها «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» أن أوطّئ بها لسلسلة كتب تصدر عنها تباعاً حول موضوع التقريب بين المذاهب.

وعلى أنّي من أنصار التوحّد في الفقه، كالجذع للدوحة، وحدته لا تنفي تشعّب أغصانها، بل تعطي الدوحة وتكسبها فيئاً وظلّاً، وشيئاً فوق الفيء والظلّ، إنّه الفوح واللون والثمر من كلّ وجه وعلى كلّ نحو.

أقول: على الرغم من أنّي أكثر ميلاً إلى التوحّد بهذا المعنى أتّسع في اغتباط إلى دعوة التقريب هذه، على شكل أنّها نقلة إليه أو تلقاءه.. منطلقاً في هذا من التأديب النبوي: «فسدّدوا وقاربوا».

فالأدب المحمّدي كما ترى يقول على طبيعة الأشياء وتطويعها في غير إعنات ولا رهق السداد إن أمكن، وإلّا فمقاربة السداد.

والله من وراء القصد، والوراء هنا لا بمعنى المكان حذر الوقوع في التجسيم، بل بمعنى التُكلان».

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٥٢٦ ـ ٥٢٧، إتمام الأعلام: ٢٦٠، الشيخ الأحمر ١: ٤٨ ـ ٤٩، موسوعة الأعلام ٣: ١١٠).

عبد الله المشدّ

عبد الله عبد الخالق المشدّ: عالم، فقيه من أهل مصر.

ولد سنة ١٩٠٣م في ديروط بمحافظة البحيرة بمصر، وحصل على شهادة العالمية النظامية من الجامع الأزهر الشريف، ومن ثمّ على شهادة الدكتوراه.

عمل مدرّساً بمعهد الإسكندرية الديني، فمعهد القاهرة الديني، ومحاضراً في كلّية الشريعة، ثمّ أصبح مديراً عامّاً للوعظ.

وفي عام ١٩٦٢م عيّن أميناً عامّاً مساعداً لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة،

فرئيساً للقسم العالي بالأزهر، ورئيساً للجنة الفتوى فيه. كما عمل مستشاراً دينياً لبعض البنوك الوطنية.

منح وسام الاستحقاق من الدرجة الثالثة، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأُولى.

له العديد من الفتاوى، منها: جواز ذبح الهدي خارج الأراضي الحجازية إذا لم يجد الحاجّ من يأكل ذبيحته هناك ليستفيد منها فقراء المسلمين، وترتّب على فتواه هذه إقامة مصانع بالمملكة العربية السعودية لتصنيع وتعليب الذبائح وإرسالها للمسلمين الفقراء في العالم. وله غير ذلك من الفتاوى في تحديد أوائل الشهور العربية، وفي فرق القيمة الذي لم يعتبر ربا، كما أجاز نقل الأعضاء وزرعها، وأجاز التأمين على الحياة.

توفّي في ٢٣/ديسمبر/١٩٩٠م تاركاً عدّة مؤلّفات، منها: الرقّ في الإسلام، تهذيب الهداية (كتاب فقهي)، تقرير عن أحوال المسلمين في بلاد الصومال وأريتريا، في فقه الحنفية المقارن، علي مبارك.. حياته ودعوته وآثاره (بالاشتراك مع محمود الشرقاوي)، الآداب الدينية الاجتماعية (بالاشتراك مع أمين الخولي)، تفسير القرآن الموجز (بالاشتراك).

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٧، إتمام الأعلام: ٢٥٨، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٨٩٤).

عبد الله النديم

عبد الله مصباح إبراهيم النديم: مصلح مصري، وكاتب، وصحفي، وشاعر، خطيب الثورة العرابية.

ولد ونشأ بالإسكندرية بحي المنشية سنة ١٨٤٥م، وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الإسلامية. كان أبوه «مصباح إبراهيم» نجّاراً بالترسانة، ثمّ اتّخذ مخبزاً يؤمّن له الكفاف.

أُدخل الكتّاب، ثمّ «الجامع الأنور، ولكنّه هجر الفقه إلى الأدب. استخدم بمكتب للبريد في بنها، ثمّ انتقل لقصر والدة الخديوي إسماعيل فطرد.

اتّصل بمجالس الأدب بالقاهرة، حيث تعرّف إلى الشاعر محمود سامي البارودي والأديب عبد الله فكري وغيرهما من رجال الفكر والأدب. وبرز كزجّال، واتّصل

بالأفغاني.

عاد للإسكندرية في سنة ١٨٧٩ م، واتّصل بجمعية «مصر الفتاة» السرّية وبأديب إسحاق وسليم نقّاش من تلاميذة الأفغاني.

أسهم في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية التي انشغلت بالتعليم والدعوة الوطنية والتي قامت بتأسيس مدرسة عصرية تولّى عبد الله إدارتها.

اتّصل برجال الثورة العرابية، وأصدر صحيفة «التنكيت والتبكيت» في حزيران ـ يونيو ١٨٨١م تستنهض المصريّين ضدّ الأجانب بأُسلوب ساخر، وألقى بنفسه في أُتون الثورة ضدّ استبداد الخديوي، وأصدر صحيفة «اللطائف» لسان دعوة للعرابيّين، وتنقّل بين البلاد خطيباً يحشّد المصريّين للثورة ويلقي القصائد.

بعد الاحتلال الإنجليزي وفشل حركة أحمد عرابي استخفى عن السلطات تسع سنوات يجوب القرى متنكّراً في صورة يمني أو مغربي أو ما شابه. وكان قد حكم عليه غيابياً بالنفي المؤبّد.

قبض عليه في تشرين الأوّل ـ أُكتوبر ١٨٩١ م، ونفي إلى الشام، فأقام في يافا، وعاد إلى مصر معفياً عنه في أيار ـ مايو ١٨٩٢م، حيث أصدر صحيفة «الأُستاذ» في آب ـ أغسطس حتّى أغلقها الإنجليز في حزيران ـ يونيو ١٨٩٣ م.

سافر ثانية إلى يافا، ثمّ للآستانة، وما لبث أن خاصم أبا الهدىٰ الصيّادي ذا النفوذ لدى السلطان، ولكن المرض اشتدّ عليه، فمات سنة ١٨٩٦ م.

اهتمّ النديم ببحث مسألة أسباب تخلّف العرب والشرقيّين عامّة وتقدّم الغرب، فاستعرض مزاعم بعض المفكّرين الغربيّين في أسباب تخلّف العرب، وأثبت بطلانها.

وبعد أن دحض هذه المزاعم عقد مقارنة بين أسباب تقدّم الدول الأوروبّية وأسباب تخلّف دول الشرق، معتبراً إهمال الشرقيّين لأسباب وعوامل التقدّم في الدول الأوروبّية الأساس في تخلّفهم الحضاري.

ويجمل تلك الأسباب بما يأتي:

١ ـ الوحدة القومية الناشئة عن وحدة اللغة ووحدة التراب القومي في دول الغرب.

٢ ـ الاعتماد في الإدارة والسلطة على أبناء الجنس الواحد.

٣ ـ الوحدة الدينية، ذلك «أنّ وحدة الدين إذا انضمّت إلى وحدتي اللغة والسلطة قامت المملكة على أساس متين».

٤ ـ التعاون بين الدول الأوروبّية، وفقدانه بين الدول الشرقية، ممّا جعلها فريسة سهلة للدول الطامعة.

ويضيف إلى هذه العوامل الرئيسية عوامل أُخرى مساعدة، هي:

١ ـ حرّية الفكر والنشر وتعميم المعرفة.

٢ ـ الثورة الصناعية والسيطرة التجارية.

٣ ـ توافر الحافز للإنتاج والإبداع.

٤ ـ اهتمام أوروبّا بالعلم والمعرفة، في حين «نامت الأُمم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصّر حتّى مات العلم وأهله».

٥ ـ المؤسّسات الدستورية التي تضمن العدل.

٦ ـ المجالس والجمعيات الأدبية والعلمية التي يفتقر إليها الشرق.

يقول عنه الأُستاذ أحمد أمين: «مات في نحو الرابعة والخمسين من عمره، فلم يكن بالعمر الطويل، ولكنّه عمر عريض، فطالما غذّى الناس بقلمه، وهيّجهم بأفكاره، وأضحكهم وأبكاهم، وحيّر رجال الشرطة، وأقلق بال رجال السياسة، ونازل خصومه من رجال الصحافة، فنال منهم أكثر ممّا نالوا منه، ولم يهدأ له لسان ولا قلم حيث حلّ، ولا على أيّ حال كان، حتّى هدّأه الموت الذي يهدّئ كلّ ثائر.

مهما أُخذ عليه فقد كان عظيماً! فتح للناس في جريدتيه «التبكيت والتنكيت» و«الأُستاذ» أبواباً من الإصلاح الاجتماعي كانت مغلقة، في التعليم، والزراعة، واللغة، والصناعة، والأخلاق، وما إلى ذلك، فسار المصلحون على أثره.

وكانت الجرائد المشهورة في عهده «المقطّم» و«الأهرام» و«المؤيّد» و«النيل»،

وكان لها ثلاثة اتّجاهات: منها ما يسالم الاحتلال ويؤيّده، ومنها ما يؤيّد الحركة الوطنية ويؤيّد من ورائها السياسة الفرنسية، ومنها ما يؤيّد الحركة الوطنية والنزعة الإسلامية والارتباط بالدولة العثمانية، وكلّ منها يعرض وجهة نظره في شيء من الهدوء والرزانة والوقار. فلمّا طلع «الأُستاذ» دعا إلى أنّ مصر للمصريّين، لا لتركيا ولا للأوروبيّين، وناصر الحركة الوطنية والالتفاف حول الخديوي أمير البلاد، ودعا الذين غلبهم الخوف بعد احتلال أن يبرزوا من مكامنهم، ويمسحوا الخوف عنهم، ويتّصلوا بالجمهور ليوقظوه، ودعا إلى تأليف الأحزاب حتّى يكون لكلّ جريدة حزبها، ولكلّ حزب برنامجه.

ولم يسلك سبيل الهدوء كما سلكه معاصروه، بل كان حادّاً عنيفاً، والحِدّة منه استتبعت الحِدّة من الجرائد الأُخرى، والغضب يبعث الغضب، والصوت العالي يبعث في الردّ عليه الصوت العالي، فتميّزت الجرائد بعضُها عن بعض في وضوح وجلاء.

وكانت هذه الحِدّة وهذا الجدل المتتابع في المسائل العامّة أكبرَ موقظ للرأي العامّ النائم، يفهمه موقفه وما يضرّه وما ينفعه، وأيّ غاية يريد منه هؤلاء وهؤلاء، ومواطن ضعفه، وكيف السبيل إلى قوّته، وللنديم الفضل الكبير في ذلك.

وكانت جريدة «الأُستاذ» هي الأُستاذ لمصطفى كامل، تعلّم منها الاتّجاه والنغمة، وإن اختلفا من حيث الثقافة والأُسلوب بحكم الزمن والأحداث والظروف.

كانت عظمته في ذكائه وقوّة لَسَنه. وقال فيه المرحوم أحمد باشا تيمور: «كان شهي الحديث حلو الفكاهة، إذا أوجز ودّ المحدّث أنّه لم يوجز.. لقيتُه مرّة في آخر إقاماته بمصر، فرأيت رجلاً في ذكاء إيّاس، وفصاحة سَحبان، وقبح الجاحظ! أمّا شعره فأقلّ من نثره، ونثره أقلّ من لسانه، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا!».

كان السيّد جمال الدين يُعجَب بقوّة حجّة النديم في المناظرة والجدل، وسرعة بديهيته، وشدّة عارضته، ووضوح دليله، ووضعه الألفاظ وضعاً محكماً بإزاء معانيها إن خطب أو كتب، ثمّ هو شجاع لا يخاف، يَلَذُّه مواجهة العظماء ومنازلة الكبراء في غير خوف ولا وَجَل، إلى تواضع مع العامّة ومضاحكتهم ومؤانستهم وملاطفتهم، لا يعبأ بالقول ولا

يخاف البطش، فإذا نزل أحداً وسلّط عليه لسانه كانت الكارثة، نازل الخديوي توفيق والاحتلال وأبا الهدى الصيّادي، ولكلّ جاهُه وسلطانه الذي أذلّ أعناق الكثيرين، كلّ ذلك وهو فقير يعيش من يده إلى فمه، ما أتاه أتلفه، وما وصل إلى يده بدَّده، معتمداً على ربّه الذي يرزقه كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروحُ بِطاناً. ضعيف الجسم كثير العلل، وربّما كان ذلك هو السبب في موت أولاده جميعاً في طفولتهم، فقد رُزق قبل الاستخفاء بمحمّد، وعثمان، وإلياس، وفاطمة، وعائشة، وسُكَينة، وخديجة. كما رُزق أيّام الاستخفاء بحَفصة، ورَيّا. وكلّهم لم يعيش طويلاً. ومع هذا فهو ـ على مرضه ـ دائب العمل دائم الحركة، لا يعتريه كَلل ولا ملل، يودُّ أن يخلد اسمه بالعمل، بعد أن حُرِمَ تخليد اسمه بالولد.

أعدّ نفسه إعداداً عظيماً بكثرة الخبرة وسعة التجربة، فكان كما حدّث عن نفسه: «أخذت عن العلماء، وجالست الأُدباء، وخالطت الأُمراء، وداخلت الحكّام، وعاشرت أعيان البلاد، وامتزجت برجال الصناعة والفلّاحين والمهن الصغيرة. وأدركت ما هم فيه من جهالة، وممّ يتألّمون، وماذا يَرجون، وخالطت كثيراً من متفرنجة الشرقيّين، وألممت بما انطبع في صدورهم من أشعّة الغربيّين، ورأيت جَمّاً من أفاضل الشرقيّين المتعلّمين في الغرب، وعرفت كثيراً من الغربيّين، ورأيت أفكارهم ـ عالية أو سافلة ـ فيما يختصّ بالشرقيّين، والغاية المقصودة لهم، واختلطت بأكابر التجّار، وسَبرت ما هم عليه من السير في المعاملة أو السياسة، وامتزجت بلفيف من الأجناس المتباينة جنساً ووطناً وديناً، واشتغلت بقراءة كتب الأديان على اختلافها والحكمة والتاريخ والأدب، وتعلّقتُ بمطالعة الجرائد مدّة، واستُخدِمتُ في الحكومة المصرية زمناً، واتّجرت برهة، وفَلَحت حيناً، وخدمتُ الأفكار بالتدريس وقتاً، وبالخطابة والجرائد آونة، واتّخذت هذه المتاعب وسائل لهذا المقصد الذي وصلت إليه بعناء كساني نحولَ الشيخوخة في زمن بضَاضَة الصبا، وتوّجني بتاج الهَرَم الأبيض بدل صبغة الشباب السوداء، فصورتي تريك هيئة أبناء السبعين، وحقيقتي لم تشهد من الأعوام إلّا تسعة وثلاثين».

وربّما كان أعظم شيء فيه ثباته على مبدئه.. باع نفسه لأُمّته حسبما يعتقد الخير لها،

ولم يتحوّل عن ذلك على كثرة من تحوّل في مثل مواقفه. هؤلاء زعماء الثورة العرابية حاولوا أوّل أمرهم أن يُنكِروا ما فعلوا، فلمّا لم ينفعهم إنكارهم وعوقبوا عادوا وخضعوا وعاشوا في مسالمة ومهاودة. أمّا هو فلم ينكر ما قال، ولقي في مخبئه الأهوال، وكان جديراً بمن لقي ذلك كلّه أن يهدأ، وإذا هدأ فلا لوم عليه، ولكنّه ظلّ يجاهد، ويُنفَى فيجاهد، ويعفَى عنه فيجاهد، ويحذر فلا يحذر، ويطمَّع فلا يطمع، حتّى لقي مولاه».

(انظر ترجمته في: زعماء الإصلاح: ١٥٤ ـ ١٨٧، الأعلام للزركلي ٤: ١٣٧ ـ ١٣٨، معجم المؤلّفين ٦: ١٥١ ـ ١٥٢، موسوعة السياسة ٣: ٨٥٢ ـ ٨٥٣، الموسوعة العربية العالمية ٢٥: ٢٨٨، عمالقة وروّاد: ٩٦ ـ ١٠١، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٢: ٧٥٨ ـ ٧٥٩).

عبد الله النفيسي

أبو مهنّد عبد الله فهد عبد العزيز عبد الله النفيسي: أُستاذ جامعي، وسياسي كويتي مرموق.

ولد في الكويت سنة ١٩٤٥م، وتلقّى تعليمه الابتدائي والإعدادي (المتوسّط) والثانوي في كلّية فيكتوريا (victoria college) في حي المعادي ـ القاهرة (١٩٥١م ـ ١٩٦١م)، حيث حصل على شهادة .G.C.E.

في سنة ١٩٦٢م ابتعث لدراسة الطبّ في مانشستر (manchester) المملكة المتّحدة، ولكنّه بعد مضي سنة هناك فضّل أن يترك دراسة الطبّ ويعود إلى الكويت للتفكير والتأمّل في التخصّص الأمثل. وفي سنة ١٩٦٣م قرّر دراسة العلوم السياسية في الكلّية السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت AUB، وفي سنة ١٩٦٧م حصل على بكالوريوس علوم سياسية B.A من الجامعة.

في عام ١٩٦٨م انضمّ إلى كلّية تشرشل (churchill college) في جامعة كمبردج في المملكة المتّحدة لنيل شهادة الدكتوراه .PH.D، وفي سنة ١٩٧٢م حصل على الدكتوراه PH.D من نفس الكلّية، وكان موضوع الأُطروحة «دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث»، (the role the shi'ah in political development of modren iraq).

في سنة ١٩٧٢ م عاد إلى الكويت، وقام بالتدريس في قسم العلوم السياسية بجامعة الكويت، وهو قسم ترأسه ما بين ١٩٧٤م ـ ١٩٧٨م.

في سنة ١٩٧٨م نشر كتاب في لندن «الكويت: الرأي الآخر» يحتجّ على حلّ مجلس الأُمّة ويعارض المرسوم الأميري بهذا الشأن، فما كان من مجلس الوزراء الكويتي إلّا أن أصدر قراراً بفصل د. النفيسي من عمله في الجامعة ومصادرة جواز سفره ومنعه من السفر إلى الخارج! وفي سنة ١٩٨٠م استعاد جواز سفره، وذهب إلى المملكة المتّحدة كأُستاذ زائر في جامعة إكستر (Exeter) في الجنوب الغربي.

في عام ١٩٨١ م طلبته جامعة العين ـ الإمارات العربية المتّحدة للتدريس في قسم السياسة، وعمل هناك إلى سنة ١٩٨٤ م.

في سنة ١٩٨٥ م ترشّح لعضوية مجلس الأُمّة، وفاز بالمركز الأوّل في دائرة مشرف وبيان وحولي والنقرة، كما فاز بالمركز الثاني د. أحمد الربعي. وبعد فوزه بالانتخابات عرض عليه رئيس الوزراء المكلّف آنذاك الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح حقيبة وزارية، لكنّه اعتذر عن قبولها مفضّلاً العمل من خلال المؤسّسة التشريعية.

وفي عام ١٩٨٦ م صدر المرسوم الأميري بحلّ مجلس الأُمّة (حلّ غير دستوري)، تلا ذلك فترة الفراغ الدستوري الذي عاشته الكويت، وهي فترة حفلت بانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، منها اعتقال عدد من أعضاء مجلس الأُمّة السابقين، من ضمنهم د. النفيسي، وقامت قوّات الأمن بمنعه من التحدّث في الدواوين واقتياده لمخافر عديدة في البلد، منها الشيوخ الصناعي وكيفان.

وفي عامي ١٩٨٨ م ـ ١٩٨٩م كان أحد المشاركين في (دواوين الاثنين)، وهي عبارة عن اجتماعات شعبية موسّعة وتظاهرة علنية تطالب بعودة الحياة النيابية في الكويت وملء الفراغ الدستوري الذي عاشته البلاد.

من مؤلّفاته: دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث، الصراع في ظفار، الكويت: الرأي الآخر، عندما يحكم الإسلام، في السياسة الشرعية، مجلس التعاون

الخليجي : الإطار الاستراتيجي ، الحركة الإسلامية : ثغرات في الطريق ، على صهوة الكلمة ، دور الطلبة في العمل السياسي ، التراث وتحدّيات العصر ، العمل النسائي الواقع والمرتجى ، إيران والخليج .

وله مقالات عديدة في مجلّات علمية مُحكّمة ، مثل « السياسة الدولية » ـ مؤسّسة الأهرام ـ القاهرة ، و« المستقبل الغربي » ـ مركز درسات الوحدة العربية ببيروت ، ومجلّة « العلوم الاجتماعية » ـ جامعة الكويت ، ومجلّة « دراسات الخليج والجزيرة » ـ جامعة الكويت .

من خبراته : أُستاذ زائر في جامعة بكّين ـ الصين الشعبية سنة ١٩٧٣ م ، وفي سنة ١٩٧٦م أُستاذ زائر في جامعة موسكو ، وفي سنة ١٩٧٧م أُستاذ زائر في جامعة هارفارد ـ مركز دراسات الشرق الأوسط ، وفي عام ١٩٧٨م أُستاذ زائر في جامعة كمبردج ـ ماساتشوسيتس ـ الولايات المتّحدة ، وفي عام ١٩٧٨م أُستاذ زائر في جامعة ستانفورد ـ باولوالتو ـ الولايات المتّحدة ، وفي سنة ١٩٨٠م أُستاذ زائر في جامعة إكستر ـ المملكة المتّحدة ، وبين عامي ١٩٨١ م ـ ١٩٨٤ م أُستاذ في قسم السياسة ـ جامعة العين ـ الإمارات العربية المتّحدة ، وفي سنة ١٩٨٣م شارك في المؤتمر التأسيسي للمنظّمة العربية لحقوق الإنسان ـ قبرص ، وكان عضواً في مجلس أُمناء المنظّمة لعدّة سنوات ، وبين عامي ١٩٩٢ م ـ ١٩٩٦ م مستشار سياسي لرئيس مجلس الأُمّة السيّد أحمد عبد العزيز السعدون ـ الكويت .

في مقابلة أجرتها معه مجلّة « رسالة التقريب » الطهرانية عام ١٩٩٨م يقول : « أنا الآن حريص على الاتّصال بكلّ الجهات الإسلامية في العالم أجمع لبثّ بعض الأفكار التي أُؤمن بها ، وهي وحدة الأُمّة الإسلامية وضرورة ارتكازها على الإسلام كنظام للحياة ، وضرورة بناء الآلة الدولية الإسلامية .

وحول إمكانية الحوار مع الغرب يقول : « إنّ لكلّ حركة حوارية شروطها الفنّية والموضوعية ، سواء كانت بين فردين أو جهتين ، لا بدّ من توفّر الشروط الموضوعية

والشروط الفنّية..

الشرط الموضوعي أن تكون هناك نية صادقة للحوار بين الطرفين. وإذا لم تتوفّر هذه النية والخلوص الصادق لقيام هذا الحوار سوف تتحوّل هذه الحركة إلى حركة محاكمة أكثر منها حوار، والمحاكمة تختلف عن الحوار. والموجود اليوم في الصحافة الغربية تجاهنا هو المحاكمة؛ لأنّا نحن في منظورهم إرهابيّون متخلّفون متّهمون ا يجب أن نثبت براءتنا.. إذن لا يتوفّر الشرط الموضوعي في الحوار.

الشرط الفنّي غير متوفّر أيضاً؛ لأنّ الغرب لا يرغب بنا كوجود في قارّاته.. الذي يراجع السياسات الأوروبّية والسياسات الأمريكية تجاه الأقلّيات الإسلامية سيلحظ أنّ هناك اتّجاهاً منذ ١٥، ١٨، ٢٠ سنة للتضييق على المسلمين في أوروبّا وأمريكا ومحاصرتهم هناك، وهم مواطنون، عندهم الجنسية، وعندهم الحماية القانونية المفترضة، وعندهم الحقوق الدستورية المفترضة، ومع ذلك هناك شيء من التضييق المتدرّج إزاء الأقلّيات الإسلامية في أوروبّا والولايات المتّحدة وكندا».

عبد الله يحيى العلوي

عبد الله يحيى العلوي: من مشاهير الكتّاب في العالم الإسلامي، وداعية وحدة.

ولد في سنغافورة عام ١٩٠٣م، وحصل على الشهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٢٠م، ولجأ إلى أندنوسيا عام ١٩٤٧م، ومثّل الملايو في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي «الباكستان» عام ١٩٥١م، وانتخب عضواً في إدارة المجلس التشريعي بسنغافورة، ونائباً لرئيس جمعية «الشبّان المسلمين» فيها، ورئيساً لجمعية «الدعوة الإسلامية، ورئيساً لـ «الرابطة الإسلامية».

هاجر إلى القاهرة عام ١٩٥١م، وعيّن مستشاراً لأعمال سفارة اليمن أكثر من مرّة وممثّلاً لحكومتها في أربعين مؤتمراً دولياً وشعبياً، وفي جامعة الدول العربية بالقاهرة. كما انتخب عضواً في هيئة جماعة الكفاح ممثّلاً عن اليمن.

عيّن سفيراً لليمن في أندنوسيا في أواخر عهد سيف الإسلام محمّد البدر، وعيّن ممثّلاً

لليمن لدى منظّمة الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية بعد قيام العهد الجمهوري باليمن.

حضر عدّة مؤتمرات أقامتها المنظّمة سالفة الذكر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

أصدر مجلّة «عكاظ»، واشترك في تحرير عدّة صحف في سنغافورة، وساهم في عشرات المقالات الأدبية في صحف القاهرة، ومنها «البلاغ».

من أهمّ آثاره: تقرير سياسي منظوم، أنيس منصور.. آه منه وآه عليه، أخطاء المنجد، العربية السعيدة، منه وإليه، فضل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب، الفاسيّات، ندوة شاهي في رحاب أهل البيت، المجاج (ديوان شعر)، الشجاج (ديوان شعر)، أحبّها (ديوان شعر).

يقول: «الدعوة إلى التقريب بين المذاهب أمر مطلوب من كلّ مسلم؛ لكون المسلم أيّاً كان مذهبه أخاه يحرم عليه عرضه ودمه وماله، والمسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يهجره ولا يبغضه، والحبّ في الله والبغض في الله من الدين.. وما أحوج علماء الشيعة والسنّة اليوم إلى التزاور والتآلف؛ ليعرف بعضهم بعضاً على حقيقته، وليقطعوا دابر الساسة الذين فرّقوا المسلمين إلى مذاهب».

ويقول أيضاً: «لو وجد نفر ممّن يعملون بإخلاص في التقريب بين آراء علماء المذاهب الدينية، ويغشون الأندية والمجامع، ويطرقون أبواب العلماء والدارسين، ويتعرّفون إليهم، ويتلمّسون آراءهم، ويسعون بكلّ ما أُوتوا من علم وبيان في إزالة السحب القاتمة على قلوب الجامدين والمتعصّبين من العلماء، يعملون مخلصين وجاهدين، ويكونون همزة وصل بين علماء الإمامية وعلماء أهل السنّة، يزيحون الشبهات وما علق بالأذهان من مسائل خلافية لا تمسّ جوهر الدين ولا أصله، ويدعون إلى مؤتمرات وندوات، ليفهم بعضهم بعضاً عن قرب، لذابت ثلوج التعصّب والجهالة والضلال، ولتقطّعت حلقات الأغلال، ولكان المسلمون في خير وإلى خير كثير».

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ٢: ١٩٩، المتحوّلون ٥: ٢٨ ـ ٣١ و٦: ١٠٧ ـ ١٢٨).

عبد المتعال الصعيدي

عبد المتعال الصعيدي: من الشيوخ الثائرين في الأزهر ذوي الآراء الإصلاحية التقدّمية، وهو من بينهم يمتاز بميل إلى التجديد وعكوف على البحث والتأليف.

ولد سنة ١٨٩٤ م في قرية «كفر النجبا» من أعمال مركز «أجا» بمديرية الدقهلية، ثمّ انتسب إلى الجامع الأحمدي، فدرس على النظام الحديث، وكان من جملة أساتذته: الشيخ محمّد الشافعي الظواهري، والشيخ محمّد الأحمدي الظواهري.

ألّف: نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف، بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، الكميت بن زيد شاعر العصر المرواني، تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب، شباب قريش في العهد السرّي للإسلام، الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية، لماذا أنا مسلم، النحو الجديد، القضايا الكبرى في الإسلام، السياسة الإسلامية في عهد النبوّة، النظم الفنّي في القرآن، في ميدان الاجتهاد، الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية، المنطق المنظّم في شرح الملوي على السلّم، تعليقات على شرح السراجية في الميراث، دراسات إسلامية، المجتهدون في الإسلام، تاريخ الإصلاح في الأزهر، الأجرمية العصرية، زبد العقائد النسفية مع شرحها وحواشيه، البلاغة العالية، أبو العتاهية الشاعر العالمي، الفقه المصوّر في أحكام العبادات، زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد، روائع النظم والنثر.

وقد حصل على شهادة العالمية سنة ١٩١٨ م، وعيّن مدرّساً بالجامع الأحمدي من بين ٢٠٠ شخص. كما عيّن مدرّساً في كلّية اللغة العربية، وتوفّي بعد عام ١٩٥٨ م.

كان الشيخ الصعيدي من المجاهدين في سبيل الإصلاح والتجديد، مترسّماً في ذلك خطى كلّ من جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده، حيث رأى منذ كان شابّاً يافعاً أنّ أقوم طريق لنهضة المسلمين هو الطريق الذي دعيا إليه، وقد صرّح بذلك في أكثر من موضع من مؤلّفاته.

وقد كانت فكرة التجديد بالمعنى الشامل مسيطرة على تفكيره، فالإسلام نهضة دينية

ومدنية معاً، ولا يقتصر الأمر فيه على ما يصلح الآخرة وحدها، بل يدخل فيه ما يصلح الدنيا أيضاً، بل إنّ العبادات أيضاً يُقصَد منها في الأكثر أُمورٌ تعود علينا بالمصلحة في دنيانا قبل أن تعود علينا بشي في أُخرانا.

وهكذا نجد أنّ فهمه للتجديد يراد منه النهوض الديني والمدني، وهو يتعدّى من المسلمين إلى من يعاصروهم، كما حصل من قيام النهضة الأوربّية بتأثير النهضة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق نجده في بحثه عن تاريخ المجدّدين في الإسلام يدرسه على أنّه تاريخ نهوض المسلمين في أُمور دنياهم قبل أن يكون نهوضهم في أُمور أُخراهم، ولهذا لا يهتمّ فيه بالمجدّدين إلّا من يعمل لهذه الغاية.

والمجدّد عنده ينبغي أن يكون بعيداً عن التعصّب الممقوت، «فلا محلّ للتعصّب في باب التجديد والمجدّدين.. فلا يصحّ أن يكون لمذهب (المجدّد) في الدين أثر في غايته من التجديد، بل يجب أن ينظر في دعوته إلى المسلمين جميعاً، فلا يميّز فريقاً على فريق، ولا يقصد بالتجديد فرقة دون فرقة، بل يسعى في خير المسلمين جميعاً».

وينتقد الصعيدي مفهوم التجديد لدى محمّد رشيد رضا، ويعيب عليه جنوحه كثيراً إلى مدرسة ابن تيمية، الأمر الذي جعله يكره التأويل ويطعن في المشتغلين بالفلسفة من فلاسفة المسلمين. ويرى الصعيدي أنّ جنوح رشيد رضا إلى مدرسة ابن تيمية وجعله إمام المجدّدين فيما بعده من القرون يخالف مفهوم الإصلاح الذي كان يدعو إليه، ويقلّد فيه جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده، والذي يقوم على أساس الجمع بين علوم الدين والدنيا على الطريقة الأوروبّية. وهذه الطريقة تناصر الفلسفة وعلومها؛ لأنّ حضارة أوروبّا لم تقم إلّا على أساس هذه العلوم، «ومن يذهب في الإصلاح الحديث ذلك المذهب لا يصحّ أن يكون ابن تيمية إماماً له فيه؛ لأنّه كان رجعياً في هذه الناحية، بل يكون الأجدر بالاقتداء في هذا الإصلاح الحديث من السابقين ابن رشد الحفيد؛ لأنّه هو الفيلسوف الفقيه الذي جمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا وآخى بين الدين والفلسفة، ولو قامت مدرسة بعده واستمرّت كما استمرّت مدرسة ابن تيمية لكنّا أسبق إلى النهضة الحديثة من أوروبّا، ولم نقع

في الجمود الذي وقعت فيه مدرسة ابن تيمية ».

وكان الشيخ الصعيدي يكره الجمود الديني في الأزهر، والذي يرجعه إلى أسباب:

أوّلها: التقيّد في العقائد بمذهب الأشعرية.

وثانيها: التقيّد في الفروع بالمذاهب الأربعة المشهورة.

وثالثها: أخذ العلماء بعقوبات على أُمور غير محدّدة.

ورابعها: المبالغة في تقديس أسلافنا وعلومهم، «فيجب أن يقضى على هذه الأسباب التي أدّت بنا إلى ذلك الجمود العلمي والديني؛ لتتّسع عقول أهل الأزهر للبحث والنقد، ولا نقابل كلّ رأي جديد بالإنكار والاعتراض. ويكون هذا بأن يطلق لهم الحرّية في اختلاف الفرق الإسلامية في العقائد، وفي اختلاف المذاهب الفقهية في الفروع، وبألّا يكون عليهم مثل تلك العقوبات التي تحدّ من حرّيتهم، وتجعل للرؤساء سلطة واسعة عليهم، وبأن نقتصد في تقديس أسلافنا وعلومهم، ولا نهاب أخذهم بالنقد النزيه، ووضع علومهم موضع البحث والتمحيص».

وفي كتاب «الحرّية الدينية في الإسلام» يشير إلى أنّه قد أتى فيه باجتهاد خطير في موضوع الحرّية الدينية؛ إذ أثبت فيه أنّ الحرّية الدينية في الإسلام عامّة في دعوة غير المسلم الذي لم تبلغه دعوة الإسلام وفي دعوة من بلغته واستجاب له ثمّ ارتدّ عنه.. ويوضّح وجهة نظره التي يحاول البرهنة عليها بالعقل والنقل، والتي يذهب فيها مذهباً يخالف فيه كلّ علماء المسلمين قائلاً: «وهذا مذهب انفردت به في حكم المرتدّ، ولم يسبقني إليه أحد أصلاً».

ويتلخّص مذهبه في القول بأنّ «المرتدّ لا يكره على الإسلام بقتل ولا بسجن ولا بنحوهما من وسائل الإكراه، وإنّما يدعى إلى العودة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يدعى غيره ممّن لم يسبق له إسلام بهذه الوسيلة أيضاً، فإن أجاب فبها، وإلّا لم يكن جزاؤه إلّا العقاب على ردّته في الآخرة. وقد نفى الإكراه على الدين نفياً عامّاً صريحاً في قوله تعالى في الآية (٢٥٦) من سورة البقرة: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ

ٱلْغَيِّ ﴾، وهذا نفي للإكراه مطلقاً، فيجب أن يدخل فيه من أسلم ثمّ ارتدّ، كما يدخل فيه من لم يسلم أصلاً».

وقد ردّ عليه الشيخ عيسى منّون في مقالات نشرها بمجلّة الأزهر حينذاك (عدد شوّال ١٣٧٤هـ، وعدد شعبان ١٣٧٥ هـ).

ويعدّ الشيخ الصعيدي من روّاد التقريب، وله مساهمات عديدة في رفد مجلّة «رسالة الإسلام» بالمقالات التقريبية الممتازة.

وكان يقول: «هذا فضل كبير لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن يكون هو أوّل واضع لأساس التقريب بين المذاهب حتّى لا يكون الاختلاف في الرأي ممّا يدعو إلى تفريق كلمة الأُمّة، وإثارة العداوة بين طوائفها المختلفة، بل تبقى لها وحدتها مع الاختلاف في الرأي ويعيش فيها المختلفون في الرأي أُخواناً متحابّين، يترك كلّ واحد منهم أخاه ورأيه لأنّه إمّا مصيب مأجور، وإمّا مخطئ معذور، أو يجادله بالتي هي أحسن، فلا يكون في جدالهما تعصّب للرأي، وإنّما يكون القصد منه الوصول إلى الحقّ، لا المغالبة والانتصار. وإنّه أفضل أيّ فضل لابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يقلّ عن فضله في شرف نسبه وقربه من صاحب الرسالة، ولا عن فضله في سبقه غيره إلى الإيمان به وهو غلام صغير، فكان به أهدى من كلّ صغير وكبير، ولا عن فضله في جمعه بين الجهاد بالرأي والجهاد بالمال والجهاد بالسيف».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ١٤٨، الأزهر في ألف عام ٣: ١٧٧ ـ ١٨٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ١٩٩ ـ ٢٢٠، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٩٤، تجديد الخطاب الديني: ١٣١ ـ ١٥٩، نثر الجواهر والدرر ١: ٨١٤، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٨٥ ـ ٦٨٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

عبد المجيد سليم

عبد المجيد سليم: شيخ الأزهر، ومفتي الديار المصرية في وقته، وأحد مؤسّسي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

ولد سنة ١٨٨٢ م في قرية ميت شهالة من قرى المنوفية بمصر، وبعد دراسته الأوّلية

دخل جامعة الأزهر، وتخرّج منها بشهادة العالمية سنة ١٩٠٨ م، وقد أخذ عن الشيخ محمّد عبده، وكان أُستاذاً للشيخ محمود شلتوت. ولقّب بابن سينا؛ لنبوغه في الفلسفة.

وبعد إكمال دراسته عمل قاضياً ومدرّساً وعضواً في مجلس الاستفتاء، وولّي مشيخة الأزهر الشريف مرّتين: سنة ١٩٥٠ م لمدّة عام واحد، وسنة ١٩٥٢ م لمدّة عامين، وإفتاء الديار المصرية نحو عشرين عاماً، يقال: أصدر ما يقارب ١٦ ألف فتوىٰ، بينها ما يرجع إليه الفقهاء والقانونيّون.

وكان الشيخ عبدالمجيد من الأعضاء الناشطين في جماعة التقريب، وكان صريحاً وشجاعاً، وبسبب صراحته هذه استعفىٰ من رئاسة الأزهر سنة ١٩٤٦ م؛ لأنّ الحكومة أرادت التدخّل في شؤون الأزهر، وقد غضب منه بشدّة رئيس ديوان البلاط الملكي وهدّده بالأخطار التي سيواجهها نتيجة لعمله هذا، فأجابه الشيخ بكلّ صراحة وشجاعة: «مادمت ماشياً بين بيتي والمسجد فلن يهدّدني أيّ خطر».

وبعد سنين من السعي الدؤوب في مجال التقريب والوحدة توفّي في القاهرة يوم الخميس العاشر من صفر سنة ١٣٧٤ هـ المصادف لسنة ١٩٥٤ م.

وقد ركّز الشيخ مجهوده في السنوات الأخيرة في الاشتغال بجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية. وقد جعلت هذه الجماعة من أهدافها أن تتفاهم الطوائف الإسلامية على ما ينفع المسلمين، وأن تعمل على نسيان الخلاف واستلال الضغائن من بينهم، وله في هذه الناحية كتابات ورسائل ومراسلات بينه وبين كثير من علماء البلاد الإسلامية.

وكان يقول: «لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان والأئمّة عليهم الرضوان يختلفون، ويدفع بعضهم حجّة بعض، ويجادلون عن آرائهم بالتي هي أحسن، ويدعون إلى سبيل ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم نسمع أنّ أحداً منهم رمى غيره بسوء أو قذفه ببهتان، ولا أنّ هذا الاختلاف بينهم كان ذريعة للعدواة والبغضاء، ولا أنّ آراءهم فيما اختلفوا فيه قد اتّخذت من قواعد الإيمان وأُصول الشريعة التي يُعدّ مخالفها كافراً أو عاصياً لله تعالى، وقد كانوا يتحامون الخوض في النظريات وفتح باب الآراء في

العقائد وأُصول الدين، ويحتمون الاعتصام فيها بالمأثور؛ سدّاً لذريعة الفتنة، وحرصاً على وحدة الأُمّة، وتفرّغاً لما فيه عزّهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم، ولذلك كانوا أقوياء ذوي عزّة ومهابة أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم.

ولكن المسلمين لم يلبثوا أن انحرفوا عن هذه السبيل، واتّخذوا من خلافاتهم عصبيات جامدة لا تعرف التفاهم، ولا تنزل عن حكم البرهان والعقل، وكانوا باختلافهم المذهبي كالمختلفين في الدين، يتبادلون سوء الظنّ، ويتراشقون التهم جزافاً، وينظر بعضهم إلى بعض في حذر وحيطة، بل أفضى بهم ذلك في كثير من الأحيان إلى التضارب والتقابل وسفك الدماء، وبذلك انحلّت عرى الأُمّة، وانفصمت وحدتها، وقدر عليها أعداؤها، ونزع الله هيبتها من القلوب، وأصبحت غثاء كغثاء السيل، وانقلب الخلاف الذي كان رحمة ونعمة إلى بلاء وشرّ وفتنة! وصار مثله كمثل الخلاف في الأُصول والنزاع على الأُسس الأُولى للإيمان.

ولقد كان رسول الله ﷺ يخشى هذا التفرّق ويحذّر منه، وكان يشبّه المؤمنين بالجسد الواحد، ولم يكن شيء أبغض إليه بعد الكفر بالله من الاختلاف في التنازع ولو في الأُمور العادية.

إنّ هذه الأُمّة لن تصلح إلّا إذا تخلّصت من هذه الفرقة، واتّحدت حول أُصول الدين وحقائق الإيمان، ووسّعت صدرها فيما وراء ذلك للخلافات مادام الحكم فيها للحجّة والبرهان.

ولقد أدركنا في الأزهر على أيّام طلبنا للعلم عهد الانقسام والتعصّب للمذاهب، ولكن الله أراد أن نحيا حتّى نشهد زوال هذا العهد وتطهّر الأزهر من أوبائه وأوضاره، فأصبحنا نرى الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي أُخواناً متصافية، وجهتهم الحقّ وشرعتهم الدليل، بل أصبحنا نرى بين العلماء من يخالف مذهبه الذي درج عليه في أحكامه؛ لقيام الدليل عنده على خلافه، وقد جرّبت طول مدّة قيامي بالإفتاء في الحكومة والأزهر ـ وهي أكثر من عشرين سنة ـ على تلقّي المذاهب الإسلامية ولو من غير الأربعة المشهورة بالقبول

مادام دليلها عندي واضحاً وبرهانها لديّ راجحاً، مع أنّني حنفي المـذهب، كـما جـريت وجرى غيري من العلماء على مثل ذلك فيما اشتركنا في وضعه أو الإفتاء عليه من قوانين الأحوال الشخصية في مصر، مع أنّ المذهب الرسمي فيها هو المذهب الحنفي، وعلى هذه الطريقة نفسها تسير «لجنة الفتوى بالأزهر» التي أتشرّف برئاستها، وهي تضمّ طائفة مـن علماء المذاهب الأربعة.

فإذا كان الله قد برّأ المسلمين من هذه النعرة المذهبية التي كانت تسيطر عليهم إلى عهد قريب في أمر الفقه الإسلامي، فإنّا لنرجو أن يزيل ما بقي بين طوائف المسلمين من فـرقة ونزاع في الأُمور التي يقوم عليها برهان قاطع يفيد العلم، حتّى يعودوا كما كانوا أُمّة واحدة، ويسلكون سبيل سلفهم الصالح في التفرّغ لما فيه عزّتهم، وبذلك السعي والوسع فيما يُعلي شأنهم، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

هذا، وإنّ الذين كانوا يعملون مع الشيخ عبد المجيد في دارالإفتاء يذكرون أنّـه كـان يقضي أيّاماً كثيرة في مراجعة فتوى واحدة؛ إذ كان من ديدنه أن يقرأ كتب السابقين في كلّ مذهب، وأن يطيل المراجعة المستأنية في الآراء المتشابهة، وأن يحاول التوفيق بـين مـا يتعارض من النصوص ويشتبه من الأحكام، وله من نفسه جلسات صامتة للتفكير المتّئد، ولم ينس أن يدرس آراء سابقيه من رجال الإفتاء، وأن يعارض وأن يحبّذ وفق ما يرتئيه، وقد يضطرّ إلى مخالفة زميل كبير له مقامه الفقهي، فيكتفي بالإشارة إلى رأيه معقّباً عليه بما فتح الله به من النظر الجديد.

على أنّ نضوج الرجل الفقهي يتّضح بجلاء فيما لم يسبق إليه من الآراء، حـين تـجدّ أُمور مستحدثة في عالم الاقتصاد أو الطبّ أو الاجتماع، فتتطلّب رأي الإسـلام فـي هـذا المستحدث، ويضطرّ الفقيه إلى القياس الأُصولي ليقرن النظير بـالنظير، عـلى حـدّ تـعبير الدكتور البيّومي.. فمثلاً حين اشتدّت أزمة التموين في الحرب العالمية الثانية، واحـتكر التجّار وسائل العيش، واضطرّت الحكومة إلى تسعير البضائع، وجـد مـن يـعارض فـي التسعير، فأصدر الشيخ فتواه بضرورته في مثل هذه الأزمات، وأبان نصوصاً كثيرة تـحبّذ

رأيه من كتب السلف، فأسكت بعض من يتصدّرون للفتوى بغير حقّ، وصارت فتواه عملاً ملزماً للجميع.

وإذا كانت الفتوى الدينية أبرز آثار الشيخ، فإنّها ليست وحدها آية فضله، فقد أُتيح له أن يقوم على رعاية الدراسات العليا بكلّيات الأزهر الشريف، فيشرف على مناهجها، ويناقش رسائلها، ويحضر بعض دروسها، والدراسات العليا لعهده تتشعّب في كلّيات الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، وأُصول الدين.. ومعنى ذلك أنّ إلمام الشيخ الكبير بعلوم الأزهر جميعها يؤهّله للمناقشة الجادّة في مواد هذه الكلّيات جميعها، فهو يناقش في أُصول الفقه كما يناقش في مسائل المنطق كما يناقش في فنون البلاغة ودقائق النحو والتصريف، ولا تكاد اليوم تجد عالماً من هذا الطراز المستوعب بعد أن شاع التخصّص بمعناه الهشّ، لا بمدلوله الدقيق.

كما كان الرجل الكبير على رأس جماعة صمّمت على ضرورة الإصلاح الأزهري للتعليم منهجاً وكتاباً وأُستاذاً في الفترة الثانية لعهد الإمام المراغي: لأنّ الأحداث العاصفة قد حالت دون تمام الإصلاح كما عناه الأُستاذ المراغي في مذكّرته الشهيرة التي تقدّم بها في مشيخته الأُولى، والتي أحدثت من الدوي ما اهتزّت له جنبات الأزهر، وأدّت إلى استقالته بعد أن قامت عقبات شديدة أمام تحقيق ما جاء بالمذكّرة الخالدة، ثمّ رجع الشيخ إلى عمله، ولكن ظروفاً ما قد وقفت دون استكمال وجوه الإصلاح، فرأى جماعة من خُلاصة رجال الإزهر، كالشيخ محمود شلتوت، والدكتور محمّد البهي، والأُستاذ محمّد محمّد المدني، والأُستاذ عبد العزيز عيسى، أن يلتفّوا حول الشيخ عبد المجيد سليم كي يجدوا منه عوناً على أداء رسالة الأزهر كما حدّدتها مذكّرة الأُستاذ الأكبر.

وقام الشيخ عبد المجيد سليم بواجبه الإصلاحي، وأُقيمت الندوات الهادفة في كلّيات الأزهر الثلاث، وكان اسم الشيخ شلتوت من أنشط الأسماء الداعية لسرعة العمل، وقد ساعده على ذلك انتماؤه إلى جماعة كبار العلماء. فجدّد من نشاطها، ودفع بها إلى تقدّم مأمول.. الظاهر أنّ المراغي كان سعيداً بهذه الحركة؛ لأنّها ثمرة توجيهه وشعاع مصباحه،

ولئن تأخّر في تنفيذ بعض دون بعض فذلك لأنّ القائم بالعمل المباشر يرى ما لا يراه من لا يزال على شاطئ يراقب الموج الهادر دون أن يسبح في الماء، ولن يتمّ الإصلاح المنشود دون أمد محدود، فالغاية بعيدة، والمطلب شاقّ مرهق، والمطايا لم تتعوّد السير السريع، وعلى الله قصد السبيل.

هذا، ومن أكبر جهاده في جمع الكلمة الإسلامية دعوته إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية المعتبرة وتوجّهه لجماعة التقريب باذلاً جهده الحميد حتّى أصبح التقريب الآن هدفاً يسعى الجميع إلى تحقيقه مخلصين.

يقول الأُستاذ محمّد محمود رئيس محكمة الاستئناف العليا في تأبينه إذ أشار إلى أنّه «كان النجم اللامع في لجنة الأحوال الشخصية بوزارة العدل، إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على اللجنة بعد سبق فحصها، وعندئذٍ يأخذ الشيخ عبد المجيد الكلمة، فيتولّى شرح المسائل، الواحدة تلو الأُخرى، مستعرضاً شتّى الآراء في كلّ مذهب من المذاهب، ومقرّراً الحكم الدقيق، ذاكراً رأي الأئمّة والمجتهدين من الفقهاء، مسايراً روح العصر، منتقلاً من فنّ إلى فنّ، وهو في ذلك كالبحر الدافق، حتّى إذا انتهى من عرضه المستوعب الجامع قامت اللجنة بالبحث والتمحيص لإعطاء الصيغة النهائية للمادّة القانونية».

وهكذا يكون الفقيه الأكبر سعة اطّلاع، وسلامة منهج، ودقّة استنباط.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ١٤٩، الأزهر في ألف عام ١: ٣٠٦ـ٣٠٧ و٢: ٣٨٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ٢٩٣ ـ ٣١٠، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٩٥، عظماء الإسلام: ٤١٣، نثر الجواهر والدرر ١: ٨١٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٦٨٩ ـ ٦٩٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٣٩٢ـ٣٩٣، الإمام البروجردي.. آية الإخلاص: ١٠٤ـ١٠٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٦٩ ـ ٣٧١).

عبد المجيد عبّاس

الشيخ عبد المجيد عبّاس يحيىٰ: أحد الوجوه العلمائية البارزة في سوريا، وهو رئيس مكتب أهل البيت عليهم السلام الإسلامي الشرعي في مدينة حمص، وإمام الجمعة فيها.

عُرف بأنّه رجل التقريب في المدينة ، فهو لا يزال يدعو للوحدة بين المسلمين كخيار استراتيجي لا تكتيكي منذ عقود من العمل التبليغي في المنطقة .

يقول في لقاء أجرته معه مجلّة «المرفأ»: «بدايةً ينبغي أن نفرّق هنا بين القيمة التي حاول الدين الإسلامي كنظام اجتماعي ترسيخها في المجتمع ، وبين الحالة التي يرزح تحتها المجتمع المسلم .. وبعبارةٍ أُخرىٰ: أن لا نخلط بين عظمة النظرية والفشل في تطبيقها ، فالمجتمع المسلم بات يعيش إحدى أكثر المراحل ظلاماً في مسيرته الحضارية ؛ إذ لا يخفىٰ على أحدٍ ذلك الانقسام والتمزّق الذي تعيشه بعض طوائف هذا المجتمع ، ممّا أودى به إلى مهاوي التكفير والعنف وسفك الدماء !

ويذكّرنا هذا الحال بقول أمير الكلام علي عليه السلام مخاطباً قومه المشابهين لقومنا اليوم: «إنّه ليُميت القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم ، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزَون ولا تَغزُون ، ويعصّ الله وترضون !». وما أشبه اليوم بالبارحة ، حيث انقلب المجتمع مزقاً ودويلات ، وسكر أبناؤه بخمرة الفوارق والخصوصيات ، فأقعدتهم حالة الفرقة والخلاف هذه ، وأوقع بينهم الشيطان الأكبر والأصغر العداوة والبغضاء ، وأثار الفتن والنعرات المذهبية ، وجعل بأسهم بينهم ! فحوّلوا الاختلاف والتنوّع الفكري والثقافي الذي يمنح الإسلام طاقة تطوّرية خلّاقة قادرة على مواكبة مستحدثات الأُمور ومستجدّاتها في كلّ زمان ومكان عبر الأجيال والحضارات المتعاقبة ، خصوصاً إذا علمنا أنّ الأيّام حبالى بلون كلّ عجيبة .. حوّلوا ذلك إلى خلاف عقيم مميت لدينهم ودنياهم ، متناسين نبيّهم صلى الله عليه وآله حين قال بأنّ: «اختلاف أُمّتي رحمة».

إنّ المولى الكريم قد جعل للمسلمين منهجاً بيّناً ومحوراً جامعاً يستند إليه الجميع ، وهو قول في القرآن الكريم: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، ثمّ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (سورة الإسراء: ٩)، ولهذا فإنّ النزاع واستحكامه إذا كان وارداً وحاصلاً بين غير المسلمين فلا مبرّر له بينهم ، ولله على

الناس الحجّة البالغة .

وإذا كان المولى سبحانه قد شخّص داء هذه الأُمّة الإسلامية وألمح إلى سرّ ضعفها أمام التحدّيات الكبرى التي جعلت دماء المسلمين تسيل أودية في معظم أصقاعهم، فباتت تداس مقدّساتهم ظلماً وعدواناً في بلادهم استخفافاً واستهانة بهم، وأنّ سبب ذلك كلّه هو التنازع والفرقة .. فقد وصف الله عزّ وجلّ الدواء الشافي المتمثّل بالوحدة الإسلامية العالمية مع علمه بكلّ ما في الأُمّة من اختلاف وتنوّع في الآراء والأفكار والمدارس الإسلامية والاجتهادات المشروعة في صميم التشريع الإسلامي، صادعاً في قرآنه العظيم بأنّ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء : ٩٢)، وقال تعالى في مكان آخر : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال : ٤٦).

هذا هو الدواء والعلاج الذي صاغه المجتهد الكبير العلّامة الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء بـ«كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».

إنّ ما يعترض روّاد الوحدة من صعوبات لا ينحصر على جبهة واحدة.. فالداخل الذي يعيش حالة الخوف من الآخر ويعبث فيه الكثيرون من مرتزقة العلم وأصحاب المآرب والغايات لا يقلّ خطورة عن الخارج الذي يكيد جهده ويسخّر جنده لزرع الوهن في جسد هذا المجتمع، ونقله إلى ساحة التمزّق والصراعات، بحيث يسهل وضع يده على ما يشاء من ثروات هذا المجتمع .

كلّ هذه التحدّيات ينبغي خوضها وتذليلها في سبيل الاستفادة من الرصيد الكبير من القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية، واستيعاب موارد الاختلاف الذي لا يقدح بإسلام أيّ من ألوان الطيف في المجتمع المسلم..

ولا بدّ في ذلك كلّه من سعة الأُفق الفكري والحرص الشديد على الإسلام والمسلمين تأسّياً بنبيّ هذا الدين الذي لم يألُ جهداً في سبيل تأصيل رابط متين بين أبناء هذا المجتمع الذي عاش الجاهلية في كثير من أفكاره وسلوكياته..

وأمام كلّ هذا المشهد يلوح الحديث الشريف الذي يضع الجميع في دائرة المسؤولية ،

إذ أنّ «كلّ العالَمين هلكى إلّا العالِمين، وكلّ العالِمين هلكى إلّا العاملين، وكلّ العاملين هلكى إلّا المخلصين، وإنّ المخلصين في خطر عظيم».

نسأل الله لهذه الأُمّة الهداية والرشاد والوعي الذي تحتاجه لتجاوز هذه المحنة الحالكة».

عبد المحسن الأُسطواني

عبد المحسن بن عبد القادر بن عبد الله بن حسن الشهير بالأُسطواني: العلّامة الفقيه، أمين الفتوى، قاضي الشرع الأوّل، أحد جهابذة العلم، الأديب، المشارك في السياسة.

ولد في دمشق عام ١٢٧٥هـ من أُسرة أنجبت العلماء، ترجع أُصولها إلى جبل نابلس في فلسطين، قدمت إلى دمشق، واستوطنت في الصالحية قبل القرن السابع، وقد كانوا يقلّدون مذهب أحمد بن حنبل، ثمّ أخذوا في القرن الحادي عشر بالمذهب الحنفي.

طلب علومه على العلّامة أبيه أوّلاً، ثمّ على كبار علماء دمشق، فلازم الشيخ سليم العطّار عشرين سنة، بدأ عليه أوّلاً، ثمّ بعد ثلاث سنوات رافقه في الطلب عطا الكسم بتزكية منه، فلازماه سبع عشرة سنة، وكان إذا سُئِل الشيخ سليم عن طلّابه قال: «الأُسطواني والكسم، والباقي رسم». وأخذ المترجم عن: الشيخ سعيد الأُسطواني، والشيخ محمود الحمزاوي، وغيرهم، وأجازوه بإجازات حافلة.

وبعد وفاة والده سنة ١٣١٤هـ عيّن إماماً في جامع البزورية القريب من بيت أسعد باشا العظم حتّى سنة ١٣٢٦هـ.

كان كريم الخلق، لطيف المعاشرة، ذا نكتة، وله مواقف عظيمة في وجه الظلم والطغيان، جريئاً لا يخاف في الله لوماً؛ ولهذا هابه الحكّام، صادقاً في حديثه، نزيهاً في حكمه، يعطف على المضطهدين والمظلومين وينصفهم، ومع هذا فهو صاحب دُعَابة لا تفارقه غالب أحواله، كثير الجلوس في الجامع الأُموي وحوله أهل العلم والورع يتذاكرون. وقد اتّفقت الألسنة على زهده وورعه وعلمه وديانته، وربّما لهذا السبب لقّبه العامّة (السبع الأحول) لِقَبَلٍ في عينه اليسرى وضمور فيها. رُزِقَ فهماً عميقاً، وبديهة سريعة، وظهر

نبوغه مبكّراً ممّا جعله محلّ إعجاب شيوخه وكبار رجال عصره، مثال الوفاء، وخاصّة لصديق عمره وزميله الشيخ عطا الكسم، عملا معاً على حفظ القرآن الكريم، ولم تغيّر المناصب ما بين الصاحبين، بل كانا يتوادّان ويتشاوران فيما يعرض لهما من أُمور، وكان الشيخ عطا المفتي لا يبتّ أمراً إلّا بمشورته.

وكان بارّاً بوالديه يحبّهما، وقد حدّثوا عنه أنّه كان ذات مرّة في قافلة الحجّ ومعه والدته، وفي بعض الطريق اشتهت أن تأكل جبن (القشقوان)، وبحث طويلاً عمّا تريد حتّى وجد جبناً مع الشيخ عبد الرحيم دبس وزيت الذي كان يرافق القافلة.. وبعد مدّة عزّ الماء وقلّ، وعطش الشيخ عبد الرحيم عطشاً شديداً، وخطر له أن يستسقي المترجم، فبحث عنه، وطلب منه ماء على استحياء خشية أن يثقل عليه، فقال له: «كيف لا أُعطيك ماءً، وكنت أنت سبب رضاء أُمّي عليّ وابتهاجها؟!».

قدّره السلطان رشاد كلّ التقدير، فقد اتّفق أن ذهب في أثناء الحرب العالمية الأُولى مع الهيئة العلمية برئاسة الشيخ أبي الخير عابدين مفتي الشام إلى إسطنبول للاطّلاع على أحوال الجنود العرب في الجيش التركي المرابط في الدردنيل، فطلب منه السلطان إلقاء درس في جامع السلطان على غير استعداد منه، فلبّى ودار الموضوع حول الحديث الشريف: «إنّما الأعمال بالنيات»، وحضر الدرس كبار العلماء والأُمراء والقضاة وكبار رجال الدولة وطلّاب العلم يزيد عددهم عن خمسة آلاف، فاستحوذ على إعجابهم كلّهم، ثمّ أقام السلطان رشاد حفلاً تكريمياً للوفد، وخصّ المترجم بأكبر قسط من الحفاوة والرعاية، وتقدّم إليه فقبّل يده أمام الأُمراء والوزراء، وهذه أوّل مرّة تقع من سلاطين بني عثمان الأواخر. وكان يرافقه في الوفد الشيخ عبد القادر الخطيب ممثّلاً عن خطباء دمشق، والشيخ تاج الدين الحسني نيابةً عن والده الشيخ بدر الدين، والسيّد عطا العجلاني نقيب الأشراف.

أحبّ العلماء وروى قصصهم، وقد عاصر بعضها، وهو يتحدّث عن وقوفهم في وجوه الطغاة. لم يعرف التعصّب أبداً، بل كان يتبادل الرأي مع صديقه السيّد محسن الأمين

المجتهد الشيعي المعروف يتعاونان معاً، ويسدّان طرق الدجّالين من أصحاب الطائفية.

تقلّب في وظائف عديدة علمية وسياسية منذ اكتمل شبابه إلى ما قبل وفاته بسنوات، فشغل أمانة الفتوى أوّل وظيفة له عند ستّة من مفتيّي الشام، وهم: الشيخ محمود حمزة، فالشيخ محمّد المنيني، فالشيخ صالح قطنا، فالشيخ رضا الحلبي، فالشيخ سليمان الجوخدار، وأخيراً الشيخ أبو الخير عابدين، وكان عمره يوم تسلّمها ثلاثين سنة، وبقي فيها حتّى قبيل الحرب العالمية الأُولى، إذ نجح في الانتخابات، وعيّن نائباً في مجلس المبعوثان عام ١٩١٣م، وانتخب معه عن دمشق كلّ من: عبد الرحمان اليوسف، وأمين الطرزي، ومحمّد باشا العظم. وفي سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، تقدّم مرشحاً لإفتاء دمشق، وتقدّم كذلك معه الشيخ رضا الحلبي، فنجح الشيخ رضا بزيادة صوت واحد.

وبعد الحرب اختاره الملك فيصل ليكون عضواً في مجلس الشورى سنة ١٩١٩م، وكانت مهمّة هذا المجلس تنظيم سياسة البلاد وإدارتها وتأليف حكومتها، ثمّ عيّن رئيساً للمجلس، واستمرّ في رئاسته حتّى عام ١٩٢٤م، حينما حلّه الفرنسيّون بعد أن ضاقوا به.

وشغل في أثناء ذلك منصب أُستاذ في معهد الحقوق العربي (كلّية الحقوق) منذ تأسيسه عام ١٩٢٣م، فدرّس مجلّة «الأحكام العدلية» وأحكام الأوقاف، وترك أعمق الآثار في نفوس طلّابه وزملائه، وكان يدرّس النصّ من خلال أهداف روح التشريع.

ولمّا التهبت البلاد بالثورة السورية سنة ١٩٢٦م، شدّدت السلطات الرقابة عليه وعلى أعضاء مجلس الشورى، فاضطرّ للإقامة ببيروت مدّة. وعاد بعد انتهاء الثورة السورية إلى دمشق، فعيّن قاضياً شرعياً ممتازاً سنة ١٣٤٥هـ وبقي فيها حتّى سنة ١٣٥٩هـ حين عيّن رئيساً لمحكمة التميز الشرعية مدى الحياة (مستثنىً من قانون التقاعد) بسبب علمه وكفاءته واستقامته، ثمّ أُلغي هذا الاستثناء مع انقلاب حسني الزعيم ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م الذي ألغى جميع الاستثناءات، فأُحيل على التقاعد بعد أن خدم الأُمّة بما يزيد عن سبعين عاماً. والجدير بالذكر أنّه قيل لحسني الزعيم: «إنّك لن تستطيع أن تبدّل في قوانين المحاكم إلّا بإقالة الشيخ الأُسطواني»، فألغى الاستثناءات كلّها ليقيله هو.

بعد ذلك لزم داره، وعكف على مطالعة الكتب ومجالس العلم والأدب، وكان له في أواخر حياته مجلس أُسبوعي مع كبار الشخصيات العلمية والسياسية، منهم الرئيس محمّد علي العابد، والرئيس هاشم الأتاسي، ورئيس البرلمان فارس الخوري، وغيرهم من شيوخ العلم والسياسة والأدب، وعرف مجلسهم هذا باسم (مجلس الشيوخ)، الذي كان له تاريخ حافل أسهم في تهيئة الرأي العامّ ضدّ المحتلّين.

والوطن عنده عزيز يحتاج إلى صيانة ونصح؛ فقد زاره في عهد الانتداب بعض العلماء يطلبون إليه التوجّه للجامع الأُموي للدعاء، وكانت الطائرات الفرنسية تضرب المدينة، فانتهرهم وقال: «الدعاء على الأعداء صنيع المقعدين، والعدوّ بحاجة إلى مقاومة، فإلى السلاح».

وزاره في بيته رئيس الجمهورية عام ١٩٣٦م في بداية عهد الاستقلال، وكان معه أقطاب الكتلة الوطنية، وطلبوا نصحه وإرشاده، فنصح لهم وحذّرهم من اتّخاذ البطانة السيّئة التي تضرّ بهم وتعين المستعمر عليهم، مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٨)، وبالحديث الشريف المروي في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما بعث الله نبيّاً ولا استخلف خليفة إلّا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضّه عليه، والمعصوم من عصمه الله». فلمّا أتم حديثه أخذ سعد الله الجابري يد الشيخ فقبّلها، ثمّ تبعه الآخرون. وكان المترجم كثيراً ما يستشهد بهذا القول: «من أراد عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته».

وكانت تهتزّ نفسه اهتزاز الأُدباء، فينظم رائع الشعر، ومن آخر ما نظم قوله:

آمنت بالله العظيم جلاله

والرسل والأملاك والقرآن

وبسائر الكتب التي قد أُنزلتْ
والبعثِ يوم الحشر والميزانِ
آمنتُ بالقدر الإلهي خيره
مع شرِّه من خالِقِ الأكوانِ
أرجوك يا مولاي نظرة رحمةٍ
أنجو بها يا واسعَ الغُفْرانِ
عهدي بأنّك لا تعذِّب شيبة
شابت بدين الحقّ والإيمانِ
فاختم مدى أجَلي بحسنِ سعادةٍ
فلكَ البقاءُ وكلُّ شيءٍ فانِ

ومن شعره تشطيره للبيتين اللذين طلب منه تشطيرهما إمام السادة الشافعية في الحرم المدني الشيخ محمّد جمال الدين، فقال:

مدينة خيرِ الخلق تحلو لناظري
بمجلا جمالٍ أخجل البدر والرقا
بَذَلتُ لها روحي بنفحةِ روحها
فلست أُبالي أن أموتَ بها عِشقاً
يقولون في زُرْق العيون شآمة
وليس الذي قالوه حقّاً ولا صِدقاً
فزرقَتُها حرزٌ منيع لعائنٍ
وعندي أنّ اليُمنَ في عينها الزرقا

له مؤلّفات مخطوطة، وهي رسائل أربع: «فتح الأغلاق عمّن مات أبوه بعد الاستحقاق، رفع الطلاوة عن رفع الغشاوة، هدى الرائد إلى ضالّة الناشد، ضوء الفجر في

ترجيح بيّنة الحَجْر».

عاش الشيخ عبد المحسن مئة سنة وثماني سنوات، ظلّ إلى آخر لحظة فيها محتفظاً بذاكرته العجيبة، ولم يلزم البيت إلّا في السنتين الأخيرتين من عمره.

سئل عن سبب طول عمره فقال: إنّه طوى الفراش منذ بلغ الستّين، وإنّه كان قليل الأكل، يتناول وجبتين خفيفتين كلّ يوم إحداهما في الصباح، والأُخرى في المساء لا يأكل بينهما طعاماً، وإنّه ينام مبكّراً بعد العشاء الآخرة على الغالب، ويستيقظ قبل الفجر، وإنّه يقول لأهله: «لا تخبروني عن أخبار البيت المزعجة»، والآجال على كلّ حال بيد الله تعالى.

توفّي يوم الاثنين ٢٤ / رجب / ١٣٨٣هـ في يوم كثير الثلج والبرد من أيّام كانون الأوّل، وقد شيّعته دمشق علماؤها ورجالاتها بموكب جليل، ودفن بمقبرة الباب الصغير.

وقد رثاه أحد العلماء بشعر يقول فيه:

خاتم الأعلام تاجُ العلما
عمدة الأعيان والركن العميدْ

ترك الدنيا ولله وَفَى
زاهداً والزهد في الدنيا زهيدْ

وأتاها ضاحكاً مستبشراً
ولقاء الله للأخيار عِيدْ

فاجتباه الله من خيرته
بجنان الخلد والعيش الرغيدْ

(انظر ترجمته في: تاريخ علماء دمشق ٢: ٧٧٠ ـ ٧٧٦، نثر الجواهر والدرر ١: ٨٢٤ ـ ٨٢٧).

عبد المنعم الزين

أحد الأعلام، وداعية تقريب، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في بلدة « ياطر » جنوب لبنان سنة ١٩٤٥ م، وأكمل دراسته الابتدائية في بلدة « القماطية » ، وفي سنة ١٩٥٦ م التحق بالكلّية الشرعية الإسلامية (فرع الأزهر في لبنان)، فتخرّج منها عام ١٩٦١ م، وفي هذا العام هاجر إلى النجف الأشرف بعد أن كان قد درس المقدّمات الحوزوية في بيروت، فتتلمذ في مرحلة السطوح على الشيخ محمّد تقي الجواهري، والسيّد كاظم الحائري. ودرس البحث الخارج عند السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي والسيّد الشهيد الصدر، فتأثّر بمنهجية بحث الأخير وعمق فكره وسعة قلبه وعقله، فكان من ملازميه والمقرّبين لديه. وفي أوائل عام ١٩٦٦ م أرسله السيّد الحكيم وكيلاً عنه إلى بغداد، وإلى الناصرية عام ١٩٦٨ م، وإلى السنغال عام ١٩٦٩ م بإشارة من السيّد موسى الصدر، ثمّ جدّد له السيّد الخوئي الوكالة بعد ارتحال السيّد الحكيم، وكذلك فعل الشهيد الصدر.

وقد قام في السنغال بنشاطات إسلامية متنوّعة وأعمال عمرانية مفيدة يشار إليها بالبنان.

(انظر ترجمته في: تلامذة الشهيد الصدر: ١٤٧ ـ ١٤٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢).

عبدالمنعم الفرطوسي

الشيخ عبد المنعم بن حسين بن حسن بن عيسىٰ بن حسن الفرطوسي النجفي: فقيه، أديب وحدوي، شاعر.

ولد سنة ١٩١٧ م في قرية الرقّاصة من أعمال المجر الكبير بمحافظة ميسان العراقية، وجيء به إلى النجف وهو صبي، فقرأ المقدّمات والسطوح على لفيف من الأفاضل كالسيّد باقر الشخص والشيخ مهدي الظالمي وغيرهما، ثمّ حضر الأبحاث العالية على السيّد الخوئي والشيخ محمّد علي الجمالي الكاظمي الخراساني.

سطع نجمه في الأوساط العلمية والأدبية وطارت شهرته فملأت المحافل، وقد طغت شاعريته على علمه، وعرف في الأوساط الثقافية بارتجاله الشعر وقوّة ملكته الأدبية،

وأكثر قصائده تحفل بالمضامين السياسية التي تنتصر للشعب والمظلومين.

لقّب نفسه بـ «البلبل الحزين»؛ لمعاناته التي لازمته طيلة حياته.

وكان سريع البديهة، كثير الحفظ، رقيق المعنى، حسن السبك والإيقاع. وهو أحد المؤسّسين لجمعية الرابطة الأدبية في النجف، وله عدّة مؤلّفات، منها: ملحمة أهل البيت، شرح الاستصحاب من رسائل الشيخ الأنصاري، شرح كفاية الأُصول، شرح مقدّمة المكاسب، شرح شواهد مختصر المطوّل، نظم رواية الفضيلة للمنفلوطي.

أُصيب بالعمىٰ في سنينه الأخيرة، وانتقل إلى «أبو ظبي»، وتوفّي فيها سنة ١٩٨٣ م، ونقل جثمانه إلى النجف، فأُقبر هناك.

وللدكتور طالب الرمّاحي رسالة جامعية فيه.

هذا، وللأدب مسؤولية كبيرة في حمل رسالة التقريب، ودعاة الوحدة من الأُدباء كان لهم أثر لا يقلّ أهمّية عن أثر الفقهاء وغيرهم. وقد كان للفرطوسي تفاعل كبير مع قضايا المسلمين، واهتزّ وجدانه أمام محاولات التفرقة بين صفوف الأُمّة، فدعا دعوة حثيثة إلى الوحدة الدينية المبتنية على لمّ شمل الأُمّة ورصّ صفوفها تحت لواء الإسلام وفي ظلّ مبادئ الرسالة المحمّدية.

ومن أشعاره في هذا المجال قوله:

أُمّة الإسلام ما أبقت لنا ... أُمّة الكفر حمى لم يُقحمِ

ملكوا من أرضنا مهد الهدىٰ ... واستباحوا حرمات الحرمِ

فاستعدّوا وأعدّوا لهم ... قوّة البأس وبطش الهممِ

واهزموا بالوحدة الكبرىٰ وفي ... قوّة التوحيد جيش الصنمِ

وحّدوا الأوطان في جامعة ... للتآخي كالأساس المحكمِ

وحدة الإسلام أقوىٰ جبهة ... تجمع المسلم جنب المسلمِ

وكذلك قوله:

يا عصبة التفريق هل أشبعتم ... من دائكم وجهنّم لا تشبع

هــذي الفــوارق بـاعدت مـا بـيننا حـــتّىٰ تــفرّق شــملنا المــتجمّع
والطـــائفية ثــــغرة بــــصفوفنا مــــنها ثــــغور بــلادنا تــتصدّع
صونوا الحـقوق مـن الضـياع فـأنتم أُمـــناء هـــذا الشعب وهـو المـودع
وحــــقوق أبــــناء البــلاد أمــانة ووديـــــعة بــيد العــدالة تــوضع
ومــن القــطيعة أن يــصان لواحـد حـــــقّ وآلاف الحـــــقوق تــضيّع
آخــى النــبي بـيثرب مــا بـيننا بــقرابــة الإســلام وهـي المـجمع
حـتّى مـحمّد وهـو وتـر فـي العـلىٰ بــعلي فــي قــربىٰ الأُخـوّة يشـفع
فدعوا الخلاف وضـمّدوا بـيد الإخـا كســـــراً يـــضمّ لفــتحة تــتوسّع
ومــتى تـخاط مـن النسيج مـلاءة ألف يشـــــقّ بــــها وفــرد يــرقع

(انظر ترجمته في : إتمام الأعلام : ٢٦٩، مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٥٣٤، معجم الشعراء للجبوري ٣ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٣٧٢ ـ ٣٧٤).

عبد الناصر أبو البصل

الشيخ الدكتور عبد الناصر أبو البصل : رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن ، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .

يقول : « نحن أن نتحدّث عن فكرة الوحدة بين أبناء الأُمّة ، ونحن لا نقصد أن تكون الأُمّة الإسلامية في دولة واحدة ، وأعتقد أنّه ليس شرطاً ، بل أعتقد [أنّه] يجب أن تتعاون المجتمعات الإسلامية وأبناء الأُمّة الإسلامية على أن يكونوا صفّاً واحداً ، ويتعاونوا في المجالات الاقتصادية والعلمية والمادّية ومجالات كيان الأُمّة الإسلامية والمحافظة على ثوابتها ، سواء أكان في العقيدة أو التشريع أو ما إلى ذلك ، والمحافظة على عرض الأُمّة الإسلامية في مواجهة الأعداء . نريد فكرة الوحدة للمحافظة على الأُمّة تجاه العدوان الخارجي .

هناك بعض الإشكالات في إثارة الفتن بين أبناء الأُمّة ، وليس شرطاً أن تكون الفتن مذهبية ، بل هناك مناطق في العالم الإسلامي هم من أبناء مذهب واحد ومجتمع واحد وبلد

واحد يشتركون في كلّ شيء، ومع ذلك وجدت التقاتل والمعارك بينهم، فالمسألة ليست مسألة اختلاف المذاهب.. إذا ننظر إليها من هذا الجانب نجد أنّ المسألة هي أنّ الثقافة والفكر ضعفت في نفوس الأُمّة، فلذلك يستطيع أيّ شخص أو أيّة جهة التفريق بين أبناء الأُمّة. إذاً نحن بحاجة إلى ثقافة الوحدة وثقافة المسير المشترك والتكاتف على الخير والبرّ والتقوى.

هذه المسألة التي نشكو منها هي مستندة إلى أسباب تربوية إعلامية بالإضافة إلى وجود المؤامرات وما إلى ذلك. ولا نريد أن نعلّق على هذا ـ أي: الأعداء ـ بل الخطأ علينا في بلادنا وفي تربيتنا، وإنّنا أخطأنا في تضخيم الخلافات فيما بيننا، فحينما ترى تراجعاً في الوحدة إنّما مردّه إلى الثقافة والفكر قبل أن يكون مردّه إلى المذاهب أو التدخّل الخارجي وغيرها.

واجب العقلاء وأصحاب الفكر من أبناء الأُمّة أن يعيدوا بثّ ثقافة الوحدة الإسلامية، وأن يظهروا للعالم بأنّ هناك صوتاً وسطياً يدعو إلى الوحدة بين أبناء الأُمّة بغضّ النظر عن وتيّاراتهم. وهناك صوت يرفض التعصّب والإساءة للآخر داخل الصفّ الإسلامي، ويرفض التفرقة التي يتقاتل الناس عليها سواء في السنّة أو الشيعة أو داخل المذاهب نفسها.

أنا ـ كما قلت ـ أؤكّد على أنّ المسألة ليست مذهبية بالدرجة الأُولى، وإنّما تُستَغلّ المذهبية من أجل الخلافات.. العالم الإسلامي يعيش على مدار أربعة عشر قرناً، وكما قلنا في البداية: إنّ هناك مواطن توتّر في العالم الإسلامي.. هل الخلاف في أرض السودان أو أفغانستان بين السنّة والشيعة؟ ليس كذلك.. لا بدّ أن نحقن دماء أنفسنا، ولكن ببثّ الفكر الصحيح والثقافة الصحيحة، ثقافة الوحدة وثقافة حرمة الحياة الإنسانية بين أبناء الأُمّة.

من الذي ينكر أنّ هناك خلافات بين المذاهب؟ ما معنى المذاهب؟ المذاهب يعني: أنّ هناك أفكاراً وأُسّساً وآراء تختلف فيما بينها.. هذا موجود، لذلك واجب العلماء هو أن ينظروا إلى المواطن والأجزاء التي يدخل منها الأعداء ويستغلّونها للتفرقة».

عبد الهادي آوانج

عبد الهادي بن آوانج محمّد: رئيس الحزب الإسلامي في ماليزيا، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يقول في مقالةٍ له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية: «جعل الله سبحانه وتعالى الاختلاف من طبيعة هذه الحياة الدنيا وغريزتها، وجعله بين أهلها من البشر، والاختلاف سنّة ربّانية وباقية إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها... فالخلاف موجود ومقدّر، ولكنّه من حيث الشرع، منه ما يكون مقبولاً وما يكون مذموماً، ومنه ما يكون واجباً وما يكون محرّماً، وما تكون فيه حكمة بالغة في تنوّع النظريات والحلول في الأُمور الاجتهادية التي لا نصوص فيها، أو فيها نصوص عامّة يتنوّع تفسيرها، أو نصوص متعلّقة بأسباب خاصّة، فالعبرة بخصوص السبب.

والخلاف بين الإيمان والكفر، وبين الحقّ والباطل، وبين العدل والظلم، وهو على المبادئ المنصوصة، لا مساومة فيها، فيجب مواجهتها بالحكمة سواء أكانت بالنصيحة أم بالمجادلة بالتي هي أحسن أم الجهاد في الدفاع عن هذا الدين ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون. وأمّا الخلاف في الأُمور الفرعية والاجتهادية فأمر ضروري في الحياة على الآداب والأخلاق والسلوك التي تسقط العلاقة بين المجتمع الإنساني الذي يمرّ بتنوّع الطبائع والأوضاع والأزمان، ولا يجوز كذلك إذا كان منحرفاً عن الأخلاق التي تهدم الأُخوّة والمحبّة، وعن السلوك الذي يعطّل الترابط بين الأُمّة الواحدة.

فالإسلام يهدي إلى سواء السبيل، ليقوم الناس بالقسط، ويعيشون في الدنيا على الصراط المستقيم، ولكن الطبيعة البشرية المكلّفة جعلت الصراع بين الحقّ والباطل في المنصوصة القطعية التي لا يستطيع الناس مواجهة التحدّيات إلّا بالهداية من عند الله، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومنهم من اهتدى ومنهم من ضلّ عن سواء السبيل.

فهناك أُمور مسلّمة التي حدّدها الله للناس على ضرورة اختلاف عقولهم ومشاربهم

ومآربهم وضرورياتهم في مواجهة الحياة وأداء العبادة والخلافة في الأرض، وحدث الاختلاف بين المسلمين في أُمور لا تمسّ الأركان الإيمانية والإسلامية والأُمور المعلومة من الدين بالضرورة، واختلفوا إلى مذاهب في الاعتقاد والسياسة والفقه. فالاختلاف نوعان: اختلاف لم يفرّق الأُمّة، ولا ينبغي أن يفرّق، ولم يجعل بأسها بينها شديداً، فهناك اختلافات قد انحرفت عن الدين تارة، وتارة أُخرى لم تنحرف عن أركان الدين ولكنّها فرّقت الأُمّة وأذهبت ريحها ووحدتها.

فموضوعنا الاختلاف الطبيعي الإيجابي الذي يوفّر الحكمة البالغة؛ لتكون الأُمّة خير أُمّة أُخرجت للناس على اختلاف شعوبهم وألوانهم وأوطانهم وأزمانهم، وهي تحمل قيادة البشرية على تعاليم الرحمة للعالمين، وتطبيق العدالة الإلهية للدولة والعالم وعلى المستوى الأُسري والأُممي رغم التعدّد والتنوّع.

لقد كان الخلاف موجوداً في عصر الرسول ﷺ بين الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)، وبعد ذلك بين الأئمّة المتبوعين الكبار: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والثوري والأوزاعي وغيرهم بين أهل السنّة. ولم يحاول أحد منهم أن يحمل الآخرين على رأيه أو يتّهمهم في علمهم أو دينهم من أجل مخالفتهم، بل كان الخلاف موجوداً في عصر شيوخ الأئمّة وشيوخ شيوخهم من التابعين الكبار والصغار.

فالخلاف موجود في عهد النبوّة بين الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)؛ نظراً لاختلاف أفهامهم وتفسيرهم للنصوص والأوامر، فأقرّه ولم ينكره، كما في قضية صلاة العصر في بني قريظة، وهي مشهورة، والخلاف الذي ذهب إليه الرسول ﷺ لحسمه في بني عمرو بن عوف واشتغل في الإصلاح بينهم حتّى تأخّر عن الصلاة، والخلاف بين الصحابيّين في كيفية التيمم، وغيرها من القضايا. وهكذا ظلّت كثير من القضايا الشرعية والنازلة يقع فيها الاختلاف بين الجيل الأوّل، ثمّ يتّفقون عليها ويتسامحون بينهم، لا سيّما القضايا الكبيرة والمصيرية، ولا يزال الخلاف قائماً في المسائل الفقهية والعلمية التي لم تكن فيها نصوص قاطعة في الشريعة. فالدعوة الإسلامية منتشرة عبر القارّات، والفتوحات

الإسلامية متقدّمة في مشارق الأرض ومغاربها.

فقد أراد الله أن تكون في هذا الدين أحكاماً منصوصة ومسكوت عنها، وأن تكون في المنصوص عليه: المحكمات والمتشابهات، والقطعيات والظنّيات، والصريح والمؤوّل؛ لتعمل العقول في الاجتهاد والاستنباط فيما يقبل الاجتهاد.

ولو شاء الله لأنزل كتابه كلّه نصوصاً محكمة قطعية الدلالة، لا تختلف فيها الأفهام، ولا تتعدّد التفسيرات، ولا تكثر فيها الاجتهادات، ولكنّه لم يفعل ذلك؛ لتتّفق طبيعة الدين مع طبيعة اللغة وطبيعة الناس وضروريات الزمن وطبيعة الرسالة المحمّدية إلى كافّة الناس في كلّ مكان وزمان في المدر والوبر وما بلغ الليل والنهار.

فالاختلاف في الرأي والفهم بآدابهما غير التفرّق الذي يفرّق الأُمّة الواحدة، فالأوّل محمود ومأجور: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»، والثاني مذموم: «فتفرّقت أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّهم في النار، إلّا واحدة».

والاختلاف المحمود يسمّيه العلماء «اختلاف تنوّع» مع الاجتهاد في البحوث بالعلوم الشرعية بإخلاص الإيمان والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله للعبادة وإقامة الدين وسياسة الدنيا به.

وفي الكتاب والسنّة نصوص قطعية الدلالة التي لا خلاف فيها بين العلماء، وهناك نصوص عامّة ظنّية الدلالة لاختلاف المعاني وتغيّر الأسباب بخصوصها وعمومها، وما هو مسكوت عنه أكثر منها. وهذه ما حدث فيها الاختلاف بين العلماء، ولا تفرّقهم ولا تشتّت الأُمّة بسببها، بل رحمة وحكمة لحلول المشاكل وبناء الحضارة العادلة الوسطية.

والخلاف العلمي يكون على نهج الأُمور الاجتهادية بآداب الاختلاف بشروط:

١ ـ أن يكون صادراً من العلماء المخلصين الذين تكلّموا أو كتبوا بصلاحية العلوم الشرعية المعتبرة. والجهلاء لا يحقّ لهم الكلام في الأُمور الدينية، وكذلك علماء السلاطين الذين يتكلّمون على حسب المصالح الرسمية فحسب.

٢ ـ أن لا يكون مخالفاً للإجماع القطعي الصحيح، كإيجاب الفرائض الكبيرة وتحريم

الفواحش المعلومة.

٣ ـ أن لا يكون صادراً عن أصل غير معتبر بالإجماع الذي مضى عليه سلف الأُمّة وأئمّتها المعتبرة، أو بالدليل القاطع على عدم اعتباره، كأقوال نفاة القياس والسياسة الشرعية.

٤ ـ أن لا يكون مخالفاً لأدلّة ثابتة، كالنصوص الثابتة ذات الدلالة القطعية الواضحة في قطعيتها، كموالاة الكفّار ضدّ المسلمين.

وفي الخلاف أُمور يجب مراعاتها بين العلماء والمفكّرين وقادة الأُمّة:

١ ـ التعاون على البرّ والتقوى والتنسيق بينهم، فإنّ الميادين مكشوفة وقضايا الأُمّة معقّدة، فالأولى تعزيز روابط التعاون والأُخوّة والتنسيق في الإصلاح وحلّ القضايا التي تحيط بالأُمّة من الداخل والخارج.

٢ ـ العناية والتركيز على الجوانب المتّفق عليها والمصالح المشتركة، والمراعاة والتسامح في جوانب الاختلاف.

٣ ـ التفريق بين الثوابت والمتغيّرات في الأُمور الاجتهادية من الدين والرجوع إلى أولياء الأُمور من العلماء والقادة.

٤ ـ الاهتمام بالأزمات والمحن التي تعانيها الأُمّة، فإنّنا اليوم نعيش في أزمة ومحنة لا يعلمها إلّا الله، ونحتاج إلى وحدة الصفّ والتقارب فيما بيننا، واجتناب عوامل الفرقة والانشقاق بين الأشخاص والجماعات والشعوب المسلمة.

ولقد ظهر بين الأُمّة العلماء ورثة الأنبياء الذين يأمرون الناس بالقسط ويقومون على الحقّ ولا يخافون في الله لومة لائم، وتركوا علوماً شرعية في الصدور والسطور، وورثنا كتبهم ومؤلّفاتهم، أُولئك الذين يعملون بعلمهم وجاهدوا في سبيل الله، وأُولئك هم الصادقون.

ولدينا كتب تراثية متوفّرة وبحوث علمية متدفّقة على جميع المذاهب المعتبرة بين أهل السنّة والشيعة والإباضية، وأبواب الاجتهاد مفتوحة لأهلها لحلّ المشاكل العصرية

التي فشلت فيها الحلول المستوردة التي جنت على أُمّتنا، ووسائل العلاقات متيسّرة بيننا، فاستفيدوا منها للّقاء والحوار بالأُخوّة الإيمانية والمحبّة المخلصة».

عبد الهادي الفضلي

عبد الهادي محسن الفضلي البصري الأحسائي: عالم شيعي معروف، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٣٥٢هـ في السعودية، وهاجر إلى النجف الأشرف، ودرس في كلّية الفقه بالنجف، ثمّ تخرّج منها، ومارس التدريس فيها فترة من الزمن.

وكان ممّن يتابع الدروس الحوزوية على الفقيه السيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي فقهاً وأُصولاً، وقد قام بإلقاء المحاضرات ومتابعة النشاط الثقافي في مختلف المناطق العراقية.

من بعد ذلك انتقل إلى القاهرة، ونال درجة الدكتوراه، وعاد إلى بلاده، وعيّن في جامعة عبد العزيز أُستاذاً لمادّة اللغة العربية، كما تولّى رئاسة قسم اللغة العربية بكلّية الآداب.

يقول عنه السيّد محمّد الغروي: «له أُسلوب سهل وميسّر ورائع في الكتابة وعرض الأفكار العلمية والدينية، ولا يزال شخصية علمية مباركة لدى كافّة المستويات الثقافية والاجتماعية في العربية السعودية والخليج والعراق وإيران، ويتمتّع بالاحترام والتقدير عند الجميع، وهو ممّن يقلّ نظيره في عالمنا الإسلامي هذا اليوم».

من مؤلّفاته: الإسلام مبدأ، أُسلوب الدعوة الإسلامية، الأمثال في نهج البلاغة، التربية الدينية، دراسات في أُصول فقه الإمامية، مبادئ أُصول الفقه، ثورة الإمام الحسين عليه‌السلام، حضارتنا في ميدان الصراع، خلاصة المنطق، دليل النجف، الدين في اللغة والقرآن، علم البلاغة العربية.. نشأته وتطوّره، في انتظار الإمام، مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية، المبدأ الأوّل في الفكر اليوناني قبل سقراط، مشكلة الفقر، من البعثة إلى الدولة، مختصر النحو، مختصر الصرف، دراسات في الإعراب، تلخيص البلاغة، دراسات في الفعل، في علم العروض، نقد واقتراح.

هذا، وقد كتب عنه الأُستاذ حسين منصور الشيخ كتاباً بعنوان «الشيخ عبد الهادي

الفضلي ودوره الإصلاحي»، وقام مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في بيروت بنشره في طبعته الأُولى عام ٢٠٠٨م، ويقع في ٣٤٠ صفحة.

ولا يخفى أنّ أبرز ما يميّز الشيخ الفضلي هو أنّ أكثر كتاباته يمكن تصنيفها ضمن دائرة الكتاب التعليمي، ممّا يسمح بالقول: إنّ الفضلي في كتبه قد تحوّل إلى جامعة علمية متخصّصة في العلوم الإسلامية تجمع بين أَصالة الفكرة وحداثة المنهج ووضوح الأُسلوب.

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٣٤ ـ ٥٣٥، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٢٩٩ ـ ٣٠٠، فقهاء ومناهج: ٢٢١ ـ ٢٤٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣١٦).

عبد الواحد اللاهوري

عبد الواحد اللاهوري: داعية إسلامي من باكستان.

برز في الأدب الإنجليزي، وتولّى إدارة بعض المدارس الإنجليزية الكبيرة في بلاده، وعمل على نشر الدعوة الإسلامية.

توفّي في لاهور سنة ١٩٨٦م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٧١).

عبد الودود شلبي

عبد الودود شلبي: الأمين العامّ السابق للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر، وداعية تقريب.

ولد بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٢٥م في قرية ميت عفيف مركز الباجور بمحافظة المنوفية، وحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة في كتّاب القرية، والتحق بالتعليم الابتدائي بها. التحق بالأزهر الشريف سنة ١٩٤١م حتّى نال الشهادة العالمية من كلّية أُصول الدين عام ١٩٥٢م، وحصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر، ثمّ حصل على درجة الدكتوراة من كلّية الدراسات الشرقية بجامعة بنجاب بباكستان عام ١٩٧٦م، وقام بتوثيقها من جامعة كامبريدج بلندن في نفس العام، وكانت حول موضوع الأُصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته.

بدأ حياته سكرتيراً للشيخ محمود شلتوت، ثمّ عمل بمكتب الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، ثمّ أميناً عامّاً مساعداً لمجمع البحوث الإسلامية، ثمّ أميناً عامّاً للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر.

عمل محاضراً في العديد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية، مثل باكستان وقطر والإمارات والكويت وماليزيا وأندونيسيا وبريطانيا وأُستراليا؛ لكونه من العلماء الأزهريّين القلائل الذين يجيدون اللغة الإنجليزية بجانب اللغة العربية، ثمّ عمل مديراً للمركز الإسلامي بمدينة سيدني بأُستراليا بين عامي ١٩٧٨م ـ ١٩٨٠م.

في عهد الدكتور عبد الحليم محمود رأس تحرير مجلّة «الأزهر» خلفاً للشيخ عبد الرحيم فودة، وفي عام ١٩٨٢م اختير أميناً لمؤتمر العيد الألفي بالأزهر الشريف، وفي عام ١٩٨٥م اختير أميناً لمؤتمر السيرة والسنّة الذي نظّمه الأزهر.

عمل مستشاراً للاتّحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وأُحيل إلى التقاعد من العمل بالأزهر عام ١٩٩٠م، وتفرّغ بعدها للكتابة.

قام الرئيس محمّد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بتكريمه ومنحه وسام الامتياز من الدرجة الأُولى عام ١٩٩١م، وقامت مشيخة الطريقة العزمية بتكريمه أيضاً سنة ١٩٩٥م.

من مؤلّفاته: في محكمة التاريخ، أبو جهل يظهر في بلاد الغرب، الوحدة الإسلامية في ضوء الخطبة الشامية، عرب ومسلمون للبيع، كيف أرى الله، القرآن يتحدّى، الإسلام والغرب، الدين الإسلامي وأركانه، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، قضايا إسلامية معاصرة.. هل انتشر الإسلام بالسيف، الإسلام وخرافة السيف، حقائق ووثائق: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، الزحف إلى مكّة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، رسالة إلى البابا، المحاولة الفاشلة لتنصير طالب الأزهر، الأزهر.. الحاضر الغائب، من شيخ أزهري لشيخ أزهري: الأزهر إلى أين، كلّنا إخوة شيعة وسنّة، حتّى لا نخدع، الأُصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته

(رسالة الدكتوراه)، الإسلام دين الحياة (باللغة الإنجليزية: Islam Religion)، جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام، ما لا يعرفه المسلمون عن المسلمين في العالم، بنديكت السادس عشر البابا الذي لا يعرف شيئاً، رسالة إلى البابا والفاتيكان، السفور والحجاب، حول العالم الإسلامي في ثلاثين عاماً، التزوير المقدّس، لماذا يخافون الإسلام، أفيقوا قبل أن تدفعوا الجزية، صوت الإسلام يرتفع من موسكو، خطاب مفتوح إلى الرئيس الأمريكي، الحوار بين الأديان: أسراره وخفاياه، إجابات حاسمة إلى الأُخت الفرنسية المسلمة، حوار مع طالبات جامعة سان دي فتسن.

توفّي يوم ٢١ / ٥ / ٢٠٠٨م، ودفن بمسقط رأسه بقرية ميت عفيف مركز الباجور بمحافظة المنوفية.

يعدّ الدكتور شلبي من رجال التقريب البارزين في أرض الكنانة، وقد أتحف المكتبة الإسلامية بكتابين مهمّين في هذا الشأن، هما: «الوحدة الإسلامية في ضوء الخطبة الشامية»، و«كلّنا إخوة شيعة وسنّة».

يقول في مقطع من كتابه الثاني المزبور: «لنختلف، ولكن في دائرة الإسلام التي تتّسع للاختلاف والاجتهاد لمصلحة الأُمّة، أمّا أن يتحوّل هذا الخلاف إلى حرب، وأن نتحوّل إلى قبائل يحارب بعضها البعض، فذلك ليس من الدين، كما أنّه يفتح الباب واسعاً أمام المتآمرين وأعداء المسلمين.

إنّنا نقبل الخلاف الفكري مادام في دائرة معقولة، ونرحّب بالخلاف المذهبي؛ لأنّه وليد آراء اجتهادية مرجعها الكتاب والسنّة، أو ما أعطاه الكتاب أو السنّة قوّة الحجّية. نرحّب بما عند الشيعة وأهل السنّة؛ لأنّهما يؤمنان بما يجب على المسلم أن يؤمن به، وإن اختلفا في مسائل فقهية، وتميَّزَا في مسألة الولاية والخلافة.

نحن نرحّب بهذه الخلافات كلّها، نعتزّ كمسلمين بالكثير منها؛ لأنّها إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على الحرّية الفكرية، ولأنّها ـ إن أُحسن النظر إليها ـ تسعد الأُمّة، وتكفل رقيها، وتبقى على سلامتها.

إنّ هذه الخلافات في جوهرها تُنْبِئُ عن معنى الوفاق، فهي ترتبط بأصل واحد، هو الكتاب والسنّة.

وليس معنى هذا أنّ في الكتاب خلافاً، فالمسلمون بحمد الله متّفقون في كتابهم، مجمعون على ما بين الدفتين، وهذا فخر ليس فوقه فخر، تنفرد به هذه الأُمّة دون غيرها من سائر الشعوب.

وكذلك ليس معناه أنّ في السنّة خلافاً، بمعنى أنّ البعض يقبل ما صدر عن الرسول ﷺ والبعض لا يقبله، مَعاذ الله، فالمسلمون يتّفقون في وجوب الأخذ بسُنّة رسول الله ﷺ، لكنّهم قد يختلفون في الفهم أو التفسير، أو في أنّ هذا صدر عن الرسول الأعظم أو لم يصدر، أمّا من لا يأخذ بما أمر به الرسول فليس بمسلم. فالآراء الاجتهادية إذن يجمعها الكتاب والسنّة، وليس بعد هذا من وفاق.

على أنّ الاجتهاد نفسه مقيّد بشروط، منها: أنه لا يقوم إلّا على الكتاب والسنّة والأُصول المستوحاة منهما أو من أحدهما، وأنّه لا يُباح إلّا لمن استوفى شروط العدالة، وأنّه لا يكون إلّا فيما يجوز الاجتهاد فيه، فإذا حاولنا أن نحمّله وزر بعض الأخطاء التاريخية أخطأنا فهم معناه، وإذا أجزناه في غير محلّه جانبنا الصواب، فحيث يكون ظالم ومظلوم مثلاً لا يجوز أن يبرّر الظلم بإعطائه اسم الاجتهاد، وإلّا كان للظالم أجر على ظلمه، كما للمجتهد أجر على اجتهاده، وفي هذا مغالطة وانحراف.

وليس يجوز الجدال في قيمة الاجتهاد مهما يكن من تعدّد الآراء بين المجتهدين، فهذا ممّا يشرّف التشريع الإسلامي ويجعله صالحاً لعلاج ما يجدّ وما يحدث في كلّ زمان ومكان.

أمّا كيف تنشأ الخلافات بين مذهب ومذهب، سنّي وسنّي، أو سنّي وشيعي، فإنّ ذلك يرجع تارة إلى تفسير آية أو فهم معنى منها، أو فهم رواية على معنى يفهم الغير منها سواه، أو أنّ هناك ما يثبت صدوره عن الرسول الكريم عند فريق ولم يثبت عند فريق آخر، ولا يختلف الجميع على أنّ ما جاء به الكتاب وما جاء به النبي فَاصِلٌ لا رادّ له.

أمّا الخلاف الذي لا نرحّب به ولا نقبله، بل نرفضه ونقاومه، فهو الخلاف الذي تُمليه الكراهية والبغضاء، وتُغَذِّيه الشُبَه والأوهام، ويُوجِد البلبلة في صفوف الأُمّة، ويؤدّي إلى تفريق كلمة المسلمين.

ذلك خلاف لا يتّفق والخُلُق الإسلامي، ولا يستند إلى المعارف الإسلامية، حمل لواءه مؤلّفون كتبوا قبل التثبّت تارة، وبداعي الغرض والهوى تارات، فَسَوَّدُوا صحيفة الشيعة في نظر أهل السنّة، وسوّدوا صحيفة أهل السنّة في نظر المتشيّعين، بعضهم خلط بين أهل السنّة والنواصب، وأكثرهم خلطوا بين الشيعة والغُلاة وبينها وبين الفرق البائدة، وألصقوا بها آراء لا تمتُّ إليها بصلة، بل الشيعة منها براء.

وكم من كُتب وُضعت لتأجيج الخصومة بين طوائف المسلمين، وكم من أقلام أَسَفَّت في التجريح خدمة لحكام طُغاة أقاموا عروشهم على أساس الخصومة بين المسلمين، وكان لهذه التآليف أسوأ الأثر في تصدّع وحدة الأُمّة، فقد غرست البغضاء في القلوب، والظِنّة في العقول، وأبعدت طائفة كبيرة عن إخوانهم في الدين.

إنّ الظنون والخرافات تجتاح الجماهير من أهل السنّة والشيعة، والتخلّف البعيد يقعد بهم جميعاً عن حقّ الله حقّ الحياة.. والدنيا تنطلق بسرعة، وتصعد في سلّم الارتقاء المادّي المحض، وتنظر شزراً إلى الأجناس المختلفة وكأنّها خَلْقٌ آخر. وليس إلّا الإسلام علاجاً لهذا الشرود.. لكن أيّ إسلام؟ الإسلام الذي تآخى فيه العارفون، وأشرب روحه أتباع عقلاء مساميح.

إنّ الجهل والفراغ يهزّان أُصول الاعتقاد، وتنشأ في ظلمها أجيال تافهة عابثة. فهل ندع الحريق يجتاح بيضتنا، وننشغل عنه بالتلاوم والتكاذب؟!

إنّ الأمر أجلّ ممّا يتوهّم قصار النظر، ورأيي أنّ الطريق لا تزال محفوفة بالمخاطر، ومملوءة بالمطبّات والحفر.. ولكنّنا عرفناها، وبدأ المسير، ومن سار على الدرب وصل».

كما يقول في كتابه سالف الذكر وفي موضع آخر منه: «إنّ العالم الإسلامي يتعرّض لمجابهة خطيرة، كما يقول «صمويل هتنجون» في كتابه «صراع الحضارات».

في العام الماضي سافرت إلى «أذربيجان» لحضور مؤتمر إسلامي في عاصمتها «باكو»، وفي طريق العودة إلى القاهرة قضيتُ ليلتين في فندق «هوليداي إن» في مدينة «إستانبول».

لقد التقيت مصادفة في هذا الفندق بأخ بلجيكي مسلم، لقد أخبرني هذا الأخ عن قريب له يعمل في مقرّ منظّمة حلف شمال الأطلسي (NATO) بمدينة «بروكسل»، وقد سمع الأخ البلجيكي المسلم من قريبه الذي يعمل في مقرّ منظّمة هذا الحلف هذه القصّة المثيرة للألم والتعجّب:

ففي إحدى الحانات (BAR) الواقعة في شارع «روزفلت» بمدينة «بروكسل» جلس هذا القريب مع عضو بارز في منظّمة هذا الحلف يحتسيان الخمر، وكانت شبكة الأخبار العالمية (C.N.N) تبثّ مصادفة برنامجاً عن العالم الإسلامي.. وفجأة ـ وبعد أن لعبت الخمر برأس هذا العضو البارز ـ قال هذا العضو ـ وهو يهذي من شدّة الخمر ـ: إنّ العالم الإسلامي يجب أن يذهب كما ذهب الاتّحاد السوفيتي، وقد وضع الحلف خطّة متكاملة لتنفيذ هذا الهدف!

ثمّ قال: وهناك اتّفاق بين أُوربّا والولايات المتّحدة والفاتيكان على تفاصيل هذه الخطّة!

وقد بدأ تنفيذها بإثارة الحرب بين العراق وإيران من جهة، ثمّ بين العراق والكويت من جهة أُخرى!

إنّنا ـ يقول هذا المسؤول ـ نحن الذين وضعنا «سيناريو» هاتين الحربين! وكان الهدف ـ كمرحلة أُولى ـ تدمير القوّتين العسكريتين لكلّ من إيران والعراق لمصلحة إسرائيل من ناحية، ولإيقاع الخلاف بين العرب والعرب من ناحية، وبين العرب وإيران من ناحية أُخرى!

والسودان.. إنّنا لا نهتمّ بمشكلة الأقلّيات إلّا حين يكون ذلك لصالحنا! والذي يحدث في السودان خُطِّطَ له منذ أيّام الملكة فكتوريا! فالسودان بحدوده الواسعة وإمكانياته

الهائلة مصدر خطر وقلاقل.. فالمسلمون مثلاً يشكّلون أغلبية في معظم أقطار شمال وغرب وشرق ووسط أفريقيا.. حتّى في أثيوبيا يمثّل المسلمون الغالبية العظمى.. ويمكن في حال استقرار السودان أن تلتحم هذه الأغلبيات في وحدة إسلامية تهدّد بل تدمّر جميع مصالحنا!

يقال مثل ذلك عن نيجيريا.. لقد اضطرّت نيجيريا تحت ضغوط عملائنا إلى تجميد عضويتها في منظّمة المؤتمر الإسلامي! إنّ نيجيريا معرّضة للتقسيم فعلاً.. وما حدث في «بيافرا» بقيادة «أوجوكي» يمكن أن يتكرّر حدوثه لو أحسسنا بأيّ تحرّك إسلامي أُصولي في نيجيريا!

كما أنّ هناك «بؤراً» مرشّحة لإثارة أسباب التوتّر والانقسامات في الشرق الأقصى، يأتي في مقدّمتها كلّ من باكستان، وأفغانستان، وماليزيا، وجمهوريات آسيا الوسطى التي أصبحت تشكّل خطراً على روسيا!

والسؤال هو: إذا كانت أبعاد هذه المؤامرة معروفة، فلماذا لا يقف المسلمون صفّاً واحداً لإجهاض هذه المؤامرة؟!

بل لماذا يقف البعض منّا موقف العداء والكراهية لإخوةٍ له في الإيمان والمصير والعقيدة؟!

أليس مثيراً للدهشة أن يتحاور المسلمون مع طوب الأرض وخشاشه، ولا يتحاورون مع أنفسهم؟!

أليس غريباً أن نتبارى في الدعوة إلى رحابة الصدر وسعته عندما نتحدّث إلى الآخرين، في حين تضيق صدورنا وتُصَمُّ آذاننا إذا جاءت سيرة الحديث مع بعضنا البعض؟!

أليس محيّراً ذلك السباق في ترتيب الندوات واللقاءات في مختلف شؤون الماضي والحاضر والمستقبل الذي لا يمرّ ـ ولو مصادفة ـ بطريق التقريب بين مذاهب المسلمين وفرقهم؟!

أليس مريباً ومثيراً للشكّ أن تلتقي مختلف الفصائل من أعدائنا وأصدقائنا في تجمّعات يتزايد عددها وتتنوّع مجالاتها يوماً بعد يوم، في حين تُزرع الألغام، وتُوضع الحواجز والأسلاك الشائكة، وتُحفر الخنادق، وتنصب المتاريس، فيما بين مختلف فصائل المسلمين ؟!

أليس محزناً أن يبحث الجميع عن نقاط للالتقاء يبنون فوقها وينسجون حولها الكثير من طموحات الانطلاق نحو المستقبل، في حين لا تثار بيننا سوى خلافات القرون التي خلت ؟!

إنّ هذا الواقع المرّ كفيلٌ وحده بأن يدمي قلب أيّ مسلم يملك ذرّة من الغيرة على دينه، أو ذرّة من الصدق مع ضميره، فما بالكم بمن يجيء ليضيف إلى هذا كلّه مزيداً من المرَارَات، بل وليسدّد إلى الجسد الإسلامي الواهن مزيداً من الطعنات الموجعة والخبيثة ؟! الذي أعنيه تحديداً هو تلك المحاولات التي تجري للوقيعة وإشعال نار الفتنة بين السنّة والشيعة.

وهي ليست مصادفة أن يستثمر مناخ المدّ الإسلامي الراهن، وأن تُستغلّ الحرب بين العراق وإيران، التي لم يَقُلْ أحد: إنّها حرب بين السنّة والشيعة، وأن تتّصل حلقات الفتنة في العالم العربي بعد الذي قادت إليه الحرب الطائفية في لبنان.

ليست مصادفة أن ينشط رسل البغضاء والوقيعة في هذه المرحلة لتتّسع رقعة الحريق، وليمتدّ لهيبه إلى مختلف أرجاء وطننا الكبير، ناثراً الشرار والدمار، وآتياً على الأخضر واليابس.

ليست مصادفة أن تلقى هذه السموم في وقت تتأهّب فيه القوى الكبرى لكي تحكم بسط سلطانها العسكري على العالم العربي، وتتربّع فيه إسرائيل على عرش القوّة والبطش في المنطقة، وتقمع فيه الإرادة العربية بالسيف من ناحية، وبالقنابل العنقودية والانشطارية من ناحية ثانية، وتخضع الخارطة العربية كلّها لمعادلات ومخطّطات جديدة تتغيّر في ظلّها الجغرافيا جنباً إلى جنب مع التاريخ.

في هذا السياق تكون الفتنة بين السنّة والشيعة مطلباً [لأعداء الإسلام]، وحلقة جديدة في المسلسل الجهنمي الذي نحن أبطاله وضحاياه!».

عبد الوهاب حمّودة

الدكتور عبد الوهاب حمّودة: أُستاذ مصري مرموق، وداعية تقريب.

وهو أُستاذ الأدب الحديث بكلّية الآداب بجامعة فؤاد الأوّل سابقاً.. كان يكتب مقالاته في مجلّة «لواء الإسلام» ومجلّة «رسالة الإسلام» القاهريتين وغيرهما من المجلّات الإسلامية.

من كتبه: القرآن وعلم النفس، القراءات واللهجات.

ومن كلماته في مجلّة «رسالة الإسلام»: «قلّ أن تجد مصلحاً أو مرشداً أو تصادف مجاهداً في ميدان الفكر الحرّ والدعوة الصالحة، إلّا لقيته قد ذاق من الاضطهاد ألواناً، وأصاب من العنت والشقاء ضروباً، من تهكّم واستهزاء إلى سخرية وإيذاء، ومن مطاردة وتشتيت إلى مقاومة وتشريد، لا فرق في ذلك بين الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) والدعاة الهادين (رضي الله عنهم)... وليست هذه السنّة ـ سنّة الاضطهاد والإيذاء ـ وقفاً على رسل الله وأنبيائه، بل هي مطّردة في جميع المجاهدين لإصلاح الإنسانية، والذين يحاربون المفسدين للنظم الصحيحة الاجتماعية، ويكافحون شرور الطغيان، ويعملون على هدم صروح البغي والعدوان في أيّ عصر كانوا إلى أيّة أُمّة انتسبوا».

من كلماته أيضاً: «إنّ الباحث ليتملّكه الدهش حين يرى لأدب آل البيت جميعاً سمات خاصّة وخصائص متميّزة، لا فرق في ذلك بين رجالهم ونسائهم وخطبائهم وشعرائهم... فمن سمات أدب آل البيت: صدق العاطفة، وجزالة الأُسلوب، وسمو المقصد، وحرارة العبارة، وقوّة الإيمان، ورسوخ العقيدة، وتوقّد الوجدان... إنّ الاضطهاد العنيف لم يترك في أدب آل البيت أنيناً وشكوى ولا بكاءً ولا عويلاً، وإنّما ترك قوّة صامدة، وتحقيراً لأمر الدنيا، وإعظاماً للجهاد، وإكباراً للتضحية. ولم يكن لآل البيت أُسلوب قوي فحسب، بل كانت معانيهم أيضاً قوية، فقد اصطبغت هذه المعاني بالمثل الأعلى للإيمان والعقيدة، فاكتسبت رونقاً وجلالاً وعظمةً وجمالاً. ولا غرو، فقد قدّموا في سبيل هذه

العقيدة أغلى ما يمكن أن يقدّمه إنسان قرباناً لعقيدة ، وهي أنفسهم الزكية وأرواحهم الطاهرة ».

(انظر ترجمته في : مجلّة « رسالة الإسلام » /العدد : ٤/الصفحة : ٣٢و٣٥، مجلّة « تراثنا » /العدد : ٣٤ /الصفحة : ١٠٧، كشّاف مجلّة « رسالة الإسلام » : ١١٥).

عبد الوهاب خلّاف

عبد الوهاب عبدالواحد خلّاف : فقيه مصري معروف ، وأحد المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة .

ولد بكفر الزيّات من مدن الغربية بمصر سنة ١٨٨٨ م، والتحق بالأزهر ، ولبث فيه خمس سنوات ، وتتلمذ خلالها على : عبد الهادي مخلوف ، وعبد الله دراز ، وصالح النواوي ، وعبد الرحمان السويسي .. ولازم محاضرات الشيخ محمّد عبده في التفسير ، وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة سنة ١٩١٢ م ، وقيل : بل سنة ١٩١٥ م ، وكان أخطب الطلّاب فيها ، ودرس هناك على يد : محمّد الخضري ، وحسن منصور ، وحسين والي ، وأحمد نصر ، وغيرهم .. ودرّس فيها سنة ١٩١٥ م ، ثمّ انتقل إلى سلك القضاء .

وفي سنة ١٩٣٤ م عُيّن مساعد أُستاذ للشريعة الإسلامية في كلّية الحقوق بجامعة القاهرة ، ثمّ أُستاذاً فيها إلى سنة ١٩٤٨ م ، وأصبح مفتّشاً في المحاكم الشرعية ، وأحد الأعضاء في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦ م ، وقد عمل في إدارة المساجد بوزارة الأوقاف مديراً لها سنة ١٩٢٤ م حتّى سنة ١٩٣١ م .

تعاون هو وأُستاذه الشيخ أحمد إبراهيم في إدخال تعديلات جوهرية تقدّمية في تدريس مادّة الشريعة الإسلامية .

وقد حرصت الدولة والجهات الجامعية والعلمية على الإفادة من كفايته وخبرته ، فظلّ يشغل منصب الأُستاذ الأوّل للشريعة الإسلامية ، حتّى أُحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٨م ، وبعد إحالته إلى المعاش إلى سنة ١٩٥٦ م لمّا أقعده المرض ، ولم يستطع مواصلة رسالته في إلقاء المحاضرات في كلّية الحقوق .

انتخب عضواً في المجمع اللغوي وأشرف على وضع معجم القرآن، سافر إلى الأقطار العربية الشقيقة للاطّلاع على بعض المخطوطات النادرة. فكان سفيراً ناجحاً لمصر في كلّ مكان، وأسهم في سبيل إكمال الثروة الفقهية في الشريعة الإسلامية، فألّف في الفقه وأُصوله وأحكام المواريث، فضلاً على كتبه الكثيرة للأحوال الشخصية للتدريس في كلّية الحقوق «مصادر التشريع الإسلامي». أمّا ما أسهم به في تفسير القرآن ففي كتابه «نور من القرآن الكريم»، و«نور على نور». هذا عدا مشاركته المثمرة في نشر الوعي الفقهي الإسلامي بالكتابة في مجلّات «القضاء الشرعي»، و «الأحكام»، ومجلّات «لواء الإسلام»، و«الرسالة»، و«الثقافة»، و«الاقتصاد»، و«القانون».

اختاره المسؤولون بالإذاعة لتقديم أحاديث دينية صباحاً ومساءً منذ سنة ١٩٤٦م حتّى سنة ١٩٥٦م، وظلّ يقدّم تلك الأحاديث الناجحة التي اتّسمت بطابعه الخطابي القادر الواعي، والتي لم يساوه فيها أحد ممّن عاصروه أو سبقوه.

تكوّنت باسمه أُسرة في كلّية الحقوق، وأطلق اسمه على أحد مدرّجات الكلّية، معهده التليد الذي أسهم فيه بنصيب ضخم إن ثقافة إسلامية أو تربية خلقية وجامعية، وكانت له مواقف في معهده الكبير يذكرها له تلاميذه العديدون الذين تخرّجوا على يديه.

وقد نشرت مجلّة «الإذاعة» كتيّباً ضخماً عن أحاديثه الدينية، اشتمل على نبذة عن حياته؛ تقديراً منها لما أسداه إليها وإلى المستمعين في مدى عشر سنوات في المجال الديني والتربوي والأخلاقي.

وصفه المستشار أنور حجازي بقوله: «كان أُستاذاً للإلقاء في عصره، ومثلاً طيّباً نادراً في أُستاذيته، نموذجياً في خلقه وفي كياسته وفي رعايته لأداء واجبه الذي اضطلع به حريصاً حصيفاً مثالياً».

توفّي في القاهرة سنة ١٩٥٦م.

من مصنّفاته: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، نور من القرآن الكريم، علم أُصول الفقه، السياسة الشرعية، نور على نور، تاريخ التشريع الإسلامي، الاجتهاد والتقليد،

الأحوال الشخصية، أحكام المواريث.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» في عددها الأوّل والثاني من السنة الأُولى (١٩٤٩م) مقالتين: «فريضة الحجّ»، و«كيف يساير الفقه الإسلامي تطوّر المسلمين؟»، وكان من دعاة الوحدة والتقريب.

(انظر ترجمته في: الفتح المبين ٣: ٢٠٦ ـ ٢٠٨، الأعلام للزركلي ٤: ١٨٤، معجم المفسّرين ١: ٣٣٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٢١٢ ـ ٢٢٤، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٠٢، عمالقة وروّاد: ٢٠٦ ـ ٢٠٨، نثر الجواهر والدرر ١: ٨٤٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٠٣ ـ ٤٠٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

عبد الوهاب عبد اللطيف

عبد الوهاب عبد اللطيف: عالم مصري مرموق، وداعية وحدة.

ولد في ديروط الشريف بصعيد مصر في ١٥ / ٨/ ١٩٠٦م، وتخرّج من الأزهر الشريف، وحاز على درجة الدكتوراه (العالمية) في الأزهر، وقام بالتدريس بكلّية الشريعة، وعيّن وكيلاً في كلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر.

أهمّ آثاره تحقيق: شرح الموطّأ للسيوطي برواية محمّد بن الحسن الشيباني، وتدريب الراوي للسيوطي، وسنن الترمذي (بالاشتراك)، وتقريب التهذيب، والصواعق المحرقة، وتفسير ابن كثير، وتنزيه الشريعة للكناني. وله كتاب اسمه «المبتكر الجامع لكتابي المختصر والمعتصر في علم رجال أهل الأثر»، وأيضاً «الكلمة في تواريخ العلماء والنقلة».

وهو من الأساتذة المرموقين، ومن ذوي الاختصاص في علم الرجال، ومن المعنيّين بشؤون الحديث.

توفّي بتاريخ ٢ / ٥/ ١٩٧٠م، ودفن في ديروط الشريف في وجه قبلي صعيد مصر.

قال حول كتاب «وسائل الشيعة» للحرّ العاملي: «اختلفت مصادر الفقه الإسلامي وأصبح للشيعة أُصول خاصّة من تفسير أئمّتهم لكتاب الله ومن السنّة المتّصلة برجالهم؛

لأنّهم الموثّقون وعلى أخبار أئمّتهم وتنزيلها منزلة الوحي لعصمتهم، وانقطعوا عن النظر في أخبار أهل السنّة وقواعد استنباطهم.. وفي فقه آل البيت ما يكفي للمستفيد حاجته من الأحكام وشمولها لكلّ شؤونه مع ورع وأدب منقول عن أئمّتهم الذين لم تظهر منهم عصبية ولا إسراف.

وتجدون لعلمائهم اليد والفكرة الصائبة في كثير من الأحكام التي تتحقّق بها مقاصد الشريعة وإن كانت لا تخضع كثيراً لقوانين الاستنباط عند أهل السنّة.

ومن مؤلّفاتهم التي تتجلّى فيها تلك الحقائق كتاب «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، فإنّه جامع لشتات المسائل من هذا الفنّ، ومؤلّفه الحرّ العاملي من جمع مع الفقاهة إجادة التأليف، وقد كمل الانتفاع به بانضمام مستدركه «مستدرك الوسائل» للميرزا حسين النوري، فإنّه أرجع أحكامه إلى الأُصول، وأفسح المنهاج به للمتعلّمين والعاملين.

ومع ذلك، فالخلاف في الفروع ليس بالشيء الكثير، فمن قرأ كتاب «الانتصار» للسيّد المرتضى علم أنّه ما اختلف فيه الشيعة وأهل السنّة من الأحكام قليل، واختلاف الرأي بين العلماء لا يصحّ أن يكون سبباً مانعاً من العلم بأسرار الاستنباط والوقوف على وجهات الأنظار في التخريج والاعتبار، وليس هو كذلك مانعاً من العلماء، ولا موسّعاً بهوّة الخلاف. فإنّ أهل السنّة فيهم المذاهب الفقهية المتعدّدة، ولكنّهم يستفيدون ملكة الفقه بالاطّلاع على الكتب التي تختصّ بعلم الخلاف والفقه المقارن.

وليس أضرّ على الدين من العصبية، ولا أشدّ فتكاً بالعقول والرجال من سوء الظنّ والأنانية. فالفقه الإسلامي لكلّ المكلّفين شريعة واحدة يتعبّد بها أهل الأمصار على اختلاف الأنظار، فيا حبّذا لو تبادل الشيعة وأهل السنّة ما عندهم من العلم حتّى إذا امتزج البحران ظهر منهما اللؤلؤ والمرجان.

نسأل الله أن يجمع الشتات، وأن يخلص لنا النيات، وأن يوحّد الكلمة ويجمع القلوب، إنّه على ما يشاء قدير».

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ٢: ١٨٣ ـ ١٨٤، الشيعة في مصر لصالح الورداني: ١٥٨، المتحوّلون ٥: ٢٥ ـ ٢٧).

عبد الوهاب عزام

عبد الوهاب بن محمّد بن حسن بن سالم عزّام: أديب مصري شهير، وشخصية هامّة من شخصيات التقريب.

ولد سنة ١٨٨٣ م في «الشوبك الغربي» من قرىٰ الجيزة، ودخل الأزهر، وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، ودرّس بها، واتّجه صوب الجامعة المصرية القديمة، فأحرز شهادتها في الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣ م، واختير مستشاراً للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن، فالتحق بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن، ونال منها درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية سنة ١٩٣٢ م، وعاد إلى القاهرة، فمنح شهادة الدكتوراه في الأدب من جامعتها، ودرّس الفارسية في كلّية الآداب بالجامعة المصرية، ثمّ أصبح عميداً لتلك الكلّية سنة ١٩٤٥ م، وعيّن سفيراً مفوّضاً لمصر في السعودية سنة ١٩٤٨ م، ونقل إلى الباكستان.

أنشأ جامعة الملك في الرياض بتكليف من الحكومة السعودية، وتوفّي سنة ١٩٥٩ م بالسكتة القلبية بمنزله بالرياض، فنقل جثمانه إلى القاهرة، ودفن في حلوان.

وهو من أعضاء المجامع العلمية في سوريا والعراق ومصر وإيران، وكان يحسن الفرنسية والإنجليزية والفارسية والأُردية والتركية.

من كتبه: فصول من المثنوي، ذكرى أبي الطيّب بعد ألف عام، محمّد إقبال (سيرته وفلسفته وشعره)، التصوّف وفريد الدين العطّار، مجالس السلطان الغوري، الشوارد، رحلات، النفحات، المعتمد بن عبّاد.

ويمكن عدّ الدكتور عزّام من الشخصيات الهامّة في عالم التقريب، لا على مستوىٰ فقه المذاهب، بل على صعيد اللغة والأدب والفكر، وهذا صعيد هامّ للغاية لا يمكن تجاهله عند دعاة التقريب. لقد أدرك عزّام أنّ التقريب بين الشعوب الإسلامية وتيسير سبل التفاهم بينها هو أفضل سبيل لمكافحة التغريب في العالم الإسلامي؛ لأنّ هزيمة المسلمين أمام الحضارة الغربية لا يمكن التغلّب عليها وتجاوزها ما لم تتمّ العودة إلى الأصالة الحضارية القائمة على

الإسلام. ولذلك فقد كرّس جهوده لنشر اللغة الفارسية وآدابها في العالم العربي ولإقامة جسور تواصل مستمرّ بين الدول العربية وإيران.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ١٨٦، موسوعة المورد ١: ٢٣١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٣٨٩ ـ ٤١٢، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٠٢، نثر الجواهر والدرر ١: ٨٤٩ ـ ٨٥٠، موسوعة الأعلام ٣: ٩٦ ـ ٩٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

عبد الوهاب النجّار

عبد الوهاب أحمد النجّار: عالم، أديب، مؤرّخ، فقيه، مشارك في علوم الطبيعة والكيمياء واللغة وغيرها، وملمّ ببعض اللغات السامية.

ولد سنة ١٨٦٢م في قرية القرشية من قرى الغربية بمصر، وتعلّم بها، ثمّ في طنطا، وانتقل إلى القاهرة، فتخرّج بمدرسة دار العلوم سنة ١٣١٥هـ، وكذلك درس بمدرسة القضاء الشرعي، واشتغل بالمحاماة الشرعية، ثمّ عيّن مدرّساً للأدب والشريعة في كلّية الخرطوم، فأُستاذاً للأدب في مدرسة «البوليس» بالقاهرة، فأُستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة، فأُستاذاً للشريعة في دار العلوم، فناظراً لمدرسة عثمان ماهر باشا إلى آخر حياته.

اشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية، وفي مقدّمتها «جمعية الشبّان المسلمين»، وكان خطيباً حاضر البديهة.

وقد غضب عليه مرّة وزير المعارف، فنقله من مدرسة عابدين إلى مدرسة أسوان، وهو مدرّس حديث العهد بالوظيفة إثر اشتراكه في «جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية»، فاستقال من وظيفته، وسافر بعد فترة إلى السودان مدرّساً في كلّية غرودن، كما ندب في إحدى المرّات مدرّساً بكلّية أُصول الدين.

يقول عنه الأُستاذ أبو الوفا المراغي بنقل الدكتور محمّد عبد المنعم خفّاجي: «وهو في جميع هذه الوظائف كان الداعي إلى الدين بالبرهان الساطع والبيان الناصح، الواقف لأعدائه بالمرصاد، يردّ كيدهم ويبطل سعيهم. وقلّما وجد منبر من منابر الدعوة الإسلامية

إلّاكان الشيخ من أبطاله. وأبرز ما في تاريخ الشيخ اشتراكه في جمعية الشبّان المسلمين، ونهوضه بجزءٍ عظيم من عملها العلمي والإداري عضواً فوكيلاً، ثمّ سفره إلى الهند بعد بعثة أزهرية لدراسة أحوال المسلمين وغيرهم هناك وتمكين الروابط بين مسلمين الهند وطوائفهم».

توفّي بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٩٤١م في القاهرة، ودفن فيها.

من مؤلّفاته: زهرة التاريخ، تاريخ الإسلام، قصص الأنبياء، تاريخ الخلفاء الراشدين، الأيّام الحمراء (وهو مفصّل أخبار الثورة المصرية عام ١٩١٩م على طريقة يوميّات الجبرتي، نشره تباعاً في جريدة البلاغ)، مذكّرات عن الهند.

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٢: ٦١ ـ ٦٢، الأعلام للزركلي ٤: ١٨٢ ـ ١٨٣، معجم المؤلّفين ٦: ٢٢٠، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٣١٧ـ٣٣٨،نثر الجواهر والدرر ١: ٨٣٩).

عزّ الدين إبراهيم

عزّ الدين إبراهيم: مفكّر إسلامي، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في القاهرة عام ١٩٢٨م، وأتمّ تعليمه العامّ والجامعي حاصلاً على الليسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة، ودبلوم التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس، وأخيراً دكتوراه الفلسفة في الآداب من جامعة لندن سنة ١٩٦٣م، ومنحته بعد ذلك جامعة ماليزيا الدكتوراه الفخرية في الاقتصاد لإدارته عدداً من صناديق التضامن والعمل الخيري في البلاد الإسلامية، وكذلك جامعة ويلز في المملكة المتّحدة بمنحه دكتوراه فخرية في الآداب لدوره مع مؤسّسات التعليم العالي.

عمل في مجال التعليم والتربية والبحث العلمي بالإدارة والتدريس في مصر وليبيا وسوريا وقطر والمملكة العربية السعودية، وكان أُستاذاً للأدب العربي وطرق تدريس العربية في جامعة الرياض، ومديراً لجامعة الإمارات.

عمل في دولة الإمارات العربية المتّحدة وتمتّع بجنسيتها منذ سنة ١٩٦٨م بصفة مستشار ثقافي لمؤسّس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حيث كلّفه بمهام تربوية وثقافية متنوّعة من خلال التعاون مع وزارات التربية والتعليم والإعلام والثقافة والشؤون الإسلامية، وتولّى إدارة جامعة الإمارات لمدّة أربع سنوات.

من إنجازاته: اقتراح وتنفيذ المجمع الثقافي في «أبو ظبي»، والقيام ببرنامج ثقافي واسع باسم ديوان رئيس الدولة في مطلع السبعينات، والتعاون مع الحركة النسائية والاتّحاد النسائي وجمعياته في نشأتها، وتنفيذ مشروع مؤسّسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية والإنسانية، والإشراف على كراسي الدراسات الإسلامية التي أنشاها الشيخ زايد في عدد من البلاد الأوروبّية والآسيوية، وتنفيذ مشروع معلمة القواعد الفقهية بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي في جدّة، وتمثيل دولة الإمارات في عدد من المؤتمرات الإقليمية والعالمية ذات الصفة الثقافية ومؤتمرات الحوارات الحضارية والدينية.

له أكثر من ٢٣ كتاباً تعليمياً وأبحاث كثيرة تتّصف بالتنوّع، منها: رسائل النبي ﷺ إلى ملوك زمانه، ومسيرة الجامعات الإسلامية، والحوار الإسلامي ـ المسيحي، والسنوات المتأخّرة من العمر.. كما أصدر (بالمشاركة) ثلاثة كتب من الأحاديث النبوية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية، وكان على وشك إصدار مجلّد من مختارات القرآن الكريم المبوّبة حسب الموضوعات والمترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

والدكتور عزّ الدين إبراهيم عضو في المجالس العلمية لعدد من الجامعات العربية والأوروبية والآسيوية والافريقية، وهو مستشار للّجنة الاستشارية لجامعة ممباسا الإسلامية، وعضو المنظّمة الإسلامية للعلوم الطبّية بالكويت، وعضو اللجنة الاستشارية لمؤسّسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، ومستشار مركز إسهامات علماء المسلمين في الحضارة بدولة قطر، وعضو مجلس أُمناء كلّية الخليج الطبّية بعجمان، وعضو مجلس أخلاقيات الطبّ في مدينة الشيخ خليفة في «أبو ظبي».

وترجع مشاركته في المجالات الطبّية إلى اهتمامه الشخصي بهذه الموضوعات من

الناحية الدينية والأخلاقية والتراثية، وقد شارك بأوراق عمل بهذه المواصفات في اجتماعات وحلقات دراسية ومؤتمرات متخصّصة، منها على سبيل المثال: الإنجاب والإجهاض، زراعة الأعضاء، بيع الأعضاء، الاستنساخ، رؤية حضارية وإسلامية حول دمج الطبّ التكميلي والبديل بالطبّ الحديث، حقوق الأطبّاء، التعاليم الإسلامية الأساسية حول أُمور الطبّ والطبابة.

وفي مجال حوار الحضارات والثقافات والأديان والإيديولوجيات شارك الدكتور عزّ الدين إبراهيم في العديد من الفعّاليات في هذا المجال، حيث شارك في حوار الثقافات التي نظّمتها منظّمة الإيسيسكو داخل الوطن العربي وفي أوروبّا، وعددها ثمانية، ودرّس موضوع حوار الحضارات والثقافات في المعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتّحدة لأكثر من فوج، وهو عضو مؤسّس لحركة الإسلام والغرب التي أُنشئت في منتصف السبعينات، وشارك على مدى الأربعين سنة الماضية في معظم الحوارات الإسلامية ـ المسيحية، وناب عن منظّمة المؤتمر الإسلامي في مقابلة البابا بولس السادس سنة ١٩٧٦م، وهو عضو مؤسّس ومشارك في الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي، ومقرّه بيروت، وناب عن العالم الإسلامي في لقاءات السلام العالمية التي نظّمتها الكنيسة الكاثوليكية في روما (٢٠٠٢م) وميلانو (٢٠٠٤م) وليون (٢٠٠٥م)، وأصدر رسالة مطبوعة بعنوان: «بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي ـ المسيحي، ما الجدوى؟ وما المستقبل؟».

وله مسيرة ثقافية بنّاءة وعريقة، تعامل في بدايتها مع تلاميذ مدارس، ثمّ طلّاب ثانويّين فجامعيّين زارعاً فيهم شغفه للّغة العربية وشعرائها وأُدبائها، وظلّ حتّى آخر أيّامه من حُماة هذا المنبر؛ لاعتباره ضرورة إسلامية.. هذا الانتماء جعله يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضية الفلسطينية منذ وقبل وقوع نكبة ١٩٤٨م، فدافع عن الأرض وبيت المقدس بعدّة كتابات ومحاضرات علمية للتصدّي لمحاولات تهويد القدس الشريف ومقدّساته ولتثبيت هويته العربية والإسلامية.

توفّي الدكتور عزّ الدين إبراهيم في لندن عام ٢٠١٠م.

عزّ الدين أبو العزائم

عزّ الدين أبو العزائم: شيخ الطريقة العزمية، وداعية وحدة.

ولد سنة ١٩٢٦م في مدينة سماط بمحافظة المينا، وتخرّج من كلّية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٥٣م، ويعمل مديراً لإدارة القضايا في شركة مصر للبترول.

من أهمّ آثاره: كتاب حول الجفر، وتحقيق آثاره جدّه أبي العزائم في التفسير «أسرار القرآن»، وفي الفقه «أُصول الوصول لمعية الرسول».

يعدّ من الأساتذة المرموقين بمصر، ويتميّز بروح الإنصاف والولاء لأهل البيت عليهم السلام ويرى أنّ كتب الإمامية من أقوى الكتب، وأنّ البحث فيها مغني، ويدعو إلى مطالعتها والوقوف عليها.. وهو يرى أنّ الإمامة يجب أن تكون بالنصّ أو الإشارة لا بالإجماع.

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ١٧١ ـ ١٧٢، المتحوّلون ٦: ٦١ ـ ٦٢).

عزمي طه السيّد

عزمي طه السيّد أحمد: عميد البحث العلمي في جامعة آل البيت الأردنية، ورئيس تحرير المجلّة الأردنية في الدراسات الإسلامية، وداعية تقريب.

يرى الدكتور عزمي طه السيّد أنّ التصوّف الحقيقي يعبّر عن جوهر الإسلام النقي، وأنّ ثمّة ما أُدخل على الفكر الصوفي ممّا جعل البعض يرون فيه سبب تأخّر، وفي المقابل يدعو إلى نشر الفكر الصوفي النقي للمساهمة في إنقاذ المجتمع من نزعاته المادّية وغلوّه وتطرّفه الناتج إمّا عن الابتعاد عن الدين تارةً أو سبب التفسير والتأويل غير الصحيح لنصوص الشرع. وهو ما أنتج فكرة التطرّف، ويرى عزمي طه أنّ الحركة الصوفية كانت تمارس جانب الدعوة ونأت عن المواجهة والمقاومة إلّا في حالات الدفاع عن الأوطان من خلال الربط والزوايا، كما أنّه يقرّ بأنّ معارفنا أتت بداية من دوائر الاستشراق، وهو لا يرفض العملي منها، لكنّه يدعو لدراسة التصوّف من الداخل وعبر أدوات معرفية إسلامية.

يعتقد عزمي أنّ على الغرب تغيير سلوكه في التعايش مع الآخر قبل أن يتجرّأ على ترشيح التصوّف كممثّل للإسلام المستقبلي، ويرى أنّ التصوّف بإمكانه أن يرشد المجتمع

ويكون بمثابة العامل الواقي أو المضاد لما يمكن تسميته بالعنف الذي نتج بسبب وفض الآخر وإقصاء العقل وتقليص هامش التعدّد في إطار الأُمّة الواحدة، وهو ما يمكن لجامعة آل البيت أن تنهض به حسب اعتقاده.

ولد عزمي طه السيّد في بلدة دورا من مدينة الخليل، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة أدنبرة في المملكة المتّحدة، ثمّ عمل في التدريس الجامعي في بعض الجامعات في الإمارات العربية المتّحدة، وجامعة العلوم التطبيقية، وجامعة آل البيت، وهو عضو في العديد من اللجان العلمية والبحثية العربية والوطنية، وشغل العديد من المواقع الأكاديمية.

يستند عزمي طه في رؤاه وفكره إلى نتاج علمي غزير ومتنوّع جمع بين تأليف الكتب والترجمة والبحث العلمي، ومن مؤلّفاته: الكندي ورأيه في العلم، آراء الغزالي في المنطق في الصناعة العظمى للكندي، تطوّر الفكر الغربي، فلسفة الدين عند الفارابي، وغيرها.. ومن ترجماته: «الكندي ويطليموس» لفرامزورزنثال، و«محاورة كراتيليوس»، لأفلاطون.. وبالإجمال يبلغ عدد كتبه ستّة عشر كتاباً، وله اثنا عشر بحثاً علمياً وثلاث ترجمات.

يقول من مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ١٤٢٦: «أصحاب المذاهب وأتباعها هم مسلمون، وهم أُخوّة في الإسلام، لذلك ينبغي أن يكون تعاملهم فيما بينهم وفقاً لتوجيهات الإسلام في تعامل المسلمين فيما بينهم، وهذه التوجيهات لا بدّ أن تثمر تقريباً بينهم كأشخاص، وبالتالي بين المذاهب التي ينتسبون إليها.

فصاحب المذهب حين يتعامل ملتزماً بآداب وثقافة الأُخوّة الإسلامية مع أصحاب المذاهب الأُخرى، توضيحاً لمذهبه، أو ردّاً على مذاهب غيره، أو محاوراً لهم، فإنّ مثل هذا التعامل الملتزم سيمنع أيّ تباعد وتشاحن، وفي المقابل يقرّب أصحاب المذاهب من بعضهم.

إنّ صاحب المذهب حين ينظر إلى أخيه صاحب المذهب الآخر في ضوء توجيهات

الإسلام، من مثل قوله (عليه الصلاة والسلام): «المسلم أخو المسلم.. لا يسلمه ولا يظلمه...»، وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وحتّى يلتزم بعدم إيذاء أخيه المسلم من خلال كيل التهم له، كالكفر والزندقة والفسق والتحقير وما شابه ذلك، التزاماً منه بهدي الرسول (عليه الصلاة والسلام) في مثل قوله: «من كفّر مسلماً كفر»، وقوله: «بحسب امرئ من الشرّ أن يحقّر أخاه المسلم»، فإنّه في الحقيقة يقوم تلقائياً بالتقريب بينه وبين نظيره، وبالتالي بين مذهبه والمذاهب الأُخرى.

وخلاصة هذه الثقافة في هذا العنصر (التعامل مع أصحاب المذاهب) هو: أنّ التقريب بين المذاهب يحصل بصورة عادية وتلقائية إذا كان أصحاب المذاهب ملتزمين بثقافة الأُخوّة في الإسلام.

تتّخذ المذاهب في العادة وسائل أو أدوات لتحقيق أهدافها وإنجازها لأعمال معيّنة، مثل: تعليم المذهب، أو نشره، أو الدفاع عنه ضدّ منتقديه، أو غير ذلك من الأهداف أو الأعمال، وقد نصنّف هذه الوسائل أصنافاً، فنقول على سبيل المثال: وسائل مشروعة وغير مشروعة، أو قانونية وغير قانونية، أو أخلاقية وغير أخلاقية، أو سلمية وغير سلمية، أو غير ذلك من التصنيفات.

والمبدأ العامّ في الثقافة الإسلامية أن تكون الوسيلة أو الأداة مشروعة، كما هي الغاية أيضاً.

إنّ استخدام وسائل وأدوات مشروعة ليس فيها حرمة شرعية هو فعل يساهم في التقريب بين المذاهب؛ لأنّها وسائل يقبل بها كلّ مسلم ولا يعاندها، ولأنّها في طبيعتها الشرعية الإسلامية ستكون سمحة مقرّبة، لا منفّرة أو مباعدة.

وإنّ اللغة وسيلة وأداة في التعبير عن أفكارنا ووجدانياتنا وتواصلنا، والتقريب بين المذاهب يستلزم أن نقدّم لغةً وخطاباً واضحاً لا غامضاً مبهماً، موحّداً لا مفرّقاً، سمحاً حسناً: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (سورة البقرة: ٨٣)، لا فظّاً أو قبيحاً.

قد يستخدم المذهب وسائل الإعلام المختلفة في نشر المذهب أو الدفاع عنه أو غير

ذلك، لكنّ الإسلام يطالب أصحاب هذا المذهب أن يكون استخدامهم لهذه الوسائل من صحافة مقروءة أو مسموعة أو مرئية أو الإنترنت أو غيرها استخداماً منضبطاً بضوابط الإسلام الأخلاقية الشرعية، وحين يكون الأمر على هذا النحو فإنّ التقريب هو الذي سيحلّ مكان التنافر والتباعد.

وقد تستخدم بعض المذاهب وسائل العنف وأدواته، فكيف يكون تقارب بين مذاهب تتوسّل بالعنف لنشر مذهبها أو إظهار صوابه؟! إنّ ثقافة السماحة والإحسان والكلمة الطيّبة هي التي تقرّب بين المذاهب.

وعلى العموم، ينبغي على أصحاب المذاهب أن يقدّروا الوسائل قدرها في أنّها وسائل فحسب، يستعان بها لتحقيق غايات معيّنة، فالمال وسيلة ضرورية في حياة الناس، وقد يستخدمه أصحاب المذاهب، لكن حين يصبح المال غاية في ذاته فإنّ الأُمور ستفسد لا محالة، وعندئذٍ قد تتّخذ (المذاهب) من الوسائل والأدوات لتحقيق هذه الغاية (أعني: المال) ما يترتّب عليه من التنافر والتباعد الفرقة الشيء الكثير، كالرشوة وشراء الأقلام والذمم وغير ذلك من مفاسد».

عصام العطّار

عصام العطّار: داعية إسلامي سوري.

عائلة العطّار طائفة من المحدّثين اشتهرت بصناعة العطر. والده كان عالماً، وكان من رجال القضاء الشرعي والعدلي، وكان رئيساً لمحكمة الجنايات في يوم من الأيّام، وكان من محبّي ومناصري السلطان عبد الحميد، وقد شارك في محاربة الاتّحاديّين، فحكم عليه بالإعدام، فهرب وعاش سنوات بين القبائل العربية في جبل الدروز، ثمّ نفي إلى إسطنبول أثناء الحرب العالمية الأُولى، ثمّ عاد إلى البلاد، فكان ذو خبرات ميدانية عالية، فكان من أبرع من ركب الخيل، ويجيد استخدام السلاح، ويحبّ سير الفروسية، ويكاد يحفظ سيرة ابن هشام عن ظهر قلب، وكان قوي الذاكرة وحلو الحديث.

كان القرآن الكريم جزءاً من تربية عصام العطّار وثقافته، وقد حفظ بعض المتون مثل

ألفية الأمام مالك ومتن الزُبد (حيث كان أجداده من أئمّة الشافعية في بلاد الشام).

وقد كان لنشأته في أُسرة علم سبباً في لسانه العربي الرصين بدون تكلّف، وقد قرأ في صغره لكبار الأُدباء العرب، مثل: مصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، وعبّاس محمود العقّاد، وحسن الزيّات، وزكي نجيب محمود، وأحمد أمين، وعلي عبد الواحد وافي (عميد علم الاجتماع)، وقسطنطين زريق، وعبد الرحمان بدوي.

وفي المدرسة الابتدائية كانت المدارس تزور المدارس، فطلب من عصام العطّار الطالب أن يجيب، فكان يرتفع التصفيق لبيانه ولسانه العربي السليم، وقد حاز العديد من الجوائز في المدرسة الابتدائية.

أوّل صلة له كانت بشباب محمّدﷺ، وهي جمعية من الجمعيات التي كوّنت الأُخوان المسلمين، وكانوا يقومون بتعليم أُسس الإسلام، يعيشون سوية، فيأكلون، ويقومون مع بعضهم، ويخرجون إلى القرى يخطبون الجمعة. وكان في المدن الأُخرى الشيء المشابه للجمعية، ففي حلب كان هناك دار الأرقم وفي حمص وحماة، وكان هناك تعارف بين هذه الجمعيات، حتّى عاد مصطفى السباعي من مصر الذي كان يتابع ما يجري في سورية، وكان له فضل كبير في تقوية ارتباط الجمعيات مع بعضها، وأن تأخذ هذه الجمعيات اسم «الأُخوان المسلمين»، وانتخب أميناً عامّاً للأُخوان المسلمين. وقد تعرّف عصام العطّار على مصطفى السباعي سنة ١٩٤٥م ـ ١٩٤٦م.

في سنة ١٩٥٢م ساءت العلاقات بين المشايخ والسباعي في قضية تتعلّق بدين الدولة، حيث استغنى المشايخ عن نقطة أنّ دستور الدولة هو الإسلام مقابل تسميات في الدستور كتمسّك الدولة بالإسلام ومبادئه ودين رئيس الدولة هو الإسلام، فطلب من عصام العطّار أن يصون العلاقة بين المشايخ والأُستاذ السباعي، وقد أصرّوا عليه برابطة العلماء أن يضمّوه إليهم، فتعرّف إليهم، وسمع مناقشاتهم، وشارك في نشاطاتهم، وكان معهم في بعض اللقاءات المهمّة، فكان محاوراً عنهم.

وفي عام ١٩٥٥م عقد مؤتمر في دمشق ضمّ كلّ شيوخ سورية الكبار وكلّ السياسيّين

السوريّين والإسلاميّين، ومنهم محمّد المبارك، ومعروف الدواليبي، ومصطفى الزرقا، وجميع الجمعيات الثقافية الإسلامية، وفي هذا المؤتمر اختير عصام العطّار بالإجماع أميناً عامّاً لهيئة المؤتمر الإسلامي، وكان في وقتها في الهيئة التشريعية والكتب التنفيذي للأُخوان المسلمين وعضواً في مكتب دمشق للأُخوان.

وكان هو الخطيب شبه الدائم في مسجد الجامعة مع علي الطنطاوي ومصطفى السباعي وآخرين، وكان المسجد يمتلئ بالأُلوف من الطلّاب والأساتذة.

وقد هاجم عصام العطّار الحكم الديكتاتوري للشيشكلي سنة ١٩٥١م هجوماً شديداً، فصدر أمر اعتقاله، فنصحه المقرّبون منه، وأجبروه على الخروج إلى مصر.

وقد كانت الدكتورة نجاح العطّار شقيقة عصام نائبة الرئيس السوري بشّار الأسد.

سبق اسم عصام العطّار وصوله إلى مصر، ونتيجة لعلاقته الجيّدة مع حسن الهضيبي وعبد القادر عودة تيسّرت الأُمور، وتعاون مع الأُخوان المسلمين في مصر في اللجنة التوجيهية للأُخوان، وكان مقرّر اللجنة عبد العزيز كامل الذي الذي وجد للعطّار بيتاً يسكن فيه في نفس البناء الذي كان يسكن فيه عبد العزيز نفسه. وقابل العطّار في مصر العديد من الشخصيات، منهم: سيّد قطب، والبشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر، ومحمود محمّد شاكر، وعبد الوهاب عزّام، فكانت الحياة في مصر غنية بالنسبة إليه، وكان لها أثر في حياته لما بعد.

اشتدّ على أبيه المرض في سورية وكان يستحلف الناس الذين يزورونه ألّا يخبروا عصام العطّار في مصر، إلى أن شارف على الوفاة، فأبرق علي الطنطاوي إلى خال عصام العطّار محبّ الدين الخطيب أن يترفّق في إخباره، فعاد إلى الشام.

وفي سنة ١٩٥٤م جاء الهضيبي في زيارة إلى سورية، واختير عصام العطّار ليكون مرافقاً له في هذه الرحلة، كما رافقه أيضاً الشيخ محمّد الحامد ومصطفى السباعي وسعيد رمضان. وكان يحضر له مئات الأُلوف وتخرج مئات السيّارات في حضوره.

خلال زيارة حسن الهضيبي أسّس المكتب التنفيذي للأُخوان المسلمين في البلاد

العربية، وكان يمثّل سورية فيه بشكلّ طبيعي الدكتور مصطفى السباعي ومعه عصام العطّار.

في عام ١٩٥٦م أوفدت الجامعة الأُستاذ مصطفى السباعي إلى أوروبّا للاطّلاع على مناهج الدراسات الإسلامية، فكانت هذه المرحلة من أخطر المراحل التي حمل فيها عصام العطّار مسؤولية العمل الإسلامي. وفرضت الظروف أن يتكوّن المكتب التنفيذي للأخوان المسلمين في حلب، وقد اختير عصام العطّار ممثّلاً ومتحدّثاً بإسم الأُخوان المسلمين، فكان عصام العطّار من الناحة الفعلية يحمل مسؤولية المراقب العامّ للأُخوان المسلمين والمكتب التنفيذي في وقت واحد، فكان مصير الجماعة متوقّف على موقفه.

زار عصام العطّار في أحد المرّات شكري القوتلي ـ وكان رئيساً للجمهورية السورية ـ ووضّح له أُمور المقاومة الشعبية السورية ومقاصدها، ولكن لم يكن بيده من شيء، فأصدر العطّار بياناً إلى الأُخوان يشير إلى هذه المعاني، واجتمع عصام العطّار مع صلاح البذرة قائد المقاومة الشعبية بحضور فخري البارودي، وحذّره من أيّ خطوة تقوم بها الشيوعية في سورية.

كان عصام العطّار مع الوحدة بين سوريا ومصر على أساس ديمقراطي برلماني؛ لأنّ أوضاع القطرين متباينة في كثير من النقاط، فتبدأ الوحدة على الصعيد العسكري والخارجي وتعطى فترة حتّى تهيّئ الأسباب لما هو أكثر. اشترط عبد الناصر أن تحلّ الأحزاب في سورية نفسها، فحلّت، وكان السباعي قد عاد من سفره، ولم يكن حلّ الجماعة موضع خلاف، فأعلن السباعي حلّ الجماعة. وكان الأُخوان في سورية قد دعموا مصر أثناء العدوان الثلاثي عليها، ولمّا حصلت الوحدة كان الأُخوان في وقاية ممّا كان مخطّطاً لهم. حلّت الأحزاب السياسية كما هو معروف، وحلّت جماعة الأُخوان حلّاً حقيقياً، وانتهت كحركة منظّمة، وذهبت معظم قيادات الأُخوان إلى الاتّحاد القومي الذي أقامه جمال عبد الناصر، وذلك لدوافع مختلفة. وفي وقت كان الناس يقدّسون ويمجّدون عبد الناصر أعلن عصام العطّار في خطب يوم الجمعة في مسجد الجامعة أنّ طريقه طريق الوحدة، وهو مخالف لطريق عبد الناصر والاتّحاد القومي في الدكتاتورية وانتقاص حقوق

الإنسان، ومع الزمان كانت خطب مسجد الجامعة هي الخيط غير الرسمي الذي كان يربط الأُخوان مع بعضهم. وكان هذا الدور صدمة للسلطات، ولولا التأييد الشعبي والتاريخ والدور الذي كان يلعبه عصام العطّار لم يكن ليسمح له بذلك.

افترق موقف الأُخوان عن موقف جميع الأطراف، فقد أراد العطّار الاستمساك بأصل الوحدة مع التعديل في أساسها، ورفض توقيع وثيقة الانفصال، ورفض معه الأُخوان، ورفض التيّار الإسلامي في البلاد الانفصال، في حين وقّع القوميّون والاشتراكيّون الوثيقة. فأجمع الإسلاميّون على ترشيح العطّار بقائمة مصغّرة من ثلاث أشخاص، ولم ينجح من قائمة الحزب الوطني إلّا صبري العسلي، وتألّفت أوّل حكومة، وانتخب ناظم القدسي رئيساً للجمهورية، وكلّف معروف الدواليبي بتأليف الوزارة، وطلب من العطّار المشاركة في الوزارة، ولكنّه رفض. وبعد عدّة أشهر قام انقلاب، واعتقلوا رئيس الدولة ورئيس الوزارة، ودعوا ١٣ شخصاً منهم عصام العطّار من أجل أن يشاركوا في استلام الحكم في سورية، فرفض عصام العطّار ذلك، ودعاهم إلى إعادة رئيس الجمهورية إلى مكانه، فأفرجوا عنه ورجع رئيساً للجمهورية، وأجبروه على تكليف بشير العظمة بتأليف الوزارة، فدعا عصام العطّار إلى القصر الجمهوري وعرض عليه المشاركة في الوزارة، ولكنّه رفض؛ لأنّ بشير العظمة شيوعي ولا يصلح لتأليف الوزارة، وطلب حكومة ائتلافية يشارك فيها الجميع أو حكومة حيادية يطمئن إليها الجميع، فاتّصل رئيس الجمهورية بعصام العطّار وعرض عليه أن يسمّي أربعة وزراء، فرفض، فاضطرّت حكومة بشير العظمة للاستقالة.

من مؤلّفات العطّار: في قضية فلسطين.. آراء ومواقف، رحيل (شعر)، يجب أن يبدأ في أنفسنا التحوّل، رسالة إلى الأُخوّة المؤمنين، أزمة روحية، ثورة الحقّ (شعر)، منطلقات وأهداف، من بقايا الأيّام، كلمات، التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم.

وهذه باقة من أقواله:

* إنّنا مرحلة من مراحل الطريق، ولسنا نهاية الطريق، وجسر للمستقبل، فلا بدّ من تجاوزنا للوصول إلى المستقبل. أمّا الذين يقفون عند ما صنعناه وكتبناه، فلن يقتربوا من

الغاية المرجوّة، ولن يُحقّقوا للإسلام والمسلمين والإنسان ما يؤمّل فيهم، وينتظر منهم من الخير.

* انظروا إلى أقوالنا وأعمالنا بعين واعية ناقدة، فتداركوا النقص وصحّحوا الخطأ، فذلك حقّ لله وللناس وضرورة للسلامة والتقدّم، وهو أفضل هدية وأكرم يد تسدونها إلينا في الحياة وبعد الممات.

* يجب أن نردّ إلى الإسلام صورته الأصلية النقية، وإلّا كيف يعرفه الناس على حقيقته، وكيف يحلّونه ويحبّونه، وكيف نؤدّي رسالته السامية الخالدة من جديد في بلادنا نفسها وفي عالمنا وعصرنا؟!

ويجب أن نردّ إلى الإسلام نظرته الإنسانية العالمية المستقبلية الأصيلة المتجدّدة، فالإسلام ليس دين الماضي وحده، ولا دين العرب والمسلمين وحدهم، ولكنّه دين الإنسانية والإنسان في كلّ مكان وزمان.

ويجب أن نهيّئ الأسباب والظروف ونوفّر الإمكانات والجهود لانطلاق الطلائع الإسلامية ونموّها وتفوّقها في مختلف الاختصاصات والصفات والخيرات والميادين لتنهض بهذه الواجبات الكبرى وأمثالها في هذه المنعطفات التاريخية الحاسمة في حياتنا وحياة سائر البشر.

ويجب علينا ونحن نُعدّ خيرَ إعداد للمستقبل أن نقدّم أيضاً في الحاضر وللحاضر أقصى ما نستطيع، وأفضل ما نستطيع، واثقين كلّ الثقة بربّنا، ثمّ بأنفسنا، ومستقبل الإسلام والمسلمين والإنسان.

* على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، ويحمل كثير منهم جنسية البلاد التي يقيمون فيها أن ينظروا إلى هذه البلاد التي توفّر لهم الأمن والاستقرار والعلم والعمل وحرّية العقيدة والعبادة والممارسات الدينية والثقافية على أنّها وطنهم أيضاً، وأن يحرصوا على أمنها وخيرها ومصالحها المشروعة، ويجسّموا فيها بأقوالهم وأعمالهم وسلوكهم اليومي الإسلام النقي الجميل الإنساني السمح كما أنزله الله تعالى، وأن يقيموا حياتهم فيها على

أصحّ الأُسس الشرعية والقانونية، ويتعاونوا بمقياس الإسلام وحدوده مع سائر أبناء البلاد على تعميق التعارف والفهم المتبادل وتحقيق الخير المشترك.

أمّا بعض المسلمين الذي يحملون جنسية هذه البلاد، أو يقيمون فيها، ويستفيدون منها ماديّاً ومعنوياً، ويرون مع ذلك أنّها (دار كفر) يستبيحون فيها أحياناً ما لا يبيحه قانون ولا نظام، فهم مخطئون كثيراً، وهم يسهمون من حيث يعلمون أو لا يعلمون في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتنفير الناس منهم، ومساعدة أعدائهم على الكيد لهم بغير حقّ.. إنّ الإسلام يفرض على المسلمين الصدق والأمانة والعدل، ويحرّم عليهم الكذب والخيانة والظلم في أيّ مكان من الأرض.

عطية صقر

عطية صقر: عالم وداعية إسلامي.

ولد بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩١٤م في قرية بهنباي بمركز الزقازيق بمحافظة الشرقية بمصر، وحفظ القرآن في التاسعة من عمره، بدأ حياته خطيباً في مسجد عبد الكريم الأحمدي بباب الشعرية بالقاهرة في ١٦ أغسطس عام ١٩٤٣م، ثمّ عيّن واعظاً بالأزهر عام ١٩٤٥م، حتّى رقى إلى مفتش ومراقب عامّ بالوعظ، ثمّ بعد ذلك عيّن سفيراً للأزهر في اللجنة العليا بوزارة الخارجية، وعضواً بمجلس الشعب عام ١٩٨٤م عن دائرة شبرا. كما كان عضواً بارزاً في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

له أُسلوبه المتميّز في الفتوى والردّ على استفسارات مواطنيه المصريّين في البرامج الدينية بالإذاعة والتلفزيون المصري وكذلك في الصحف الكبرى، نظراً لما يتمتع من رجاحة عقل وسعة علم.

توفّي يوم ٩/ديسمبر/٢٠٠٦م عن عمر يناهز ٩٢ عاماً في مركز الطبّ العالمي بالهايكستب ـ القاهرة، ودفن في مسقط رأسه.

للشيخ عطية صقر أكثر من ٣١ مؤلّفاً علمياً، منها: الدعوة الإسلامية دعوة علمية (وهو الكتاب الحاصل على جائزة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، دراسات إسلامية لأهمّ

القضايا المعاصرة، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، العمل والعمّال في نظر الإسلام، الحجاب وعمل المرأة، البابية والبهائية تاريخاً ومذهباً، فنّ إلقاء الموعظة.

وقد كانت للشيخ روح تقريبية مميّزة، وكان من جملة الذين سافروا برفقة الدكتور محمّد محمّد الفحّام لزيارة الجامعة الإسلامية (الحوزة العلمية) بمدينة قم المقدّسة ولتبادل وجهات النظر بشأن التقريب بين المذاهب الإسلامية.

عفاف الحكيم

السيّدة عفاف الحكيم: رئيسة جمعية الرابطة اللبنانية الثقافية، وعضوة الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

تقول في مقالة لها نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ١٤٣٠ هـ: «وحدة الأُمّة هي لا شكّ من أهمّ الموضوعات التي نواجهها في عصرنا الحاضر، فعالمنا الإسلامي يمرّ بمرحلة تأريخية محفوفة بالمخاطر الحقيقية، إضافة إلى سيل ضخم من التحدّيات على مختلف الصعد.

وإنّه في هذا الظرف التأريخي الدقيق والحسّاس، وحيث اليد الآثمة للصهيونية وحلفائها على امتداد العالم بلغت من التآمر على كيان الأُمّة ووحدتها ومقدّساتها وقضاياها حدّاً كبيراً فاق كلّ تصوّر، فإنّ الواجب الشرعي والمسؤولية التأريخية تملي على القيّمين من علمائنا الأجلّاء وكلّ الواعين من أبناء الأُمّة إيجاد حالة من النهوض والقيام لله من أجل إحباط أهداف الأعداء، وتشكيل خطّ دفاع متماسك صلب يشدّ بعضه بعضاً وتتكسّر عليه كلّ المخطّطات والمكائد..

فموضوع الوحدة الإسلامية اليوم بلا شكّ هو من أهمّ مستلزمات الوقوف في وجه هذا الصراع باعتباره الأرضية والقاعدة التي تقوم عليها جميع المستلزمات الأُخرى، وهذا الموضوع يزداد أهمّية عندما ننظر إلى الظروف العالمية وطبيعة الصراع القائم على المستوى الحضاري..

وإنّه رغم عملية الاجتثاث الكبيرة والتشويه المريع الذي تعرّض له جسد الأُمّة

جغرافياً وسياسياً واقتصادياً، وحيث أفلح الاستعمار في تمزيق عالمنا الإسلامي تمزيقاً لم يسمع بمثله، فبعد أن كانت أُمتنا أُمّة واحدة ودولة واحدة وشعب واحد تمّ تقسيمها إلى أكثر من خمسين دولة صغيرة متناحرة متضادة تقطعها وتقسّمها الحواجز والحدود!

وإنّه رغم ما يظهر من قتامة التمزيق وفعّاليته في الإجهاز على الوحدة الإسلامية وعلى مشروع إحيائها واستعادتها، فإنّ خطره وضرره ربّما لا يصل إلى نفس مستوى الضرر الذي أحدثه ابتلاء الأُمّة بآفتي الجمود والتطرّف؛ لأنّ هذا اللون المدمّر الفتّاك امتدّ إلى تمزيق الروح وقصف الفكر وتغيير الوجدان وتشويه معالمه، وهذا لا شكّ هو الأعظم أثراً والأقوى خطراً من أيّ تمزيق آخر..

الشهيد مطهّري رحمه الله أجمل خصائص تيّار الجمود والتطرّف وملامحه في نقاط مبيّناً خطورة هذه الظواهر التي أفقدت أصحابها نور البصيرة ونعمة التفكّر والتقدير السليم لأولويات الإسلام، ومنها: الركود الفكري وتعطيل العقل ممّا أوقعهم في مهاوي التخبّط والتقليد الأعمى لسيَر الماضين وطرق تفكيرهم وأساليبهم، وضعف الأُسس والمرتكزات العقائدية، والنظرة السطحية (الضحالة الفكرية)، والتقديس الأجوف الزائف، وضيق الأُفق والنظر، والجهل واعوجاج الفهم، والرجعية وعبادة القديم، والرياء وخداع العوام.

لقد باتت مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأُمّة أمام أعدائها أملاً من الآمال التي يتطلّع إليها جميع المخلصين في الأُمّة على امتداد ساحاتها. فبفضل الإمام الخميني رحمه الله وثورته المباركة عادت الأُمّة إلى قوّتها وحيويتها، وترسّخ مفهوم الوحدة بل تجذّر في قلوب أبنائها، وشهدت مجتمعاتنا الإسلامية دفعاً ونهوضاً عظيماً ثقافياً وسياسياً وعسكرياً، تداعت على أثره مشاريع قوى الصهيونية والاستكبار في المنطقة، وحيث كانت الضربة الكبرى التي قصمت ظهورهم هي أنّ تلك الفئة القليلة المتمثّلة بأبناء المقاومة الإسلامية، أبناء حزب الله على أرض الجنوب اللبناني، هزمت الجيش الصهيوني الذي كان يدّعي أنّه لا يقهر ولا يهزم وأركعته ومرّغت أنفه في التراب..

وحيث أعقب ذلك تنبّه القوى الشيطانية التي انتفضت مذعورة عاملة على استخدام

المكر والانحراف الإسلامي المتمثّل بالتكفيريّين المتطرّفين لإشعال النزاع الطائفي البغيض بين السنّة والشيعة .. جناحي الأُمّة، والطرفين اللذين استطاعا بلورة أشجع المواقف ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، ففي لبنان حقّقت المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله أكبر انتصار عسكري عربي ضدّ الكيان الصهيوني الغاصب في حرب تمّوز ٢٠٠٦م. وحيث تزامن مع ذلك تعمّق الشعور في الأوساط الفلسطينية بضرورة التصدّي للاحتلال وعدم المساومة مهما بلغت التضحيات .. وإنّ الاحداث الهائلة وشلّال الدم الزاكي الذي شهدته غزّة الصامدة والصابرة على جراحها إبّان العدوان الوحشي الهمجي الذي شنّه العدوّ الصهيوني في أوائل العام ٢٠٠٩م والذي توّج بانتصار الإرادة الثابتة والعزم الكبير للشعب الفلسطيني الأبي بكامل مجاهديه رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً .. غير أنّ ما ينبغي الالتفات إليه هو أنّ المقاومة الفلسطينية بكامل فصائلها في غزّة عندما نهضت وصمدت وضحّت لم تفعل ذلك دفاعاً عن طائفة وإنّما دفاعاً عن الأُمّة كلّها عرباً ومسلمين، وإنّ حزب الله في لبنان عندما خاض معركة الكرامة ضدّ إسرائيل لم يفعل ذلك دفاعاً عن طائفة دون أُخرى، وإنّما دفاعاً عن قضايا الأُمّة، وفي مقدّمتها قضية فلسطين، وعندما أصرّت الجمهورية الإسلامية في إيران على رفض أيّ لون من ألوان الاعتراف بالكيان الإسرائيلي الغاصب ودفعت ثمن ذلك غالياً حتّى الآن إنّما كانت تنظر بعين المسؤولية اتّجاه دين الله.

في ذكرى المولد النبوي الشريف علينا أن نجد السبيل إلى وحدة أُمّتنا التي هي مصدر قوّتنا الثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية، وأن نعمل جادّين على رفع لواء التقريب، ونعمل على التخطيط لحلّ مشاكلنا ونصرة قضايانا، فقضية القدس الشريف وفلسطين هي قضية الأُمّة، وينبغي أن تتوحّد الأُمّة خلفها وصولاً إلى تحرير الأرض الطاهرة من براثن الصهيونية والاستكبار .. وعلينا دائماً وأبداً أن لا ننسى الإخاء الذي أتت به رسالة محمّد ﷺ والنداء الإلهي: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)».

عكرمة صبري

عكرمة سعيد عبد الله صبري: مفتي الديار الفلسطينية، وداعية وحدة.

كانت عائلة الدكتور عكرمة صبري معروفة بالتديّن، والده هو الشيخ سعيد صبري قاضي بيت القدس وعضو محكمة الاستئناف الشرعية، وهو عضو مؤسّس للهيئة الإسلامية العليا في القدس.

ولد الشيخ عكرمة سنة ١٩٣٩م، وحصل على شهادته الثانوية من المدرسة الصلاحية بمدينة نابلس، حيث كان والده يعمل قاضياً في المدينة حينها، وقد حصل على درجة البكالوريوس في الدين واللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٦٣م، ثمّ أتمّ دراسته ليحصل على شهادة الماجستير في الشريعة من جامعة النجاح الوطنية في نابلس.. وبعدها حصل على شهادة الدكتوراه (العالمية) في الفقه العامّ من كلّية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر بمصر، وموضوع الرسالة «الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق».

تتلمذ الشيخ عكرمة على يد علماء أجلاّء إضافة إلى والده الشيخ سعيد صبري، ومنهم: الشيخ مصطفى الزرقا، والأُستاذ معروف الدواليبي، والدكتور محمّد حسين الذهبي، والشيخ ياسين الشاذلي.

عمل بدايةً مدرّساً في ثانوية الأقصى الشرعية بمدينة القدس (المعهد العلمي الإسلامي سابقاً)، وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧م تولّى الشيخ عكرمة إدارة المدرسة التي انتقلت من مقرّها في بناية المدرسة التكزية بعد أن استولت عليها سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى بناية دار الأيتام الإسلامية في البلدة القديمة بالقدس قبل أن تنتقل إلى أروقة المسجد الأقصى المبارك في باب الأسباط.

تولّى الشيخ عكرمة صبري عدداً من المناصب، حيث عيّن مديراً للوعظ والإرشاد في الضفّة الغربية، ومديراً لكلّية العلوم الإسلامية / أبو ديس، ومفتياً عامّاً للقدس وضواحيها والديار الفلسطينية سنة ١٩٩٤م، حتّى إحالته على التقاعد عام ٢٠٠٦ م.

الشيخ عكرمة متزوّج من السيّدة نائلة صبري، وله خمس من الأبناء: ثلاثة ذكور

(عمّار، عبادة، عروة) وبنتان(لبابة، لبنى).

وهو مؤسّس هيئة العلماء والدعاة في فلسطين عام ١٩٩٢م ورئيسها، ورئيس مجلس الفتوى الأعلى في فلسطين، وخطيب المسجد الأقصى المبارك، وهو عضو مؤسّس في رابطة مؤتمر المساجد الإسلامي العالمي بمكّة المكرّمة، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي الدولي بجدّة، وقد انتخب رئيساً للهيئة الإسلامية العليا في القدس الشريف عام ١٩٩٧م.

وقد شارك الشيخ عكرمة في العديد من المؤتمرات والندوات، وعرف بمشاركته في الكثير من النشاطات والفعّاليات المناهضة لتهويد القدس. وقد تعرّض مراراً للنقد والمضايقة والاستجواب والاعتقال من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

كما أنّه عضو الرابطة العالمية لخرّيجي جامعة الأزهر الشريف، وعضو فلسطين الدائم عن الرابطة، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعضو مؤسّس في الإنترنت الإسلامي العالمي (islam online)، ورئيس مجلس أُمناء مدارس ورياض الأقصى الإسلامية / القدس، وعضو مؤسّس في جمعية الشبّان المسلمين بالقدس، ورئيس جمعية بيت الرحمة الإسلامي للمسنّين بالقدس، ورئيس فخري لجمعية المكفوفين المقدسيّين / القدس، وعضو مؤسّس لمجمع فقهاء الشريعة في أمريكا / واشنطن، ورئيس مجلس أُمناء الهيئة الوطنية العليا لمكافحة المخدّرات، ورئيس فخري لجمعية وادي النيص الخيرية، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلّة «الرسالة» المصرية / القاهرة، وعضو مؤسّس في رابطة علماء الشام، وعضو مجلس أُمناء الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس المجلس الاستشاري لكلّية القرآن والدراسات الإسلامية في القدس سابقاً، ورئيس تحرير مجلّة «الهدى والإسلام» المقدسية سابقاً، ورئيس نادي الهلال المقدسي سابقاً، ومدير تحرير ملحق القدس الشهري سابقاً أيضاً.

من مؤلّفاته: الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، التنوير في العقيدة والتفسير، الوجيز في علم أُصول الفقه، أضواء على إعجاز القرآن الكريم، الدعوة الإسلامية ضرورة واجبة، الإسلام والتحديث، التمريض في التاريخ الإسلامي، التربية في الإسلام، كيفية

الوضوء والصلاة، العلم طريق الإيمان، ارحموا أهل الأرض، مذكّرات في الحديث الشريف، الوجيز في علم مصطلح الحديث، حقّنا في فلسطين، المنتقى من أحاديث المصطفى، فتاوى في شؤون صحّية.

علاء الدين زعتري

علاء الدين محمود الزعتري: مفكّر إسلامي، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذهب الإسلامية.

ولد في حلب سنة ١٩٦٥م، وحصل على إجازة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كلّية الدعوة الإسلامية بسوريا بتقدير (جيّد جدّاً) عام ١٩٨٦م، وعلى دبلوم الدراسات الإسلامية (شعبة القرآن الكريم وعلومه) بكلّية الدعوة الإسلامية، بتقدير (ممتاز) عام ١٩٩٠م، وماجستير الدراسات الإسلامية من كلّية الدعوة الإسلامية، بعنوان: «النقود.. وظائفها الأساسية وأحكامها الشرعية»، بتقدير (ممتاز) عام ١٩٩٣م، والدكتوراه في الدراسات الإسلامية من كلّية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بعنوان «الخدمات المصرفية وموقف الشريعة الإسلامية منها»، بتقدير (امتياز) عام ٢٠٠٠ م.

من مؤلّفاته: أبحاث في الاقتصاد الإسلامي المعاصر، إتمام فتح الخلّاق بمكارم الأخلاق، تاريخ التشريع الإسلامي، تهذيب وتوضيح (مغني المحتاج) المعاملات المالية في فقه السادة الشافعية، الخدمات المصرفية وموقف الشريعة الإسلامية منها، رحم الله من اغتنم حجّة في العمر، فتاوى فقهية معاصرة (الزكاة)، فقه المعاملات المقارن.. صياغة جديدة وأمثلة معاصرة، في رحاب ليلة القدر، مذكّرة في السيرة النبوية، مذكّرة في تفسير القرآن.. أجزاء مختارة، مصوّرات السيرة النبوية والخلافة الراشدة، المعاملات المالية.. فتاوى فقهية معاصرة، معالم اقتصادية في حياة المسلم، النقود: وظائفها الأساسية وأحكامها الشرعية.

وهو أمين الفتوى في إدارة الإفتاء العامّ والتدريس الديني بوزارة الأوقاف بالجمهورية العربية السورية، وعضو الهيئة الاستشارية الشرعية لمجلس النقد والتسليف في مصرف

سوريا المركزي وفي أعمال التأمين التكافلي، وعضو مجلس إدارة الهيئة السورية لشؤون الأُسرة.

وهو مدرّس لمادّة الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامي في كلّيات الشريعة بسوريا ولبنان، وكلّية الدعوة الإسلامية التابعة لليبيا، وكلّية أُصول الدين التابعة للسودان، وكلّية الشريعة التابعة للأزهر.

كما أنّه خطيب ومدرّس ديني بمساجد حلب منذ عام ١٩٧٩م، والآن هو خطيب بجامع (الصدّيق) بمحلّة الجميلية، بدءاً من ٢/٤/٢٠٠٤م، ومدير مكتب حلب لمجلّة «صدى الإيمان» سابقاً.

يقول: «أرى أنّ هناك تقارباً فيما بين المذاهب الإسلامية؛ لأنّ أصلها ومنبعها واحد، ومنشأها ومصدرها واحد، وهو القرآن وسنة النبي ﷺ، وبالتالي دراسة الفقه المقارن تعطي مرونة في العقل وحكمة في التفكير، وتعطي أثراً طيّباً فيما بين المسلمين، إذا حصل أيّ أمر فإنّك تختار من المذاهب الإسلامية ما يناسب الإنسان والزمان والمكان. فلا يمكن أن نقول: سنلغي المذاهب الإسلامية، ونقول: سنعتمد مذهباً واحداً. إنّ القضية ليست كذلك، فتنوّع الآراء وتعدّد الأفكار هذا أمر فطري فُطر الناس عليه؛ لأنّ هذا التنوّع يشير إلى التوحّد، وهو الله تبارك وتعالى، ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أعطانا صفة له تبارك وتعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ بعد توحيد الربوبية وتوحيد الأُلوهية له تبارك وتعالى، فكلّ شيء فيما سواه متعدّد، وبالتالي هذه التعدّدية وهذا التنوّع أمر طبيعي فطري. ومشكلتنا نحن البشر في تقبّل الآخر أو في التعصّب في الذات، أمّا الأصل فتنوّع الأشياء وتعدّد الأصناف وتمازج الآراء أمر لا غبار عليه، بل يحقّق فوائد للبشرية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ (سورة الحجّ: ٤٠).

نعم، عندما نتحدّث في التنوّع، التنوّع الاجتماعي موجود، وكلّ الناس أقرّوا به، والتعدّد الاقتصادي كلّ الناس يرونه بأُمّ أعينهم، فلماذا نأتي إلى مسائل في العقيدة والفقه لنقول: يجب أن يكون هناك رأي واحد؟ لماذا لا يكون هناك هذا التعدّد الجميل الذي

يناسب الناس في كلّ الأزمان وفي كلّ الأماكن، حتّى لو أخذنا مثالاً في زمن رسول الله ﷺ هل كان كلّ أصحاب رسول الله ﷺ على قلب رجل واحد وعلى رأي واحد وعلى اجتهاد واحد وفكر واحد وفقه واحد؟ كانوا متعدّدين بتعدّد قبائلهم وبتنوّع بيائتهم، أمثلة كثيرة حصلت في زمن رسول الله ﷺ وكان تشريعاً للناس فيما بعد لمّا يسأله الواحد سؤالاً.

إنّ من أهمّ غايات التقريب تعارف المسلمين على بعضهم، وأوّل ما يجب هذا أن يجب على العلماء من خلال الدراسة والنظر في فكر الآخرين: سعة الأُفق والتسامح الحاضن لكلّ المذاهب الإسلامية.

لا شكّ بأنّ العدوّ يريد اجتثاث الأُمّة الإسلامية جذوراً وتاريخاً وثقافةً: إنّ قذائف العدوّ لا تفرّق بين مسلم وآخر.

إنّ الإسلام بعالميّته لا يعترف بحدود المكان، وإنّ شموليّته لا تقرّ بحدود الزمان، فهو يحمل رحمة الله للعالمين، ويعرض نور الله للبشرية الضامئة المتعطّشة لمنقذ من ضلالاتها، ومخلّص من ترهاتها.

فالحضارة الإنسانية اليوم على موعد مع الإسلام العظيم الذي يحمل الرحمة والانفتاح والتسامح مع غير المسلمين، وهو من باب أولى يحمل هذه المعاني والقيم مع المسلمين أنفسهم، وهذه القيم هي التي تميّز حضارة الإسلام عن غيرها من حضارات حوت مثالب ونقائص، من الضيق بالآخر، وعدم الاعتراف به.

واليوم في ظلّ المتغيّرات الدولية العالمية، وبدافع من إسلامنا العظيم لاستعادة مكانتنا، فإنّا ـ نحن المسلمون ـ مطالبون وبإلحاح بالعمل الإيجابي مع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية والفكرية.

ولمّا كانت العولمة بسلبيّاتها تريد إغراق العالم بمجموعة من التناقضات القيمية والتفلّت الأخلاقي فإنّ المسلمين مطالبون باستحضار ما لديهم من رصيد حضاري وتقديمه من جديد إلى البشرية التي تتطلّع شوقاً إلى تكرار هذا الأُنموذج الحضاري الفريد.

إنّ مثل هذه اللقاءات لهي أفضل السبل في مواجهة تنامي الدعوات الشاذّة الداعية إلى

الشقاق والنزاع، كما هو ملاحظ في الفكرة الخبيثة التي يحاول أعداء الإسلام بثّها في العراق على سبيل المثال القريب.

لذا كانت لقاءات التقريب وشفّافية العرض والوضوح في الرؤية هي الخير الأنسب، وهذا مستفاد من تجارة الأمس وآلام اليوم وتوقّعات المستقبل.

حقائق القرآن الناصعة تدعو إلى الوحدة: وحدة المعبود، ووحدة الأصل، ووحدة الأهداف.

شرّع الإسلام أسباب التآلف والتجمّع، ونهى عن أسباب التقاطع والتفرّق، فالتفرّق يوزّع القوّة، أمّا الوحدة فتجمعها. والتفرّق أمارة من علامات عدم النضوج، فإنّ العقل الناضج يلازمه عادةً حبّ الإنصاف، فالإسلام لا يعتبر رابطة تربط المسلمين إلّا رابطة الدين، أمّا الروابط الجنسية والشعوبية ورابطة اللون أو اللغة أو القبيلة فهي انتماءات جزئية قد توصل إلى العصبية البغيضة.

ونهى الله تعالى المؤمنين عن التعالي والتكبّر، كما نهى أن يسخر بعضهم من بعض، أو يلمز بعضهم بعضاً، ولو أنّ متّبعي المذاهب الفكرية وأهل العلم عملوا بهذه القيم السامية الرفيعة لما وصل المسلمون إلى التعصّب الذي تشهده الأُمّة اليوم، ولمّا تراشق المسلمون بتهم وألقاب جاهزة يمنة ويسرة بسهام التجهيل والتكفير والتفسيق والتبديع والتضليل ونحو ذلك ممّا مبعثه الاعتداد بالنفس من جهة والسخرية بالآخرين من جهة أُخرى.

وجعلت بعض الآيات من المسلمين كالنفس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١١)، وحين لمزت كلّ طائفة من المسلمين أُختها جرّحت نفسها وأُختها أمام الخصوم والأعداء، والعدوّ يحكم على طوائف المسلمين بما يحكم به بعضهم على بعض، فيحتقرونهم جميعاً.

ونهى القرآن عن التفرّق في الدين، والتشكيك في قضاياه، فكلّ دعوة للتفريق بين المسلمين خيانة لله ولرسوله ولآله، وخيانة للقرآن الكريم، وللأُمّة الإسلامية.

والمسؤولية في الوحدة تقع على عاتق أولياء الأمر من المسلمين، وهم العلماء وقادة

الفكر، حيث تقع عليهم المسؤولية، وهم محاسبون أمام الله عزّ وجلّ عن تحقيق هذا الهدف الأسمى، فليتّق الله قادة الفكر الإسلامي، فلا يطبعوا بطابع الجمود، ولا يخيّم عليهم الهوى، وتتحكّم فيهم الشهوات السياسية، وإنّ صلاح الأُمّة منوط بصلاح علمائها وقادة الفكر فيها، فهم بمثابة القلب من الجسد، إن صَلَح صَلُحَ الجسد كلّه، وإن فسد فسد الجسد كلّه».

كما يقول: «العناصر التي تجعل التقريب بين المذاهب ناجحاً على كافّة الأصعدة. فإذا أُريد للتقريب أن يكون مثمراً فلا بدّ من تبنّي الأفكار الآتية:

١ ـ جعل القرآن الكريم دستور الأُمّة، واعتباره العنصر الرئيس في أُسس أيّ لقاء، وجعله الحاكم في القضايا بين المسلمين.

٢ ـ إقامة التقريب بين المذاهب على أساس علمي رصين بعيداً عن العواطف أور ردّات الفعل الآنية؛ لأنّ ما يقوم على أُسس علمية يبقىٰ ويستمرّ، وما يقوم على الظروف الزمانية يفنىٰ ويضمحل.

٣ ـ جعل التقريب قائماً على أساس التعاون الجماعي والاجتماعي بعيداً عن السياسات المتقلّبة، أو الانحياز إلى نظام سياسي معيّن هنا أو هناك، فالأنظمة السياسية لا تدوم، والعمل الجماعي يدوم.

٤ ـ حسن النيّة وسلامة الطوية، وذلك بتبنّي المقاصد لتحقيق الأهداف.

٥ ـ الاهتمام بإبراز النقاط المشتركة بين المذاهب، والحديث دائماً عن نقاط التلاقي، وبخاصّة مع العامّة، وتوجيههم إلى أهمية الوحدة الإسلامية كما أرادها القرآن الكريم: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (سورة الحجّ: ٧٨)، وإشاعة ثقافة التقريب، وتضافر الجهود لذلك، وترك الجدل والمناظرات الفكرية والعقدية والفقهية للمختصّين في المستويات العليا.

٦ ـ التأكيد على أنّ الاختلاف بين المذاهب الإسلامية هو اختلاف خطأ وصواب، وليس اختلاف كفر وإيمان.

٧ ـ عدم تضخيم مسائل الخلاف وتحويلها إلى منازعات تشاحنية وخصومات

تنافرية ، تنسي مقوّمات الوحدة وعوامل الوفاق ، مع أنّ نقاط التلاقي والاتّفاق أكثر بكثير من نقاط الخصام والتفرّق.

٨ ـ عدم الانشغال بمناظرات جانبية وجدالات داخلية ، فالأهمّ هو الدعوة إلى الإسلام بعرض جوهره النقي وصفائه الروحي ، وبيان رسالته الواضحة ، وإبراز جمال الدين وشموله لكلّ مجالات الحياة ، وأنّه يُصلح الإنسان والزمان والمكان.

فرسالة الإسلام جاءت لتجعل حياة الإنسان سعيدة ، وقد وضّح الإسلام سبل النجاة والأمن والاطمئنان للبشر جميعاً ، وللعيش فيما بينهم بسلام ومحبّة وإخاء ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء : ١٠٧) ، وأهمّ العالمين المسلمون فيما بينهم ليكونوا رحماء برحمة رسول الله ﷺ .

٩ ـ التخلّص من عقدة كمال الصحّة المطلقة ، وعقدة الوصاية على الدين ، فما تحمله حقّ وصواب يحتمل الخطأ ، وما أحمله حقّ وصواب يحتمل الخطأ ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة سبأ : ٢٤) ، وإذا كان هذا في الحوار مع غير المسلمين فهو مع المسلمين من باب أولىٰ.

فالمجتهد مهما بلغ لا يستطيع الجزم بأنّ اجتهاده هو الحقّ المطلق ، وأنّ اجتهاد غيره هو الخطأ المتيقّن ؛ فذلك لا يعلمه إلّا الله ورسوله ، ولا سبيل إلى ذلك العلم بعد انقطاع الوحي.

١٠ ـ تجنّب التعصّب المذموم ومحاربته ، فإنّه يعمي ويصمّ القلوب والعقول والبصائر ، ومنهج القرآن النهي عن التعصّب المقيت ، ويدعو إلى التسامح الديني ، ومن باب أولى التسامح المذهبي ، ويدعو إلى التآخي البشري ، فكيف بالتآخي الإيماني ؟!

١١ ـ الابتعاد عن مواجهة المسلم للمسلم بأشدّ الكلمات ، وأغلظ العبارات ، وأقسىٰ الأساليب وتجنّب التجريح والتنقيص ، وإحصاء الأخطاء والعثرات لدرجة قد تصل إلى الإهانة ، فمثل هذا يولِّد مزيداً من الأحقاد والكراهية والبغضاء ، وما أروع منهج القرآن: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران : ١٥٩) !

فما أجمل اللقاء إذا كان بألطف الكلام وأرهف العبارات! وما أحسن الحوار إذا كان بأقوى الحجّة وأصدق الدليل!

١٢ ـ تقدير الرأي والرأي الآخر واحترامهما؛ لضرورتهما وأهمّيتهما عند الحوار وحين تبادل الرأي.

١٣ ـ أن يكون الحوار الفكري قائماً على تبادل المعرفة، وقبول الحجّة المنطقية المدعمة بالدليل الشرعي الصحيح دون جمود أو تعصّب.

١٤ ـ أن يكون الجدال بالتي هي أحسن، فلا يتعدّىٰ الإقناع بالدليل إلى إثارة الفرقة والخصام، ومحاولة التفريق بين المسلمين؛ ليضعف أمرهم، ويتمكّن أعداؤهم منهم، فمنهج القرآن مع غير المسلمين رفق ولين، فهو مع المسلمين من باب أولى، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

١٥ ـ مراعاة الشعور والعواطف، واحترام تباين الآراء واختلاف الأفهام، فمثل هذا يولّد المحبّة والصفاء، قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصّلت: ٣٤)، وحينها يتحوّل العدوّ إلى صديق، والمبغض إلى محبٍّ، والبعيد إلى قريب.

١٦ ـ عدم إثارة الطرف الآخر، فالإثارة تولّد الانفعال وتقطع الحبائل المقرّبة، فهذا منهج القرآن مع غير المسلمين: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٨)، فالمسلم ليس بالسبّاب ولا اللعّان ولا الفحّاش ولا البذيء، فالكلمة الطيّبة أصل التلاقي، والحوار الهادئ أساس التفاهم.

١٧ ـ التجرّد عن الأحكام المسبقة المبنية على الظنّ لدىٰ أطراف التقريب، فالعمل لا بدّ أن يكون قائماً على اليقين، وليس على الوهم والظنّ والشكّ.

فقد كان أهل السنّة يتصوّرون الشيعة من الغلاة والرافضة، مع أنّ الشيعة تكفّر الغلاة وتعدّهم من النجاسات. وعند العامّة من أهل السنّة حكم مسبق أنّ الشيعة يعبدون الأحجار، وذلك بسجودهم على أقراص خاصّة، والحقّ أنّ السجود على جنس الأرض هو

فعل رسول الله ﷺ ، كما وصف ذلك الصحابة . وعند بعض العامّة من الشيعة أنّ أهل السنّة يبغضون آل بيت رسول الله ﷺ ، ولا يُظهرون مناقبهم وأخلاقهم ، وواقع الحال أنّ محبّة آل البيت لا ينكرها مسلم ، بدليل تسمية أبنائهم ، تبرّكاً بأسماء آل البيت ، ويكاد لا يخلو بيت من اسم أحد أفراده باسم أحد آل البيت ، ، كعلي وفاطمة والحسن والحسين ورقية وزينب ، وما من قصيدة تمدح رسول الله ﷺ إلّا ذكرت مناقب آل بيته الكرام .

إنّنا مطالبون بالتعارف والتعاون ؛ لتحقيق المصالح المشتركة لشعوب الأُمّة الإسلامية ، ونشر القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة بين شعوب الأرض قاطبة » .

(انظر ترجمته في : المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٣٨٠) .

علّال الفاسي

علّال (أو محمّد علّال) بن عبدالواحد بن عبدالسلام بن علّال بن عبدالله بن المجذوب الفاسي الفهري : مفكّر إسلامي مغربي ، ومن دُعاة الوحدة .

ولد سنة ١٩٠٨ م في فاس ، وحفظ القرآن الكريم ، وتلقّى مبادئ العلوم ، وتعلّم بالقرويّين حاصلاً على الشهادة العالمية سنة ١٩٣٢ م ، وشارك في إنشاء مدرسة الناصرية التي تخرّج بها بعض طلائع اليقظة المغربية الأُولىٰ ، وعارض سلطات الاستعمار الفرنسية حين أرادت منح جماعة من الفلّاحين الفرنسيّين ماء مدينة فاس سنة ١٩٢٨ م وحين أصدرت الظهير البربري سنة ١٩٣٠ م ، وهاج معه أهل المغرب ، فاعتقلته السلطة وضربته ونفته إلى بلدة « تازة » ، وعاد بعد سنة إلى فاس ، فمنعته من التدريس .

أسّس أوّل نقابة للعمّال سنة ١٩٣٦ م ، وعمل في إنشاء « كتلة العمل الوطني » السرّية لمقاومة الاحتلال الفرنسي والتي ظهرت عام ١٩٣٧ م باسم « الحزب الوطني » ، وأُبعد إلى الغابون منفياً لمدّة أربع سنوات ، ونُقل إلى الكونغو لمدّة خمس سنوات ، وأُطلق سنة ١٩٤٦ م ، فأنشأ « حزب الاستقلال » ، وكذلك أسّس أوّل نقابة للعمّال كي يدافعوا عن حقوقهم ، وسافر إلى فرنسا فالقاهرة ، وتنقّل في بعض العواصم ، وعاد إلى بلاده سنة ١٩٤٩ م ، فمنعه الفرنسيّون من دخولها ، فأقام بطنجة ودعا إلى الثورة بعد إبعاد محمّد الخامس

(ملك المغرب) سنة ١٩٥٣م، واتّصل ببعض الشخصيات الإسلامية كشكيب أرسلان، وحاولت الإدارة الفرنسية إغراءه بالمنصب والمال فرفض، فنفوه مرّة أُخرى إلى الغابون مدّة تسع سنوات. وقد انفرد بزعامة الحزب بعد الاستقلال، وتولّىٰ وزارة الدولة للشؤون الإسلامية مدّة، ثمّ انصرف إلى المعارضة في مجلس النوّاب، ودرّس في كلّية الحقوق، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وبالمجمع العلمي بدمشق.

أُصيب بأزمة قلبية في «بوخارست» وهو يزور رومانيا، فتوفّي بها سنة ١٩٧٤م، ونقل جسده إلى الرباط، فدُفن بها.

من كتبه: هنا القاهرة، النقد الذاتي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأُولى، دفاع عن الشريعة، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الحماية الإسبانية في المغرب من الوجهة التاريخية والقانونية، التقريب شرح مدوّنة الأحوال الشخصية.

قال الفاسي في مجال الوحدة: «السير نحو الوحدة الإسلامية متوقّف قبل كلّ شيء على تصحيح الأوضاع فيما يرجع للعقيدة الإسلامية، وفيما يرجع للتوحيد الإسلامي وتطهير عقيدة المسلمين ودعوة المسلمين قاطبة إلى أن يخلصوا إيمانهم بالله وأن لا يشركوا معه أحداً. وهذه العقيدة المؤمنة الخالصة هي التي سترفع عنهم كلّ عبودية إلّا عبودية الله عزّ وجلّ، وهي التي ستمنحهم الحرّية الكاملة، حيث إنّهم لا يستطيعون أن يخضعوا لإله مصطنع ولا لرئيس من الرؤساء، ولا يتّخذون من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله، ولا رؤساء يطيعونهم طاعة الله، ولا ملوكاً وزعماء وقادة ينفّذون ما يريدونه، ولو كان ضدّ الدين وضدّ مصلحة المسلمين. هذا الإيمان الحقّ، هذا التوحيد الخالص ضروري، ولا يمكن أبداً أن تتحقّق حرّية المسلمين في نفوسهم وفي مجتمعهم إلّا إذا حقّقوا هذا التوحيد الخالص. هذا ما يرجع باختصار إلى وحدة الأُلوهية.

أمّا النقطة الثانية فهي التي ترجع إلى وحدة الربوبية. فوحدة الربوبية تستوجب منّا أن لا نشرّع ولا نخضع لمشرّع في أُصول الدين وفي أُصول الشريعة إلّا لله عزّ وجلّ، إلّا لخطابات الله عزّ وجلّ، إلّا لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وأُصول الاجتهاد التي تعتبر بمثابة

تلك الخطابات عند العلماء المجتهدين.

فلا بدّ للوصول إلى هذه الوحدة الإسلامية من العمل على بعث الشريعة الإسلامية، والعمل بمقتضى الشريعة الإسلامية، وإلغاء القوانين الأجنبية التي تسرّبت إلى العالم الإسلامي. فالفرقة التي وقعت للمسلمين لم تقع في صميم قلوب المسلمين، وإنّما وقعت في هذه الأشياء التي ثرنا عليها، بسبب جهلنا، وبسبب اقتدائنا بالغرب، وبسبب تأثّرنا بالمستعمرين، وبسبب الاستعمار الفكري الذي أصاب نفوسنا وعقولنا وقلوبنا. ولا يمكننا أن نتحرّر من سيطرة الأجنبي إلّا إذا تحرّرنا من هذه السيطرة الفكرية والعقلية. فلا يمكن لبلاد المسلمين أن تبقى تحكم نفسها بمقتضى شرائع ما أنزل الله بها من سلطان، بمقتضى قوانين وضعها الأجانب لبلادهم، وقد يكون فيها شيء من الخير، وقد يكون فيها شيء من العدل، ولكنّها مادامت لا تنطبق على أُصول الشريعة الإسلامية وعلى قواعدها، ومادمنا لا نحكم بها على أنّها شريعة إسلامية إلّا ونحن مذنبون خارجون عن واجب المسلمين، ولا يمكن للجماعة الإسلامية في الأرض أن تتّحد اتّحاداً كاملاً إلّا إذا وحّدت شرائعها، إلّا إذا ألغت هذه التشريعات الأجنبية مهما كان أمرها، ثمّ عادت فنظرت في أمرها، وأحيت الفقه الإسلامي وتدارسته وتعلّمته، والمواطنة الإسلامية تضامن بين جميع المسلمين، «فالمسلم للمسلم كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» كما في الحديث الشريف. وقد قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»، فالمسلمون يد واحدة وأُمّة واحدة وجماعة واحدة، والعمل الذي يقوم به كلّ فرد منهم إنّما هو جارحة من جوارح الأُمّة بأجمعها، عضو من أعضاء الأُمّة يقوم ببعض أعمال الأُمّة، وفي الحقيقة الأُمّة هي التي تقوم بذلك، فنحن أُمّة واحدة وكتلة متّحدة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٢). إذاً الأُمم الإسلامية كلّها ـ إذا صحّ أن نسمّيها أُمماً أو أن نطلق عليها شعوباً كما يعبّرون اليوم ـ إنّما هي في الحقيقة شعب واحد، هو الشعب المسلم من أرض الصين إلى جنوب أفريقيا».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، موسوعة السياسة ٤: ١٥٨، النهضة الإسلامية

في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٨٦ ـ ٣٩٩، موسوعة أعلام المغرب ٩: ٣٤٥٢، عظماء الإسلام: ٣٠١ ـ ٣٠٢، مشاهير الشعراء والأُدباء: ١٦٤، نثر الجواهر والدرر ١: ٨٧١، موسوعة الأعلام ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٨١ ـ ٣٨٣).

العلاّمة الحلّي

أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلاّمة الحلّي وبآية الله وابن المطهّر: مجتهد إمامي كبير، وعلم من أعلام الإسلام.

ولد في شهر رمضان سنة ثماني وأربعين وستّ مائة للهجرة، وأخذ عن والده الفقيه المتكلّم سديد الدين يوسف، وعن خاله شيخ الإمامية المحقّق الحلّي الذي كان له بمنزلة الأب الشفيق، فحظي باهتمامه ورعايته، وأخذ عنه الفقه والأُصول وسائر علوم الشريعة، ولازم الفيلسوف نصير الدين الطوسي مدّة، واشتغل عليه في العلوم العقلية، ومهر فيها.

وقرأ وروى عن جمع من العلماء، منهم: كمال الدين ابن ميثم البحراني، وعلي بن موسى بن طاووس الحسني، وأخوه أحمد بن موسى، ونجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي ابن عمّ المحقّق، ومفيد الدين محمّد بن علي بن جهيم الأسدي، والحسن بن علي بن سليمان البحراني، ونجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمّد ابن جعفر ابن نما الحلي، وغيرهم.

كما أخذ عن جماعة من علماء السنّة، منهم: نجم الدين عمر بن علي الكاتبي القزويني الشافعي المنطقي، ومحمّد بن محمّد بن أحمد الكشّي، وجمال الدين الحسين بن أبان النحوي، وعزّ الدين الفاروقي الواسطي، وتقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي الصبّاغ الحنفي الكوفي، وآخرون.

وبرع وتقدّم وهو لا يزال في مقتبل عمره على العلماء الفحول، وفرغ من تصنيفاته الحكمية والكلامية، وأخذ في تحرير الفقه قبل أن يكمل له (٢٦ سنة).

ودرّس، وأفتى، وتفرّد بالزعامة، وأحدثت تصانيفه ومناظراته هزّة، كان من آثارها تشيّع السلطان محمّد خدابنده أولجايتو وعدد من الأُمراء والعلماء، وتداول كتبه في

المحافل العلمية تدريساً وشرحاً وتعليقاً ونقداً، وازدهار الحركة العلمية في الحلّة واستقطابها للعلماء من شتّى النواحي.

قال فيه معاصره ابن داود الحلّي: «شيخ الطائفة، وعلّامة وقته، وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول».

وقال الصفدي: «الإمام العلّامة ذو الفنون المعتزلي (كذا قال).. عالم الشيعة وفقيههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته... وكان يصنّف وهو راكب... وكان ريّض الأخلاق، مشتهر الذكر... وكان إماماً في الكلام والمعقولات».

وقال ابن حجر في «لسان الميزان»: «عالم الشيعة وإمامهم ومصنّفهم، وكان آية في الذكاء... وكان مشتهر الذكر، حسن الأخلاق».

روى عن العلّامة طائفة، وقصده العلماء من البلدان للأخذ عنه، ومن هؤلاء: ولده محمّد المعروف بفخر المحقّقين، وزوج أُخته مجد الدين أبو الفوارس محمّد بن علي بن الأعرج الحسيني، وولدا أبي الفوارس: عميد الدين عبد المطلب، وضياء الدين عبد الله، ومهنّا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدني، وتاج الدين محمّد بن القاسم بن معيّة الحسني، وركن الدين محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني، والحسن بن الحسين السرابشنوي، وقطب الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد الرازي المعروف بالقطب التحتاني، والحسين بن إبراهيم بن يحيى الاسترآبادي، والحسين بن علي بن إبراهيم بن زهرة الحسيني الحلبي، وأبو المحاسن يوسف بن ناصر الحسيني الغروي المشهدي، وعلي بن محمّد الرشيدي الآوي.

وكان السلطان خدابنده قد أمر له ولتلاميذه بمدرسة سيّارة تجوب البلدان لنشر العلم.

وللعلّامة تآليف كثيرة غزيرة بمادّتها، عدّ منها السيّد الأمين في «أعيان الشيعة» أكثر من مائة كتاب، منها: تذكرة الفقهاء، إرشاد الأذهان إلى أحكام الايمان، نهاية الإحكام في معرفة الأحكام، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، منتهى المطلب في تحقيق المذهب (ذكر فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه ورجّح ما يعتقده)، تحرير الأحكام الشرعية

على مذهب الإمامية، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول، تهذيب طريق الوصول إلى علم الأُصول، تبصرة المتعلّمين في أحكام الدين، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، نهج الإيمان في تفسير القرآن، القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة، القواعد والمقاصد في المنطق والطبيعي والإلهي، إيضاح التلبيس في كلام الرئيس (باحث فيه ابن سينا)، المطالب العلية في معرفة العربية، نهاية المرام في علم الكلام، الدرّ والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، شرح «مختصر» ابن الحاجب في أُصول الفقه، وصفه ابن حجر في «الدرر الكامنة» بأنّه في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه.

وذكر السيّد محسن الأمين العاملي: أنّ أوّل من قسّم الحديث إلى أقسامه المشهورة من علماء الإمامية هو العلّامة الحلّي. وقيل: إنّ أوّل من قسّم هو السيّد أحمد بن موسى بن طاووس (المتوفّى سنة ٦٧٣هـ) أُستاذ المترجم له.

وكان تقي الدين بن تيمية (المتوفّى سنة ٧٢٨هـ) من أشدّ المتحاملين على العلّامة، وصنّف في الردّ عليه كتاباً سمّاه «منهاج السنّة»، تورّط فيه بإنكار المسلّمات من فضائل أهل البيت عليهم السلام، وردّ الأحاديث الصحيحة الواردة في حقّهم، وملأه بالسباب والتقوّلات التي يبرأ منها شيعة أهل البيت عليهم السلام.

توفّي العلّامة في مدينة الحلّة في شهر محرّم الحرام سنة ستّ وعشرين وسبع مائة للهجرة، ونقل إلى النجف الأشرف، فدفن في حجرة عن يمين الداخل إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام من جهة الشمال، وقبره ظاهر مزور.

وله وصية إلى ولده محمّد أوردها في آخر كتابه «القواعد»، نقتطف منها هذه الشذرات: «عليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفعل ما يرضيه، واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه، وقطع زمانك في تحصيل الكمالات النفسانية، وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلمية، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهّال، وبذلك المعروف، ومساعدة الأُخوان، ومقابلة المسيء

بالإحسان والمحسن بالامتنان.. وعليك بحسن الخلق، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم»... وعليك بكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده: «تفقّه في الدين، فإنّ الفقهاء ورثة الأنبياء، وإنّ طالب العلم يستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض، حتّى الطير في جوّ السماء والحوت في البحر، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به»... وعليك بتلاوة القرآن العزيز، والتفكّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه، وتتبّع الأخبار النبوية والآثار المحمّدية، والبحث عن معانيها، واستقصاء النظر فيها».

ويعدّ كتاباه «تذكرة الفقهاء» و«منتهى المطلب» من أفضل ما أُلّف في حقل الفقه المقارن أو فقه الخلافيات. وعليه فقد طرق العلّامة باب التقريب الفقهي، ومن الظاهر أنّ التقريب الفقهي أرجح في التقريب بين المذاهب الإسلامية من بقية الطرق، كالدراسات الكلامية وغيرها. وهذا في الواقع مردّه إلى عدّة أسباب وعوامل:

الأوّل: أنّ المذاهب المعروفة بين المسلمين هي مذاهب فقهية، والفارق بينها هو الاختلاف في المسائل الفقهية، كالمذاهب الأربعة لأهل السنّة، فإنّها معنونة بأسامي أئمّتها الفقهاء الأربعة، وكذلك المذاهب الإمامية والزيدية والإباضية، فإنّها وإن اختلفت مع بعضها البعض وكذا مع المذاهب الأربعة في بعض المسائل الاعتقادية، إلّا أنّ الفروق المهمّة بينها هي فقهية، فالأحسن التركيز على على تقريب وجهات النظر بين أئمّة هذه المذاهب في صعيد الفقه والشريعة، وعدم الاهتمام بما عندهم من الخلاف في شيء من العقيدة، وأن لا تخرج في جملتها عن الأُصول القطعية التي يتمحور حولها الإيمان والكفر.

الثاني: أنّ الفقه أوسع العلوم الشرعية وأعمّها شمولاً لما احتاجت إليه الأُمّة في حياتها اليومية من: العبادة، والسياسة، والاقتصاد، وأحكام الأُسرة، والمكاسب، والمناكح، والمواريث، والمنازعات، والقصاص والديات، وسائر الأحكام المتعلّقة بالحياة الفردية والاجتماعية. وهذا أمر لا يُنكر. وانطلاقاً من تلك السعة والشمولية في المسائل الفقهية، فالحاجة إليها أشدّ، كما أنّ دائرة الخلاف فيها أوسع، فالسعي لتقريب وجهات النظر فيها

حاجة مُلحّة للأُمّة الإسلامية لا تجوز الغفلة عنها.

الثالث: وتبعاً لهذا التوسيع وشدّة الابتلاء فلسنا مبالغين لو ادّعينا أنّ للفقه دخلاً كبيراً في بناء الحضارة الإسلامية بل الإنسانية، فإنّ الحضارة هي مظهر الأعمال لكلّ أُمّة، والحضارة الإسلامية حصيلة عمل الإنسان المسلم طول حياته، وعمل المكلّف من المسلمين كما نعلم هو موضوع علم الفقه، فإذا كنّا نريد أن نحدّد حضارتنا الإسلامية ونقيمها على أُسس قويمة تساير أحوال المستقبل الحافل بأحداث أكثر وأكبر من الماضي، فيجب علينا أخذ طريق أقوم للوصول إلى المسائل الفقهية هو أشدّ واقعية وسدّاً للحاجات المقبلة.

الرابع: أنّ البحث الفقهي أخفّ حسّاسية من الأبحاث الكلامية والمحاورات الاعتقادية، فإنّ العقيدة نابعة من باطن الإنسان، وهي ماسّة بفكره ووجدانه وعواطفه وبواطنه، أمّا الأعمال فهي وإن مسّت الروح والفكر غير أنّ مجاريها هي الأعضاء في الشؤون الفردية، والجماعات في الشؤون الاجتماعية. فنحن حينما ندخل في مسألة فقهية لا نواجه الأرواح ولا نصادم العواطف ولا نخاطب القلوب لكي نثير الحسّاسيات، ومعلوم أنّ التصادم بين القلوب يدعو إلى التخاصم بينها وإلىٰ التنازع والعداء بين الأحباب.

الخامس: أنّ إشعاع المباحث الفقهية ووضوحها يدعو إلى انعزالها عن الفلسفات المعمّقة، وهذا بخلاف المباحث الكلامية، فإنّها شكّلت في أوج اشتعالها وشيوعها طائفة من المسائل العقلية التي خاضها المتكلّمون من كلّ مذهب، وخصوصاً ما طرحه المعتزلة، فإنّ فهمها وتقريرها للآخرين بدون الخوض في مسائل فلسفية مستحيل، ومن أجل ذلك انحصرت في حلقات المدارس، ولم تكن تبرز إلى الناس منها سوى العداء والخصومة من دون أن ينالوا حقيقتها. والمتكلّمون في الإسلام هم الذين اعتنقوا المذاهب الفلسفية قبل غيرها، والخوض في المسائل الكلامية أخرج العقيدة الصافية القرآنية عن إشعاعها وبساطتها إلى ظلمات من التفكير الديني، لا تفارق الفلسفة بما لها من شدّة الغموض وصعوبة الفهم. أمّا الفقه فيبحث عن الحاجات الماسّة بالحياة، وأدلّتها أيضاً واضحة لو

قيست بالمسائل الكلامية، ومن أجل ذلك عمّت فائدته بين الأنام وشاعت مدارسته بين الناس.

(انظر ترجمته في: مرآة الجنان ٤: ٢٠٨، رجال ابن داود: ٧٨، لسان الميزان ٢: ٢٦٠ و٣١٧، جامع الرواة ١: ٢٣٠، أمل الآمل ٢: ٨١ ـ ٨٥، منتهىٰ المقال ٢: ٤٧٥ ـ ٤٧٨، الفوائد الرضوية: ١٢٦ ـ ١٢٨، أعيان الشيعة ٥: ٣٩٦ ـ ٤٠٨، معجم المؤلّفين ٣: ٣٠٣ ـ ٣٠٤، موسوعة أعلام العلماء والأُدباء العرب والمسلمين ٧: ١٦٢ ـ ١٦٥، معجم الشعراء للجبوري ٢: ٨٣ ـ ٨٤، موسوعة طبقات الفقهاء ٨: ٧٧ ـ ٨٢، مشاهير فلاسفة المسلمين: ٢٨١ ـ ٢٩٠، تذكرة الأعيان: ٢٤٩ ـ ٢٦٧).

علي إبراهيم الغريفي

علي إبراهيم محسن عبد الله كمال الدين الغريفي النعيمي: عالم بحراني، وداعية تقريب. يتّصل نسبه بالسيّد إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى الكاظم عليه‌السلام.

وُلد في النجف الأشرف بالعراق في يوم ٢٥ رجب من سنة ١٣٢٧هـ الموافق لسنة ١٩٠٧م، وعاد إلى وطنه البحرين وله من العمر ١٤ سنة، وكان طالب علم، فواصل طلب العلوم والمعرفة في بلده البحرين، حيث تتلمذ على أيدي أفاضل العلماء المعروفين، منهم: الشيخ عبد الله محمّد صالح آل طعّان الستري، والسيّد عدنان الموسوي والد السيّد محمّد صالح الموسوي، والشيخ محمّد علي المدني، والشيخ عبد الحسين الحلي (المميّز)، وغيرهم من أجلّاء العلماء في البحرين، ثمّ هاجر إلى العراق للاستزادة من طلب العلم في حوزة النجف الأشرف الدينية، وكان ذلك عام ١٩٢٦م، حيث بقي هناك مدّة سبع سنوات، ثمّ رجع إلى البحرين في عام ١٩٣٣م. وكان يرغب أن يكون خطيباً حسينياً، ولكنّه لم يوفّق في امتهان الخطابة نظراً لميله الشديد إلى طلب العلوم الدينية.

لقد كان إمام جماعة يُصلّي بالناس في مسجد السيّد محمّد بمنطقة النعيم من المنامة في البحرين، وكان مأذوناً من قبل الجهات الشرعية في الدولة لإجراء عقود الزواج، حيث تزوّج على يديه عدد كبير من المواطنين وغير المواطنين في البحرين، وكان الناس يتبرّكون ويتفاءلون بالخير بعقده لقران أبنائهم وبناتهم.

ثمّ هاجر ثانية إلى العراق تحت ظروف خاصّة أجبرته على ترك وطنه البحرين في سنة ١٩٥٦م. وبعد اغتراب عن الأهل والوطن والأحباب دام أربع عشرة سنة عاد إلى البحرين في أواخر سنة ١٩٦٩م.

ولقد كان يحمل وكالات شرعية خاصّة من عدد من علماء الدين، وكان أبرزهم: آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني، وآية الله العظمى السيّد محسن الحكيم الطباطبائي (قُدّس سرّهما).

وكان ينظم الشعر، وله محاولات في هذا المجال، إذ نظم قصائد في مدح ورثاء أجداده المطهّرين عليهم السلام، فهذه المحاولات أكسبته بعداً طيّباً في تقديم ما أمكنه تقديمه لخدمة الدين وحماته ومعتنقيه. ومن شعره قوله:

وقام لي في سماء العزّ أربعة ... ملك وأهل وأسوار وأوطان

وما عدا ساحتي والحقّ أربعة ... جند وخيل وأنصار وأعوان

وأقلقني لخير الرسل أربعة ... حبّ وودّ وإخلاص وإيمان

وطالبتني إلى المختار أربعة ... حمد ومدح وآداب وعرفان

منه أضاءت على الأيّام أربعة ... نجم وشمس وأقمار وقرآن

وساعدته من الجبّار أربعة ... حفظ ونصر وتأييد وغفران

وكلّمته بإذن الله أربعة ... ضبّ وديك وثعبان وغزلان

منه استقامت لنا في الدهر أربعة ... عدل ودين وإسرار وإعلان

وهل في ثغرة الدرّي أربعة ... درّ وشهد وياقوت ومرجان

وعنه ولّت من الأقوام أربعة ... نفل وقلب وخنزير وشيطان

خير النبيّين حارت فيه أربعة ... أنس وجنّ وأملاك وولدان

من نور غرّته تفتّق أربعة ... برق ولمع وإشراق ولمعان

خلّف من الأولاد عشرة، وهم: محمّد حسن، كمال الدين، إبراهيم، سلمان، جعفر، جلال، عبّاس، صادق، رضا، حيدر، وأحمد. فأمّا الأول والثاني والثالث فأُمّهم بنت السيّد سلمان محمّد الفريضي، وأمّا الرابع والخامس فأُمّهم بنت الحاجّ يوسف الإسكافي،

والخمسة الآخرون فأُمّهم بنت الشيخ جعفر الساعدي من النجف الأشرف بالعراق. أمّا أعمالهم: فمحمّد حسن كمال الدين عمل دبلوماسياً بوزارة الخارجية بدولة البحرين، وكان قنصلاً عامّاً للبحرين في بومبي بالهند، ويعمل الآن في التجارة، وإبراهيم يعمل صيدلانياً، وسلمان يتعاطى الأعمال الحرّة، وجعفر وجلال وعبّاس ورضا وحيدر موظّفون بالدولة، وصادق وأحمد خطيبان حسينيان.

انتقل الغريفي إلى جوار ربّه في ٣ / محرّم / ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، ودفن في مقبرة الحورة في المنامة.

يقول عنه الأُستاذ علي محمّد المهدي: «هو عالم جليل وقور يتمتّع بشخصية إيمانية محبّبة، لها قيمتها ولها وزنها في المجتمع البحريني المسلم، وله الفضل في إصلاح ذات البين في وطنه البحرين وبين أهله وبني قومه أبناء هذا البلد.. كان يجمع بين وظيفته الدينية كعالم ديني له مكانته في الأوساط الإسلامية، وبين الإصلاح بين الناس والمناداة لخدمة الوطن والمواطنين وجمع الأُمّة على وحدة الكلمة والهدف، ونبذ الفرقة والخلاف بين أبناء الشعب الواحد في الوطن العربي الواحد».

ولقد نادى باتّحاد الكلمة، وله الدور في بزوغ فجر الحركة الوطنية وتحقيق التعاون بين السنّة والشيعة، وذلك في سنة ١٩٥٤م لمقاومة ظلم الاستعمار الإنجليزي وسياسة «فرّق تسد».

كان من زعماء هيئة الاتّحاد الوطني، وأُبعد من البحرين إلى النجف الأشرف سنة ١٩٥٦م.

ومن زملائه من المذهبين السنّي والشيعي في الهيئة المذكورة: عبد العزيز الشملان، وعبد علي العليوات، وإبراهيم فخرو، وإبراهيم موسى، وعبد الرحمان الباكر صاحب كتاب «من البحرين إلى المنفى سانت هيلانة».

ومن أقواله: «من حيث المبدأ.. الله والتأريخ شاهدان على ما أقول: إنّ السنّة والشيعة في البحرين هما عينا هذا الوطن، وجناحه الذي يحلّق بينهما، وهي حقيقة لا مناص من التهرّب منها.. وهذا الوطن الذي يجب أن يكون، وهذا هو الوطن الذي يجب أن يعيش».

ويقول أيضاً: «الطائفية حجاب بين العبد وربّه!».

(انظر ترجمته في: علماء البحرين: ٥١٣، شخصيات من الخليج: ٤٥٤ ـ ٤٥٨).

علي إسماعيل المؤيّد

علي بن إسماعيل بن عبدالله المؤيّد الصنعاني: فقيه يمني زيدي، أحد المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

ولد في اليمن سنة ١٣٢٩ هـ، وتوفّي بمصر سنة ١٣٩٠ هـ.

من مؤلّفاته «رأب الصدع شرح أمالي الإمام أحمد بن عيسىٰ بن زيد الشهيد» الذي نشرته دار النفائس في بيروت سنة ١٩٩٠ م (طبعة أُولى) في ثلاثة مجلّدات، كما له بعض التحقيقات، كتحقيق كتاب «ملوك حمير وأقيال اليمن» بالاشتراك مع القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، وكتاب «مدائح إلهية» بالاشتراك مع القاضي المذكور، وكتاب «مبيّتات وموشّحات» بالاشتراك أيضاً مع القاضي المذكور.

وقد كانت دراسة المؤيّد في جامع صنعاء والمدرسة العلمية بها، حتّىٰ عيّن مديراً في تلك المدرسة، ثمّ معتمداً لوزارة المعارف وأحد معاوني الوزير، وعُيّن كذلك وزيراً للمفوّضية اليمنية بمصر ومندوباً لليمن في جامعة الدول العربية عند تأسيسها سنة ١٩٤٦م.

وقد كان له نشاط ديني وأدبي في القاهرة، جعل له مكانة مرموقة لدىٰ العلماء ورجال السياسة في مصر قبل وبعد الثورة المصرية، وكان من رجال التقريب المخلصين.

(انظر ترجمته في: تراث الزيدية: ١١٠ و١٥٥ و١٧٧ و٢٨٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

علي أصغر الأوحدي

الشيخ علي أصغر (حسين) بن علي الأوحدي: داعية من دعاة التقريب، والمعاون الثقافي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد بالنجف سنة ١٩٤٥ م، ودرج في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وتعلّم

المقدّمات والسطوح على أساتذتها ، والتحق بدرس الخارج عند السيّد الخوئي والسيّد الشهيد الصدر ، وتخرّج من كلّية الفقه في النجف ، وكان من المخلصين والمقرّبين للسيّد الشهيد ؛ لما يتمتّع به من ذكاء وفطنة وحسن إدارة ونشاط ، فتحمّل بعض المسؤوليات الاجتماعية والتربوية من قبل أُستاذه. وكان مهتمّاً بالقضايا الاجتماعية والسياسية للطلبة الوافدين على دراسة العلوم الدينية وملمّاً بشؤونهم العلمية والأخلاقية وموجّهاً لهم في حياتهم الدراسية .

انتقل إلى قم بعد اضطهاد البعث للحوزة واستقرّ فيها حتّى انتصار الثورة الإسلامية ، وبعد ذلك قام بدور كبير مساعد للثورة في مجال الحرب تارة ومجال الثقافة والتوعية أُخرى. ويعدّ من الوجوه النشطة على صعيد الخدمات الثقافية في طهران.

له عدّة مؤلّفات ضمن سلاسل تعليمية ، منها : مجموعة دروس حول النظام الاقتصادي الإسلامي ، النظام السياسي في الإسلام، تاريخ الإسلام ، نظام الاجتهاد في الإسلام ، أُصول العقائد الإسلامية .

(انظر ترجمته في : تلامذة الشهيد الصدر : ١٩٦ ـ ١٩٧ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١ : ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني

أكبر بن علي الهاشمي الرفسنجاني : رجل دين وسياسي إيراني محنّك ومشهور ، وداعية تقريب .

ولد في سنة ١٩٣٤م (١٣١٣هـ ش) في قرية نائية من قرى مدينة رفسنجان (التابعة لكرمان) تدعى «بهرامان».

وكان والده رجل دين يبذل جهده ليوفّر احتياجات عائلته ، وبما أنّ أباه قد درس العلوم الدينية بصورة مبسّطة ، وكان له علم بالقرآن والمعارف الإسلامية ، لهذا أصبحت عائلة الهاشمي مرجعاً في المسائل الدينية لأهالي تلك المنطقة .

قد بدأ الشيخ دورسه في سنّ الخامسة عند رجل ديني في أحد الكتاتيب ، وعندما بلغ

التاسعة من عمره كان يساعد والده في أعمال الزراعة بالإضافة إلى الدراسة، ثمّ رحل في سنة ١٩٤٨م إلى مدينة قم لمتابعة دراسته للعلوم الدينية بتعليم دروس فروع الآداب ودروس السطح (المرحلة ما قبل البحوث العالية) على نفس طريقة الحوزة، ثمّ تابع الدارسة على مستوى الخارج عند الأساتذة المعروفين في حوزة قم العلمية في ذلك الوقت، وخاصّة: سماحة الإمام الخميني، وآية الله البروجردي، والعلّامة الطباطبائي، وحاز على رتبة علمية عالية.

في سنة ١٩٥٧م (١٣٣٦هـ ش) قام بالتعاون مع الشهيد الشيخ محمّد جواد باهنر رئيس وزراء إيران وعدد من أصدقائه بتأسيس دار نشر بعنوان: «مذهب التشيّع» التي أصدرت سبع نشرات سنوياً.

ولقد اعتقل مرّات عديدة من قبل أزلام الشاه، وفي آخر سنة ١٩٧٥م (١٣٥٤ هـ. ش) اعتقل للقيام بجهود فعّالة، فأمضى ثلاث سنوات في السجن متحمّلاً التعذيب فيها حتّى أُطلق سراحه ببركة نضال الشعب المسلم في إيران قبل ثلاثة أشهر من انتصار الثورة الإسلامية.

وقد أصبح رئيساً للجمهورية الإسلامية في سنة ١٩٨٩م حتّى سنة ١٩٩٧م، والآن يعمل رئيساً لمجمع تشخيص مصلحة النظام، ورئيساً لمجلس الخبراء.

من مؤلّفاته: سركذشت فلسطين (تاريخ فلسطين أو صحيفة الاستعمار السوداء) (ترجمه من العربية إلى الفارسية، وهو من تأليف أكرم زعيتر)، أمير كبير قهرمان مبارزة با استعمار (أمير كبير بطل النضال ضدّ الاستعمار)، جهان در عصر بعثت (العالم في عصر البعثة)، تفسير راهنما (التفسير المرشد) (بالمشاركة).

قال في حفل افتتاح المؤتمر الدولي السابع عشر للوحدة الإسلامية بطهران: «ماذا نستطيع أن نعمله حالياً؟ من أين يجب أن نبدأ؟ من حسن الحظّ باتت آليات العمل معروفة إلى حدّ ما في يومنا هذا بأن نقدر أو لا نقدر، أنا أعتقد بقوّة بأنّنا نستطيع، ولكنّ الأمر ليس سهلاً، فالساحة صعبة، لكنّنا لو جهّزنا وأعددنا المصادر ولوازم العمل سيمنحنا الله البركة.

فالله قد أوعدنا وقطع على نفسه لو تحرّكنا في سبيله فإنّه سيثبّت أقدامنا ويحالفنا النجاح، إنّنا نؤمن بهذه الدعوة، وكانت لنا تجارب في هذا الجانب.. فإذا عمل المسلمون بصدق منحهم الله التوفيق. يجب أوّلاً أن نزيل العناصر السلبية عن طريقنا، وإنّ إحدى الرسائل الملقاة على عاتق هذا الجمع تتمثّل في إزالة عناصر التفرقة، ونحن نمتلك كافّة هذه الإمكانات.

من المعلوم أنّ البلد الإسلامي مهما كان كبيراً لا يستطيع الانتصار لوحده أمام الاستكبار المتّحد، لكن لو تضامنّا ستتضاعف جهودنا جدّاً وتزداد وسنوفّق. إنّكم ترون ما لديهم من خطط لبثّ الخلاف.. وفي مجتمعاتنا نجد ما يؤسف له من عدم قلّة المخدوعين ممّن يعلمون على بثّ الخلاف بشأن الأقاويل التي لا قيمة لها، فيضربون بذلك المبادئ القيّمة عرض الحائط، فنلاحظ نماذج ذلك، وكان الوضع على هذه الشاكلة منذ القدم.. لقد شاهدتم في بلدانكم ونحن شاهدنا في إيران بأنّ البريطانيّين والاستعمار بشكل عامّ قد مارسوا في القديم أساليب التفرقة، وما زالوا يمارسون ذلك، وهناك البعض من الأفراد ينفّذون رغبتهم. وتارة يعمل المثيرون للخلاف بنوايا حسنة ولا يدركون عواقب أعمالهم! إحدى الأعمال التي يمكنكم ـ أيّها السادة وخاصّة الشخصيات الدينية ـ القيام بها هي تأكيدكم الجادّ ومنعكم للعوامل المثيرة للتفرقة. إذاً نحن لا نستطيع دون تحقيق الوحدة بيننا (لا يمكن بلوغ الوحدة بشكل كامل، لكن يمكن تحقيق الوحدة النسبية)، وإلّا سنتخلّف ويفلح العدوّ.

فمن أجل بلوغ هذه الأهداف لعلّ الخطوة الإيجابية الأُولى التي يجب أن نخطوها هي إيجاد موجة الصحوة، ونعمل نحو توعية الشعب وإيقاضه ونتحدث ثمّ عن قيمة استقلال العالم الإسلامي، ونتحدّث لهم عن خطر هيمنة الكفر ومضارّها، ونوضّح الخسائر التي أُلحقت بالعالم الإسلامي في القورن الأخيرة، ونقولها لهم، وليس الأمر صعباً جدّاً، وهناك نماذج كثيرة لذلك، عندما نتحدّث في أيّ بلد حول هذا الموضوع وبأيّة لغة نجد مصاديق واضحة، لذلك يمكن أن نتحدّث عنها للناس. والحمد لله يمكن ملاحظة موجة من الصحوة

في رحاب عقود من الجهاد الفكري، لدينا حالياً نماذج جيّدة في العالم نشير إلى البعض منها. يجب علينا أن نقوّي ذلك، وأن نعمل على إيجاد رغبة الشعب، فلو أُوجدت رغبة الشعب فعندها ستتابعها الحكومات.

هناك واقع، وهو أنّ معظم الحكومات الموجودة في العالم الإسلامي لا يرجّح فيها الإسلام وقوّة المسلمين والوحدة الإسلامية، وإنّ الشيء المهمّ يتمثّل في حكم الأحزاب والمجموعات والأفراد أو في أحسن الحالات يكون الاهتمام ببلدهم فقط.

ولكن لا بدّ من وجود هدف مقدّس، وهو التنسيق بين بلدان العالم الإسلامي لعزّة الإسلام وعظمته واكتساب الموقع المناسب له في عالم اليوم، فهل تمّ إدراج هذا الموضوع في جدول أعمال حكومات البلدان الإسلامية؟ فلو كان مدرجاً يجب أن نهنّئكم بذلك، لكنّنا نجد البعض غير مبالٍ بهذا الشيء، فلو عملنا على تقوية رغبة الشعوب في هذا المجال، ودعوتها إلى الإعلان عن مطاليبها لحكوماتها للاهتمام بالإسلام والأُمّة الإسلامية فإنّنا نكون بذلك كما أعتقد قد خطونا خطوة كبيرة، ثمّ ستتّخذ القرارات والبرامج سبيلها بعد ذلك في الانتخابات وتعيين الإرادات، وأجد من المستبعد جدّاً أن نتمكّن من بلوغ تآزر الحكومات نحو الإسلام والأُمّة الواحدة دون وجود رغبة الشعوب.

حسناً، إذا كان حقّاً أن تلقي علينا الصحوة الإسلامية التي تكون قد بدأت واجباً مهمّاً للعمل نحو تقويتها، وقد تشكّل القوى العلمية والثقافية والدينية في العالم الإسلامي الطليعة لهذا العمل، وينبغي عليها أن تتحرّك، فمن حسن الحظّ أنّ مثل هذه القوى غير قليلة في العالم الإسلامي، بل هي كثيرة، وتعليمها ليس صعباً. فالاستكبار قد وسّع دائرة الاتّصالات العالمية، فهل نستطيع نحن أن نستفيد من هذه الاتّصالات العالمية نحو خدمة أهدافنا؟ لقد خلقوا (أُولئك) هذا الضعف، لكنّنا نحن نستطيع أن نستفيد بشكل كامل ونعيد الأمر عليهم، فهذا الموضوع يجب أن يكون ضمن قرارات هذا المؤتمر. فلو كنّا نستطيع التوصّل إلى هذه النظرية واتّخاذ قرار موحّد، ولو كنّا نعمل نحو تقوية الصحوة الإسلامية، وإذا كنّا نتمكّن من إيجاد التفاهم بين الدول والقوى عبر الشعوب على المحور الإسلامي، وإذا كنّا نطرح

الحقائق للشعوب بشكل صريح ، فإنّ طريقنا كما اعتقد سيواجهه أقلّ. إنّنا نستطيع التقدّم ولا نحتاج إلى وقت طويل ، فالحديث حالياً لا يدور عن حول عشرات أو مئات السنين ، فالتاريخ يتصفّح بسرعة ، والكلام يدور حول عدد من السنين للتوصّل إلى محطّة. فالعقبة الأكبر الموجودة أمامنا تتمثّل بالاستكبار نفسه. إنّهم لديهم القوّة والإمكانات للنفوذ والمصالح .. إنّهم لا يرغبون بحصول مثل هذا الشيء ، فهل يجب علينا أن نركع هنا ونقول : لا يمكن القيام بشيء ؛ لأنّ القضية قضية القبضة والسندان ، ولا نستطيع التحرّك أمام هذه القوى ؟!».

(انظر ترجمته في : المفسّرون للأيازي : ٢٦١ ـ ٢٦٧ ، ملحق موسوعة السياسة : ٣٦٥ و٤١٣ ، موسوعة الأعلام ٤ : ٢٩٧).

علي جمعة

علي جمعة محمّد : مفتي الديار المصرية ، وداعية وحدة معروف.

حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م ، وعلى الإجازة العالية (الليسانس) من كلّية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧٩م ، والماجستير في أُصول الفقه من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٨٥م بتقدير ممتاز ، ونال الدكتوراه في أُصول الفقه من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٨٨م مع مرتبة الشرف الأُولى.

كما أنّه حاصل على أعلى الأسانيد في العلوم الشرعية ، والإجازات من علماء في العلوم الشرعية في الفقه والحديث والأُصول وعلوم العربية.

من المناصب التي شغلها : مفتي جمهورية مصر العربية منذ عام ٢٠٠٣م وحتّى الآن ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف منذ عام ٢٠٠٤ م وحتّى الآن ، وعضو مجمع الفقه التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلامي بجدّة ، وأُستاذ أُصول الفقه بكلّية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر ، وعضو مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند ، وعضو المجلس الاستشاري الأعلى لمؤسّسة طابة ـ أبو ظبي ، وعضو

الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران.

وقد ناقش وأشرف على أكثر من ٧٠ رسالة علمية في جامعات شتّى، واشترك في وضع مناهج كلّية الشريعة بسلطنة عمان حتّى افتتاح الكلّية المذكورة، وشارك في الافتتاح كعضو مؤسّس، واشترك في وضع مناهج جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية (SISS) بواشنطن، ومثّل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وشارك في محاضراتها الثقافية وفي تقويم الأساتذة المساعدين والمدرّسين في لجان ترقياتهم، وعيّن مشرفاً مشاركاً بجامعة أُكسفورد بمنطقة الشرق الأوسط في الدراسات الإسلامية والعربية، وشارك كخبير بمجمع اللغة العربية في إعداد موسوعة مصطلحات الأُصول الصادرة عن المجمع، وهو خبير به حتّى الآن، وعيّن مشرفاً مشاركاً بجامعة هارفارد بمصر قسم الدراسات الشرقية، وشارك في فحص النتاج العلمي للترقية إلى درجة أُستاذ أو أُستاذ مشارك لكثير من جامعات العالم، وحضر عدداً من المؤتمرات العلمية (أكثر من مائة مؤتمر علمي)، وقدّم لها أبحاثاً في أكثر من ثلاثين دولة في العالم.

من مؤلّفاته: المصطلح الأُصولي والتطبيق على تعريف القياس، والحكم الشرعي عند الأُصوليّين، وأثر ذهاب المحلّ في الحكم، والمدخل لدراسة المذاهب الفقهية الإسلامية، وعلاقة أُصول الفقه بالفلسفة، ومدىٰ حجّية الرؤىٰ، والنسخ عند الأُصوليّين، والإجماع عند الأُصوليّين، وآليات الاجتهاد، والإمام البخاري، والإمام الشافعي ومدرسته الفقهية، والأوامر والنواهي، والقياس عند الأُصوليّين، وتعارض الأقيسة، وقول الصحابي، والمكاييل والموازين، والطريق إلى التراث، والكلم الطيّب.. فتاوى عصرية، والدين والحياة.. فتاوى معاصرة، والجهاد في الإسلام، وشرح تعريف القياس، وسمات العصر.. رؤية مهتمّ، وسيّدنا محمّد رسول الله للعالمين، والفتوى ودار الإفتاء المصرية، وفتاوى الإمام محمّد عبده (اعتنى بجمعه واختياره وقدّم له)، وحقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين (بالاشتراك)، وقضية تجديد أُصول الفقه، وصناعة الإفتاء من مجموعة «سلسلة التنوير الإسلامي»، والتجربة المصرية من مجموعة «سلسلة التنوير الإسلامي»،

ومكانة المرأة في الفقه الإسلامي من مجموعة «سلسلة التنوير الإسلامي»، والمرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر، وقضايا المرأة في الفقه الإسلامي، والمرأة في الحضارة الإسلامية، وتيسير النهج في شرح مناسك الحجّ، والنبي ﷺ، والطريق إلى الله، والوحي (القرآن الكريم).

كما قام بالإشراف على بعض الموسوعات الإسلامية، والتي صدرت جميعها عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، منها: الموسوعة الإسلامية العامّة، والموسوعة القرآنية المتخصّصة، وموسوعة علوم الحديث، وموسوعة أعلام الفكر الإسلامي، وموسوعة الحضارة الإسلامية.

ومن الكتب التي قام بتحقيقها: «رياض الصالحين» للإمام النووي، و«جوهرة التوحيد» للباجوري، و«شرح ألفية السيرة» للأجهوري، و«الفروق» للقرافي، و«المقارنات التشريعية» لمخلوف المنياوي، و«المقارنات التشريعية» لعبد الله حسين التيدي، و«التجريد في مقارنة الفقه الحنفي والشافعي» للقدّوري.

وقد شارك في تحرير بعض المجلّات العلمية، كمجلّة «الاقتصاد الإسلامي» بمركز صالح كامل «سكرتيراً للتحرير»، ومجلّة رابطة الجامعات العربية «الشريعة» الصادرة عن جامعة الأزهر، ومجلّة «المسلم المعاصر»، ومجلّة «التجديد، ومجلّة «إسلامية المعرفة»، ومجلّة «كلّية الدراسات الإسلامية والعربية.

وبخصوص المؤتمرات المشتركة بين المذاهب يقول الشيخ: «إنّ المؤتمرات مستمرّة واللقاءات مستمرّة والتطوّر مستمرّ، فحين بدأنا التقريب منذ ستّين عاماً كانت الأوضاع مختلفة تماماً، موسى جار الله والشيعة في الردّ على دين الشيعة إلى آخره، لكنّ الأمر اختلف الآن، ونشأ هذا التقريب على مدى ستّين عاماً، فحين أذهب إلى مجمع الفقه في جدّة فأجد فضيلة سماحة آية الله محمّد علي التسخيري من علماء الشيعة الأفاضل الكبار، يحفظ الشعر العربي والأدب العربي والأمثال العربية، ويتحدّث العربية في روعة وإبداع وطلاقة لا نظير لها، وهو رجل سمح له أخلاق طيّبة، ويجلس ويناقش بمنهج وبعمق

شديدين، ونتّفق ونختلف أيضاً ونتعاون، وهذا كان من المستحيل أن يحدث من ستّين عاماً. وعلى الطرف الآخر من المنصّة الشيخ أحمد الخليلي مفتي عمان الأباضي، وهل كان هذا يمكن أن يتصوّر من قبل أن يجلس مفتي مصر مع مفتي الأباضية وأمامهما مفتي الشيعة؟! هذا الكلام كان لا يمكن أن نتصوّره منذ ستّين سنة».

وفيما يتعلّق برأيه في إمكانية الوفاق بين السنّة والشيعة قال: «ألف في المائة! لأنّه ليست هناك أيّ عوائق تمنع من هذا الوفاق، وهناك مسيرة ونجاحات في هذا الوفاق، وهناك أفهام خاطئة لا تدرك إلّا التاريخ، تريد أن تسحبنا إليه، ولكن هيهات، فنحن أُمّة إسلامية واحدة تتمسّك بوحدة الصفّ والسماحة والعدل والقيم الإسلامية».

علي الجندي

علي بن السيّد الجندي: شاعر مصري من علماء الأدب، وأحد الدعاة إلى الوحدة، ورئيس تحرير مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية لفترة من الزمن.

ولد في شندويل (بسوهاج) سنة ١٨٩٨م، وتخرّج بكلّية دار العلوم في القاهرة سنة ١٩٢٥م، بعد أن حصل على الثانوية الأزهرية، وصار عميداً لها سنة ١٩٥٠م حتّى سنة ١٩٥٨م، وهو من أعضاء المجمع اللغوي سنة ١٩٦٩م، ولجنة الشعر في مجلس الفنون والآداب بمصر. وعمل في التدريس، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٩٧٣م.

له خمسة دواوين شعرية، ونحو ثلاثين مؤلّفاً في الأدب، منها المطبوعات الآتية: أغاريد السحر (شعر)، وألحان الأصيل (شعر)، وترانيم الليل (شعر)، وشعر الحرب، وفنّ التشبيه، وأدب الربيع، وخمسة أيّام في دمشق الفيحاء، وسياسة النساء، والبلاغة الفنية، والشعراء وإنشاد الشعر. وطبع له بعد وفاته «مناهل الصفاء للنفوس الظماء».

يقول من مقالة له في مجلّة «رسالة الإسلام»: «يصدر هذا العدد من مجلّة «رسالة الإسلام» وقد أتمّت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية منذ تأسيسها خمسة وعشرين عاماً من عمرها المديد بإذن الله، في خدمة المسلمين، وجمع كلمتهم، والتوحيد بين صفوفهم. ومن حقّها في هذه المناسبة الكريمة أن تحتفل بما يسمّى: العيد الفضّي، كما تفعل

الجمعيات والجماعات، ولو احتفلت لم يكن في احتفالها بذلك ما يعاب، ولجرت مع العرف المتّبع لدى الناس. لكن الجماعة رأت أن تعدل عن هذه الصورة؛ لأنّها منذ نشأتها لم تحفل بهذه التشكيلات، التي هي في الأعمّ الأغلب خداع للأبصار، وانصراف عن الجدّية، ومنذ نشأتها ووكد رجالها إفناء ذواتهم في العمل الصامت الدائب، لرفع شأن المسلمين، وبثّ روح المودّة والتراحم بين طوائفهم، ولمّ شملهم، وإزالة ما قد يكون بينهم من نزاع: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢).

لقد كان أوّل من دعا إلى تأليف هذه الجماعة العالم الحجّة المجتهد الأُستاذ محمّد تقي القمّي منذ قدم مصر في أوائل الأربعينيات، والتقى بصفوة رجالها وخيرة مفكّريها الإسلاميّين، وكان التقريب بين الطوائف الإسلامية شغله الشاغل، عاش معه، وحمل لوائه، وجاهد في سبيله، وبذل ما يملك من قوّة مادّية ومعنوية في الدعوة إليه، والتعريف به، وجمع السادة الأعلام من علماء السنّة والشيعة على كلمته. وما زال (أبقاه الله للمسلمين)، يرعى فكرته، ويتعهّد غرسه، ويوفّر إقامته وأسفاره على كلّ ما يحقّق أهداف التقريب، ويكسب النجاح لدعوته.

ويمكننا أن ندرك مبلغ هذا النجاح ونقدّره قدره، إذا عرفنا أنّ هذه الدعوة المؤمنة الصحيحة قوبلت في مطلعها ممّن لم تحسن نواياهم بالعداوة والبغضاء، ورميت منهم ورمى المقبلون عليها بالتهم والظنون، وتألّب عليها الفريقان اللذان يراد التقريب بينهما وتبصير كلّ منهما بحقيقة الآخر وما يكنّ لصاحبه من أُخوّة ومودّة. فقد تشكّك السنّيون في دعوة يعنى بها ويقوم على أمرها شيعي، وتشكّك الشيعيّون في دعوة يحيط بالداعي الشيعي إليها سنّيون، يفرض أنّهم أعداء الشيعة وأبعد الناس عن القول بما يقولون!

لقد كان ذلك من عجائب الأُمور، وكان حرياً أن يميت الدعوة في مهدها، ويحول بينها وبين الوصول إلى أفئدة المسلمين، لكنّ الجماعة خرجت على الناس منذ نشأت سافرة مسفرة صريحة ناصعة، باطنها كظاهرها، وسرّها كعلانيتها، وليلها كنهارها، وسارت في طريقها المستقيمة، بعيدة عن الإعلانات الشخصية وعن الدعاية أو الزلفى لكائن من الناس

مهما يكن شأنه: ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ (سورة يوسف: ١٠٨)، وكان لذلك كلّه أثره الفعّال في نفوس المخلصين من المؤمنين الحريصين على تعريف المسلمين بما صنعه أعدائهم، ووضع الحقائق أمام أعينهم، ليتصوّروا حال أنفسهم، وما صاروا إليه من تفرّق أدّى بهم إلى حضيض الشقاء، فيعملوا على ما يخلّصهم ممّا انزلقوا إليه.

ومن أجل هذا المنهج الذي التزمته الجماعة، منذ أعلنت إلى العالم الإسلامي بيانها الذي أقرّته في أوّل جلسة عقدتها، في ظلّ الإسلام وتحت راية القرآن، وهو البيان الذي نشرته هذه المجلّة في أوّل عدد أصدرته من ربع قرن مضى، من أجل هذا المنهج أقبل أنصار التقريب أفواجاً على دعوته البريئة المبرّأة، وانحاز إليها جمهرة من كبار العلماء وأعلام أهل الرأي والمفكّرين من أهل السنّة ومن الشيعة الإمامية والزيدية، من كلّ بلد يدين أهله بالحنيفية السمحة.

ولعلّ من أكبر عوامل نجاح الدعوة ما عرفه الفريقان: السنيّون، والشيعيّون، من أنّه لا يوجد سبب للتفرقة بين الأُخوّة المسلمين، فهم جميعاً يؤمنون بالله ربّاً، وبأُصول الإسلام التي لا يسع مسلماً إنكارها، وأنّه لا خلاف بينهم إلّا في الفروع الفقهية التي لا بدّ من وقوع الاختلاف فيها، حتّى في المذهب الواحد عند أحد الفريقين، وهو خلاف توسّع ورحمة.

أمّا بعد: فلقد كان التقريب أُمنية غالية عزيزة، يتطلّع إليها خاصّة الأُمّة منذ القديم في شوق ولهفة؛ لجمع كلمة المسلمين الذين جاء دينهم بالوحدة وبالتوحيد: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٥).

ولعلّ في متابعة الدعوة إلى التقريب والحفاظ عليها وتحقيق أغراضها وتبصير المسلمين بها في كلّ مناسبة، ما يعدّ أعظم احتفال بعيدها الحالي، وبكلّ عيد يجيء بعد إن شاء الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: ٨٨)».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٣، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤١٩، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٤١٤).

علي الخامنئي

السيّد علي جواد الخامنئي : قائد ومرشد الجمهورية الإسلامية في إيران ، وأحد أبرز رجالات العلم والفكر والسياسة في العالم الإسلامي .

ولد عام ١٩٣٩ م في مدينة مشهد المقدّسة وسط عائلة دينية ، فوالده المرحوم حجّة الإسلام الحاجّ السيّد جواد خامنئي كان من العلماء المتّقين والزهّاد في مدينة مشهد المقدّسة ، ووالدته بنت حجّة الإسلام السيّد هاشم نجف آبادي .

أتمّ دراسته الابتدائية هناك ، ثمّ تتلمذ على يد أساتذة كبار ، منهم : آية الله الميلاني ، وآية الله الحاجّ الشيخ هاشم القزويني . وواصل دراسته على مستوى البحث الخارج لمدّة عامين في مدينة مشهد . زار مدينة النجف الأشرف عام ١٩٥٧ م ، وعاد إلى وطنه بعد فترة قصيرة . وتوجّه إلى مدينة قم في عام ١٩٥٨ م ، ودرس على يد الإمام الخميني ﷺ علوم الفقه والأُصول ، وكان مع الإمام ﷺ خلال انتفاضته الكبرىٰ في الخامس عشر من شهر خرداد ، وقَبِل المهام الصعبة التي أُولت إليه بعزم وصلابة .

عاد إلى مدينة مشهد المقدّسة عام ١٩٦٤ م ، وكان مطارداً باستمرار من قبل جهاز (السافاك) وعملاء الشاه المقبور ، ولكنّه واصل تدريس الفقه والأُصول في مشهد رغم جميع التهديدات التي وجّهها النظام البائد له .

إنّ مهارته في تدريس نهج البلاغة والتفسير أدّت إلى إقبال فئات الشعب المختلفة خاصّة الشباب على حضور مجالس بحثه ، ولقد كان ـ ولا يزال ـ في طليعة الثوريّين .

اعتقل ستّ مرّات خلال الأعوام (١٩٦٤ م ـ ١٩٧٨ م) ، وكانت الزنزانات الانفرادية مقرّه في السجون ، ونفي عام ١٩٧٧ م إلى مدينة إيران شهر ، ومن ثمّ إلى جيرفت ، وكان دائماً مراقباً ومهدّداً من قبل السافاك .

وخلال تصاعد حركة الثورة الإسلامية الشعبية في إيران دُعي لعضوية مجلس قيادة الثورة الإسلامية من قبل الشهيد آية الله المطهّري ، وكذلك من قبل سماحة الإمام الخميني ﷺ .

واصل خدماته الثورية بعد انتصار الثورة الإسلامية كعضو في مجلس قيادة الثـورة، وفي قطاعات ثورية أُخرى، وأُنيطت به مهامّ عديدة، منها: قيادة الثورة في وزارة الدفـاع، وقيادة قوّات حرس الثورة الإسلامية، وممثّلية الإمـام ﷺ فـي مـجلس الدفـاع الأعـلى، وممثّلية أهالي طهران في مجلس الشورىٰ الإسلامي، وإمامة جمعة طهران.

انتخب أميناً عامّاً للحزب الجمهوري بأغلبية الأصوات، وانتخب بعد حـصوله عـلى أغلبية أصوات الشعب التي بلغت ١٦٠٠٨٥٧٩ صوتاً في حينها لمنصب رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبعد انتهاء فترة رئاسة الجمهورية انتخب مرّة ثانية للـرئاسة، وقـبل انتهاء هذه الفترة الأخيرة انتخب قائداً للجمهورية الإسلامية بعد رحيل الإمام الخميني ﷺ، فأصبح ولي أمر المسلمين. وهو متزوّج، وله أربعة أبناء.

وقد لبس لباس الميدان الحربي منذ بداية الحرب العراقية على الجمهورية الإسلامية، ودخل الجبهات متنقّلاً فيها؛ لتعزيز معنويات المقاتلين، وحلّ مشاكلهم المعنوية والمادّية والعسكرية، وعلم على تنسيق القوّات المسلّحة خلال عمله كعضو فـي مـجلس الدفـاع الأعلى.

نجا السيّد من محاولة اغتيال استهدفت حياته في أحد المساجد في طـهران بـتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٨١ م، وأُصيب بجراح، دخل على أثرها المستشفى.

والسيّد القائد الخامنئي من روّاد التقريب، وهو مؤسّس مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، وله في مجال الوحدة والتقريب خطابات ونداءات وكتابات. نقتطف شـذرات منها:

ـ «اليوم يحتاج البشر إلى العودة للتوحيد الخـالص وقـانون العـدالة الإسـلامية. إنّ العلاج الذي قدّمه الإسلام للبشرية لضمان العدالة هـو قـانون: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، وهي دعوة إلى التقوىٰ والورع ونبذ بذور التـمييز بـين البشر على أساس القومية والعرق والدم واللون وما شابه ذلك.

ولاتزال الدول المتقدّمة في العالم والمتطوّرة من الناحية المادّية تـعاني مـن مسـألة

الأبيض والأسود! للأسود ضوابط معيّنة، وللأبيض مميّزات خاصّة. لازالت الحرب قائمة عندهم على أساس العرق والدم والقومية. كم من البشر زُهقت أرواحهم في نيران حرب أشعلوها على خلافات قومية ووطنية مفتعلة ذهبت حقوقهم أدراج الرياح. اليوم البشرية في أمسّ الحاجة إلى نداء الوحدة والتوحيد والعدل، وهو النداء الذي يرفعه الإسلام والمسلمون.

مَن هم الذين يعارضون قضيّة الوحدة هذه الأيّام؟ إنّهم المستكبرون الذين يستخدمون الفرقة والشرك والظلم لصالحهم، ويبنون وجودهم وفلسفة حياتهم على سياسة التمييز والتبعيض العنصري».

ـ «نحن في إيران جعلنا هذا الأُسبوع أُسبوعاً للوحدة، وإمامنا العظيم بما أنّه كان يدعو دائماً إلى الوحدة بين المسلمين فقد لفت أنظار المسلمين أجمع بل كلّ دعاة الحقّ في العالم إلى نداء الوحدة. أُسبوع الوحدة اسم مناسب جدّاً لهذه الأيّام.

ـ «اعلموا أنّ أعداء الإسلام يتربّصون بكم الدوائر للنيل من وحدتكم، فكونوا إذاً على حذر، لا تسمحوا لبروز الخلافات بينكم، حاذروا من الأُمور الموجبة للخلاف والتي يستطيع الأعداء أن يجعلوا منها مستنداً لزرع الفرقة. على سبيل المثال يجب أن يحذر الشيعة وأُخوانهم السنّة من الخلافات المذهبية التي أساء الأعداء استغلالها لقرون متمادية، وكذلك بالنسبة للقوميات المختلفة يجب أن يعوا جيّداً أنّ الأعداء قد قعدوا لهم بالمرصاد لعلّهم يتمكّنون من زرع بذور الفرقة بين القوميات التي عاشت مع بعضها على مرّ التاريخ. هذه أُمور يحاول العدوّ أن يخترق من خلالها صفّ وحدتنا، ويزرع بيننا الفرقة والخلاف، ويجب أن يقفوا في وجه هذه المؤامرات».

ـ «الوحدة التي هي أعلى رتبة من الوحدة التي تحصل بين أعضاء شعب ودولة واحدة هي وحدة الأُمّة الإسلامية. ولو فسح حكّام الدول الإسلامية المجال لشعوبهم للتعبير عن رأيهم وإظهار أحاسيسهم تجاه القضايا الدولية ووجّهوا حركة شعوبهم، فسوف يصلون إلى نفس المستوى الذي وصل إليه الشعب الإيراني، وحينها سترون بأنفسكم ماذا يحصل على

الصعيد العالمي. لو كانت هكذا وحدة ومواساة وتضامن موجودة بين الشعوب الإسلامية هل كانت الأعداء يجرأون على القيام بمحاصرة شعب البوسنة والهرسك الأعزل المظلوم بهذه الكيفيّة ؟! وهل كانت المحافل الدولية تجرأ على تجاهل هذه القضية وعدم اتّخاذ ردّ فعل عملي تجاهها؟! حقّاً إنّ ما يحدث هذه الأيّام أمر عجيب! فمع كل ادّعاءاتهم الجوفاء بالدفاع عن حقوق الإنسان نجدهم إذا وصل الأمر إلى جماعة من المسلمين تصبح هذه الادّعاءات قيد النسيان! ما هذا العداء الذي يكنّه الأعداء وقوى الاستكبار العالمي للإسلام ؟! إنّها حرب صليبية يشنّونها على الإسلام والمسلمين، بحيث يرى الإنسان آثارها ونتائجها في كلّ مكان. ما هذه المظلومية التي يتعرّض لها المسلمون في كلّ أرجاء العالم وفي كلّ مكان يتسلّط الأعداء فيه عليهم ؟ من أيّ شيءء نشأ هذا الوضع ؟ لقد نشأ عن وجود الفرقة بين المسلمين والأُمّة الإسلامية والبلدان الإسلامية، وهذه الفرقة والخلاف من فعل الأعداء، فالدول الإسلامية لا يوجد تضادّ مصلحي فيما بينها. إنّ التكتّل والتجمّع مفيد للجميع لا لمجموعة معيّنة. الدول الإسلامية الكبيرة تستفيد أيضاً من وجود تكتّل إسلامي، وكذا تستفيد منه الدول الصغيرة والفقيرة. إنّ وحدة كهذه من صالح الجميع، فمن الذي يضرّ به وجود تكتّل من هذا القبيل ؟ من الذي يتضرّر من اجتماع المسلمين ؟ إنّها تضرّ بالقوّة التي تريد فرض أغراضها الفاسدة على المسلمين، فالفرقة بين المسلمين تعود بالفائدة على القوىٰ المستكبرة، كأميركا وأقطاب السياسة الاستعمارية».

ـ «عندما ندعو للوحدة فالغرض من ذلك أن تنتفع كلّ الدول والشعوب، أن تنتفع الأُمّة الإسلامية جمعاء. إنّ نداءنا للوحدة الإسلامية أساس العزّة والكرامة واستقرار الجميع. الوحدة أُمنيتنا، نحن نتمنّى أن يصبح مليار مسلم يداً واحدة حقّاً، وكذلك يجب أن تتحرّك الدول والحكومات بهذا الاتّجاه أيضاً بروحية واحدة وقلب واحد...».

ـ «الانسجام الإسلامي معناه أن تعرف البلدان المسلمة قدر الأُمّة الإسلامية الكبرىٰ. لن ينفعنا التخوّف شيئاً، ولن تنفعنا معاداة بعضها البعض شيئاً، لن ينفعنا تكريس اختلافاتنا القومية والطائفية الشيعية ـ السنّية أو العربية ـ العجمية شيئاً. الأُمّة الإسلامية منظومية

عظمىٰ تتمتّع بإمكانات هائلة وأرصدة كبرى، لكن العالم الغربي مزّقنا وجعلنا نقف بوجه بعضنا، جعل قومياتنا سلاحاً لمواجهة إخواننا المسلمين، وقد وقعنا بسبب جهلنا وغفلتنا في هذه المؤامرة وسقطنا في هذا الفخّ، يجب أن نصحو على أنفسنا.

ـ «ندعو جميع الإخوة في العالم الإسلامي من أيّ مذهب كان إلى الوحدة والإخاء، لا نريد أن يكون ثمّة خلاف، لا نريد تكريس أنفسنا بإلغاء الآخرين، هذه النقطة على جانب كبير جدّاً من الأهمّية، وهذا هو الانسجام الإسلامي الذي تحدّثنا عنه».

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٣٥٥، موسوعة الأعلام ٢: ١٥٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٩٠ ـ ٣٩٤).

علي الخفيف

علي محمّد الخفيف: أحد مؤسّسي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وأحد أعلام الأزهر.

ولد سنة ١٨٩١ م بقرية «الشهداء» بمحافظة المنوفية المصرية، وبعد أن حفظ القرآن بكتّاب القرية التحق بالأزهر، فدرس فيه ثلاث سنوات، ثمّ التحق بمدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٠٧ م، وتخرّج منها بعد ثمان سنوات، وعُيّن في العامّ ١٩١٥م مدرّساً بها حتّىٰ سنة ١٩٢١ م حيث نقل إلى العمل بالقضاء الشرعي، فعُيّن قاضياً بها بالمحاكم الشرعية، وظلّ كذلك ثمان سنوات، حتّى عُيّن محامياً شرعياً بوزارة الأوقاف، ثمّ مديراً للمساجد بها إلى سنه ١٩٣٩ م، وعُيّن في هذه السنة أُستاذاً مساعداً للشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق بجامعة القاهرة، ورقّي أُستاذاً في سنة ١٩٤٤ م، وظلّ بها حتّىٰ التقاعد، وبعد ذلك بقيٰ يعمل أُستاذاً بالكلّية لطلبة الدراسات العليا.

وقد عمل أُستاذاً بمعهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٠٣ م حتّىٰ قبيل وفاته، وكان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ سنة ١٩٦٢ م، وبالمجلس الأعلى للأزهر منذ سنة ١٩٦٧ م، وبلجنة وضع المشروع لقانون الأحوال الشخصية، وبالهيئة المشرفة على وضع «موسوعة الفقه الإسلامي»، وبمجمع اللغة العربية في مصر منذ عام ١٩٦٩ م، كما كان

أُستاذاً زائراً مندوباً لدىٰ جامعة بغداد وجامعة الخرطوم، وحصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٧٦م.

توفّي سنة ١٩٧٨م تاركاً جملة مؤلّفات، منها: الخلافة، أحكام الوصية، الشركات في الفقه الإسلامي، الحقّ والذمّة، أسباب اختلاف الفقهاء، الملكية في الشريعة الإسلامية، أحكام المعاملات الشرعية، البيع في الكتاب والسنّة، الشركة والحقوق المتعلّقة بها، فرق الزواج، الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي، نظرية النيابة عن الغير.

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٢٠، نثر الجواهر والدرر ١: ٩١٤، تتمّة الأعلام ٢: ٦٥ـ٦٦، إتمام الأعلام: ٢٩٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٤٠ ـ ٤٤١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٩٥ـ٣٩٦).

علي الخنيزي

علي الخنيزي: مصلح إسلامي، وداعية من دعاة التقريب.

ولد الشيخ علي أبو الحسن بن حسن بن مهدي بن كاظم بن علي الخنيزي في القطيف سنة ١٢٩١ هـ، وأخذ مقدّمات العلوم عن: محمّد علي النهّاش، وعبد الله آل نصر الله، ومنصور الجشّي، ومحمّد علي آل عبد الجبّار، وتوجّه نحو النجف الأشرف سنة ١٣١٤ هـ، ونال درجة الاجتهاد في الفقه وأُصوله بعد حضوره الأبحاث العالية، وعاد إلى وطنه سنة ١٣٢٩ هـ، واشتغل بالتدريس والتوجيه والقضاء والتبليغ.

من أساتذته: الشيخ هادي الهمداني، والشيخ محمّد طٰه نجف، والسيّد أبو تراب عبد العلي الخوانساري، والشيخ فتح الله الأصفهاني شيخ الشريعة، والشيخ محمّد كاظم الخراساني.

ومن تلامذته: الشيخ علي الجشّي، والشيخ محمّد علي الجشّي، والشيخ منصور آل سيف.

توفّي بالسكتة القلبية في القطيف سنة ١٣٦٣ هـ تاركاً بعض المصنّفات، منها: روضة المسائل في إثبات أُصول الدين بالدلائل، قبسة العجلان في معنىٰ الكفر والإيمان، مقدّمة

في أُصول الدين، دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام، المناظرات الكمالية، صراع الحقّ، الخلسة من الزمن في التسامح في أدلّة السنن، المنهج في الحجّ والعمرة، طريق النجاة، الرسالة الشكّية، لسان الصدق، الرضاعية، رسالة في عدّة الحامل المتوفّىٰ عنها زوجها.

وآخر مؤلّفاته هو كتاب وحدوي معروف، اسمه «الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنّة والإمامية».

ومنهجية الشيخ الخنيزي في مسألة الوحدة الإسلامية تتمثّل في النقاط التالية :

١ ـ التسامح مع الآخرين وإن اختُلف معهم.

٢ ـ إنّ الحوار هو المنهج السليم في حلّ المعضلات، وهو الطريق إلى الاعتراف بالآخر والتعايش معه.

٣ ـ الذهاب مع الدليل حيثما ذهب، والوقوف على البرهان أينما وقف، والتمسّك بالحجّة الدامغة، وعدم الاعتماد على المصلحة أو العاطفة أو العصبية.

٤ ـ للوصول إلى الوحدة لا بدّ من إلغاء التفرقة المذهبية، والجامع هو الدين الإسلامي الحنيف، فبه تحصل القوّة الرابطة لجميع المسلمين بعضهم ببعض.

٥ ـ التحرّر من أيّة عصبية تاريخية أو عقائدية أو اجتماعية، وسلوك طريق الإنصاف والاقتصاد على ضوء الهدي الإسلامي.

(انظر ترجمته في: معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٥٠٤، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٧٥ ـ ٢٧٦، معجم الشعراء للجبوري ٣: ٤١٨ ـ ٤١٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤١٤ ـ ٤١٥، الحركات الفكرية في القطيف ٣: ٢٥ ـ ٢٩ و ١٢١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

علي السيستاني

علي السيستاني: مرجع شهير من مراجع الدين، وأحد روّاد الوحدة والإصلاح.

ولد السيّد علي بن باقر بن علي بن محمّد رضا الحسيني السيستاني في مشهد سنة ١٩٣٠ م، ودرس بعض مقدّمات العلوم، ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف وانكبّ على الدراسة

لدىٰ كبار علمائها، كالشيخ حسين الحلّي، والميرزا باقر الزنجاني، والسيّد الشاهرودي، والسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي، ولازم الأخير حتّى أصبح من العلماء البارزين المعروفين في الحوزة. وكان يهتمّ بالعلوم الحديثة والفلسفة الإسلامية، ويراجع بعض الأفكار الغربية المعاصرة ويناقشها، وله اطّلاع واسعة على علم رجال الحديث، وهو فقيه وأُصولي من الطراز الأوّل، ورجل كبير العقل والقلب وجيّد التعامل مع مختلف طبقات الناس.

وهو اليوم من أكبر مراجع الدين للشيعة في العالم، وله دور كبير في حفظ السلام والوئام بين أطياف الشعب العراقي الذي عانىٰ الويلات في الفترة الأخيرة، وركّز في تصريحاته على لزوم التمسّك والاعتصام بحبل الله وعدم التفرّق والتشتّت، حتّى لا يصبح البلد وأهله طعمة جاهزة بيد الاستعمار والاحتلال، وأكّد على وحده الصفّ والشارع العراقي مقابل الطائفية والمذهبية التي أرادت لها موطأ قدم في أرض الرافدين، فأطال الله عمره الشريف ومتّع المسلمين ببركات وجوده.

وللسيّد السيستاني مؤلّفات، منها: منهاج الصالحين، مناسك الحجّ، فوائد رجالية، هوامش قيّمة على بعض الكتب الفقهية، تقريرات بعض أساتذته في الفقه والأُصول، شرح العروة الوثقىٰ، كتاب القضاء، شرح مشيخة التهذيب، قاعدة القرعة، الفوائد الفقهية، الفوائد الغروية، رسالة في القبلة، رسالة في التقية، رسالة في قاعدة اليد، رسالة في الربا، رسالة في قاعدة الإلزام، رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

يقول عنه الدكتور محمّد حسين الصغير: «شغلته المهمّة العلمية عن مظاهر الدنيا، وأوقفته الظاهرة الشرعية عند حدودها، لم يعبأ بملبس أو مأكل، ولم ينظر إلى دار أو عقار، ولم يتمتع من الأصدقاء والخلصاء، ولم تستهوه مجالس الترويح عن النفس بالأحاديث والنوادر، اختصّ بأفراد قلائل من العلماء يستمع إليهم ويستمعون منه، لم يحضر مجلساً علمياً إلّا للمذاكرة، ولم يعتد المجالات التي تستوعب بعض الوقت، كلّ وكده وجهده وكدحه خالص لعلم أهل البيت، مع وقار ظاهر، واتّزان معروف، ونظرة صائبة.

عاش فقيراً ومازال فقيراً والملايين بين يديه ؛ لسدّ احتياج الفقراء ، وإعلاء شأن الدين ، ورعاية الحوزات العلمية ، ومعالجة المرضى ، وإحياء المشاريع النافعة ، والإصلاح بين المتخاصمين .

عاش منعزلاً حتّى لا يعرفه أكثر من طلّابه وعلية القوم ، وهو معهم وخارج عنهم ، لا يتّصل إلّا لماماً ولا يتعايش مع الآخرين إلّا لواذاً ، فالعلم فوق كلّ شيء ، وهو أكبر من كلّ شيء ، ويضحّي من أجله بكلّ شيء ، حتّى عدّ من الزاهدين في الحياة والمتفرّغين للعلم والعمل الصالح ، بعيداً عن كلّ المعوّقات التي تشغله عن الاشتغال والتحصيل ومتابعة المعارف .

إذا حضر محفلاً علمياً بدأ البحث العلمي ، أو اجتمع بصديق له عرض عليه مسألة مشكلة للتوصّل إلى الحلول ، وإذا أدّى واجباً اجتماعياً اقتصر على إسقاط الغرض دون التبذير بالزمن ، فيه بساطة الأتقياء ، وعليه سيماء الصالحين ، ولديه فكر المتيقّظ الحذر ، وعنده الخبرة الكافية بمعاصريه كما هي في الرجال ومدارك التعديل ، يعطي نفسه فسحة يتروّح فيها على نهر الفرات في الكوفة ، سائراً ومفكّراً ، ومجدّداً للنشاط والحيوية ، يقابل بالسلام ليس غير ، وتقابله بالتحيّة فحسب ، فالرجل في فكر دائم بما يبني به كيان الأُمّة في صرحها العلمي : النجف الأشرف ، وهو معني بالشأن العلمي منذ شبابه الأوّل ، حتّى كهولته ، وهو عنفوانها اليوم وإن تجاوز السبعين من العمر المديد .

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على الطائفة الإمامية في العالم ، إذ قيّض لها مرجعاً عظيم التدبير ، حديد النظر ، جدّي المعالجة ، بصير الرؤية ، نافذ البصيرة ، يتطلّع إلى الأُفق البعيد في منظور معاصر ، ويفيد من الماضي خبرة الناقد الواعي ، ومن خلال هذين الملحظين تجلّت له الحقائق مرتبطة بالمناخ الواقعي الذي يزن الأُمور ، فكان دقيق الميزان فيما يقرّر ، مصيباً فيما يرىٰ ، تسدّده العناية الإلهية في معايشة عصره بمفارقاته ومضاعفاته المتلاحقة ، دقيق الميزان في العدل ، شديد الورع في المال ، واضح الزهد » .

ويقول السيّد السيستاني من كلام له حول شأن الوحدة : « تمرّ الأُمّة الإسلامية بظروف

عصيبة، وتواجه أزمات كبرى وتحدّيات هائلة تمسّ حاضرها وتهدّد مستقبلها. ويـدرك الجميع ـ والحال هذه ـ مدىٰ الحاجة إلى رصّ الصفوف، ونبذ الفرقة، والابتعاد عن النعرات الطائفية، والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضت عليها قـرون متطاولة، ولا يبدو سبيل إلى حلّها بما يكون مرضياً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولا سيّما أنّها لا تـمسّ أُصـول الديـن وأركان العقيدة... فينبغي لكلّ حريص على رفعة الإسلام ورقي المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوتّرات الناجمة عن بعض التـجاذبات السياسية؛ لئلّا تؤدّي إلى مزيد من التفرّق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الأعـداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الإسلامية والاستيلاء على ثرواتها».

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٣٣٣، أساطين المرجعية العليا: ٣٤١ ـ ٣٩٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتـقريب ١: ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

علي عبد الرازق

علي حسن عبد الرازق: مفكّر مصري معروف.

ترعرع في بيت كبير من بيوت العلم والسياسة، إذ كان أبوه حسن عبد الرازق سياسياً مشهوراً، وهو في الوقت نفسه من علماء الأزهر يتزيّىٰ بزي العلماء، وكان صديقاً للأُستاذ الإمام محمّد عبده، والذي دأب على زيارة ندوة حسن عبد الرازق، وكان مـصطفى عـبد الرازق (شيخ الجامع الأزهر) وأخوه علي من طلّاب الأزهر، فرأيا في الإمام قدوة علمية وخلقية، وأخذا في السير على نهجه.

ولد علي عبد الرازق في قرية أبي جرج من أعمال محافظة المنيا بمصر سنة ١٨٨٨ م، وأحاط بالعلوم الدينية واللغوية إحاطة جعلته يحرز شهادة العـالمية بـنجاح، وقـد عُـيّن مدرّساً بالأزهر، فآثر أن يدرّس الطلّاب علوم البلاغة على نهج جديد، إذ كانت «حواشي السعد» حينئذٍ هي المرجع الأوّل، مع ما أضافه الإمام محمّد عبده من تقرير كتاب «أسرار

البلاغة » و« دلائل الإعجاز » للإمام عبد القاهر الجرجاني ، وقد قام بشرح فصول منهما ، ولكن الوسط العلمي بالأزهر لم يُرحّب بهما على وجه مستنير ؛ إذ كانت طريقة عبد القاهر تخالف منهج المدرسة السكّاكية في التعريف والتقعيد وإظهار الاعتراضات اللفظية والمنطقية ، وأراد علي عبد الرازق أن يستعين بكتابي عبد القاهر في دروس جديدة يلقيها على الطلّاب ، فكتب مؤلّفاً تحت عنوان « الأمالي ، كان طليعة التأليف البلاغي المتحرّر بعض الشيء من طريقة الحواشي ، وبهذا الكتاب بزغ فجر جديد في التأليف البلاغي على يد علي عبد الرازق ، على حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيّومي .

ثمّ سافر إلى إنجلترا سنة ١٩١٢م ، فالتحق بجامعة أُكسفورد ، وأجاد الإنجليزية إجادة جعلته يقرأ كتب الاستشراق باهتمام ، وحين قامت الحرب العالمية الأُولى سنة ١٩١٤م رجع إلى مصر بعد عام من نشوبها ، ليكون قاضياً بمحكمة الإسكندرية الشرعية ، وليدرّس تطوّعاً لطلّاب المعهد الديني بالإسكندرية .

وظلّ الأُستاذ قائماً بوظيفته في القضاء الشرعي حتّى سنة ١٩٢٥م حين أصدر كتابه « الإسلام وأُصول الحكم » ، فأحدث ضجّة عاتية لا يزال صداها يتردّد إلى الآن ، وقد فُصل من وظيفته إزاء ما أصرّ عليه من صحّة ما قال .

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي : « ولكي نقول كلمة الحقّ في هذا الكتاب الذي أحدث من البلبلة ما كان موضع صراع بين الأحزاب السياسية ، نعلن أنّ الأُستاذ قد اجتهد فأخطأ ؛ لأنّه قرّر أُموراً غير صحيحة ردّها الذين تفرّغوا لنقده ، ومنهم : الإمام محمّد الخضر الحسين ، والشيخ محمّد بخيت المطيعي ، والشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور ، وغيرهم ، كما جاء ردّ هيئة كبار العلماء يثبت على الأُستاذ ما يلي :

١ ـ القول بأنّ الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أُمور الدنيا .

٢ ـ القول بأنّ الدين لا يمنع من أنّ جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين .

٣ـ القول بأنّ نظام الحكم في عهد النبي ﷺ موضع غموض وإبهام واضطراب ونقص وموجباً للحيرة.

٤ـ القول بأنّ مهمّة النبي ﷺ كان بلاغاً للشريعة مجرّداً عن الحكم والتنفيذ.

٥ـ إنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلىٰ أنّه لا بدّ للأُمّة من إمام يقوم بأمرها في الدين والدنيا.

٦ـ إنكار أنّ القضاء وظيفة شرعية.

٧ـ القول بأنّ حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت حكومة لا دينية.

هذه هي الآراء الخاطئة التي صادفت اعتراض أُولي العلم، وقامت بنقضها هيئة كبار العلماء في بيان أصدرته للناس، كما قام بتفنيدها كبار العلماء في كتب مستقلّة، وقد أشرنا إلى ذلك. وإذا كان الأُستاذ قد قرأ كتب الاستشراق قراءة غير ناقدة، فإنّه تأثّر بها في هذه الآراء بما باعده عن الصواب. ومن الجدير بالذكر أنّه رجع عن هذه الآراء رجوعاً صريحاً أصدره في مقال نشره بمجلّة «رسالة الإسلام» تحت عنوان «الاجتهاد في نظر الإسلام»، والمقال مدوّن بالعدد الصادر في رمضان سنة ١٣٨٠هـ الموافق يوليو سنة ١٩٥١م في صفحتي ٢٤٦ ـ ٢٤٧، وقد أشرت إلى تاريخ الصدور ورقم الصفحات لأقول للّذين ينكرون هذا الرجوع الصريح: إنّ الحقّ حقّ ولا مراء فيه، والمجلّة بين أيدينا.. قال الأُستاذ: «قرأت بحثاً قيّماً للأُستاذ أحمد أمين جاء في صدره أنّه كان يتجادل معي، فقلت أثناء الجدال: إنّ دواء ذلك أن ترجع إلى ما نشرته قديماً من أنّ رسالة الإسلام رسالة روحية فقط، ولنا الحقّ فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل، وقد وقفت أمام كلمة «رسالة روحانية» ولم تشأ أن تمرّ دون أن تثير ذكرى قضية قديمة لهذه الكلمة معي، فقد زعم الطاعنون أنّي في هذا البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعة روحانية محضة، ورتّبوا على ذلك ما طوّعته لهم أنفسهم أن يفعلوا، أمّا أنا فقد رددت عليهم: بأنّي لم أقل في هذا الكتاب ولا غيره، ولا قلت شيئاً يشبه هذا الرأي ولا يدانيه». هذا ما قاله الأُستاذ علي في مجال التراجع؛ لأنّ الكتاب بأيدينا وهو يقول فيه بصريح العبارة ص ٦٩ من الطبعة الأُولى: «ولاية الرسول على قومه

ولاية روحية منشأها إيمان القلب، وولاية الحاكم ولاية مادّية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون له بالقلوب اتّصال، تلك زعامة دينية وهذه زعامة سياسية، ويا بعد ما بين السياسة والدين ؟!». وإذاً فالرجل قد تراجع صريحاً دون أن يقول: إنّه تراجع، بل بإنكار ما قال من قبل من أنّ رسالة محمّد ﷺ روحية فقط.

وقد لابس المترجم له الحياة السياسية، ولكنّه في المجال العلمي لم يصدر غير الكتب الآتية: أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه، الإسلام وأُصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام)، الإجماع في الشريعة الإسلامية (محاضرات ألقاها على طلّاب قسم الشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق بالقاهرة)، وقد عارضه الإمام محمود شلتوت في بحوثه عن الإجماع دون أن يشير إلى الأُستاذ؛ ليكون الحديث موضوعياً لا ذاتياً، من آثار مصطفى عبد الرازق (وهو مجموعة لمقالات أخيه صدّرت بمقدّمة طويلة للأُستاذ علي عبد الرازق، تصلح أن تكون كتاباً مستقلّاً، وقد جمعت من أخبار الأدب والعلم والسياسة في هذا العصر ما تعدّ به مرجعاً مهمّاً)، مقالات متفرّقة نشرت بمجلّة «الهلال»، ومجلّة «الثقافة والسياسة» الأُسبوعية (ولو جمعت لكانت تراثاً حافلاً).

ولم يترك الأُستاذ علي عبد الرازق اهتمامه بتجديد البلاغة، حيث نشر فصولاً عن هذا التجديد بمجلّة «الهلال»، والذي يؤرّخون للتطوّر البلاغي في هذا العصر عليهم أن يرجعوا إلى ما كتب الأُستاذ في القديم والحديث.

وقد انتخب علي عبد الرازق عضواً بمجمع اللغة العربية، كما انتخب عضواً بمجلس النوّاب ومجلس الشيوخ، كما اختير وزيراً للأوقاف في نهاية الأربعينيات. وكانت آراؤه في المجالس الثلاثة ذات نقد وتوجيه، ثمّ توفّي سنة ١٩٦٦م، فأشادت الجرائد بحرّية فكره، واهتمامه في بحوثه بالجدّة والابتكار».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٣٦٤، الأعلام للزركلي ٤: ٢٧٦، موسوعة السياسة ٤: ١٨٨ ـ ١٨٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٢٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٧٤٩ ـ ٧٥٢، موسوعة الأعلام ٣: ٦٣).

علي عبد الواحد وافي

علي عبد الواحد وافي: رائد علم الاجتماع في مصر، وأحد دعاة الوحدة.

ولد سنة ١٩٠١م في أُمّ درمان بالسودان، لأب مصري تخرّج في أوّل دفعة في دار العلوم، وكان يعمل وقت ذاك أُستاذاً للّغة العربية والشريعة الإسلامية بالمدارس الأميرية ثمّ بكلّية غوردون. ولمّا انتهت مدّة عمله بالسودان عام ١٩٠٥م عاد مع الأُسرة إلى القاهرة.

حفظ المترجم له القرآن الكريم، ودرس في الأزهر من سنة ١٩١٥م إلى سنة ١٩٢١م، وتخرّج في دار العلوم عام ١٩٢٥م، وحصل على درجة الليسانس في قسم الفلسفة والاجتماع من كلّية الآداب بجامعة السوربون بفرنسا عام ١٩٢٨م، كما حصل على أربعة دبلومات عالمية في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد والتربية وعلم النفس والفلسفة من الكلّية ذاتها في الفترة من ١٩٢٦م ـ ١٩٢٩م، وحصل على الدكتوراه من الكلّية نفسها عام ١٩٣١م.

عمل وكيلاً لكلّية الآداب، ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ولقسم الاجتماع، وأُستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة القاهرة. كما عمل عميداً لكلّية التربية بجامعة الأزهر، وعميداً بكلّية الآداب وكلّية العلوم الاجتماعية، وأُستاذاً ورئيساً لقسم الاجتماع بجامعة أُمّ درمان، وكذا أُستاذاً ورئيساً لقسم الاجتماع بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، وقسنطينة بالجزائر، ومحمّد الخامس بالرباط.

وهو عضو بمجمع اللغة العربية، وعضو بالمجالس القومية المتخصّصة. وعمل رئيساً لشعبة الرعاية الاجتماعية بالمجلس القومي للخدمات، وعضو شعبة العلوم الإنسانية في هذه المجالس، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضو المجمع الدولي لعلم الاجتماع.

اختير رئيساً للجمعية العلمية المصرية، وللجمعية المصرية لعلم الاجتماع، وأشرف على إصدار بعض مؤلّفاتها.

ترجم لنفسه وذكر تجربته في علم الاجتماع وعدد مؤلّفاته في كتاب: «علم الاجتماع

والاجتماعيّون.. تجارب وخبرات».

له نحو ٥٠ عملاً، لعلّ أبرزها تحقيقه مقدّمة ابن خلدون.. ومن أهمّ مؤلّفاته: علم الاجتماع، الأُسرة والمجتمع، مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين، المسؤولية والجزاء، غرائب النظم، عبقريات ابن خلدون، الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان، نظرية اجتماعية في الرقّ (وهي رسالته في الدكتوراه)، الفرق بين رقّ الرجل ورقّ المرأة، ابن خلدون.. منشِئ علم الاجتماع، بين الشيعة وأهل السنّة.

توفّي في مصر عام ١٩٩٢م.

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «يتّفق الشيعة الجعفرية مع أهل السنّة في أُصول العقائد الإسلامية، فهم يقرّون بالشهادتين وأركان الإسلام، ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، ولا يختلفون في هذا الصدد إلّا ببعض معتقدات، لا يوهن أيّ معتقد فيها أصلاً من هذه الأُصول. والإمامية يقرّون جميع الفروع التي علمت من الدين بالضرورة، كالصلوات المفروضة والزكاة والصيام وزمانه والحجّ والكعبة ومكانها والقبلة واشتراطها. وكذلك جميع الأُمور الثابتة في القرآن والسنّة بدلالة قطعية».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٨٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٢٧ ـ ٤٢٨، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ١٨٨، وركبت السفينة: ٣٨٥ و٥٩٥ و٦٠١ ـ ٦٠٢ و٦٠٥، الشيعة في مصر لصالح الورداني: ١٥٧، نظر الجواهر والدرر ٢: ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩، روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة: ٨٣ ـ ٩٣).

علي محيي الدين القره داغي

علي محيي الدين القره داغي: أُستاذ ورئيس قسم والأُصول بكلّية الشريعة في جامعة قطر سابقاً، ونائب رئيس مجلس الإدارة لموقع إسلام أون لاين، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد القره داغي في سنة ١٩٤٩ م بمنطقة القره داغ ـ محافظة السليمانية (كردستان

العراق)، وهو يحمل الجنسية القطرية.

حصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية من جامعة بغداد عام ١٩٧٥م، وعلى ماجستير الفقه المقارن من كلّية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٨٠م، وعلى الدكتوراه في الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٨٥م، (في مجال العقود والمعاملات المالية) بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأُولى، والتوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين جامعات العالم.

وهو أُستاذ ورئيس قسم الفقه والأُصول بكلّية الشريعة والقانون بجامعة قطر (سابقاً)، ورئيس وعضو تنفيذي لهيئة الفتوى والرقابة الشرعية لعدد من البنوك الإسلامية، وشركة التأمين الإسلامي داخل قطر وخارجها، منها: بنك دبي الإسلامي، وبنك المستثمرين بالبحرين، والأُولى للاستثمار بالكويت، وهو مؤسّس ورئيس الرابطة الإسلامية الكردية عام ١٩٨٨م، ومؤسّس هيئة الرحمة الإنسانية بإسكندنافيا، وعضو مؤسّس في مؤسّسة الشيخ عيد بن محمّد آل ثاني الخيرية بدولة قطر، وخبير بمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلامي بجدّة، وعضو مجلس الأُمناء والمكتب التنفيذي، ونائب رئيس لجنة الإفتاء والبحوث بالاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

من مؤلّفاته: فقه الشركات، بحوث في الاقتصاد الإسلامي، مبدأ الرضا في العقود، المصارف والتأمين، قاعدة المثل والقيمة وأثرها على الحقوق والالتزامات مع تطبيق معاصر على نقودنا الورقية.

ومن تحقيقاته: «الغاية القصوى في دراسة الفتوى» للقاضي البيضاوي، و«الوسيط» للغزالي، و«الإنسان والإيمان» لبديع الزمان سعيد النورسي.

يقول: «إنّ أُمّتنا الإسلامية منذ القرنين الأخيرين تمرّ بأزمات متواصلة، وتعاني من فتن واضطرابات متلاحقة، فقد جرّبت عليها مجموعة من الأفكار والأيدولوجيات البعيدة عن منبعها الصافي، مثل القومية (بمعناها العنصري المفرّق وليست بمعناها الإيجابي) والاشتراكية والشيوعية بشتّى أنواعها ومختلف صنوفها، وأسقطت الخلافة العثمانية التي

كانت ـ على الرغم ممّا لها وعليها ـ تمثّل رمزاً لوحدتها ، واحتلّت أراضيها ، ومزّقت وحدتها ، وفرضت عليها القوانين والأنظمة العربية أو الشرقية .

وقد دخل العالم الإسلامي بعد احتلال معظم بلاده في دوّامة لا نهاية لها أخّرتها قروناً عديدة ، وحينما أُخرج المحتلّون سياسياً تركوها ممزّقة ومتخلّفة ، وسلبوا خيراتها وسرقوا ثرواتها ، لم يتركوها مستقلّة دون مشاكل ، بل ظلّت آثارهم الاقتصادية والقانونية والاجتماعية وحتّى السياسية باقية ، وفي بعض الأحيان تصبح بعض بلداننا حقولاً للتجارب الفكرية ، وكما جرّبوا على بعضنا تجاربهم المعملية بدلاً من الحيوانات !

مع ظهور الصحوة الإسلامية وتمكّنها في بعض البلاد (بعد فشل الأيدولوجيات البعيدة عن ديننا وقيمنا في تحقيق أيّ خير دنيوي أو ديني للمجتمعات الإسلامية) ظهرت مشكلة أُخرى تعتبر من أخطر المشاكل ، بل هي فتنة أكبر من القتل ، وهي فتنة ما يسمّى (الطائفية) ، والمقصود بها : الصراع الطائفي بين السنّة والشيعة ، وقد أُذكيت نار هذه الفتنة خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية (١٩٨٠م ـ ١٩٨٨م) التي حاول الإعلام القومي إضفاء وصف آخر ، وهو الحرب القومية العربية الفارسية ، أو الحرب بين القومية العربية (والفرس المجوس) حسب تعبير بعض وسائل الإعلام القومية في هذا الوقت ، وأُلّفت في ذلك كتب ، سواء كان ذلك تحت الغطاء الديني أو القومي ، مثل كتاب « وجاء دور المجوس » وغيره كثير .

بعد احتلال العراق من قبل القوّات الأمريكية والبريطانية والقضاء على جيشه وفكّ القبّتين للإمامين الجليلين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامرّاء ، حيث ظهرت الهجمات الطائفية بشكل جماعي مؤسّسي ، وأصبحت الضحايا بعشرات الآلاف ، وساعد على ذلك السفهاء من الفريقين .

وفي اعتقادي إذا لم يتدخّل العلماء والحكماء من الطرفين تدخّلاً حكيماً ولم تتمّ الحوارات الجادّة على كافّة المستويات فإنّ الفتنة تأكل الأخضر واليابس ، ويكون الخاسر الوحيد الأُمّة الإسلامية بجميع فرقها ومذاهبها ، والمستفيد الوحيد الأعداء الذين يتربّصون

بنا الدوائر ، كما أنّ كلّ من ساهم أو يساهم في إذكاء نار الفتنة يتحمّل وزرها ووزر الآثار المدمّرة منها .

إنّ أعداء الإسلام يفعلون كلّ ذلك لحماية الدولة الصهيونية ومخطّطاتها ، إذ يعلمون علم اليقين أنّها لن تستطيع بملايينها الأربعة أو الخمسة أن تستمرّ فترة طويلة وهي محاطة بحوالي مليار ونصف من المسلمين من كلّ جانب ، لذلك كانت الصهيونية في السابق تبني مشروعاتها التوسّعية وتراهن على أساس أنّ الأُمّة الإسلامية كانت مغيّبة عن عقيدتها وشريعتها وممزّقة بأيدولوجيات بعيدة عن إسلامها .

ولكنّها بعد الصحوة الإسلامية التي عمّت البلاد والعباد وأيقظت الأُمّة الإسلامية ونجحت في مناطق كثيرة جاء المشروع الصهيوني بمخطّطات تقضي على هذه الصحوة بإشغالها بأنفسها ، وإشغالها بالفتن الداخلية من سنّة وشيعة ، ونحو ذلك .

ونحن هنا لا نحمّل المسؤولية كلّها على المشروع الصهيوني ، ولا نجعله شمّاعة نعلّق عليه كلّ مشاكلنا ؛ لأنّ المسلمين هم المسؤولون أمام الله تعالى ثمّ أمام الأجيال والتاريخ عن كلّ ما حدث أو يحدث ، وإنّما نتحدّث عن المخطّطات الخارجية التي هي حقيقة لا يمكن إنكارها .

والمشروع الصهيوني يستفيد من التاريخ ولديه ذاكرة جيّدة عن تأريخنا ، إذ أنّ التاريخ سجّل أنّ الصليبيّين استطاعوا أن يحتلّوا الشام والقدس الشريف أكثر من مائة سنة في ظلّ تفرّق الأُمّة الإسلامية في ذلك الوقت ، حيث تفرّقت إلى دولة خلافة سنّية في بغداد ودولة سمّت نفسها بالفاطمية .

وحينما توحّدت الأُمّة في ظلّ راية واحدة استطاع صلاح الدين الأيّوبي أن يحرّر القدس الشريف والشام كلّه من أرجاسهم ، ولذلك يقول المؤرّخ الإنجليزي توينبي : « هناك تأريخ قبل صلاح الدين ، وتأريخ آخر بعد حكمه » .

لذلك ففرقة الأُمّة الإسلامية إبقاء ونماء وتطوير وتوسيع للمشروع الصهيوني ، وإنّ وحدتهم ووحدة راياتهم نهاية لهذا المشروع ، وهكذا ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ

أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(سورة الإسراء : ٧).

يقول أيضاً : « يعتبر من ثوابت هذا الدين وقواطعه وجوب الاتّحاد والوحدة والترابط بين المسلمين وحرمة التفرّق والتمزّق فيما بينهم ، فاتّحاد الأُمّة فريضة شرعية يفرضها الدين الحنيف ، وضرورة واقعية يفرضها الواقع الذي نعيشه ، حيث أصبحت بسبب تفرّقها وتمزّقها ضعيفة مهدّدة في وجودها وكيانها وسيادتها ، طمع فيها الطامعون ، وغلب على معظمها المستعمرون والحاقدون ، ولا سيّما عالمنا اليوم الذي تكتّلت فيه القوى وأصبح الإسلام الهدف الأساس لها .

ولا نجد ديناً ولا نظاماً أولى عنايته بالاتّحاد وخطورة التفرّق مثل الإسلام ، حيث توالت الآيات الكثيرة والأحاديث المتضافرة على وجوب التعاون والاتّحاد وحرمة التفرّق والاختلاف » .

وأخيراً يقول : « تجتمع الأُمّة الإسلامية على كثير من الثوابت وتتعاون فيما بينها ، فتتعارف وتتّحد وتجعلها قاعدة لانطلاقتها وصخرة صلبة لتكوين علاقاتها عليها ، فهي القاعدة المشتركة المتّفق عليها والمعترف بها ، فإذا كانت أوروبّا الغربية اتّحدت على قاعدة السوق المشتركة والمصالح الاقتصادية المشتركة وخطت كلّ هذه الخطوات من أجلها ، أو ما تكفي كلّ هذه الثوابت المشتركة مع المصالح المشتركة لتجميع الأُمّة الإسلامية وتدفعهم نحو الوحدة العملية ؟!

من خلال فقه الثوابت والمتغيرات يتمّ اعتراف كلّ جماعة بالأُخرى وكلّ طائفة بالثانية ، مادامت الثوابت مشتركة ، ومادامت المتغيّرات مقبولة ومشروعة بل مطلوبة ، وبالتالي يكون من الطبيعي أن يعذّر بعضهم بعضاً ، أو يسعى بالحوار والجدال الأحسن الوصول إلى الأحوط والأفضل ، فأعظم المشاكل بين المسلمين أنّ بعضهم لا يعترف بالآخر ، فإذا وجدت التوعية بفقه الثوابت والمتغيّرات لاعترف بعضهم ببعض .. كما أنّ هناك عدم المعرفة بالحقائق الموجودة لدى المذهب أو الجماعة الأُخرى ، وإنّما وصلت معلومات مغلوطة ، أو غير دقيقة ، أو تخصّ فئة منهم ، أو أشخاصاً معيّنين لا يجوز تعميم

آرائهم ورؤاهم على جماعة بعينها أو مذهب بعينه.

إنّه من خلال فقه الثوابت والمتغيّرات يعلم أنّ الخلافات الكثيرة مادامت في نطاق المتغيّرات مقبولة شرعاً.

وأخيراً فإنّ معرفة الثوابت المشتركة بين الجماعات والطوائف الإسلامية سوف تقرّب فيما بينها، وتؤدّي إلى التعاون البنّاء فيما بينها، ورفض العداء والتوتّر فيما بينها..

ومن هنا كان الواجب على دعاة الإسلام الواعين أن ينبّهوا على التركيز على مواطن الاتّفاق قبل كلّ شيء، فإنّ هذا التعاون فريضة شرعية يوجبها الدين، وضرورة واقعية يحتّمها الواقع الذي تمرّ به الأُمّة.

وأعتقد أنّ ما نتّفق عليه ليس بالشيء الهيّن ولا القليل، إنّه يحتاج منّا إلى جهود لا تتوقّف، وعمل لا يكلّ، وإرادة لا تعرف الوهن.. يحتاج منّا إلى عقول ذكية وعزائم قوية وأنفس أبية وطاقات بنّاءة.. حرام على الجهات الإسلامية أن تعترك فيما بينها على الجزئيات، وتدع تلك الثغرات الهائلة دون أن تسدّها بكتائب المؤمنين الصادقين.

وحقّاً فإنّ الثوابت لهذا الدين كثيرة، وهي مشتركة بين جميع الجماعات والمذاهب الإسلامية، في مجال أُصول العقيدة، والقيم والأخلاق، وفي أُصول المعاملات والفروع، وفي عالم السياسة، وفي التحدّيات التي تواجه الأُمّة، مثل تحدّي الإلحاد والكفر والعلمانية، وتحدّي الغزو الثقافي والفكري، وتحدّي التغريب والتمييع، وتحدّي الاستكبار العالمي والحروب الصليبية الجديدة، وتحدّي الهجمات الصهيونية على المسلمين واحتلالها لفلسطين ودرّتها القدس الشريف، والهجمات الوثنية في كشمير، والهجمات الصليبية والإلحادية في الشيشان والفلبين.

فما أحوجنا إلى التوحّد والتعاون والتكامل، وتوزيع الأدوار، والقبول بالبعض والاجتماع على ما يجمعنا من الثوابت والمواقف السياسية، وعدم إثارة الاختلافات، وبالأخصّ في هذ العصر الذي تكالبت علينا الأعداء وتداعت كما تداعت الأكلة على قصعتها!

فهل نستوعب الدرس ونحسّ بخطورة الموقف ونترك حظوظ النفس وندع الحزبية الضيّقة إلى ساحة الإسلام الواسعة، إلى منهج السلف في التيسير في الأحكام والتبشير في الدعوة، وفي تحمّل البعض، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ؟!».

علي يحيى معمّر

علي يحيى معمّر: من علماء ليبيا وفقهاء الأباضية، وواضع أُسس نظرية السلّم المعرفي للتقريب، حيث يقول: «أنا على يقين في نفسي أنّ المذهبية في الأُمّة الإسلامية لا تتحطّم بالقوّة، ولا تتحطّم بالحجّة، ولا تتحطّم بالقانون، فإنّ هذه الوسائل لا تزيدها إلّا شدّة في التعصّب وقوّة في ردّ الفعل، وإنّما تتحطّم المذهبية بالمعرفة والتعارف والاعتراف.. فبالمعرفة يفهم كلّ واحد ما يتمسّك به الآخرون، ولماذا يتمسّكون به، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبّل كلّ واحد منهم مسلك الآخر برضا، ويعطيه مثل الحقّ الذي يعطيه لنفسه، اجتهد فأصاب، أو اجتهد فأخطأ».

ولد الشيخ علي في مدينة «نالوت» الليبية سنة ١٩١٩ م لأُسرة متديّنة متوسّطة الحال تعمل في الزراعة، وتلقّىٰ العلم بمسقط رأسه، ثمّ في جزيرة «جربة» التونسية، فجامع الزيتونة، فمعهد الحياة بالقرارة (الجزائر) حيث أقام سبع سنوات، ودرّس فيه، ورجع إلى بلده ليبيا سنة ١٩٤٥ م، وأصبح أميناً لوزارة التربية والتعليم.

كان نشيطاً في الحقل الديني والاجتماعي والأدبي والتاريخي، وله مقالات عديدة في الصحف والمجلّات، بالإضافة إلى إغنائه المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلّفات التي تزيد على ١٧ مؤلّفاً، منها: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، سمر أُسرة مسلمة، الميثاق الغليظ، الفتاة الليبية ومشاكل الحياة، الأقانيم الثلاثة، الإسلام والقيم الإنسانية، فلسطين بين المهاجرين والأنصار. كما كتب مسرحيتين، هما: ذو قار، ومحسن.

عمل محرّراً في مجلّة «الشباب»، وأنشأ مجلّة «البراع»، فصودرت بعد ثلاثة أعداد، وكان له الفضل في تأسيس جمعية الفتح ومدرسة الفتح بطرابلس أواسط السبعينات من القرن الماضي، وانتسب فترة من الزمن إلى الحزب الوطني.

توفّي سنة ١٩٨٠ م، وكان إباضي المذهب.

وقد كتب عنه الشيخ محمّد ناصر بوحجّام الجزائري كتاباً أسماه: «الشيخ علي يحيىٰ معمّر والدعوة إلى وحدة المسلمين».

ومن أقواله: «سبق إلى أذهان الناس بسبب ما يقوله كلّ أصحاب مذهب عن أنفسهم بأنّهم أصحاب الحقّ، وأهل العدل، وأهل الصواب، وأهل السنّة، وأهل الاستقامة، وبما يقولونه عن غيرهم من أنّهم أهل الزيغ، وأهل الضلالة، وأهل البدع، وأهل الأهواء! وبأنّهم فعلاً أهل الحقّ، وبأنّهم في الجنّة، وبأنّ غيرهم فعلاً أهل الباطل وأنّهم في النار! وهذه المفاهيم المبنية على أنانية مذهبية يجب أن تختفي، وأن يقوم بدلاً منها مفهوم، هو أنّه ليس هناك في الإسلام إلّا أُمّة واحدة، هي الأُمّة الإسلامية التي وعدها الله تبارك وتعالى بكلّ خير، وليس فيها مجموعات أو طوائف أو فرق تدفع بوصفها الجماعي إلى الهاوية».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٦١، ٣٩٦ـ٣٩٧و٢: ٣٧٠ـ ٣٧١).

عمّار الطالبي

عمّار الطالبي: أُستاذ جامعي جزائري مرموق، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد عام ١٩٣٤م بمنطقة الأوراس في الجزائر، وتلقّى تعليمه العامّ ببلاده، ثمّ انتقل إلى تونس، حيث حصل من جامعة الزيتونة على ما يسمّى بـ«شهادة التحصيل».

ابتعثته الحكومة الوطنية للثورة ـ وذلك بعد تأسيسها ـ إلى مصر، حيث التحق بكلّية الآداب في جامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الفلسفة، وحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الإسكندرية.

لازم ندوة المفكّر الجزائري مالك بن نبي وهو مايزال طالباً في جامعة القاهرة.

عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال، وعمل في مدرسة تكوين المعلّمين، ثمّ اختير معيداً بجامعة الجزائر، وتولّى رئاسة قسم الفلسفة بالجامعة، وعمل مديراً لمعهد العلوم الإسلامية التابع لجامعة الجزائر.

وهو أوّل مدير لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة بالجزائر.

من مؤلّفاته: «ابن باديس.. حياته وآثاره (جمع ودراسة)»، كما قام بتحقيق كتاب «العواصم من القواصم».

وهو يرى أنّ الحياة الفكرية في المغرب الإسلامي تتّسم بالتأثّر بالأفكار التي تظهر في المشرق الإسلامي عبر التاريخ. ويرى في هذا الدليل وحدة الأُمّة الفكرية التي تأصّلت جذورها وبقيت حيّة مدى الدهر بالرغم من عوادي الزمن وفجائع التاريخ ومحاولات الفصل وافتعال الفروق.

ويرى أنّه لا يمكن التعرّف على شروط النهضة قبل معرفة الأُصول النفسية والاجتماعية للأُمّة؛ لأنّ التغيير ينطلق من الداخل النفسي والاجتماعي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: ١١).

ويرى أنّ ثورة الجزائر كانت جهاداً من أجل المبادئ والقيم الإسلامية، وأنّها لو قامت على غير ذلك لفشلت، ويتمنّى أن يؤتي هذا النجاح ثماره في العودة إلى الإسلام الحقيقي في أُصوله.

ويرى ضرورة الاهتمام بالدراسات في المجال النفسي والمجال الاجتماعي بما هو واقع في مجتمعاتنا الإسلامية؛ لأنّنا إلى الآن نكتفي بدراسات الغربيّين وبما كتبوه عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وننقله بحروف عربية.

ويعتقد أنّ استخلاص نتائج أبحاث الغربيّين وتطبيقها على المجتمعات الإسلامية هو من أكبر الأخطاء التي نرتكبها، ذلك أنّ النظريات الاجتماعية والنفسية الغربية نبتت في مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا.

ويرى أنّ مشكلة المسلمين ليست في وجود الإمكانيات، وإنّما في توجيه هذه الإمكانات وحسن التصرّف بها.

يقول: «ليست الأخلاق هي التي تؤسّس الدين وتبرّره كما يزعم فلاسفة التنوير، وإنّما الدين هو الذي يؤسّس الأخلاق ويبرّرها، ويعتقد الفيلسوف كنط أنّ الأخلاق تؤدّي إلى الدين. إنّ الواجب يقتضي أنّ تكون إنسانياً لا أسيراً لغرائزك وخوفك، فالأخلاق تتمثّل في هذا الإلزام الكلّي الذي يشمل الأنا والآخر معاً، فالقيم الأخلاقية تتّسع إلى أُفق الإنسانية قاطبة، فلا تكون الجماعة منغلقة في نطاق ثقافتها الخاصّة وقوميتها وتقاليدها الاجتماعية، بخلاف السياسة فإنّها سياسة لخدمة مصالح شعب معيّن ودولة معيّنة لا تعدوها، فالقيم الأخلاقية هي التي تجسّد آدمية الآدمي وهوية الإنسانية، وتدعو للانفتاح على كلّ آدمي، فهي مواطنة عالمية، وليست مواطنة لدولة معيّنة، وهذا ما ينمّ على نضج الإنسان وكماله الروحي.

ولكنّ السياسة أوقعت البشرية في خوف من الأسلحة النووية في الحروب، وتسرّب الإشعاع، والانحباس الحراري، وتلوّث البيئة، وما إلى ذلك من أنواع الخوف والقلق وانعدام الأمن.

ومفهوم الرحمة في الإسلام من المفاهيم الكلّية التي تتجاوز الإنسان والحيوان إلى كلّ الموجودات، فهي رحمة كونية ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٦)، وفي حديث: «إنّ رحمتي تغلب غضبي»، فهذه الرحمانية لا تعدل قيمتها قيمة في حياة الإنسان.

ولهذا ذهب طه عبد الرحمان إلى القول: إنّ الأصل في كلّ شيء هو الرحمة بحيث تكون هي أوّل الأشياء على الإطلاق، ويأتي إسم «الرحمان» بعد اسم الجلالة «الله» مباشرة في البسملة، وقد يرادفه كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (سورة الإسراء: ١١٠)، فكلّ شيء إنّما هو أثر من آثار رحمة الله، والمؤمن يتشبّه بأخلاق الله، ويتخلّق بالإحسان الذي يعمّ كلّ شيء، وعليه

يتأسّس كلّ خلق وكلّ سلوك ربّاني جدير باستخلاف الإنسان.

لكن هل القيم الأخلاقية وحدها كافية لأن يسود الأمن؟ إنّ الإنسان بجانب كونه حيواناً اجتماعياً لا يحيى حياة إنسانية إلّا في مجتمع، فإنّه أيضاً حيوان أناني شديد الحبّ للخير لنفسه، ولذلك احتاج الناس إلى تدبير آخر نسمّيه سياسة وسلطة، يقول الله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾** (سورة الحديد: ٢٥)، فبجانب الكتاب والميزان ـ أي: الأحكام والقانون من أجل سيادة العدل ـ أشارت الآية إلى الحديد، إلى استعمال السلطة التي تردع الذين هم أسرى لأهوائهم وأنانيتهم لا يراعون قانوناً ولا خلقاً ولا ديناً، فيقطعون السبيل، ويعتدون، ويسفكون الدماء، لذلك كلّه احتاج الناس إلى سبيل آخر بعد القيم والقوانين، وهو السلطة التي تستعمل القوّة والحديد لإلزام هؤلاء بالقانون.

وغاية التدبير السياسي معالجة التنازع بين الناس، وصراع المصالح المختلفة بطريقة نتفادى بها العنف والخوف وسفك الدماء، ومعنى هذا: أنّنا نحتاج إلى دولة كي يصبح الناس غير خاضعين للحالة الطبيعية الخارجة عن كلّ قانون وكلّ شريعة وكلّ قيمة أخلاقية، تضمن أن يتحاكم الناس إلى القانون والعدل، وهذا معنى السياسة التي تدير هذا التنازع، وتمنعه من أن يصبح عدواناً وعنفاً. فالسياسة بهذا المعنى إنّما هي إدارة سلمية للصراع لا حرب فيها ولا عنف يقوم به أحد الأطراف أو جميعها، وتعالج هذا على صعيد المجتمع كلّه، فهي فنّ حياة متوازنة في دولة واحدة، يقتضي هذا سلطة وحكماً تعالج بهما المواجهات، وتسوّى على أساس قانون يحسم به النزاع، وعدم اتّفاق المصالح والآراء بين الأحزاب وفئات المجتمع المختلفة، ولا سبيل لغير هذا إلّا العنف والمقاتلة. والسياسة إنّما غايتها تدبير ذلك كلّه تدبيراً متوازناً يتلافى به أن تقع الفوضى والعدوان وسبل العنف. فلا وجود لسياسة دون سلطة معترف بها تضمن هذا التوازن، وتمنع العدوان على الأشخاص وحقوقهم».

عمر التلمساني

عمر عبد الفتّاح عبد القادر مصطفى التلمساني هو: المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، وداعية إسلامي معروف، قد تميّز بقدرته الفائقة على الحوار واحتواء معارضي الجماعة من التيّارات العلمانية والإسلامية الأُخرى في مصر، ويعدّ مجدّد شباب الجماعة، والذي أعاد تنظيمها بعد خروج أعضائها من السجون في أيّام محمّد أنور السادات.

ولد في حارة حوش قدم بالغورية قسم الدرب الأحمر بالقاهرة في ٤ نوفمبر عام ١٩٠٤م، ونشأ في بيت واسع الثراء، فجدّه لأبيه من بلدة تلمسان بالجزائر، جاء إلى القاهرة، واشتغل بالتجارة، وفتح الله عليه بالمال الوفير، فلجأ إلى القرآن يعتصم به، وتدثّر بالانطواء على نفسه يزكّيها بجهد صامت واجتهاد كبير.

في سنّ الثامنة عشرة تزوّج وهو لا يزال طالباً في الثانوية العامّة، وظلّ وفياً لزوجته، حتّى توفّاها الله في أغسطس عام ١٩٧٩م، بعدأن رزق منها بأربعة من الأولاد: عابد وعبد الفتّاح، وبنتين.

حصل على ليسانس الحقوق، واشتغل بمهنة المحاماة، وفي شبين القناطر كان مكتبه، وظلّ يدافع عن المظلومين، حتّى جاءت سنة ١٩٣٣م التي التقى خلالها بالإمام الشهيد حسن البنّا في منزله، وبايعه، وأصبح من الإخوان المسلمين، وكان أوّل محامٍ يدخل الجماعة، وكان من دعاه لحضور دروسه اثنان من الإخوان، هما عزّت محمّد حسن، وكان معاون سلخانة بشبين القناطر، والآخر محمّد عبد العال، وكان ناظر محطّة قطار الدلتا في محاجر «أبي زعبل»، ودخل التلمساني السجن عام ١٩٥٤م، ثمّ في عام ١٩٨١م، ثمّ في عام ١٩٨٤م.

توفّي عمر التلمساني يوم الأربعاء ٢٢ /مايو /١٩٨٦م بعد معاناة مع المرض عن عمر يناهز ٨٢ عاماً، ثمّ صُلّي عليه بجامع عمر مكرم بالقاهرة، وكان تشييعه في موكب شارك فيه أكثر من ربع مليون نسمة من الجماهير فضلاً عن الوفود التي قدمت من خارج مصر..

وحضر رئيس الوزراء، وشيخ الأزهر، وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية، ورئيس مجلس الشعب، وبعض قيادات منظّمة التحرير الفلسطينية، ومجموعة كبيرة من الشخصيات المصرية والإسلامية، إلى جانب حشد كبير من السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي، حتّى الكنيسة المصرية شاركت بوفد برئاسة الأب نمر يعريوس في تشييع الجثمان.

قال إبراهيم سعدة رئيس تحرير «أخبار اليوم»: «مات عمر التلمساني .. صمّام الأمان لجماعة وشعب ووطن»، وقالت إذاعة راديو أمريكا: «إنّ هذه الجنازة أظهرت قوّة وفعّالية التيّار الإسلامي في مصر، خاصّة وأنّ أغلبية من حضروا كانوا من الشباب»، وكتبت مجلّة «كريزنت إنتر ناشيونال» في عددها الصادر في ١ / ٦ / ١٩٨٦م: «بوفاة التلمساني تفقد الحركة الإسلامية جمعاء واحداً من أبرز رجالها العاملين، وستظلّ تضحياته للإسلام محلاًّ للذكرى إلى أمد بعيد».

من مؤلّفاته: ذكريات لا مذكّرات، شهيد المحراب، حسن البنّا الملهم الموهوب، بعض ما علّمني الإخوان، في رياض التوحيد، المخرج الإسلامي من المأزق السياسي، الإسلام والحكومة الدينية، الإسلام ونظرته السامية للمرأة، قال الناس ولم أقل في عهد عبد الناصر، من صفات العابدين، يا حكّام المسلمين .. ألا تخافون الله ؟!، لا نخاف السلام ولكن الإسلام والحياة، حول رسالة نحو النور، من فقه الإعلام الإسلامي، أيّام مع السادات، آراء في الدين والسياسة.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٢٩٥، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، عظماء الإسلام: ٣١٣ ـ ٣١٤).

عمر الفاتحي

عمر الفاتحي: محام، وكاتب صحفي، وناقد سينمائي، وداعية وحدة.

ولد بتاريخ ١ / ١ / ١٩٥٢م ببوجنيبة في إقليم خريبكة بالمغرب، وحاز على إجازة الحقوق من كلّية الحقوق بمدينة فاس المغربية سنة ١٩٧٩م، وعلى دبلوم الدراسات العليا.

وميدان تخصّصه الحالي: النقد الإذاعي والتلفزي، وتغطية أشغال الملتقيات والتظاهرات

الفنّية، والمراسلة الفنّية مع بعض الصحف كصحيفة «القدس العربي». وهو يتقن العربية والفرنسية، ويجيد الإنجليزية قراءة. من مؤلّفاته كتاب «الفضاء الإعلامي المرئي بالمغرب».

وهو عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعضو النقابة الوطنية للصحافة المغربية، وعضو هيئة تحرير مجلّة «اتّحاد كتّاب الانترنيت المغاربة»، وعضو اتّحاد كتّاب الانترنيت العرب، وعضو مؤسّس للنقابة المغربية لكتّاب السيناريو، ومؤسّس اتّحاد نقّاد السينما في المغرب العربي على موقع الفيس بوك، وعضو المركز الديمقراطي العربي بالقاهرة، وعضو لجنة التحكيم بمهرجان النيل بالقاهرة للأفلام الوثائقية والتسجيلية، وعضو فعّال ومتعاون مع عدّة منابر إعلامية على مستوى العالم العربي ودول الاتّحاد الأوربّي الناطقة بالعربية.

عيسىٰ مَنّون

الشيخ عيسىٰ مَنّون الشامي: من علماء الأزهر الشريف وأحد الأعضاء المؤسّسين لجماعة التقريب في القاهرة.

ولد سنة ١٨٩٠ م في بلدة عين كارم إحدى ضواحي القدس، وتعلّم فيها، وقصد مصر عام ١٣٢٢ هـ، فالتحق بالجامع الأزهر، وأخذ عن: محمّد بخيت المطيعي، وأحمد الرفاعي، وعبدالحكيم عطا، ومحمّد حسنين العدوي، ودسوقي العربي، ومحمّد أبي عليان، وسليم البشري، وغيرهم. ومن بعد ذلك باشر التدريس في الأزهر، فدرّس أُصول الفقه سبع سنوات، ثمّ زاول تدريسه.

كان شيخاً لرواق الشام، وعضواً في هيئة كبار العلماء سنة ١٩٣٩ م، ورئيساً للجمعيات الشرعية، وعضواً في لجنة الفتوىٰ، وعميداً لكلّية أُصول الدين سنة ١٩٤٤ م، وشيخاً لكلّية الشريعة سنة ١٩٤٦ م.

وقد صنّف عدّة كتب، منها «نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأُصول».

توفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية مقالة بعنوان «متىٰ يجوز الاجتهاد، ومتىٰ لا يجوز؟» التي كتبها ردّاً على أفكار الشيخ عبدالحميد بخيت في مقالة الأخير التي عنوانها «إباحة الفطر في رمضان وشروطه»، وقد نشرت «رسالة الإسلام» مقالة الشيخ منّون في عددها الثالث بتاريخ ١٩٥٥م (السنة السابعة).

وقد كانت له هموم تقريبية، وكان من جملة المؤمنين بقضية التقريب بين المذاهب الإسلامية وضرورة تفعيلها أكثر فأكثر.

(انظر ترجمته في: الفتح المبين ٣: ٢٠٩ ـ ٢١٢، الأعلام للزركلي ٥: ١٠٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٢٤٠ ـ ٢٥٣، نثر الجواهر والدرر ١: ٩٤٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٤٧٦ ـ ٤٧٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٥٣).

❊ ❊ ❊

﴿حرف الغين﴾

غلام رضا السعيدي

غلام رضا بن محمّد سعيدي: مفكّر إسلامي إيراني، وداعية تقريب.

ولد السيّد سعيدي سنة ١٢٧٤ هـ. ش. في قرية نوزاد التابعة لقضاء درميان في مدينة خراسان الجنوبية، وبعد أن أتمّ دراسته الأوّلية في مسقط رأسه هاجر ـ وعمره ١٨ سنة ـ إلى مدينة بيرجند، واشتغل بالدراسة في المدرسة الشوكتية، وبقي فيها مدّة ٧ سنوات، يدرس اللغة العربية واللغة الفرنسية وبعض العلوم القديمة والجديدة، كما تعلّم اللغة الإنجليزية خارج تلك المدرسة، ممّا وسّع من أُفقه العلمي والأدبي. وبعد أن أتمّ تحصيلاته عمل لمدّة ثلاث سنوات في إحدى البنوك، ثمّ درّس في المدرسة الشوكتية، وكان أثناء ذلك يقوم بكتابة المقالات وينشرها في بعض المجلّات العلمية والأدبية، وقد وصل عددها ـ وذلك بعد جمعها ـ إلى ٩٠ مجلّداً!

وقد سافر إلى الهند والباكستان وسوريا ولبنان والعراق والحجاز؛ للاستزادة من العلوم، وأصبح عضواً في بعض المجامع العلمية والإسلامية في تلك البلاد.

وفي سنة ١٣٢٣ هـ. ش سافر إلى العراق، وتعرّف هناك على العلّامة الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، فنهل من علومه وحضر دروسه. وعندما سافر إلى باكستان التقى بالمفكّر السيّد أبي الأعلى المودودي، فحضر دروسه كذلك. وفي سفره إلى الهند التقى بشاعر الإسلام العلّامة محمّد إقبال اللاهوري، واستفاد من أفكاره، وكان له حضور بجامعة عليكرة.

في سنة ١٣٢٧ هـ. ش. اتّجه سعيدي صوب بريطانيا، واشترك في المؤتمر الإسلامي هناك، واقترح أن تُدار مدينتا مكّة والمدينة بصورة عالمية.

قام سعيدي بترجمة بعض آثار العلّامة إقبال اللاهوري، فوقع تحت تأثير أفكاره،

ومن هنا يعدّ من أعرف الناس بإقبال في إيران.

من جملة تلاميذ سعيدي: الدكتور علي شريعتي، والدكتور مصطفى جمران.

توفّي السيّد غلام رضا سعيدي بعد عمر مديد قضاه في طريق الدعوة ونشر المعارف الإسلامية سنة ١٣٦٧ هـ. ش. عن عمر ناهز ٩٣ سنة في مدينة بيرجند، ودفن عند مرقد السيّدة معصومة بقم.

من مؤلّفاته: إسلام وطبّ جديد (الإسلام والطبّ الحديث)، برنامه انقلاب إسلامي (برنامج الثورة الإسلامية)، إسلام وجاهليت (الإسلام والجاهلية)، جنك وصلح در إسلام (الحرب والسلم في الإسلام)، رسول أكرم در ميدان جنك (الرسول الأكرم في ميدان الحرب)، باكستان، مسألة كشمير، متجاوز كيست (من المعتدي)، قائد أعظم محمّد علي جناح (القائد الأعظم محمّد علي جناح)، سيّد جمال دين مفخر شرق (السيّد جمال الدين مفخرة الشرق)، شالوده علوم جديد در إسلام (أساس بناء العلوم الجديدة في الإسلام)، انديشة إقبال لاهوري (فكر إقبال اللاهوري)، سوكولاريزم (العلمانية)، بحران فعلي جهان (الاضطرابات العالمية الراهنة)، مصاحبة (المكالمة)، إقبال شناسي (معرفة إقبال)، زندكي حضرت محمّد ﷺ (حياة النبي محمّد ﷺ)، داستانهاني أز زندكي بيامبر (قصص من حياة النبي ﷺ)، عايشة همسر بيغمبر (عائشة زوجة النبي ﷺ)، فرياد فلسطين (صراخ فلسطين)، جمال عبد الناصر، الجزاير بيروز (الجزائر منتصرة)، منشور نهضة إسلامي (منشور الصحوة الإسلامية)، بيشرفت سريع إسلام (التطوّر السريع للإسلام)، مباني أخلاقي براي جنبش إسلامي (المباني الأخلاقية للحركات الإسلامية)، توطئة خاور شناسان (مؤامرات المستشرقين)، بزركترين مرد تاريخ (أكبر رجل في التاريخ)، عمّار ياسر (عمّار بن ياسر)، مبادئ إسلام وفلسفة أحكام (مبادئ الإسلام وفلسفة الأحكام)، إسلام وغرب (الإسلام والغرب).

وقد عدّه السيّد هادي خسرو شاهي ـ وذلك في ورقة بعثها إلى كاتب السطور ـ من رجال التقريب بين المذاهب الإسلامية.

* * *

فهرس المحتوى

تقديم بقلم سماحة الأمين العامّ للمجمع ٥

كلمة المعاون الثقافي للمجمع ٧

مقدّمة المؤلّف ٩

بحوث ممهّدة: ١٣

الإصلاح الإسلامي ١٣

الدعوة الإسلامية ٢٤

الوحدة الإسلامية ٣٧

التقريب بين المذاهب الإسلامية ٧٤

(حرف الألف)

إبراهيم بيّوض ١١٧

إبراهيم الجعفري ١١٧

إبراهيم عزّت ١٢٣

إبراهيم مدكور ١٢٤

ابن أبي الحديد المعتزلي ١٢٦

ابن الجنيد الإسكافي ١٢٧

أبو الأعلىٰ المودودي ١٢٨
أبو بكر جومي ١٣٠
أبو الحسن الفاضل البهسودي ١٣١
أبو الحسن الندوي ١٣١
أبو عبدالله الزنجاني ١٣٣
أبو القاسم الخوئي ١٣٤
أبو القاسم الكاشاني ١٣٥
إحسان حقّي ١٣٧
أحمد أبو الفتح المصري ١٣٨
أحمد بدر الدين حسّون ١٣٩
أحمد بشير ١٤٣
أحمد التجاني عمر ١٤٣
أحمد توفيق ١٤٤
أحمد حسن الباقوري ١٤٤
أحمد الحسني ١٤٧
أحمد حسين أحمد محمّد ١٤٧
أحمد الحصري ١٤٩
أحمد حمد الخليلي ١٥٠
أحمد خان ١٥١
أحمد الريسوني ١٥٣
أحمد الزين ١٥٤

أحمد سعود السيابي ١٥٧
أحمد الشرباصي ١٥٧
أحمد صدقي الدجاني ١٦٠
أحمد عبد المجيد هريدي ١٦٣
أحمد عروة ١٦٤
أحمد عسّاف ١٦٥
أحمد علي الملط ١٦٦
أحمد عمر هاشم ١٦٧
أحمد عيسىٰ عاشور ١٦٩
أحمد كفتارو ١٦٩
أحمد كمال أبو المجد ١٧٣
أحمد المبلّغي ١٧٧
أحمد المحاميد ١٨٠
أحمد محمّد الشامي ١٨١
أحمد محمّد الطيّب ١٨٣
أحمد محمّد عيسىٰ ١٨٥
أحمد محمّد هليل ١٨٦
أحمد الوائلي ١٩٠
أسعد السحمراني ١٩٧
إسماعيل الصدر ٢٠٠
إسماعيل الفاروقي ٢٠١

الله شكور باشا زاده ٢٠٣
أمجد الزهّاوي ٢٠٦
أمير علي الهندي ٢٠٧
أمين الحسيني ٢٠٩
أمين الخولي ٢١٠
أمينة محمّد علي الأصفهاني ٢١٢

(حرف الباء)

بدر عابدين ٢١٥
بدران أبو العينين بدران ٢١٥
بديع الزمان سعيد النورسي ٢١٦
برهان الدين ربّاني ٢١٨
بسّام الصبّاغ ٢٢٠
بنت الشاطئ ٢٢٣
بنت الهدىٰ ٢٢٧
بهاء الدين الندوي ٢٢٨
البهي الخولي ٢٢٩

(حرف التاء)

تاج الدين الهلالي ٢٣٣
توفيق الشاوي ٢٣٧

توفيق علي وهبة ٢٣٩
توفيق الفكيكي ٢٤٤
التيجاني عبد الرحمان ٢٤٥

(حرف الجيم)

جاد الحقّ علي جاد الحقّ ٢٤٧
جعفر الشهيدي ٢٤٨
جعفر عبد السلام ٢٥٤
جمال الدين الأفغاني ٢٦٢
جنيد البخاري ٢٦٥

(حرف الحاء)

حامد حفني داود ٢٦٧
حبيب آل إبراهيم العاملي ٢٦٨
الحبيب المستاوي ٢٦٩
حسّان حتحوت ٢٧٩
حسّان موسىٰ ٢٨٤
حسن إسلام يحيى ٢٨٧
حسن البنّا ٢٨٨
حسن الترابي ٢٩٤

حسن التلّ ٣٠٤
حسن جاد حسن ٣٠٨
حسن خالد ٣٠٩
حسن الربّاني ٣١٠
حسن سعيد ٣١٤
حسن الشيرازي ٣١٥
حسن الصفّار ٣١٦
حسن قرشي ٣٢٣
حسن المدرّس ٣٢٣
حسن مكّي ٣٢٥
حسن الهضيبي ٣٣٠
حسنين الفضيل الورتيلاني ٣٣٣
حسنين محمّد مخلوف ٣٣٩
حسين البروجردي ٣٤١
حسين جوزو ٣٤٥
حسين الراضي ٣٤٥
حسين علي محفوظ ٣٥٠
حسين كمال الدين ٣٥٢
حسين مجيب ٣٥٤

(حرف الخاء)

خالد زهري ٣٦٣
خالد محمّد خالد ٣٦٦
خالد المذكور ٣٦٦
خليل أحمد الحامدي ٣٦٩
خليل الكمرئي ٣٧٣
خير الدين التونسي ٣٧٤

(حرف الراء)

راشد الغنّوشي ٣٧٩
رجب البنّا ٣٨٠
رضا الصدر ٣٨٤
روح الله الخميني ٣٨٦

(حرف الزاي)

زكي علي ٤٠٣
زكي الميلاد ٤١١
زينب الغزالي ٤١٦

(حرف السين)

ساجد علي النقوي ٤١٩

سالم بو حاجب ٤٢٠
سالم السيابي ٤٢٨
سالم مفتيج ٤٣٠
سعيد رمضان ٤٣٠
سعيد شعبان ٤٣١
سلمان العودة ٤٣٦
سلمان الندوي ٤٤٣
سليم البشري ٤٤٣
سليمان الباروني ٤٤٤
سليمان دنيا ٤٤٥
سليمان يوسف ٤٥٣
سيّد حامد علي ٤٥٤
سيّد زين العابدين ٤٥٤
سيّد سابق ٤٥٧
سيّد قطب ٤٥٧

(حرف الشين)

الشريف المرتضى ٤٦٣
شكيب أرسلان ٤٦٥
شهاب الدين المرعشي النجفي ٤٦٨
الشهيد الأوّل ٤٧٠

الشهيد الثاني ٤٧٧
شيخ الشريعة الأصفهاني ٤٨٦

(حرف الصاد)

الصادق المهدي ٤٨٩
صافي ناز كاظم ٤٩٨
صالح بابكر ٤٩٩
صالح سليمان الوهيبي ٥٠٠
صالح عشماوي ٥٠٢
صبحي الصالح ٥٠٣
الصدوق ٥٠٤
صلاح أبو إسماعيل ٥٠٦
صلاح الدين كفتارو ٥٠٨

(حرف الطاء)

طارق رمضان ٥٠٩
طاهر الجزائري ٥١٣
طلال عتريسي ٥١٨
طٰه جابر العلواني ٥١٩
طوبىٰ الكرماني ٥٢٢
الطوسي ٥٢٤

(حرف العين)

عائشة المناعي ٥٢٩

عبّاس محمود العقّاد ٥٣٢

عبد الأمير الجمري ٥٣٤

عبد الأمير قبلان ٥٤١

عبد البديع صقر ٥٤٣

عبد الجليل حسن ٥٤٤

عبد الجليل شلبي ٥٤٥

عبد الجليل عيسى ٥٤٦

عبد الحسين الرشتي ٥٤٧

عبد الحسين شرف الدين العاملي ٥٥٠

عبد الحسين اللاري ٥٥٧

عبد الحليم الكناني ٥٥٨

عبد الحليم محمود ٥٥٩

عبدالحميد بن باديس ٥٦٢

عبد الحميد الزهراوي ٥٦٤

عبد الحميد كشك ٥٦٥

عبد الرحمان بدوي ٥٦٨

عبد الرحمان الجودر ٥٧٣

عبد الرحمان الخيّر ٥٧٣

عبد الرحمان السميط ٥٧٥

عبد الرحمان عزّام ٥٨٢
عبد الرحمان الكواكبي ٥٨٨
عبد الرحمان النجّار ٥٩٣
عبد الرحيم علي ٥٩٥
عبد الرزّاق السنهوري ٦٠٠
عبد الرزّاق نوفل ٦٠٤
عبد الرشيد إبراهيم ٦٠٥
عبد السلام العبادي ٦١١
عبد الصبور شاهين ٦١٩
عبد الصبور مرزوق ٦٢١
عبد العزيز البدري ٦٢٢
عبد العزيز البشري ٦٢٦
عبد العزيز الثعالبي ٦٢٧
عبد العزيز جاويش ٦٣٦
عبد العزيز الخيّاط ٦٣٩
عبد العزيز عثمان التويجري ٦٤٠
عبد العزيز كامل ٦٤٢
عبد العزيز محمّد عيسىٰ ٦٤٣
عبد العظيم المطعني ٦٤٤
عبد الفتّاح أبو غُدّة ٦٤٦
عبد الفتّاح عبد المقصود ٦٤٩

عبد القادر عودة ٦٥٠
عبد القادر المغربي ٦٥٢
عبدالكريم بي آزار الشيرازي ٦٥٣
عبد الكريم الحائري اليزدي ٦٥٥
عبد الكريم الزنجاني ٦٥٧
عبد الله الأنصاري ٦٥٩
عبد الله البهبهاني ٦٥٩
عبد الله العلايلي ٦٦٥
عبد الله المشدّ ٦٧٠
عبد الله النديم ٦٧١
عبد الله النفيسي ٦٧٦
عبد الله يحيى العلوي ٦٧٩
عبد المتعال الصعيدي ٦٨١
عبد المجيد سليم ٦٨٤
عبد المجيد عبّاس ٦٨٩
عبد المحسن الأُسطواني ٦٩٢
عبد المنعم الزين ٦٩٧
عبدالمنعم الفرطوسي ٦٩٨
عبد الناصر أبو البصل ٧٠٠
عبد الهادي آوانج ٧٠٢
عبد الهادي الفضلي ٧٠٦

عبد الواحد اللاهوري ٧٠٧
عبد الودود شلبي........ ٧٠٧
عبد الوهاب حمّودة........ ٧١٥
عبد الوهاب خلّاف ٧١٦
عبد الوهاب عبد اللطيف........ ٧١٨
عبد الوهاب عزّام ٧٢٠
عبد الوهاب النجّار ٧٢١
عز الدين إبراهيم ٧٢٢
عزّ الدين أبو العزائم........ ٧٢٥
عزمي طه السيّد........ ٧٢٥
عصام العطّار ٧٢٨
عطية صقر........ ٧٣٤
عفاف الحكيم ٧٣٥
عكرمة صبري........ ٧٣٨
علاء الدين زعتري ٧٤٠
علّال الفاسي ٧٤٧
العلّامة الحلّي ٧٥٠
علي إبراهيم الغريفي ٧٥٥
علي إسماعيل المؤيّد ٧٥٨
علي أصغر الأوحدي........ ٧٥٨
علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني ٧٥٩

علي جمعة ٧٦٣
علي الجندي ٧٦٦
علي الخامنئي ٧٦٩
علي الخفيف ٧٧٣
علي الخنيزي ٧٧٤
علي السيستاني ٧٧٥
علي عبد الرازق ٧٧٨
علي عبد الواحد وافي ٧٨٢
علي محيي الدين القره داغي ٧٨٣
علي يحيىٰ معمّر ٧٨٩
عمّار الطالبي ٧٩٠
عمر التلمساني ٧٩٤
عمر الفاتحي ٧٩٥
عيسىٰ مَنّون ٧٩٦

(حرف الغين)

غلام رضا السعيدي ٧٩٩
فهرس المحتوى ٨٠١